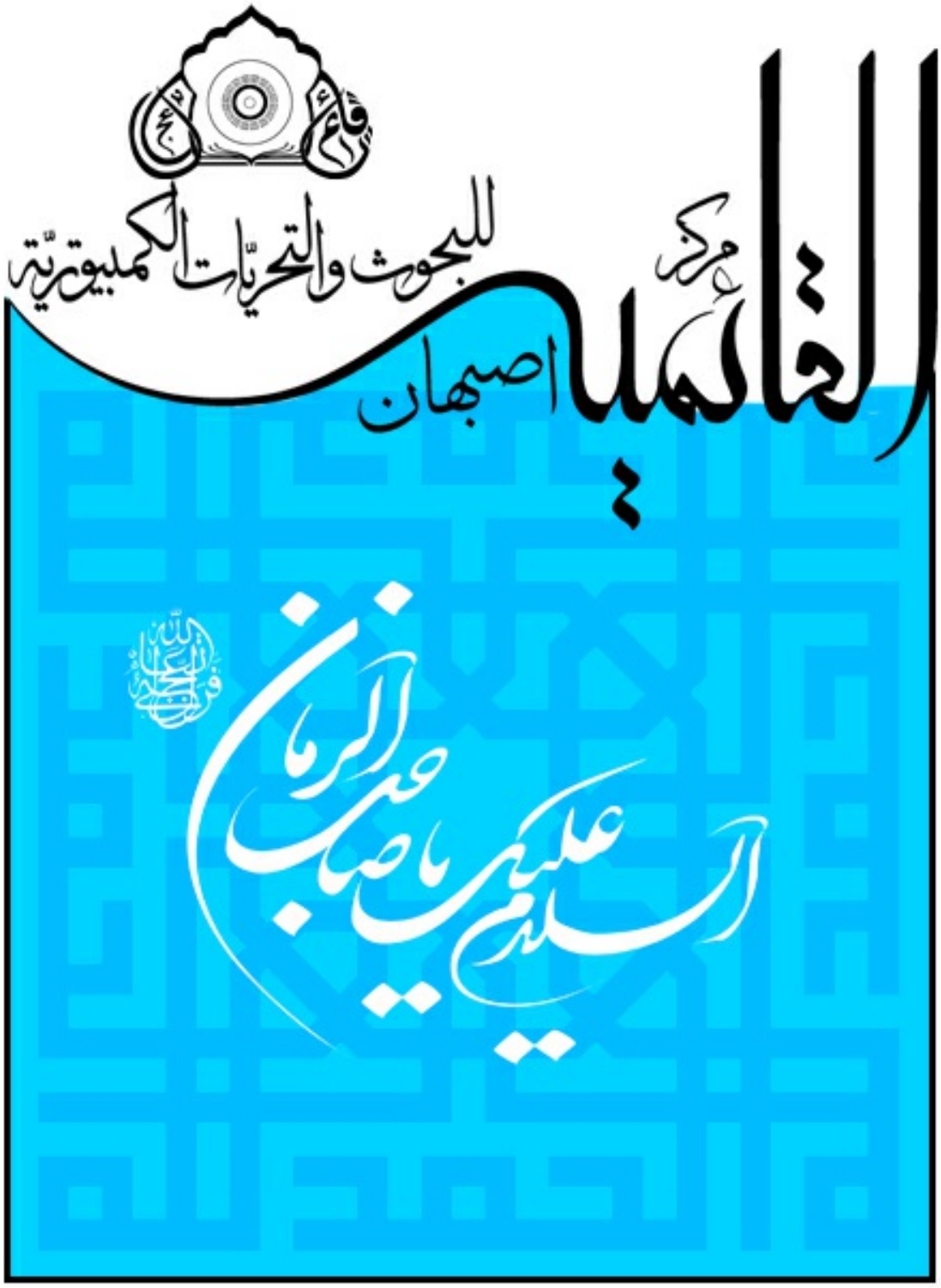

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

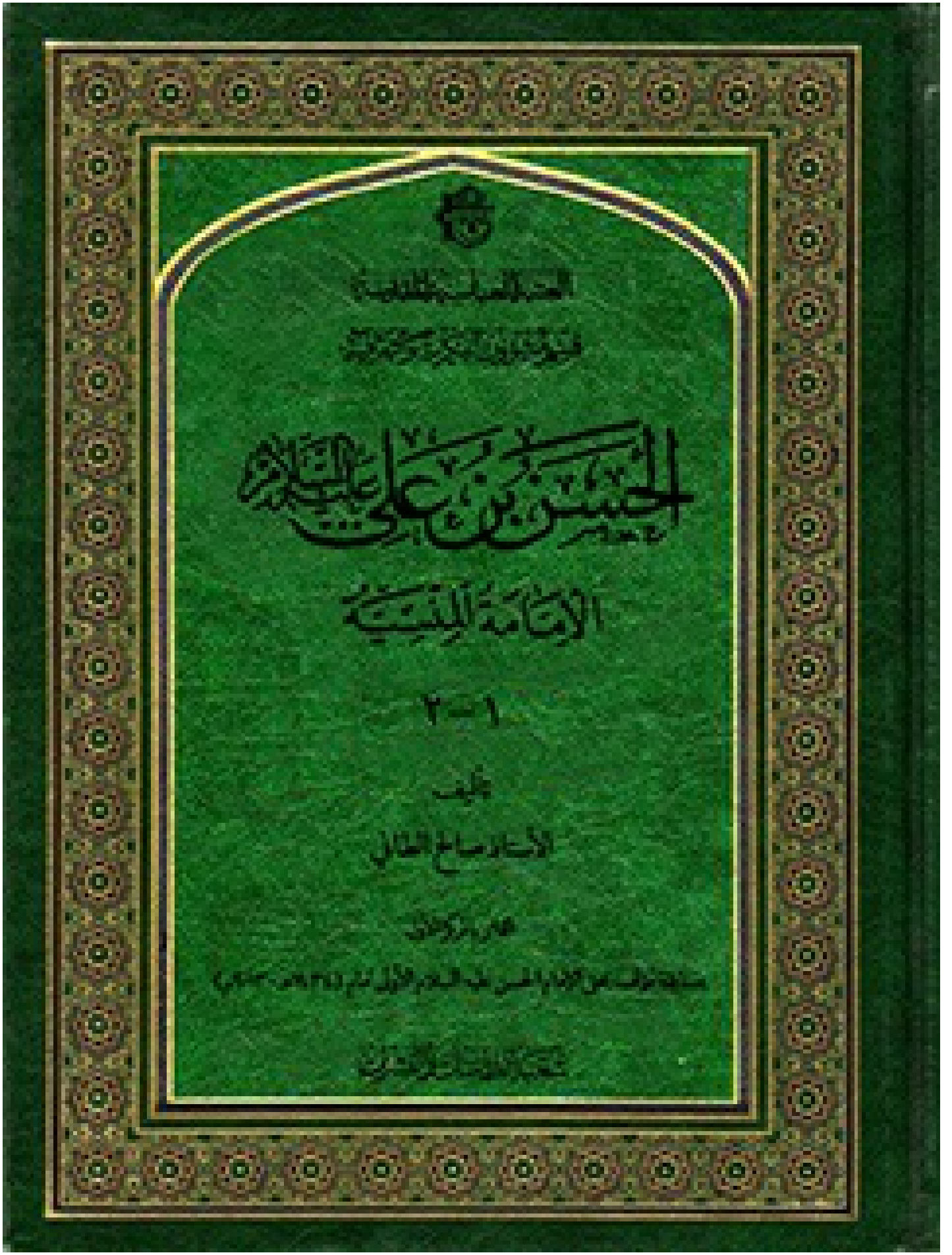

بسم الله الرحمن الرحیم

الحسن ابن علي عليه السلام الامامه المنسيه

كاتب:

صالح الطانى

نشرت في الطباعة:

العتبة العباسية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

الحسن ابن على عليه السلام الامامه المنسيه 12

اشارة 12

اشارة 14

الجزء الأول الإمامة المحاصرة ومساعى تقويض الحسنية 15

مقدمة الناشر 15

المقدمة 20

الفصل الأول السياسة الدنيوية 34

اشارة 34

تقديم 36

الساسة العرب 38

الصراع الدينى السياسى 45

العصبية 49

الفصل الثانى الحياة السياسية قبل و بعد عصر البعثة 77

اشارة 77

سياسة العرب قبل عصر البعثة 77

السياسة فى عصر البعثة 82

التخطيط السياسى لقتل النبى صلى الله عليه و آله 89

نشاط السياسيين فى عصر البعثة 95

اشارة 95

المرحلة الأولى: 95

المرحلة الثانية: 99

المرحلة الثالثة: 101

المرحلة الرابعة: 103
المرحلة الخامسة: 103
السياسة و الدولة 104
التنقل عبر و الخطوط 109
التكتم على دور العرب السياسى 114
الأنساق السياسية 116
الذين كتبوا التاريخ أخفوا حقائقه 126
قلب المعادلة 134
السياسة بعد عصر البعثة 141
ترشيح و تنصيب و دعم و قتل الخلفاء 141
قتل الخليفة عثمان 147
اتهام على بالتآمر و التواطؤ مع المتآمرين! 154
الفصل الثالث النزاع السياسى مع الخط العلوى 170
النزاع السياسى مع خط العلوى 170
المرحلة الأولى:المواجهة الناعمة 172
أولا: إتمام مشروعهم الذى بدأ فى زمن البعثة 172
ثانيا: استباق الأحاديث و انتهاز الفرص ختلا. 176
ثالثا: إنكار حقه فى الخلافة و أهليته للخلافة و العمل على تحيته عنها مرتين. 178
اشارة 178
على و سنة الشيخين 179
و هل قتل حجر بن عدى من السنة أم من الجماعة؟ 186
رابعا: التخلف عن بيعته 198
خامسا: إفشال خططه وجهده عليه السلام بالدس والتدليس والغش. 204
سادسا: تخريب اقتصاد دولته 206
محاولات الإصلاح الاقتصادى العلوية 209

المرحلة الثانية: المواجهة الخشنة 211
اشارة 211
قتال الناكثين و القاسطين و المارقين 211
الحرب هی الحل 217
الجمل؛ الحرب الغادرة الأولی 223
صفين معركة الخداع و المكر السياسی 233
جمر الصحابة بالفتوح للتخلص منهم 234
فصول الصفين 240
النهروان معركة المغفلين المخدوعين 243
المرحلة الثالثة: تكميم الأفواه و تغيير الموروث 254
اشارة 254
سب الإمام علی 254
فصل الرابع أنموذجات سياسية فی تاريخ العرب 259
اشارة 259
المغيرة بن شعبة 261
قتل الخليفة عمر 262
مروان بن الحكم 267
الأشعث بن قيس 283
أبو سفيان و مشايخ قريش 285
المؤرخون السياسة 301
الفصل الخامس و النزاع السياسی مع خط الحسنی 313
اشارة 313
سياسة التشكيک 315
تشكيكهم بتاريخ مولده 317
تشكيكهم فی أصل تسمية 321

تشكيكهم أن النبى صلى الله عليه و آله عق عنه 327
تشكيكهم فى صحبته 344
إسهامه فى الفتوح 345
الخلط بين مهام إمامته وخلافته 348
التلاعب بتأريخ وفاته 359
تشكيكهم بطريقة موته 372
اعتراضهم على دفنه مع جده 396
هدم القبر الشريف 409
الإمام الحسن فى ميزان النبوة 411
فرح السياسيين بموته 422
عدم احترام منزلته 427
لم يشفع له شبهه بالنبى صلى الله عليه و آله 429
حجبهم الراشدية عنه 432
وتمكنت السياسة من خلط ألأوراق بشأن خُلق الإمام 441
الفصل السادس السياسة الدينية 443
اشارة 443
المستقبلية 451
ايذاء الحكام الجائرين لآل البيت عليهم السلام 485
الخاتمة 497
المراجع 505
الجزء الثانى الامام المفترى عليه 539
مقدمة 539
الفصل الأول قصص زوجاته التسعمانه! 543
اشارة 543
قصص زوجاته التسعمائة! 545

المدائنی ـ 553
الحسن علیه السلام المبذر المتلاف ـ 558
انزعاج الإمام علی علیه السلام ـ 577
الزواج السیاسی ـ 588
الأصل التاریخی لروایات الزواج الخرافی ـ 605
مع الکثرة یسوء الاختیار ـ 615
حب نسائه له ـ 620
معرفة دقائق الأمور ـ 622
أولاد الإمام الحسن علیه السلام ـ 637
الفصل الثانی صدق الائمة و کذب السیاسیین ـ 643
اشارة ـ 643
صِدقُ الأئمة وکَذِبِ السیاسیین ـ 646
نظریة الحق الإلهی ـ 655
التنصیب الإلهی ـ 684
الکِبْر ـ 691
الفصل الثالث الصلح فی الجزئیة و الکلیة ـ 707
اشارة ـ 707
بعض ملامح أخلاق الإمام الحسن علیه السلام السیاسیة ـ 709
الشروط بین الفقه والفکر السیاسی الإسلامی ـ 729
ما اشتبه علیهم ـ 733
الإذلال فی میزان الواقع ـ 747
ما بال المعاصرین ـ 754
الجانب الفقهی للصلح ـ 763
الآیة من حیث سبب النزول: ـ 764
الآیة من حیث التفسیر: ـ 765

الآية من حيث التشريع: 768
مشروعية الصلح والحرب فى الإسلام 773
الفصل الرابع الأغيلمة الشجرة الخبيثة 777
اشارة 777
حديث الأغيلمة 780
الشجرة الملعونة فى القرآن 800
قتال الحسن عليه السلام للبغاة مكمل لقتال على عليه السلام لهم 810
جيش الإمام الحسن عليه السلام 822
من البادئ بالمسير إلى الحرب؟ 839
إلتقاء الجيشين 847
هل التقى الجيشان فعلاً؟ 863
مَنْ بادر إلى الصُلح أولا؟ 870
قصة البخارى الملفقة 878
مؤامرة الخطبة 891
الفصل الخامس المدارس الفقهية و موضوع الصلح 897
اشارة 897
المدارس الفقهية وموضوع الصُلح 898
ترابط منهج الإمامة المعصومة وفهم الحسن عليه السلام للصُلح 936
لماذا صالَح الحسن عليه السلام؟ 957
الفصل السادس الصلح و القواعد الفقهية 967
اشارة 967
الصُلح والقواعد الفقهية 968
درء الحدود بالشبهات 968
الإمام والوحدة الإسلامية 984
وثيقة الصُلح 987

معاوية والصُلح 996
الحسن عليه السلام بعد الصُلح 1006
مراجع ومصادر الجزء الثانى 1035
المحتويات 1061
تعريف مركز 1070

الحسن ابن على عليه السلام الامامه المنسيه

اشارة

الطائى،صالح على، 1951-

الحسن بن على عليه السلام : الإمامة المنسية / تأليف صالح الطانى ؛ مراجعة شعبة

الدراسات والنشرات.- الطبعة الاولى.. كربلاء : قسم الشوون الفكرية واثقافية فى

العتبة العباسية العشسة،1436ه / 2015.

٢ جزء فى 1 مجد ؛ ٢٤ سم المصادر

1. الحسن بن على المجتبى عليه السلام الإمام الثانى؛ 50-3ه, سيرة. ألف. العتبة العباسية

المقدسة قسم الشؤون الفكرية و الثقافية شعبة الدراسات والنشرات .ب.العنوان.

BP193.12.A3 T3 2015

الفهرسة التصنيف فى مكتبة العتبة العباسية المقدسة

الكتاب: الحسن بن على عليه السلام الإمامة المنسية.

الكاتب: الاستاذ صالح الطائى.

الذاثر:قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة العباسية المقدسة.

مراجعة: شعبة الدراسات والنشرات.

التدقيق اللغوى: مصطفى كامل محمود، موفق هاشم عجيل.

الاخراج الطباعى والتصميم: علاء سعيد الأسدى- محمد قاسم النصراوى.

رقم التسجيل ى دار الكتب والوثائق فى بغداد ٢٣١٨ لعام ٢٠١٣م.

المطبعة:دار الكفيل للطباعة والنش.

الطبعة: الأولى.

عدد النسخ: ٢٠٠٠.

ربيع الثانى ١٤٣٦ -كانون الثانى ٢٠١٥

العتبة العباسية المقدسة

شعبة الدراسات و النشرات

كربلاء المقدسة

ص.ب(223)

هاتف:3226،داخلى:167-175

www.alkafeel.net

info@alkafeel.net

اشارة

العتبة العباسية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

الحسن ابن على عليه السلام الامام المنسيه

2-1

تأليف

الاستا ذ صالح الطائى

الفائز بالمركز الاول

بمسابقة مؤلف بحق الإمام الحسن عليه السلام الأولى لعام(1434ه-2013م)

شعبة الدراسات و النشرات

ص :2

الجزء الأول الإمامة المحاصرة ومساعى تقويض الحسنية

مقدمة الناشر

الحمد لله حمداً كثيراً على جميع نعمه وله الشكر سبحانه وتعالى عل ما فضل به

المؤمنين باتباعهم لرسوله الكريم وأهل بيته المعصومين، فقال سبحانه وتعالى: (إنما

أنت منذر ولكل قوم هاد) فكانوا هم الهادين و ورثة المبعوث رحمة للعالمين، أذهب الله

عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وجعلهم حجته على خلقه ومكمن علمه ومفتاح رحمته

و (خير أُمة أُخرجت للناس)، عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أما بعد..

ما زال قسم الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة العباسية المقدسة يساهم فى نشر

التراث الإسلامى الخالد الذى يستسقيه من مناهل أهل بيت النبوة صلى الله عليه و آله، ليرتشف

القارئ العزيز من هذا المعين الصافى، فمن هذا البيت النورانى شعت أنوار الهداية بفيض

كريم أهل البيت الإمام الحسن بن عل المجتبى (صلوات الله وسلامه عليه)، ريحانة

المصطفى صلى الله عليه و آله ورابع أهل الكساء، وسيد شباب أهل الجنة عليه من الله أفضل الصلاة

والسلام .

فكان الشرف الأسمى لما أبدعته يراعات كتاب وباحثين كتبوا عن تراث إمامنا

المجتبى عليه السلام من الذين فازوا بالمراتب الخمس الأولى فى مهرجان ولادة الإمام الحسن

المجتبى عليه السلام لعام ١٤٣٤ للهجرة النبوية المباركة والموافق لعام ٢٠١٣م، التى حملت

العناوين التالية:

١ . الحسن بن عليعليه السلام الإمامة المنسيية .

للمؤلف صالح الطائى.

ص:3

٢ . دراسات فى الفكر التربوى عند الإمام الحسن عليه السلام .

للمؤلف الاستاذ يوسف مدن.

٣. الانسانية المثالية عند الحسن بن على عليه السلام دراسة تحليلية فى تراثه.

للمؤلف الدكتور رحيم كريم على الشريفى

٤ .تنزيه الإمام الحسن عليه السلام و محاكمة النصوص.

للمؤلف منذر كاظم آل هريبد

٥ .صلح الحسن عليه السلام فى فكر المستشرقين.

للمؤلف: كريم جهاد الحسانى

وللساهمة فى نشر رسالة الإسلام المحمدى الخالد متمثلا بتراث الإمام السبط

المجتبى عليه السلام ، ومن بركات راعى الجود و الفضل قمر الهواشم العباس بن على عليه السلام،

نقدم بين يدى القارئ العزيز هذه المساهمة لإحياء أمر أهل بيت الرحمة عليهم السلام كما أمرنا،

روى عن الإمام الرضا عليه السلام، انه قال :(رحم الله عبدا أحيا أمرنا، فقيل له: فكيف حييى

أمركم؟ ، قاله عليه السلام: يتعلم علومنا ويعلمها الناس فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا

لاتبعونا)(1).

و نسأل الله تعالى ان يتقبل هذا العمل بقبول حسن، انه كريم مجيب.

والحمد لله رب العالمين وصل الله تعالى على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

الناثر

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

فى العتبة العباسية المقدسة

ص :4

1- معانی الأخبار: الشیخ أبوجعفر محمد بن عل بن الحین بن موسی بن بابویه القمی

المقدمة

المكتبات(1) ولاسيما الإسلامية الشيعية منها مترعة بصنوف الكتب والمؤلفات

والبحوث والمقالات بكل ما له علاقة بالإسلام والنبى صلى الله عليه و آله وأئمة أهل البيت عليهم السلام،

فضلاً عن كتب الفقه والأحكام الفقهية الإسلامية والحلال والحرام، ولكنها تفتقر

-وللأسف الشديد وبشكل كبير- إلى ما يكتب عن الامام الحسن بن على عليه السلام، لذا

وجدت موضع الكتابة عن العصر الحسنى شائقا و شائكاً، شائقاً من حيث كونه يمثل

نوعاً من التلذذ العقدى والفكرى بالحديث عن شخصية من أهم الشخصيات الإسلامية

التى أسهمت فى ترسيخ مبادئ الدين الحنيف تضحيتها الكبيرة والعظيمة، وشائكاً من

حيث كونه يستوجب مناقشة جوانب بالغة الحساسية من حياة إمام معصوم قام أو

قعد بصراحة موضوعية مطلقة؛ بكل ما ينضوى عليه هذا العمل من استفزاز ممكن أن

يخلق مخاطر يحدثها التفسير التلقائى أو التأويل المقصود والمتعمد، وهو تفسير وتأويل

1- يقول الأستاذ المصرى توفيق أبو علم: ((وبعد فعندما بدأت الكتابة عن أهل البيت كانت مهمتى سهلة وصعبة، وتأتى السهولة عن بعض الشخصيات الكريمة من أهل البيت لكثرة مصادرها، وصعبة فى الكتابة عن بعضها الآخر لقلة ما كتب عنه وفى مقدمتهم سيدى أمير المؤمنين أبى محمد الحسن السبط رضى الله عنه، وقد كنت أتهيب دراسة هذه الشخصية فالذين كتبوا عنه وهم قليل حاولوا أن يشوهوا وجه الحق ويفسدوا حرية البحث، فالمكتبة العربية ينقصها المراجع عن الإمام الحسن، وعلى العكس هى زاخرة بالمؤلفات عن الشهيد الإمام الحسين فة، و لست ادرى السبب الذى من أجله أحجم الكثير عن الكتابة عن هذه الشخصية الفذة، ففيها نواح كثيرة جديرة بالبحث والدراسة،فهو بلا شك رجل اللام الأول) ينظر:ص7 ٨ أهل البيت، الحسن بن على،توفيق أبو علم، ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر.

قد يكون دافعه طلب العلم أو ضيق الأفق الفكرى أو التعصب أو الفهم الخاطئ، أو حتى العداء الشخصى، بمعنى أنه مفتوح أمام كل الاحتمالات حسنها وقبيحها، وهو الموجود على أرض الواقع فعلا، فقبالة ما يكتب طلباً لرحمة الله ورضوانه هناك ما يكتب طلبا لرضا الشيطان وتخريب سريرة الإنسان.

ولما كان هناك من يرى فى كلا المنهجين الرحمانى والشيطانى حراكاً فكرياً ينمى قدرات الإنسان الذهنية ويشحذ قدراته الفكرية، بات لزاماً علينا أن نستعد للمواجهة الفكرية بسلاح العقل و دعم المنطق بعيداً عن كل تشنج و خروج على قواعد الدين، وهو ما يحتاج منا أن نعيد ترتيب أولوياتنا، فنحن اليوم فى عرص المعلومة المطلقة التى تتنقل عبر الأثير حول العالم بلمح البصر بل أسرع، وفى تنقلها تنظم و تدمر وتغير وتثبت، وتفضح و توضح و تدعم و تحفز و تدفع و تجذب و ترفع و تخفض تبعا لما يريدونه لها، و ليس من المعقول أن لا نلحق بركب التغيير فتبقى متقوقعين فى أماكننا وعالقين فى موروثنا نعمل بنفس آلياتنا وعدتنا القديمة الهرمة؛ لأننا إذا بقينا عل ما نحن عليه لن نلحق بالركب، وسنكون من سقط المتاع الرخيص الذى لا يبحث عنه أحد، فالتجديد واجب ظرفى تحكمنا به معطيات الحضارة المعاصرة وسيل الأفكار الغريبة التى يتم تداولها فى المجتمعات الإنسانية اليوم.

ومما يحتاج إلى التغيير والتنوير موضوع الكتابة عن شخصيات التاريخ الخالدة التى تعرضت إلى عسف وجور وظلم الحكام السلطويين الدنيويين، وتعرضت سيرتها إلى تخريب وتشويه ودس بعض المؤرخين والكتاب والباحثين، وفى سياق الاحتياج هناك ضرورة قصوى لإكثار وتنويع ما يكتب عن الإمام الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام فالكتابة عن الإمام الحسن عليه السلام من الندرة بشكل يدعو إلى الدهشة الكبيرة؛ لدرجة أنها

تبدو أحياناً مقصودة و متعمدة، وهناک کتابات أخرى تبدو وکأنها تتنافس معها.

قبل سنوات انشغل صديقى البروفسور الأمريکى (أبونمر) بکتابة بحث عن

(السلام فى الإسلام) وهو الموضوع الذى شاءت الإرادة الدولية مدعومة بالحرکة

الصهيونية ومنظمة الماسونية العالمية والحرکات الإسلامية المتطرفة وبعض تيارات

الإسلام السياسى أن لا يظهر إلى النور لأنه يقلب الکثير من الموازين ويغير الکثير من

القناعات؛ فلجأ إلى مکتبة الکونغرس وهى من أکبر المکتبات العالمية إذا لم تکن أکبرها

عل الإطلاق باحثا عن مصادر ومراجع للموضع الذى يريد الکتابة فيه، يقول:

((فوجدت آلافاً مؤلفة من المواد السمعية والبصرية على شکل شرائح، سلايدات، أفلام،

صور، محاضرات، کتب، مجلات، جرائد، بحوث ومقالات، ودراسات کلها تتحدث

عن العنف فى الإسلام، تتحدث عن الجهاد وقتل المخالف وتنظيم القاعدة الإرهابى

وتفجيرات أيلول و خطف الطائرات والتفج ر والتفخيخ والذبح والحرق والاغتصاب

وزرع المخدرات والمتاجرة بها لتمويل العمليات الإرهابية وبيع الأعضاء البشرية وکل

الأعإل القميئة القبيحة الأخرى التى ترتکب باسم الإسلام)).

وقال أيضا: لآولم أجد سوى بضعة مطبوعات بائسة تتحدث عن الموضوع الذى

أبحث عنه!)).

ولقد تذکرت مقولته تلک وأنا أبحث عن ما کتب عن الإمام الحسن عليه السلام لأتم

بحثى هذا، وما قاسيته من عناء بهدف الحصول عل مصادر للبحث.

إن وظيفة الکتابة عن الإمام الحسن عليه السلام لا تقل فى أهميتها عن وظائف الکتابات

العقائدية الأخرى سواء تلک التى تتناول سر الأئمة المعصومين عليه السلام، أو کتب الفقه

والأخلاق والمنطق والتربية، ويحب عل من يکتب عنه أن يتجاوز المألوف وينحاز

عنه وإلى تاريخه ليعيد كتابة التاريخ الحقيقى بدلاً عن التاريخ المستباح الذى تلاعبت به الأقلام والعقول والأهواء والغفلة والسياسة؛ قال رولان بارت:«لم يكن هيبير يبدأ أى عدد من أعداد مجلة (الآب دوشين) مطلقاً دون أن يضع فيه بعض الكلمات البذيئة، ولم تكن هذه البناءات دالة على شيء؛ ولكنها تشير إلى موقف ثورى كامل. هذه إذن مثال عل الكتابة التى ليست وظيفتها الايصال أو التعبير فحسب، بل فرض أمر يتجاوز اللغة، وهو التاريخ والانحياز إليه بآن واحد»(1). وهذا يعنى أن تقديم الجديد للناس حتى ولو كان خادشاً للحياء ممكن أن يشدهم إلى المعلومة التى تمرر من خلال الموضوع، وأنا أوردت القول على سبيل المثال لا أكثر جرياً على قاعدة (الأمثال تضرب ولا تقاس).

وهى ليست نبوءة تلك الجملة التى قالها رولان بارت: ((والحال أن التاريخ يتصرف بكل وضوح حيثما يكون مرفوضا))(2).

فنحن بحكم كون التارخ ظلمنا أو ظلم معتقدنا بات عندنا أكثر وضوحاً مما هو عند غيرنا من المسلمين الآخرين، ولذا تجد تفكيكنا وتفسيرنا له يختلف عما هو عندهم، بل تجدنا نتابع مفرداته وجزئياته لا كما يتابعونها، وقد نفاجئهم أحياناً بما نصل إليه فيروه جديداً، وكأنه لم يمر عليهم من قبل، بل قد يعتقدونه من مختلقاتنا الحديثة لأن كتبهم لم تذكره أو أغفلته. ولذا أصبح لزاماً علينا أن نواصل منهجنا ونوصل رؤيتنا التاريخية إلى أهلنا وأقربائنا من المسلمين لنقوم بعض اعتقاداتهم الخاطئة الموروثة عن فكرنا وعقيدتنا، ولنبههم إلى مواطن الضعف التى إختلقها الحراك السياسى وجعلهم

1- الكتابة فى درجة الصفر، رولان بارت، ترجمه عن الفرنسية الدكتور محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضارى، ٢٠٠٢، ص 5.

2- المصدر نفسه، ص ٦.

يؤمنون بها. وفى طريقنا نكشف غموض المناطق الخفية والمسكوت عنها أو تلك التى لم يخض غمارها أحد من قبل، ونثبت للجميع أن التاريخ لا يملك القدسية التى يضفيها بعضهم عليه، حيث يتفق الباحثون على أن تاريخنا الإسلامى كان دراية أولاً ثم رواية ثانياً وبعدها كتابة ثالثاً، وهذا يعنى بأنه لم ينجح بالحفاظ على اتزانه خلال التنقل عبر هذه المراحل الثلاث ولاسيما أنه تعرض خلالها إلى عسف وظلم كبيرين فتلون بغير لونه الحقيقى.

وليكن هذا المشروع جزءاً من أهدافنا المقصودة، ولا ننسى أن أحد أكبر الأخطاء القاتلة التى يمكن أن يرتكبها الباحث هو أن يكتب بدون هدف، فلابد من تحديد هدف بعينه ورسم الطريق إليه بوضوح شديد و تأن وصبر و علمية؛ فالعالم اليوم لم يعدمستعداً لسماع أو قراءة المزيد من الحماقات والتفاهات، فالعالم اليوم يبحث عن الجديد المدهش حتى ولو كان عن طريق إعادة تفكيک أسرار الموروث القديم.

إن مفهوم (الكتابة فى درجة الصفر) الذى استنبطه رولان بارت أصبح اليوم أحد المفاهيم المعيارية التى فرضت حضورها فى المصطلحات النقدية المعاصرة، ولا بأس أن نتعلم ما ينفعنا من الآخرين ما دام متوافقاً مع العقيدة؛ وهو ما قد يخدمنا فى سعينا لإحياء منظومة الإمام الحسن بن على عليه السلام الجهادية التى هى امتداد طبيعى لمنظومة جده النبى محمد صلى الله عليه و آله وأبيه الإمام على عليه السلام، و مع توظيف هذه المعطيات لا يعفى أحد من التقصير المتعمد بحق الإمام الحسن بن على عليه السلام مهام قدم من أعذار، فالتقصير المتعمد الذى نحن عليه اليوم يؤكد أن الإمام الحسن عليه السلام مظلوم من أتباعه قبل أعدائه، ومن محبيه قبل مبغضيه.

فضلاً إنک لو تابعت البحث عن ما كتب من مؤلفات فى الإمام الحسنعليه السلام سوف

تجد مع هذه القلة أن كتابات المدارس الإسلامية الأخرى عنه وعن سيرته يفوق ما كتب عنه فى مدرسة أهل البيت عليهم السلام أو يساويه، وسبب هذا التباين أن الآخرين –ولاسيما أحفاد السياسيين– أرادوا توهين الذهب من خلال القول بشرعية حكم الأمويين الذين تنازل لهم الإمام الحسن عليه السلام. وأن الشيعة لم يفهموا عظمة موقف وحراك وثورة وصلح الإمام الحسن عليه السلام!.

وفوق هذا وذاك وجدت أن فى الذاكرة الجمعية الشعبية انطباعاً سائراً بأن رجل الحرب والقائد الثائر مقدم عل رجل السلم والثائر لإحلال السلام بالسلام ورفض الحرب، ولذا يبحث الناس عما كتب عن الثوار المقاتلين ويتابعوته أكثر مما يبحثون عن كتب أبطال السلم مثل الإمام الحسن عليه السلام. ولهذا السبب تولدت لدى أصحاب المكتبات صغيرها وكبيرها قناعة بأن ما يكتب عن الإمام الحسن عليه السلام. يكسد فى مكتباتهم ولا يسأل عنه إلا القلة من القراء والمتابعين والباحثين، ولقد جابهنى هبذه الحقيقة أحد أصحاب مكتبات البيع بالجملة فى الكاظمية المقدسة فدهشت من جرأتهم!.

ولذا عانيت كثيراً فى بحثى عن ما يعيننى فى كتابة بحثى هذا؛ فأنا عادة حينما أبدأ بكتابة بحث ما أبدأ بجمع ما فى مكتبتى العامرة من مصادر ومراجع وأضعها بالقرب منى، ثم أدور على مكتبات و معارض بيع الكتب لأشترى ما له علاقة بالبحث. وحينما نويت البدء بهذا الكتاب انتبهت للمرة الأولى على أن مكتبتى فقيرة فيما تخص الإمام الحسن عليه السلام، فقمت بزيارات متكررة لأغلب المكتبات بما فيها المكتبات العامة ومكتبات المؤسات الدينية فى محافظة واسط بحثاً عن كل ما يمكن أن يرفد البحث فوجدتها شبه خالية من ذكره، ثم زرت الكاظمية المقدسة وتجولت عل المكاتب فلم أعثر إلا على ثلاثة عناوين قديمة؛ منها اثنان عن الصلح، فضلا عن مجموعة كراسات لا تسمن ولا

تغنى من جوع فكرى. ولو عقدنا مقارنة بين ما كتب عن الإمام الحسن عليه السلام وما كتب عن أخيه الإمام الحسين عليه السلام سنجد بوناً شاسعاً وفرقاً كبراً، ولا نجد وجه مقارنة مطلقا مع أنهما((إمامان قاما أو قعدا)) وهذا مما زادنى إصراراً على الكتابة عن الإمام الحسن عليه السلام.

نعم هناك بيننا من يرى أن امتداد حياة أى من الأئمة المعصومين عليهم السلام هو امتداد طبيعى لحياة سلفه، وأن ما يكتب عن الإمام الحسين عليه السلام يأتى كمحصلة للإمام الحسن عليه السلام، وأرى أن ذلك لا يعفينا من التقصير لأن لكل منهما ملامحه وخصوصياته التى لا يشترك بها مع الآخرين، ونحن لوكنا نؤمن حقا على أرض الواقع بهذه الامتدادية ما كنا قد أوقفنا جهدنا على بعضهم وتجاوزنا البعض الآخر أو كدنا ننساه. وقد آن لنا أن نصلح منهجنا العتيق هذا لنعطى كل إمام من أئمتنا المعصومين عليهم السلام حقه علينا وعلى الأمة كاملاً غير منقوص من خلال البحث والتقصى والمتابعة فى بطون كتب التراث والتاريخ والأدب وكل فنون الكتابة القديمة؛ فلابد وأن نجد فيها ولو نتفاً تعيننا فى بناء وجهات نظرنا التى متى ما جمعت خزيناً كافياً ممكن أن تطلق وهجاً وألقاُ يعانق عنان السماء، ويجعل الناس يعيدون حساباتم.

إن الكتابة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام أمر صعب بالرغم من توافر الكثير من المصادر والمراجع والأحاديث والروايات والقصص الشفاهية الموروثة، وأصعب ما فى هذا اللون من الكتابة هو التهيب الذى يشعر به الكاتب وهو يخوض غمار بحور لجية عاتية خفى أمرها عن أقرب المقربين؛ فكيف بمن تفصل بينهم وبينه حقب وعصور وأزمنة ودهور وأيام صعبة مليئة بالمحاذير، وسياسات إقصائية امتازت بالعسف والجور. ولذا كتبت هذا البحث وأنا متهيب حذر، ألتمس مواطن النصرة وبواعث

التأييد عسى أن أبرىء ذمتى أمام سيدى الثائر الكبير الإمام الحسن بن على عليه السلام.

وهمى الأول فى هذا البحث أن أثبت بأن المجتمع العربى الجاهلى ثم المجتمع العربى الإسلامى الذى وقف قبالة المشاريع البنائية للإمامين على بن ابى طالب والحسن بن على عليه السلام؛ كانا مجتمعان يعرفان السياسة وفتونها ويحسنان التنظير السياسى بما يرقى إلى أساليب المدارس السياسية المعاصرة، ويتجاوزه أيضاً، وأن السياسيين من أبناء المجتمع الإسلامى الأول استخدموا براعتهم السياسية للوقوف بوجه الدين متمثلا برجاله الأفذاذ وقادته الحقيقيين للحد من قدراته؛ ومن ثم السيطرة عليه وترويضه ليخدم ممالكهم ومسالكهم؛ وبالمحصلة، الوقوف بوجه الممثلين الشرعيين للدين وهم الأئمة المعصومين عليهم السلام وتغييب فكرهم لكى لا يكون منافساً للأفكار التى يبغون الإتيان بها.

ولأن السياسة نجحت بهذا الشكل فلابد وأنها حازت رضا بعض عامة الناس عن مشاريعها ورضا بعض الإفتائيين عن أحكامها، ثم أصبح هؤلاء وهؤلاء عوناً لها، فلمام نجح السياسيون فى الخلط بين الذروتين السياسية والدينية والتوفيق الفكرى بينهما تحولت أفكارهم المستحدثة إلى دين، وتحول الدين إلى سياسة دنيوية، فضاعت الملامح الأصيلة ووبدت بدلاً منها ملامح هجينة جمعت الدين والسياسة ببوتقة واحدة، ولذا نجد كثر من الملمين يربطون التاريخ الإسلامى بالدين ربطاً محكماً ويضفون عليه قدسية من قدسية الدين ولا يرضون لأحد أن يعيد تفكيكه وتركيبه وبناءه وصياغته، ويعدون ذلک تطاولاً بل كفراً بالرغم من أن التاريخ شذ غالبا عن الدين، بل واتخذ مساراً تخالفا للدين بعيداً عنه أو موازياً له، فإذا ما أقدم شخص ما على إزالة ما فيه من خلط يصبون عليه هنام ويصوبون إليه سهام النقد وقد يكفرونه و يحكمون عليه بالموت، فيدفعون من ينفذ تهديدهم بسبب اضطراب فهمهم وتحجرهم وخوفهم من كشف

بعض المستور والمسكوت عنه ولاسيما منه ما تم الحجر عليه فى مساحات مقفلة لا يجب

ص :14

االولوج إليها وخوض غمارها.

إن التهتک الفکری الذی أحدثته السیاسة العربیة بعد البعثة المشرفة لیس بدعاً من

القول، بل هو وعد مما وعدنا الله به أنه سوف یقع یوم تتفکک الأمة إلی أمم والعقیدة إلی

عقائد والقبیلة إلی قبائل والعائلة إلی عوائل، وقد أورد أیوب السختیانی حدیثاً قدسیاً جاء

فیه: «حَدَّثَنَا مُحمّدُ بْنُ عُبَیْدِ بْنِ حِسَابٍ حَدَّثَنَا مُحمّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ أَیُّوبَ، عَنْ

أَبی قِلابَةَ، عَنْ أَبی الأشْعَثِ الصَّنْعانی ، عَنْ أَبی أَسْماء الرَّحَبیّ، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، رَفَعَهُ

إِلی النَّبِیِّ صلی الله علیه وآله، قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ زَوَی لِیَ الأَرْضَ حَتَّی رَأَیْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا،

وَإِنّ مُلْکَ أُمَّتِی سَیَبْلُغُ مَا زُوِیَ لِی مِنها، وَإِنِّی أُعْطِیتُ الکنزیْنِ: الأحمَرَ وَالأبیض، وَإِنّی

سَأَلْتُ رَبِّی عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لا یُهْلِکَ أُمَّتِی بسنَةٍ بعامَّةٍ، وَلا یَبْسُطَ عَلَیْهِمْ عَدُوًّا فَیُهْلِکُونهمْ

بعامَّةٍ، وَلا یَلْبسهُمْ شِیعا وَلا یُذِیقَ بَعْضَهُمْ بَأس بَعْضٍ، وَقَالَ: یَا مُحَمَّدُ، إِنی إذا قَضَیت

قَضَاءً فَإِنهُ لا یُرَدُّ، إِنّی أَعْطَیْتُ أُمَّتَکَ أَنْ لا أُهْلِکَهُمْ بسنَةٍ بعامَّةٍ، وَلا أُسَلِّطَ عَلَیْهِمْ عَدُوًّا

مِنْ سِوَاهُمْ فَیُهْلِکُونَهُمْ بِعَامَّةٍ حَتَّی یَکُونَ بَعْضُهُمْ یُهْلِکُ بَعْضًا، وَبَعْضُهُمْ یَقْتُلُ بَعْضًا،

وَبَعْضُهُمْ یَسْبِی بَعْضاً » (1) وهکذا کتب علی هذه الأمة أن «یَکُونَ بَعْضُهُمْ یُهْلِکُ بَعْضًا،

وَبَعْضُهُمْ یَقْتُلُ بَعْضًا، وَبَعْضُهُمْ یَسْبِی بَعْضًا » مصداقاً لقوله تعالی: ((فتقطعوا امرهم بینهم زبرا کل حزب بما لدیهم فرحون))(2)

أما الکتابة عن الإمام الحسن علیه السلام فالحدیث عنها یطول، وعلیه أرفع أسمی آیات

1- جزء فیه من أحادیث الإمام أیوب السختیانی، القاضی أبو إسحاق إسماعیل بن إسحاق ب ن إسماعیل بن حماد بن زید الأزدی البصری ثم البغدادی المالکی الجهضمی (المتوفی: 282) المحقق: د. سلیمان بن عبد العزیز العرینی، مکتبة الرشد وشرکة الریاض - السعودیة، 1418 - 19 ، حدیث رقم 18 .

2- سورة المؤمنون، الآیة 53 .

الشكر والعرفان لذوى المقامات الباسقة من الرجال العقائديين المشرفين على القسم

الفكرى فى العتبة العباسية المقدسة الذين تميزوا بالتفرد الإبداعى عن غيرهم على

مبادرتهم الكريمة هذه متمثلة بالدعوة للكتابة عن الإمام الحسن عليه السلام؛ وعن فكره وتراثه

ومسيرته الجهادية والعبادية. إذ لابد وأنهم رصدوا هذا القصور وأرادوا معالجة هذا

التقصير، فشكراً للمتوضئين بعبقات الإيمان؛ المخلصين لأمجاد الأئمة؛ الواهبين حياتهم

لإصلاح ما أفسده الدهر، شكراً لهم على دعوتهم الكريمة وجهدهم المشكور.

أما البحث فقد قسمته إلى جزءين، تناولت فى الجزء الأول الحراك السياسى

العربى قبل وبعد البعثة المشرفة وأثره عل حركة الدين الإسلامى عامة ومسيرة أهل

البيت عليهم السلام خاصة، وحقبة الإمام الحسن عليه السلام بشكل خاص، وتناولت فيه نماذج من

أساليب التشكيك التى مارسها السياسيون لتسقيط الإمام الحسنة. تارلجيا بعد ان

ظنوا اتهم نجحوا فى تسقيطه دينياً وسياسياً. وقد قسمت هذا الجزء إلى ستة فصول، هى:

الفصل الأول: السياسة الدنيوية.

الفصل الثانى: الحياة السياسية قبل وبعد عصر البعثة.

الفصل الثالث: النزع السياسى مع الخط العلوى.

الفصل الرابع: انموذجات سياسية فى تاريخ العرب.

الفصل الخامس: النزع السياسى مع الخط الحسنى.

الفصل السادس: السياسة الدينية.

وتناولت فى الجزء الثانى تفكيك ومحاكمة حراكاتهم السياسية الكبيرة وصولاً إلى

الصلح، لأثبت من خلال ذلك أنهم فشلوا فى كل مساعيهم، وأن الحسن عليه السلام وبالرغم

من تنازله عن الخلافة انتصر عليهم ونجح فى إيصال العقيدة إلى الأجيال. كام قسمت

الجزء الثانى إل ستة فصول أيضاً، وهى:

الفصل الأول: قصة زوجاته التسعمائة!.

الفصل الثانى: صدق الأئمة وكذب السياسيين.

الفصل الثالث: الصلح فى الجزئية والكلية.

الفصل الرابع: الأغيلمة والشجرة الخبيثة والبغاة.

الفصل الخامس: المدارس الفقهية وموضوع الصلح.

الفصل السادس: الصلح والقواعد الفقهية.

وآخر ما أريد قوله: أنه لولا مواقف الإمام الحسن عليه السلام الجهادية الرائعة لكان

الإسلام الحقيقى قد ضاع، ولكان الإسلام الأموى قد تسيد الساحة وتعبدت به الأمة

إلى اليوم، فلا نجد ذكراً للتشيع او ذكرا للمناقب الإسلامية الأخر، ولا تجد ذكراً

للطيف الإسلامى المتنوع الموجود اليوم؛ والذى كان السبب فى تنشيط الحركة الفكرية

الإسلامية، وتلك و ربى منقبة لا تدانيها المناقب، ومن خلال هذه المسيرة الصعبة

سوف يتضح أننا مدينون للإمام الحسن عليه السلام بتمسكنا بإسلامنا، بحبنا لنبينا، بإخلاصنا

لأمير المؤمنين، بحبنا للحسين، بفخرنا بمذهبنا، بتمسكنا بعزة نبينا الأئمة الأطهار،

وبانتظارنا لقائم آل محمد عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ص :17

الفصل الأول السياسة الدنيوية

اشارة

ص: 19

تقديم

نوعان من السياسة أدارتا ميزان الصراع فى العالم الإسلامى فى مرحلة التأسيس منذ الأيام الأولى للبعثة المشرفة و حتى عام ٤١ هجرية، وكانتا السبب فى وصول الإسلام إلى ما هو عليه اليوم، وهما: السياسة الدينية ممثلة بالأخلاق والنظم والقواعد التى جاءت بها الرسالة المحمدية السمحاء؛ والداعية إلى تكريم الإنسان ورفع شأنه وإنقاذه من سطوة نفسه وعسف الآخرين. والسياسة الدنيوية متمثلة بطلاب الدنيا ومتعها، الذين وجدوا فى الدين الجديد تهديداً كبيراً لمصالحهم ومواقعهم ومكتسباتهم وقوتهم ونفوذهم وسطوتهم فحاربوه؛ ثم لما انهزموا التقوا حوله وجعلوه لمصلحتهم، وجردوه من ألقه وروعته وصبغوه بغير لونه.

ويبدو لمن لا يتعمق فى استقراء النتائج ويتوثق من مسارات السنن أن السياسة الدنيوية انتصرت فى هذه الحقبة؛ لأنها نجحت فى مرحلة القيادة التى تلت مرحلة التأسيس فى بناء إمبراطورية ؤلدت من رحمها إمبراطورية ثانية، ومن زواج يفاح بينهما ولدت إمبراطوريات عديدة قميئة لا ترتبط بقرابة نسب مع من سبقها، وإنما تربطها معهم قرابة فكر وعقيدة؛ وهو الأمر الذى استمر وصولاً إلى عرص الإمبراطورية العثمانية التى سلبت العرب والعالم الإسلامى حقوقهم وكرامتهم وأموالهم، وأسهمت فى تخلفهم وتردى منظومات حياتهم الدينية والأخلاقية.

ص: 21

إن الإيمان بهزيمة الدين وانتصار السياسة يبدو نظرة أحادية فيها الكثير من

القصور، إذ يكفى أن السياسة الدينية _مع كل التزامها القيمى والأخلاقى والمجتمعى

الذى وقفت به قبالة خبال وغدر وختل وجرم الدنيويين- نجحت فى كلا المرحلتين

فى الحفاظ على بيضة الدين وروح العقيدة وأسس التعبد بالرغم من تتابع الهجمات

وشدتها ودمويتها وديمومتها، ولاسيما تلك التى وقعت بعد هذا التاريخ، والتى كان

مقتل على وسم الحسن ومقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهله و صحبه من ثمارها، وهذا

ما يحكم به المنطق السليم؛ وللمنطق حكمه وحكمته، فلطالما شغل المنطق حيزاً كبيراً

من منظومة البشر الفكرية والعقدية لدرجة أنه أصبح فى بعض العصور منهجا تدار به

الامبراطوريات مع اتفاق الجمع بأنه(ثمة حدود للمنطق... ولا يمكن تفسير أكثر

الأشياء أهمية بالمنطق وحده... ولكى يفعل المنطق فعله لا بد للمرء من نقطة انطلاق...

لأن المنطق الخالص لا يستطع أن يتعامل مع التعقيد))(1).

لكن المنطق يعجز عن استيعاب ما حدث فى عالمنا الإسلامى منذ الساعات الأولى

لوفاة النبى صلى الله عليه و آله لأنه ليس شيئا أقل عجباً من المستحيل فى الأقل على مستوى التفكير

الجمعى العام، لأن علماء الأمة كانوا مدركين للحراك السياسى والقبلى الدائر فى المجتمع

ولاسيما وأن بوادره بانت فى عصر البعثة كمشروع بديل لمشروع الحرب المباشرة الذى

هزمته وقوضته قوة الإسلام بعد أن فككت قواعده الجماهيرية يوم باتت العقيدة تقاتل

بمفاهيم السماء أصحاب المفاهيم الرجعية الشركية المتخلفة. وليس هذا بشكل عام إلا

الموقف السياسى الذى تحكم بالأحداث اللاحقة منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا الحاضر

1- بتصرف من الحضارات فى السياسة العالمية، وجهات نظر جمعية وتعددية، بيترجى كاتزنشتاين، ترجمة فاضل جتكر،سلسلة عالم المعرفة، رقم ٣٨٥، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، ص ٢١٠-٢١١.

وإلى عصر الظهور المقدس.

الساسة العرب

تسهم دراسة وتفكيک الجزئيات الصفرة عادة بفهم وفضح ومعرفة خفايا كلياتٍ

كبيرة كان يراد لها أن تبقى فى عالم الغيب وحصون الر الخفى، ربما لأنها من الصغر،

بحيث لا تجلب الانتباه ولا تثير تساؤلاً. وواحدة من هذه الجزئيات الصغيرة بحجمها

العظيمة بدلالتها تتألف من قسمين وقصتين يستشف منهما حقيقة المنهج الذى سار

عليه كل من الخطين المتوازيين: خط الدينيين وخط السياسيين؛ القسم الأول: قصة

قرص معاوية ومسجد على عليه السلام، والقسم الثانى: قصة الماء والحكم الشرعى الإسلامى،

والقسإن ينضويان تحت حدث واحد ويشغلان مساحة جغرافية واحدة؛ حيث يتأكد

من هاتين القصتين أن السياسيين الدنيويين الذين كان يمثلهم معاوية الذى استخدم

كل ما تعلمه من تلون وغدر سياسى للإيقع بغريمه؛ لا ينسون دنياهم فى أى وقت سلماً

كان أم حربا، وتبقى دنياهم ومتعها هى المقصد والغاية.

عن قصة الماء، قال دحية الكلبى فى أحاديث صفين: وكان أهل الشام قد سبقوا إلى

المشرعة من سائر الجهات، ولم يكن ثمة مشرعة سواها للواردين والواردات، فمنعت

عليا عليه السلام إياها وحمتها عنه تلك الأكمات))(1) .

وقال المسعودى: ((وسار معاوية من الشام، وقد تنوع فى مقدار من كان معه،

والمتفق عليه من قول الجمع خمسة وثمانون ألفاً، فسبق علياً إلى صفين، وعسكر فى

موضع مهل أفيح اختاره قبل قدوم على، على شريعة لم يكن على الفرات فى ذلک الموضع

1- أعلام النصر المبين فى المفاضلة بين أهلى صفين، الخطاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبى (٦٣٣ / ١٢٣٥ م) دراسة وتحقيق الدكتور محمد أمزون، تقديم الدكتور سامى الصفار، مراجعة الدكتور محمود محمد الطناحى، دار الغرب الإسلامى، المغرب، ١٩٩٨، ص٤٥ه

أسهل منها للوارد إلى الماء، وما عداها أخراق عالية، ومواضع إلى الماء وعرة، ووكل أبا الأعور السلمى بالشريعة من أربعين ألفا، وكان على مقدمته، وبات على وجيشه فى البر عطشا قد حيل بينهم وبين الورود إلى الماء))(1).

ولقد استغل الإمام على عليه السلام هذه المناسبة ليذكرهم بواجبهم الشرعى قبل أن يجرهم جنده على الفرار، فما أطاعوا، فأهل الدين لا يتركون مناسبة تمر دون أن يذكروا الناس بقواعد الشريعة وترى كيف أن الإمام الحسن عليه السلام أتبع المنهج الإرشادى نفسه مع معارضيه من السياسيين مثل مروان بن الحكم.

وأما عن قصة المسجد والقصر فقد قال دحية الكلبى متحدثاً عن معاوية: أنه بنى فى أرض معركة صفين قصرا ليوفر الراحة لنفسه فى دنياه التى يقاتل من أجلها (وذكر ابن ديزيل بسنده أن معاوية لما بلغه مسير على إليه سار حتى ورد صفين فى النصف من المحرم، فسبق إلى سهولة المنزل وسعة المناخ وقرب الماء من الفرات، وبنى قصر بيت ماله، وفيه شعر وكلام طويل كرهت إيراده مع أن طول المدة التى أقاموا فيها تقتضى بجواز هذه النقول)(2)

وعلى الجانب الآخر نجد أتبع السياسة الدينية ممثلين بعلى بن أبى طالب عليه السلام يتعاملون مع موضوع الماء بأسلوب آخر، فهم بعد أن أزاحوا السياسيين عن الفرات الذى منع ماءه حينما كان الدنيويون مسيطرين عليه، نجد قائدهم الإمام يكتفى بام يسد رمق جنده ثم يبيح الماء لأهل الشام حينما يسيطر عليه جنده البواسل ولا يمنع عدوه الشرب.

1- مروج الذهب، المعودى، ج٢، ص ٣٩٢.٣٩٣

2- أعلام النصر المبين فى المفاضلة بين أهل صفين، و الخطاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبى،ص٣٥.

ونجدهم يتعاملون مع موضوع القصر بأسلوب نابع من عمق قيم دينهم؛ فالبناء

الذى شيده على عليه السلام قبالة ذلک القصر المنيف الفخم المهيب الذى شيده معاوية؛ ليس

أكثر من بناء بسيط جداً عبارة مسجد طينى كان يقيم فيه صلاته التى يقاتل من أجلها،

قال دحية الكلبى: (ثم بنى مسجداً على تل بأعلى الفرات ليقيم فيه مدة مقامه فرائض

الصلوات لفضل صلاة الجماعة على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة)(1).

لقد أراد السياسيون تحويل النزاعات البينية إلى مدرسة تعلم كل ما هو مخالف

لسليقة الإنسان، وتخرج دفعات همها الأوحد رغباتها ومتعها ودنياها. أما الدينيون فإنهم

كانوا يلملمون تلک الفضائح ويحولون تلک المناسبات إلى صفوف لتدريس العقيدة

وتثبيت الإيمان، وكانوا يعملون بموجب بنود العقيدة والشريعة؛ خلافاً لما يصدر

عن السياسيين، فمقابل إصرار الشاميين على مع على وجنده من ماء الفرات وقف

على عليه السلام قبالتهم: (فذكرهم بالمواعظ الحسنة والآيات وحذرهم بقول النبى صلى الله عليه و آله: فمن

منع فضل ماء بفلاة)) فردوا قوله وأجابوه بأسنة الظبى(2) إلى أن قاتلهم بالقواضب(3)

والسمهريات (4) فلما غلبهم عليها أباحها للشاربين والشاربات)(5).

وقال المسعودى: ((وورد على فنزل فى الموضع الذى كان فيه معاوية فقال معاوية

لعمرو بن العاص: يا أبا عبد الله، ما ظنک بالرجل أتراه يمنعنا الماء لمنعنا إياه؟ وقد كان

انحاز بأهل الشام إلى ناحية فى البرانية عن الماء، فقال له عمرو: لا، إن الرجل جاء لغير

1- اعلام النصر المبين فى المفاضلةبين اهلى صفين. ص54

2- فى الاصل الظباء. و الظبى جمع ظبة. و ظبة السيف:هى طرفه وحده. ينظر لسان العرب لابن منظور. الجزء2. ص641

3- القواضب: السيوف الدقيقة. ج3. ص108

4- السمهريات:الرماح الصليبية العود. المصدر نفسه. ج2. ص210

5- ينظر:اعلام النصر المبين. ص54

هذا))(1).

لقد خطا الإمام الحسن عليه السلام الخطوة نفسها مع عدوه السياسى مروان عندما لم يلتفت

إلى الخصومة التى كانت بينهما وإنما انتبه على مخالفه غريمه لقواعد وتعاليم الدين، فقام

بتنبيهه وتذكره بواجبه الشرعى الذى أغفله، قال محمد بن سعد: ((حدثنا الفضل بن

دكين، حدثنا مسافر الجصاص، عن رزيق بن سوار قال: كان بين الحسن عليه السلام وبين

مروان خصومة، فجعل مروان يغلظ للحسن، وحسن ساكت، فامتخط مروان بيمينه،

فقال له الحسن عليه السلام: ويحك! أما علمت أن اليمنى للوجه والشمال للفرج؟ أف لك.

فسكت مروان))(2).

وفى السياق نفسه، أورد الصلابى عن سير أعلام النبلاء و تهذيب الكمال و فتح

البارى، أنه: ((كان بين الحسن بن على و مروان بن الحكم كلام، فأقبل عليه مروان فجعل

يغلظ له والحسن عليه السلام ساكت، فأمتخط مروان بيمينه، فقال الحسن عليه السلام: ويحك أما

علمت أن اليمين للوجه والشمال للفرج، أف لك، فسكت مروان))(3)

الفت الانتباه إلى أنى أشم فى هذه الرواية رائحة التحريف وأثر السياسيين، فهم

يريدون من خلال قولهم: (فجعل يغلظ له والحسن عليه السلام ساكت) أن الحسن عليه السلام كان

مسالماً يكره النزاع بكل أشكاله، وهو ما أرادوا حث الناس للتصديق به، كما سيتضح

من البحث. وهذه الرواية مشابهة لرواية تصب فى نفس المعنى، أخرجها السيوطى فى

تاريخه عن ابن سعدعن عمير بن إسحاق قال: كان مروان أميراً علينا، فكان يسب علياً

كل جمعة على المنبر، وحسن عليه السلام يسمع فلا يرد شيئاً، ثم أرسل إليه رجلاً يقول له: بعلى

1- مروج الذهب، المسعودى، ج٢، ص ٣٩٤ته٣٩

2- ينظر: البداية والنهاية، ج١٣، ص: ١٩٩

3- سرة أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين، ص ١٩٧

وبعلى وبغلى وبک وبک، وما وجدت مثلک إلا مثل البغلة يقال لها: من أبوک؟ فتقول:

أمى الفرس، فقال له الحسن عليه السلام: ((ارجع إليه فقل له: إنى والله لا أمحو عنک شيئاً مما

قلت بأن أسبک، ولكن موعدى وموعدک الله، فإن كنت صادقاً جزاک الله بصدقک،

وإن كنت كاذباً فالله أشد نقمة))(1).

لكنهم حينما تحدثوا عن الحسين عليه السلام أظهروا فى سلوكه نوعا من العدوانية التى

اعتقدوا أهنا تتناسب مع روحه الثورية، فقالوا أنه عند موت الحسن قدم الحسين سعيد

بن العاص وهو يضرب فى رقبته، وفى رواية أخرى يطعن ى قفاه، كما فى حديث أبى

حازم، قال: إى لشاهد يوم مات الحسن بن على عليه السلام قال: فرأيت الحسين بن على يقول

لسعيد بن العاص؛ وكان أمير المدينة، وهو يضرب فى عنقه: (تقدم فوالله لولآ أنها سنة

ما قدمتک)، وتقول الرواية أن سبب ضرب الحسين فى رقبة سعيد أنه ((كان بينهم شىء

يعنى كان فى نفس الحسين شىء من سعيد بن العاص))، فهم هنا يظهرون الحسين مستفزاً

ثائراً عصبياً ليس مثل الحسن عليه السلام الهادىء المسالم وهدف ذلک أنهم أرادوا القول: إن

الحسن عليه السلام سالم لأنه بطبعه مسالم وليس حفظاً للدين، والحسين ثار ليس دفاعا عن

الدين وإنام لأنه كان عصبياً فى كل مواقفه!.

أما الدكتور الصلابى فقال عن هذه الحادثة: ((إن الحسين قدم سعيد بن العاص

للصلاة على الحسن عليه السلام لأن سعيداً كان والياً على المدينة حينها، ولأنه اعتزل الفتنة ولم

يقاتل مع معاويه))(2)، بينما يقول ابن الأثير: (وصلى عليه سعيد بن العاص، فقال له

الحسين: ((لولا أنه (هكذا فى الأصل والصحيح: أنها) سنة لما تركتک تصلى عليه))(3).

1- تاريخ السيوطى، ص ١٩٠

2- ينظر: سرة أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين، ص٣٦٣

3- الكامل فى التاريخ، أبن الأثير،ج٣، ص ٤٠٢

وقد جاءت فى الكافى: ٣٠٢/١ رواية تثبت أن سعيدا صلى على الحسن بعد صلاة

الحسين عليه وليس قبل ذلک، مما يعنى أن تلک الروايات مدسوسة وقد جىء بها

لأغراض سياسية بحتة: ا(فلما قبض الحسن عليه السلام وضع على سريره فانطلقوا به إلى مصلى

رسول الله! الذى كان يصلى فيه على الجنائز فصلى عليه الحسين عليه السلام فلما أن صلى عليه

حمل فأدخل المسجد)). فتكون صلاة والى المدينة سعيد بن العاص فى البقيع بعد صلاة

الحسين عليه السلام.)(1)

المهم أن الغرض من إيراد هذه الرواية هو لتوضيح أن الأمة شخصت وجود المنهج

الإصلاحى فى الفكر الامامى، وشخصيت إصرارهم على إشاعة الإرشاد والتعليم فى

كل المناسبات والظروف. وأنا فى حديثى عن الجزئيات وفق رؤى العص المتحضر الذى

أعيش فيه أردت أن أثبت أن السياسيين العرب الأوائل وبالرغم من اختلاف عصرهم

عن عصرنا كانوا أيضاً مدركين أهمية الحديث عن الجزئيات ومدى أثره، ولذا اهتموا

بالجزئيات بنفس درجة اهتمامهم بالكليات.

الصراع الدينى السياسى

من الجزئيات أدخل للحديث عن الصراع الدينى السيامى فى المجتمع الإسلامى

الأول، والرد على من يستغرب من حديثنا عن وجود فكر سياسى ناهض لدى العرب

والمسلمين فى تلک المرحلة المتقدمة من عمر الإسلام ودولته؛ وقولنا: إن هذا الفكر

المتطور هو الذى تولى محاربة أئمة أهل البيت عليه السلام و إزاحتهم عن مواقعهم فى قيادة

الأمة سياسياً؛ لأقول: قد تكون السياسة –سلوكاً وتطبيقاً– أحد أقدم العلوم التى

استنبطها الإنسان القديم بعد تحوله من حياة الصيد إلى حياة التجمع وبناء القرى

1- ينظر موقع الشيخ الكورانىhttp://www.alameli.net//books/index. .2829=php?id

وامتهان الزراعة و تربية الحيوان وإقامة التجمعات السكانية الكبيرة، بعد أن توجب عليه مداراة أموره وتقنين علاقاته مع الآخرين.

ومع تقدم الإنسان تقدم وتطور مصطلح ومفهوم السياسة ليشمل قضايا أخر لم يلتفت إليها أجداده بعدما تعقدت سبل الحياة، وكبرت المجتمعات، وتعددت المصالح والاتجاهات، وتنوعت طبقات المجتمع، وكثرت المهن والصناعات. فالسياسة هى التى أسهمت فى تطور الإنسان وتقدمه بعد أن نجح فى تبديل صيغ تعامله مع الواقع من شكلها الفطرى الاعتباطى إلى شكل منظم ومقنن ومحسوب النتائج والمحصلات. ومن يقرأ كتب التاريخ القديم يلمس عن يقين اهتمام تلك المجتمعات بالسياسة وعنايتهم بها بعد النجاحات التى أحرزوها، فأصبح الحراك السياسى قريناً بالحراكات المهمة الأخر لا يتخلف عنها ولا تتركه وراءها، وهكذا عاش الإنسان. أما بالنسبة لعرب الجاهلية فقد وجدت أن العصبية –التى كانوا عليها فى جاهليتهم حارهبا الإسلام ثم عادوا إليها بعد موت النبيصلى الله عليه و آله— كانت من أهم مغذيات منظومتهم السياسية وبقيت تتماشى مع خطهم السياسى تنظر له وينظر لها ويدعم أحدهما الآخر.

وأنا حينما أتكلم عن النشاط السياسى للعرب فى هذه الحقبة لا أقصد أنهم كانوا يعملون فى مجال السياسة الإسلامية (الشرعية) بتعريفها الإسلامى المحصور فى حدود الشريعة، والمباح شرعا، والذى كانت عليه الأغلبية؛ باعتبار أن الإمام هو القائد الفعل للأمة ومنظر سياستها، وعنه يأخذ الناس ما يهمهم وبمنهجه يسوسون حياتم، بل أقصد العمل فى السياسة بتعريفها الغربى المعاصر؛ أى (فن الممكن) أو (فن الحكم) أو (علم الدولة) أو البحث فى الشؤون العامة والخاصة للدولة وعلاقاتها الداخلية والخارجية التى هى علاقة مبنية وقائمة على النفاق والدجل والقسوة وتفصيل المصلحة

الخاصمة والشخصية على مصلحة الجماعة، ومصلحة الجماعة على مصلحة المجموع،

فهذه السياسة لا تلتفت إلى مسألة العقيدة الدينية، بل وتتقاطع معها فى أحيان كثيرة.

فى حين نجد فى الفقه الاسلامى تعريفاً آخر للسياسة بمفهومها الإسلامى حيث

يرى الشرع المقدس أنها: (الولاية على الرعية وتدبير شؤونها ام يصلحها)(1) وهى التى

وصفها ابن عقيل بقوله: ((السياسة ما كان فعلا يكون معه الناس أقرب إلى الإصلاح

وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه الرسول صلى الله عليه و آله لا نزل به الوحى))(2)، ومن هذه المناهج

التعريفية أخذ المتأخرون تعريفاتم، ومنهم عبد الوهاب خلاف الذى يرى: إن علم

السياسة الشرعية يبحث فيه عما تدبير به شؤون الدولة الإسلامية من القوانين والنظم

التى تتفق و أصول الإسلام وإن لم يقم على كل تدبير دليل خاص(3).

ولذا قال الشيخ باقر شريف القرشى: الوفى الحديث: ((كان بنو إسرائيل يسوسهم

أبيباؤهم، أى: يتولى أمرهم كما يفعل الأمراء والولاة بالرعية، والسياسة القيام على

الشىء بما يصلحه))(4).

فى عصر الرسالة كان الخط السياسى الدينى موجوداً وممثلاً بشخص الرسول

الأكرم صلى الله عليه و آله ورسالة الله سبحانه وتعالى، وكان خط السياسة الدنيوية موجوداممثلاً

بالنخبة التى سلبها الإسلام مركزها الاجتماعى، فحاولت امتطاء ظهر الإسلام

للوصول إلى أهدافها، فى وقت رفض ويرفض فيه الإسلام بإباء وامتنع أن يكون مطية

لأحد، ومن هنا جاء الخلاف بين الاثنين، حتى بعد أن حمل الدنيويون هوية الإسلام

1- نظام الإسلام السياسى، ص ٤٤

2- المصدر نفسه، ص 7ه .

3- المصدر نفسه، ص ٥٨

4- المصدر نفسه، القرض، ص ٤٣

وأصبحوا مسلمين، فالخلاف الأول بين المسلمين من الفئتين و إن كان ظاهره دينياً إلا

أنه كان سياسى الأصل والدافع والمحرک فى الأقل بنظر أحد جانبى الصراع، وكان

الدين ضحية له وقرباناً، وأما العصبية فكانت سلاح الدنيويين، وكان سلاح السياسيين

المسلمين المنهج الربانى.

العصبية

قد يكونون لشدة تعلقهم بالعصبية أنهم استنبطوا أحاديث تدعم رؤاهم، وقد أراد

الله سبحانه على لسان نبيه صلى الله عليه و آله أن يبين لهم أنهم لن تتشافوا ولن يتعافوا من مواريثهم

القديمة الموروثة، ومنها العصبية، إلا بالايمان المطلق، وليس بمجرد دخول الإسلام

كما دخل الطلقاء، فعن أبى مالک الأشعرى رضى الله عنه،آن النبى صلى الله عليه و آله قال:((أربع فى أُمتى من

أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر فى الأحساب، و الطعن فى الأنساب، والاستسقاء

بالنجوم، والنياحة))(1).

ومن رحم المجتمع الجاهلى الذى كان يحمل هوية البداوة ولدت العصبية التى

حملت جينات ذلک المجتمع، ومن رحم العصبية الجاهلية التى تحكمت بالمسلمين

ومازت بينهم طبقيا ولدت السياسة الدنيوية التى لم تأبه بالدين؛ لأن البداوة عاشت

حياتها فى خضم اللاتدين، أو التدين الساذج الفطرى. ومن رحم الزواج بين العصبية

والسياسة الدنيوية جاءت الدولة الأولى، لأنه لا يمكن لدولة ما أن تولد وفق المفهوم

المعروف للدولة إلا بوجود نظام سياسى، وهذا ما يؤكد عليه المختصون بعلم السياسة،

ولهم فى ذلک أقوال، منها قول الدكتور حميد حموم خالد:((إن القول يتطور مفهوم الدولة

يعنى بالضرورة تطور مفهوم النظام السياسى فيها، لأنه أى النظام السياسى ركن من

1- مسند الإمام أحمد ه/٣٤٢، رقم ٢٢٩٥٤

أركان الدولة فلا يتصور قيامها دون وجوده ولا يتوقع استمرارها عند انعدامه، فالنظام

السياسى هو واجهة الدولة أمام الأفراد فى الداخل وأمام الدول الأخرى فى الخارج))(1).

أقف هنا قليلاً لأبين أن النظام السياسى الإسلامى كان يسعى لبناء دولة العدل

الإلهى تماما كما كان السياسيون الدنيويون يعملون لبناء دولة الظلم والجور، ولو قيض

للمسلمين بناء تلك الدولة ما بعد مرحلة البعثة وخلافة على عليه السلام، كما لو قيض لهذه

الدولة أن تستمر، لتحولت حياة البشر إلى نعيم دائم، ولكن الصراع المرير بين الخطين

حال دون تحقيق هذه الأمنية الكبيرة. وما دمنا فى طور الحديث عن السياسة الدنيوية

ودورها فى تقويض الشرع الحسنى لا بأس من أن نتحدث عن دور الإمام الحسن عليه السلام

فى هذا المشروع.

فكما هو معروف لم يكن الحسن بن على عليه السلام؛ يسعى إلى بناء دولة مدنية أو دولة

قريبة الشبه بالإمبراطوريات القائمة آنذاك كما هو سعى الآخرين من معاصريه ولاسيما

المزاحمين له؛ ففلسفة الدولة فى الفكر الدينى تختلف عما هى عليه فى الفكر الاجتماعى.

الدولة فى الفكر الدينى أكبر من كل تصور و أعظم من كل تخيل، وفلسفتها تختلف عن

فلسفة الدولة المدنية(2) وتتفوق عليها فى المزايا والحقوق.

1- الأنظمة السياسية، الدكتور حميد حنون خالد، ص ٥

2- الدوله المدنيه هى دولة تحافظ و تحمى كل اعضاء المجتمع بغض النظر عن القومية و الدين و الفكر.هناك عدةمبادؤ ينبغى توافر ها فى الدولة المدنية و التى إن نقص أحد ها فلا تتحقق شروط تلك الدولة أهمها أن تقوم تلك الدولة على الاسلام و التسلمح و قبول الآخر و المساواة فى الحقوق و الواجبات بحيث أنها تضمن حقوق جميعالمواطنين و من أهم مبادئ الدولة المدنية ألا يخضع أى فرد فيها لا نتهاك حقوقه من قبل فرد آخر أو طرف آخر.فهناك دوماً سلطة عليا هى سلطة الدولة و التى يلجأ إليها الأفراد عندما يتم حقوقهم أو تهدد بالابتهاك.فالدولة هى التى تطبق القانون و تمنع الأطراف من أن يطبقوا أشكال العقاب بأنفسهم. و تعرف الدولة المدنيةعلى أنها : اتحاد من أفراد يعيشون فى مجتمع خيضع لنظام من القوانين، مع وجود قضاء يطبق هذه القوانين بإرساء مبادئ العدل. فمن الشروط الأساسية فى قيام الدولة المدنية ألا يخضعع أى فرد فيها لانتهاك حقوقه من قبل فرد آخر أو طرف آخر. فثمة دائم سلطة عليا هى سلطة الدولة يلجأ إليها الأفراد عندما تنتهك حقوقهم أو هتدد بالانتهاك.

الإمام الحسن عليه السلام كان يسعى إلى بناء أنموذج خاص للدولة المدنية، وأنا لا أقصد

الدولة المدنية وفق المفهوم المعاصر؛ فذلک لم يكن فى بال الامام الحسن عليه السلام ولا فى بال

المزاحمين للإمام حسن عليه السلام، ولم يكن معمولاً به حتى فى الإمبراطوريات المجايلة له؛

وإنما أقصد أن الإمام الحسن عليه السلام كان يسعى إلى بناء الدولة المدنية التى يحكمها المنهج

الربانى بكل أبعاده بما يمكن أن نطلق عليها اسم (الدولة المدنية الرسالية)، وهو أنموذج

لم يتحقق إلا فى زمن البعثة المشرفة فى طورها المدنى، وحقبة من زمن خلافة علی بن أبى

طالب عليه السلام، ولن يتحقق مرة أخرى إلا فى زمن الظهور المقدس. وربما لهذا السبب قال

أمير المؤمنين عليه السلام: ((نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد))(1).

وإذا ما كانت فلسفة الدولة، أى دولة تتمحور حول أدائها لوظيفة إدارة الشعب

أو الشعوب المنضوية تحت لوائها فإن فلسفة الدولة المدنية الرسالية تتمحور حول

أسس الرسالة الدينية التى تستقى منها مقومات منهجها القيادى، وهى بالتالى ((ليست

مفصولة عن منتوج الوحى ومعطياته، وهذا المنتوج بدوره ليس مفصولاً عن الأسس

المعرفية وأيضاً عن الأسس الكلامية التى تبدأ من وجود الخالق إلى غايات الخلق إلى

فلسفة النبوة))(2).

1- ينظر: مجموع رسائل الجاحظ، تحقيق الدكتور محمد طه الحاجرى، دار النهضة العربية، بريوت،١٩٨٣،ص ٥٢

2- فلسفة الدولة فى الفكر السياسى الإسلامى، ولاية الفقيه نمودجا، أطروحة حائزة عل شهادة الدكتوراه من الجامعة اللبنانية، الدكتور الشيخ محمد شقرى، ص ه_٦

معنى هذا أن الإمام الحسن عليه السلام كان يعمل لبناء مشروع نهضوى تواصلى يمتد مع امتداد الإسلام، وهو فى مثل هذه الحال وضعنا أمام أنموذج مشروع فريد لو قيض له أن ينجح لكان قد أس منذ ذلک العصر المتقدم فكرة الدولة المدنية بأبعاد تختلف حتى عن الأبعاد التى وضعها المنظرون لمبادئ الدولة المدنية المعاصرة، ولكان الاسلام قد حقق نصراً علمياً جديداً تسعى الآمم إلى تطبيقه والإفادة منه، ثم الدفاع عنه، ولكن منع الإمام الحسن عليه السلام من إتمام مشروعه جعل الناس تنسى تلک التجربة الفريدة التى طبقها النبى صلى الله عليه و آله؛ بعد أن تقادم عليها الزمن ولم تتكرر، فسبب للإنسانية كل تلک الآلام التى تسببت بها الدول العدوانية والشمولية والدكتاتورية وحتى الاشراكية والرأسمالية،

ولو أتعب المنظرون المعاصرون أنفسهم ورجعوا إلى مفهوم الدولة فى فكر الرسالة الإسلامية نظرياً، وإلى تجربة الحكومة النبوية العلوية والمحاولة الحسنية عملياً لخلقوا نظاماً متكاملاً أسمى من أنموذج جهورية أفلاطون أو مدينة طيبة.

ومنه ندرک عن يقين أن السياسيين الذين اعرضوا المشرع الحسنى لم يؤذوا الحسن عليه السلام وحده؛ بل تسببوا بالأذى للإنسانية كلها عبر التاريخ وإلى يومنا الحاضر، فعليهم وزر كل صرخة ألم صدرت من قلب موجوع ببب ظلم الحكام وطغيانهم.

وفى ذات الوقت ندرک أن العصبية الموروثة هى التى كانت تقف قبالة المشروع الدينى.

كل ذلک بسبب العصبية التى أحيوها والتعصب الذى نشروه.

قالت الدكتورة آمال كاشف الخطاء عن التعصب أنه لغة: ((الاندفاع اللاعقلانى إلى الطرف الذى ينتمى إليه المرء واستبعاد المنطق والشريعة عند التضامن مع قومه أو من يشاركه فى الدم ضد جماعة أخرى مناوئة)) ونقلت عن معجم علم الاجتماع لدنكن ميشيل الذى ترجمه الدكتور العراقى إحسان محمد الحسن تعريفه للتعصب بأنه:

((مجموعة مواقف سلبية أو إجيابية موجهة نحو جماعة من الجماعات، وغالباً ما تتحول

هذه المواقف إلى ردود فعل إيجابية أو سلبية ترمى إلى المساعدة أو الانتقام من إحدى

الجماعات التى يتكون منها المجتمع))(1).

والتعصب أو العصبية عند العرب نوعان: ((عصبية دم تعتمد عل أساس القرابة

فى البيت الواحد. وعصبية الانتماء إلى أب بعيد أو جد مشرك من نسله تكونت القبيلة

أو القبائل المنتمية إليه))(2)، فمن المتعارف عليه أن مجتح شبه الجزيرة العربية الجاهلى لم

يكن يقيم وزناً لفردية الفرد بجانب القبيلة التى ينتسب إليها، ((فالقبيلة هى الوحدة

التى يبدأ منها التنظيم الاجتماعى بناءه... ولم يكن التضامن القبل داخل القبيلة تعبيراً

عن رقى فى سلم التضامن والترابط بين الفرد والباقين بقدر ما كان تعبيراً عن تخلف

التنظيم الاجتماعى على الاعراف لهذا الفرد بأية ذاتية مستقلة بجانب ذاتية القبيلة

وشخصيتها))(3).

وعليه لم يطلق العربى اسم (الحكومة) على القيادة التى تسوسه فى الحرب والسلم

بل أطلقه عل (المال) الذى كان محور حياته، مع أن العرب لم يعرفوا فى جاهليتهم

قيادة تقودهم كما هى الحكومات اليوم باستثناء شيخ العشرة وكبيرها؛ لكنك مع

ذلک تجدهم يسمون الأموال التى تخصصونها لآلهتهم (الحكومة) وهى الأموال التى

كانت عند الحارث بن قيس السهمى عند ظهور الإسلام(4)، ولذا وقف بعضهم بوجه

1- دور العصبية القبلية وآثارها على المجتمع العربى، الدكتورة آمال آل كاشف الغطاء، مكتبة الصدر، قم، إيران، (د.ت)، ص ١١ .

2- ينظر: التأرخ السيامى والحضارى للدولة العربية، د. السيد عبد العزيز، ص ١٠

3- الإسلام والثورة، محمد عمارة،ط٣، ص ٤١

4- ينظر: دراسات فى تاريخ العرب قبل الإسلام والعهود الإسلامية المبكرة، د. خالد العسلى، إعداد د. عبد السلام رؤوف، الجزء ٢، ص ٢١

الإسلام الذى أراد توحيدهم بظل حكومة واحدة موقفاً عدائياً شرساً؛ لأنهم رأوا فى

ذلک تفكيكاً لوحدة القبيلة وتماسكها وأنه سوف يؤدى إلى إعادة تشكيل للقيم الموروثة

التى تحملها كل قبيلة منهم، وربما لهذا السبب بالذات نجدهم بعد حين يعيدون تشكيل

قيم السماء التى جاء بها الإسلام ويعيدون صياغتها لتلائم قيمهم ومفاهيمهم القبلية.

ومع أن التعصب والعصبية وكل مواريثها كانت من سمات تلک العصور لدرجة

أنهم -جاؤوا بأحاديث تكاد تبين أن النبى صلى الله عليه و آله انساق خلف عصبيتهم فحدثهم عن

وجوب نصرة الأقرباء تعصباً، كما فى حديث:أنصر أخاک ظالماً أومظلوماً))وهو

الحديث الذى قالوا بشأنه: هذا حديث صحيح، شرحه النبى صلى الله عليه وآله، قال: أنصر أخاک

ظالماً أو مظلوماً، وهذه كلمة تقولها العرب، وكان العرب عندهم تعصب ينصرون

أصحابهم وإن ظلموا وصار عندهم هذا الشعار -انصر أخاک ظالماً أو مظلوماً-، فلما

قاله النبى صلى الله عليه و آله، قالوا: يا رسول الله كيف أنصره ظالماً؟ قال:تحجزه عن الظلم، فذلک

نصرک إياه))، فنصر المظلوم واضح، ولكن نصر الظالم معناه منعه من الظلم وحجزه عن

الظلم، هذا نصره، فإذا أراد أن يظلم أحد تقول: لا، قف. تمسكه، إذا أراد يأخذ مال

أحد تمسكه، هذا نصره، إذا كان لک استطاعة تمنعه من ذلک، هذا نصر الظالم تعينه على

نفسه وعلى شيطانه، تنصره على شيطانه، وعلى هواه الباطل)).(1)

وعن هذا الحديث جاء فى مركز الفتوى السعودى قولهم:فالحديث صحيح

أخرجه البخارى فى صحيحه والإمام أحمد فى منده والترمذى فى سننه وغيرهم،

ولفظه فى البخارى عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: ((انصر أخاک ظالما أومظلوما))،

1- الموقع الرسمى للشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن باز، الرابط، http://www.binbaz.org.sa/mat/11388

فقال رجل: يا رسول أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟! قال:

تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلک نصره. والله أعلم)).(1)

وفى وقتنا الراهن خضع مصطلح العصبية إلى مشارط العلماء والمفكرين والباحثين

تشريحاً وتفكيكاً لمعرفة دواخله ودوافعه، يقول الدكتور قاسم حسين صالح فى تفسيره

لمعنى مصطلح (تعصب): (فيما ينظر علماء النفس الاجتماعى للتعصب على أنه اتجاه

سلبى غر مبرر نحو الفرد، قائم على أساس انتمائه إلى جماعة معينة لها دين أو طائفة أو

عرق مختلف، أو اتجاه عدائى نحو جماعة معينة قائم على أساس الانتماء إليها). ويعنى

أيضا: (النظرة المتدنية لجماعة أو خفض قيمتها أو قدراتها أو سلوكها أو صفاتها ليس

لها أساس منطقى)). كما يعنى أيضا: ((إصدار حكم غير موضوعى بشأن جماعة معينة.

بهذه المعانى فإن التعصب اتجاه مؤذ لصاحبه والآخرين قائم على تعميمات غير دقيقة

بخصوص جماعة على أساس لونها أو عرقها أو دينها أو جنسها)).

ووفق نظرية التصنيف الاجتماعى فإن الناس ينزعون إلى تصنيف عالمهم الاجتماعى

إلى صنفين (نحن) (أو الجاعة الخاصة بالفرد) و(هم)(أو الجاعة الأخرى). وإهنم

يتحيزون لجماعتهم ويبالغون ويعظمون ايجابياتها ويغمضون أعينهم عن سلبياتها، فيما

يعمدون إلى تضخيم سلبيات ١لجماعة الأخرى وغض الطرف عن اجيابياتها.(2)

وبرى الدكتور قاسم أن: ((ثمة معلومة مهمة، هى أن العداء بين الجماعات يمكن

1- مركز الفتـــوى الســـعودى، رقـــم الفتـــوى ١٧٢٤٦، الرابـــط، http://www.islamweb.net/fatwa/index.php? page=showfatwaOption=fat waldld=17246

2- مقـال بعنـوان: إشـكالية فى الـدين واللطـة،الـدين والتعصـب والإسـلام السياسـى، د. قـاسم حيـن صالـح، نرش فى مـووغ النـور يـوم ٢٠١٢/٩/١٩،الرابط http://www.alnoor.se/article.asp?id=169899

أن يظهر حتى فى غياب تضارب المصالح، فمجرد الانتماء إلى جماعة معينة يمكن أن يكون سبباً كافياً لظهور التعصب صد جماعة أخرى))(1)، بمعنى أن التعصب ممكن أن يكون دافعاً للنزاعات حتى مع عدم وجود عداوات مسبقة بين الطرفين. فكيف إذا ما كانت للعداء أصول تمتد عل مدى تاريخ طويل من العلاقات القلقة المضطربة كما هى الحال بين هاشم وأمية؟

إن مجرد وقوع أحد طرفى النزاع تحت تأثير هذا المفهوم يجعله حذراً من الجانب الآخر ومشككاً به وبما يطرحه حتى ولو كان وحياً من السماء، ولذا لا أجد غرابة فى موقف الامويين من الإسلام منذ الأيام الأولى للبعثة فصاعداً، فالغرابة فى أن لا يتخذوا مثل هذا الموقف ويستمروا به حتى بعد دخولهم إلى الإسلام، بالرغم من أن الإسلام تصدى بعنف لمثل هذه القيم العدوانية المتحيزة. وأنا هنا وبكل موضوعية لا أبرىء بنى هاشم من مؤثرات العصبية فهم أبناء المجتمع ذاته و ما يصح على غيرهم يصح عليهم غالباً، ولكن للحقيقة والتاريخ نجح بنو هاشم فى تجاوز سطوة العصبية بقوة الإسلام وتفاعلهم معه فحلت قيم التسامح الدينى عوضاً عن العصبية الجاهلية فى تعاملاتهم منذ أن أسلموا فصاعداً ولم نجد من يؤشر وجود توجه عصبى فى كل سلوكياتهم.

أما المكونات الباقية ولاسيما الأمويين فإنهم لما استولى السياسيون منهم على مقاليد الحكم بالخذاع والقوة أعادوا لهذا النظام المتخلف هيبته وأحيوا مواته فأصبح متحكما؛ ولكن ضمن مفاهيم جديدة حيث تحولت القبائل الجاهلية إلى قبيلة دولة؛ تجتمع على رئيس واحد وتدين له بالولاء. فبعد أن كانت القبيلة فى العصر الجاهل هى الوحدة

(١) مقال بعنوان: إشكالية فى الدين والسلطة،الدين والتعصب والإسلام السياسى، د. قاسم حسين صالح، نشر فى موقع النور يوم ٢٠١٢/٩/١٩،الرابط

http://www.alnoor.se/article.asp?id=169899

التى تنتهى عند حدود نسبها روابط الولاء، وهو الرابط الذى تحول بعد نزول الوحى

إلى رابط ولاء الإسلام وعقيدته، عاد إلى حدود روابطه الجاهلية، ولذا نجد المسلمين

الأعاجم الذين تعربوا بالولاء للإسلام تسلب منهم هذه الميزة بعد إحياء العصبية

ليعودوا إلى جذورهم دون اهتمام للاسلام الذى رفع شأنهم، وبعد أن كانوا قادة فى

المجتمع الإسلامى العربى مثل سلمان الفارسى وبلال وصهيب الرومى وغيرهم، فقد

أنزلت رتب الغالبية منهم وعادوا إلى العبودية التى حررهم الإسلام منها، وإلى الذل

الذى أنقذهم الإسلام منه، تجاوزاً على القاعدة التى وضعها النبى صلى الله عليه و آله يقوله: ((ليست

العربية بأحدكم من أب أو أم، وإنما هى اسان، فمن تكلم العربية فهو عربى))(1).

ومع أن العصبية كانت وثيقة الارتباط بالسلوك الجاهلى إلا أنها فى مراحل متقدمة

ولاسيما بعد على البعثة وجدت حواضن ساعدتها بوحى من عقلها الباطن الذى كان

يختزن مبانيها على النمو والتوسع والانتشار وإن كان ذلک بدون قصد، وكان الحاضن

الأول رغبة الخليفة عمر بن الخطاب بالحفاظ على العنصر العربى من الاختلاط

بالأعاجم، وهو ما يقول عنه الخربوطلى: ((ساعد عمر بن الخطاب بغير قصد على ظهور

روح العصبية فقد كان نظام عطاء الجند الذى سنه دافعاً هاماً لظهور العصبية القبلية...

وقد كانت سياسة عمر القاضية بعدم اختلاط العرب بالشعوب الأخرى المتحضرة

عاملاً على احتفاظهم بالتقاليد البدوية بما فيها من تعصب))(2)، وقد جاء هذا مع يقيننا

أن الصحابة ولاسيما من تولى منهم الحكم لم يكونوا يجهلون قول رسول الله صلى الله عليه و آله ((أيها

الناس إن الرب واحد والأب واحد وإن الدين واحد وليست العربية بأحدكم من أب

1- أخرجه الألبانى فى سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة برقم (٩٢٥) وقال عنه: ضعيف جدا، وقال عنه ابن عساكر فى تاريخ بغداد: هذا حديث مرسل، ج ٨، ص ١٩٠ - ١٩١

2- الحضارة العربية الإسلامية، الخربوطلى، ص ٨٥

وأم وإنما هى اللان فمن تكلم العربية فهو عربى))(1).

أما الحاضن الثانى فكان قصدياً بدأ مع تولى عثمان بن عفان الخلافة وتقريبه بنى

أمية واعتماده عليهم فى إدارة شؤون دولة الإسلام حيث عادت العصبية الجاهلية إلى

المجتمع بحيث عجز التاريخ عن أن يخفى تأثيرها السلبى على المجتمع، ولذا ذكر تناميها

وتطورها غالبية المؤرخين، وإلى ذلك أشار أحمد أمين بقوله: ا(ولا ولى عثمان تبرم على

وأنصاره وزادهم تبرما أن عثمان وهو أموى استعان بالأمويين فكان أكثر عماله منهم

وكان كاتبه وأمين سره مروان بن الحكم، والأموى ومروان هذا وشيعته هدموا كل

ما بناه الإسلام من قبل ودعمه أبو بكر وعمر من محاربة العصبية القبلية وبث الشعور

بأن العرب وحدة، وحكموا كأمويين لا كعرب، فحرك ذلك ما كان كامناً من العداوة

القديمة الجاهلية))(2).

وكان الحاضن الثالث متمثلاً فى سعى السياسيين الدنيويين للسيطرة على الحكم

عن طريق العصبية والولاء ١القبلى والعشائرى، وقد اعترف أحمد أمين بدور الأمويين

فى إذكاء روح العصبية؛ فقال: ولما ولى الأمويون الخلافة عادت العصبية إلى حالها كما

كانت فى الجاهلية))(3) فالعصبية هى التى تحفز المتعصبين للدفاع عام يؤمنون به قبالة أى

تهديد مادى أو معنوى يلوح فى الأفق، ولذا كان التناحر فاشياً بين العصبيات ولاسيما

وأن هناك من كان يدفع أحد الطرفين ليكون البادىء وتقع المشاكل، وفى هذا الصدد

قال أحمد أمين: واستغلها -أى العصبية- خلفاء بنى أمية ومن بعدهم فكانوا يضربون

1- العرب قبل الإسلام، أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حياتهم، الدكتور محمود عرفة محمود، ص ١٣

2- فجر الإسلام، أحمد أمين، ط٣، ج١ ، ص ٣١١

3- لمصدر نفسه، ص ٩٨

بحقبا ببعض))(1)

إن ثقافة العصبية الموروثة هى التى سلبت الموالى المسلمين حقوقهم وأنزلتهم

درجات فى سلم الطبقات المجتمعى بعد أن رفعهم الإسلام مكاناً علياً، وكان الأمويون

بسبب انغماسهم فى التعصب ينظرون إلى الموالى نظرة فيها الكثير من الازدراء؛ ومن

هنا جاءت زيادة أعداد المحرومين فى المجتمع، وهؤلاء هم الذين كانوا ثورون أو كان

الثوار يستعينون بهم متى ما سنحت الفرصة، يقول الدكتور فاروق عمر: (إن الثورات

التى حاولت أن تستعين بالموالى... لم تنظر إليهم كفرس أو أعاجم بل كفئة يقع قسم

منها ضمن القطاع المحروم من المجتمع، ذلك القطع الذى يضم الكثير من العرب

كذلك)(2)

وهى عادة ثورات كانت تبحث عن التصحيح؛ يعرف محمد عمارة الثورة بأنها:

((العلم الذى يوضع فى الممارسة والتطبيق من أجل تغيير المجتمع تغييراً جذرياً وشاملاً

والانتقال به من مرحلة تطورية معينة إلى أخرى أكثر تقدما الأمر الذى يتيح للقوى

الاجتماعية المتقدمة فى هنا المجتمع أن تأخذ بيدها مقاليد الأمور فتصنع الحياة الأكثر

ملائمة وتمكنا لسعادة الإنسان ورفاهيته، محققة بذلك خطوة على درب التقدم الإنسانى

نحو مثله العليا التى ستظل دائماً وأبداً خطوة على درب التقدم الإنسانى نحو مثله

العليا التى ستظل دائماً وأبداً زاخرة بالجديد الذى يغرى بالتقدم ويستعصب على النفاد

والتحقيق))(3)

1- فجر الإسلام ص ١١١

2- التأريخ الإسلامى وفكر القرن العشرين دراسة نقدية فى تفسير التأريخ، الدكتور فاروق عمر، ص ٤٧

3- الإسلام والثورة، محمد عمارة، ص ١٠

بمعنى أن تنمية روح العصبية كان عملاً مقصوداً وبدوافع سياسية بحتة، وأنا لا

أستبعد ذلک مطلقاً، لأن بث العصبية فى المجتمع فى أثناء مدة حكم عثمان بن عفان مثلاً

جعل من السهل على الحكام والولاة ضرب قبيلة بأخرى لإضعافهما واتقاء شرهما،

وهو النهج الذى بقى سارياً طيلة أيام حكم الأمويين ليس فى دولتهم فقط بل و حتى

قبل ذلک، وفى أيام خلافة عثإف تحديداً يوم كانوا مسيطرين عل مقاليد السياسة، فقد

عادت العصبية فى زمن عثمان إلى الحياة بنوعيها وبدأت تظهر بوضوح بعد أن تغلب

العنصر الأموى القرشى عل مقاليد الأمور السياسية والاقتصادية والإدارية. ويعزو

الخربوطلى سبب ذلک إلى الحسد، لأن القبائل العربية الأخرى كانت ترى نفسها مثل

قريش فى الإسلام والهجرة والجهد الحربى والفتوح، فلم تفضل عشيرة الأمويين عليهم؟

وأرى فى هذا الرأى الكثير من التمويه على حراک العرب السياسى وهو ما سيتكرر منهم

ومن أتباعهم فى مواقف أخرى لتبرئة السياسيين من جرائمهم التى ارتكبوها. لكننا لا

نعدم فرصة التعرف إلى تأثير ما حدث أيام عثإف عل المجتح العربى الملم من خلال

المماحكات التى ظهرت فى زمن خلافة على عليه السلام، إذ كان شعور العربى المسلم قبل خلافة

على بسبب مؤثرات العصبية أنه أفضل من باقى المسلمين، وقد انتقل هذا الشعور

معهم إلى حقبة حكم على عليه السلام بالرغم من مواقفه الكثيرة فى التصدى له، وفى الروايات

المعروفة، ((حدثنا محمد قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا إبراهيم قال: وأخيرى شيخ لنا

عن إبراهيم بن أبى يحيى المدنى عن عبد الله بن أبى سليم عن أبى إسحاق الهمدانى: أن

امرأتين أتتا عليا عليه السلام عند القسمة إحداهما من العرب والأخرى من الموالى فأعطى كل

واحدة خمسة وعشرين برهماً وكراً من الطعام، فقالت العربية: يا أمير المؤمنين إنى امرأة

من العرب، وهذه امرأة من العجم! فقال على عليه السلام: إنى لا أجد لبنى إسماعيل فى هذا

الفيء فضلا على بنى إسحاق (1)

وجاء فى رواية أخرى للثقفى: ((حدثنا محمد قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا إبراهيم

قال: حدثنى محمد بن عبد الله بن عثمان قال: حدثنى على بن أبى سيف عن أبى حباب

عن ربيعة وعمارة أن طائفة من أصحاب على عليه السلام مشوا إليه فقالوا: يا أمير المؤمنين أعط

هذه الأموال، وفضل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالى والعجم ومن

تخاف خلافه من الناس وفراره؟ قال: وإنما قالوا له ذلک للذى كان معاوية يصنع بمن

أتاه فقال لهم على عليه السلام: أتأمرونى أن أطلب النصر بالجور، والله لا أفعل ما طلعت

شمس، وما لاح فى الماء نجم، والله لوكان مالهم لى لواسيت بينهم، فكيف وإنما

هى أموالهم؟ قال: ثم أزم طويلاً ماكتاً ثم قال: من كان له مال فإياه والفساد فإن إعطاء

المال فى غير حقه تبذير و إسراف و هو ذكر لصاحبه فى الناس؛و يضعه عند الله و لم

يضع رجل ماله فى غير حقه وعند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم، وكان لغيره ودهم،

فإن بقى معهم من يودهم ويظهر لهم الشكر فإنما هو ملق وكذب، وإنما يقرب أن

ينال من صاحبه مثل الذى كان يأتى إليه من قبل فإن زلت بصاحبه النعل فاحتاج إلى

معونته ومكافأته فشر خليل وألأم خدين ومن صنع المعروف فيما آتاه الله فليصل به

القرابة وليحسن فيه الضيافة وليفک به العانى وليعن به الغارم وابن السبيل والفقراء

والمهاجرين وليصبر سه على النوائب والخطوب فإن الفوز بهذه الخصال شرف

مكارم الدنيا ودرک فضائل الآخرة))(2) .

وفى حادثة أخرى خاطبهم قائلا: ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من

أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله، يرى أن الفضل له على سواه لصحبته فإن الفضل النير غدا

1- لغارات، إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفى المتوفى سنة ٢٨٣ ، ج ١ ص ٤٦

2- المصدر نفسه، ج ١ ص ٦٥-٦٦

عند الله، ثوابه وأجره على الله. وأيما رجل استجاب لله وللرسول فصدق ملتنا ودخل

فى ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، ولا يتخلفن أحد منكم،

عربى ولا عجمى، كان من أهل العطاء أولم يكن، إلا حضر إذا كان مسلماً حراً)).(1)

ودعا عليه السلام كاتبه عبيد الله بن أبى رافع يوماً، وقال له: ((ابدأ بالمهاجرين فنادهم،

وأعط كل رجل ممن حضر ثلاثة دنانير، ثم ثن بالأنصار، فافعل معهم مثل ذلک، ومن

حضر من الناس كلهم، الأحمر والأسود فاصنع به مثل ذلک، فقام سهل بن حنيف

فقال: يا أمير المؤمنين، هذا غلامى بالأمس، وقد أعتقته اليوم، فقالعليه السلام: نعطيه كما

نعطيک، فأعطى كل واحد منهما ثلاثة دنانير)).(2)

إن تشخيص الإمام على عليه السلام لتأثر المسلمين بروح العصبية التى فشت أيام خلافة

عثمان دفعه للتحدث بصراحة كبيرة عن التغير السلبى فى المجتمع المسلم، وقد نقل

أبو الفرج الأصفهانى فى الأغانى قوله عليه السلام: ا(إن رسول الله مات وترک الناس على نهر

مورود، فولى بعده رجلان لم يختصا نفسيهما وأهليهما منه شىء، وولى الثالث فكرى

منه ساقية، ولم يزل الناس يكرون منه السواقى حتى تركوه يابا لا قطرة فيه)) وفى قول

آخر: ((ما يريد عثمان اَن ينصحه اَحد، ليس منهم اَحد اِلا قد

تسبب بطائفة من الأرض، يأكل خراجها و يستذل اَهلها))(3)وفى قول آخر: إلى أن قام

ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيلة ومعتلفة وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم

الإبل نبتة الربع إلى أن انتكث فتله وأجهز عليه عمله وكبت به بطنته))(4)

1- شرح نهج البلاغة، لابن أبى؛ الحديد المعتزلى ج 7 ص ٣٧

2- شرح نهج البلاغة، لابن أبى الحديد، ج 7 ص ٣٧ ٣٨

3- تاريخ الطبرى، ص ٧٩٥،ج١، ثم دخلت سنة خمس وثلاثين

4- نهج البلاغة،الخطبة رقم ٣ المعروفة بالشقشقية

وقد استعار الخليقة الأموى عمر بن عبد العزيز يوم ولى الخلافة قول الإمام على

بعد أن بدأ برفع مظالم الناس التى أحدثها الخلفاء الذين سبقوه، قال ابن كثير: ((ثم

تتابع الناس فى رفع المظالم إليه قام رفعت إليه مظلمة إلا ردها... فاستغاث بنو مروان

بكل واحد من أعيان الناس، فلم يفدهم ذلك شيئاً، فأتوا عمتنهم فاطمة بنت مروان –

وكانت عمته – فشكوا إليها ما لقوا من عمر، وأنه قد أخذ أموالهم، ويستنقصون عنده،

وأنه لا يرفع بهم رأسا، وكانت هذه المرأة لا تحجب عن الخلفاء، ولا ترد لها حاجة،

وكانوا يكرمونها ويعظمونها، وكذلك كان عمر يفعل معها قبل الخلافة، وقامت فركبت

إليه فلما دخلت عليه عظمها وأكرمها لأنها أخت أبيه، وألقى لها وسادة وشرع حيادثها

فرآها غضبى وهى على غير العادة، فقال لها عمر: يا عمة مالك؟ فقالت: بنو أخى عبد

الملك وأولادهم يهانون فى زمانك و ولايتك؟ وتأخذ أموالهم فتعطيها لغيرهم، ويسبون

عندك فلا تنكر؟ فضحلك عمر وعلم أنها متحملة، وأن عقلها قد كبر، ثم شرع يحادثها

والغضب لا يتحيز عنها، فلما رأى ذلك أخذ معها فى الجد؛ فقال: يا عمة. اعلمى أن

النبى مات وترك الناس على نهر مورود، فولى ذلك النهر بعده رجل فلم يستنقص منه

ثيئا حتى مات، ثم ولى ذلك النهر بعد ذلك الرجل رجل آخر فلم يستنقص منه شيئاً

حتى مات، ثم ولى ذلك النهر رجل آخر فكرى منه ساقية، ثم لم يزل الناس بعده يكرون

السواقى حتى تركوه يابسا لا قطرة فيه، وأيم الله لئن أبقانى الله لأردنه إلى مجراه الأول،

فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط))(1)

إن العصبية التى حاربها الدينيون وأحياها السياسيون خلقت نوعاً من الاستعلاء

الأجوف الذى طغى على احترام المقدس وتوهينه فلم يعد التطاول عل الرسول صلى الله عليه و آله

مستهجنا ولا قتال خليفة المسلمين على عليه السلام عجباً وقتل الإمام الحسن عليه السلام جالبا للدهشة

1- البداية والنهاية، ج٩، ص ٢٣٩، خلافة عمر بن عبد العزيز

ولا حرق بيت الله جريمة كبرى(1) ولا إباحة المدينة جريرة يؤاخذ عليها القانون (2) ولا

قتل الحسين وصحبه عملا غريباً، فهناك فى عقولهم وقلوبهم غراس العصبية الذى طغى

وتطفل على كل الموجودات الأخرى بما فيها العقيدة. ولذا نجد الكثير من الباحثين

يعتقدون أن فهم دور العصبية القبلية على حقيقته ممكن أن يسهم فى فهم الأحداث

التاريخية وتداعياتها، ولهذا الرأى ذهب أحمد أمين بقوله: ((وأصبحت العصبية مفتاحا

نصل به إلى معرفة كثير من أسباب الحوادث التارخيية))(3)

من قليل ما قدمناه يتضح بأن من أطلق على الحكم الأموى اسم (نظام الحكم

العربى) كان محقا جدا وبامتياز، فبالرغم من بعد التسميةع ما كانت تصبو إليه الجماعات

السياسية المسلمة التى كانت تناضل بقوة لتبدو ممثلة للدين وقيمة عليه لأنها كانت

تخشى الاتهام بكثير من التهم الجاهزة إذا ابتعدت عن الدين أو بدت وكأنها بعيدة عنه،

جاءت التسمية متطابقة مع نوع الحراك الذى استخدمه الأمويون للسيطرة على مقاليد

الحكم بإحياء النعرة العصبية والعمل بهديها، وهو حراك نابع بالأساس من تقاليد عربية

موروثة وعادات قديمة تعود إلى العصور الجاهلية السحيقة(4)، فهؤلاء كانوا على يقين

من أن العصبية هى التى تمنحهم الرئاسة والتسلط؛ وهو ما قال عنه ابن خلدون فى

مقدمته: ((وذلک أن الرئاسة لا تكون إلا بالغلب؛ والغلب إنما يكون بالعصبية، فلابد

فى الرئاسة على العموم أن تكون من عصبية غالبة لعصبياتهم واحدة واحدة))(5)من هنا

1- ضرب الحجاج بيت الله الحرام بالمنجنيق والنار فأحرقه؛ لأن ابن الزبير تحصن فيه

2- وهى واقعة الحرة حيث أباح الأمويون المدينة واغتصبوا نساءها وقتلوا صحابة رسول الله

3- فجر الإسلام، أحمد أمين، ج ١ ، ص ١٠

4- الفاشى بن الناس أن هناک عصراً جاهليا واحدا ولكن المتخصصين يقسمون هذا العصر إلى عصور عدة آخرها يعود إلى مائة وخمسين عاما قبل البعثة وهو العصر الجاهلى المعروف

5- المقدمة،ابن خلدون، ص ١٣٢

ووفق موروث الأمويين القبلى جاء إحياء العصبية لتعيد إلى أذهان العامة سلطة شيخ

القبيلة التى انتزعها الإسلام وأحل بدلها سلطة الولاء الدينى.

نعم كان الأمويون أكثر العرب تعصبا لعروبتهم وأصولهم البدوية؛ وهم حتى بعد

أن هجروا الصحراء وقضت أجيال طويلة منهم حياتها فى أجواء مكة التى كانت أكثر

تطورا من كثير من مناطق الصحراء الأخرى لم ينجحوا بمغادرة موروثهم البدوى، ولذا

تراهم يتمسكون بعقائدهم الوثنية، ويحاربون أبناء جلدتهم الذين اعتنقوا الإسلام، ولا

يكفون إلا بعد أن أحسوا بأن الكفة ليست فى صالحهم، ثم حتى بعد إسلامهم بقيت

روح البداوة فيهم مفعمة بالحماس والتحدى لدرجة أنهم مع تأخرهم بالدخول إلى

الإسلام طالبوا بمراكز سيادية فى المجتمع بأنفة نابعة من طبائع ابن الصحراء، وربما لهذا

السبب يرى (رفائيل باتاى): الإن البدو كانوا ولا يزالون يمثلون مجتمع السلطة الأبوية

والزعامة القبلية والذى يعتمد عل رابطة النسب والقرابة))(1) وخلص إلى نتيجة مفادها: ((إن واجبات الانتقام بالقتل والتوسط، ملامح تميز روح الجماعة البدوية والتى انتقلت

دون تغيير تقريباً إلى حياة القرية، وحافظت على البقاء فى مجتمع المدينة العربية))(2)

فالأمويون لم يأتوا بجديد حينما وظفوا العصبية بحجة الثأر لمقتل الخليفة عثمان

ليقاتلوا تحت هذا الشعار الجاهلى عليا وحسنا وحسيناً عليهم السلام، بل يأتى هذا التوظيف

لتأكيد قوة ولائهم لموروثهم الجاهلى وتعلقهم به، وبالتالى لا نستغرب قيامهم بمحاربة

على لأنهم لو كانوا مؤمنين حقا بالإسلام لما حاربوا الخليفة الشرعى الذى تمثل محاربته

مخالفة لروح الشريعة التى يؤمنون بها، ولا نستغرب حربهم للخليفة الشرعى الحسن بن

على عليهما السلام للسبب نفسه، ولا نستغرب إباحتهم للمدينة المنورة وهتك أعراض نسائها،

1- العقل العربى، رفائيل باتاى، ترجمة وليد خالد أحمد حسن، ص ١٣٧

2- المصدرنفسه، ص ١٤٢

ولا ضربهم بيت الله بالمنجنيق وحرق الكعبة، ولا قتل الحسين عليه السلام وصحبه ولا قتل زيد وابنه يحيى ولا قتل الطالبين، فكل جريمة من هذه الجرائم تعيد الإنسان من الإيمان إلى الكفر وعليه يتحرج المؤمنون من الإتيان بها، أما من هو غير مؤمن فلا فرق عنده بين العمل الحسن والعمل الخبيث فكلاهما فى ميزانه سواء.

إن التواشج بين العصبية والسياسة الدنيوية خلق منظومة فكرية تمكنت من تفيير طباع الناس بعد أن ربتهم وأنشأتهم على موازين متنوعة يصل التعارض بينها أحيانا إلى حد القطيعة الشاملة. وبتعاون السياسة مع العصبية تحول السياسيون من أبناء المجتمع العربى المسلم إلى رعاة يقودون قطيعا مسلوب الإرادة، خانعا يتحرك تبعا لأوامرهم ويفعل ما يريدونه منه بدون اعراض أو تذمر، ولذا تراهم يقودون مائة ألف أو أكثر ليحاربوا خليفة شرعيا تنهى عقيدتهم قبل غيرها عن اعراضه باللسان المجرد حتى ولو أوجع الظهر وسلب المال، فهل من دليل أكر من هذا الدليل!

ص :48

الفصل الثانى

الحياة السياسية قبل وبعد عصر البعثة

ص :49

الفصل الثانی الحیاة السیاسیة قبل و بعد عصر البعثة

اشارة

إن للأمة العربیة ولعا بالسیاسة ما زالت آثاره باقیة فیهم إلی الیوم، وهم الیوم إن

کانوا قد درسوا علوم السیاسة وتعلموها وطبقوها؛ فإنهم بالأمس لم تتح لهم فرصة

التعلم، ولذا لجأوا إلی موروثهم القبلی واستقوا منه منهجهم السیاسی الذی جاء متطابقا

مع الموروث، بعیدا عن التجدید بمعناه الفکری العقدی لا التطوری الحیاتی، فکانت

سیاستهم قبل البعثة المشرفة تختلف عنها فی عصر البعثة وتختلف عنهما بعد العصرین.

سیاسة العرب قبل عصر البعثة

إن أمة کأمة العرب امتدت جذورها إلی أعماق التاریخ الإنسانی یستحیل أن تکون

جاهلة بالسیاسة وفنونها؛ کیف، وهی تعد من أقدم الأجناس السامیة، وقد قامت علی

أرضها ممالک ودویلات کثیرة مثل مملکة الحیرة فی شمال شرق جزیرة العرب ومملکة

الغساسنة فی شمالها الغربی وکندة فی شمالها، وفی الجنوب کانت قتبان وحضرموت ومعین

وسبأ،وإن کانت ممالک الجنوب أقل أثرا من الأخر، فضلاعن وجودقبائل کبیرة کانت

کل منها تمثل نظاما سیاسیا قائما بذاته، بل کانت القبیلة وحدة النظام السیاسی فی الفکر

العربی الذی کان علی مستوی من النبوغ لدرجة أن بعض أهله رفضوا عبادة الأوثان

والأصنام ولم تستهوهم الدیانة الیهودیة ولا النصرانیة، فاتخذوا الحنیفیة التی جاء بها

النبی إبراهیم. لأنهم وجدوها أقرب إلی فکرهم وعاداتم وسلوکهم وطبیعتهم

الإنسانیة. ویقول الدکتور محمود عرفة: ((کانت القبیلة هی وحدة النظام السیاسی الذی

ينتمى إليها ويقدسها العربى قبل الإسلام))(1)

كما أن تقديس العربى للنظام العشائرى لا يأتى من باب العصبية العليا فحسب، بل ينزل إلى أدق خصوصياتها لأن العشيرة كانت المسؤولة عن تدبير وتسبير حياته وحياة عائلته ومصالحه وارتباطاته مع الآخرين وتوفير الحماية والأمن له. وفى هذا الصدد يقول ابن خلدون فى مقدمته: ((اعلم أن كل حى أو بطن من القبائل وإن كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام ففيهم أيضا عصبيات أخرى لأنساب خاصة هى أشد التحاماً من النسب العام لهم مثل عشيرة واحدة أو أهل بيت واحد أو أخوة بتى أب واحد))(2)

فضلا عن ذلک نرى أن الحالة المضطربة التى عاشها العرب فى تلک الحقبة تحت شعار الغلبة للقوة والأقوى دفعت القبائل ولاسيما الضعيفة والذليلة متها إلى التوحد بأحلاف تجمعها بقبائل قوية تؤمن لها الحماية، وهذا الاتفاق لا يمكن أن يوصف بغير صفة (سياسى) وهو بحد ذاته يدل على أن التوفيق بين القبائل المنضوية للحلف يحتاج إلى إدارة سياسية متمكنة لها قدرة تقريب الرؤى وامتصاص الاحتكاكات الخشنة، ولاسيما وأن بعض الأحلاف كانت تضم عدداً كبيراً من القبائل المتقاربة من حيث القوة والرجال والمال فى بعض الأحيان، والمتباعدة فى الرؤى والنشأة وطرائق التفكير؛ مثل حلف (الرباب) بين قبائل ضبة وثور وعكل وتميم وعدى(3) وحلف (الأحلاف) الذى ضم بنى عبد الدار وبنى مخزوم وبنى سهم وبنى جح وبنى عدى وبنى عدى بن

1- العرب قبل الإسلام، أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حياتهم، الدكتور محمود عرفة محمود، ص ٤٩

2- المقدمة، ابن خلدون، ص ١٣١

3- ينظر: العقد الغريد،ابن عبد ربه الأندلسى،ج ٥، ص ١٤١

كعب(1) وقد أطلق ابن خلدون على هذه الاتفاقيات صفة (العصبية الكبيرة) بقوله:

كانت الأحلاف تمثل العصبية الكبيرة التى تشمل القبائل والعشائر المتحالفة بالنسب

والجوار(2) وأطلق عليها العالم العراقى المرحوم جواد على اسم (المجتمع القبلى الكبير)

بقوله: ((وهى المجتمع القبلى الكبير الذى تنصهر فيه القبائل من أجل المؤازرة والحماية

والدفاع المشترك))(3)

بل قادهم وعيهم السياسى المتطور فى بعض الأحيان إلى الخروج من طور الأحلاف

القبلية المحلية إلى التحالف مع دول قوية وليس مجرد قبائل مثلهم، حيث قامت بعض

القبائل بالدخول تحت رعاية تلك الدول لتحصل منها عل الحماية والعون، وتقدم

لها بالمقابل المساعدة متى لزم الأمر، وقد دخل ملوك الحيرة بحماية الفرس، وتحالف

الغساسنة مع الروم؛ باتفاقيات تشبه اتفاقيات الدفاع المشترك المعروفة فى زماننا الراهن،

وهى دلالات أكيدة على وجود وعى سيامى فى المجتمع العربى؛ ولذا يقول محمد عمارة

بعد أن تحدث عن حلف الفضول وغيره من الحركات المجتمعية: فلقد كانت إذن

للعرب جهود استهدفت تغيير الواقع وبعض هذه الجهود كان سلميا، بينا استعان

بعضها الآخر بالسيف والعنف لانجاز ما أراد من تغيير، فكانت هذه الجهود جميعأ

علامات على طريق الإنسان العربى نحو ثورته الكبرى))(4) وهذا من عيوب بعض

المفكرين العرب الذين تجدهم حتى فى حديثهم عن سياسة العرب الأقدمين يموهون

ولا يدخلون صراحة إلى صلب الموضع وصميم القضية

1- ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ج ١ ص ١٣٧ ومروج الذهب للمسعودى ج ١ ص ٣٢٨

2- المقدمة، ص ١٢٩

3- تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد على، ج ٣، ص ٣٣٦- ٣٣٧

4- الإسلام و الثورة، محمد عمارة، ص ٢١

وفيما بعد أنجب الوعى السياسى العربى مجموعة دول كانت متطورة تبعاً للمقاييس

القديمة مثل دولة معين (1300 ٦٥٠ ق. م) فى اليمن التى كان نظام الحكم فيها لا

مركزياً (فكان يمثل الملك فى كل مقاطعة نائب له بلقب (كبير) يتبعه مجلس نيابى يعرف

باسم (سور) محتمع فيه الأشراف للحكم بين الناس) وكانت لها علاقات تجارية مع

مصر الفرعونية واليونان(1) ودولة حضرموت (١٠٢٠ ق.م ٢٩٠م) التى قامت فى

جنوب بلاد العرب إلى الشرق من اليمن، وكانت لها علاقات جيدة مع مملكة سبأ،

وعلاقات تجارية واسعة وجيش وحصون وقلاع وإدارة(2) ولا ننسى دولة مبأ التى

ورد ذكرها فى القرآن الكريم وهى مملكة متحضرة ليس بمقاييس ذلك الزمان بل

وبمقاييس العصور اللاحقة أيضاً.

بل حتى مكة المكرمة إنما أخذت مكانتها الأولى بفضل السياسة؛ فعندما ولى عمرو بن

لحى زعيم خزاعة أمر مكة اجتذب الحجاج فأقام موائد الطعام فى موسم الحج، و يسر جلب

الماء من الآبار المحيطة بها، وقام بجلب الأصنام من أنحاء الجزيرة العربية وأقامها حول

الكعبة، فتشط الحج ونشطت التجارة؛ فأزدادت مواردهم المالية لأنه كان يأخذ العشور(3)

1- العرب قبل الإسلام، أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حياتهم، الدكتور محمود عرفة محمود، ص ١١٤

2- ينظر: المصدر نفسه، ص ١١٥

3- العشور: نظام مالى أشبه ما يكون بقوانين الجمارك والضرائب التى تجبى من التجار فى عصرنا. كانت معروفة فى العصور القديمة فألغاها الإسلام، وهناك من يرى أن العمل بها أعيد أثناء الفتوحات العربية فى عهد عمر بن الخطاب حيث كتب أبو موسى الأشعرى إلى الخليفة عمر يخبره أن السلطات الرومانية فى الشام كانت تأخذ من التجار العرش قبل الفتح العربى، وكانوا يأخذون من التجار المسلمين نفس القدر، فكتب له الخليفة بأن يأخذ منهم كما كانوا يأخذون من تجار المسلمين،وأن يأخذ من تجار أهل الذمة نصف العرش ومن المسلمين 5ر2 ٪ وجعل حد الإعفاء 200 درهم. وعلى هذا درجت الحكومات الإسلامية من عهد عمر فأقيم (العاشر) أو الذى يأخذ ضريبة العشور عند ممر التجار يجبى هذه الضريبة من الصادرات والواردات فيأخذ من التاجر المسلم ربع العشر ومن التاجر الذمى نصف العشر، ومن الأجنبى العشر أوكما يعامل قومه التجار المسلمين، فإن كانوا يأخذون منهم العمشر أخذوا منه نفس المقدار، وهكذا

من جميع القوافل التجارية المارة بمكة(1) وهذا العمل وإن كان ظاهره اقتصادياً إلا أنه سياسى الهدف والدوافع بالتأكيد.

ومن مجمل هذه الإلماحات والممارسات تكون وتجمتع عند بعض العرب خزين سياسى معرفى كبير حضت به نخبة المجتمع والقبائل الأكثر شهرة مثل بنى هاشم والأخرى الأكثر عدوانية مثل بنى أمية، فتركته الأولى بعد أن شذب الإسلام سلوكها وتحكم بتصر فاتها، وأصرت عليه الثانية ووظفته فى كافة تحركاتها لأنها رأته الطريق الأوحد للعز بعد أن نزع الإسلام عنها عزها القديم الجاهلى الذى اكتسبته بالجور والطغيان.

إن أمة تقوم بها قبائل و ممالک عظيمة مثل عاد و ثمود و مدين و طسم و جديس و عبيل و العماليق لا يمكن أن تكون جاهلة لمعنى السياسة والعمل السياسى، وهم فى جاهليتهم كانوا يملكون قدراً لا بأس به من المعارف العامة بما فيها علم السياسة بأبسط هيآته؛ ولكن سياستهم كانت مقرونة بسلوكهم الفردى و الجمعى تتأثر به وتؤثر فيه؛ ولذا لم تتضح مقاصدها إلا من خلال القصص والروايات والحكايات التى كانوا يتناقلونها شفاهاً فوصلتنا. ولكن ذلک لا يعنى أنهم كانوا يجهلون مبادئ علم السياسة ولو بشكله الساذج، فموروثهم السياسى هو الذى تحكم بجانب كبرى من الصراع الذى نشب بينهم وبين النبى صلى الله عليه و آله ورسالته وأصحابه.

1- ينظر: العرب قبل الإسلام

السياسة فى عصر البعثة

يمكن تقسيم نشاطات السياسيين العرب فى عص البعثة إلى مرحلتين زمنيتين،

الأولى: مرحلة النشاط المكى، والنشاط قبل الهجرة، والثانية: مرحلة النشاط المدنى،

والنشاط بعد الهجرة. وكان نشاطهم فى بداية عصر البعثة يتسم بالفطرية والبدائية

والسذاجة وتطغى عليه روح العصبية، يمكن أختزاله بفكرة المعارضة للتغيير والخوف

من التجديد، وهى سمة عامة يشرك بها البشر بكل جنسياتهم وأصولهم، ولكن هذا

الجهد المعارض للرسالة الإسلامية فى بداية نزولها وإن كان فى ظاهره فطريا اعتباطياً

عصبياً سانجاً بعيداً عن التخطيط والترتيب والتنظيم؛ وبدا وكأنه دفاع عن عقيدة

الأوثان التى يؤمنون بها؛ غير انه لا يوحى بأنهم كانوا يجهلون العمل السياسى، وإنما

جاء حراكهم اسياسى فى حدود الإمكانيات المتوفرة لدهيم؛ ومع ذلک كان أفضل

حراک سياسى ممكن الحصول عليه فى تلک الحقبة من التاريخ، والدليل إن صحيفة

المقاطعة التى جاءت متأخرة ست سنوات عن باقى الحراكات الاعتراضية الأخر من

تعذيب وسجن ومطاردة لكل من يسلم تعد إحدى الصيغ الآكثر قوة وتأثيراً فى العالم

فى يومنا الحاضر وتستخدمها الأمم القوية لتركيع الأمم الضعيفة؛ وقد لمسنا أثرها فى

العراق؛ فالحصار الذى فرض على العراق بعد غزو الكويت فى تسعينات القرن الماضى

لم يصب العراقيين بالجوع فقط، وإنما حطم معنوياتهم، وبالتالى كان أمضى من أى سلاح

آخر استخدمه العدو لأنه عبد طريق التخريب ويسر أمر الانحراف فقضى على البناء

الروحى لكثير من العراقيين؛ وهو ما كان مأمولاً بالحصار القرشى أن يوقعه بالمسلمين

يومذاک؛ بمعنى أن صحيفة المقاطعة القرشية كانت واحدة من المراحل السياسية المتقدمة

التى نفذها السياسيون القرشيون ضد النبى ورسالته بعد أن فشل مشروعهم الأول فى

ترويع ضعفاء المسلميين وتعذيبهم. ويكفى أن نعرف أن أكثر من ثمانين وجهاً من وجوه

المجتمع القرشى اشتركوا بالتوقيع على الصحيفة و وضع أختامهم عليها لتنص على:

((ألا يبايعوا أحداً من بنى هاشم، ولا يناكحوهم، ولا يعاملوهم))(1) إن جمع هذا العدد الكبير من الوجوه والوجهاء للاتفاق على أمر واحد يحتاج إلى عقل سياسى كبير يملك قوة الاقناع ومهارات التفاوض ونوعاً من القوة والشجاعة أيضاً، لكى يسوق الجميع إلى هدف واحد بالرغم من تنافرهم وتباينهم على أرض الواقع. وقد استمر العمل ببنود هذه الصحيفة الظالمة ثلاث سنوات من سنة ست إلى سنة تسع للبعثة، بل يرى الدكتور السيد عبد العزيز: إن الحصار رفع سنة عشر من البعثة مستنداً فى ذلك إلى ما نقله عن ابن سعد فى طبقاته(2).

وبعد أن بدأ عصر الهجرة المباركة وهاجر المسلمون من مكة إلى المدينة المنورة، لم يقف القرشيون والسياسيون وأعداء الرسالة مكتوفى الأيدى، وإنما طوروا جهدهم السياسى تبعاً لمستجدات المرحلة فشنوا حروباً عاتية تهددت الاسلام الضعيف بالخطر، وربما تكون غزوة الخندق من أهمها وأخطرها وأكثرها قوة ليس على المسلمين وحدهم بل وعلى السياسيين القرشيين أيضا، لأن خسارة أى طرف لهذه المعركة كان ينذر بتحطيم جهدهم الحربى كلياً وكسر شأفتهم وشوكتهم ونع هيبتهم وزع الرهبة والخوف فى قلوب ونفوس جنودهم وأتباعهم. وهكذا كان حينما خسرتها قريش وأعوانها؛ ولكنهم لما خسروها لم يركنوا إلى العقل وإنما طوروا تحركاً جديداً اعتقدوا أنه ممكن أن يوقف مسرة الدين فدخل بعضهم فى الدين الجديد؛ ولكن ليس بالوجه الذى دخل به الآخرون؛ كما دلت على ذلك الأحداث الكثرة اللاحقة، وإنما ليكيدوه من الداخل. ويرى الدكتور قاسم حسين أن للتدين وجوهاً بعضها يتعارض مع أصل

1- تأريخ اليعقوبى، ج٢، ص ٣١

2- ينظر: التأريخ السياسى والحضارى للدولة العربية، السيد عبد العزيز، ج ١ ،ص ٣٢٠

العقيدة، وألمح إلى: ((أن الناس يكونون متدينين لأسباب متعددة وليس لسبب واحد.

ويمكن تصنيفهم على النحو الآتى:

١ . التدين الغرضى: ويعنى التوجه نحو الدين بوصيفه وسيلة للحصول على أشياء

أخرى ذات قيمة.... كما أن هذا النوع من التدين قد يحقق لصاحبه مكانة اجتماعية أو

اعتبارية أو وظيفية. وبهذا يكون الدافع هنا تحقيق منفعة تهدف إلى خدمة المحافظة على

احرام الذات، ويكون الوجدان الدينى فيه غير ناضج. وإلى هذا الصنف ينتمى المتدينون

السياسيون الذين هم الأكثر تعصباً بين الناس، ليس فقط لأنهم يستخدمون الدين

وسيلة لتحقيق أهداف أخرى، بل لأن التنافس السياسى وصراع المصالح يضطرهم إلى

أن يكونوا متعصبين. فالغايات هنا سياسية وليست اجتماعية من قبيل تكوين صداقات،

بل السعى إلى تحقيق زعامات تشبع الحاجة إلى السلطة والسيطرة ومصالح اقتصادية

ترفع صاحبها درجات فى سلم المكانات فى الهرم الاقتصادى للمجتمع.

2.التدين الباحث عن الحقيقة: ويعنى التوجه نحو الدين بوصفه سفراً دائماً من

أجل فهم القضايا الأخلاقية والروحية المعقدة، والمصحوب عادة بمعتقد أن الإجابات

السريعة والبسيطة، خاطئة تماماً.

3.التدين الحقيقى: ويعنى التوجه نحو الدين الذى حياول الناس عن طريقه أن

يعيشوا دينهم ويستدخلوا تعاليمه(1)

ومن يبحث عن نوع التدين الذى آمن به المسلمون ولاسيما آل البيت الكرام

والتدين الذى آمن به السياسيون الدنيويون يجد بكل تأكيد وبدون أى معارضة أو

1- مقال بعنوان: إشكالية فى الدين والسلطة،الدين والتعصب والإسلام السياسى) نشر فى موقع النور يوم ٢٠١٢/٩/١٩، الرابط http://www.alnoor.se/article.asp?id=169899

اعتراض بأن آل البيت ونخبة من المسلمين كانوا عن حق وجدارة أسياد القسم الثالث من هذا التقسيم، وأما من حاربهم وقاتلهم ونازعهم وسفك الدم باسم الدين للحصول عل السلطة؛ فهم من الصنف الأول بامتياز.

ولفهم الاختلاف بين الصنفين ممكن أن نستأنس برأى الدكتور الاختصاصى قاسم حسين صالح الذى أوضح فى جوابه عن سؤال مفاده: مَن مِن هذه التوجهات الثلاثة، هو المتعصب أو الأكثر تعصباً؟ قائلا: إن التوجه الثالث (التدين الحقيقى) الذى يؤمن أصحابه بأن الدين ليس وسيلة لتحقيق غاية، ولا هو البحث عن حقيقة الروح والأخلاق والحقيقة، أنما هو الغاية النهائية للإنسان. وبما أن معظم الأديان تدعو إلى التسامح، والإفراد فى هذا النوع من التدين — الحقيقى- يسعون ويتمنون أن يحققوا نوعاً من التكامل بين معتقداتهم الدينية وهوياتهم وسلوكهم. وعليه، فأننا نتوقع من هذا الصنف أن يكونوا الأقل تعصباً بين المتدينين. وتشير الدراسات إلى أن هذا الصنف من المتدينين ليسوا أكثر تعصباً حتى من أولئک الذين يصفون أنفسهم بأنهم غير متدينين. وما يميزهم أن الوجدان الدينى عندهم يكون ناضجاً، يثير لديهم الشعور بالمتعة ويحول مشاكل الحياة من سياقها الروتينى إلى متظور أكثر شمولية وأعمق معنى.. فيكون ثقلها أخف عليهم مقارنة حتى بغير المتدينين. أما الصنف الأول من المتدينين، الذين يتخذون من الدين وسطة للحصول على أشياء أخر من قبيل الصداقة والمكانة والاشاد فى الأوقات الصعبة، فإن هؤلاء يميلون إلى أن يكونوا الأكثر تعصباً، والأقل نصجاً فى الوجدان الدينى))(1) وهؤلاء هم الذين تآمروا ضد الإسلام ونبيه الأكرم ولاسيا بعدما خسروا آخر معاركهم الحربية الكبيرة.

1- مقال بعنوان: إشكالية فى الدين والسلطة،الدين والتعصب والإسلام السياسى، قاسم حسين صالح.

التخطيط السياسى لقتل النبى صلى الله عليه و آله

من رحم المرحلة الثانية ولدت المؤامرات لأخر التى كانت أكثر واقعية وتخطيطاً

من سابقاتها، ومع أنه من المتفق عليه تأريخياً أن الجهد العسكرى القرشى فقد زخمه الكبير

بعد معركة الخندق المصرية التى كان لعناية السماء وبطولة الإمام على عليه السلام الأثير العظيم

فى تهشيمها، فبعد هزيمة الأحزاب فى هذه الغزوة لم تعد مسألة القتال والحرب تشغل

بال القرشيين وأعوانهم كما هى سابقا؛ لأنهم أدركوا يقينا ولاسيما السياسيتين منهم بأن

الإسلام أصبح أقوى مما يتمكنون من الوقوف بوجهه، وعندها غيروا أنماط سلوكهم

السياسى، وبدأ التفكير الجدى فى الخطط البديلة، وكانت فكرة الاستعاضة عن الحرب

بالكيد والخداع هى المنهج الذى استقروا عليه واعتمدوه ونجحوا فى التعامل معه وبه

بشكل كامل. وقد أوكلوا هذا الأمر لمن دخل منهم إلى الإسلام. هنا أنقل أقوالاً لرسول

الله صلى الله عليه و آله تخص هذا التبدل الغريب، تحدث فيها النبى صلى الله عليه و آله عن مستقبل منظور بالنسبة

إليه ومجهول للعالم كله بما فيهم السياسيون أنفسهم حيث وقف النبى صلى الله عليه و آله بعد هزيمة

الأحزاب ليهنئ المسلمين بالبشرى العظيمة التى كانوا ينتظرونها: ((الآن، نغزوهم

ولا يغزونا، نحن نسير إليهم)(1) وفى مكان آخر ((لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا

ولكنكم تغزونهم. فلم تغزهم قريش بعد ذلك، وكان هو الذى يغزوها حتى فتح الله

عليه مكة))(2)

السياسيون من جانبهم أدركوا بعد هزيمتهم المرة وجوب تغيير الخطط وتبديل

الآليات؛ وكان قتل النبى محمد صلى الله عليه و آله أحد أهم مشاريعهم السياسية فى هذه المرحلة،

فاشتهرت لهم أكثر من محاولة؛ تكاد محاولتهم يوم (تبوك) أن تكون الأخطر بينها،بالرغم

1- صحيح البخارى، حديث رقم ٤١١٠ ص 728

2- تهذيب السرة النبوية، ابن هشام، ج3/ص٢٣٠

من كونهم أخفوا دورهم فيها كلياً ولاسيما بعد فشلهم الكبير. ولكن فشلهم فى هذه

المحاولة لا يعنى فشلاً سياسياً بالمرة لأنهم عصبوه فيما بعد برأس المنافقين ليبرئوا

أنفسهم منه، فحولوا الفشل إلى نجاح معنوى. والمعروف أن المنافقين كانوا ناشطين فى

تلك الحقبة، فضاع أثر الجريمة وخفيت معالمها فى الأقل على صفحات تاريخنا بالرغم

من أن المسلمين وتاريخهم المكتوب وكتب السرة النبوية كلها تجمع على عدم مشاركة

المنافقين فى تلك الغزوة التى حدثت فيها مؤامرة السياسيين الدنيئة لقتل رسول الله صلى الله عليه و آله(1)

لأن شيخ المنافقين (عبد الله بن أى بن سلول) وجموع المنافقين تخلفوا عن النبى صلى الله عليه وآله فى

الموضع المعروف ب(الجرف) وفى روايات كتب السيرة عن ابن سلول المنافق أن جيشه

الذى تخلف فيه ((ليس بأقل العسكرين))(2) أى: إن عدد أفراد جيش المنافقين كان مقاربا

لعدد جيش المسلمين! وجاء هذا التخلف للإيقاع بالنبى ووضعه فى ورطة لا يحسد

عليها بعد أن استقوى بكثرة جيشه كما كانوا يعتقدون، وهذا العمل بحد ذاته يدل على

مقدرة سياسية فذة ومتطورة.

كما وتخلف غيرهم من جموع المنافقين فى أماكن أخر، وحتى الأفراد الآخرون من

المنافقين تخلفوا واحدا تلو الآخر عن آخرهم، وأخرج الحاكم فى المستدرک عن عبد الله

بن مسعود قال: ((لما سار رسول الله! إلى تبوک جعل لا يزال يتخلف الرجل؛

فيقولون يا رسول الله تخلف؛ فلان! فيقول: دعوه إن يک فيه خير فسيلحقه الله بكم

وإن يک غير ذلک فقد أراحكم الله منه))(3)

1- السيرة النبوية،ابن هشام، ج ٤ ، ص ١٣٥

2- السيرة النبوية،ابن هشام،ج٤، ص ١٣٥

3- المستدرک، الحاكم، ج ٣، ص٢ه، حديث رقم ٧٧/٤٣٧٣

بل و تخلف مع المنافقين عدد كبير من المسلمين أنفسهم يكاد يفوق أعدادهم فى كل

الغزوات الأخر؛ قال ابن هشام فى حديثه عن عودة النبى من هذه الغزوة: ((...وصبح

رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد، فركع فيه ركعتين، ثم جلس

للناس، فلما فعل ذلك، جاءه المخلفون، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون، وكانوا بضعة

وثمانين رجلاً...))(1)

أما النبى الأكرم فلم يكن أقل منهم إلماماً بالسياسة؛ فهذه الأعداد الغفيرة من

المنافقين والمتخلفين تدعو حقا إلى التخوف والريبة والشك فارتأى أن يخلف علياً

_بالرغم من حاجته إليه- فى المدينة ليحافظ عليها، وهو ما قال عنه ابن هشام: ((حتى

إن النبى تخوّف من تخلفهم، فخلف علياً على المدينة ولم يخلفه قبلها))(2)

السياسيون من جانبهم شهروا سيف السياسة لاستخدامه مع هذه الحالة لكى

يخدثوا حب اعتقادهم شرخا فى علاقة على عليه السلام بمحمد صلى الله عليه وآله ((فأرجف به المنافقون

وقالوا: إن خلفه إلا استثقالا له وتخففا منه))، وهذا الاعتراف يعنى ضمنيا كذلك أن

المنافقين كانوا يريدون دفع علىّ عنوة لمغادرة المدينة، لكى ينفذوا مخططهم الذى تخوف

منه النبى. وقد قال ابن هشام: ((أخذ على بن ابى طالب سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول

الله صلى الله عليه وآله وهو نازل بالجرف (أحد جبال المدينة) فقال له: يا نبى الله زعم المنافقون أنك

إنما خلقتنى أنك استثقلتنى، وتخففت منّى، فقال: كذبوا، ولكنى خلفتك لما تركت

ورائى فارجع، فاخلفنى فى أهلى وأهلك، أفلا ترضى يا على أن تكون منّى بمنزلة

هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبىّ بعدى، فرجع علىّ إلى المدينة، ومضى رسول الله على

1- سيرة ابن هشام، ج٤، ص ١٤٨

2- ينظر: السيرة النبوية، سامى البدرى، ص ١٩١ عن ميزان الاعتدال ١ / ٥٦١

سفره))(1)

هنا أود القول أن حركة الإمام علىّ عليه السلام لم تكن بدافع الجهل السياسى كما قد يتصور

بعضهم؛ وإنما جاءت لتؤكد للسياسيين عمق العلاقة التى تربطه بالنبى لكى لا يتحركوا

فى داخل المدينة للعبث فيها.

فإذا كان المنافقون قد تخلفوا عن الغزوة بكاملهم، فمن كان المسؤول عن محاولة

قتل النبى صلى الله عليه وآله بعد أن برّأ المنافقون تخلفهم؟ وهل كان الصحابى والوجه المعروف(أبو

موسى الأشعرى) بطل التحكيم فى صفين من المنافقين؛ وهو الذى اتهم بأنه كان ممن

تآمروا على النبى فى العقبة؟ إن أغلب الروايات حصرت عددهم باثنى عشر منافقاً(2)

أما الواقدى فقد أبان: انهم ثلاثة عشر شخصا (3)، وكان أبو موسى الأشعرى واحدا

منهم(4)

ومن روايات كتب التاريخ والسيرة عن هذه الغزوة يتبين أن المنافقين أجمعهم كانوا

قد تخلفوا فى منطقة الجرف وأماكن أخرى كما قلنا، وحتى باقى المنافقين تخلفوا فرادى

فى الطريق، ولم يذهب أىّ منهم إلى الحرب مع النبى صلى الله عليه وآله، بل هناك عدد لا بأس به من

المسلمين أنفسهم تخلفوا عنه؛ ومع ذلك تحدثت الروايات عن مؤامرة حيكت بعناية

للتخلّص من النبى صلى الله عليه وآله فى طريق العودة، قالت عنها النقول: إن النبى فى طريق العودة

من الغزوة وعند وصوله إلى (العقبة) أخبره الوحى بخبر المتآمرين الموجودين فى جيشه

1- السيرةالنبوية،ج٤، ص ١٣٥

2- أخرجها البيهقى فى الدلائل عن ابن اسحاق. ينظر: التقية، نزيه محى الدين، كتاب الكترونى، شبكة الفكر ص ٣٠٤

3- مغازى الواقدى، ص ١٠٤٤

4- المصدر نفسه، ص١٠٤٣ ومسند أحمد ٥ / ٣٩٠-٣٩١

ونيّتهم الغدر به وقتله، فلما بلغ العقبة أرادوا أن يسلكوا معه، فقال للناس: اسلكوا

بطن الوادى فإنه أسهل لكم وأوسع، وسلک هو العقبة بعد أن أمر عمّار بن ياسر أن

يأخذ بزمام الناقة ويقودها، وأمر حذيفة بن اليمان أن يسوق من خلفه، ولكن المتآمرين

لم ييأسوا من افتراقهم عنه، فبينما رسول الله صلى الله عليه وآله فى العقبة؛ ا(إذ سمع حس القوم قد غشوه

فأمر حذيفة بردّهم))(1)

1- ينظر: البداية والنهاية لابن كثير الدمشقى ٣ / ٣٢٧ وسنن البيهقى الكبرى ٩ / ٣٣ وأنساب الأشراف للبلاذرى، ص ٢٣٦

نشاط السياسيين فى عصر البعثة

اشارة

أثبتت تلك المراحل المتقدمة من العمل السياسى أن هناك مناهج سياسية مختلفة عن سابقاتها تولد من رحم المرحلة التاريخية لتتوائم معها؛ فخلال مرحلة البعثة المشرفة بطوريها المكى والمدنى كانت للسياسيين قواعد عمل يسيرون وفق منهجيتها، وكانت مشاريعهم تتحرك بشتى الاتجاهات وبآليات مختلفة؛ ولكنها تجتمع على هدف واحد وهو القضاء على الرسالة وقتل الرسول، وكان مشروعهم السياسى فى هذه الحقبة مقسماً إلى مراحل:

المرحلة الأولى:

إضعاف الوهج النبوى وتقليل شأن شخصية النبى فى الحياة العامة عن طريق إظهاره بمظهر الإنسان البسيط الساذج الذى لا يعرف أبسط قواعد الحياة مثل جهله بأن النخيل يحتاج إلى التلقيح لكى يثمر ويعطى رطباً، ولهم فى ذلك أحاديث وأحداث كثيرة وجدت طريقها إلى كتب الصحاح والموروث الفكرى بعد أن كتبوا تاريخ الأمة وكتب صحاحها؛ وهم مازالوا إلى الآن يعملون بها لمجرد أنها وردت فى الصحاح لا أكثر، مع يقينى أنهم يرفضوهنا فى دواخلهم، وقد جاء فى سؤال وجهه أحدهم إلى مركز الفتوى السعودى ومفاده: أنى قرأت من حديث طويل فى أحد الكتب للرسول صلى الله عليه وآله قوله: ((أنتم أعلم بأمور دنياكم)) ولم أجد سنده.. فإذا كان هذا الحديث صحيحا فما هو مقصده الشرعى وهل يجوز لنا أن نعممه على سائر الأمور الدنيوية لنا أو بعبارة أخرى هل يمكن شرعا للناس الاجتهاد الفردى بناء على العقل فى أمور تنفعهم فى دنياهم؟.

ص: 65

فكان ردهم عليه: أما بعد: فإن ما ذكرته هو جزء من حديث صحيح، فقد أخرج

مسلم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله مر بقوم يلقحون النخل فقال: لو لم تفعلوا لصلح،

قال: فخرج شيصاً((تمرا رديئا)) فمر بهم فقال: ما لنخلكم؟ قالوا: قلت كذا وكذا..

قال: أنتم أعلم بأمور دنياكم. كما نذكره ابن خزيمة فى صحيحه، وابن حبان فى صحيحه

وغيرهم بروايات مختلفة.

وقد بوب له النووى فى شرحه على صحح ملم فقال: باب وجوب امتثال

ما قاله شرعاً دون ما ذكره صلى الله عليه وآله من معايش الدنيا على سيبل الرأى. فذلک هو المقصد

الشرعى وهو عام فى سائر الأمور الدنيوية، فيمكن لكل فرد أن يجتهد فى أموره الدنيوية

الخاصة بما يناسبه وينفعه، فله أن يبنى داره – مثلاً– إلى أىّ جهة تناسبه، ويزرع مزرعته

بما يفيده. فلا دخل للشارع فى ذلک؛ اللهم إلا من ناحية تقنينه للمسائل، مثل تحريمه

للإسراف أو التقتير أو الاضرار بالافراد ونحو ذلک من الأمور العامة التى تجرى فى كل

المسائل تقريبا(1) ولكننا نلحظ قبالة هذه الفتوى الشاملة وجود جماعة أخرى من نفس

هذه الفئة تفتى ببطلان هذه الرواية، فقد أبطلها (ملتقى أهل الحديث)(2) ولا أدرى

1- مركز الفتوى، الفتوى رقم: ٥٧٧٤٢. الرابط 47561

2- بقولهم: يورد مسلم فى صحيحه عدة روايات فى الموضوع أو الباب الواحد تكون الرواية الأولى هى التى على شرط الصحة، أما ما يأتى به بعدها فى نفس الباب فلمجرد الزيادة والاستشهاد مع أنها بأسانيد ضعيفة أحيانا كما أنه كان يرتب روايات الاستشهاد ترتيبا نازلاً فيجعل أضعفها فى آخر الباب. فإذا كانت الروايات الآتية بعد الرواية الأولى موافقة للرواية الأولى فى بعض الجمل أو العبارات كانت هذه العبارات هى محل الاستشهاد، وأما ما كان فيها من عبارات ليست فى الرواية الأولى فلسيت محلا للاستشهاد ولا يحتج بها لأنها ضعيفة أحيانا. بل تكون أحيانا موضوعة يجزم بنفى نسبتها إلى النبى ويجزم بأنها إنما نسبت إليه من قبل بعض الرواة كذبا أوخطئاً. فعند الرجوع إلى هذا الموضع فى صحيح مسلم، نجده يروى بسنده حديث النبى صلى الله عليه وآله فى الرواية الاولى الصحيحة، وليست فيها هذه العبارة (أنتم أعلم بأمر دنياكم) ولا حتى فى الرواية التى بعدها ولم ترد هذه العبارة إلا فى آخر وأضعف رواية فى الباب وهى رواية ضعيفة الإسناد لا يحتج بما جاء فيها من عبارات زائدة. وحتى إذا افترضنا أن إسنادها يظهر عليه الصحة فإنها تكون حين إذ رواية شاذة والرواية الشاذة مردودة عند علماء السنة. إذن، هى رواية معلولة المتن من جانب وشاذة أو منكرة من جانب آخر. الرواية الاولى صحيحة الإسناد فهى بعد

ذكر مسلم لإسناده كالتالى: ((عن موسى بن طلحة عن أبيه قال مررت مع رسول الله صلى الله عليه واله بقوم على رؤوس النخل فقال ((ما يصنع هؤلاء)) ((فقالوا يلقحونه يجعلون الذكر فى الأنثى فيلقح، فقال رسول الله صلى الله عليه واله ((ما أظن يغنى ذلك شيئا)). قال فأخبروا بذلك فتركوه فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك فقال ((إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإنى إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذونى بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فإنى لن أكذب على الله عز وجل)) ينظر: أهل الحديث، الرابط:http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthead.php?t=15846

أيهما على خطاء.!

وفى أكثر من مناسبة قللت السياسة الدنيوية من قيمة النبى صلى الله عليه وآله وآله ولاسيما يوم وضعتهم فى كفة موازية للكفة التى وضعت فيها السياسيين القادة وربما نافت كفة السياسيين عليهم؛ لكن الله سبحانه يأبى للشر أن ينتصر ويأبى للحقيقة أن تبقى مغيبة فأوكل أمر إماطة اللثام عن المستور للمؤمنين من المسلمين والعقلاء من غيرهم وها هو أحد العقلاء من غير المسلميين يفند منهج السياسية الدنيوية المتحيز ويكشف مستورها وهو عالم الفلك والرياضيات والمؤرخ (مايكل هارت) الذى قام بالبحث فى التاريخ عن الرجال الاكثر تأثيراً على البشرية وأحصى منهم آزوس – أرسطو – بوذا — كونفوشيوس — هتلر- أفلاطون — زرادثت — وأدرجهم بكتاب أطلق عليه اسم (الخالدون مائة) أو (القمم مائة) وقام بترتيب تفوقهم من حيث تقييم درجة التأثير وقيمته فوضع نبينا الكريم الرسول محمد صلى الله عليه وآله بالمرتبة الاولى، والنبى عيسى فى المرتبة

الثالثة والنبى موسى عليه السلام فى المرتبة الأربعين، وعلل سبب تفضيله النبى محمداً على غيره

من الأنبياء والمفكرين العظام: بأن محمد صلى الله عليه وآله لعب دورا فى ازدهار الإسلام يفوق فى

أهميته كثيرا ما قام به السيد المسيح عليه السلام ازدهار المسيحية لآن ازدهار الأخرة يعود إلى

القديس بولس الذى يعتبر المطور الأصلى للاهوت المسيحى والناشر الرئيس للمسيحية

ومؤلف قسم كبير من العهد الجديد. بينما يعتبرمحمد صلى الله عليه وآله المسؤول عن العقيدة الإسلامية

بجانب خلقه الأساسى ومبادئه الأخلاقية. فضلا عن أنه لعب الدور الرييس فى الدعوة

للدين الجديد، وفى تأسيس التطبيق الدينى للإسلام؛ أما شرف تأسيس المسيحية فيجب

تقسيمه بين المسيح عليه السلام والقديس بولس. بل ويعتقد (هارت) أن بولس هو المؤسس

الحقيقى للمسيحية.

المرحلة الثانية:

إبراز وتعظيم شخصيات محسوبة على السياسيين لتقف قبالة الشخصيات العظيمة

التى رفعها الإيمان إلى الدرجات العلى؛ من خلال الإدعاء بأن خيار المجتمع الجاهلى

القديم هم خيار المجتمع الإسلامى الحديث استنادا إلى حديث موضوع يقول:

((خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام، والحديث رواه ابن حبان مرفوعا: ((أنبأنا

محمد بن الحسن بن الخليل بنسا، حدثنا أبوكريب، حدثنا عبدة بن مسليمان، عن عبيد الله

بن عمر، عن سعيد المقبرى، عن أبى هريرة، قال: قيل: يا رسول الله، أىّ الناس أكرم؟

قل: أكرمهم عند الله اتقاهم• قالوا: ليس عن هذا نسالك. قل:فعن معادن العرب

تسألوننى؟ قالوا: نعم. قال: خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام إذا فقهوا)(1)

وأخرجه القارى عن أبى هريرة))(2)

1- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان البستی أبو حاتم، حدیث رقم ۸۵

2- مرقاة المفاتح شرح مشكاة المصابيح، على بن سلطان محمد القارى، ج 7، ص: ۳۰٦۸ باب

المرحلة الثالثة:

اعتراضهم للمشروع الرسالى الهادف إلى وضع ضوابط العمل والإدارة أثناء وبعد

موت النبى وبعملين كبيرين لا يمكن أن يصدرا من عقل لا يجيد فن السياسة إجادة

تامة؛ وهنان العملان هما:

١ . إبطال العمل بالسنة النبوية ومقولة: ا(حسبنا كتاب الله)) فى القصة التى أوردها

الشهرستانى فى الملل(1) وأوردتها مئات المصادر التأريخية والحديثية الأخرى بما فيها

صحيح البخارى وصحيح مسلم، وهى قصة طلب النبى صلى الله عليه وآله ورقة وقلماً ليكتب لهم ما

لن يضلوا بعده أبداً، وكيف أن مسلمة طلب الأدواة للكتابة التى تكرر وقوعها من قبل

مئات المرّات حتى بلغ عدد الكتب التى كتبوها له ونجت من الضياع والتلف ووصلت

إلينا أزيد من ٣١٦ كتابا، وما ضاع منها ولم يصل إلينا أكثر من ذلك بكثير، وكان كتّابه

الذين ينوف عددهم على الأربعين(2) يستجيبون لها فورا، كيف أن هذه المسلمة وجدت

فى ظرف تأريخى حاسم وحساس من يعرقلها ويمنع النبى من الكتابة؛ فلا ينبرى من

كتّابه على كثرتهم من يستجيب لطلبه، ليكتب له ما كان يريد توضيحه، ولا يسأله أحد

عام كان يريد أن يكتب!

2 . نجاحهم بمنع بعث أسامة من التحرك وتعطيل سيره إلى أن توفى النبى، ومن

ثم وبعد حسم مسألة الخلافة التى بسببها أراد النبى تسيير البعث؛ أسرعوا بدفعه بالقوة

للخروج من المدينة لكى لا يخرج من بين جنده من يعترض على ما حدث. فقصة جيش

المفاخرة والعصبية، حديث رقم ٤٨٩٣ .

1- الملل والنحل، الشهرستانى،ج١، ص١٣-١٤

2- قال الحلبى فى السيرة: فقد ذكر بعضهم أن كتّابه صلى الله عليه وآله كانوا ستة وعشرين كاتباً.. وفى السيرة للعراقى: أنهم كانوا اثنين

وأربعين، ينظر: مكاتيب الرسول،على بن حسين على،ج ١ ،ص٢٢

أسامة الذى أوعب فيه النبى صلى الله عليه وآله وباعتراف أعم المؤرخين وجوه الصحابة وكبارهم

من المهاجرين والأنصار بما فيهم أبو بكر وعمر وابن عوف وطلحة والزبير، وألحّ

النبى صلى الله عليه وآله على تسييره برغم شدة وجعه، بل ولعن من تخلف عنه(1) هى مسلمة أخرى

سبق أن تكرر وقوعها منذ معركة بدر الكبرى؛ وقبلها وبعدها عشرات المرات، كيف

تمت عرقلة تنفيذها وأرجئ تسيير الجيش إلى ما بعد موته، ولحين انتخاب خليفة جديد

ليتوب عنه فى قيادة الأمّة!

المرحلة الرابعة:

المواجهة: وهى بداية المواجهة الفعلية التاريخية بين الخطين والمنهجين يوم تفرغ

الخط الأول لتجهيز النبى وتغسيله وتكفينه وتهيئته للدفن؛ وهرع الخط الثانى إلى سقيفة

بنى ساعدة لاستباق الحدث والهيمنة بالقوة على مقاليد الأمور.

المرحلة الخامسة:

الإعداد المرحلى لتولى السلطة عن طريق تهيئة الأجواء واستغلال الفرص لبناء

قواعد الانطلاق بكل ما أوتى المشتغلون بالسياسة من صبر وجلد ومطاولة. ومع بدء

هذه المرحلة تغير المنهج السياسى وبدأ التخطيط الجدى للحسم.

1- ينظر: النظم الاسلامية الدكتور صبحى صالح ص 79

السياسة و الدولة

هنا قد يقول قائل: إذا كان العرب بهذا المستوى الرفيع من الإدراك السياسى، فلم

لم يتجحوا لا فى الجاهلية ولا فى صدر الإسلام فى تأسيس نظام سياسى عربى له قدرة بناء

دولة موحدة، كما هو الحال فى زمن الأمويين مثلا؟

وأقول جوابا: لأن التظام القبلى الذى كان أبناء القبيلة يرون فيه ضماناً أكثر من

ضمان النظم الأخرى هو الذى خلف حالة التفكك السياسى الذى حال بدوره دون

تجمعهم لإنشاء نظام دولة. فضلاً عن ذلك يتبين بوضوح أن النزعة القومية لم تكن

واضحة الملامح فى ذلك المجتمع، بل كانت النزعة العصبية القبلية هى الأقوى،

ومع ذلك (نجد النظام القبيى ينبرى ليكون دعامة الحياة السياسية فى الممالك العربية

والإمارات التى قامت فى جنوب جزيرة العرب وفى حوارض الحجاز والإمارات العربية

فى تحوم الشام والعراق)(1)فبدا جهدهم فطرياً بعيداً عن العلمية وفى منتهى البساطة،

فأوهم الكثير من الباحثين الذين وصفوا الحراك السياسى بما يدل على فطريته: (إن هذه

الصور من النزاع لم تكن إلا نماذج لبعض المنازع الفطرية البشرية)(2) مع أن الحراك على

بساطته يؤكد بما لا يقبل الشك أن العمل السياسى العربى يمتلك جذورا علمية وعملية

تحولت إلى موروث ثقافى وخيرة متراكمة انتقلت إلى الأبناء والأحفاد، بل تجد الأوائل

أنفسهم بعد أن اعتنقوا الإسلام وعملوا فى صفوف الدولة الإسلامية ينجحون من

1- ينظر: التأريخ السياسى والحضارى للدولة العربية، السيد عبد العزيز سالم، ص ١١

2- النظم الإسلامية، مصدر سابق، ص ٨٤

خلال العمل السياسى فى إحداث تغيير لا يقدر على التخطيط له وتنفيذه إلا العقل

السياسى الجبار المتمرس.

وفضلاً عن ذلک خذ مثلاً، تمكنهم من تعيين ثلاثة من الخلفاء الآربعة وقتل الأربعة

واحدا تلو الآخر، وهو ما قال عنه إبراهيم بيضون فى حديثه عن قتل الخليفة عمر: ((إن

الفئة المتهمة بأنها حاكت مؤامرة الاغتيال من المفترض أيضا أنها نسجت بإتقان مشابه

شخصية البديل بما يتوافق والحوافز المحركة لهذه الفئة التى جمع بينها الموقف المشرک

من الخليفة، دون أن تكون بجميع عناصرها منتمية إلى اتجاه سياسى واحد))(1)

وهذا الرأى ليس يتيام بالتأكيد؛ إذ تماهى معه الدكتور صبحى الصالح فى حديثه

عن الخليفة عثمان بقوله: ((فإن عثمان لم ينتخب بإجماع ولا شبه إجماع، ولم ينتخبه الخليفة،

ولم يكن ليرز على الناس أو يظهر بعلمه كعلى أو حزمه كعمر أو سياسته كأبى بكر، وإنما

أعانه على تولى الخلافة أمويته وقرشيته))(2)

ومع أنى أتحفظ فى قسم من هذا الرأى إلا أنه من حيث المضمون يؤكد وجود

قوى متعددة مسيطرة متسلطة متحكمة كانت تتحكم بمسير الأحداث وتوجهها إلى

الجهة التى تريدها؛ أما تحفظى فهو وليد الواقع القديم، فالمعروف أن هناک قوى أخر

لم تكن بأقل من هذين العاملين ولكنها لم تنجح فى دفع رجالها إلى سدة الحكم كما فعل

السياسيون وهم الذين وصفهم النص بالأمويين القرشيين.

إن فى موروث العرب المسلمين الأوائل الكثير من الإلماعات السياسية الناهضة

والمتطورة، منها على سبيل المثال لا الحصر أن الحرب الإعلامية المصادة فن لم يعرف

1- من دولة عمر إلى دولة عبد الملک، الدكتور إبراهيم بيضون، ص ٩٦

2- النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها، الدكتور صبحى الصالح، ص ٩٠

ولم يوظف فى الحروب بشكل علمى إلا فى أربعينات القرن الماضى وتحديداً فى الحرب

الكونية الثانية، وبعد أن تطورت وسائل الاتصال وطرائق نقل المعلومة لمسافات كان

الوصول إليها مستحيلاً، بما فيها المواقع خلف خطوط العدو، حيث استخدم الراديو

ذلک الاختراع الجديد المدهش، والطائرات تلک الآلات المحلقة ذات القدرات الكبيرة

لبث الأخبار الكاذبة وتوزيع المنشورات المحرضة والمثبطة للعزائم. لكننا نجد الفكر

السياسى العربى القديم فناناً مبدعاً ومبتكرًا فى توظيف هذا الفن بأرقى صوره برغم

ضعف الإمكانات المتاحة، ونجد لهم فيه وقائع كثيرة تدل على عبقرية نادرة، من أمثلتها

ما نقله اليعقوبى عن استخدام لخليفة الأموى معاوية بن أى سفيان لهذا الفن فى حربه

مع الإمام حسن عليه السلام، فقال: (اوكان معاوية يدس إلى عسكر الحسن عليه السلام من يتحدث

أن قيس بن سعد قد صالح معاوية وصار إليه! ويوجه إلى عسكر قيس من يتحدث أن

الحسن عليه السلام قد صالح معاوية وأجابه))(1)

وضمن التوجه الإعلامى المضاد سه وجه معاوية وفدا إلى الحسن بن على عليه السلام

يتكون من المفيرة بن شعبة وعبد الله بن عامر بن كريز وعبد الرحمن بن أم الحكم،

وأتوه وهو بالمدائن نازل فى مضاربه، ثم خرجوا من عنده وهم يقولون ليمعوا الناس

ويوهمونهم: إن الله حقن بابن رسول الله الدماء، وسكن به الفتنة، وأجاب إلى الصلح!

فانخدع الناس واضطرب العسكر ولم يشک الناس بصدق هؤلاء الكذابين؛ لأن

الحسن عليه السلام. لم يكن قد وافق على الصلح فى حينه، فانتهبوا مضاربه وما فيها.(2)

وخذ مثلاً اعراف أبى سفيان بأنه ومن معه كانوا يسعون منذ زمن طويل للاستيلاء

على السلطة، هذا الاعتراف الخطير الذى نقله المسعودى، يقوله: ((وقد بلغ عمار حين

1- تأريخ اليعقوبى ج 2 ن ص 214

2- ينظر: تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 215

بويع عثمان قول ابى سفيان فى دار عثمان عقيب الوقت الذى بويع فيه عثمان وقد دخل

داره ومعه بئو أمية، قال أبو سفيان: أفيكم أحد من غيركم؟ وقد كان عمى. قالوا: لا.

فقال: يا بئى أمية تلقفوها تلقف الكرة فوالذى يجلف به أبوسفيان ما زلت أرجوها

لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة.

ونما هذا القول بين المهاجرين والأنصار، فقام عمار فى المسجد [خطيباً] فقال: يا

معشر قريش، أما إذا صرفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم، ههنا مرة، وههنا مرة فما

أنا بآمن من أن ينتزعه الله منكم فيضعه فى غيركم، كما نزعتموه من أهله ووضعتموه فى

غير أهله))(1)

ومن هذا الاعراف الخطير تدرک مقدار وسعة إطلاعهم السياسى وتنوع

طروحاتهم ورؤاهم، فأبو سفيان نفسه الذى استشف من تداعى الأحداث بعد تعيين

ابى بكر خليفة فى مؤتمر السقيفة أن المعارضة الأنصارية هزمت، وهزم السياسيون معها،

ويتوجب البحث عن قوة معارضة شديدة لتتولى التغيير أو مجرد االعتراض لكى تنشب

الفتنة أظفارها فى المجتمع؛ هو من ذهب إلى الإمام على بن أبى طالب عليه السلام؛ وقال له:

ابسط إلى يدک حتى أبايعک!! فرد عليه الإمام عليه السلام بشدة؛ وقال: إنک والله ما أردت

بهذا إلا الفتنة، والله طالما بغيت الإسلام شرًا، لا حاجة لنا فى نصيحتک)(2)

بالمناسبة هناک العديد من المكائد التى أطلقها أبو سفيان، ومنها انه لما سمعت

هوازن بفتح مكة المكرمة جمعها مالک بن عوف مع ثقيف كلها، ونصر، وجشم كلها،

وسعد بن بكر، وبنى هلال، لحرب الإسلام. وكان النبى صلى الله عليه و آله حينها فى مكة بعد أن

1- المسعودى، مروج الذهب ج ٢ ص ٣٥١

2- ينظر: تأريخ اليعقوبى، ج٢، ص ١٢٦

افتتحها؛ فلما سمع بهم النبى خرج بعشرة ألاف من المسلمين وألفين من أهل مكة الذين

أسلموا بعد الفتح، وحينما دخل الجيش وادى حنين انقض عليهم الأعداء الكامنين

فانهزم المسلمون ورسول الله يناديهم: لآهلموا إلى، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد

الله)). ولم يبق معه إلا أهله ونفر من المهاجرين، وهنا أظهر أبو سفيان بن حرب ما به من

ضغن(1) للإسلام مع أنه كان مسلماً فقال شامتاً ومستهزئاً: لا تنتهى هزيمة المسلمين

دون البحر، وإن الأزلام لمعى فى كنانتى(2)، بمعنى انه اعرف بالكفر، فالعقل يقول

أنه كان كافراً، والقرآن كذلک لأن مجرد أحتفاضه بالأزلام فى كنانته وهى رجس كما فى

قوله تعالى:(أنما الخمر پ الميسر و الانصاب و الازلام رجس من عمل الشيطن فاجتنبوه)يعنى أنه

يرفض اجتنابها لأنه يؤمن بها.

التنقل عبر و الخطوط

فضلا عن ذلک تجد السياسيين خلال تلک الحقب يتنقلون من جهة إلى أخرى ومن

اتجاه إلى آخر بشكل يدعو إلى التعجب، لأن الذين شخصوا هذه الحالة لم يكن لديهم

تصور عن حجم هذا الحراک السياسى والغاية منه؛ مع أنه يدل على ذكاء سياسى متقد

واندكاک فى دنيا السياسة بلا حدود. خذ مثلاً: اصحابيين طلحة والزبير اللذين ذهبا

إلى على ليبايعاه خليفة؛ ثم تجدهم بعد أيام معدودات تخرجون لقتاله فى حرب الجمل.

وخذ مثلاً يعلى بن أمية والى عثمان الذى سرق بيت مال المسلمين بعد مبايعة على ثم تبرع

بقسم كبير منه إلى جيش الجمل؛ تجده بعد حين فى صفوف جيش على مقاتلاً فى صفين

ضد معاوية وأهل الشام المعادين لعلى، بل وتجده قتيلاً فيها أيضًا (3) حيث تقول الرواية

1- اضغن:العداوة والكره

2- السيرة ٤/ ٧٧

3- ينظر:الكامل لابن الأثير ج١٣، ص ٣٠١

إن: يعلى بن منية(1) عامل عثمان على صنعاء تحرك فى أحد اتجاهات التآمر فيبادر إلى سرقة

أموال بيت المال فى اليمن بعد مبايعة الإمام على مباشرة واللجوء إلى مكة والتحصن

فيها، فلما التقى بطلحة والزبير بعد قدومهم إليها أعانهما بأربعمائة ألف، وحمل سبعين

رجلاً، واشترى لعائشة جملاً بثمانين ديناراً (2) وفى رواية ابن الأثير فى الكامل: ((وجهزهم

يعلى بن منية بستمائة بعر وستمائة ألف درهم))(3) وفى رواية اليعقوبى:((وقدم يعل بن

منية بمال من اليمن قيل إن مبلغه أربعمائة ألف دينار فأخذه منه طلحة))(4)

كل ذلك لكى يشجعهم على المضى فى مشروعهم لإضعاف حكومة على من جانب

والتخلص منهم، بوصفهم منافسين محتملين، من جانب آخر. لكن الغريب جدًا والمحير

للفكر، بل ما يشل التفكر كليًا ويعطل الحواس هو أن تسمع بوجود يعلى بن منية بعد

هذا التأريخ فى صفوف جيش على مقاتلاً فى صفين ضد معاوية وأهل الشام المعادين

لعلى، بل وتجده قتيلاً فيها أيضاً (5) فكيف تحول من الغرب إلى الشرق؟ ولماذا؟ وتحت

أى دافع؟ أليت هذه الواقعة وهذا الحضور من الأسرار التأريخية المحيرة الكبرى؟

هل كان يعلى بن منية مع جيش الخليفة على عليه السلام لتنفيذ بعض صفحات المؤامرة

مثلاً، أم أنه أحس بخطئه فتاب وطلب الغفران من خلال المشاركة مع جيش الخلافة

الشرعية، وقتال أعدائه؟ وإذا كان علياً للمتآمرين ضمن صفوف جيش على وما أكثرهم

كما يروى لنا التأريخ وتبين لنا الشواهد، فلم قتلوه؟ هل قتل بطريق الخطأ، أم لتصفية

1- يعلى بن منية: كان يسمى باسم أمه منية أما أسم ابيه فهو أمية ولذا يرد فى بعض الأحيان تحت اسم يعلى بن أمية

2- ينظر: الجفر والفتن، ص ٣٠

3- الكامل، ابن الأثير، المجلد٣،ص ١٧٨

4- تأريخ اليعقوبى، ج٢، ص ١٨١

5- الكامل لابن الأثير ص ٣٠١

الحساب؟ أى: للتخلص منه بوصفه تاجرًا صاحب حق تبرع لهم بماله، ويحب أن

يحصل مقابل ذلک على حقه وأرباحه ومردود تجارته، فجاء قتله لمنعه من إثارة المشاكل

للمتآمرين فى المستقبل!

وبعد أن أسهم الزبير بن العوام فى قتل جمع غفير من مسلمى أهل البصرة الذين

كان يعتقد أنهم اشركوا فى قتل عثمان، لم ينجح فى قتل (حرقوص بن زهير السعدى)

أحد رؤوس التآمر؛ الذى التجأ إلى عشيرته بنى سعد فمنعوه، وحرقوص يظهر فى هذه

اللقطة أحد الثوار الذى اشتركوا فى قتل عثمان، ولكنک تجده فى سنة سبع وثلاثين فى

الكوفة قرب على عليه السلام، واحداً من أتباعه، ثم تجده بعد التحكيم يخرج مع زرعة بن البرج

الطائى ليكفر علياً وليقول له: (لا حكم إلآ لله) ويقول له: ((تب من خطيئتک وارجع

عن قضيتک)) ثم تجده بعد ذلک مقتولاً فى النهروان مع الخوارج الذين قاتلوا عليًا! (1)

أبو موسى الاشعرى كان والو لعثمان على الكوفة حتى تولية الإمام على الخلافة

وإلى تأريخ وقوع معركة الجمل وهو فى منصبه دون تغيير، فأرسل الإمام إليه كتاباً مع

محمد بن ابى بكر، ومحمد بن جعفر، فلما أمسوا دخل الناس على أبى موسى؛ فسألوه

عن الخروج لمقاتلة جيش الجمل؛ فثبط عزائمهم ومنعهم من الخروج؛ وقال: ((إنما هما

أمران: القعود سبيل الآخرة، والخروج سبيل الدنيا فاختاروا))(2)

وفى رواية أخرى ذكرها اليعقوبى: ((ووجه (الإمام على) الحسن عليه السلام وعمار بن

ياسر فاستنفرا أهل الكوفة، وعامله يومئذ على الكوفة أبو موسى الأشعرى، فخذل

الناس عنه))(3) ومع ذلک نجد الأشعرى بعد حين ضمن صفوف جيش الإمام على عليه السلام

1- ينظر: الكامل فى التأريخ، المجلد٣ص ٢٨٦

2- الكامل فى التأريخ، مجلد٣ ص ١٩٣

3- تأريخ اليعقوبى؛ج 2.ص 181

فى صفين، فهل كان وجوده مخططاً له من لدن السياسيين المتآمرين؟ هل كان وجوده هناك من ضمن المخطط السياسى الكبير الذى أعده بطل السياسة العربية الداهية عمرو بن العاص الذى كان صاحب فكرة التحكيم فى صفين، لكى يكون ممثلهم الخفى فى مباحثات التحكيم؟(1) وأرى أن الجواب بنعم على هذه الأسئلة لا يجافى الحقيقة، فأبو موسى كان من الطامحين للسلطة، والباحثين عن الملك، ومعاوية نفسه شخص فيه هذه الصفة، كما فى الخبر الذى أورده الثقفى فى الغارات قال:((لما قدم معاوية النخيلة أتاه أبو موسى (الأشعرى) وعليه جبة سوداء وبرنس أسود(2) ومعه عصا سوداء. وعن محمد بن عبد الله بن قارب قال: إنى عند معاوية لجالس إذ جاء أبو موسى، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، قال: وعليك السلام. فلما تولى، قال: والله لا يلى هذا على اثنين حتى يموت))(3)

وفى كل هذا التلون دلالة على التمكين والتطوير لا تجدها إلا عند كبار السياسيين، وفى ذلك دلالة على عبقرية السياسيين العرب، ولكن هل يستحق ذلك كله الفخر والزهو والتباهى بالمنجز الكبير بعد أن حقق انتصارات كبيرة، أم التستر والكتمان والختل، ولماذا فضلوا الكتمان؟

التكتم على دور العرب السياسى

فضلا عن التنقل بين الخطوط تجد هناك التكتم الشديد على الدور الساسى، الذى لا يقل عجباً عن صاحبه حيث نجد أن التكتم الذى مورس تأريخيًا على دور العرب المسلمين السياسى أثر كثيرًا فى قرارات واستنتاجات من جاء بعدهم، ولاسيما منهم

1- تأريخ اليعقوبى، ص ٣١٦

2- البرنس: قلنسوة طويلة كان النساك يلبسونها ذلك الزمن

3- ينظر:الغارات، ص ٤٥١

الكتاب والمؤرخين، فاحتاروا بين أن تكون هناك برامج سياسية عربية ناهضة، وبين أن يكون العرب من الأمم التى كانت تجهل العمل السياسى، وما تأكد لى من خلال البحث والمتابعة أن المجتمع الإسلامى الأول عرف السياسة بكمال ألوانها وصيغها وألاعيبها ودناءتها وخياناتها ومؤامراتها، وأنه مارس العمل السياسى فعلاً و قولاً، وأجاد الصنعة وأحسن الفن بحيث نجح فى تمرير طبخات عظيمة دون أن يشعر بها المخالف أو يفضح أمره، وأنه نجح فى تغطية هذه المؤامرات وعصبها برأس من لا ناقة لهم فيها ولا جمل لكى يبرئ نفسه منها، ويظهر بمظهر الحريص على الدين والحاكم الشرعى بأمره، ومن هذه الطبخات؛ مقتل الخلفاء الأربعة:أبى بكر وعمر وعثمان وعلى؛ وهو ثمن غال جدًا دفعته الأمة المسلمة، ودفعته العقيدة مقابل سعى هؤلاء السياسيين إلى نيل المناصب التى كانوا يناضلون للحصول عليها. وإذا ما كان النبى الأكرم! قد عمل بجد للقضاء على الشحناء والأحقاد السياسية التى شخص وجودها فى المجتمع الأول، ونجح فى كبتها وتحجيمها، فإن ما حدث بعد موته مباشرة يثبت أن مجايلة بعض أهل المدينة لعصر البعثة وجيل الصحابة لم يجوهر إيمانهم الحقيقى بالعقيدة بقدر ما جوهر تطلعانهم السياسية، ولذا نرى (أن جميع الأحقاد السياسية التى كان النبى قد كبتها بنفوذه الأدبى لم تلبث أن ذرت قرنها)(1)

الأنساق السياسية

فضلاً عن ذلك كانت هناك أنساق ومناهج سياسية متباينة بعضها محلى موروث، والآخر وافد مكتسب اجتمعت سوية، لتؤيسس بادرة الثقافة السياسية الإسلامية التى قادت الأمة. ومن خلال ما تحدث به المؤرخون عن النظام الإدارى العربى الإسلامى يتبين اكتساب العرب المسلمين للنظم الإدارية من الحضارات السابقة

1- تأريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان، ج ١ ، ص ٩٨

(الفرس والروم)(1) ويتبين أنهم ورثوا عنهم أيضًا فكرهم ١لسياسى بعد أن شذبوه من خصوصيته وأسبغوا عليه روحًا عربية جعلته أقرب إلى أنماط حياة العرب القاسية التى لا تزال روح البداوة سابتة فيها منه إلى أصوله التى وفد منها، ومن أمثلة إرثهم لمبادئ النظم الادارية غير العربية، تقسيم الخليفة عمر بن الخطاب الدولة الإسلامية إلى ثمانى ولايات، فهذا التقسيم الادارى ليس من موروث الفكر العربى، ولا من بنات أفكار الخليفة، بل هو مأخوذ من النظم الإدارية السياسية للحضارات الأخرى، كذلك يرى على حسنى الخربو طلى فى مسألة تشكيل القوة البحرية العربية أول مرة فى التأريخ العربى أن: (العرب كانوا فى الأصل مدينين للبيزنطيين فى هذه الناحية من الفنون الحربية)(2)، وهذا لا يعنى أن المنظومة السياسية العربية كانت قاصرة عن تحقيق غاياتها؛ فالعرب كانوا على قدر كبير من الفهم والتقدم الفكرى الذى جعلهم قادرين على تطويع واحد من أصعب العلوم المعاصرة لخدمة قضاياهم، وتوظيفه للوصول إلى سدة الحكم، ومنافسة من هم أكثر استحقاقاً، وأجدى نفعًا للدين والأمة، ألا وهو علم السياسة.

ولو كان الإداريون المسلمون قد اهتموا بشأن المنهج السياسى العرفى كما هو اهتمامهم بشأن الجانب المالى مثلاً; لكان لدينا اليوم خزيناً ثرياً وتصوراً واضحاً عن كل تلك الحراكات السياسية؛ ولكنهم أغفلوا الإشارة إلى هذا الجانب بمعناه الحقيقى، وأشاروا إليه من خلال إلماعات تهتم بمسألة الدهاء و الخداع و غير ها من الطباع من دون أن يربطوا هذه الصفات بالسياسة، بالرغم من كونها من أوضح صفات السياسيين، ثم إنهم أسموا تلك الحراكات ب_(الفتنة)؛ وأنا أرى أن مصطلح الفتنة مأخوذ من الفلسفة السياسية التى لم تكن قد أصبحت علماً قائماً بذاته فى ذلك التأريخ؛ فاستعاضوا عن كلمة

1- ينظر: الحضارة العربية الإسلامية، على حسنى الخربوطلى، ص ١٨

2- الحضارة العربية الإسلامية،ص ٦٣

(سياسة) بكلمة مرادفة هى (فتنة) التى قصدوا بها الحراكات التى وقعت فى زمن عثمان تحديداً، وما تلاه من العصور الإسلامية القريبة منه بدوافع سياسية بحتة وأغفلوا ما وقع قبل هذا التأريخ.

وللدكتور صبحى الصالح رأى ناضج؛ يقول فيه: ((وأمهات الكتب القديمة فى (النظم الإسلامية) التى حملت اسم (الأحكام السلطانية) لم يفتها الفصل بين تينك الزمرتين من النظم، ولكن ما اكتنف عباراتها من الغموض فى (أحكام) الفقيهين الماوردى (الشافعى) وأبى يعلى (الحنبلى) لم يتح لنا ولا للباحثين قبلنا الوقوف على الأطوار التأريخية والأنماط الحضارية والظروف البيئية والجغرافية التى مر بها كل نظام على حدة من قبل أن يأخذ صيغته النهائية (الرسمية) فى تعاليم الإسلام))(1)

وأرى أن هذا الرأى على قدر كبير من الصحة، ولكنه بالتأكيد لا يغطى كل جوانب الحقيقة، وإنما يغطى جزءاً منها، وجزءاً صغيرًا فقط؛ لأن التغييب المتعمد لأثر النظام السياسى، والذى كان جزءًا من العمل السياسى المنظم، هو المتسبب الأكبر فى هذا الغموض، وإلا فإن النظام السياسى بمفهومه المعاصر كان حاضراً و فاعلاً ومتحكمًا فى مسار الأحداث والتأريخ، وهو الذى شكل الخارطة السياسية الإسلامية بشكلها المعروف حالياً.

وكلما توغلنا فى الحديث عن تعامل العرب المسلمين مع متطلبات المرحلة التى عاشوها بحسناتها وسيئاتها سوف يتضح لنا دور السياسة فى ترتيب البيت العربى الإسلامى وفق هواها، وفى مراحل ساخنة من هذا الحراك قادهم الهوى السياسى بعيدًا عن هوى الدين ومسؤولياته.

1- النظم الإسلامية، د. صبحي الصالح، ص ٨

فضلاً عن ذلک يرى الدكتور عبد الرحمن العزاوى:((أن بدايات التدوين التأريخى

عند العرب مرت بمراحل عبر القرون الثلاثة الهجرية الأولى، لكنها نالت فى القرن

الرابع الهجرى / العاشر الميلادى تطورًا فى المنهج والطريقة))(1) ويتبين من قول آخر

للباحث أن هذا التأخير كان من أسباب وقوع المؤرخ المسلم فى مصيدة الخلط التأريخى؛

حيث قال: ((فإن هذا الموضوع لا يمكن أن يدرک بالنسبة للقرون الثلاثة الأولى للهجرة

ولاسيما القرن الأول والثانى، وأنه لا يمكن التمييز بين التأريخ الحرف والمواد التى

كانت تروى وتقص على أنها مادة صالحة من مواد التأريخ... وليس هذا بدعًا جاءت

به العقلية العربية؛ لأن الارتباک والصعوبة بين المواد التأريخية الأصلية والأساطير قد

مر على كل الأمم المثقفة التى شعرت بحاجتها إلى تدوين سيرها فلما شعرت هذه الأمم

بالحاجة للتدوين صدمتها هذه العقبة))(2)

والذى أراه أن الدكتور العزاوى حاول التغافل عن حقيقة الخلط التأريخى الذى

وقع فى تأرخينا عند تأكيده الفارق الزمنى بين ساعة وقوع الحدث وتأريخ تدوينه وحده،

ناسيًا أو متناسيًا أن هناک حقائق أخر أكثر منه أهمية أسهمت فى تشويه صورة تأريخنا،

وكان بعض التشويه والإخفاء متعمدًا ومقصودًا أمهم فى وضعه المؤرخون والخلفاء

ووعاظ السلاطين بأمر من السياسيين أنفسهم، لكى لا يعرف القادمون حقيقة ما

وقع كما وقع، ويكتفون بما يجدونه فى روايات كتب التأريخ. وبالتالى تنوعت الروايات

ومضامينها. وعلى العموم كان رأى الدولة و سلطانها هو النافذ وحجبت كل الآراء

لأخر، فلم تجد لها مكاناً فى كتب التاريخ، ولكنها لم تمت وتتلاشى، وإنما بقيت فى عقول

وصدور وقلوب فئة من الناس حاقظوا عليها وتداولوها شفاها إلى أن حانت الفرصة

1- المنهجية التأريخية فى العراق، د. عبد الرحمن العزاوى، ص ٨

2- المصدر نفسه، ص 9

المؤاتية فدونت وانتشرت، وحينها بدت للآخرين وكأنها غريبة لأنهم لم يألفوها من

قبل، وهم الذين بنوا قناعاتهم وأحكامهم على ما تم تداوله وتدوينه من قبل، ولذا ليس

غريباً أن تجد بينهم من ينكر وجود فكر سياسى عربى أو إسلامى، أو ينكر حدوث ما فى

المدونات الجديدة!

فمن السذاجة بمكان أن نعتقد خلو المجتمع الإسلامى الأول من العمل والفكر

السياسى، فمن يبحث فى المصادر التى تناولت العصر الجاهلى لابد أن يجد إلماحات

إلى دور السياسة فى ذلك المجتمع الذى سبق الإسلام، يجد ذلك حتى فى كتب الشعر

والأدب، وقد نقل الدكتور محمد البهى عن كتاب الشعر الجاهل قول المؤلف عن عرب

الجاهلية: ((وإذا كانوا أصحاب علم و دين، وأصحاب ثروة وقوة وبأس، وأصحاب

سياسة متصلة بالسياسة العامة، متأثرة بها ومؤثرة فيها، فما أخلقهم أن يكونوا أمة

متحضرة واعية، لا أمة جاهلة همجية، وكيف يستطيع رجل عاقل أن يصدق أن القرآن

ظهر فى أمة جاهلة؟))(1) كما ويجده فى تحرك سياسى بلباس اقتصادى لم يلتفت إليه

المتخصصون، ولم يعطوه الأهمية التى يستحقها؛ ففى التاريخ أن هاشم جد النبى صلى الله عليه و آله

ذهب إلى الشام وأتصل بحاكمها البيزنطى ((وسأله أن يعطى تجار مكة كتاباً يؤمن فيه

تجارتهم وأنفسهم فاستجاب له الحاكم... ويظهر أن هاشماً أو عز لأخوته بأن يقوموا

مع الدول المجاورة بالدور نفسه الذى لعبه فى الشام، نذهب المطلب بن عبد مناف

إلى اليمن... ونهب عبد شمس بن عبد مناف إلى الحبشة... وكذلك حصل نوفل على

ترخيص من الملك الساسانى كسرى، وبذلك طورت قريش بعد ذلك تجارتها وزادت

1- الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاشعار الغربى، الدكتور محمد البهى،ط ٤ ،ص٢١٣، عن كتاب الشعر الجاهلى، ص ١٩٥

ثروتها))(1)

بل وتجد للمستشار محمد سعيد العشماوى فى حديثه عن مؤلفه قولاً يؤكد بما لا

يقبل الشك وجود السياسة فى المجتمع العربى الجاهلى، جاء فيه: ((وإذا كان الكتاب

يهدف إلى بيان أصول الخلافة وطبيعتها وحقيقتها فإنه يعرض إلى الأحداث التى انتهت

به إلى أنها نظام سياسى، ولستت نظاما دينيا وأنها تحتوى كل ألاعيب السياسة وكل

دناياها وكل أخطائها وكل مساوئها وان وصفها بأنها (إسلامية) لم يكن وصفا حقيقيا

يفيد أنها انبنت على قيم الإسلام الأخلاقية))(2)

لكن كيف تسنى للسياسيين إخفاء هذه الحقائق عن الناس، كيف نجحوا فى نزع

جلدهم السياسى ولبس جلود دينية أبعدت عنهم الشك؟ وهل يعنى ذلك ان مقدرتهم

السياسية هى التى مكنتهم من تبرئة أنفسهم من كل تلك المصائب بحجة انهم كانوا

يريدون تصحيح الدين، أم ماذا؟

1- ينظر: دراسات فى تاريخ العرب قبل الإسلام والعهود الإسلامية المبكرة، د. خالد العسلى، إعداد د. عبد السلام رؤوف، ص ٢٤- ٢٥

2- الخلافة الإسلامية، محمد سعيد العشماوى، ط٢، دار سينا، القاهرة، ١٩٩٢

الذين كتبوا التاريخ أخفوا حقائقه

أذكر مرة أخرى بأن المدونات الإسلامية والعربية القديمة لم تكتب بأقلام

محايدة، بل كتبت بأقلام السياسيين والموظفين الحكوميين و وعاظ السلاطين، بل حتى

الأحاديث النبوية جرحت وعدلت وفق نفس المنهجية، ولذا تم تغييب الكثير من

الحوادث والأحداث، بل والنصوص الصريحة، وتم تحريف القسم الآخر، فوصلنا ما

اختاروه هم لا ما كان موجوداً، وما أرادنا النبى صلى الله عليه و آله أن نعرفه، وهؤلاء الذين تلاعبوا

بسنة رسول الله وبالتاريخ كانوا من الموظفين عند السلطان والسائرين على نهجه،

والمؤيدين لخطه، والنفذين لأوامره وخططه، وبالتالى كانوا يختارون ما يعجبه ويرضيه،

ويخفون أو يحرفون ما لا يرضيه، وكان أحياناً يملى عليهم ما يكتبوه.! ومن هؤلاء الذين

تلاعبوا بتاريخنا أسماء بارزة كان لها كبير الأثر فى تحريف الحقائق وصبغ تاريخنا باللون

الذى أراده السياسيون، بعيداً عن لونه الطبيعى؛، ونجد فى ما نكره صاحب (تهذيب

الكمال)(1) عن أحد الرواى الحديث وهو (حريز بن عثمان) الذى كان يشتم الإمام

على بن أبى طالب عليه السلام علناً، عوضاً عن ذكر الله، و ممن اعترف بهذه الحقيقة المرة الإمام

أحمد بن حنبل الذى قال عن حريز:((إنه كان يجمل على على)) ولكن ابن حنبل لم يلتفت

لهذه الخصلة المعيبة فى تقييمه لهذا الراوية؛ فقال عنه: ((ثقة، ثقة، ثقة))، حريز الذى كان

يتطاول على أول القوم إسلامًا يعده ابن حنبل ثقة بالثلاث، فما نوع الأحاديث التى

سيوردها هذا الثقة؟ وأين ستوظف رواياته؟ وماذا ستثمر؟

1- تهذيب الكمال، الجزء الخامس، ترجمة ((حريز بن عثمان)) الحديث المرقم ١١٧٥

وهناک (الجوزجانی) وهومن أئمة الجرح والتعدیل المسؤولین عن توثیق أو تصدیق

أو تسقیط او تضعیف الأحادیث النبویة؛ هو الآخر کان یجاهر ببغضه لعلی وأهل البیت

عامة، فإذا مر علیه حدیث حریز وثقه حتی ولو کان مخالفاً لمنهج الرسالة.

وقد حکم الذهبی وآخرون علی أن ابن إسحاق أحد أشهر کتاب السیرة النبویة

کان مدلسًا، وکان یدفع المال والقصص للشعراء لیضعوا فیها أبیاتاً ینسبها إلی المشارکین

فی الحدث الذی یرید الحدیث عنه، وهناک من قال: إنه کان یأخذ من بعض الیهود. ومع

ذلک جاء المتأخرون وأخذوا بما فی سیرته من مضمون اعتماداً علی ما أورده![(1)]

فی جانب آخر نجد للدکتور الدوری قولاً جاء فیه: ((فالطبری مثلاً من مصادرنا

الجلیلة، ولکن نظرة إلی ما کتبه عن صدر الإسلام تکشف لنا أننا أمام مجموعة من

المؤرخین و غیر المؤرخین استند إلیهم الطیری، مثل أبی مخنف، وسیف بن عمر، وابن

الکلبی، وعوانة بن الحکم، ونصر بن مزاحم، والمدائنی، وعروة بن الزبیر، والزهری،

وابن إسحاق، والواقدی، و وهب بن منبه، وکعب الأحبار..إلخ.. وهم یتباینون فی

الدقة والاتجاه والأسلوب، وفی طریقة الروایة، وکل منهم یحتاج إلی دراسة تأریخیة

خاصة))[(2)]

هکذا نشأ علم التأریخ العربی المدون بالتناقل الجمعی، وقد قال الدوری عن هذه

الحالة: (ولنلاحظ هنا أننا إذا أردنا أن نتفهم تطور الکتابة التاریخیة یلزمنا أن نلحظ أن

الدراسات حتی فی المغازی کانت أعمالا جماعیة، وأن فعالیات الأفراد تکون جزءاً من

مدرسة، فکان کل واحد من حملة العلم یضیف دراساته وبحوثه إلی دراسات أساتذته

1- یراجع کتابنا (جزئیات فی السیرة النبویة، عرض وتحلیل) للاطلاع علی آراء ١لعلماء فی هذا الخصوص.

2- نشأة علم التاریخ عند العرب، الدکتور عبد العزیز الدوری، ص ٩

وبذلک محفظ علم المدرسة التی ینتمی إلیها)(1)

ولکی نعرف نتیجة هذا التکدیس المعلوماتی التناقلی یجب أن نعرف بدایة نتفا عن سیر بعض الرجال الذین کتبوا السیرة والحدیث والتفسیر والمغازی والتاریخ، نعرف توجههم، تفکیرهم، علاقتهم بأهل البیت؛ لنعرف دوافعهم فی الکتابة، ومن هؤلاء فضلاً عن حریز والجوزجانی هناک:

١ . عروة بن الزبیر (ت٩٤ -٧١٢م) کانت بعض کتاباته التاریخیة أجوبة مکتوبة عن أسئلة وجهت إلیه من البلاط الأموی.... أخذ عن عائشة ومن آل الزبیر أسرته وکتب فی الحدیث والسیرة وعصر الخلفاء الراشدین وما سمی بحروب الردة ومعرکتی القادسیة والیرموک(2) علما بأن الزبیریین کانوا منحرفین عن أهل البیت، ومن المؤکد أنهم لا یرغبون بذکرهم ولا بذکر کراماتهم.

٢. شراحبیل بن سعد (ت ١٢٣ _ ٧٤٠م) مولی الأنصار ویکنی أبا سعد وکان شیخاً قدیماً أخذ عن زید بن ثابت وأبی هریرة وش سعید الخدری وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعویم بن ساعدة الأنصاری وزید بن ثابت، واختلط واحتاج حاجة شدیدة، وله أحادیث ولیس یحتج به(3) قال عنه أئمة الجرح والتعدیل الکثیر وجلهم ضعفوه واتهموه بالخلط: قال أبو أحمد بن عدی الجرجانی: هو إلی الضعف أقرب، ومرة: وفی عامة ما یرویه نکارة. وقال أبو حاتم الرازی: ضعیف الحدیث. وقال أبو زرعة الرازی: فیه لین. وقال أبو عبد الله الحاکم النیسابوری: تابعی مدنی غیر متهم. وقال أحمد بن شعیب النسائی: ضعیف. وقال ابن ش حاتم الرازی: عالم بالمغازی. وقال ابن حجر

1- نشأة علم التاریخ،الدوری، ص ٢١

2- ینظر: المصدر نفسه، الدوری، ص ٢٠

3- ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد،ج 5،ص ٦٥ ١١٨

العسقلانى: صدوق اختلط بآخرة. وقال الدارقطنى: ضعيف يعتبر به. وقال سفيان بن عيينة: لم يكن بالمدينة أحد أعلم بالبدريين منه وأصابته حاجة، فكانوا مخافون إذا جاء إلى الرجل يطلب منه الشىء فلم يعطه أن يقول لم يشهد أبوه بدراً. وقال عنه مالك بن أنس: ليس بثقة. ومحمد بن إسحاق المطلبى: تعجب ممن محدِّث عنه، وقال: نحن لا نروى عنه شيئاً. وقال محمد بن سعد كاتب الواقدى: بقى حتى اختلط، واحتاج حاجة شديدة وليس محتج به. وقال محمد بن عبد الرحمن بن أبى ذئب: متهم. وقال محمد بن عبد الله بن البرقى: يضعف. وقال عنه مصنفو تحرير تقريب التهذيب: ضعيف، وماعلمنا أحداً وثقه سوى ابن حبان. وقال عنه يحيى بن معين: ليس بشىء ضعيف، وقال مرة: ضعيف يكتب حديثه.

٣. الزهرى (ت١٢٤ ٧٤١م) لم يقتصر على رواية مغازى عروة بن الزبير ((وقد أخذ الزهرى جل مواده عن السيرة من الحديث ولا تجد إلا أثراً بسيطاً للقصص... تناول بالدرس عصر البعثة والخلفاء الراشدين وانتقال السلطة إلى الأمويين))(1)

والزهرى من المنحرفين عن على، وأخذ عن منحرف عن على، فكيف يكتب ولاسيما أن الروايات تذكر انه أجبر من قبل الأمويين على الكتابة كما يؤكد الدكتور الدورى(2)

فضلا عن ذلك نجد الشيخ الدكتور حارث الضارى(3) بعد أن عدد أسماء الفرق فى عصر الأمويين تكلم كذلك عن موقف الزهرى منها فقال: إن كل فرقة من هذه الفرق كانت متلبسة بأكثر من ضلالة، إذ نهبت الشيعة كما رأينا إلى الحكم بتضليل جمهور

1- نشأة علم التاريخ، الدورى، ص٢٢. ٢٣

2- المصدر نفسه، ص ٢٢

3- رئيس هيئة علماء المسلمين السنة فى العراق التى تأسست بعد الاحتلال الأمريكى فى 2003

الصحابة... ومنهم من كفرهم جميعاً... ولما كانت هذه الفرق فى جملتها مخالفة لما عليه جمهور المسلمين من أهل السنة والجماعة الذين يتولون جميع المؤمنين ولا يتكلمون فيهم إلا بعلم وعدل، وكان الإمام الزهرى واحداً من أعلام الجمهور ومتكمميهم، كان حرياً به وقد عاصر هذه الفرق واطلع على كثير من بدعها وضلالاتها أن يتصدى لها ويندد بها ويفند آراءها، وهذا هو ما كان منه حيث وقف أمامها وندد بها... ومن مواقفه أمام فرق الضلال موقفه من الرافضة الذين ندد بهم وشبههم بالنصارى، فقد روى عنه أنه قال ضمن كلام: ولا رأيت قوما أشبه بالنصارى من السبأية، قال أحمد بن يونس: يعنى الرافضة))(1)

وقد اعترف الضارى صراحة بالنهج السياسى للزهرى وارتباطه بالخلفاء الأمويين تحت عنوان(الإمام الزهرى والسياسة)، فقال:((بعد أن استقر الإمام الزهرى فى دمشق حوال منة مائة من الهجرة وما بعدها شاع ذكره فيها، ونشأت له علاقات مودة وتقدير مع بعض الخلفاء الأمويين... وكان أول من حظى بتقديره منهم الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز... كما أن يزيد بن عبد الملك كان قد استقضاه مدة من الزمن... ولما انتقلت الخلافة لهشام بن عبد الملك أمر كاتبين يكتبان عنه السنن، كما اسند إليه مهمة تأديب أولاده وتعليمهم وتوجيههم، ولعل أهم دور سياسى قام به الإمام الزهرى هو ما أشار به على هشام بن عبد الملك من خلع ولى عهده الوليد بن يزيد))(2)

هؤلاء الثلاثة: شراحبيل بن معد، والجرجالى، والزهرى هم نإذج تم اختيارهم عشوائياً، وهناك المئات غيرهم ممن ساروا على نهجهم أو اشتركوا معهم، وهؤلاء الثلاثة كانوا يتعاونون ويضيف كل منهم ما يكتبه إلى ما كتبه من سبقه وجلهم اعتمدوا

1- نظر: الإمام الزهرى وأثره فى السنة، حارث سليمان الضارى، ص ٧٠- ٧١

2- المصدرنفسه، ص٤٣

على القصص التى رواها كعب الأحبار و وهب بن منبه فضلاً عن روايات السياسيين ليحولوها إلى تاريخ. والقصص كما هو معروف فن أدخله اليهود إلى دولة الإسلام فى عهد الخليفة عمر ثم تحول إلى موروث شعبى وأدخل فى السيرة والتاريخ، يقول الدكتور الدورى عنه: ((وكان وهب بن منبه اليمانى (ت١١٠ ٧٢٨م) شيخ القصاصين، ألف وهب المغازى، أسلوبه نموذج من أسلوب القصاص فيه تصوير حاذق وفيه التمجيد وفيه المادة الأسطورية... لقد اعتنى وهب بالإسرائيليات وهى قصص وأساطير العهد القديم... وقد جمع وهب القصص ما كان متداولا وبخاصة قصص كعب الأحبار (ت ٣٢- ٣٤ ه / ٦٥٢-٦٥٤م) ولم يكن وهب دقيقا بل لم يترفع عن الإدعاء بالكذب))(1)

هؤلاء الثلاثة بعض من كتب الجزء الأهم من تاريخنا بسنته وحديثه وسيرته وتاريخه وهم جميعا إما منحرفون عن الخط العلوى أو سياسيون أو أبناء لسياسيين كبار، وبالتالى من غير المعقول أن يوردوا ما يسىء إلى تاريخهم الشخص والعائلى. وحينما جاء ابن إسحاق (ت ١٥١ ه / ٧٦٨م) ليكتب السيرة أخذ عنهم فضلا عن مخترعاته الشخصية الخاصة، ولذا قال عنه الدكتور الدورى: ((وينتقد ابن إسحاق (2) لاعتماده على أهل الكتاب فى الرواية وإيراده كثيرا من الشعر الموضوع ولأخطائه فى الأنساب ولأنه لا يمحص مصادره ولأنه ينقل من كتب الآخرين مباشرة، أى دون سماعها عن أصحابها))(3) وفى مثل هذه الحال لا يستبعد التلاعب حسب الرغبة والاتجاه والتأثير السياسى والعصبى، ولذا قلبت المعادلة، واستمرت مقلوبة إلى يومنا الحاضر، وباتت

1- نشأة علم التاريخ، الدورى، ص ٢٣-٢٤

2- يراجع كتابنا ((جزئيات فى السيرة النبوية)) فقد أوردنا أقوال أهل الجرح والتعديل فى ابن إسحاق وقصصا عن تلاعبه

3- المصدر نفسه، الدورى، ص ٢٦

بحاجة ماسة على من يعدلها ويعيدها على طبيعتها الأولى.

لا يفوتنى أن أذكر أن هناك جانب مهم يجب الانتباه عليه وهو أن لمبانى فكر

السلطة الحاكمة تأثيره على بنية الأمة كلها ((فالمسالة لا تقف عند حدود التواءات الرؤية

وأساليب النظر، بل تتجاوزها لترتبط بمبنى آخر هو مبنى السلطة الحاكمة فعجز الرؤية

وقصورها، وبالتالى فساد السياسات التى رسمت على ضوء هذه الرؤية هو التعبير

المباشر عن خلل أساسى فى بنية السلطة الحاكمة وفى طبيعة القوى التى تتولى مقاليد

أمور الأمة))(1) بمعنى ان امتزاج فكر السلطة مع الفكر الدينى أفسد السياسة والدين

كلاهما، لأن ما كانت تبغيه السلطة يتعارض مع ما يبغيه الدين.

قلب المعادلة

ثم أرى أن مجرد نجاح السياسيين المتآمرين فى قلب المعادلة لمصلحتهم وإبعاد

التهمة عن أنفسهم ولصقها بغيرهم وتثبيت ذلك فى كتب التاريخ، ثم نجاحهم أكثر

من مرة فى هذه المسألة بالذات، بل واستمرار العمل بها إلى الآن؛ يدل على وجود عقول

سياسية متمكنة فى ذلك المجتمع وفى ذلك التأريخ، وهذا العقل صمم مشروعه بدقة

متناهية خدعت عقول المتقدمين والمتأخرين؛ فصدقوا خدعة الجريمة الفارسية فى

قصة مقتل الخليفة عمر مثلاً، وتبنتها كتب التأريخ فى الوقت نفسه الذى غيب التأريخ

أسماء المتآمرين الحقيقيين وصورهم وجنسياتهم وأصولهم لأسباب معروفة و واضحة.

وصدقوا كذبة أن الإمام على عليه السلام كافر منافق لا يصل، وأن معاوية حاربه لهذه الأسباب

وليس لغيرها. ونسوا أن معاوية وكل حاشيته هم إما من الطلقاء أو المنافقين أو من اتباع

الديانات الأخر. وصدقوا أن الإمام الحسن عليه السلام كان مشغولاً بالزواج والطلاق وتبذير

1- فى الاجتماع الإسلامى السياسى، الدكتور حسن الضيقة، ص ٤٥

الأموال عن متابعة رعيته، وأن معاوية حاربه وقتله بالسم لكى يريح الأمة منه، وينقذ

النساء البريئات من سطوته.! وصدقوا بأن من اجتهد وأخطأ، حتى ولو تسبب خطؤه

بمقتل آلاف الصحابة الكرام، يعطيه الله حسنة واحدة. مقابل ذلک غيبوا الأثر الحسى

للإمام الحسن عليه السلام وأظهروه بمظهر الضعيف المهزوم المشغول بمتعه الشخصية وحب

المال وكثرة الزوجات. وفى هذا وغيره دلالة على أنهم كانوا فى منتهى الدقة من حيث

الإعداد، والتخطيط، والتنفيذ، والمتابعة، والوصول إلى النتائج المتوقعة.

إن هناک الكثير من المؤثرات على أن النبى الأكرم والإمام على شخصا وجود

السياسيين فى المجتمع، كذلک شخص الخلفاء وجودهم، فقد ذكر الباحث (لامنس)

أن لخليفة عمر كان على إطلاع تام بأن بعض وجوه المجتمع الإسلامى كانوا يسعون إلى

الخلافة، ويجاولون التسلط، ونجح بذكائه فى إفشال مخططاتهم، وقد نقل (هنرى ماسيه)

رأى لامنس الذى قال فيه: إن ميزته (أى: لخليفة عمر) الرئيسية التى لا تنكر هى منع

الانفصاليين من التسلط))(1)

ومن قبله كان أبو بكر قد شخص وجود سياسيين متآمرين يسعون إلى السلطة،

وعرف أن هناک فى صفوف المجتمع العربى الإسلامى من ينظر إلى الخلافة بطمع كبير،

ولو بشكل محدود له علاقة برشيح عمر للخلافة؛ حيث نقل لنا الطبرى ((عن صالح

ابن كيسان عن عمر بن عبد الرحمان بن عوف عن أبيه أنه دخل أبى بكر الصديق فى

مرضه الذى توفى فيه، فأصابه مهتمًا؛ فقال له عبد الرحمن مجاملاً: أصبحت والحمد لله

بارئاً، فقال أبو بكر: أتراه، قال: نعم، قال: إنى وليت أمركم خيركم فى نفسى، فكلكم

(ورم أنفه) من ذلک، يريد أن يكون الأمر له دونه، ورأيتم الدنيا قد أقبلت))(2) ونقل

1- الإسلام، هنرى ماسيه، ص ٥٩

2- الطبرى، ج ٢،ص ٥٩١

اليعقوبى فى تاريخه:((واعتق أبو بكر فى جمادى الآخرة سنة ١٣ هجرية... ودخل عليه عبد الرحمن بن عوف فى مرضه الذى توفى فيه، فقال: كيف أصبحت يا خليفة رسول الله؟ فقال: أصبحت موليا، وقد زدتمونى على ما و أن رأيتمونى استعملت رجلا منكم، فكلكم قد أصبح ((ورم أنفه)) وكل يطلبها لنفسه(1)

أما تجاوز هذا التشخيص، ومن ثم تغييب ذكر السياسيين ومؤامراتهم فى تاريخنا منذ بداية تدوينه وإلى الآن فقد كان جزءاً مهاماً من الحراك السياسى برمته. أما لماذا استمر هذا التصور المتحيز إلى الآن خلافاً لكمال التوقعات، وأقصد تصور البعض بأن ما وقع بين الخطين الدينى والسياسى كان صراعاً دينياً بحتاً، ولم تكن للسياسة علاقة به لا من قريب ولا من بعيد، ولم يكن هناك سياسيون حقيقيون فى المجتمع، فذاك ما يجيب عنه الدكتور صالح جواد الكاظم فى مقدمة ترجمته لكتاب (الرواية التأرخيية) ل_(جورج لوكاش) يقوله:((مع ازدياد الوعى بالحاضر يزداد الاهتمام بالتأريخ بوصفه خلفية الحارض)) ولما كان جزء كبير من التأريخ الاسلامى خلفية الحاضر الاسلامى المعاش وعلى المستويات كافة، وليد علاقة غير شرعية بين رجل الدين السياسى ورجل الدولة السياسى حيث ((منذ فجر الخلافة جلس الفقيه فى معية السلطان يصوغان لنا إسلامنا، إسلام يؤسلم ويكفر بحسب مدى التزام المواطن بالمذهب السيد الذى هو مذهب السدنة والسلطان وأولى الأمر، وطاعتهم أمر ربانى وفرض سماوى. ومنذ خرجت جيوش أبى بكر تحارب تاركى الزكاة تحت اسم الدين والصواب الدينى، أصبح معنى أن تخرج جيوش المسلمين لتحارب الكفار ((غير حروب الفتوحات)). إنها خارجة للقضاء على المعترضين أو المخالفين فى الرأى السياسى الذى تتم إحالته إلى الدين، حتى

1- تأريخ اليعقوبى،ج۲، ص ۱۳۷

يتم الذبح والحرق والسبى باسم الدين، وليس لخلاف سياسى))(1)

فى كل هذا التاريخ كانت هناك نزاعات ومعارك وظلم وقهر وعسف تسبب به

السياسيون، وكانت هناك مواقف جهادية للعقائديين من الأمة هى التى تصدت لهذا

التخريب وتحملت ما تحملت من أجل وقفه عند حده، وهو ما قال عنه حسن عبد الله:

((حرص الأمويون على أن يثيروها فتنة فطفقوا يذكون نارها كلما أوشكت أن تخمد...

وحرص الهاشميون على أن يجعلوها أمنا وطمانينة فشمروا للحجة يريدون أن يقنعوا

الناس. وما بين الفتنة والإقناع بالحجة ولدت المؤامرة))(2) ومن هذا النزاع كانت الأدوار

السياسية تتغذى حتى فى عصر البعثة.

1- مقال بعنوان (لكى لا يخدعنا بعضهم: هل كان تأريخنا ماضياً سعيداً؟) للكاتب المصرى سيد القمنى نشر فى صحيفة المثقف (العدد: ١٤٠٩ الخميس ٢٠/٠٥/٢٠١٠)

2- الاغتيالات فى الإسلام،حسن عبد الله، ص ٦٦

السياسة بعد عصر البعثة

مع انتهاء عصر البعثة تحقق للسياسيين العرب الذين أسلموا طوعاً أو كرهاً بعض ما كانوا يصبون إليه؛ فتغيرت خططهم ومشاريعهم بعد أن سيطروا على ساحة الإسلام بشكل شبه كامل، ولم يعودوا بحاجة إلا إلى بعض الترتيب، وهذا الرتيب فرضه وجود على ابن أبى طالب بينهم، فهم لم يغفلوا وجوده، بل كانوا يعدونه العقبة الوحيدة التى تقف بطريقهم وتعترض مسيرهم؛ وكانوا على يقين بأن مشاريعهم لا تتحقق إلا بزواله وعزله وقتله، لأنه الامتداد الطبيعى لنبى الإسلام و لعصر الرسالة، فوضعوا لهذه المرحلة مشروعاً جديداً تطلب منهم صبراً طويلاً وجهداً كبيراً وتضحيات جمة وسفك دماء بريئة، وكان مشروعهم السياسى فى هذه الحقبة مقسماً إلى ثلاث مراحل متسلسلة مترابطة فضلاً عن رغبتهم ببناء قواعد دولة موازية لدولة الإسلام تأخذ على عاتقها جمعهم إذا فشلت مخططاتهم لأخر؛ فكانت دولة الشام الموازية لدولة المدينة المنورة.

ترشيح و تنصيب و دعم و قتل الخلفاء

من مناهج هذه المرحلة كان منهج تطويع من يتوب عن النبى فى قيادة الأمة، لأن السياسيين لم يكونوا حينها مؤهلين لذلك؛ ففى هذه المرحلة الخطيرة نجد بأن مبايعة كل واحد من الخلفاء الثلاثة جاءت لتهيئة الأجواء للمرشح الذى يليه حتى من دون علم الخلفاء أنفسهم، لكى يعمل كل منهم على أداء دوره المرسوم له قبل الرحيل الذين يؤقتونه حسب متطلباتهم السياسية، فهم الذين مهدوا الطريق للخلفاء، وهم الذين أزاحوهم من طريقهم. يقول إبراهيم بيضون عن عثمان: الجاء إلى الخلافة وهولا يعرف

الكثير عن دور القوى الخفية التى مهدت له الطريق (1)

ونحن لا نتكلم رجماً بالغيب حينما ندعى قتلهم للخلفاء؛ فالسياسيون العرب

هم المسؤولون عن مقتل الخلفاء الأربعة جميعهم، مثلما كانوا مسؤولين عن تعيين ثلاثة

منهم. ومجرد الإيمان بهذه الحقيقة يدلك على كبر المؤامرة السياسية التى كانت تتحكم

بالحياة العامة فى دولة الإسلام، ومقدار الوعى السياسى العربى، فهم بالتأكيد من:

0قتلوا لخليفة الأول بالسم وعصبوا الأمر برأس اليهود:

أورد الحاكم فى مستدركه عن داود بن يزيد الأودى قال:((سمعت الشعبى يقول:

والله لقد سم رسول الله وسم أبو بكر الصديق))(2) وجاء فى حيثيات قصة السم هذه فى

حديث أخرجه الحاكم أيضًا عن ابن شهاب: ((أن رجلاً أهدى يومًا لأبى بكر صحفة من

خزيرة وعنده رجل يقال له الحارث بن كلدة، وعنده علم، فلما أكلا منها قال ابن كلدة:

فيها سم سنة! فوالذى نفسى بيده لم يمر الحول حتى ماتا فى يوم واحد رأس السنة))(3)

ولم نعرف من هو الرجل الذى قدم لهما السم، فقد غيب اسمه وكل ما يتصل به. فقط

المسعودى فى مروجه أشار إلى اليهود واتهمهم بالقتل بقوله: اوكان أبوبكر قد سمته

اليهود فى شىء من الطعام، وأكل معه الحارث بن كلدة فعمى))(4) ومنه أخذ الآخرون

هذا القول ونشروه، وربما يكون السياسيون أنفسهم من يقف وراء تلفيق مثل هذا الخبر

الغريب. أما الذين شككوا بصحة الخبر، ومنهم حسن عبد الله فقد عصبوا الجريمة

برأس المرتدين والمنافقين إما جهلاً، أو لغايات دفاعية لها علاقة بالدوافع القديمة التى

1- من دولة عمر إلى دولة عبد الملك، ص ١٠٣

2- المستدرک، الحاكم، ج٣، ص٥٩، الحديث رقم ه_٤٣٩/٩٩

3- المستدرک الحاكم، ص ٦٦، الحديث ٤٤١١/٩

4- مروج الذهب، المسعودى، ٢ / ٣١٧

تكلمنا عنها، حيث قال حسن عبد الله: ا(هذا الخبر لا يمكن أن نطمئن إليه لأنه لم يكن

لليهود علاقات أو وجود مؤثر مع المسلمين فى عهد الصديق فقد أجل الرسول صلى الله عليه و آله

معظم اليهود من المدينة... لكن الأمر له علاقة بالمرتدين والمنافقين الذين كانوا يخالطون

المسلميين ويؤاكلونهم))(1) إن تبرئة اليهود قد تكون حقيقة لا لبس فيها، ولكن ماذا عن

المتهمين بالقتل من المرتدين والمنافقين؟ أليسوا هم السياسيون انفسهم الذين موه عنهم

المؤرخون بهذه التسميات لكى يخفوا دورهم؟ ثم كيف كان الزهرى واثقاً بأن الذى

قدم للخليفة وصاحبه الطعام المسموم كان رجلاً، لماذا لم يكن امرأة مثلاً لو لم يكونوا

على ثقة من قولهم، لكن أسأل: لماذا لم يحاسب القاتل، ولماذا أخفى أسمه، ومن المسؤول

عن ذلك؟

• قتلوا الخليفة الثانى غيلة وعصبوا الأمر برأس الفرس:

وهم بعد أن هيأوا الخليفة الثانى للعمل وأعانوه وعاونوه لينفذ لهم مآربهم

وخططهم بالتناوب والتعاقب حتى من دون علمه خططوا لقتله ونفذوا خطتهم

وختلصوا منه وعصبوا الأمر برأس الفرس.

وفى جريمة قتل عمر هناك إشارات واضحة تدل على أن عمر كان منتبهاً للحراك

السياسى، وكانت الأخبار قد وصلته عن وجود مؤامرة لقتله بالاشتراك مع أعاجم،

وربما لهذا السبب بادر إلى منع دخول الأعاجم إلى المدينة بعد أن أخرج غالبية الموجودين

فيها، وينقل ابن سعد فى الطبقات الكرى قول عمر: ا(لا تجلبوا علينا من العلوج أحنا

جرت عليه الموامى)) وقد استمر هذا المنع زمناً، قال عنه السيوطى فى تاريخه: ((قال

الزهرى: كان عمر لا يأذن لسبى قد احتلم فى دخول المدينة حتى كتب إليه المغيرة بن

1- الاغتيالات فى الإسلام، حسن عبد الله، ص 25-٢٦

شعبة)) ولكن السياسيين تمكنوا من خرق هذا المنع وإدخال أداة القتل إلى المدينة بموافقة

عمر نفسه، كما أشار المسعودى فى مروجه إلى ذلك بقوله: ((وكان عمر لا يترك أحدًا من

العجم يدخل المدينة، فكتب إليه المغيرة بن شعبة: إن عندى غلاماً نقاشًا نجارًا احدًا من

فيه منافع لأهل المدينة، فإن رأيت أن تأذن لى فى الإرسال به فعلت، فأذن له))(1)

ولذا نرى عمر بعد أن طعنه أبو لؤلؤة يأسف على تهاونه بهذا الشأن ويقول مقولته

المشهورة:((ألم أقل لكم لا تجلبوا علينا من العلوج أحدًا، فغلبتمونى)) عمر الذى وصف

بالشدة والغلظة خياطب السياسيين ويقول لهم: ((فغلبتمونى)) فكم كانوا أقوياء وأشداء

لدرجة إنهم حصروا الموضوع فى إطار ضيق جداً تداوله وروج له المؤرخون الأوائل؟

ولقد انتبه المؤرخون المتأخرون إلى حقيقة هذا الحراك بعد أن نجح السياسيون فى تحجيمه

داخل دائرة ضيقة بهدف تبرئة أنفسهم من جريمة القتل وعصبها برأس قوم كانوا

يكنون لهم العداوة والبغضاء بسبب اختيارهم المذهبى لا أكثر، فقال إبراهيم بيضون:

((إن إقدام مولى كأبى لؤلؤة من تلقاء نفسه على اغتيال الخليفة، وأقوى شخصيات الدولة

فى حينه، ربما كان خارجاً على القواعد المألوفة، وفى هذه الحالة لا تكون ثمة دوافع

وجيهة وراء المتهم لاقتحام هذه المؤامرة الجريئة، فى وقت لا يستطيع أحد ربط هذه

القضية بعوامل خارجية))(2)

وقال حسن عبد الله الذى اتهم فى بادئ الامر الفرس بتدبير مؤامرة قتل الخليفة

عمر: ((ويفيق الناس من هول الصدمة فإذا هم يتساءلون: من قتل عمر؟ أيقتله أبو

لؤلؤة، لأنه لم يرفع عنه بعض ما فرضه عليه صاحبه المغيرة بن شعبة من ضريبة؟ أيصلح

1- مروج الذهب للمسعودى ج١/ص٢٩٩

2- من دولة عمر إلى دولة عبد الملك، إبراهيم بيضون، ص ٩٨

هذا سبباً؟))(1)

ولهذا السيب قال إبراهيم بيضون: ا(فإن الاتهام لابد أن يتجه إلى الفئة المستفيدة

من اغتيال عمر.... فقد لا يكون بعيدًا عن الاحتمال وجود (مؤامرة) محبوكة الخيوط

استهدفت الخليفة القوى))(2) ثم أردف قائلا:((إن الفئة المتهمة بأنها حاكت مؤامرة

الاغتيال (اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب) من المفترض أيضًا أنها نسجت بإتقان مشابه

شخصية البديل بما يتوافق والحوافز المحركة لهذه الفئة التى جمع بينها الموقف المشترك

من الخليفة، دون أن تكون بجميع عناصرها منتمية إلى اتجاه سياسى واحد))(3)

ولذا ما إن نضج مشروعهم حتى أدخل المغيرة بن شعبة أبا لؤلؤة وأمره بقتل

الخليفة، وخرجوا على الناس بقصة شورى الستة التى أحسنوا لعبها وأجادوا تمريرها

فعينوا من يريدونه خليفة جديداً، والدليل أن الخليفة عثمان بن عفان ليس أفضل الباقين

ولم يتولى حكم الآمة بإجماع الأمة، أو كما يقول الدكتور صبحى الصالح: ((فإن عثمان

لم ينتخب بإجماع ولا شبه إجماع، ولم ينتخبه الخليفة، ولم يكن ليبرز على الناس أو يظهر

بعلمه كعلى أو حزمه كعمر أو سياسته كأبى بكر، وإنما أعانه على تولى الخلافة أمويته

وقرشيته))(4) ولقد تحكموا بقرارات الخليفة وتحكموا به على هواهم، فيقول اليعقوبى

فى تأريخه: ((وكان الغالب عليه (أى على عثمان) مروان بن الحكم بن أبى العاص وأبو

سفيان بن حرب))(5)

1- الاغتيالات فى الإسلام،ص ٤٥

2- من دولة عمر إلى دولة عبد الملك، بيضون، ص ٩٨

3- المصدر نفسه، ص ٩٦، ويراجع كتابنا المعنون (نظرية فارسية التشيع بين الخديعة والخلط التاريخى والمؤامرة)

4- النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها، د. صبحى الصالح، ص ٩٠

5- ينظر: تأريخ اليعقوبى، جزء٢، ص ١٧٣

وبالتأكيد حقق تولى عثمان للسياسيين فصلاً مما كانوا يخططون له ويسعون إليه كما

فى قول شيخهم أبى سفيان بعد مبايعة عثمان للخلافة الذى عده إيذاناً بحلول عصر

الدولة الأموية المرتقب، والذى نقله المسعودى فى مروجه وأوردناه من قبل.

• وقتلوا الخليفة الثالث ختلاً وعصبوا الأمر برأس الغوغاء:

فبعدما جاءت حركة الشورى وما رافقها من أحداث وتحركات مشبوهة بعثمان

إلى سدة الحكم، دخل السياسيون والأقرباء من الطلقاء وأتباعهم تحت عباءته وسلبوه

مكانته، فسلمهم الحكم والدولة بكل مفاصلها على طبق من ذهب، فجازوه بالقتل على

يد من حرض الغوغاء لقتله والتخلص منه.

لقد رأى السياسيون أن ما حصلوا عليه فى حقبة خلافة عثمان يؤهلهم للاستيلاء

على السلطة قبل أن يموت الخليفة من تلقاء نفسه؛ فيستجد ما لا يريدون أن يحدث؛ أو

ما يعرقل مشروعهم الكبير، وكما هو ديدنهم استبقوا الآحداث وخططوا لقتله بدقة

و إحكام لكى يظهروا خارج الصورة؛ فإذا حدث ما ليس بحسبانهم- يهبون للمطالبة

بدمه. والحديث عن مقتل عثإن يثبت حقيقة الحراك السيامى بشكل كبر، ولذا سوف

نتوسع بالحديث عنه.

قتل الخليفة عثمان

حديثان أتمنى أن أكررهما فى كل صفحات البحث، الأول: حديث أحمد بن شهاب

الزهرى الذى يقول فيه:((ولى عثمان الخلافة اثنتى عشرة سنة يعمل ست سنين لا ينقم

الناس عليه شيئًا، وأنه لأحب لقريش من عمر بن الخطاب، لأن عمر كان شديداً

عليهم))(1) فهذا القول يؤكد سعة اطلاع السياسيين وحسن تخطيطهم لأنهم أرادوا

1- رجال حول الرسول، خالد محمد خالد، ص 157

من الآمة أن تنسى خشونة عمر؛ فتحب الخليفة الأموى وتنسى الحديث عما يقوم به ولا تهتم بالتفاصيل. ولقد عشنا فى العراق مثل هذه التجربة مع السياسيين الدنيويين فحزب البعث بعد أن تجاوز مرحلة التأسيس للنظام الذى يريده وتجاوز مراحل التقشف والإعسار المالى توجه إلى المواطن الفقر، فأباح له ما كان ممنوعا عليه بسبب التقتير الحكومى ذاته، فعاش أغلب الناس لا ينقمون على البعث بالرغم من جرائمه، ثم لما وصل إلى مرحلة ظن معها أن لا أحد يقدر على زحزحته من مكانه عادت الشدة بكل أنواعها!

السياسيون القدماء كانوا بعد أن تحقق لهم ما أرادوا وكبوا فى السنوات الست الآولى من خلافة عثمان ما كانوا يبحثون عنه؛ بدأوا صفحة التخريب فى الستة الثانية للسعى نحو النجومية واللطة بتأليب الناس عليه ورفضه حتى يعلنوا اسم مرشحهم بدون اعتراض.

أما النقل الثانى فهو قول إبراهيم بيضون عن عثمان: جاء إلى الخلافة وهو لا يعرف الكثير عن دور القوى الخفية التى مهدت له الطريق))(1) وهذا القول يؤكد أن السياسيين هم الذين مهدوا الطريق لعثمان لكى يستظلون بظله ويتفذون شروعهم أو الحلقات الأخيرة منه. وقد تمثلت الحلقات الأخرة ببسط نفوذهم الكلى على مقدرات الآمة، وسلب كل مواردها، وحرمان الناس من مصادر رزقهم، وهم بذكائهم السياسى وقدرتهم التخطيطية وحسن استخدامهم للإعلام والدعاية نشروا بين الناس أن عثمان هو المسؤول عن جوعهم وعرهيم وظلمهم وإفقارهم.

بويع عثمان فى الثالث من المحرم سنة ٢٤ هجرية، وقيل فى آخر ذى الحجة سنة ٢٣

1- من دولة عمر إلى دولة عبد الملک، ص ١٠٣

هجرية وقتل آخر سنة ٣٥ هجرية. أما الطريقة التى تم بها انتخاب عثمان فتؤكد مقدار

الدهاء الذى يحمله السياسيون العرب وقوتهم التى مكنتهم من التحكم بالأحداث

لدرجة قتل وتنصيب الخلفاء، بما يؤكد سطوة السياسيين وحسن تخطيطهم. وهم كما

فعلوا فى كل مرة كانوا فى هذه المرة قد برأوا أنفسهم من جريمة القتل وعصبوها برأس

غيرهم

فمن حيث تأليبهم عليه وتخطيطهم لقتله قال ابن الأثير فى تاريخه: ((كتب جمع

من أهل المدينة من الصحابة إلى من فى الآفاق منهم: إن أردتم الجهاد فهلموا إليه فإن

دين محمد صلى الله عليه وآله قد أفسده خليفتكم))(1) أما من هؤلاء الصحابة الذين أشار إليهم ابن

الأثير فلا يكاد يعرفهم أحد، ولم يكلف أحد نفسه عناء البحث أو مجرد السؤال عن

أسمائهم وسبب غصبهم على لخليفة وتأليب الناس عليه، وهذا شيء غريب جدا! وقد

يكون الطبرى أكثر تحديداً من غير ة لا بحديثه عن أسمائهم ولكن فى بحثه عن سبب

غصبهم، ولذا قال فى تاريخه: ((وكتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة ويقسمون

لا يمسكون عنه أبدا حتى يقتلوه أو يعطيهم ما يلزمه من حق الله))(2)

وكاد ابن عبد ربة الأندلسى أن يشر بوضوح وصراحة إلى أم المؤمنين عائشة على

أنها أحد المتآمرين على عثمان فى نقله لقولها لمروان بن الحكم لما طلب منها إصلاح أمر

عثمان مع الصحابة وعدم مغادرة المدينة: ((ولعلك تظن أنى فى شك من صاحبك؟ أما

والله لوددت أنه مقطع فى عرارة من عرائرى، وإنى أطيق حمله فأطرحه فى البحر))(3) وأنا

استغرب ممن يعتقد أن مروان السياسى المتآمر كان يريد إصلاح الأمر بين الصحابة

1- تاريخ ابن الأثير، مجلد ٣، ص ٦٥
2- تاريخ الطبرى، مجلد ٥، ص ١١٦
3- تأريخ اليعقوبى، جزء٢،ص175 - ١٧٦

والخليفة وهو الذى كان مصراً على قتله والتخلص منه.

الطبرى فى مكان آخر من تاريخه نقل سؤالاً لعمرو بن العاص الذى كان حينها

يسكن فلسطين، بعد أن خرج من المدينة بعد دخول الغوغاء وجهه لأعرابىّ مز بقربه

استفسر فيه عن أخبار الخليقة عثمان، فأخبره الأعرابىّ أنه قتل، فقال عند سماعه الخبر

شامتاً ومفتخراً: أنا أبو عبد الله، إذا حككت قرحة أنكأتها، إنى كنت لأحرّض عليه

حتى الراعى فى غنمه فى رأس الجبل))(1)

ابن الأثير فى مكان آخر من تأريخه أشار إلى معلومة مهمة جداً يتضح من خلالها

أن الخليفة نفسه كان يتهم بعض الصحابة بالتآمر عليه، حيث جاء فى قول أورده عن

الخليفة عثمان فى طلحة بن عبيد الله مفاده: ((اللهم اكفنى طلحة فإنه حمل علىّ هؤلاء

القوم وألّبهم، وإنى لأرجو أن يكون منها (أى: الخلافة) صفرا))(2)

ولم يكتفى اليعقوبى باسم طلحة وحده و إنما أضاف إليه اسمين آخرين هما الزبير

وعائشة كما فى قوله:وكان أكثر من يؤلب عليه طلحة والزبير وعائشة))(3) وأورد خبراً

يفيد أن الزبير بن العوام كان يحرض الغوغاء الذين حاصروا الخليفة فى بيته على الاسراع

فى قتله، بقوله لهم: اقتلوه! فقالوا له: إن ابنک يحامى عنه بالباب! فقال: ما أكره أن يقتل

عثمان ولو بدئ بابنى!))(4)

هذه المواقف العدائية دفعت الخليفة عثمان إلى طلب النصرة من ابن عمه معاوية

وكما يقول الطبرى: فكتب عثمان إلى معاوية أما بعد فإن أهل المدينة قد كفروا واخلفوا

1- الاغتيالات فى الاسلام،ص١٠٧

2- الاغتيالات فى الاسلام، ص ١٠٨

3- تأريخ اليعقوبى، ج ٢، ص ١٧٥

4- المصدر نفسه، تأريخ اليعقوبى، ج ٢، ص ١٧٥

الطاعة ونكثوا البيعة فأبعث إليّ من قبلک من مقاتلة الشام، فلما جاء معاوية الكتاب

تربص به وكره إظهار مخالفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وقد علم اجتماعهم))(1)

والغريب أن الطبرى أنبرى للدفاع عن السياسيين المتآمرين بحجة إجماع الصحابة

لتبرئتهم من الجريمة؛ وربما لهذا السبب تجد هناک أكثر من مؤرخ وباحث يدعى

أن الخوارج هم الذين قتلوا عثمان، مع أن هذه الجامعة وهذا الاسم لم يعرف إلا فى

أواخر خلافة على عليه السلام بعد أن خرجوا عليه فى صفين وقاتلهم فى النهروان، ومثل هذه

الإدعاءات تأتى لتأكيد براءة السياسيين من الجريمة لا أكثر بالرغم من تهافتها، ولاسيما

بعد أن تعمد السياسيون نشر مثل هذه الأقوال بين الناس.

إن كتب التأريخ الإسلامى أفاضت فى الحديث عن تحركات أعداء الخليفة من

المتآمرين فى العاصمة والأقاليم لتثوير الشارع الإسلامى عليه، بل أن الأخبار والروايات

تؤكد أن أهل المدينة هم الذين أمروا أهل الأقاليم بالمسير إليهم للتشكى عند الخليفة من

ظلم ولاته وتعسف أمرائه وخيانة مسؤوليه، وكان المتآمرون عازمين على شحذ همم

هؤلاء ودفعهم إلى قتل الخليفة عند قدومهم إلى العاصمة. ويكاد المؤرخون يجمعون

على هذه الحقيقة، ولكن السياسيين بشطارتهم ووعيهم انكروا التهمة و ألصقوها بمن

هو برىء منها وبعيد عنها.

اتهام على بالتآمر و التواطؤ مع المتآمرين!

ومن شدة ذكاء وبراعة وخبث السياسيين أنهم وبعد أن نجحوا فى نفى تهمة التآمر

عن أنفسهم، وضعوا روايات فيها اتهام صريح لأناس آخرين لا علاقة لهم بالتآمر

بالمرة، بل ثبت اعتراضهم على المتآمرين. فصدقهم أتباعهم ومؤيدوهم؛ فالقاضى أبو

1- تاریخ الطبری. مجلد5. ص 115

بكر بن العربىّ أبى إلا أن يظهر الصحابى على بن ابى طالب عليهما السلام من المتعاونين مع الثوار، وأنه كان ممن راسلوا الغوغاء واستقدموهم إلى المدينة، مع أن عليّاً برىء من ذلک كلياً، فقال فى مجمل حديثه عن محاصرة الخليفة: ((وخرج طلحة يبكى ويورع الناس، وأرسل علىّ ولديه، وقال الناس (يقصد الثوار) لهم: إنكم أرسلتم إلينا (اقبلوا إلى من غير سنة الله) فلما جئنا قعد هذا فى بيته، وخرجت أنت تفيض عينيک))(1)

وقد بحثت طويلا عن سند لهذه الرواية الغريبة التى أوردها ابن العربى أو ما يؤيدها فما وجدت شيئا، بل لم أجد فى أىّ نقل ما يشير إلى تواصل علىّ مع الثوار، أو مراسلته لهم، وإنما وجدت ما يثبت أن علياً يكاد يكون أوحد اصحابة فى دفاعه عن الخليفة، على خلاف باقى وجوه اصحابة والسياسيين الذين كانت لهم مصلحة فى إزالة عثمان، وكما تبين من النصوص السابقة، والنصّ اللاحق الذى هو خلاصة روايات كثيرة تحدثت عن تواصل بعض وجوه أهل المدينة مع أهل الأمصار الثائرين، ومنها رواية أوردها الشيخ المفيد عن فتوح البلدان للبلاذرى وطبقات ابن سعد وتأريخ المدينة المنوّرة وأنساب الأشراف للبلاذرى وتأريخ الطبرى والعقد الفريد وتجارب الأمم والبداية والنهاية؛ مجتمعة من خبر أبى حذيفة إسحاق بن بشر القرشىّ أثبته فى كتابه الذى صنفه فى مقتل عثمان، وكان أبو حذيفة صاحب الخبر من وجوه أصحاب الحديث المنتسبين إلى السنة والمباينين للثيعة ولا يتهم فيام يرويه لمفارقة خصومة، ولا يظن به تخرص فيام يجتنيه من جميع الأخبار، فقال: حدثنى محمد بن إسحاق عن الزهرىّ؛ قال: قدم أهل مص فى ستمئة راكب عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوى فنزلوا ذا خشب، وفيهم كنانة بن بشر الكندى وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعى وأبو عروة الليثى، واجتمع إليهم حكيم بن جبلة العبدى فى طائفة من أهل البصرة، وكميل بن

1- العواصم من القواصم، أبوبكر بن العرق، ص ٥٩- ٦٠ .

زياد ومالک الأشتر وصعصعة بن صوحان و حجر بن عدی فی جماعة من قرّاء أهل

الکوفة الذین کانوا سیّرهم عثمان؛ منها إلی الشام حین شکوا أحداثه التی أنکرها علیه

المهاجرون والأنصار، فاجتمع القوم علی عیب عثمان، وجهروا بذکر إحداثه، فمر

بهم عمرو بن عبد الله الأصم وزیاد بن النضر، فقالا لهم: إن شئتم بلغنا عنکم أزواج

النبی! فإن أمرتکم أن تقدموا فأقدموا. فقالوا لهما: افعلا، واقصدا علیاً آخر الناس.

فانطلق الرجلان فبدءا بعائشة وأزواج النبی بعدها، ثم أنبأ أصحابه وأخبراهم الخبر،

فأمروهم أن یقدموا المدینة، وصاروا إلی أمیر المؤمنین علیه السلام فأخبراه واستأذناه للقوم فی

دخول المدینة؛ فقال لهما: ((أتیتما أحداً قبلی))؟ قالا: نعم أتینا عائشة وأزواج النبی صلی الله علیه وآله

بعدها وأصحابه من المهاجرین والأنصار فأمروهم أن یقدموا، فقاله: ((لکی لا

آمرهم بذلک، یتعتبونه ممن قرب، فإن أعتبهم فهو خیر لهم، وإن أبی فهم أعلم)).

فرجع الرجلان إلیهم جمیعا. وتسرّع إلیهم جماعة من المدینة، فاجتمعوا مع أهل الحسب

وذوی المروّات.

فلما بلغ عثمان اجتماعهم أرسل إلی علیّ علیه السلام فقال له: اخرج یا أبا الحسن إلی هؤلاء

القوم وردهم عما –جاؤوا إلیه، فخرج إلیهم فلما رأوه رحبوا به وقالوا له: قد علمت یا

أبا الحسن ما أحدثه هذا الرجل من الأعمال الخبیثة وما یلقاه المسلمون منه ومن عمّاله،

وکنا لقیناه واستعتبناه؛ فلم یعتبنا وکلّمناه فلم یصغ إلی کلامنا وأغراه ذلک بنا، وقد

جئنا نطالبه بالاعتزال عن إمرة المسلمین واستاذنّا فی ذلک الأنصار والمهاجرین وأزواج

النبی صلی الله علیه وآله وأمهات المؤمنین فأذنوا لنا فی ورود المدینة ونحن علی ذلک!

فقال لهم: یا هؤلاء تریّثوا لا تسرعوا إلی شیء لا تعرف عاقبته؛ فإنا کنا قد عتبناه

علی هذا فی شیء وإنه قد رجع عنه فارجعوا)). فقالوا: هیهات یا أبا الحسن، ما نقنع

منه إلا بالاعتزال عن هذا الأمر ليقوم به من يوثق بأمانته، فرجع أمير المؤمنين عليه السلام إلى

عثمان وأخيره بمقالتهم))(1)

وهناک فی کتب التاریخ عشرات الإشارات إلی اشتراک الأشخاص الذین طالبوا

بدم الخلیفة والثأر له أنفسهم فی قتله أو عدم نصرته،- ففی بدایة الحصار طلب الخلیفة

نجدة معاویة برسالة شکوی وجهها إلیه تدمی القلب، ذکر مضمونها وخبرها البلاذری

فی أنساب الأشراف، والطبری فی تأریخه، و الیعقوبی فی تأریخه، جاء فیها: ((أما بعد فإنی

کتبت إلیک کتابی هذا ووالله ما أحسبه یبلغک وأنا حیّ--- فإن بلغک کتابی هذا فابعث

لی جیشا سریعا برجل معه من أهل ثقتک فی نفسک واجعله حبیب بن مسلمة، ثم

مره فلیجعل الیومین یوما، واللیلتین لیلة، والمنزلین منزلا، وإن استطعت أن تفاجئنی

مفاجأة، فقد ألقیت العصا، ولم یبق إلا خذ وآت)) (2)

إن مسألة تأخر معاویة عن نصرة ابن عمه الخلیفة المحاصر تنضوی علی قدر کبیر

من الاستهانة بالعقیدة کلها، وتبین بما لا یقبل الشک أن المؤامرة العربیة هی التی کانت

خیرک الأحداث وأن السیاسیین کانوا یرصدون نتایج حراکهم ویقیمونها ویستخلصون

منها المحصلات، فالیعقوبی لا یتحدث عن رسالة خلیفة المسلمین عثمان إلی والی الشام

معاویة فقط و إنما یتحدث أیضا عن قدوم معاویة من الشام إلی المدینة لتقییم الوضع

ووضع الخطط اللاحقة للمرحلة القادمة، ویتحدث عن رأی الخلیفة فی موقف معاویة

منه، وکیف أنه کان واثقا بأن معاویة یتحیّن قتله لیعلن المطالبة بدمه طریقا نحو القمة

والخلافـة بما یعرفه عنه من طمع بها وشوق إلیها، حیث یقول الیعقوبی عن عثمان:فکتب إلی معاویـة یسأل تعجیل القـدوم علیه، تتوجه إلیه فی اثنی عشر ألفا ثم قال:

1- الجمل، الشيخ المفيد، ص ۱۳۷-۱۳۹.

2- ينظر: الكامل فی التأريخ، مجلد۳، ص ۱۹۵.

كونوا مكانكم فى أوائل الشام حتى آتى أمير المؤمنين لأعرف صحة أمره، فأتى عثمان، فسأله (عثمان) عن المدد؟ فقال: قد قدمت لأعرف رأيک وأعود إليهم فأجيئک بهم! قال (عثمان): لا والله، ولكنک أردت أن أقتل فتقول: أنا ولى الثأر،فجئنى بالناس!!!

فرجع [معاوية] فلم يعد إليه حتى قتل!!!) (1)

ومن أسرار هذه الجلسة الساخنة أن معاوية بن ابى سفيان طلب من الخليقة عثمان أن يترک المدينة ويرافقه إلى الشام ليكون تحت حمايته، وقد تناول الدكتور السيد عبد العزيز هذه القضية وأدلى فيها برأى يصب فى مصلحة السياسيين، فقال: ((إن عثمان لما أحس بخطر أهل الأمصار استقدم ولاته على الأمصار ومنهم معاوية والى الشام، ودار بينهم ما دار فلما خرجوا من عنده بقى معاوية؛ فعرض على عثمان أن يصحبه معه إلى الشام خوفا من أن يتركه وحيدا فى المدينة!)) (2) ولا أدرى لم لم يرسل له قوة تحميه لو كان حريصا ومتخوفا عليه بالشكل الذى تظهره الروايات!

ثم عاد وقال: ((لما صمم أهل الأمصار على خلع عثمان كتب إلى معاوية بن أبى سفيان، وابن عامر، وأمراء الأجناد يستنجدهم ويأمرهم بالمبادرة بإرسال الجنود إليه، وكتب إلى معاوية: ((بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإن أهل المدينة قد كفروا وأخلفوا الطاعة ونكثوا البيعة فابعث إلىّ من قبلک من مقاتلة الشام على كل صعب وذلول))

فلما وصل الكتاب إلى معاوية لم يبادر إلى نجدته.. ولعله كان يهدف من وراء ذلک أن يترک عثمان دون نصرة فيقتله الثوار، وعندئذ يتولى المطالبة بدمه مستندا فى ذلک إلى أهل الشام، ويتخذ من المطالبة مبرّرا لمحاربة من يتولى الخلافة من بعده من أجل أن تؤول

1- تأريخ اليعقوبى، ج ٢، ص ١٧٥.

2- ينظر: التأريخ السياسى، ص ٣٠٢

الخلافة إليه)(1)

هذا هو موقف السياسى الداهية معاوية من الخليفة عثمان.

أما السياسى الثانى مروان بن الحكم وهو ابن عم الخليفة أيضا؛ فقد أخذ عل عاتقه استفزاز الثوار للإسراع فى قتل عثمان بعد أن كلفه الخليفة بالتحدث معهم عسى أن يقنعهم بالرجوع. والمفروض بمن ينوء بمثل هذه المهمة الكبيرة التى تحتاج إلى مفاوض من الطراز الأول أن يداهن القلوب ويجاملها ويستميلها، ويطيّب الخواطر، ويعتذر من الثائرين، ويثنيهم عن مهامجة الخليفة، ويذّكرهم بحقه عليهم، ولكن مروان استغل هذه الفرصة لحثهم على قتل الخليفة، حيث قال لهم مخاطبا ومهددا ومتوعدا: ((شاهت الوجوه، كل إنسان آخذ بإذن صاحبه، جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من بين أيدينا! اخرجوا عنها، وارجعوا إلى منازلكم، فإنّا غير مغلوبين على أمرنا!)).(2)

سؤال: إذا ما كان مروان مستفيدا من وضعه مع عثمان فلماذا يتآمر عليه؟

هنا يجب أن نعرف بأن السياسيين لا يقنعون بالقليل، وهم متى ما حققوا الانتصار يبدأون بالتقاتل فيما بينهم على المناصب، وقد عشنا هذه الحالة بعد التغيير فى العراق فى عام ٢٠٠٣ حيث امتدت المعارك البينية إلى البيت الواحد والمكون الواحد والحزب الواحد. ومروان رجل سياسى طماع مثل غيره ويتوق لما هو اكبر من منصب سكرتير للخليفة، ولذا تآمر لقتل الخليفة، وما ورد فى الكتاب الذى وجهه مروان إلى والى مصر عبد الله بن أبى سرح على لسان الخليفة عثمان ما يدل على حقيقة وجود المؤامرة وعلى

1- ننظر: المصدر نفسه، ص ٣٠٨-٣٠٩ .

2- ننظر: النظم الإسلامية، د. صبحى الصالح، ص ٩٢.

حراك المتآمرين الدائب والمستمر، ولو وقع هذا الكتاب بيد ابن سرح (1) لكان كافيا

لقتل جميع من اشترك من أهل مصر فى الثورة على الخليفة عثمان فى ساعة وصولهم إلى

مصر وحتى قبل أن يدخلوا إلى بيوتهم، مما يدفع قبائلهم وعشائرهم للثورة العارمة على

النظام كله وتقويضهن مع وضعه فى الحسبان أن الثوار إذا القوا القبض على الرسول

ممكن أن يعودوا ويقتلوا الخليفة ويهيئون الأجواء لاستيلاء السياسيين على السلطة.

أسأل سؤالا واحدا: أكثر من واحد من المؤرخين أفاد أن حصار الغوغاء للخليفة

عثمان فى بيته استمر زمنا طويلاً، قال عنه المسعودى: ((وكانت مدة ما حوصر عثمان

1- عبد الله بن سعد بن أبى سرح: ابن خالة عثمان بن عفان، كان كاتبا لرسول الله صلى الله عليه وآله فظهرت خيانته فى الكتابة فعزله رسول الله فأرتد عن الإسلام ولحق بأهل مكة فكان رسول الله أباح دمه يوم الفتح وعن ابن عباس رضى الله عنهما:كان عبد الله بن أبى سرح يكتب لرسول الله فلحق بالكفار فأمر به رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقتل فاستجار له عثمان فأجاره رسول الله. الحديث ٤٣٦١/ ٦٥ صفحة ٤٧ المستدرک للحاكم. وعن مصعب بن سعد عن سعد قال: لما كان يوم فتح مكة اختبأ عبد الله بن ابى سرح عند عثمان بن عفان فجاء حتى أوقفه على النبى صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله بايع عبد الله؟ فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثا ثم اقبل على أصحابه فقال: أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآنى كففت يدى عن بيعته فقتله؟ الحديث ٤٣٦٠/ ٦٤ المستدرک. هذا وقال الحاكم فى تعليقه على هذه الروايات: قد صحت الرواية فى الكتابين أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر قبل دخوله مكة بقتل عبد الله بن سعد وعبد الله بن خطل، فمن نظر فى مقتل عثمان بن عفان وجنايات عبد الله بن سعد عليه بمصر إلى أن كان أمره ما كان علم أن النبى! كان أعرف به. الصفحة ٤٨ من المستدرک ومع ذلک ولاه عثمان مصر رغم أنه كان من المتآمرين على قتل عثمان كما يتبين من تعلق الحاكم الآنف. ومن ولاة عثمان أيضا الوليد بن عقبة بن أبى معيط الذى رفض النبى صلى الله عليه وآله أن يمسح عل رأسه لتبريكه يوم الفتح وهوأخو عثمن لأمه. قال عنه الإمام أحمد: فقذره رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يمسه ولم يدع له.. لسابق علم الله تعالى والله أعلم. ومع ذلک استخدمه عثمان واليا على رقاب المسلمين فى الكوفة، ولما عزله وولاها سعيد بن العاص رفض أن يصعد المنبر وقال: أغسلوا المنبر لأصعد عليه أو يظهر. فغسل المنبر حتى صعد سعيد بن العاص ركما روى ذلک الحاكم، صفحة ١٠٨ وتوفى ابن سرح عام سبعة وثلاثين فى عسقلان. ص :110

فى داره تسعا وأربعين يوما وقيل: أكثر من ذلك)).(1) شهران وخليفة المسلمين محاصر

فى بيته فى عاصمة الحكومة الإسلامية وبين ظهرانى الصحابة وليس بين المحاصرين

للخليفة من هو فارسى، أو رومى أو حبشى، وكانت تحيط بالخليفة عشيرته الكبيرة،

فضلاً عن وجوه الصحابة والتابعين، ومع ذلك لا يجد من ينصره ويخلصه من بين أيدى

الثوار الغاضبين!! فأين ذهبت تلك الجيوش الجرارة التى جابت أنحاء الجزيرة العربية

ودخلت العراق لمقاتلة (المرتدين) و(مانعى الزكاة) و(المتنبئين الكذابين) والمعارضين

الذين لم يعرفوا ببيعة أبى بكر أو اعرضوا عليها؟ أين ذهبت تلك الجيوش الجرارة التى

قوضت حكم الإمبراطورية الفارسية وحررت الأرض العربية من الاستعمار الرومانى؟

أين ذهب الصحابة الكرام والتابعون الذين كانوا يخيوف الموت كما يحب غيرهم الحياة؟

أين ذهب الجيل المثالى الذى يقولون عنه إنه ((المعصوم عن الخطأ بمجموعه)) جيل

الصحابة الكرام؟ ولم لم تأخذ الغيرة والمروءة أيا منهم ليحمل سيفه ويدافع عن الخليفة،

ويقتل دونه؟ أين ذهب الأمويون الذين أغدق عليهم الخليفة الأموال والمناصب

والمكاسب وجعلهم أسيادا للمجتح وقيمين عليه؟ وأين ذهب جيش الشام الجرار،

المنظم، المجهز لخوض الحروب الشديدة؟ ولمآ تجمدت عقولهم فى هذه المدة، وصدأت

سيوفهم، فأحجموا عن فعل شىء؟ ثم لما بويع لعلى بالخلافة، لم تراهم يركبون جلهم

وينطلقون إلى البصرة لتحريرها من قوات على عليه السلام كما يدعون؟ ثم لما قتل الخليفة عثمان

تأنى من الشام جيوش جرارة لمطالبة الخليفة المنتخب على بن أبى طالب عليه السلام بدم الخليفة

المفدور الذى كان بأمس الحاجة لنصرهتم فى حياته فلم ينصروه؟! أليس فى جواب

هذه الأسئلة تكمن حقيقة وجود المؤامرة الكبيرة، ومن خلال جوابها تتكشف جذورها

العميقة؟

1- مروج الذهب، ٢ /٣٦٣

الفصل الثالث النزاع السياسى مع الخط العلوى

النزاع السياسى مع خط العلوى

إن تسارع الأحداث بعد مقتل عثمان ولاسيما بعد انتخاب الأمة عليا عليه السلام خليفة

للمسلمين بقدر كونه أربک السياسيين وأصابهم بالإحباط؛ إلا أنه اثبت مرة أخرى أنهم

كانوا على مستوى عال جدا من المهارات السياسية الفريدة التى يصعب تخيل وجودها

فى تلک الحقبة، وجدارتم الفائقة هذه دفعتهم إلى تغيير منهجهم القديم والاستعانة عنه

بمنهج جديد يمكنهم من الوقوف بوجه المد العلوى الجبار. فماذا حدث بعد أن وجد

السياسيون أنفسهم وجها لوجه مع على بن أبى طالب عليه السلام بكل ما تعنيه هذه المواجهة؟

لقد كان السياسيون على يقين تام بأن عليا عليه السلام هو الامتداد الطبيعى للرسول

الأكرم صلى الله عليه و آله وأنه التحدى الأكبر الذى يواجههم، وطالما أنه بعيد عن السلطة كان أمر

تجاوزه صعبا و غير مقدور عليه، فما العمل وقد تسلم السلطة، وكيف يتصرفون؟

هنا أوحى لهم فكرهم السياسى الناضج أن يعدوا له منهجا وخططا تكاد تتشابه مع

الخطط التى أعدوها للنبى صلى الله عليه و آله ولكن بشكل أوسع وأكثر نضجا، مع مجال أكبر للحركة،

وآليات أحدث وأكثر تأثيرا، وكان جل همهم وعظيم جهدهم منذ اللحظة الأولى لوفاة

النبى صلى الله عليه و آله أن يدفعوه عن الخلافة ويقصوه من الحياة العامة؛ ولذا تجد لخططهم الذى

امتد منذ عصر البعثة و إلى تاريخ خلافته عليه السلام أكثر من شكل ووجه وطريقة، وبشكل

عام يمكن إيجازه بثلاث مراحل هى على التوالى:

• مرحلة التآمر الأولى: المواجهة الناعمة. من خلال العمل على إبعاد الإمام

على عليه السلام عن الخلافة لكى لا يؤسس لمشروع الدولة الإسلامية والقيادة

المعصومة.

0مرحلة التآمر الثانية: المواجهة الخشنة. وامتازت باختيارهم طريق الحرب، ثم

شنهم ثلاثة حروب مدمرة انتهت بأغتيال الامام على عليه السلام.

0مرحلة التآمر الثالثة: تكميم الأفواه وتغيير الموروث. وامتازت بالعنف

الشعبى والمطاردة وسب لامام على عليه السلام؛ كرها له وإذلالا لاتباعه ومحبيه.

ص :116

المرحلة الأولى: المواجهة الناعمة

أولا: إتمام مشروعهم الذى بدأ فى زمن البعثة

و كانت غايته زرع الفرقة بين النبى صلى الله عليه و آله و بين على عليه السلام.

وهى الأخرى كانت على مراحل تتصاعد تدريجيا لتبلغ الذروة حسب مسار

مشروعهم والنتائج التى يحققونها والمكاسب التى يحصلون عليها من كل مرحلة فرعية؛

وهى:

0 أولا: اتمام مشروعهم الذى بدأ فى زمن البعثة وكانت غايته زرع الفرقة بين

النبى صلى الله عليه و آله وبين على عليه السلام.

وكانت من فقرات هذا البرنامج ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل من حديث:

((حدثنا ابن نمير حدثنى أجلح الكندى عن عبد الله بن بريدة عن أبيه بريدة قال: بعث

رسول الله صلى الله عليه و آله بعثين إلى اليمن على أحدهما على بن أبى طالب عليه السلام وعلى الآخر خالد بن

الوليد فقال: إذا التقيتم فعلى على الناس وإن افترقتما فكل واحد متكما على جنده

قال فلقينا بنى زيد من أهل اليمن فاقتتلنا فظهر المسلمون على المشركين فقتلنا المقاتلة

وسبينا الذرية فاصطفى على امرأة من السبى لنفسه قال بريدة فكتب معى خالد بن

الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه و اله يخبره بذلک فلما أتيت النبى صلى الله عليه و آله دفعت الكتاب؛ فقرئ عليه

فرأيت الغضب فى وجه رسول الله صلى الله عليه و آله فقلت: يا رسول الله هذا مكان العائذ بعثتنى مع

رجل وأمرتنى أن أطيعه ففعلت ما أرسلت به، فقال رسول الله صلى الله عليه و اله: لا تقع فى على فإنه

منى وأنا منه وهو وليكم بعدى)).(1)

1- مسند الإمام أحمد، أحمد بن محمد بن حبيل بن هلال بن أسد، دار إحياء التراث العربى، حديث رقم22503

ولأهمية هذه الواقعة أرى أن إيراد بعض طرق حديثها تثبت لمن يدعى أن عليا عليه السلام

كان يعيش حياة رغيدة مع باقى الصحابة يملؤها الود والحبة لم يكن صادقا فى قوله.

عن سعيد بن عمرى عن أبى بريدة على أبيه قال: ((بعثنا رسول الله صلى الله عليه و آله واستعمل علينا

عليا فلما رجعنا سألنا: كيف رأيتم صحبة صاحبكم؟ فإما شكوته أنا و إما شكاه غيرى

فرفعت رأسى، وكنت رجلا من مكة، وإذا وجه رسول الله صلى الله عليه و آله قد إحمر فقال: من كنت

وليه فعلى وليه))(1)

وبنفس السند: ((فرأيت منه جفوة، فقدمت على النبى صلى الله عليه و آله فذكرت عليا فتنقصته،

فجعل رسول الله يتغير وجهه، فقال: يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟

قلت: بلى، قال: من كنت مولاه فعلى مولاه))(2).

وعن عمران بن حصين قال: (اجهز رسول الله صلى الله عليه و آله جيشا واستعمل عليهم على بن

ابى طالب؛ فمضى فى السرية فأصاب جارية، فأنكروا عليه وتعاقد أربعة من أصحاب

رسول اللهصلى الله عليه و آله إذا بعثنا إلى رسول الله أخبرناه ما صنع، وكان المسلمون إذا رجعوا من

سفر بدأوا برسول الله فسلموا عليه، فانحرفوا إلى رحالهم، فلما قدمت الرية فسلموا

على النبى فقام أحد الاربعة فقال: يا رسول الله ألم تر أن عليا بن ابى طالب صنع كذا

وكذا، فأعرض عنه رسول الله،ثم قام الثانى وقال مثل ذلک، ثم الثالث فقال مقالته ثم

قام الرابع فقال مثلما قالوا فأقبل إليهم رسول الله والغضب يبصر فى وجهه فقال: ما

تريدون من على؟ إن عليا منى وانا منه، وهو ولى كل مؤمن بعدى))(3).

1- تهذيب خصائص الإمام على، و عبد الرحمن أحمد بن شعيب المعروف بالنسائى، ص ٧٣، حديث رقم 75

2- المصدر نفسه، ص ٧٤- 75 حديث رقم ٧٧

3- النسائی، ص۷۸، حدیث رقم ۸٤

وكان الصحابى خالد بن الوليد هو من يجثهم على الانتقاص من على عليه السلام أمام

النبى صلى الله عليه و آله:عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال: ((بعثنا رسول الله صلى الله عليه و آله إلى اليمن مع خالد

بن الوليد وبعث عليا عليه السلام على جيش آخر وقال: إن التقيتما فعلى (كرم الله وجهه) على

الناس، وإن تفرقتما فكل واحد منكما على جنده، فلقيتا بتى زبيد من اهل اليمن و ظفر

المسلمون على المشركين؛ فقاتلنا المقاتلة و سبيتا الذرية، فاصطفى على جارية لنفسه من

السبى، وكتب بذلک خالد بن الوليد إلى النبى صلى الله عليه و آله وأمرى أن أنال منه، قال: فدفعت

الكتاب إليه ونلت من على عليه السلام فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه و آله وقال: لاتبغضن يا بريدة عليا،

فإن عليا منى وأنا منه وهو وليكم بعدى))(1)

وقد تحدث بريدة صراحة عن بغضه لعليعليه السلام وكيف انتبه من غفلته على يد النبى صلى الله عليه و آله

كما فى الحديث الذى رواه ابنه عبد الله وقال حالفا: ((والله ما فى الحديث بينى وبين رسول

الله غير أبى)) قال: حدثنا عبد الله بن بريدة، قال: حدثنى أبى، قال:((لم أجد من الناس

أبغض من على بن أبى طالب حتى أحببت رجلا من قريش(2) ولا أحبه إلا على بغض

على فبعث ذلک الرجل على خيل فصحبته، وما صحبته إلا على بغض على... فكتب

وبعث معنا مصدقا للكتابة إلى النبى، فجعلت أقرأ عليه ويقول: صدقا؟ وأقول: صدق

فأمسک بيدى رسول الله فقال: يا بريدة أتبغض عليا؟ قلت: نعم فقال: لا تبغضه وإن

كنت تحبه فأزدد له حبا... فما كان أحد من الناس بعد رسول الله أحب إلى من على))(3)

1- المصدر نفسه، ص ٧٨- ٧٩، حديث ٨٥

2- الرجل هوخالد بن الوليد، وفى هذا دلالة على أن السياسيين كلهم كانوا يبغضون عليا عليه السلام.

3- تهذيب خصائص الإمام على، أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب المعروف بالنسائى، ص٨٤- ٨٥، حديث ٩٢

ثانيا: استباق الأحاديث و انتهاز الفرص ختلا.

ففى أثناء انشغال على عليه السلام بتجهيز النبى صلى الله عليه و آله عقدوا مؤتمر السقيفة الذى أرى أن

من دعا إليه ليس الأنصار كما تفيد كتب التاريخ وإنما دعا إليه السياسيون أنفسهم وفق

عمل دقيق التخطيط أقتضى غيابهم عن الصورة فى المرحلة الأولى؛ ثم الحضور بقوة فى

المرحلة الثانية. وهم لما تم الأمر لأبى بكر وأفلسوا أرادوا إشعالها فتنة طائفية لا تبقى ولا

تذر حيث تحرك أبو سفيان لإشعال الفتنة بين الخليفة الذى تمت بيعته فى السقيفة(أبو

بكر) والخليفة الشرعى (على)عليه السلام، فبعد أن تمت بيعة أبى بكر(المفاجئة) أو كما سماها

عمر (الفلتة) فى السقيفة والتى جرت حتى قبل أن يوارى النبى صلى الله عليه و آله فى قبره وجاءت

مخالفة لتوقعاتهم ومخيبة لآمالهم، عرف السياسيون المتآمرون أن الفرصة واتتهم وأنهم

قد يخسرون هذه الجولة إذا لم يثيروا الفتنة عارمة، فثار كبيرهم أبو سفيان معترضا على

أبى بكر بقوله:((ما لنا و لأبى بكر؟ إنما هى لبنى عبد مناف)) وذهب إلى على بن أبى طالب

وقال له: ابسط إفى يدك حتى أبايعك!! فرده الإمام عليه السلام بشدة؛ وقال له: إنك والله ما

أردت بهذا إلا الفتنة، والله طالما بغيت الإسلام شرًا، لا حاجة لنا فى نصيحتك))![(1)]

فقط انظروا إلى إدعائه (إنما هى لبنى عبد مناف) وليس لبنى أمية ثم أربطوا هذا

القول يقوله لما بويع عثمان:يا بنى أمية تلقفوها تلقف الكرة فوالذى يحلف به أبو

سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة)). وهو القول الذى أورده

المسعودى؛ وذكرناه عند حديثنا عن مقتل عمر، وستعرف خبثهم، بل وعيهم السياسى!

وقد جاءت فى كتاب أمير المؤمنين عليه السلامإلى معاوية بن أبى سفيان إشارة إلى هذه

الواقعة نصها: ا(...و قد كان أبوك أتانى حين ولى الناس أبا بكر فقال:أنت أحق

1- ينظر: تأريخ اليعقوبى، جزء٢، ص ١٢٦

بعد محمد صلى الله عليه و آله بهذا الأمر،و أنا زعيم لک بذلک على من خالف

عليک،أبسط يدک أبايعک،فلم أفعل.و أنت تعلم أن أباک قد كان قال ذلک وأراده حتى

كنت أنا الذى أبيت،لقرب عهد الناس بالكفر،مخافة الفرقة بين أهل الإسلام،فأبوک

كان أعرف بحقى منک،فإن تعرف من حقى ما كان يعرف أبوک تصب رشدک،و إن لم

تفعل فسيغنى الله عنک والسلام)).(1)

ثالثا: إنكار حقه فى الخلافة و أهليته للخلافة و العمل على تنحيته عنها مرتين.

اشارة

المرة الأولى: جاءت بعد الإنكار الأول الكبير فى السقيفة، ومن ميزاتها محاولتهم

اتهامه بما ليس فيه، كما هو اتهامهم له بأن فيه (دعابة) ذكر الماوردى عن ابن عباس

قوله: ((وجدت عمر ذات يوم مكروبا، فقال: ما ادرى ما أصنع فى هذا الأمر، أقوم عليه

وأقعد؟ فقلت: هل لک فى على؟ فقال: إنه لها لأهل ولكنه رجل فيه دعابة! وإنى لأراه

لو ولى أمركم لحملكم على طريقة من الحق تعرفونها. قلت: فأين أنت عن عثمان؟ فقال:

لو فعلت لحمل أبناء أبى معيط عل رقاب الناس، ثم لم يلتفت إليه العرب حتى تضرب

عنقه!)(2)

المرة الثانية: جعله سادس ستة يقودهم الصحابى المليادير عبد الرحمن بن عوف

الذى ابتدع ما عرف فى حينه باسم (سنة الشيخين) وما ادراک ما هذا الابتداع المحير،

وكيف أنه كان قنبلة الموسم السياسية التى لا يتفتق عنها إلا الذهن السياسى الجبار

1- ينظر: وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ٩١،أنساب الأشراف للبلاذرى ج ٢ ص ٢٨١،العقد الفريد ج ٤ ص ٣٣٦،مناقب الخوارزمى ص ٢٥٤،شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد مجلد ٣، ج15 ص ٧٨،بحار الأنوار ج ٢٩ ص ٦٣٢ الرقم ٤٧

2- الأحكام السلطانية، الماوردى، ص ١٢

المشمع بالحيل وخفة الحركة بل وبالسحر أيضا.

على و سنة الشيخين

إن بدعة (سنة الشيخين) إحدى المحطات السياسية العربية الإسلامية المهمة

التى وضعها السياسيون واوكلوا امرها إلى الصحابى عبد الرحمن بن عوف تعتبر حدّاً

فاصلا بين المرغوب توليه الأمر، والواجب إبعاده عنه، فهى من الروعة وجمال الصنع

وقدرة الأثر لدرجة أنها خلقت مخايرة بين قطبين أعلى وأدنى؛ فرجحت الأدنى وأخرت

الأعلى، وهذا منتهى النجاح.

أسأل: ماذا حلّ بقانون سنة الشيخين، ولم تجاوزته الأمة بعد حين بشكل ثورى

عنيف، لو لم يكن قد وضع بفعل التآمر السياسى العربى؟

إن بدعة (سنة الشيخين) بأثرها وتأثرها أثبتت عمق مدلول الفكر السياسى

العربى الذى نجح بتطويع المصطلح الدينى وتسخيره ليخدم السياسة الدنيوية، فالسنة

مصطلح دينى جاءت إضافة كلمة (الشيخين) إليه لتعطيه بعدا فكريا ذا ملامح دينية

فئوية خاصة، ووضع ذلك كله أمام شخص كان الشيخان يسألانه رأيه ويستمعان

لحكمه وينهلان من حكمته؛ ثم طلب منه أن يتنازل عن هذه الميزة ويصبح تبعا لهما إذا

أراد الحصول على الخلافة! أليس هذا هو العمل السياسى بعينه؟

إن الحديث عن هذه المحطة يبدو فى أحيان كثيرة وكأنه يريد الإفصاح عن سر

مفاده: إن عليا عليه السلام كان جهولا بالسياسة لا يجيدها مثل غيره بدليل أنه كان يمكن أن

يوافق على المقترح ثم لما يستلم الخلافة يعمل برأيه ولا يطبق هذا الاتفاق المجحف.

وفعلا كان هناك من روج لهذا الوهم لدرجة انك تجد المعاصرين يرددونه بنفس صيغته

القديمة؛ مما يعنى أن النهج السياسى القديم لايزال مستمرا!

أما واقعا فإن الإمام على عليه السلام شخّص بدعة (سنة الشيخين) وسبب إيجادها

واستخدامها من لدن صانعيها ميزاناً معياريّا ومعادلا موضوعيا بين المرشحين والخلافة،

ولذا تراه ينظر إلى مروجها ومطلقها عبد الرحمن بن عوف لما طرحها عليه بصيغة خيار

بين اللا والنعم وبصيغة: ((إن وليت هذا الأمر أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة

أبى بكر وعمر)) ثم يجيبه: ((إن كتاب الله وسنة نبيه لا يحتاج معهما إلى أجيرى أحد، أنت

مجتهد أن تزوى هذا الأمر عنى!))(1)

وأسأل: هل التزم عثمان بسنة الشيخين فى حقبة خلافته؟

إن ما تكلم عنه على بن أبى طالب لم يكن خافيا على عثمان نفسه؛ فعثمان كان يعرف

أسرار الصفقة التى أوصلته إلى سدة الحكم؛ عن طريق هذا لشعار حيث روى اليعقوبى:

إن عثمان فى خلافته اعتلّ علة اشتدّت به، فدعا حمران بن أبان وكتب عهداً لمن بعده،

وترك موضع الاسم فارغا. ثم أخذ الكتاب من حمران وكتب الاسم فى الغراغ سرّاً دون

معرفة حمران، وكان الاسم الذى كتبه هو (عبد الرحمن بن عوف) الذى بايعه بالأمس

خليفة ردّاً للجميل، ثم ربط الكتاب وبعث به إلى أم حبيبة، ففتحه حمران فى الطريق

وقرأه، فأتى عبد الرحمن فأخبره بالخبر. فغضب عبد الرحمن بن عوف غضباً شديداً

وقال: ((أستعمله علانية ويستعملنى سرّاً؟، و وجّه عبد الرحمن ابنه إلى عثمان فقال: قل

له: والله لقد بايعتك وإن فى ثلاث خصال أفضلك بهنّ: أنى حضرت بدراً ولم تحضرها،

وحضرت بيعة الرضوان ولم تحضرها، وثبت يوم أحد و انهزمت أنت))(2)

1- تأريخ اليعقوبى، ج٢، ص ١٦٢

2- ينظر: تأريخ اليعقوبى، ج٢، ص ٦٩، وهـذا القول يعيدنا إلى حديث عبد الله بن عمر (كنا نفاضل بين الصـحابة) لأن قول عبد الرحمن بن عوف يثبت أن هناك الكثير من مجتمع المدينة الذى خصه ابن عمر فى حديثه آنف الذكر لم يكونوا يؤمنون بما قاله وأرسله!

وأسأل مرة أخرى: إذا ما كانت نظرية سنة الشيخين من صميم الفقه الإسلامى،

لماذا إذن لم يعرض أحد من فقهاء الصحابة وكبارهم على مخالفة الناس لها، وانثيالهم

لمبايعة أشهر؛ بل أوحد المعروفين برفضها ومخالفتها والمصْرّ على عدم الاعتراف

بشرعيتها وهو الإمام على عليه السلام؟

وقبل ذلک، إذا كانت سنة الشيخين قد نجحت وأوصلت عثمان إلى سدة الحكم

باعتبار أنه تعهد بالالتزام بها والسير على هديها وعدم مخالفة نهجها، فلماذا لم تنزله عن

كرسيه بعد أن خالف سيرتهما، وبعد أن وضحت هذه المخالفة لكل الناس بكل جلاء

ووضوح، مما أدى إلى مقتله على يد مجموعة من الثوار؟

لقد اعترف كل من كتب فى تأريخ الخلفاء وسيرهم أن الخليفة عثمان ابتعد كثيرا

عن سيرة الخلفاء الذين سبقوه، بل وخالفها فى أكثر من موضع وموضوع، وهناک بين

الباحثين من أكد هذه الحقيقة وقال: ((لم يقتد عثمان بالشيخين فى سياستهما)).(1) فلم لم

يبادر من وضع هذه القاعدة ليقول للخليفة: إنک خالفت سنتهما؛ ولذا يجب أن تعزل؟

ولِمَ لم تبادر الأمة لذلک؟ ؛ انتظرت قدوم غوغاء أهل الأمصار كما يصفونهم لإبلاغ

الخليفة أنه خالف سنة الشيخين؟ لم؟

إن مصطلح سنة الشيخين بدعة لم تكن له علاقة بأهل السنة والجامعة الحقيقيين

الذين يرفضون سبّ علىّ عليه السلام خليفة المسلمين على المنابر، ويرفضون أن يسبه أحد، بل

تنحصر علاقته تحديدا بمن اغتصب الخلافة واغتصب معها الإسلام وقنّن شريعته

لتخدم خطه وتسند عرشه، لأن علياً عليه السلام لو كان يستحق اللعن حقا لكان الصحابة أولى

من غيرهم بذلک، وهم أقرب للإسلام وتعاليمه وسننه من غيرهم، ولمّا لم يصدر مثل

1- التأريخ السياسى، د. السيد عبد العزيز، مصدر سابق، ص ٢٩٧

هذا الأمر منهم؛ فذلک يدل على أن المصطلح الذى أوجده السياسيون بعد مقتل علىّ عليه السلام

وسم الإمام الحسن عليه السلام هم الذين استنبطوا من شريعة السياسة نظما ومصطلحات غريبة

وجعلوها سنناً يتعبد بها أتباعهم من المسلمين، أى: أن (السلف الصالح) برىء من هذه

التهمة التى يريد أن يلصقها به عبد العزيز الأثرى وغيره كما سيتبيّن لنا بعد قليل!

الملحوظ أن هذا المصطلح مركب من جزأين (السنة) و (الجماعة) وكلا الجزءين

وضع وعرف فى زمن الأمويّين تحديداً، ولم يكن مستخدما بصيغته المتداولة فى عصر

النبوة أوعصر الخلافة الراشدة وبذا يكون بدعة مستحدثة مخالفة لقول رسول الله: ((من

ابتدع فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))، وحديثه الآخر: ((كل بدعة ضلالة والضلالة فى

النار))، نعم كان هناک حديث عن السنة ويقصدون به السنة النبوية التى تلقاها المسلمون

من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ، وحديث عن الجماعة ويقصد به جماعة أتباع النبى صلى الله عليه وآله . أمّا فى

العصر الأموى؛ فتحول المصطلح بجزءيه للدلالة على أتباع معاوية وأنصار الدولة

الأموية، ومن يخالفهم؛ لا يدخل ضمن هذا المفهوم.

ومعروف أن (عام الجماعة) هى الفرية التى ابتدعها معاوية وروج لها وعاظ

السلاطين الموظفون لدى الحكومة الأموية وأطلقوها على العام الذى تسلم فيه معاوية

الملک، بعد أن تخلص من الإمام الحسن عليه السلام بالسمّ الذى دسّه له بواسطة زوجته جعدة

بنت الأشعث بن قيس،((فقالوا: عام الجماعة)).(1)

أمّا قول بعض المعنيّين بأن المقصود به: ((متابعة إجماع الصحابة وإجماع السلف،؛

فلا يمت إلى الحقيقة بصلة؛ لأنه يخالف ما أوردته كل كتب التأريخ التى تحدثت عن

تأريخ الإسلام الأول أو تأريخ الدولة الأمويّة، والتى أوردت سبب التسمية وموجباته،

1- أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى، محمد بن عبد الهادى المصرى، ص ٦٠.

أما من يعتقد أن إجماع الأمّة على نهج الإسلام النبوى / الراشدى قد تحقق على يدى معاوية، فنعطيه الحق بالتمسك بهذه التسمية؛ لأنها تعنيه وحده ولا تعنى المسلمين الآخرين.

أما (السنة) فقد ولدت مصطلحاً مشتقاً عن مصطلح (الجماعة) فى عهد الأمويّين كذلك، وقد جىء به للتدليل على المؤيدين للدولة الأمويّة وحكومتها، لتفريقهم وتمييزهم عن (أهل البدع)؛ أى: لتمييزهم عن الجهات التى تخالف النهج الأموىّ ولا تعترف بشرعيته، فهو من حيث سبب الوجود وغايته مشابه لمصطلح (الجماعة) كليّا.

أما دمج المصطلحين بمصطلح واحد فلم يتم إلا فى زمن الخلافة العباسية، وتحديدا فى أجواء الصراع العنيف حول مبانى الإمامة، والخلافة، والتفاضل بين كبار الصحابة، والموقف ممّا شجر بينهم من نزاع وحروب، والخلاف حول الصفات، والقول بالتجسيم، وقضية القول بقدم القرآن أم إنّه حادث مخلوق.

فى هذه الأجواء القلقة دعت الضرورة إلى دمج المصطلحين معاً للإشارة من خلالهما إلى فئة إسلامية محددة دون سواها من الفئات الأخرى من خلال التعاون بين الإمام أحمد بن حنبل ممثلاً للجانب الدينى القريب من الحكومة، والخليفة المتوكل العباسى ممثلاً للجانب السياسى فيها! وبالمناسبة يقول المستشرق (تسيهر) عن العباسيين: ((وبعد أن ظفر العباسيون بثمرة الدعاية الشيعية، اضطروا أن يكونوا على جانب كبير من الحصافة وبعد النظر لمقاومة الدسائس والمؤامرات التى لم ين الشيعة عن تدبيرها))(1)

و هل قتل حجر بن عدى من السنة أم من الجماعة؟

فى هذا التأريخ عدّ هذا المفهوم السياسى البحت (أهل السنه والجماعة) قانوناً

1- العقيدة والشريعة فى الإسلام، أجناس جولد تسيهر، ص ١٧٧ ٠

إسلامياً فقهيّاً ملزماً حينما احتاج إليه الحكام والولاة لإيقاع عقوبة الموت من خلاله

بمن خالفهم أو لا يتفق معهم فى الرأى أو يعترض على جلوسهم فوق منبر النبوة،

ولمّا كان المعترضون غالباً هم الشيعة بدلالة أن معاوية الذى كان أول من استخدم هذا

النصّ لإباحة دم المسلمين أخذ بقول زياد بن أبيه والى الكوفة لمّا رأى أن حجر بن عدى

وجماعته يمتنعون عن سبّ الإمام على عليه السلام،!(1) أسوة بجماعته (أهل السنة والجماعة) فى

المسجد بعد الصلاة، وقال اليعقوبى: وكان حجر بن عدى الكندى وعمرو بن الحمق

الخزاعى وأصحابهما من شيعة علىّ إذا سمعوا المغيرة وغيره من أصحاب معاوية وهم

يلعنون علياً على المنبر، يقومون فيردون اللعن عليهم... وأخذ زياد بن أبيه حجرا وثلاثة

عشر رجلا من أصحابه فأشخصهم إلى معاوية فكتب فيهم: إنهم خالفوا الجماعة فى لعن ابى تراب وزوّروا بذلك على الولاة فخرجوا من الطاعة))(2) فأخذ الخليفة بهذه التهمة

وأمر بقتلهم، لأنه كما نقل عنه قال:إنى رأيت قتلهم صلاحاً للأمة وإن بقاءهم فساد

للأمة)).

وتأريخ (سنة) لعن على عليه السلام يعود إلى سنة إحدى وأربعين للهجرة يوم استعمل

معاوية المغيرة بن شعبة والياً على الكوفة؛ فلما أمّره عليها دعاه، وقال له: وقد أردت

أيضا إيصاءک بأشياء كثيرة أنا تاركها اعتماداً على بصرک ولست تاركاً إيصاءک بخصلة:

لا تترک شتم علىّ وذمّه والترحّم على عثمان والاستغفار له والعيب لأصحاب علىّ

والإقصاء لهم والإطراء بشيعة عثمان والإدناء لهم... فأقام المغيرة عاملاً على الكوفة

لا يدع شتم علىّ والوقوع فيه، فإذا سمع ذلک حجر بن عدى قال: بل إياكم ذمّ الله

1- لم يكن الشيعة وحدهم من استهجن وأعترض على وامتنع عن سب على بن أبى طالب فالتأريخ يجدثنا أن كل الصحابة الكرام وتابعيهم

ممن أخـذ عنهم مبادئ دينه وتعبـده رفضوا أن يشتركوا مع أتباع السياسـيين ومعاويـة فى سـبه وهناك شواهـد وأقوال فى كتب التأريخ يطول ذكرها.

2- تأريخ اليعقوبى، ج٢، ص ٢٣٠.

ولعن... ثم لما توفى المغيرة ولى معاوية زياد بن أبيه على الكوفة فسار على نهج المغيرة))(1)

واستمر حجر على نهجه السابق فاتهمه زياد بأنه يريد تفريق الأمة ومفارقة الجماعة

والامتناع عن أداء سنة لعن على بن ابى طالب عليهما السلام وأحضر بعضًا من رجالهم المقربين

ومن خاصّتهم ليشهدوا بذلک، وتضم قائمة الشهود بعضا من أقرب الأسماء للسلطة

الحاكمة ولا تجد فيها ذكرا لأحد من الصحابة الأجلاء الفضلاء، بل كانوا كلّهم ممن

وترهم علىّ وحارب آباءهم، وهم كل من: إسحاق بن طلحة بن عبيد الله، موسى بن

طلحة بن عبيد الله، المنذر بن الزبير بن العوام، عمارة بن عقبة بن ابى معيط، عمرو بن

سعد بن ابى وقاص. والدليل على ذلک أن زياداً كان قد أدرج تدليساً اسم شريح بن

هانئ القاضى مع أسماء الشهود دون علمه، فلما علم شريح بذلک غضب غضبا شديدا

واعترض وكتب رسالة إلى معاوية فى الشام قال فيها: ((بلغنى أن زيادا كتب شهادتى،

وأنّ شهادتى على حجر أنه ممن يقيم الصلاة، ويؤتى الزكاة، ويديم الحج والعمرة، ويأمر

بالمعروف، وينهى عن المنكر، حرام الدم حرام المال))(2) ولم يأخذ معاوية بهذه الشهادة

العادلة أو يدقق فى فحواها وإنما أهملها وتركها!

وتأكيدا لهذا الافتراء، وتماهيا معه، وإخلاصا للنهج السياسى القديم، قال فاروق

عمر: ((بعد حوالى عشر سنوات من تسلم الأمويّين الخلافة تحرک حجر بن عدى

الكندى فى الكوفة سنة ٥١ هجرية/ ٦١٨ ميلادية وكانت حركته سياسية خالية من

المحتوى الدينى أو العقائدى))(3)

فهل من المعقول أن يثور حجر على الدولة الأموية القوية بعشرة أشخاص فقط،

1- ينظر: الكامل فى التأريخ، مجلد٣، ص ٤١٣ -٤١٤ .

2- يتظر:الكامل، ٣/ ٤٢٢- ٤٢٣.

3- الدكتور فاروق عمر، مصدر سابق، ص ٣٦.

وأى ثورة بائسة تلك؟، ولماذا غضبت أم المؤمنين عائشة على معاوية لما قتله لوكان دافعه سياسيّا؟ بل لماذا ندم معاوية على قتله لو كان حجر مجرد سياسى ثار على نظام الحكم؟ ولماذا يقول عمر بن بشير الهمدانى: ((قلت لأبى إسحاق: متى ذل الناس؟ قال: حين مات الحسن (يقصد الإمام الحسن بن على) وادعى زياد، وقيل حجر بن عدى))(1)

إن الحديث عن الحقيقة كما هى يفضح حقائق الكثير من الأمور المسكوت عنها والمستورة التى لا يراد لها الذيوع، ولذا لجأ هؤلاء إلى التدليس والخلط عسى أن يعينهم فى دفن تلك الحقائق فجعلوا من حجر بن عدى مجرما خارجا على إجماع الأمة وعلى القانون، ومحاربا لدولة الإسلام، وثائراً عليها بعشرة أشخاص فقط، ثم جعلوا بالمقابل من زياد بن أبيه والحجاج بن يوسف حراساً للعروبة! فأحمد المختار ما كان ليجرؤ على مدح الرجال الذين ولغوا بدماء الأبرياء لو أرفق بحديثه حقائق الوقائع، أما وقد أخفاها هو ومن هم على شاكلته؛ فمن حقه أن يدّعى أن فى الأمة العربية (حراس) وقفوا فى وجه المدّ الفارسى فى البصرة والكوفة، ليقول: ((ومن هؤلاء العرب زياد بن أبيه الذى ولى شؤون البصرة سنة ٤٥ هجوية/ ٦٦٥ ميلادية))(2)

ومن حقه أن يقول عن الدموى السفاح الحجاج بن يوسف الثقفى: لآوتابع سياسة حراسة إقليم العراق حارس آخر لا يقل غيرة على الأمة العربية عن زياد بن أبيه وهو الحجاج بن يوسف الثقفى الذى خلّد له التأريخ العربى أروع الصفحات فى تلك السبل وقدّم هذا الحارس الجديد إلى بلاد العراق سنة ٧٥ هجوية/ ٦٩٥ ميلادية بعد ثورة اندلعت فيها ضد الأمويين)).(3)

1- مقاتل الطالبيين أبى الفرج الأصفهانى، ص ٨٣.

2- أحمد المختار، مصدر سابق، ص ٢١.

3- أحمـد المختار، مصدر سابق، ص ٢٢-٢٣ هنا اود الإشارة إلى الخلط الـذى أورده المختار فالحجاج عين واليا على العراق بعـد موت واليها ٠بشر بن مروان) سنة ٧٥ هجرية، اما الثورة على الأمويين فنشبت عام ٨١ هجرية بقيادة عبد الرحمن بن محمد بن قيس بن الأشعث الكندى بعد أن أرسله الحجاج إلى حرب رتبيل فى سجستان، فعاد إلى العراق وخلع بيعة عبد الملك وأعلن الثورة.

ومن حقنا أن نسأل: أيهما أكثر عدالة عمر بن عبد العزيز أم أحمد المختار؟ بالتأكيد

لا يختلف اثنان أنّ عمر بن عبد العزيز أكثر عدالة من أحمد المختار وغيره ممن يؤمنون

بمثل هذه الآراء، ومع ذلک يختلف رأى عمر عن رأى هذا الكاتب؛ فقد قال خالد محمد

خالد عن عمر بن عبد العزيز: ((قال عنه الإمام العادل عمر بن عبد العزيز: لو جاءت

كل أمة بخطاياها وجئنا نحن (أى: بنو أمية) بالحجاج وحده لرجحناهم جميعا!))(1) وفى

طبقات ابن سعد والبداية والنهاية لابن كثير روايات عديدة فى الحجاج وظلمه وفسقه

وفجوره ودمويته، وكفى به ظلما أنه ذبح اكثر من مائة وثلاثين ألف مسلم صبرا بعد

فشل ثورة ابن الأشعث.

المهم أن حجرا لو كان ثائرا على الدولة الأموية ويبغى إسقاط دولتها لما كان

أصحاب معاوية حينما عرضوه وجماعته على القتل قد قالوا لهم: إنا قد أمرنا أن نعرض

عليكم الراءة من على واللعن له، فإن فعلتم تركناكم، وإن أبيتم قتلناكم! فقالوا: لنا

فاعلى ذلک، فأمروا بقتلهم))(2)فهل كانوا ليتركوهم بهذه البساطة لوكانوا من المتآمرين

على الدولة والمخالفين لنهج الشريعة؟ ثم أليس فى قول أتباع معاوية تأكيد جلى أنهم

كانوا يريدون منهم سبّ على عليه السلام لا أكثر، وكأنّ سبّ على عليه السلام هو الميزان المعيارىّ

للمواطنة فى دولة السياسيين!

ولو كان حجر معاديا للدولة وثائرا عليها وساعيا خلف السلطة ما كان التابعى

1- رجال حول الرسول، خالد محمد خالد، ص ٥٦٥.

2- ينظر: الكامل فى التاريخ، مجلد٣ ص ٤٢٤.

الكبير الحسن البصرى؛ ليقول فيه وفى جماعته من الرجال الذين استشهدوا معه: ((حجّوا

ورب الكعبة))(1) ولما كان ليقول فى مناسبة أخرى: ((أربع خصال فى معاوية لو لم تكن له

إلا واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسيف.. واستخلافه ابنه سكّيراً خمّيراً

يلبس الحرير ويضرب بالطنابير.. واذعاؤه زيادا.. وقتله حجرا وأصحاب حجر))(2)

ولما كان معاوية نفسه قد أسف على قتل حجر لدرجة أن ابن سيرين التابعى

المعروف؛ قال: ((بلغنا أن معاوية لما حضرته الوفاة جعل يقول: يومى منك يا حجر

طويل))(3)

أقول للحقيقة والتأريخ إن أم المؤمنين عائشة قالت لمعاوية حين حجّ، ودخل

عليها: ((يا معاوية، أقتلت حجرا وأصحابه..؟ أما إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله ! يقول:

يقتل بمرج عذراء نفر يغضب لهم أهل السماوات! قال: لم يحضرنى رجل رشيد!))(4)

وروى فى كتب التأريخ أن معاوية كان يقول: ((ما أعد نفسى حليماً بعد قتلى حجرا

وأصحاب حجر))(5)

فلوكان حجر وجماعته من المتآمرين على الدولة، هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله !! ليذكر ذلك

الحديث للمسلمين إلا إذا كان يريد التأكيد أن حجرا وجماعته سيثورون على سلطان

غاصب للخلافة جاء بموبقة سب الإمام علىّ عليه السلام، تفرح ملائكة السماوات بشهادة من

يعترض على جور حكمه؟ وهل كانت أم المؤمنين عائشة لتذكر ذلك الحديث بوجه

1- الكامل فى التأريخ، ص٤٢٦.

2- المصدر نفسه، ص ٤٢٧.

3- الكامل فى التأريخ، المجلد٣، ص ٤٢٨.

4- تأريخ اليعقوبى، جزء٣، ص ٢٣١.

5- المصدر نفسه

معاوية؟ وهل كان معاوية ليعد نفسه ليس حليما لأنه قتل حجرا وجماعته؟

لم يكن مقتل حجر بن عدى بالأمر الهين ولذا علق الربيع بن زياد على قتله بقوله:

((لا تزال العرب تقتل صبرا بعده، ولو نفرت عند مقتله لم يقتل رجل منهم صبرا،

ولكنها أقرت فذلت)).

المهم أن مصطلح (أهل السنة والجماعة)؛ هذا المصطلح السياسى البحت لم يختف

بزوال حكم واضعيه ومستخدميه وإنما تطور وتوسع ليخص ويختص بفئة واحدة من

المسلمين دون سواهم من الفرق الإسلامية الأخرى وهم (السلفية) حيث قال عبد

الله الأثرى فى تعريفه للفرقة التى تؤمن كليا بذا المصطلح: إنها الفرقة التى وعدها

الله بالنجاة من بين الفرق... وبهذا لا يخرج تعريف أهل السنة والجماعة عن تعريف

(السلف).... وهذا هو المعنى الأخص لأهل السنة والجماعة، فيخرج من هذا المعنى

كل الطوائف المبتدعة وأهل الأهواء كالخوارج والجهمية والقدرية والمعتزلة والمرجئة

والرافضة))(1)

وكأن الرجل يريد أن يدعى أن تسمية مجموعة من المذاهب باسم أهل السنة

والجماعة قد جاءت لهذا السبب تحديدا، ولكن هناك من قال الحقيقة ولم يعرف بصحة

هذا الادعاء كما فى قول(إياد إبراهيم القطان) مدير المركز الثقافى الملكى الأردنى الذى

جاء فى نشرة معروفة ومهمة جدا اسمها (المنتدى) تصدر فى المملكة الأردنية الهاشمية،

ويشرف عليها وعلى المنتدى الذى يصدرها الأمر (الحسن بن طلال) ولىّ العهد السابق:

إن كلمة(سنّى) فى تعبير(الفقه السنى) تشير إلى سنة السلف الصالح فى اختيار الخلفاء

1- الوجيز فى عقيدة السلف الصالح، عبد الله بن عبد الحميد الأثرى، ص ٤٥

الراشدين، ولا تشير إلى (السنة المحمدية) كما أصبح شائنا بين العامة فيما بعد))(1)

وبناءً عليه وضمن حدود التعريف الإقصائىّ الشاذ للأستاذ الأثرى عرف معنى

(العقيدة الاسلامية) وخصص؛ فهى بحسب مفهومه: إذا أطلقت فهى عقيدة أهل

السنة و الجامعة لأنها هى الإسلام الذى ارتضاه الله دينا لعباده، وهى عقيدة القرون

الثلاثة المفضلة))(2) لكنها واقعا ليست شاملة لأهل السنة والجماعة من الحنفية والمالكية

والشافعية، وإنما مخصوصة بالسلفية الحنابلة وحدهم دون سواهم طبعا؛ فهؤلاء بحسب

التعريف مشمولون بالإقصاء حالهم حال الفرق التى ذكرها الأثرى!

هنا لا يفوتنى القول: أن مفهوم (أهل السنة والجامعة) لم يكن نهجا فاعلا مؤثرا

باستمرار؛ إذ كان يتوهج ثم يخبو تبعا للمستجدات السياسية الطارئة؛ ولذا تراه بأعلى

مراحل بريقه الوهاج مع اشتداد التناحر والنزاع بين مكونات المجتمع الاسلامى، الذى

بلغ اشده تزامنا مع تحول بعض الأمم لاعتناق التشيع، وذلك بهدف توحيد المذاهب

فى خندق واحد مقابل خندق التشيع، أى: إنه عاد إلى التخندق الأول الذى أشار إليه

النوبختى وذكرناه من قبل فى مطاوى البحث.

بقيت مسألة مهمة أريد ذكرها؛ وهى أن علياً عليه السلام كان قد تحدث للمسلمين عن

هذه الحراكات حتى قبل ولادتها؛ فقال كما ينقل المتقى الهندى: إن عليا سئل عن أهل

الجماعة وأهل الفرقة فقال: ((فأما أهل الجماعة فأنا ومن اتبعنى وإن قلّوا وذلك الحق

عن أمر الله وأمر رسوله... وأما أهل الفرقة فالمخالفون لى ومن اتبعنى وإن كثروا))(3)

1- نشرة المنتدى — منتدى الفكر العربى برئاسة الأمير الحسن بن طلال ولى العهد، العدد ٧٠ المجلد ٦ تموز ١٩٩١.

2- الوجيز فى عقيدة السلف، ص ٣٠.

3- كنز العامل، المتقى الهندى، جزء ١٦، ص ١٨٤، حديث ٤٤٢١٦.

وهو ما أشار إليه الأصفهانى بقوله: عن عبد الله بن مسعود: ((إن جمهور الجماعة

الذين فارقوا الجماعة، والجماعة ما وافق الحق و إن كنت وحدك)).(1)

فالسياسيون هم الذين أوجدوا كل المصطلحات الإقصائية بدءاً من مصطلح (سنة

الشيخين) مرورا بمصطلح (أهل السنة) وصولا إلى مصطلح (أهل السنة والجماعة)

فهذه المصطلحات الطائفية السياسية لم تكن وليدة فكر الحكام، وإنما جاء بها الإفتائيون

بعد أن أمر السياسيون المتآمرون بنشرها بين المسلمين، ومن نكاية الزمان أن تنتشر هذه

المصطلحات فرحا بمقتل الإمام الحسن عليه السلام وكأنه كان يقف مانعاً دون تكتل المسلمين

فى جماعة.!

رابعا: التخلف عن بيعته

ثم لما بايعت الأمة علياً عليه السلام خليفة واجتمع ((أصحاب رسول الله من المهاجرين

والأنصار وفيهم طلحة والزبير فأتوا عليا فقالوا له: لابد للناس من إمام؟ قال: لا حاجة

لى فى أمركم فمن اخترتم رضيت به! فقالوا: ما نختار غيرك، وترددوا إليه مرارا،

وقالوا له فى آخر ذلک: إنا لا نعلم أحدا أحق به منک، ولا أقدم سابقة، ولا أقرب قرابة

من رسول الله. فقال: لا تفعلوا، فإنى أكون وزيرا خيرا من أن أكون أميرا))(2)وبعدها

انهالوا عليه زرافات ووحدانا فاختاروه خليفة، لم يتخلف عن بيعته إلا من كان شانئا

له أو سياسيا محترفا صاحب مشروع يبغى الترويج له؛ وكان عبد الله بن عمر على رأس

المتخلفين بالرغم من أنه بايع كل من جاء بعد الإمام من الملوک وأولهم معاوية وابنه

يزيد من بعده، قال ابن معد: ((أخبرنا يزيد بن هارون عن محمد بن مطرف عن زيد بن

أسلم: إن ابن عمر كان فى زمان الفتنة لا يأتى أمير إلا صلّى خلفه وأدى إليه زكاة ماله))

1- النصائح الكافية لمن يتولى معاوية، محمد بن عقيل، ص ٢١٩.
2- الكامل فى التأريخ ٧/ ١٧٧.

ولاسيما إذا ما كان هذا الأمر قد غلب منافسه و قضى عليه، يقول ابن سعد: أخبرنا

مسلم بن إبراهيم قال حدثنا حميد بن مهران الكندى؛ قال أخبرنا سيف المازنى؛ قال:

كان ابن عمر يقول لا أقاتل فى الفتنة، وأصلى وراء من غلب)) وقال ابن سعد أيضا:

أخبرنا أحمد بن يونس؛ قال حدثنا أبو شهاب عن يونس عن نافع؛ قال: ((قيل لابن عمر

زمن ابن الزبير والخوارج والخشبية: أتصلّى مع هؤلاء ومع هؤلاء وبعضهم يقتل بعضاً

قال: فقال: من قال حى على الصلاة أجبته، ومن قال حى على الفلاح أجبته، ومن قال

حى على قتل أخيک و أخذ ماله قلت: لا)).

وقال ابن سعد: ((أخبرنا عارم بن الفضل قال حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن

نافع: إن معاوية بعث إلى ابن عمر بمائة ألف، فلما أراد أن يبايع ليزيد بن معاوية قال:

أرى ذاک أراد هذا، إن دينى عندى إذاً لرخيص))

بل إنه كان يبادر بالكتابة إليهم حتى قبل أن يطالبوه بالبيعة؛ يقول ابن سعد: كتب

ابن عمر إلى عبد الملک بن مراون فبدأ باسمه فكتب إليه: أما بعد فالله لا إله إلا هو

ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه، إلى آخر الآية، وقد بلغنى أن المسلمين اجتمعوا

على البيعة لک، وقد دخلت فيما دخل فيه المسلمون والسلام*.

وكان يجبر أبناءه على البيعة؛ قال ابن سعد: ((لما أجمع الناس على عبد الملک بن مروان

كتب إليه ابن عمر: أما بعد فإنى قد بايعت لعبد الله بن عبد الملک أمير المؤمنين بالسمع

والطاعة على سنة الله وسنة رسوله فيام استطعت وإن بنى قد أقروا بذلک))(1)

ولكنه حينما قرب أجله ندم على ما قدم، وقال قولته المشهورة: قال ابن سعد:

أخبرنا الفضل بن دكين قال: حدثنا عبد العزيز بن سياه قال: حدثنى حبيب بن أبى

1- ينظر الطبقات الكبرى، ترجمة عبد الله بن عمر، والحقبة من سنة ٥٠ وحتى ١١٨ هجرية.

ثابت قال: بلغتى عن ابن عمر فى مرضه الذى مات فيه، قال: ما أجدنى آسى على شىء من أمر الدنيا، إلا أنى لم أقاتل الفئة الباغية)) كما قال خالد محمد خالد: ((روى عنه أنه قال فى أخريات أيامه: ما أجدنى آس على شىء فاتنى من الدنيا، إلا أنى لم أقاتل (مع على) الفئة الباغية))(1)

وقال ابن الآثير: ((وكان ممن امتنع عن بيعته لما بايعت الناس المغيرة بن شعبة))(2) كما كان مروان بن الحكم واحدا من أشهر ثلاثة رؤوس امتنعت عن بيعة على عليه السلام، منهم الوليد بن عقبة بن أبى معيط، وسعيد بن العاص، وقد ادّعى هؤلاء الممتنعون الثلاثة أنهم لن يبايعوا لآنّ علياً عليه السلام وترهم وقتل آباءهم، حيث تكلم الوليد بن عقبة أمام علىّ بلسان جماعته الآخرين فقال: ((يا هذا إنک قد وترتنا جميعا، أما أنا فقتلت أبى صبرا يوم بدر، وأما سعيد بن العاص فقتلت أباه يوم بدر، وأما مروان فشتمت أباه وعبت على عثمان حين ضمه إليه))(3) وكان من المتخلفين عن البيعة: عبد الله بن عامر و أسامة بن زيد وزيد بن ثابت والنعمان بن بشير(4)

كذلک امتنع عمرو بن العاص الذى غادر المدينة إلى فلسطين فى حصار عثمان؛ فلم يعد إليها ولم يبايع علياً عليه السلام، وإنما استجاب لطلب معاوية وذهب إلى الشام ليفاوض معاوية على التعاون معه مقابل منحه مصر بخراجها وخيراتها (5) وحينما نجحت المفاوضات بينهما نسى عمرو تلک الدملة التى تباهى أنه أنكأها، ويقصد تحريض الناس

1- رجال حول الرسول، خالد محمد خالد، ص ١٠٧.

2- ينظر: الكامل، مجلد٣،ص ١٦٤.

3- تأريخ اليعقوبى، ج٢، ص ١٧٨.

4- ينظر تأريخ الطبرى، ج ٥ ، ص ١٥٣-هـ١-١٥٦.

5- ينظر: تأريخ اليعقوبى، ج٢، ص ١٩٣ .

على عثمان، وصار من أكبر المطالبين بدمه والثأر له.

الجدير بالذكر أن المسلمين كانوا يرون فى التخلف عن البيعة أمرا معيبا وكانوا

يبيحون لأنفسهم سب من يتخلف عن البيعة والتطاول عليه علنا سواء كانت البيعة

شرعية صحيحة أم مخالفة للشرع؛ فبعد بيعة أبى بكر اعتزلته الأنصار (فغضبت قريش

وأحفظها ذلک فتكلم خطباؤها، وقدم عمرو بن العاص فقالت له قريش: قم فتكلم

بكلام تنال فيه من الأنصار؟ ففعل ذلک... فخرج عليّاً مغضبا حتى دخل المسجد فذكر

الآنصاربخير).(1)

إن الاختلاف بين منهجى على عليه السلام وابن العاص يؤكد قرب أحد المنهجين لروح

الدين وبعد المنهج الثانى كليا عن الدين فى الأصول والفرعيات ومنها حب الأنصار

الذين كان الرسول يحبهم، وفى الحديث: ((حدثنا محفوظ بن أبى توبة، ثنا يزيد بن

موهب، عن عيسى بن يونس، عن مجالد، عن الشعبى، عن خفاف بن عرابة، عن عثمان

بن عفان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((الأصمار أصحابى فى الدنيا وشيعتى فى الآخرة،

وأول من يدخل الجنة من أمتى)).(2)

لقد أزعج انتخاب الإمام على عليه السلام خليفة للمسلمين كل الطامعين بالإمرة والساعين

إليها والداعمين لهم، ومن يفضلهم على غيرهم، ولذا تجد التأثير قد وصل إلى بيت

النبى صلى الله عليه وآله نفسه إذ جاء عن أم المؤمنين عائشة قولها بعد مقتل عثمان، وبعد إن علمت أن

الأمة بايعت على عليه السلام خليفة للمسلمين: ((والله ما أبالى أن تقع هذه على هذه)).(3)

1- تأريخ اليعقوبى، ج٢، ص ١٢٨.

2- الأوائل، أحمد بن عمرو بن الضحاک بن مخلد الشيبانى أبو بكر بن أبى عاصم، كتاب الكترونى،ص٢٢.

3- تأريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١٨٠.

خامسا: إفشال خططه وجهده عليه السلام بالدس والتدليس والغش.

بعد انتخاب علىّ للخلافة رغما لأنوف السياسيين، أصبح الهم الأكبر إفشال خططه والاعتراض على مشروعه البنائى وإسقاطه؛ وكانت لهم محاولات عديدة منها:

١ . ما فعله المغيرة بن شعبة يوم زار علىّ عليه السلام (لينصحه) بضرورة إبقاء ولاة عثمان الفاسدين فى مواقعهم بما فيهم معاوية. وهى محاولة بارعة من السياسيين العرب كان هدفهم منها الحصول على فرصة لتنظيم أمورهم واستكمال استعداد جيشهم، لأن بيعة على عليه السلام للخلافة بغتتهم، وهو الموضوع الذى تحدث عنه المسعودى بقوله: ((ووجدت فى وجه آخر من الروايات أن ابن عباس قال: قدمت من مكة بعد مقتل عثمان بخمس ليال، فجئت على أدخل عليه، فقيل لى: عنده المغيرة بن شعبة، فجلست بالباب ساعة، فخرج المغيرة وسلم علىّ، وقال: متى قدمت؟ قلت: الساعة، ودخلت عليعلىّ وسلمت عليه فقال: أين لقيت الزبير وطلحة؟ قلت: بالنواصب، قال: ومن معهما؟ قلت:أبو سعيد بن الحارث بن هشام فى فتية من قريش، فقال علىّ: ((أما إنهم لم يكن لهم بعد أن يخرجوا يقولون نطلب بدم عثمان، والله يعلم أنهم قتلة عثمان))، فقلت: أخبرنى عن شأن المغيرة، ولم خلا بك؟ قال: جاءنى بعد مقتل عثمان بيومين فقال: أخلنى ففعلت، فقال: إن النصح رخيص وأنت بقية الناس، وأنا لك ناصح، وأنا أشير عليك أن تردّ عمّال عثمان عامك هذا فاكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم)).(1)

إن المغيرة الذى لبس ثوب الناصحين ممثلا ومندوبا للسياسيين العرب وموفدا منهم إلى الإمام والخليفة كان قد جازف قبل هذا التاريخ مع عمر بن الخطاب أيضا

1- مروج الذهب، سعودى، ٢ / ٣٧٢ والكامل فى التأريخ، مجلد٣ ص ١٦٨ واليعقوبى فى تاريخه، ج ٢ ،ص ١٨٠.

بنفس الآسلوب ولنفس الغاية والسبب، وبأمر من السياسيين العرب، فقد أخرج

الطبرى عن النخعى والرواية أوردها السيوطى فى تاريخه: ((إن رجلا (المعروف أن هذا

الرجل الذى لم يذكره النخعى هو المغيرة بن شعبة مولى أبى لؤلؤة وثانى أكبر متآمر)

قال لعمر: ألا تستخلف عبد الله بن عمر؟ فقال: قاتلك الله، والله ما أردت الله بذا،

أستخلف رجلا لم يحسن أن يطلق امرأته؟))(1)

يكفى أن نعلم بأن المغيرة بن شعبة اعترف صراحة بأنه حاول غشّ الإمام علىّ عليه السلام

بتلك النصيحة الغريبة (2) وقد أشار اليعقوبى إلى هذا الاعتراف الخطر جدا فى تأريخه

(3)ولكنه لا هو و لا من قرأ أو سمع الاعتراف فهموا الدافع السياسى الذى كان يقف

وراء هذه الحراكات.

٢. ومنها قيامهم بمطاردة ولاته بالترصد لهم خارج حدود المدينة وعلى أطراف

المدن؛ ومنعهم من الالتحاق بأعمالهم. إذ روى ابن الأثير فى حوادث سنة ست وثلاثين:

((إن فى هذه السنة فرق علىّ عماله على الأمصار: خرج سهيل حتى كان بتبوك فلقيته خيل

فأرجعوه إلى المدينة! وخرج بيس بن سعد فلما انتهى إلى أبلة لقيته خيل! وخرج عمارة

بن شهاب فلما بلغ (زبالة) لقيه طلحة بن خويلد فقال له:ارجع فإن القوم لا يريدون

بأمرهم بدلا، فإن أبيت ضربت عنقك))(4)وهذا عمل منظم؛ لا اعتباطية ولا ارتجال

فيه، ويدل على مستوى سياسى عال جدا، ورفع كفاية لإسقاط مشروع قيد التنفيذ،

وقد شهدنا مثل هذا التنسيق فى تنفيذ العمليات الإرهابية فى العراق بما يدل على ارتباط

1- تأريخ السيوطى، ص ١٤٥.

2- ينظر: الكامل فى التأريخ، مجلد٣ ص ١٦٨.

3- تأريخ اليعقوبى، جزء٢،ص ١٨٠.

4- ينظر: الكامل لابن الأثير، المجلد٣ ص ١٧٢ -١٧٣ .

المنفنين بقيادة واحدة!

سادسا: تخريب اقتصاد دولته

بدأ التخريب الاقتصادى مبكراً جداً، وتحديداً مع بداية انتخاب أبى بكر يوم قاموا

بمصادرة فدک منه ومن زوجه فاطمة عليها السلام؛ ثم أخذ شكلا آخراً فى النصف الثانى من

خلافة عمر بن الخطاب وبشكل ظاهره عفوى وباطنه كيدى تآمرى بغية خلق طبقتين

غنية متحكمة قائدة مسيطرة، وفقيرة مسحوقة مسلوبة الإرادة محكومة. وكان هدفهم

من ذلک إرباک الأوضاع السياسية للخليفة ودولته وشعبه.

إن مسألة التمييز فى توزيع الأموال التى سنها عمر إنما كانت بحث من السياسيين

أنفسهم، وجاءت لتجريد الأطراف المعارضة لهم من أموالهم وإضعافهم اقتصاديا،

وأنا أربط هنا بين قول من يرى أن الخليفة الأول صادر فدک من فاطمة عليها السلام ليضعف

علياً عليه السلام اقتصاديا، وبين أمر لخليفة الثانى بالتفريق بين المسلمين فى العطاء ربطا مباشراً،

وهنا نلحظ أن المستفيد الأكبر من هذا القرار هم السياسيون، والمتضرر الأكبر منه هم

المعارضون، ومن أسلم من الموالى الذين كانوا يحسبون على المعارضة بسبب حرمانهم

وبحثهم عمن ينصفهم.

أقرت هذه السياسة وفق المرسوم العمرى: لا أجعل من قاتل رسول الله كمن

قاتل معه))(1) وفى حديثه عن سنة ١٥ هجرية قال الطبرى عن هذا القانون العمرى:

((وفى هذه السنة فرض عمر للمسلمين الفروض و دوّن الدواوين وأعطى العطايا على

السابقة)).(2)

1- الخراج، محمد بن عبد الله الأزدى البصرى، ص ٤٣ .

2- تأريخ الطبرى، ج٢، ص٦٦١.

وعندما طعن عمر عرف الغاية من الضغط عليه بشدة لإصدار مرسوم المفاضلة،

فقال قولته المشهورة: ا(لئن عشت إلى هذه الليلة وبقيت إلى الحول، لألحقن آخر الناس

بأولهم ولأجعلنهم رجلاً واحداً.. حتى يكونوا فى العطاء سواء))(1)

أما فى خلافة عثمان فقد أخذت سياسة التمييز فى العطاء والتوزيع طابعا جديدا

ومكشوفا حيث تجمعت الأموال بيد الأمويين، وأفتقر المسلمون من عرب وموالى من

غير الأمويين.

ومع تولى الإمام على عليه السلام الخلافة ضج السياسيون وتآمروا على إفقاره وتجويع شعبه

من خلال سرقة ما كان موجودا فى بيوت مال المسلمين لكى يضعفوه ويعرفوا الناس

عنه؛ وعليه تجد (يعلى بن منية(2) عامل عثمان على صنعاء يتحرك فى أحد اتجاهات التآمر

فيبادر إلى سرقة أموال بيت المال فى اليمن بعد مبايعة الإمام على عليه السلام مباشرة واللجوء

إلى مكة والتحصن فيها، فلما التقى بطلحة والزبير بعد قدومهم إليها أعانهما بأربعمائة

الف، وحمل سبعين رجلا، واشرى لعائشة حملا بثمانين دينارا (3) وفى رواية ابن الأثير

فى الكامل: ((وجهزهم يعلى بن منية بستماتة بعير وستمائة ألف درهم))(4)وفى رواية

اليعقوبى((و قد يعلى بن منية بمال من اليمن قيل إن مبلغه أربعمائة ألف دينار فأخذه

منه طلحة))(5)

1- ينظر الطبرى، ٢ج، ص 565

2- كان يسمى باسم أمه(منية)أما اسم أبيه فهو (أمية) ولذا يرد اسمه فى بعض الأحيان باسم أمه وفى يعضها باسم أبيه

3- ينظر: الجفر والفتن، ص ٣٠

4- الكامل، ابن الأثير، المجلد٣،ص ١٧٨

5- تأريخ اليعقوبى،جزء٢، ص ١٨١

بمعنى أن التباين والتمكن المالى الذى أحدثته سياسة عمر فى توزيع العطاء وسياسة عثمان فى فتح بيوت مال المسلمين للأمويين لم يكن فاشيًا فشوًا طبيعئا بين عموم السابقين من المسلمين، أو عند غالبيتهم، ولا فى المجتمع الإسلامى كله، بل ولا حتى فى نصفه أو ربعه، ممايؤكد أن هناك خللاً مقصودًا دبره السياسيون أنفسهم أحدث تباينًا فى توزيع الأموال والثروات لم يفطن له الخلفاء ومنهم عمر، إذ لو كان التوزيع طبيعى وناتجا عن ظروف التقدم الاقتصادى لعاصمة المسلمين نتيجة مغانم الفتوح لكان قد شمل المجتمع كله، بينما نجد مقابل جبال الذهب التى تكدست عند البعض من الأقلية قحطا مدقعا عند الغالبية، وفى صحيح الأخبار أن جميع تركة الإمام علئ بن أبى طالب عليه السلام بعد أن طعنه أشقاها المجرم ابن ملجم فى بيت الله، لم تتجاوز السبعمائة درهم فقط!!!

ص:142

محاولات الإصلاح الاقتصادى العلوية

وحينما ولى الإمام على عليه السلام الخلافة حاول إصلاح ما أفسدوه بغيهم وعمل على

إعادة الأمور إلى نصابها بعيداً عن أى تحيز سياسى أو مفاضلة عصبية، وقد حاول عليه السلام فى

أوائل أيام خلافته تصحيح الاعوجاج المدمر، والمؤثر فى مسيرة الاسلام وعقيدته، بل

والموهن لقدرات الإسلام بإعادة الأمور إلى نصابها، وتقسيم المال بين الناس بالتساوى،

وأول عمل قام به أنه (انتع أملاكا كان عثمان أقطعها جماعة من المسلمين، وقتم ما فى

بيت المال على الناس، ولم يفضل أحدا على أحد).(1)

إن السلوك المتحيز والنظرة التسقيطية الاحتكارية الضيقة إلى مال المسلمين يبدوان

أكثر قربا إلى نظرية(الحق الإلهى)(2) التى انفرد بها الاتجاه القرشى الأموى تساوقاً مع

ما كان شائعًا فى بلاد فارس منه إلى تعاليم الإسلام، ومع ذلك قد يأتى من يعترض على

فكرة وجود مؤامرة سياسية، أو يعرضن على قولنا أن هذه المؤامرة هى التى كانت تحرك

إلى هذا الاتجاه، ويقول: صحيح أن هذا السلوك سواء من حيث التعامل مع المال أم

التعامل مع المعترضين على السلوك المخطئ يبدوان مخالفين للنظرية الإسلامية، ولكن

أين موقع المؤامرة منه، وما هى المؤشرات على وجودها؟

والجواب عليه يمكن تلخيصه بالآتى: يبدو من خلال طريقة اعتراض من لم يرضهم

هذا العمل أنها تمثل الاتجاه الإسلامى البحت وهو اتجاه عرف بإتباعه الطرائق السلمية

1- مروج الذهب، المسعودى،ج ٢، ص ٣٧٠

2- سوف نتوسع إن شاء الله بشرح نظرية الحق الإلهى لاحقا

من خلال المعارضة الايجابية النابعة من تشريع وقاعدة (الدين النصيحة) وشعار

((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)) وكان القائمون على هذا النهج مجموعة من

وجوه الصحابة المعروفين ومنهم على بن أبى طالب، وعمار بن ياسر، وأبو ذر الغفارى،

وعبد الله بن مسعود، ومالک بن الحرث الأشتر رضى الله عنه، وهم جميعاً كانوا يحترمون الخلافة

احتراما للإسلام، ولكنهم بعد اعتراضهم المنطقى على مخالفات بعض الخلفاء قوبلوا

شدة ويعنف وقسوة، وهى قسوة لم يرد فى القانون الاسلامى تخريج أو إباحة لها، بما

ينبيک أن القساة الذين تعاملوا مع المعارضة بالشكل المهين لم يكونوا مهتمين بمسألة

تطبيق مبادئ الشريعة بقدر اهتمامهم بحماية مصالحهم، وهم لم يلتفتوا إلى أمهية معاقبة

المعترضين بهذا الأسلوب إلا لأنها تصب فى صالح مشروعهم، فهم كانوا يدركون أن

ذلک العمل سوف يزيد غليان الشارع الاسلامى بوجه الحكومة، وحينئذ يسرع فى

وصولهم إلى الحكم.

ص:144

المرحلة الثانية: المواجهة الخشنة

اشارة

ولكى يشغلوا عليا عليه السلام بالحروب وينفروا بسطاء الناس وطلاب الدنيا عنه

ومجردوه من قاعدته الجماهيرية ويفشلوا مشروعه الكبير شنوا ثلاثة حروب متعاقبة

مدمرة فى جغرافيات متباعدة وأزمنة متقاربة. ولذا أجد أن محطات الحروب الدموية

الثلاث التى فرضوها عليه تستحق الوقوف والتأمل فهى فضلا عن كونها وعدا ربانيا

اخيره النبى صلى الله عليه و آله به يوم قال له: ((ستقاتل الناكثين والمارقين والغاسطين)) فإنها تؤكد

أيضا قدرة السياسيين العرب على المناورة والتحرك والتأثير على الجماهير وتسخيرهم

عن طريق الإغراءات الدنيوية.

ونظرا لأهمية الوعد النبوى بمقاتلة الإمام لهذه الفئات الثلاث، ولعلاقة ذلك

بالحديث عن السياسة الدينية وما سيرد فى الجزء الثانى من الكتاب، سأضطر إلى التوسع

قليلا بإيراد أحاديث الوعد(1) ولاسيما أن هناك مناهج سياسية دينية لا تزال إلى يومنا

الحارض تصر على كذب هذا الخير، وتعمل المستحيل لإسقاطه من المنظومة الحديثية؛

بالتشكيك مرة بنده، وأخرى بمضمونه، وثالثة بحقيقته.

قتال الناكثين و القاسطين و المارقين

روى الحاكم فى المستدرک بنده ((عن عقاب بن ثعلبة قال: حدثنى أبو أيوب

الأنصارى فى خلافة عمر بن الخطاب قال: أمر رسول الله!، على بن أبى طالب بقتال

1- للاستزادة و التوسع ينظر: كتاب الإمامة وأهل البيت، محمد بيومى مهران، ج ٢، ص ١٧٧-183

الناكثين، والقاسطين والمارقين))(1) ورواه الهيثمى عن عبد الله بن مسعود وقال: رواه

الطبرانى(2) وعن الإصبع بن نباتة عن أبى أيوب الأنصارى قال: ((سمعت النبى صلى الله عليه و آله،

يقول لعلى بن أبى طالب: تقاتل الناكثين والقاطين بالطرقات والنهروانات،

وبالسعفات، قال أبو أيوب: قلت يا رسول الله: مع من نقاتل هؤلاء الأقوام، قال: مع

على بن أبى طالب))(3).

ورواه الخطيب البغدادى بنده عن خليد العصرى قال: ((سمعت أمير المؤمنين

عليا يقول يوم النهروان: أمرنى رسول الله صلى الله عليه و آله بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين))(4)

وعن علقمة والأسود، قالا: أتينا أبا أيوب الأنصارى عند منصرفه من صفين فقلنا له:

يا أبا أيوب إن الله أكرمک بنزول محمد صلى الله عليه و آله وبمجيء ناقته، تفضلا من الله وإكراما لک

حتى أناخت ببابک دون الناس ثم جئت بسيفک على عاتقک تضرب به أهل لا إله إلا

الله؟ فقال: يا هذان، إن الرائد لا يكذب أهله، وإن رسول الله أمرنا بقتال ثلاثة مع على:

بقتال الناكثين والقامطين والمارقين، فأما الناكثون فقد قاتلناهم أهل الجمل، طلحة

والزبير، وأما القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم (يعنى معاوية وعمرو) وأما المارقون

فهم أهل الطرقات وأهل السعيفات وأهل النخيلات وأهل النهروانات. والله ما أدرى

أين هم ولكن لا بد من قتالهم إن شاء الله. قال: وممعت رمول الله! يقول لعإر:

تقتلک الفئة الباغية، وأنت إذ ذاک مع الحق والحق معک، يا عماربن ياسر إن رأيت عليا

قد سلک واديا؛ وسلک الناس واديا غره، فاسلک مع على، فإنه لن يدليک فى ردى ولن

1- المستدرک الحاكم ج 3 ص 139

2- مجمع الزوائد ج 7 ص 238 و قال:رواه الطبرانى فى الأوسط

3- المستدرک للحاكم 139/3

4- تاريخ البغدادى الخطيب البغدادى ج8 ص 340 و ج2 ص 178

يخرجک من هدی. یا عمار من تقلد سیفا أعان به علیا علی عدوه قلده الله یوم القیامة

وشاحین من در، ومن تقلد سیفا أعان به عدو علی علیه، قلده ک یوم القیامة وشاحین

من نار. قلنا: یا هذا حسبک رحمک الله، حسبک رحمک الله.(1)

ورواه ابن الأثیر عن أبی صادق عن مخیف بن سلیم قال: أتینا أبا أیوب الأنصاری

فقلنا: قاتلت بسیفک المشرکین مع رسول الله صلی الله علیه و آله، ثم جئت تقاتل المسلمین؟ قال:

أمرنی رسول الله صلی الله علیه و آله بقتال الناکثین والقاسطین والمارقین))(2) وعن سعید بن عبید عن

علی بن ربیعة قال: سمعت علیا علی منبرکم هذا یقول: عهد إلی رسول الله صلی الله علیه و آله، أن

أقاتل الناکثین والغاسطین والمارقین))(3) وعن أبی سعید الخدری قال: أمرنا صلی الله علیه و اله بقتال

الناکثین والقاسطین والمارقین، فقلنا: یا رسول الله صلی الله علیه و آله أمرتنا بقتال هؤلاء فمنع من؟

قال: مع علی بن أبی طالب، معه یقتد عمار بن یاسر))(4)

ورواه المتقی الهندی فی کنز العمال عن الإمام زید بن الإمام علی بن الحسین عن

أبیه عن جده عن علی بن أبی طالب علیهم السلام و، قال: أمرنی رسول الله صلی الله علیه و آله بقتال الناکثین

والمارقین والغاسطین)). قال أخرجه ابن عساکر(5) وعن علی بن ربیعة قال: سمعت

علیا علیه السلام علی المنبر، وأتاه رجل فقال: یا أمیر المؤمنین، ما لی أراک تستحل الناس

استحلال الرجل إبله، أبعهد من رسول الله صلی الله علیه و آله، أو شیئا رأیته؟ قال: ((والله ما کذبت،

ولا کذبت، ولا ضللت، ولا ضل بی،بل عهد من رسول الله صلی الله علیه و آله، أن أقاتل الناکثین

1- تاریخ البغدادی ج 13 ص 186

2- أسد الغابة 115/4

3- المصدر نفسه أسد الغابة ج 4 ص 115

4- أسد الغابة ج 4 ص 114

5- کنز العمال ج 6 ص 392

والقاسطين والمارقين)). قال أخرجه البزار وأبو يعلى(1) وعن الثورى ومعمر عن أبى

إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن أبى صادق قال: ((قدم علينا أبو أيوب الأنصارى

العراق، فقلت له: يا أبا أيوب، قد كرمک الله بصحبة نبيه صلى الله عليه و آله، وبنزوله عليک، فما لى

أراک تستقبل الناس تقاتلهم، تستقبل هؤلاء مرة، وهؤلاء مرة، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه و آله،

عهد إلينا أن نقاتل مع على الناكثين، فقد قاتلناهم، وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين،

فهذا وجهنا إليهم - يعنى معاوية وأصحابه - وعهد إلينا نقاتل مع على المارقين، فلم

أرهم بعد - قال أخرجه ابن عساكر))(2) وعن ابن مسعود قال:((خرج صلى الله عليه و آله، فأتى منزل أم

سلمة، فجاء على، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: يا أم سلمة، هذا والله قاتل القاسطين والناكثين

والمارقين من بعدى - أخرجه الحاكم فى الأربعين وابن عساكر)).(3) ورواه المحب

الطبرى عن ابن مسعود.(4)

وأخرج السيوطى فى تفسيره(الدر المنثور فى التفسير بالمأثور) فى تفسير قول الله

تعالى:(فإما نذهبن بک فإنا منهم منتقمون)(5)قال:((أخرج ابن مردويه من طرق

محمد بن مروان عن الكلبى عن أبى صالح عن جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه و آله فى قوله

تعالى: (فإما نذهبن بک فإنا منهم منتقمون) نزلت فى على بن أبى طالب عليه السلام إنه ينتقم

من الناكثين والقاسطين بعدى))(6)

1- المصدر نفسه.ج 6 ص 82

2- المصدر النفسه ج 6 ص 88

3- مصدر النفسه ج 6 ص 319

4- الرياض النضرة 320/2

5- سورة الزخرف: آية 41

6- فضائل الخمسه من الصحاح الستة السيد مرتضى الحسينى الفيروز آبادى ج 2 ص 358-363

فضلا عن ذلک ورد الحدیث بصیغه المختلفة فی کتب أخری منها مسند أبی یعلی

ومجمع الزوائد عن علی بن ربیعة قال: اسمعت علیا علیه السلام علی المنبر وأتاه رجل فقال: یا

أمیر المؤمنین ما لی أراک تستحیل الناس ستحالة الرجل أبله؟ أبعهد من رسول الله صلی الله علیه و آله

أو شیئا رأیته؟ قال علیه السلام: ((والله ما کذبت ولا ضللت ولا ضل بی، بل عهد من رسول

الله صلی الله علیه و آله عهده إلی، وقد خاب من افتری))(1)

ومن خطبة للإمام علی علیه السلام خطبها بالبصرة بعد افتتاحها....فقام إلیه رجل فقال:یا

أمیر المؤمنین أخبرنا عن الفتنة، هل سألت عنها رسول الله صلی الله علیه و اله؟ قال علیه السلام: ((نعم، إنه لما

نزلت هذه الآیة،من قول لله عز وجل:((أحسب الناس أن یترکوا أن یقولوا أمنا و هم

لا یفتنون)) علمت أن الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله صلی الله علیه و آله حی بین أظهرنا، فقلت: یا

رسول الله، ما هذه الفتنة التی أخبرک الله بها؟ فقال: یا علی، إن أمتی سیفتنون من

بعدی. قلت: یا رسول الله، أولیس قد قلت لی یوم أحد حیث استشهد من استشهد

من الملمین، وحزنت علی الشهادة فثق ذلک علی، فقلت لی: أبشر یا صدیق، فإن

الشهادة من ورائک؟ ففال لی: فإن ذلک لکذلک، فکیف صبرک إذا خضبت هذه من

هذه؟ وأهوی بیده إلی لحیتی ورأسی. فقلت: بأبی وأمی یا رسول الله لیس ذلک من

مواطن الصبر ولکن من مواطن البشری والشکر. فقال لی: أجل، ثم قال: یا علی،

انک باق بعدی، ومبتلی بأمتی، ومخاصم یوم القیامة بین یدی الله تعالی فأعدد جوابا.

فقلت: بأبی أنت وأمی، بین لی ما هذه الفتنة التی یبتلون بها؟ وعلام أجاهدهم بعدک؟

فقال: إنک ستقاتل بعدی الناکثة والغاسطة والمارقة. وجلاهم وسماهم رجلا رجلا.

1- مسند أبی الموصلی ج 1 ص 268 الرقم 514 و ص 269 الرقم 515 مجمع الزوائد ج 9 ص 135 و ج 7 ص 238 و تاریخ دمشق ج 3 ص201 الرقم 1208 ؛البدایة النهایة ج 7 ص 305 ؛اللآلی المصنوعه ج 1 ص 411 ؛ احقاق الحق ج 6 ص 70

ثم قال لی: وتجاهد أمتی علی کل من خالف القرآن ممن یعمل فی الدین بالرأی، ولا

رأی فی الدین إنما هو أمر من الرب ونهیه)).(1)

وقد یکون الحدیث الذی أخرجه النسائی فی الخصال من أروع مصادیق هذه

الروایة العظیمة، وهو الحدیث رقم 150 وفیه: ((حدثنا أحمد بن شعیب، قال: اخبرنا

إسحاق بن إبراهیم ومحمد بن قدامة (واللفظ له) وعن حرب عن الأعمش عن

إسماعیل بن رجاء عن أبیه، عن أبی سعید الخدری قال: کنا جلوسا ننظر رسول الله

فخرج إلینا قد انقطع شسع نعله نرمی به إلی علی علیه السلام، فقال: إن منکم رجلا یقاتل الناس

علی تأویل القرآن کما قاتلت علی تنزیله، قال أبو بکر: أنا؟ قال: لا قال عمر: أنا؟

قال: لا ولکن خاصف النعل))(2)وقال المحقق فی الحاشیة: إسناده صحیح، أخرجه

ابن حبان (٢٢٠٧) من طریق الأعمش به. وتابعه فطر بن خلیفة عن إسماعیل بن جابر

به. أخرجه احمد (٣/ ٣١، ٣٣، ٨٢) والحاکم (١٢٢/٣ ١٢٣) وأبو نعیم فی الحلیة

(٦٧/١) وابن الجوزی فی العلل المتناهیة (١/ ٢٤٢) قال الحاکم: صحیح علی شرط

الشیخین، ووافقه الذهبی.

وفی روایة: قال الحسن علیه السلام لأبیه یوم النهروان: الیا أمیر المؤمنین، أکان رسول الله

تقدم إلیک فی أمر هؤلاء بشیء؟ فأجابه: إن رسول الله أمرنی بکل حق، ومن الحق أن

أقاتل الناکثین والقاسطین والمارقین))(3).

1- منتخب کنز العمال بهامش مسند احمد بن حنبل ج 6 ص 319 المعجم الکبیر ج 3 ص 145 الاحتجاج للطبرسی ج 1 ص 463 الرقم 107

2- خصال النسائی مصدر سابق حدیث رقم 150 ص 119-118

3- أهل البیت؛ الحسن بن علی توفیق أبو علم ط 3 دار المعارف. مصر ص 46

الحرب هى الحل

ولما فشلت مساعيهم فى عرقلة إتمام البيعة تحركوا فى اتجاه الحسم العسكرى؛

حركة استباقية للاستيلاء على السلطة وتسقيط المشروع العلوى، ليس للقضاء على

هذا المنافس الخطير الجديد فحسب، بل وللقضاء على مجاميع الصحابة الذين لا تتوافق

رؤاهم ومواقفهم مع الشرع السياسى التآمرى، وذلك لكى تخلو لهم الساحة بالكامل،

وعليه كانوا يغرون الصحابة وتخدعونهم ويورطونهم فى المشاكل، فكانت الجمل...

وكانت صفين... وكانت النهروان... وكان النجاح المنتظر قد تحقق أخيرا (بعد عناء

طويل ودماء بريئة أكثر) بقيام الدولة الأموية فى الشام، حيث نسى العالم الإسلامى

شعار(سنة الشيخين) ونسى كل ما قالوه من أحكام وسنن فعلا، ونسوا الدماء التى كان

المتآمرون يطالبون بالثأر لها من قبل.

إن الجمل وصفين والنهروان لم ترتكب لكى تنهى حكم الإمام على عليه السلام فقط، بل

سعرت نارها لتنهى وجود كل الوجوه المعارضة الأخرى التى كانت مستعدة للاعتراض

على مشروع المتآمرين التخريبى، لأن وجود هذه الوجوه ذات الثقل المجتمعى الكبير ما

كان ليسمح للمؤامرة أن تمر بيسر، ولذا تجد المتآمرين يعملون باتجاهين:

• الأول: تسقيط المشروع العلوى للسيطرة على الحكم، تارة بالتشنيع وأخرى

بحث الناس على عدم البيعة، وثالثة بإثارة الفتن، ورابعة بمهاجة ثغور الدولة

العلوية وقوافل الحجاج.

• الثانى: زج الصحابة ولاسيما الرموز الكبيرة منهم فى الفتن المختلفة من خلال

الوقوف فى وجه قوات الدولة للتخلص من منافستهم أو اعراضهم.

إن هذه الوقاح العظيمة الثلاث (الجمل وصفين والنهروان) هى محطات أريد منها

أن تصفو الأجواء للمتآمرين عن طريق التخلص من كل المنافسين المحتملين، أو الذين

سيرفضون المشروع التآمرى، وعليه قدمت صفين إلى الموت فى أثناء ستة أشهر ونصف

الشهر من القتال الدموى أكثر من سبعين ألف مسلم موحد منهم خمسة وأربعون ألفا من

أهل الشام، وخمسة وعشرون ألفا من أهل العراق، وتجد بين هذه الوجوه التى مرغت

بالتراب بقسوة ووحشية قل نظيرها؛ وقدمت أجسادها للطيور الجارحة ووحوش

البيداء طعاماً، العشرات من وجوه الصحابة الكرام رضى الله عنهم منهم من كانت الجنة تشتاق

إليه كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه و آله، وهو الصحابى الكبير عمار بن ياسر الذى استشهد

وهو شيخ عجوز يبلغ الثالثة والسبعين من العمر، ليصدق قول النبى صلى الله عليه و اله: ((ويح عمار

أو ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية)).(1)

إن مشاركة ذلك الثقل الكبير من الصحابة الكرام فى جيش الإمام على فى حرب

صفين يأتى ليؤكد حقيقة تلك الخطوط ويؤكد وجودها إلى جانب الحق واستعدادها

لنصرة العقيدة، ويؤكد من جانب آخر كبر المؤامرة التى تنفذ ضد الإسلام ورجاله

العظام صحابة رسول الله الكرام رضى الله عنهم حيث يقول المسعودى: ((وكان ممن شهد صفين

مع على أصحاب بدر سبعة وثمانون رجلاً: منهم سبعة عشر من المهاجرين، وسبعون

من الأنصار، وشهد معه من الأنصار ممن بايع تحت الشجرة وهى بيعة الرضوان من

المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله تسعمائة وكان جميع من شهد معه من

الصحابة ألفين وثمانمائة))(2) وأخرج الحاكم عن الحكم قال: ((شهد مع علئ فى صفين

ثمانون بدرياً، وخمسون ومئتان ممن بايع تحت الشجرة))(3) وهذا يعنى أنه لوكتب لصفين

1- ينظر مروج الذهب للمسعودى، ٢ / ٣٦٩

2- مروج الذهب،المسعودى، ٢ / ٣٦٩

3- المستدرک، الجزء الثالث، صفحة ١١٤، حدیث رقم 157/4559

أن تستمر مدة أطول لكانت قد أكلت جيل الصحابة بأكمله، وأفرغت الأرض منهم

ومن بركاتهم وحرمت الأجيال من علومهم وسنن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله التى كانوا يحملونها

بكمال ما يمثله ذلک من خطر على الفكر والعقيدة والشرع الإسلامى برمته.

وأتت هذه الجريمة النكراء بعد أن اختطفت يد المنون من الرعيل الإسلامى

الأول، جيل الصحابة المثالى، كوكبة كريمة من حامل لواء الدعوة البواسل ورجال

الإسلام الأوائل فى واقعة الجمل التى قيل فيها من أهل البصرة ومن غيرهم ثلاثة عشر

ألفا وقتل من أصحاب على خمسة آلاف فى يوم واحد فقط(1) وكان بين القتل عدد كبير

من الصحابة الكرام فى الجيشين الإسلاميين المتقابلين.

إن هذه المجازر الوخثية بحق المسلمين من الصحابة والتابعين، من الجيل المثالى

والجيل الذى يليه، جيل التابعين الذى لا يقل روعة عن جيل الصحابة، لم تأت من فراغ،

ولم تكن وليدة حقد مفاجئ، وإنما جاءت لكون هؤلاء وافقوا على بيعة عليهة للخلافة

فأصبحوا من المعادين لمشروع الانقلاب، باعتبار أنهم لو لم يكونوا من المعرضين على

المؤامرة ما كانوا قد خرجوا للقتال بين يديه، وأنهم لو كانوا قد اعتزلوا ولم يبايعوا

عليا عليه السلام ما كانت يد الموت لتطالهم.

إنها صفحة من صفحات تلک المؤامرة التى يرفضى التأريخ التحدث عنها صراحة،

وإذا ما تحدث عنها يتحنث بالهمس والإيماء، أو بأسلوب ابن العربى فى العواصم من

القواصم، كان هدف هذه الصفحة الغادرة إفشال المشروع العلوى، والقضاء على وجوه

المعارضة المحتملة، وتخنيع الناس، ووضعهم أمام محصلات الأعمال، دون أن يكون لهم

رأى فيما يحدث، ولاسيما بعد أن رأوا بأم أعينهم جرائم مقتل خلفائهم الواحد تلو

1- ينظر: مروج الذهب، جزء٢ ، ص ٣٦٨

الآخر. وتأتى بعد أن عجزت الغتوح الوهمية التى كانت غايتها إبعادهم عن العاصمة فى تطويعهم وإسكاتهم أو القضاء عليهم.

وأرى أنه لو لم يكن لهذه الحروب التى افتعلها المتآمرون وزجوا فيها وجهاء الصحابة بعد أن خدعوهم إلا تشتيت رأى الأمة، لكان ذلك كافيًا لتأكيد عمق أثرها فى الإسلام، وفى المسلمين الذين اختلفت آراؤهم فى أهل الجمل اختلافاً يدعوإلى الدهشة والعجب، لأنه يبين عمق التخريب الذى أصاب الرأى الإسلامى الموحد، حيث نجد المسلمين سقمون فرقا لكمال منها رأى خاص بأحد طرفى نزع الجمل، لا تدرى علام استندوا فى استنباطه. وفى إحصاء بسيط لهذه الآراء المتباينة تجد هناك:

فرقة قالت بتخطئة جميع أهل الجمل، على وعائشة وطلحة والزبير.

فرقة قالت: لا ينبغى لأحد أن يخوض فى ذكر الصحابة وما جرى بينهم.

فرقة قالت: إن الطرفين كانا على صواب.

فرقة قالت: إن عليا كان محقا ومصيبا فى حربه لهم؟

فرقة قالت إن أحد الفريقين ضال فى البصرة فاسق خارج من الإيمان والإسلام، والفريق الآخر هاد مهدى مصيب مستحق للثواب والخلود فى الجنات، غير أنهم زعموا أنه لا دليل على تعيين الفريق الضال.

فرقة الخوارج قالت: إن عليا عليه السلام كان مصيبا ومحقا فى قتال أهل البصرة، وإنهم كانوا بقتاله ضلالاً كفاراً.

فرقة الشيعة وقالت: بكفر كل من حارب عليا عليه السلام، ولكنهم لم يخرجوهم بذلك

عن حكم الإسلام؛ لأن كفرهم كان كفر ملة، ولم يكن كفر ردة عن الشرع. (1)

ولک أن ترى مقدار الضرر الذى أحدثه الفعل السياسى التآمرى على الإسلام

لدرجة أن المسلمين بدو عاجزين عن معرفة المخطئ من المصيب فى هذه الواقعة

التأرخيية الكبيرة والمهمة، ومن حقهم أن يعجزوا بالتأكيد، لأنهم ظاهراً كانوا مهتمين

بشؤونهم الحياتية الخاصة أكثر من اهتمامهم بالعقيدة. إن اثر الحراک السياسى فى الحروب

التى شنوها على عليه السلام وجيشه يدفعنا عنوة للتوسع فى الحديث عنها لكى نثبت الدور

السياسى الذى كان يتحكم فى الأحداث والذى أمتد تاثيره إلى حقبة خلافة الإمام

الحسن عليه السلام. وكانت بداية هذا المشروع السياسى الاعتراضى التخريبى الكبير واقعة يوم

الجمل.

الجمل؛ الحرب الغادرة الأولى

بعد كل تلک المعمعة والممانعة؛ بدأ الصراع الدموى بين الخطين، وكانت حرب

الجمل أولى الوقعات. وقد جاء فى العقد الفريد عن حرب الجمل: ((عن حصين عن

الآحنف بن قيس قال: قدمنا المدينة نريد الحج فانطلقت فأتيت طلحة والزبير فقلت

لهما: إنى لأرى هذا مقتولا (يعنى عثمان) فمن تأمرانى به كما ترضيه لى؟ قالا: نأمرک

بعلى بن أبى طالب. قلت: تأمرانى به وترضيانه لى؟ قالا: نعم. قال: ثم انطلقت حتى

أتيت مكة، فبينما نحن فيها إذ أتانا قتل عثمان فانطلقت إلى عائشة فى مكة؛ فقلت: من

تأمرينى أن أبايع؟ قالت: على بن أبى طالب. قلت: أتأمرينى به وترضيه لى؟ قالت:

نعم. فمررت على على بالمدينة فبايعته ثم رجعت إلى البصرة فما راعنا إلا وقدوم عائشة

وطلحة والزبير قد نزلوا جناب الخريبة))(2)

1- ينظر: الجمل للشيخ المفيد، ص ٥٣ إلى ص ٧٠

2- العقد الفريد، ابن عبد ربة الأندلسى، مجلد ٣، ص ٩٨

سؤال: لماذا نحكم ونجزم بأن جيش الجمل وقادته كانوا مدفوعين من قبل

السياسيين وواقعين تحت تأثيرهم، ولماذا لا يكون ذلک اجتهادا منهم؟

الواقع أنهم أنفسهم فی مسيرهم إلى البصرة بدرت منهم أقوال فضحت وجود

المؤثر والدافع السياسی وراء هذا الحراک؛ ومن يفکک هذه الأقوال يصل إلى حقيقة لا

تقبل أی تأويل آخر تقول بأن قادة الجمل وزعماء الحملة أنفسهم كانوا مدفوعين لحرب

على عليه السلام رغما عنهم، ولم يكونوا أصحاب قرار ولا مجتهدين.

كانت عائشة أول المنتبهين للمؤامرة فهی بعد أن وصلت إلى (الحوأب) حيث

جاء فی كتب التأريخ أنها فی الطريق إلى البصرة، وبعد وصول الجيش إلى منطقة اسمها

الحوأب نبحتها الكلاب؛ فسألت عن المنطقة؛ فقالوا لها: إنها الحوأب فقالت: ((ما أظننی

إلا راجعة، سمعت رسول الله يقول: كيف بإحداكن إذا نبحتها كلاب الحوأب))

ويقول (عكاشة عبد المنان) فی هامش الصفحة التی أخرج بها هذه الرواية: رواه أحمد

وأبو يعلى والبزار والحاكم والبيهقی وأبونعيم عن قيس؛ قال: ((لما بلغت عائشة ديار بنی

عامر نبحت عليها الكلاب)).(1)

وفی رواية أخرى عن (العرنی) الذی اشتروا منه الجمل المدعو عسكر لتركبه

عائشة، وشغلوه دليلاً لدهيم، أخرجها ابن الأثير، أنه قال: ((حتى طرقنا الحوأب وهو

ماء فنبحتنا كلابه؛ فقالوا: أی ماء هذا؟ فقلت: هذا ماء الحوأب، فصرخت عائشة بأعلى

صوتها: إنا لله وإنا إليه راجعون، إنی لهی، سمعت رسول الله صلى الله عليه و اله يقول وعنده نساؤه:

ليت شعری يكن تنبحها كلاب الحوأب. وقالت: ردونی أنا والله صاحبة ماء الحوأب،

فأناخوا حولها يوما وليلة، فقال لها عبد الله بن الزبير: إنه كذب ولم يزل بها؛ وهی تمتنع،

1- ينظر: الجفر والفتن، عكاشة عبد المنان، ص ٣٠

فقال لها: النجاء، النجاء قد أدرككم على بن أبى طالب عليه السلام فارتحلوا))(1) وأنت تلاحظ هنا

وكأن فى المسألة توريطاً متبادلاً، حيث ورط السياسيون قادة الجمل، ومنهم طلحة وابن

الزبير وعائشة وقادة الجمل الآخرين فى المسير إلى الحرب، فلما كشفت عائشة الخدعة

بادرها القادة المخدوعون بالكذب والتخويف وورطوها لتنصاع إليهم ولا تتركهم.

لقد جاء امتناع عائشة عن المسير؛ لأنه سبق لها أن سمعت تحذيرا نبويا بهذا

الخصوص، وأوردت أغلب الكتب الحديثة قصة التحذير والكتب التى تناولت موقعة

الجمل. وفضلا عن الروايات المذكورة آنفاً، أورده الحاكم فى مستدركه عن أم المؤمنين

أم سلمة. قالت: ((ذكر النبى صلى الله عليه و اله خروج بعض أمهات المؤمنين؛ فضحكت عائشة

فقال: انظرى يا حميراء أن لا تكونى أنت. ثم التفت إلى على فقال: إن وُليت من أمرها

ثيقا فأرفق بها)(2)

إن ما يوضح لنا أن عائشة كانت خمدوعة وكانت واقعة تحت تأثير (السياسيين

الذين ورطوها بهذا العمل من دون أن يلتفتوا إلى حرمتها ومكانتها من رسول الله صلى الله عليه و آله)،

إنها بعد الواقعة أسفت وتندمت وبكت كثيرًا وقد ورد عن (هشام بن قيس) أنها قالت:

((وددت أنى كنت ثكلت عشرة مثل الحارث بن هشام وأنى لم أسر سيرى مع ابن الزبير(3)

وفى المسعودى أنها بعد أن أعادها الإمام عليه السلام إلى ديارها وأرسل معها النساء اللواتى

لبسن أزياء الرجال يحرسنها: ((فلما أتت المدينة قيل لها: كيف رأيت مسيرك؟ قالت:

كنت بخير والله، لقد أعطى على بن أبى طالب فأكثر، ولكنه بعث معى رجالا أنكرتهم،

فعرفها النسوة أمرهن، فسجدت وقالت: ما ازددت والله يا ابن أبى طالب إلا كرما،

1- الكامل لابن الأثير، المجلد الثالث، ص ١٨٠

2- المستدرک، الجزء الثالث، صفحة ١٢٩ الحديث رقم ٢٠٨/٤٦١٠

3- المصدر نفسه، المستدرک للحاکم، حدیث رقم ٢٠٧/٤٦٠٩ صفحة ١٢٨

وودت أنى لم أخرج... وإنما قيل لى: تخرجين فتصلحين بين الناس، فكان ما كان(1)

ومن خلال هذا النقل تتضح الخدعة الكبرى ويتضح التوريط المتبادل، بدلالة قولها:

اوإنما قيل لى: تخوجين تتصلحين بين الناس)) فمن قال لها أخرجى للإصلاح؟ لماذا لم

تعلن اسمه؟ لماذا قالته بصيغة المبنى للمجهول؟ ألا يستحق الفضيحة بعد أن ورطها

هذه الورطة الكبيرة؟ فلماذا تسكت؟!

فإذا ما كان الزبير وطلحة وكما سيمر علينا بعد قليل لا يملكان امرهما؛ وهناك

من قال لهما: أخرجا عنوة، أو مكرا وخداعا؛ وكانت عائشة قد قيل لها أخرجى؛ فمن

القائل الآمر؟ ولماذا لم تشر إليه الروايات؛ هذا إلا إذا ما كان هو نفسه الذى كتب تاريخ

الأمة فحذف هذه المعلومة، او أن هناك مصلحة متبادلة استوجبت إبقاء اسمه فى طى

النسيان!

الزبير هو الآخر كان مخدوعا؛ واعرف بذلك صراحة. فهو بعد أن فرغ من قتل

أنصار على عليهم السلام فى البصرة بحجة أنهم اشركوا فى قتل عثمان، وقف خطيبا وقال: ((ألا

ألف فارس أسير بهم إلى على أقتله قبل أن يصل إلينا، فلم يجبه أحد. فقال: إن هذه للفتنة

التى كنا نتحدث عنها. فقال له مولاه: أتسميها فتنة؛ وتقاتل فيها؟ قال: ويلك، إنا نبصر

ولا تبصر، ما كان أمر قط إلا وأنا أعلم موضع قدمى فيه، غير هذا الأمر، فإنى لا أدرى

أمقبل أنا فيه أم مدبر)).(2)

ويعنى هذا الاعتراف الصريح (غير هذا الأمر، فإنى لا أدرى أمقبل أنا فيه أم مدبر)

بأنه كان مدفوعا قسرا لحرب على عليه السلام ويؤكد صحة رأينا أنه بعد أن نبهه الإمام على عليه السلام

1- مروج المسعودى جزء 2 ص 388

2- الكامل فى التاريخ مجلد3 ص 188

من غفلته تلک؛ ترک ساحة الحرب وقفل راجعًا إلی المدینة لا یلوی علی شیء، فلما وصل

إلی (وادی السباع) جلس یؤذی الصلاة، فلحقه واحد من جند السیاسیین المتآمرین

أو عمالهم ومساعدیهم ممن أوکلت لهم المهمات القذرة؛ اسمه (عمرو بن جرموز) مع

صاحبین له الأول اسمه (نفیع) والثانی اسمه (فضالة) فقتلوه واحتزوا رأسه وحملوه

معهم.

وطلحة هو الآخر اعترف صراحة بأنه مدفوع إلیها؛ ولیس صاحب قرار فیها،

فهو حتی قبل أن یقتل الزبیر کان یجلس وحیدا معتزلا الناس مفکرا بالحال التی وصل

إلیها، بما فیها الخروج علی إمام الزمان، وقد قال (علقمة بن وقاص اللیثی) بعد أن رآه

مختلیًا معزولا عن الناس مطرقاً مفکرًا، وقد وضع رأسه فی صدره، کمن یجمل هموم

الدنیا کلها: یا أبا محمد أری أحب المجالس إلیک أخلاها، وأنت ضارب بلحیتک علی

صدرک، إن کرهت شیئاً فاجلس! قال: فقال لی: یا علقمة، بینا نحن ید واحدة علی من

سوانا، إذ صرنا جبلین من حدید یطلب بعضنا بعضا)).(1)

ولذا تراه مثل الزبیر یتهاوی لمجرد سماعه کلمة الإمام حینما رآه واقفا قرب

هودج عائشة وهو زوج أختها، فغضب الإمام علی علیه السلام حینما رآه فی ذلک الموقف وکأنه

یستعرض عرض رسول الله صلی الله علیه وآله فی ساحة الحرب، وخاطبه قائلا ومعنّفا: یا طلحة

أجئت بعرس رسول الله تقاتل بها وخبأت عرسک قی البیت؟

فاستحیا طلحة واعتزل القتال، فتسلل شیخ المتآمرین مروان بن الحکم من خلفه

واغتاله بسهم أصاب رقبته وخرج من فمه، وبعد انتهاء المعرکة مر الإمام علی علیه السلام جثمان

طلحة ملقّی فی بعض الأودیة فنزل فمسح التراب عن وجهه، ثم قال:عزیز علی

1- الکامل فی التأریخ، مجلد۳ ص ۱۸۸.

أبا محمد أن أراک مجندلاً فی الأودیة، ثم رفع یدیه وقال: إلی الله أشکو عجری

وبجری*.(1)

وعن مقتل طلحة قال الیعقوبی: ((فقتل طلحة بن عبید الله فی المعرکة، رماه مروان

بن الحکم بسهم فصرعه)) وقال: ((لا أطلب والله بعد الیوم بثأر عثمان، وأنا قتلته)).

فقال طلحة لما سقط: ((تا الله ما رأیت کالیوم شیخا من قریش أضیع منی، إنّی

والله ما وقفت موقفا قط إلا عرفت موضع قدمی إلا هذا الموقف!))(2) وقال خالد محمد

خالد: ((أما طلحة فقد رماه مروان بن الحکم بسهم أودی بحیاته))(3)

وکان الإمام علیه السلام أول المنوهین بذه القوة الجبارة التی أجبرت ثلاثة من کبار

الصحابة للتآمر علیه، حیث قال: ((ومن العجب انقیادهما (أی طلحة والزبیر) لأبی

بکر وعمر؛ وخلافهما علیّ، والله إنهما لیعلمان أنی لست بدون رجل مما تقدم))(4)

فالجمل کانت بفعل السیاسیین الکبار المتخفین الذین دفعوا غیرهم للقیام بالآعمال

القذرة نیابة عنهم، ولکن ذلک لا یعفی الطرف الذی قاتل الخلیفة المنتخب من تحمل

المسؤولیة کاملة علی خلاف ما یراه ابن العربی فی قوله الذی نقله عنه القرطبی فی تفسیره

للآیة (۹) من سورة الحجرات: وهذا صواب من الفریقین وطاعة لله تعالی))(5) فهو

قول لا یعتد به؛ یراد به تعمیم التصویب علی وقائع کبیرة أخری مثل واقعة صفین

التخریبیة الشرسة. وسنلحظ هذا الجهد التخریبی یزداد قوة أیام خلافة الحسن علیه السلام،

1- ینظرک الاغتیالات فی الاسلام. ص93

2- تاریخ الیعقوبی. جزء2. ص193

3- رجال حول الرسول. خالد محمدخالد. ص357

4- الکامل فی التاریخ مجلد3 ص193

5- تفسیر القرطبی للآیه9 من سوره الحجرات

وينجح فى توريط الأمة كلها بما فيهم أقرب الناس من الإمام الحسن عليه السلام مثل عبيد الله

بن عباس.!

صفين معركة الخداع و المكر السياسى

بعد صفحة الجمل الدموية جاءت صفحة الغدر فى صفين، تلك الجريمة النكراء

التى أوهت أركان الإسلام، وحرفت مسار الدين، وكانت بدايتها أن بعثت أم حبيبة

بنت أبى سفيان إلى أخيها معاوية بقميص عثمان مخضباً بدمائه مع الصحابى النعمان بن

بشير الأنصارى))(1)

وبالرغم من بشاعة صفين إلا أنها كانت على مستوى كبير من التخطيط السياسى

لأنها شنت لغايتين، إحداهما أكبر من الأخرى، تماما كما هى حرب الجمل التى سبقتها:

• الأولى: قتل على وهزيم فكره وعقيدته لتفرغ الساحة للمتآمرين وفكرهم.

• الثانية: القضاء على أكبر عدد من الصحابة المخلصين لكى لا يبقى من يعترض

على قراراتهم المجحفة والمخالفة للعقيدة التى سيتخذونها إذا حكموا، لأنهم أدركوا أن

القسم الأكبر من خيرة وكبار الصحابة سوف يلتحقون بجيش الإمام، وفعلا ((كان

ممن شهد صفين مع على أصحاب بدر سبعة وثمانون رجلا: منهم سبعة عشر من

المهاجرين، ومبعون من الأنصار، وشهد معه من الأنصار ممن بايع تحت الشجرة وهى

بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله تسعمائة وكان جميع

من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة))(2) وأخرج الحاكم عن الحكم قال: شهد مع

1- مروج الذهب، المسعودى، ج ٢،ص ٣٧٠

2- المصدر نفسه، ٢ / ٣٦٩

على صفين ثمانون بدريًا وخمسون ومئتان ممن بايع تحت الشجرة)).(1)

جمر الصحابة بالفتوح للتخلص منهم

وفق نظرية سياسية وضعها معارية تحت مسمى(أخفى وأعفى) تم تطبيق مشروع

جمر الصحابة والمعارضين فى الفتوح، وقد كانت بدايات فكرة قتل الصحابة والتخلص

منهم قد بوشرت عن طريق إدراكهم فى الفتوح، بعد أن تغيرت دواعى الفتوح نفسها،

وبدأ العمل بهذه المنهجية فى خلافة عثمان بن عفان، حيث أورد المسعودى مقترحا

لسعيد بن العاص صاحب وزميل معاوية فى مشاريعه فى المؤتمر الذى عقده الخليفة عثمان

لأمرائه على الأمصار والذى ضم فضلا عن ابن العاص كل من ابن عامر ومعاوية؛

بعد أن كثرت شكاوى أهل الأقاليم منهم، من خلال رأيه الذى اقرحه على الخليفة

ليكون بديلاً عن موافقة الخليفة على مطالب أهل الأقاليم، قائلاً: ((إنک إن فعلت هذا

كان أهل الكوفة هم الذين يولون ويعزلون، وقد صاروا حلقاً فى المسجد ليس لهم غرى

الأحاديث والخوض، فجهزهم فى البعوث، حتى يكون هم أحدهم أن يموت على ظهر

دابته))(2) وهى نظرية سياسية تمارسها الدول العظمى اليوم بأساليب جديدة مبتكرة بعد

أن أدركهت قيمتها مؤخرا، فى وقت عرفها السياسيون المسلمون فى وقت مبكر جدا!

لكن أليس من المستغرب والمدهش أن الخليفة أحجم عن استشارة علية القوم

وكبار الصحابة واكتفى بأمرائه على الأقاليم؟ ألا يعد هذا الغعل نمطا من السياسة

يتوافق مع حدة الرؤية والرأى التى تجمع بين لخليفة وأمرائه، وتنافر وتباعد رأيه مع

آراء المحيطين به؟ وماذا ممكن أن نشم من هذا الخبر؟ ألا يعنى ذلک أن الولاة كانوا من

1- المستدرک، الجزء الثالث، صفحة ١١٤، حديث رقم175/4559

2- مستدرک الحاكم، ٢ / ٣٥٥، وقد روى هذا الخبر بصيغ كثيرة جاء فى بعضها قول سعيد: (حتى لا يكون هم أحدهم إلا قمل فروته

وفساء أو وقراد دابته!)

حزبه الخاص الذى يعول عليه لأن مصالحهم مترابطة، وهذا يعنى نشاطا سياسيا صائبا

لا مثلبة فيه فى مقاييس السياسة؟

رأى سعيد بجمرهم بالفتوح ألا يعتبر رأيا سياسيا ناهضا ولاسيما وأن الإنسان

المسلم يرفض أن يكون مع المخلفين بعد التهديد والوعيد الذى تقدم به القرآن والمقاطعة

التى فرضها النبى صلى الله عليه و آله على من تأخر وتخلف من قبل من المسلمين عن الغزوات؟

لقد أصبح جمر المعارضين بالفتوح سياسة معروفة اشتهر بها الأمويون وكثر

الحديث عنها فى الأقل هناك كما لا بأس به من الروايات التى تخص معاوية وحده،

ومنها رواية تقول أن مهاترة حدثت بين معاوية ورجل من باهلة سمع معاوية يقول:

والله لقد هممت أن أملأ سفينة من باهلة فأبعث بها إلى اليم، فإذا توسطوا غرقتهم!

فأجابه الباهلى: إذن ما رضينا بعددهم من بنى أمية. فشتمه معاوية قائلا: أسكت أيها

الغراب الأبقع. فرد عليه الباهل: إن الغراب ربما مشى إلى الرخمة حتى ينقر عينها.

وعندما سمع يزيد أبنه بهذه المهاترة قال له: هلا قتلته؟ فسكت معاوية. ثم مضت

مدة أتاحت له أن جيند الباهلى ويرسله إلى إحدى جبهات الفتح فقل هناك؛ فلما سمع

معاوية بمقتله قال ليزيد: ((هذا أخفى وأعفى)).

وهنا قد نجد من يرى أن سعيدا بن العاص كان حياول لملمة الغغب و إطفاء نار

الفتنة عندما اقرح على الخليفة هذا المقترح، ولا يوجد تأكيد أن هذا الرأى يدل على

وجود مؤامرة فى الأفق، وأقول لأصحاب هذا الرأى: لكن تكملة الخرب الذى أورده

المسعودى وغربه تؤكد أن هنالک مؤامرة كبيرة ومتآمرين كانوا يؤججون نار الفتنة

ويشجعون الناس على التمرد ويدعمون حراكهم بالمال، حيث ورد فى الخرب نفسه أن

عمرو بن العاص الذى كان حاضراً فى المؤتمر خرج إلى المسجد بعد أن سمع مقترح

سعيد فإذا طلحة والزبير جالسان فى ناحية منه. فقالا له: تعال إلينا، فصار إليهما،

فقالا: ما وراءک؟

قال: الشر، ما ترک شيئاً من المنکر إلا أتى به وأمر به،

وجاء الأشتر فقالا له: إن عاملکم الذى قمتم فيه خطباء قد رد عليکم وأمر

بتجهيزکم فى البعوث وبکذا وبکذا.

فقال الأشتر: والله لقد کنا نشکو سوء سرته وما قمنا فيه خطباء، فکيف وقد

قمنا؟ وأيم الله على ذلک لولا أنى أنفدت النفقة وأنضيت الظهر لبقته إلى الکوفة حتى

أمنعه دخولها.

فقالا له: فعندنا حاجتک التى تقوم بک فى سفرک!

قال: فأسلفانى إذا مائة ألف درهم.

قال: فأسلفه کل واحد منهما خمسين ألف درهم فقسمها بين أصحابه وخرج إلى

الکوفة فسبق سعيدا وصعد المنبر وسيفه فى عنقه ما وضعه بعد، ثم قال: أما بعد فإن

عاملکم الذى أنکرتم تعديه وسوء سيرته قد رد عليکم فبايعونى على أن لا يدخلها

فبايعه عشرة آلاف من أهل الکوفة)).(1)

بل هناک من المؤرخين من أکد بأن الخليفة عثمان بن عفان کان هو صاحب فکرة

جمر المعارضين والصحابة الخيرين فى الخروب، ويتبين من حديث البلاذرى وکأن

الخليفة عثمان هو من کان يصر على إشراک هؤلاء فى الفتوح(2) ويعتقد المستشرق (هنرى

1- مروج الذهب، ج۲،ص ۳۵۵

2- ينظر: فتوح البلدان، للبلاذرى، ص ۲۲۸

ماسيه) بصحة هذا الرأى؛ ويقول: ((ويمكن أيقا أن يكون للخلفاء مصلحة فى قذف رعاياهم فى الغزوات ليبعدوهم عن العاصمة، ويربطوهم بالإسلام بواسطة الفتوحات والغنائم)).(1) ولكن من يعرف عثمان على حقيقته لا يمكن أن يتوقع صدور مثل ذلک الرأى السياسى عنه، ولذا أجد كل المؤشرات تشير نحو معاوية، حيث روى اليعقوبى أن معاوية بن أبى سفيان ((كان إذا بلغه عن رجل ما يكره، قطع لسانه بالعطاء، وربما احتال عليه فبعث به فى الحروب)).(2)

ثم إنها لم تكن المرة الأولى التى يرسل الكبار والحكام فيها معارضيهم إلى الحروب للتخلص منهم، فلقد عملوا بجدّ للتخلص من كل المنافسين المحتملين بزجهم فى الفتوح، ولاسيما أولاد رموز الصحابة وكبارهم الذين كانوا يرونهم أكثر رغبة من آبائهم للعمل فى المجال السياسى، مما يعنى أنهم يشكلون خطرا كبيرا محتملا على مشروع التآمر يجب التخلص منه بنحو لا يثير الريبة والشک، وليس هناک أسهل من طريق الغزوات العقائدية لهذا الغرض، وقد أشركوا فعلا عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن ابى بكر، وغيرهم فى الفتوح، ويتبين من حديث البلاذرى وكأنّ الخليفة عثمان هو من كان يصرّ على إشراک هؤلاء فى الفتوح (3) ولذا نجد هناک من يرى أن مقترح سعيد بن العاص جاء متناغما مع سياسة الخليفة وليس ابتداعا،!

إن مسألة جمر المعارضين فى الغزوات والحروب للتخلص منهم سمة معروفة

1- الإسلام، هنرى ماسيه، ص ٨٧.

2- تأريخ اليعقوبى، جزء٢، ص ٢٣٨.

3- فتوح البلـدان للبلاذرى، ص ٢٢٨ لاحظ هنا أن البلاذرى لم ينكر اسم الحسن بن على من ضـمن من ذكرهم وهـذا يؤكد عدم اشـراک الحسن عليه السلام فى حروب الفتح، وهو ما سنناقشه فى القسم الثانى من الكتاب.

ونهجاً متبعًا طوال سنوات الفتح تقريبًا باستثناء عص الفتوح الأولى؛ ولذا يعتقد

المستشرق (هنرى ماسيه) أنه: ((يمكن أيضًا أن يكون للخلفاء مصلحة فى قذف

رعاياهم فى الغزوات ليبعدوهم عن العاصمة، ويربطوهم بالإسلام بواسطة الفتوحات

والغنائم))(1)وأقول: حتى لو كان فى جرهم مصلحة للخلفاء فإن ذلك لا يعنى أن

الخلفاء أنفسهم هم الذين ابتدعوا هذه النظرية، فى الأقل فيما يخص عثمان بأعتبار أن

صاحب النظرية الأصلى معاوية ابتدعها يوم كان واليا على الشام قبل أن يسرق الخلافة

من الإمام الحسن عليه السلام

وربما لهذا السبب وبسبب هذه السياسات ترى الباحثين يختلفون فى دوافع الفتوح

ولا يرجعونا إلى سبب محدد بعينه، وعليه قال الدكتور السيد عبد العزيز سالم أستاذ

التأريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية بكلية الآداب فى جامعة الإسكندرية بمصر:

((فبعضهم يرجع ظاهرة الفتوحات إلى أسباب اقتصادية، وجمهور آخر يرى أنها بدافع

الجهاد، وفريق ثالث يرجح العامل القومى)).(2)

إن قوة سياسية تملك كل هذه المؤثرات والقواعد العلمية للعمل السياسى المؤثر،

ولها قدرة التحكم بقرارات الخلفاء، هل ممكن ان تعجز عن مجابهة شعب وجيش مثل

شعب وجيش الإمام الحسن وهى التى تمرمت بعملها فأجادته؟

فصول الصفين

ولأنهم كانوا بمستوى عال من الفهم الماكر والتخطيط السياسى فقد وضعوا

منهجا للتخلص من على عليه السلام ومن الخط العلوى نهائيا فرسموا أجواء معركة(هرمجدون)

1- الإسلام، هنرى ماسيه، ص ٨٧

2- التأريخ السياسى والحضارى للدولة العربية، الدكتور السيد عبد العزيز، ص 197

الإسلامية لتكون المعركة الحاسمة والأخيرة بينهم وبين قواعد الإسلام الحقة، ووضعوا

مناهج متعددة لكل حركة من حركاتهم فيها. فكرة التحكيم مثلا كانت فصلاً من

فصول مؤامرة صفين، أعدت سلفًا للتطبيق عند الضرورة وكان من شروط نجاحها

زرع بعض الشخصيات المهمة والمؤثرة وبمواصفات خاصة فى جيش الخلافة ليوكل

إليهم تنفذ صفحات فصل التحكيم.

إن وجود وجوه المعارضة السياسية المؤيدة للخط الأموى أو التى تلتقى مصالحها

مع مصالحه فى جيش على عليه السلام فصلا آخر من فصولها. وفضلاً عن وجود يعلى بن منية

و أبى موسى الأشعرى فى جيش على عليه السلام، كان هناك جماعة القراء، وكان هناك الأشعث

بن قيس الكندى، ولكل من هؤلاء واجب محدد ومرسوم بعناية، حسب فصول المؤامرة.

أما الأشعث بن قيس(1) واليمانية جماعته الذين هم طوع أمره لا يعصونه؛ فقد

وضح أمرهم فى اللحظة التى أراد الإمام على عليه السلام من جيشه أن لا ينخدع بمؤامرة رفع

المصاحف التى هى من مقدمات فصل مؤامرة التحكيم، فقال لهم: ((إنها مكيدة، وليسوا

بأصحاب قرآن))(2) فاعترض الأشعث بن قيس عليه وقال: <(والله لئن لم تجبهم أنصرف

عنک))(3)،ولم يكن قول الأشعث تهديداً فارغا لعلى عليه السلام بقدر ما كان إشارة لأصحابه

الذين يعلمون سلفاً بمتطلبات مثل هذا القول، لأن انسحابه وتركه للميدان يعنى فشل

المؤامرة وهو ما لم يكن مأمورا به، ولذا ترى اليمانية وجماعات أخرى ما إن سمعوا هذا

1- قدم الأشعث بن قيس فى وفد كندة وكانوا فى ثمانين راكبا إلى المدينة ليعلنوا إسلامهم فى أواخر سنة تسع للهجرة وذلک بعد أن أسلم الأعم الأغلب من قبائل العرب فيما عرف بعام الوفود. ينظر: سيرة ابن هشام ٤/ ١٩٩ ثم تراه هنا يتحكم بمصر أمة الإسلام ويجير أول القوم إسلاما على القبول بالتحكيم، وهذه من مهازل الدهر العظيمة.

2- تأريخ اليعقوبى،ج٢، ص ١٨٨

3- تأريخ اليعقوبى، ج٢، ص ١٨٩

القول حتى مالوا مع الأشعث وضموا أصواتهم إلى صوته وقوتهم إلى قوته. وبعد أن

قوى جانب الأشعث وأدرک أن جماعته أدوا أدوارهم الموکولة إليهم أداء سليماً وجه إلى

الخليفة تهديده الحقيقى الذى يختلف مضمونه عن التهديد الأول کثيرًا، فقال مهدداً

ومتوعداً: ((والله لتجيبتهم إلى ما دعوا إليه، أو لندفعنک إليهم برمتک!))(1)

ولم يقتصر دور الأشعث على هذه الحرکة فحسب، بل إنه أصبح بعد هذه المقولة

الآمر والمحرک الفعل للشخوص وللأحداث، وتحول من مجرد ممثل شبه مغمور إلى

بطل يمارس دور المخرج المحترف، والمتحکم بالأحداث. وهنا أدرک الأشتر رضى الله عنه

خطورة المؤامرة؛ فأراد من الآخرين معرفة ذلک من خلال المشاجرة التى افتعلها مع

الأشعث، وقال للأشعث من خلالها: ا((والله يا أعور (وکان الأشعث أعور فعلاً مثل

المغيرة) لهممت أن أملأ سيفى منک.... وإنى أعلم أنک ما تحاول إلا فتنة، وما تدور إلا

على الدنيا وإيثارها على الآخرة))(2)

ونجد أن قول ورأى مالک الأشتر بالأشعث هو عين قول ورأى لخليفة أبى بکر

فى هذا السياسى غريب الأطوار. فرأى الأشتر جاء متساوقاً مع رأى لخليفة أبى بکر

فى الأشعث حيث روى اليعقوبى أن أبا بکر قال لعبد الرحمن بن عوف الذى عاده فى

مرضه: ما آسى إلا على ثلاث خصال صنعتها لم أکن صنعتها، وثلاث لم أصنعها ليتنى

کنت صنعتها)) ومن تلک التى ندم أنه لم يصنعها قوله: ليتنى قدمت الأشعث بن قيس

تضرب عنقه، فإنه يخيل إفى أنه لا يرى شيئاً من الشر إلا أعان عليه!))(3)

1- تأريخ اليعقوبى، ج ۲ ، ص ۱۸۹

2- تأريخ اليعقوبى، ج۲، ص ۱۸۹

3- تأريخ اليعقوبى، ج۲، ص۱۳۷

النهروان معركة المغفلين المخدوعين

وأثناء صفحة صفين أعلنت صفحة النهروان كفصل آخر من فصول المؤامرة

السياسية؛ فجماعة القراء وهم جميعاً من جيل التابعين، لا صحابى بينهم بالمرة تبعا لقول

ابن عباس: (أتيتكم من عند أصحاب النبى صلى الله عليهو آله وليس فيكم أحد منهم) الذى ورد

فى النقل الذى أخرجه النسائى فى التهذيب أن ابن عباس حينما أرسله الإمام على عليه السلام

ليكلمهم ويحتج عليهم، قال لهم:((أتيتكم من عند أصحاب النبى صلى الله عليه و آله وصهره وعليهم

نزل القرآن وهم اعلم بتأويله، وليس فيكم أحد منهم، لأبلغكم ما يقولون، وتخبرون

بما تقولون))(1)

والخوارج هم المارقون الذين أخبر رسول الله صلى الله عليه و آله المسلمين بخروجهم؛ وحديث

تمرق مارقة من الناس يلى قتلهم أولى الطائفتين بالحق أخرجه النسائى برقم ١٦٠ عن

داود عن أبى نضرة عن اى سعيد الخدرى و برقم ١٦١ عن أبى عوانة عن قتادة عن أبى

سعيد الخدرى وبرقم ١٦٢ عن قتادة عن أبى نضرة عن الخدرى وبرقم ١٦٣ عن عمرو

بن على عن يحيى عن أبى نضرة عن الخدرى وبر قم ١٦٤ عن بهز بن القاسم عن ابى

نضرة عن الخدرى وبرقم ١٦٥ عن المعتمر عن ابيه عن أبى نضرة عن الخدرى وبرقم

١٦٦ عن الأجلح عن حبيب أنه بسمع الضحاك المشرقى حديثهم ومعه سعيد بن جبير

وميمون بن شعيب وأبو البحرى والوضاح الهمدانى والحسن العرنى أنه سمع الخدرى

يرويه عن رسول الله.(2)

وأذكر هنا بشدة وعنف السياسيين فى محاربة من كان يقول الحقيقة أو كان يعترض

1- تهذيب خصائص النسائى، حديث ١٨٢ص ١٣٣- ١٣٤

2- تهذيب خصائص الإمام على؛أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى، الصفحات ١٢٣-١٢٥

على ما يأتون به من خرافة القصص وسبونهاإلى رسول الله صلى الله عليه و آله وصحابته الكرام، من

خلال تعاملهم مع النسائى حينما زار دمشق فاجتمعوا وانهالوا عليه بالضرب المبرح إلى

أن مات لأنه حدثهم بفضائل على عليه السلام؛ والقصة معروفة وصحيحة، وكما فى فتوى مركز

الإفتاء السعودى:

رقم الفتوى: ٩٩٥٠.

التصنيف: تراجم وشخصيات

السؤال: ما قصة قتل الإمام العلم أبو (هكذا فى الأصل والصحيح: أبى) عبد

الرحمن النسائى(رحمه الله) أريد الراجح من أقوال أهل العلم. جزاكم الله خير؟.

الإجابة

((أما بعد: فقصة قتل الإمام أحمد بن شعيب النسائى رواها الحافظ ابن كثير فى

البداية والنهاية حيث قال بعد الثناء الكثير: وقد قيل عنه إنه كان ينسب إليه شيء من

التشيع قالوا ودخل إلى دمشق فأله أهلها أن يحدثهم بشيء من فضائل معاوية فقال:

أما يكفى معاوية أن نذهب رأسا برأس حتى يروى له فضائل، فقاموا إليه فجعلوا

يطعنون فى خصيتيه حتى أخرج من المسجد الجامع فسار من عندهم إلى مكة فمات بها

فى هذه السنة وقبره بها هكذا حكاه الحاكم عن محمد بن إسحاق الأصبهانى عن مشايخه.

وقال الدارقطنى: كان أفقه مشايخ مصر فى عصره، وأعرفهم بالصحيح من السقيم

من الآثار، وأعرفهم بالرجال، فلما بلغ هذا المبلغ حسدوه فخرج إلى الرملة فسئل عن

فضائل معاوية فأمسک عنه فضربوه فى الجامع فقال: أخرجونى إلى مكة فأخرجوه وهو

عليل فتوفى بمكة مقتولا شهيدا مع ما رزق من الفضائل رزق الشهادة فى آخر عمره

مات فى مكة سنة ثلاث وثلاثمائة. قال الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الغنى بن نقطة فى

تقييده ومن خطه نقلت ومن خط أبى عامر محمد بن سعدون العبدرى الحافظ: مات أبو عبد الرحمن النسائى بالرملة مدينة فلسطين يوم الإثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاثمائة، ودفن ببيت المقدس وحكى ابن خلكان أنه توفى فى شعبان من هذه السنة وأنه إنما صنف الخصائص فى فضل على وأهل البيت لأنه رأى أهل دمشق حين قدمها فى سنة اثنتين وثلاثمائة عندهم نفرة من على عليه السلام وسألوه عن معاوية فقال ما قال فدققوه فى خصيتيه فمات، وهكذا ذكر ابن يونس وأبو جعفر الطحاوى أنه توفى بفلسطين فى سفر من هذه سنة، وكان مولده فى سنة خمس عشرة أو أربع عشرة ومائتين تقريبا عن قوله فكان عمره ثمانيا وثمانين سنة. انتهى)).(1)

وقد أعجبنى بأستخفاف تعليق الشيخ السلفى عثمان الخميس على هذه الفتوى فهو تعليق مستقى من ثقافة ابن العربى فى العواصم من القواصم وفيه يستخدم التعليل والتأويل رجما بالغيب ويدلس خلاف الواقع، وما ذاك إلا بسبب تأثير السياسة الأولى على عقولهم وطرائق تفكيرهم. وقد جاء فى تعليق الشيخ السلفى عثمان الخميس قوله: ((علم عن النسائى – رحمه الله– وغيره من أهل العلم أنهم كانوا يحرصون على مخالفة أهل البدع فيما يذهبون إليه، فكانوا إذا دخلوا الكوفة حيث التشيع ذكروا فضائل عثمان واذا دخلوا الشام حيث النصب ذكروا فضائل على وذلك للرد عل أهل البدع، وكان هذا ما وقع على الإمام النسائى لما دخل الشام حيث النواصب هناك كثر فألف كتابه خصائص على للرد على قولهم الباطل، وأجتمع إليه بعضهم وطلبوا منه فقالوا له: أسمعنا فضائل معاوية كما أسمعتنا فضائل على فأراد أن يبين لهم أن معاوية لا ينبغى أن يقارن بعلى فقال لهم تلك الكلمة ألا يرضى معاوية أن يكون رأسًا برأس حتى تكون له فضائل؟ وذلك

1- ملتقى السنة، الرابط، http://www.soonaa.com/vb/showthread.php?t=8884

ليخفف غلوهم فى معاوية ونصبهم لعلى فما كان منه لجهلهم وتعصبهم وقلة دينهم

إلا أن قاموا إليه وضربوه رحمه الله عليه ولم يكن النسائى رحمه الله عليه فى يوم من الأيام رافضياً (هكذا فى

الأصل والصحيح: رافضيا) لا قريبا من ذلک، وهذا ظاهر ى كتابه فضائل الصحابة.

الشيخ عثمان الخميس)).

أى أن الخميس يدعى أن النسائى قام بتأليف كتابه الخصائص وهو مقيم فى الشام

ثم نشره بينهم لأنه يزعم الشيخ الخميس: (أهل العلم أنهم كانوا حيرصون على مخالفة

أهل البدع فيما يذهبون إليه) فأغضبهم ذلک وثاروا عليه وقتلوه!

وأرى أن عثمان الخميس جانب الحقيقة وأبتعد عن المضمون وأغفل ذكر الأسباب

الحقيقية التى دفعت الشاميين إلى قتل النسانى، فالشاميون كانوا أوفياء للأمويين لأن

الخلفاء الأمويين دللوهم وأسعدوهم وأنفقوا عليهم وفضلوهم فى العطاء على كل

المسلميين الآخرين؛ يقول الدكتور العسلى: ((وكانت وفاة هشام مفاجأة سارة للوليد بعد

ضيق وانتظار شهدت الرصافة على أثرها حركة نشيطة غصت بالوافدين وبويع الوليد

بالخلافة لست خلون من شهر ربع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة فى اليوم الذى توفى

فيه هشام. بدا الوليد الخلافة بالإحسان إلى الناس وبالغ فى إحسانه إلى أهل الشام خاصة

فأجرى النفقة على مرضاهم وعميانهم وكساهم وأمر لكل إنسان منهم بخادم وأخرج

لعيالات الناس الطيب والكسوة وزادهم على ما كان يخرج لهم من هشام، وزاد الناس

جميعا فى العطاء عشرة دنانير ثم زاد أهل الشام عشرة دنانير زيادة عما زاد الناس، وخص

من وفد عليه من أهل بيته جوائز مضاعفة))(1) وكان هذا العطاء الجزيل لأهل الشام

خاصة ديدن الخلفاء الأمويين، فأين هذا من فعل على بن أبى طالب عليه السلام الذى كوى يد

1- دراسات فی تاریخ العرب، الدکتور خالد العسلی، ج۲، ص225

أخيه لأن الحاجة دفعته ليطلب منه بعض المال يسد به خلته!

فضلا عن ذلک کان الخوارج هم أیضا فصلا آخراً من فصول مؤامرة صفین،

وقد أوکل لهم السیاسیون المتآمرون دورًا مختلفًا، ولکنه مرتبط ارتباطًا وثیقاً بمألة

التحکیم، وتوقیت ظهورهم الذی بدا وکأنه مفاجئ ومن دون مقدمات، وهو أمر لا

یتقبله العقل ولا یمکن تصدیقه.

ویکشف صدق رأینا تصرف غریب بدر من واحد منهم، أظنه أخطأ فی التوقیت،

ولم یحسن لعب دوره الموکل إلیه، وهو (عروة بن أدیة التمیمی) الذی صاح قبل أن

یجتمع الحکمان فی صفین: (لا حکم إلا لله) ظنا منه أن ذاک وقتها(1) فی حین المعروف

أنهم وقتوا لإطلاق هذا الشعار السیاسی الکبیر فی مرحلة ما بعد التحکیم تحدیدًا،

ولیس قبله، وبعد أن یجبر الإمام علی علیه السلام علی قبول شروط التحکیم المجحفة رفضاً لهذا

القبول المنتظر، وإثارة للفتنة فی صفوف جیش علی علیه السلام!

هنا قد یقول قائل: لو کان هذا صحیحًا، فلم ینصرهم السیاسیون یوم رأوا أنهم

أحیط بهم وسوف یقتلون بسیف علی علیه السلام وسیوف جیشه فی النهروان عن آخرهم،

فهرکوهم یواجهون مصیرهم الأسود دون عون ومساعدة؟

وأقول جواباً: إن تجمیع القراء ضمن هذا التنظیم وحشرهم مع جیش علی علیه السلام لم

یکن عملا اعتباطیاً، وإنما کان عملا سیاسیاً فریداً اعتمد علی تجمیع نماذج من المسلمین

الأکثر التصاقاً بحرفیة العقیدة، السادرین فی فهم العقیدة فهماً نمطیًا محاکاتیاً بعیدا عن

التجدید، من الذین یربطهم مع بعضهم کرههم الخضوع للسلطان والحکم المرکزی

1- ینظر تأریخ الیعقوبی؛ج2 ص190

بسبب تجلى النزعة القبلية فى مبادئهم السياسية (1)، وكرههم لتسلط قريش دون غيرها عليهم، وكانوا يناضلون للتخلص من الحكم القرشى. والظاهر أن العقل السياسى العربى رصد فيهم هذه النزعة ونجح فى توظيفها، لتقديمهم إلى المحرقة فى الوقت المناسب بعد أن يزج بهم لأداء أحد الأدوار القنرة فى المؤامرة، بما يضعهم بمواجهة قوات الخلافة لإضعافها، ثم التخلص منهم ومن المشاكل التى قد يثيرونها مستقبلاً؛ فالسياسيون لم يكن فى نيتهم الاهتمام بالجوانب الدينية التى قد يدقق بشأنها مثل هؤلاء المتزمتين.

طبيعة هؤلاء القراء النمطيين التقليديين المتمسكين بالقشور دون اللب؛ فضلاً عن كونها تدل عل سذاجتهم وسهولة انقيادهم لمن لجدعهم، فهى تشبه شبها كبيراً طبيعة المسلمين المتطرفين المعاصرين، بل قد يكون هؤلاء حملة فكر من سبقهم من القراء، فأولئک بعد الحوار الذى أجراه الإمام على بن أبى طالب عليه السلام معهم قبل أن يحاربهم وبعد أن ذكرهم بالقرآن والسنة وحدودهما الصحيحة، أدركوا خطأهم (ورجع إليه منهم ألفان، وأقام أربعة آلاف لم يقنعوا برأيه)(2)، أما المعاصرون منهم بكل تشكيلاتهم (الجهادية والحديثية)؛ فلا يمكن إقناعهم أبداً!

أما مألة تركهم ليموتوا بذلک الشكل المهين برغم كبر دورهم؛ فلا تقل أهمية فى نظر المتآمرين، ولا اختلافا عن مألة تقديم لخليفتين عمر وعثمان إلى الموت، ولا تقل عن مسألة تقديم يعلى بن منية والأشعرى إلى الموت، بل لا تقل عن زج الصحابيين طلحة والزبير وعائشة فى حرب خاسرة قبالة جيش الخلافة الذى يقوده على بن أبى طالب عليه السلام!

1- ينظر: مقدمة فى تأريخ صدر الإسلام، عبد العزيز الدورى، ص ٧٠

2- مقدمة فى تأريخ صدر الإسلام، الدورى، ص١٩٣

غريب أن تجد الدول العظمى التى ترعى الإرهاب اليوم تدعم الإرهابيين و تقوبهم

لا لتغيير أنماط الحياة الإسلامية كما يظهر للعيان و إنما لتدميرها؛ سواء نجح الإرهابيون

بذلک أم لم ينجحوا، فهى كما تقول فى وصفها لجموع الإرهابيين: (حلق ليفنى) أى:

خلق لأداء دور ما ينسب إليه، ولا فرق بين موته وحياته بعد ذلک، بل إن موته أفضل

من بقائه! ويتضح مما تقدم أن السياسيين كانوا قد أضمروا نية قتل كل من اعترض

طريقهم، أو من جندوه لأداء واحدة من مهامهم كما قتلوا الزبير وطلحة وعشرات

غيرهم. ولأن الإمام الحسن عليه السلام وقف بوجه مشروعهم بقوة وصلابة حكموا عليه

بالموت فحاصروه وهاجموه وضيقوا عليه، ثم قدموا له السم.

ص :175

المرحلة الثالثة: تكميم الأفواه و تغيير الموروث

اشارة

فى هذه المرحلة المتقدمة بدأ التفكر الجدى والعمل الحقيقى لقطع كل ما يتصل

بعبق النبوة مع الحياة العامة؛ بدأ من التآمر لقتل على عليه السلام غيلة وختلا، وهو ما تحقق لهم

على يد صنيعتهم وخادمهم ابن ملجم، وصولا إلى تغييب فضائل الإمام عليه السلام ونسبة ما

ليس فيه إليه لتشويه صورته أمام الناس، وختما بسبه على المنابر فى مساجد الإسلام(1)

سب الإمام على

السياسة التى اتبعها الأمويون أدت إلى قتل الإمام على عليه السلام، وما تلاها من طرائق

معاملة الخليفة الأموى معاوية بن أبى سفيان للمتشيعين وعسفه بهم ولاسيما بعد صلح

الإمام الحسن عليه السلام تحدينا واحدة من المثالب الكبيرة التى تؤخذ على السياسيين، وقد

أسهب الطبرى فى الحديث عن نقض معاوية لبنود الصلح مع الحسن عليه السلام وكيف تسبب

هذا النقض فى إيذاء أهل البيت عليهم السلام والمتشيعين لهم ومعاقبتهم؛ ومما قاله: ((ولم يكتف

1- عن أبى إسحاق، عن أبى عبد الله الجدلى، قال: دخلت على أم سلمة، فقالت: ايسب رسول الله صلى الله عليه و آله فيكم؟ قلت: سبحان الله أو معاذ الله قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: من سب عليا فقد سبنى(ولأهمية هذا الحديث لا بأس بإيراد أقوال علماء الجرح والتعديل التى أوردها المحقق فى هامش الصفحة عنه؛ قال: أبو عبد الله الجدلى وثقه أحمد وابن معين وغرهما. والحديث أخرجه احمد (٣٢٣/٦) والحاكم (١٢١/٣) من طريق يحيى بن أبى بكر بإسناده سواء. قال الحاكم: إسناده صحيح ووافقه الذهبى. أخرجه الطراق فى الصغير (2١١2) من طريق عيسى بن عبد الرحمن السلمى عن السدى. ينظر: تهذيب خصائص الإمام على، أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب المعروف بالنسائى، ص 79، حديث رقم ٨٦

معاوية هبذا وإنما نقض الشرط الآخر وهو أن لا يسىء إلى أصحاب الحسن عليه السلام. فأمر

معاوية عماله: أن لا يجيزوا لأحد من شيعة على وأهل بيته شهادة، وأمر بحرمان كل من

عرف منه موالاة على من العطاء وإسقاطه من الديوان والتنكيل به وهدم داره))(1) كما

وذكر المؤرخان الطبرى واليعقوبى والنص لليعقوبى أن معاوية أمر بلعن على عليه السلام على

المنابر.(2)

ولم يكن السب سريا أو مقتصرا على الخاصة بل صار من وجوبيات أداء السنن

التعبدية، وقد روى ابن أبى الحديد المعتزلى أن مناد معاوية نادى، وكتب إلى عماله: ((ألا

برئت الذمة ممن روى حديثاً فى مناقب على وأهل بيته وقامت الخطباء فى كل كورة

ومكان على المنابر بلعن على بن أبى طالب والبراءة منه))(3) حتى تحول سب أول الناس

إسلاما وأصدقهم إيمانا إلى شعار سياسى، حيث روى اليعقوبى أن شعار الأمويين كان

(لا صلاة إلا بلعن أبى تراب) (4) وقد تعرض أتباع على عليه السلام تحت هذا الشعار إلى أنواع

الاضطهاد والتنكيل. وأجد أن استساغة التطاول على القمة العلوية الباسقة يحتاج إلى

جرأة كبيرة وثقافة من نوع خاص غير مألوفة فى ذلك المجتمع، وقد يسأل البعض عن

مصادر الثقافة السياسية للدنيويين التى أباحت لهم ارتكاب هذه الموبقة وهذا التطاول،

فأقول جوابا:

لقد أفاد السياسيون من المناصب التى حصلوا عليها فى حكومة الخليقة عثمان بن

عفان كثيرا حتى أنها إفادتهم فى تنمية فكرهم السياسى وطورته وأضافت إليه خبرات

1- ينظر: التاريخ الطبرى أيام معاويه بى أبى سفيان ص 216 فصاعدا

2- تاريخ اليعقوبى: ج 2 ص 190

3- شرح نهج البلاغه ابن أبى حديد المعتزلى ج 3 ص 15

4- تاريخ اليعقوبى ج 2 ص 275

عملية مكتسبة عن طريق التجريب والتجديد ساعدتهم بعد حين فى دعم موقفهم

عندما وظفوها فى صراعهم مع على والحسن عليهما السلام، فضلا عن طول المدة التى قضوها

فى الشام مجاورين للروم ودولتهم وحضارتهم، ومن المعروف أنه وفق مفهوم التناقل

الثقافى أو المناقلة الثقافية حدث وأن انتقلت بعض عادات وقيم وثقافات الروم إلى

المناطق الأخرى التى حكموها مثل الرقعة الجغرافية الشامية التى كانت تحت سيطرتهم،

فضلا عن المناطق الأخرى المجاورة لهم مثل المناطق التى قامت عليها الشام التى ولى

عليها يزيد بن أبى سفيان وتلاه معاوية.

ثم إن التناقل لم يحدث على مستوى المجتمعات فسب ويقتص عليها، بل حدث

أيضا على مستوى الأفراد والفئات المتنقذة فى ذلك المجتمع ولاسيما وأن المتنفذين

كانوا على اتصال دائم بأباطرة الروم كما فى القصة التى تتحدث عن محاورة أبى سفيان

للإمبراطور الرومانى وحديثهم عن النبى الجديد، والرواية أخرجها الطبرانى فى المعجم

الكبير عن ابن عباس تحت عنوان (حديث هرقل ملك الروم مع أنى سفيان بن حرب)(1)

فمن المتعارف عليه: ((إن الحضارات تفتقر إلى تخوم محددة بدقة؛ وهى تعبر الحدود

السياسية وتتمدد فوق فضاءات يكاد يتعذر تحديدها بسهولة، تشكل الحضارات نوعا

من البنية الاجتماعية التى تحتضن عددا من الأمم والأقوام المختلفة)(2)

والسياسيون بحكم هذه الخبرة المراكمة وهذا الوعى السياسى المتطور تحولوا إلى

حيتان سياسية لا تدانيها حيتان الوقت الراهن فى الخبث والدناءة والغدر والخداع،

ولذا تجدهم ينتصرون ويحكمون ويظلمون، وتجد قصصهم تملأ كتب التاريخ والسيرة،

1- المعجم الكبير الطبرانى ج 24 ص 237-234

2- الحضارات فى السياسة العالميه بيتر جى كاتزنشتاين؛ ترجمه فاضل جتكر؛ سلسلة عالم المعرفه رقم 385 المجلس الوطنى للثقافه و

الفنون و الآداب؛ الكويت 2012 ص 32

ولاسيما وأنهم لم يكونوا يأبهون لحدود الشريعة وأوامر الرسالة وأخلاق الدين، وهى المحاور التى أكد عليها الدينيون وتمسكوا بها فى صراعهم مع السياسيين. وكما تطرد العملة السيئة العملة النظيفة؛ كذلك طردت السياسة الرديئة سياسة الحق وزوتها بركن ضيق. ومن هنا كان صراعهم مع الدينيين غير متكافىء لأن إحدى كفتيه تأنف عن كل ما يسىء إلى إنسانية الإنسان، والكفة الأخرى مملوءة بأنوع الدناءة والقذارة والخبث لدرجة انها لا تلتفت إلى الإنسان إلا حينما تريد أن تحوله إلى حطب تشعله لتستنرى بضوءه فى حفلاتها الوحشية. فهل كانت للإمام الحسن عليه السلام قدرة المفامرة بالإسلام والمذهب وكل ما تحقق لحد تلك الساعة بخوض نزال مع هذّ المجموعة الشرسة التى تحد الأمة كلها وجعلت من سب الإمام على عليه السلام شعارا لها وسنة فى عباداتها؟

وبعد الحديث المسهب عن أنماط السياسة العربية الإسلامية ورؤاها وحراكاتها والنتائج التى حققتها فى مسيرتها الطويلة ينبغى التحدث عن أنمودجات من السياسيين الذين كانوا أبرز من غيرهم فى هذا المضمار، وقد اخرت هذه الشخصيات من بين كم كبرى جدا من السياسيين الذين كان زعيقهم يملأ ساحة الإسلام بالضوضاء.

ص :180

فصل الرابع أنموذجات سياسية فی تاريخ العرب

اشارة

ص: 181

حفل المجتمع الإسلامى الأول بأنمودجات سياسية قديرة ومتمكنة ولكنها لم

تحض بفرصة دراسة هذا الجانب فيها بعد أن انطوت شخصياتهم على أنماط مختلفة من

السلوكيات كالمخادعة والتلون وغير ذلک، فصلا عن التمظهر بمظهر المتدينين الذى

طغى على المظاهر الأخرى. ومن هؤلاء السياسيين المقتدرين: معاوية بن أبى سفيان

وعمرو بن العاص وقد درست سيرهم ونشاطاتهم بكثرة، ولذا لن أطيل الحديث

عنهم لأتفع للكلام عن البعض الآخر ممن لم يجش بفرصة للانتشار الكبير كما حصل

للنخبة، ومن هؤلاء السياسيين الثانويين:

المغيرة بن شعبة

سياسى على قدر كبير من الذكاء مهد وخطط لقتل الخليفة عمر بن الخطاب

وخاض الحراک السياسى إلى آخر يوم من عمره، كان هو ومروان من أكثر المتآمرين

علانية وظهورا وإسهاما فى الأحداث، وفى معركة الجمل حاول مروان زرع عدم الثقة

بين رؤوس جيش الجمل كما سيرد فى الحديث عنه، وقام المغيرة بنفس الدور ولكن

بشكل آخر حيث أمر ثقيفاً قومه بالرجع والتخلى عن أهل الجمل ليس حبا بعلى عليه السلام

ولا خشية من الله سبحانه،بل لإضعاف قوتهم التى رأى فيها تهديداً للمشروع السياسى

التآمرى الكبير، وقال لهم: ((من كان ههنا من ثقيف فليرجع، فرجع))(1)ظنا منه أنه

بعمله ذاک يخذل أهل الجمل ويورطهم. وقبل ذلک أوكل إليه السياسيون الكبار مهمة

1- ينظر: الكامل فى التأريخ،ج3، ص 179

قتل الخليفة عمر؛ وهى المهمة التى نجح فيها نجاحا باهرا أذهل الجميع.

وقد أورد ابن هلال الثقفى فى الغارات: ((عن على بن النعمان، قال: قال على عليه السلام:لئن

ملكت لأرمينه بأحجاره يعنى المغيرة، وكان ينتقص عليا)(1)

وعن جندب بن عبد الله قال: ذكر المغيرة بن شعبة عند على عليه السلام وجد؛ مع معاوية

فقال: ((وما المغيرة إنما كان إسلامه لفجرة وغدرة لمطمئنين إليه وركبها منهم فأتى

النبى صلى الله عليه و آله كالعائذ بالاسلام، والله ما رأى احد عليه منن ادعى الإسلام خضوعا ولا

خشوعا))(2) ومن جرائم المغيرة بن شعبة الكبيرة والمفضوحة التى تم التستر عليها بفعل

السياسيين أنفسهم كانت جريمة قتل لخليفة عمر بن الخطاب.

قتل الخليفة عمر

إن عملية إدخال أبى لؤلؤة فروز إلى المدينة كانت أولى خطوات تنفيذ مؤامرة مبيتة!

فالمعروف أن الخليفة عمر بن الخطاب كان قد مع دخول الآعاجم إلى عاصمة الإسلام

بعد توليه الخلافة، وهناك روايات كثيرة تقول: إنه كان كثير التشدد بشأن دخول

الآعاجم إلى المدينة؛ كما نقل الدكتور أحمد صبحى داود عن ابن سعد: ((ويقول ابن

سعد: إن عمر كان لا يأذن للسبى من الآسرى من الرجال بدخول المدينة، واستأذن

المغيرة بن شعبة حتى سمح عمر بأن يأتى للمدينة أبو لؤلؤة فروز المجوسى، وكان من

سبى نهاوند، وفى النهاية قتل عمر انتقاما))(3)

وكان عمر قد أصدر مرسوما بهذا المنع جاء فيه: ((لا تجلبوا علينا من العلوج أحداً

1- الغارات،أبو إسحاق بن محمد بن سعيد بن هلال المعروف بابن هلال الثقفى، ص٣٥٣ 354

2- المصدرنفسه، ص ٣٥٤

3- المسكوت عنه فى سيرة عمر بن الخطاب فى الفكر السنى،احمد صبحى منصور، ص 5

جرت عليه المواسى))(1) وهو الخبر الذى قال عنه السيوطى فى تاريخه: ((قال الزهرى:

كان عمر لا يأذن لسبى قد احتلم فى دخول المدينة حتى كتب إليه المغيرة بن شعبة))(2)

ولكن المغيرة السياسى النافذ بما معروف عنه من مكر ودهاء نجح باستحصال موافقة

عمر بعد أن أغراه بالخبرات التى يمتلكها أبو لؤلؤة. وقد أشار المسعودى فى مروجه إلى

هذا المكر بقوله: ((وكان عمر لا يترك أحداً من العجم يدخل المدينة، فكتب إليه المغيرة

بن شعبة: إن عندى غلامًا نقاشاً نجارًا حدادًا فيه منابع لأهل المدينة، فإن رأيت أن تأذن

لى فى الإرسال به فعلت، فأذن له))(3)

ولكن لا عمر ولا أى من المحيطين به انتبهوا إلى مخاطر استثناء أبى لؤلؤة من أمر

المنع والأسباب الكامنة وراء طلب المغيرة بإدخاله إلى المدينة إلا بعد فوات الأوان، ولذا

نرى عمرا بعد أن طعنه أبو لؤلؤة يأسف على تهاونه بذا الشأن ويقول مقولته المشهورة:

(ألم أقل لكم لا تجلبوا علينا من العلوج أحدًا، فغلبتمونى)(4)

إن ربط مقتل عمر بدوافع سياسية عربية أمر لا يمكن نكرانه أو تجاهله ولذا تجد

على مر التاريخ من يشكك فى الأقوال التى تحدثت عن الدوافع التافهة الأخرى التى

قالوا أنها جعلت أبا لؤلؤة يقتل عمر؛ ومن هؤلاء حسن عبد الله الذى قال: ((و يفيق

الناس من هول الصدمة فإذا هم يتساءلون: من قتل عمر؟ أيقتله أبو لؤلؤة، لأنه لم يرفع

عنه بعض ما فرضه عليه صاحبه المغيرة بن شعبة من ضريبة؟ أيصلح هذا سببًا؟))(5)

1- الطبقات الكبرى، ابن سعد،ج ٢،ص ٢٥٣

2- تأريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطى، ص ١٣٣

3- مروج الذهب، المسعودى، ج٢،ص٣٣٧

4- طبقات ابن سعد،ج ٢،ص ٢٥٣

5- الاغتيالات فى الإسلام، ص ٤٥

كذلک لم يقتع إبراهيم بيضون بالأسباب التى اعتبروها دافعا لقتل الخليفة وقال:

((فى حال انتقاء الدافع الشخصى الساذج، ومعه الداوع القومى الأكثر سذاجة، يبقى

الافتراض الواقعى هو أن تكون للقضية خلفية سياسية فقدلا يكون بعيداً عن الاحتمال

وجود مؤامرة محبوكة الخيوط)).(1)

إن اقتراح المغيرة على عمر أن يولى ابنه عبد الله بدلا منه؛ بل الإلحاح والترغيب

بضرورة تولية عبد الله على بساطته وقلة علمه وسهولة خداعه وتسييره من قبل

السياسيين؛ يكشف أن المغيرة الذى أدخل القاتل إلى المدينة كان واحداً من المتآمرين،

وأنه كان يروم الاستعجال بحسم الأمر بأسرع وقت وبشكل قانونى؛ لكى لا يثير

الشبهات؛ فلما أفشل عمر مخططهم لجأوا إلى القتل وأعدوا شخصاً آخراً ليتولى القيادة

لا يختلف كثيرا عن ابن عمر.

إن المغيرة بن شعبة شخصية مركبة فيها الكثير من المفاجآت، ولما تقدم به العمر

دون أن يحضى بمنصب رسمى رفع يبيح له التمتع بالحياة استغل مقتل الإمام على

وصلح الإمام الحسن عليه السلام والفوضى التى نشبت فى أثناء هذه المرحلة لينصب نفسه

أميرًا للحج من دون أمر رسمى كما كان متبعا، فقد روى ابن الأثير عن حوادث السنة

الأربعين للهجرة: ((حج بالناس هذه السنة المغيرة بن شعبة وافتعل (أى: زيف) كتاباً

على لسان معاوية، فيقال: إنه عرف (أى: وقف فى شعيرة عرفة) يوم الروية، ونحر يوم

عرفة خوفاً أن يفطن لفعله، لأنه بلغه أن عتبة بن أبى سفيان مصبحه والياً على الموسم،

فعجل الحج من أجل ذلک))(2) هذا العمل بحد ذاته يدل على أمرين مهمين:

1- من دولة عمر إلى دولة عبد الملک،إبراهيم بيضون، مصدر سابق، ص ٩٨

2- ينظر: مروج الذهب،ج ٣،ص ٣٥١

الأول: أن الرجل كان يعد نفسه حتى تلك الساعة من المشاركين الفعليين بالمؤامرة،

وانه كغيره من أولئک السياسيين الجامحين كان مستعدا للتضحية بموسم الحج وتخريب

شعائره من أجل الإمرة والسلطة.

الثانى: أن كل السياسيين كانوا يتهاونون بشأن الدين ولا يعرونه أهمية تذكر.

وقبل هذه المجازفة الفاشلة كان المغيرة قد استغل تعيين عمر واليا جديدا على

الكوفة ليكذب حتى يحصل عليها بدلا منه، وتقول القصة: ((ولى عمر جبير بن مطعم

على الكوفة، فمكر به المغيرة وحمل خبراً إلى عمر وقال له: ولنى يا أمير المؤمنين مكانه؟

قال: أنت رجل فاسق! قال: وما عليک منى؟ كفايتى ورجلتى لک، وفسقى على نفسى،

فولاه الكوفة)(1)

كان المغيرة والسياسيون الآخرون يتدخلون حتى فى صغائر الأمور للحصول على

المعلومة التى تخدمهم، حتى أنهم يوم الشورى وبعد أن جمع المقداد أهل الشورى وأمر

طلحة أن يحجبهم؛ جاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب، فحصبهما

سعدوأقامها؛ أى: طردهما(2).

ثم لما أعطاها عبد الرحمن بن عوف إلى عثمان وحرفها عن على عليه السلام نجد المغيرة يأتى

مسرعا لتهنئة عبد الرحمن بن عوف على اختيار عثمان، وترک على: ((وقال المغيرة بن

شعبة لعبد الرحمن: يا أبا محمد قد أصبت أن بايعت عثمان، وقال لعثمان: ولو بايع عبد

الرحمن غيرک ما رضينا! فقال عبد الرحمن: كذبت يا أعور (المغيرة كان فعلا أعورا) لو

1- مروج الذهب ج٢،ص ١٥٥

2- ينظر: الكامل، مجلد٣،ص ٥٦

بايعت غيره لبايعته، ولقلت هذه المقالة).(1)

وبعد موت عتبة بن غزوان عينه عمر واليا على البصرة فأنشأ علاقات دنيئة

وجشرة مريبة مع مجموعة من نساء المجتمع البصرى، منهن واحدة تكشفت علاقته

معها للناس، قال عنها المسعودى: وكان يختلف إلى امرأة من بنى هلال يقال لها أم

جميل زوجة الحجاج بن عتيك الثقفى... فعزله عمر وبعث أبا موسى الأشعرى عاملاً

مكانه)).(2)

هذا المغيرة لم يتهاون فى الدين فقط بل تهاون فى أمور المسلمين أيضا، فهو حينما

ولاه معاوية الكوفة سنة ٤٢ هجرية لم يحسن العمل فأراد معاوية عزله، فلما سمع الخبر

أسرع بالذهاب إلى الشام، فأغضب قدومه معاوية أكثر من قبل، وقال له: ما أقدمك يا

مغيرة، تركت العمل، وأخللت بالمصر، وأهل العراق هم أسرع شىء إلى الفتن؟ فاعتذر

وأراد تفادى غضب معاوية فقال: إنى جئتك بأمر يخصك فأنا أخبرت الكوفيين أنك

بايعت لابنك يزيد ففرحوا واسحسنوا العمل، فأعجب ذلك معاوية، وأقره والياً على

الكوفة، ولم يعزله. ولما خرج المغيرة من عنده قال لكاتبه الذى كان قد فارقه؛ لأنه عرف

أنه سيعزل، ثم عاد إليه بعد أن سمع بإعادته إلى الوظيفة: ((ارجع بنا إلى الكوفة، فوالله

لقد وضعت رجل معاوية فى غرز لا يخرجها منه إلا سفك الدماء))(3)

وقد استغل منصبه هذا للولوغ فى دماء المسلمين وزرع الفرقة بينهم؛ يقول (كارل

بروكلمان): ا(فلما ولى الكوفة جعل همه أن يفسد بدهاء بارع بين الخوارج، وأتباع على من

1- الكامل فى التاريخ ص 59

2- مروج الذهب ص 146

3- ينظر: تأريخ اليعقوبى ج 2 ص 220

الشيعة، وبذلک استطاع أن يشغل الكوفيين عن معارضة معاوية)).(1)

وقد كان للمغيرة دور تخريبى كبير فى النزاع بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية، كان إلى جنب معاوية خادما مخلصا، وكان شديدا على الإمام الحسن عليه السلام وأصحابه، وقد وظف كل خبراته لكى يفشل المشروع الحسنى. وفى سنة خمسين للهجرة كان المغيرة فى الكوفة التى ضربها مرض الطاعون فهرب منها، وحينما زال الخطر عاد إليها، وكان الموت له بالمرصاد، فطعن فمات.(2)

مروان بن الحكم

السياسى الذى مهد وخطط لقتل ابن عمه لخليفة عثمان بن عفان بدم بارد ومكر كبير. وكانت لهذا السياسى النشيط مواقف كبيرة خدمت الخط السياسى ثم أوصلته إلى كرسى الحكم.

إن قتل مروان بن الحكم لطلحة فى معركة الجمل يبدو من اكبر المؤشرات على أنه احد أهم السياسيين المعارضين لنهج الاسلام، أما قيامه بزرع الفرقة بين قادة جيش الجمل فأكبر دليل على تآمره. كانت غاية مروان من عمله ذاک دفع أقطاب قيادة معسكر الجمل إلى التقاتل فيما بينهم فى سبيل كرسى الحكم؛ إذا ما كتب لهم الانتصار فى هذه المنازلة، فبعد خروج جيش الجمل جاءهم مروان حتى وقف على طلحة والزبير وأبنائهم محمد وعبد الله، فسأل بخبث ودهاء ومكر سياسى: على أيكما أسلم بالإمرة، وأؤذن بالصلاة؟

فقال عبد الله بن الزبير: طبعاً على أبى الزبير، وهو رى أباه أحق بها من غيره!

1- تأريخ الشعوب الاسلامية بروكلمان ؛ص 146

2- ينظر: الكامل فى التاريخ 403/3

وقال محمد بن طلحة: على والدى طلحة، وهو يرى أباه هو من يستحقها!

فأرسلت عائشة إلى مروان وكانت قد انتبهت إلى لعبته الدنيئة، فقالت له زاجرة:

أتريد أن تفرق أمرنا؟

والظاهر أن بذور هذه المكيدة السياسية المحكمة والجادة، وجدت أرضاً خصبة

نمت فيها فأينعت أوراقها وأثمرت أشجارها، إذ يروى اليعقوبى أن قادة جيش الجمل

بعدما خدعوا عامل على عليه السلام على البصرة عثمان بن حنيف (1)؛ فبفتوه بعد التفاوض معه

والاتفاق على انتظار قدوم على عليه السلام إليهم، فألقوا القبضى عليه ونتفوا شعر رأسه ولحيته،

وأرسلوه إلى على عليه السلام واستولوا على ما فى بيت مال البصرة وانتهبوه وقتلوا من قتلوا من

أهل البصرة، دب الخلاف بينهم عند حلول وقت الصلاة بوحى من ذلك المكر المروانى:

(فلما حضرت الصلاة تنازع طلحة والزبير وجنب كل واحد منهما صاحبه حتى فات

وقت الصلاة، وصاح الناس: الصلاة، الصلاة يا أصحاب محمد! فقالت عائشة: يصلى

محمد بن طلحة يوما وعبد الله بن الزبير يوماً)).(2)

كان المتآمرون يستغلون أى فرصة متاحة لخلق مثكلة قد تقود المسلمين أو

المتنازعين إلى التقاتل فيما بينهم، حتى أن الروايات تتحدث عن أحداث تأريخ متأخر

عن تلك الحقب، تعود إلى أيام الإمام الحسن عليه السلام حدثت فيه مشادة مختلقة، اختلقها بطل

التآمر مروان بن الحكم ليجر المسلمين إلى قتال يفضى بعد حين إلى استيلاء الأمويين

يشكل كامل على الدين بعد أن استولوا على السلطة، وهى قضية دفن الإمام الحسن عليه السلام

1- عثمان بن حنيف الأوسى الأنصارى كان عاملا لعمر بن الخطاب على عراق و كان عاملا لعلى على البصره و هو أخو سهل بن حنيف شهد أحد ا و ما بعدها من المشاهد مع النبى صلى الله عليه و آله و له رواية= عنه.

2- تأريخ اليعقوبى ج 2 ص 180

التى سنناقشها لاحقا.

كان مروان يقتنص الفرص ليؤكد للامويين صدق إخلاصه ونزعته وعصبيته من

خلال إظهار نفسه محبًا للخليفة المغدور عثمان بن عفان الذى أصبح مقتله شعاراً يرفع

لتأكيد الولاء المطلق للنزعة الأموية، ولذا تراه يعيد تمثيل هذه المسرحية حتى وهو وال

على المدينة للتذكر بأنه ما زال مخلصًا للخليفة ومعاديا لاعدائه، ومتمسكاً بروح ثورية

أموية مناصرة للخط الأموى، حتى ولو كان فى ذلك السلوك ما يخالف سنة النبى صلى الله عليه و آله،

إذ أخرج ابن شيبة النميرى عن شيخ من بنى مخزوم يدعى عمر، قال: ((كان عثمان بن

مظعون رضى الله عنه من أول من مات من المهاجرين فقالوا: يا رسول الله أين ندفنه؟ قال:

بالبقيع، قال: فلحد له النبى صلى الله عليه و اله، وفضل حجر من حجارة لحده، فحمله النبز فوضعه

عند رجليه، فلما ولى مروان بن الحكم المدينة مر على ذلك الحجر، فأمر به فرمى به وقال:

والله لا يكون على قبر عثمان بن مظعون حجر يعرف به، فأتته بنو أمية فقالوا: بئس ما

صنعت؟ أعمدت إلى حجر وضعه النبى صلى الله عليه و آله فرميت به؟ بئس ما عملت به؛ فأمر به

فليرد! قال: أما والله إذ رميت به؛ فلا يرد(1)

كان مروان بن الحكم وأبوه طريدى رسول الله ثلى الله عليه وآله، حيث أسلم أبوه بعد الفتح،

ونفاه الرسول من المدينة لسوء خلقه، وح ذلك عده ابن حجر من العحابة، صحيح

أنه قال: ((فلم يثبت له أزيد من الرؤية))(2)، ولكنه لا ينفى عنه الصحبة المزعومة!!

وكان مروان يرى نفسه مقدما على غيره ويسعى إلى أن يشرك نفسه فى كل حادثة

وحديث لكى يثبت صحة هذا الاعتقاد لغيره أيضاً، يروى أن معاوية لما طلب عمرو بن

1- معاوية عبد الباقى قرنه الجزائرى ص 59 عن تلريخ المدينه لابن شيبة النميرى 101/1 .

2- الاصابة ابن حجر المجلد 3 ص 1808 رقم 7916 و ص 1908 رقم 8321

العاص إليه بعد وقعة الجمل وتشاور معه وطلب منه التعاون، وبعد التفاوض أعطاه

مصر طعمة مقابل الرضوخ لأمره، غضب مروان غضباً شديدًا؛ لأن معاوية قدمه عليه

وقال: ((مالى لا استشار؟ فقال معاوية: اسكت؛ فإنما يستشار بک))(1)

وما أريد قوله بصدد تآمر مروان بن الحكم الستمر: أنه كان حتى فى أحلامه

ومناماته يفكر بالسلطة التى يسعى إلى الحصول عليها ونيلها، وأن ابنه عبد الملک

كان متيما بهذا النهج حتى قيض له النزو على منبر رسول الله صلى الله عليه و آله، ثم لما آلت إليه بدأ

يفكر ويتآمر لعزل الأمويين كلهم وتنصيب أولاده الأربعة؛ ليقودوا رقاب المسلمين،

ومناماته لم تكن مثل منامات من رأى فى عالم الرؤيا أن شمساً كذا وكذا بل كانت عن

طريق التبول فى المحراب الذى يؤذى فيه الصلوات؛ ومن ذلک ما ذكره السيوطى ((عن

مصعب الزبيرى قال: رأى عبد الملک بن مروان أنه بال فى المحراب أربع مرات، فسأل

سعيد بن المسيب؟ فقال: يملک من ولده لصلبه أربعة))(2)

ولد مروان فى السنة الثانية للهجرة وقيل فى السنة الثالثة وقيل فى الرابعة، ونفاه

رسول الله صلى الله عليه و اله يوم نفى والده الحكم الذى كان يختلج فى مشيته مقلداً رسول الله صلى الله عليه و اله

استهزاء فدعا عليه النبى صلى الله عليه و اله بقوله: كن كذلک فما زال كذلک حتى مات)). وكان

عثمان بن عفان قد توسط عند أبى بكر بعد موت النبى صلى الله عليه و اله؛ ليسمح للحكم وولده

مروان بالعودة إلى المدينة، فرفض، ثم فى عهد عمر توسط فى ذلک؛ فرفض عمر الموافقة.

وقد رويت أخبار كثيرة فى لعنه ولعن من فى صلبه، أى: أولاده وعل رأسهم مروان!

كان المسلمون يلقبون مروان وأبناءه من بعدة بـ_ (بنى الزرقاء) ذما لهم، يقصدون

1- تأريخ اليعقوبى ج 2 ص 186

2- تأريخ الخلفاء السيوطى ص 247

(الزرقاء بنت موهب) جدة مروان لأبيه وكانت من ذوات الرايات الحمر (البغايا) التى يستدل بها على ثبوت البغاء(1)، ثم شاءت الصدف أن يحكم أبناؤها وأحفادها العالم الاسلامى بعد أن مهد لهم مروان والمغيرة الطريق!!وقد تكون هذه صفه لازمة لخلفاء بنى أمية؛ إذ هناك أكثر من رواية تؤكد أن حمامة جدة معاوية، وأمه هند كانتا من ذوات الرايات الحمر؛ ويحكى أن عقيلا دخل على معاوية وعنده جاعة من أصحابه فكلموه، فطعن فى نسب كل منهم، فقال له معاوية: قل فى شيئا لأساوى أصحابى فقال: أعفنى، فقال معاوية: لا بد من ذلک، فقال: خل عنى يا معاوية، فقال: ليس إلى ذلک من سبيل حتى أساوى أصحابى، فقال عقيل: أتعرف حمامة؟ قال: ومن حمامة، قال: قد قلت لک، فاطلب من يخبرک عنها، وخرج من عندهم، فطلب معاوية عجوزا كانت قد أدركت الجاهلية وسألها عن حمامة فقالت: لى الأمان إن أخبرتک؟ قال: لک الأمان، قالت: إن حمامة أحدى جداتک وكانت من ذوات الرايات فى الجاهلية وكانت الناس تهتدى برايتها، فالتفت معاوية إلى أصحابه، وقال: أبشروا فقد ساويتكم. وقد أورد المؤرخون عن أخبار هند بنت عتبة أم معاوية الشىء الكثير، وتجد فى كتاب التميمى المغربى قصصا كثيرة.(2)

ويبدو أن مروان بن الحكم كان فى كل المراحل الحاسمة من أبرز وجوه التآمر وأكثرها حراكا، وعليه أجد أن أفضل وصف وصف به شيخ المتآمرين مروان بن الحكم ثلاثة أقوال لكتاب معاصرين من مدرسة الخلفاء:

الأول: قول حسن عبد الله: كان مروان بن الحكم أمويا قد أنسته أمويته كل شىء

1- ينظر: الكامل فى التأرخ، مجلد٣، ص ٦٢٢-٦٢٣

2- المناقب والمثالب، القاضى أى حنيفة النعمان بن محمد التميمى المغربى (ت ٣٦٣) تحقيق ماجد بن احمد العطية، مؤسسة الأعلمى،

بيروت، ١٤٢٣ ٢٠٠٢م، ص ٢٤٣

حتى دينه)(1)

الثانى: قول الدكتور خالد العسلى: الإن بروز مروان فى معركة الجمل بالذات

ورميه طلحة بن عبيد الله بسهم سبب وفاته ينبئ بما فى نفسه من طموح للخلافة وتطلع

للوصول إلى الحكم)).(2)

الثالث: قول أحمد أمين: ((وكان كاتبه (أى: كاتب عثمان) وأمين سره مروان بن

الحكم الأموى، ومروان هذا وشيعته هدموا كل ما بناه الإسلام من قبل ودعمه أبو بكر

وعمر من محاربة العصبية القبلية)).(3)

فى أثناء كل تلك التواريخ كان مروان موغلاً فى التآمر ولا يمكن لأحد أن ينكر

هذه الحقيقة ولاسيما أنه كان فى زمن معاوية بن أبى سفيان وابنه يزيد يرى نفسه سيداً

وشيخا لأمية كلها، حتى أنه لما أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد بن أبى سفيان والى

يزيد منها اجتمع بنو أمية ومواليهم ومن يرى رأيهم ونزلوا فى داره(4) أما هو فأخذ

نساءه وأودعهن عند على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام. وكان معاوية السياسى

الداهية قد شخص تطلع مروان للإمرة والخلافة، وكان يريد إرضاءه بما يسكته، أو

يدفعه إلى عدم إثارة المشاكل؛ فعمد إلى توليته البحرين، ثم عزله عنها، وولاه المدينة

أكثر من مرة؛ وح إن (إسناد إمارة المدينة لأموى تفرضه ظروف معاوية، ولكن لخوف

معاوية من تقوية مروان كان يلجأ إلى إبداله بأموى آخر).(5)

1- الاغتيالات فى الإسلام،ص ١٠٥

2- دراسات فى تأريخ العربى، الدكتور خالد العسلى، ص ١٩٢

3- فجر الإسلام، أحمد أمين، ج١ ، ص ٣١١

4- الكامل فى التأريخ، مجلد ٣ ص ٥٥٦

5- دراسات فى تأريخ العرب، خالد العسلى، ص ١٩٢

ومن المعروف والمؤكد عن مروان بن الحكم أنه خلال عمره كله كان يكره أهل

البيت ولاسيما عليا والحسنين عليهم السلام، وهناك عشرات بل مئات النقول التى تثبت

بغضه وكرهه لهما؛ بل كان يذهب إلى أبعد من ذلك، حيث كان يعيب على من يحب

عليا والحسنين عليهم السلام، ويعتر حبهم منقصة، ومنها أنه كان يعيب على أبى هريرة حبه

للحسنين عليهم السلام كمل فى الحديث الذى أخرجه الطبرانى فى معجمه وابن عساكر فى تاريخه

عن إسحاق بن أبى حبيبة: أن مروان بن الحكم أتى أبا هريرة فى مرضه الذى مات فيه،

فقال مروان لأبى هريرة: ما وجدت عليك(1) فى شىء منذ اصطحبنا؛ إلافى حبك الحسن

والحسين)).(2)

ومن المعلوم والمتعارف عليه بين المسلمين أيضا أن بغض الحسنين عليهم السلام كفز بواح،

ومن يبغضهما يدخل النار رغم أنفه، ولكن مروان استهان بكل التحذيرات التى أطلقها

النبى صلى الله عليه و آله بوجه من يفكر مجرد تفكير أن يكرههما، وفيما أخرجه أبو نعيم فى الحلية وابن

عساكر والحاكم فى المستدرك على شرط البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن رسول الله

قال: ((الحسن والحسين ابناى من أحبهما أحببته ومن أحببته أحبه الله ومن أحبه الله

أدخله جنات النعيم ومن أبغضهما أو بغى عليهما أبغضته ومن أبغضته أبغضه الله ومن

أبعضه الله أدخله نار جهنم وله عذاب مقيم))(3)

فضلا عن ذلك كان مروان عدوا مبغضا لعلى عليه السلام والشواهد على ذلك كثيرة،

وبغضه لعلى يقوده إلى ما لا تحمد عقباه بلا جدال، حيث أخرج الطبرانى فى معجمه

1- وجدت عليك: أى دخل فى قلبى حقد أو وجد أو زعل أو غضب عليك

2- حليم آل البيت الحسن بن على، الشيخ موسى محمد علس، ط٢،عالم الكتب، بيروت، ١٤٠١٩٨٤٥م ص٢٣

3- حليم آل البيت الحسن بن على، الشيخ موسى محمد على، ص ٢٥

والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله ((من سره أن يحيى حياتى

ويموت مماتى ويسكن جنة عدن التى غرسها ربى فليوال علياً من بعدى وليوال وليه

وليقتد بأهل بيتى من بعدى فإنهم عترتى خلقوا من طينتى ورزقوا فهمى وعلمى، فويل

للمكذبين بفضلهم من أمتى القاطعين فيهم صلتى لا أنالهم الله شفاعتى))(1)

ومن ضمن نشاطاته السياسية أنه كان قد اعترض على بيعة يزيد بن معاوية، ثم نزل

مذعنّا، فهو لما بايع يزيد بن معاوية ولده معاوية الثانى للخلافة ثارت ثائرته من جديد

وهو يرى أمنياته تتلاشى وعمره يتقدم ويبتعد عن نيلها، فقرر التخلص من الخليفة

الجديد، ومع أن سبب تنحى معاوية الثانى عن السلطة وانزوائه فى بيته وموته فى ريعان

الشباب لم يمط اللثام عنه بسبب تضارب الروايات فى شأنه، وهناك من يدعى أن مرضه

أو زهده هو الذى دفعه إلى النزول عن العرش والانزواء، إلا أن تضارب الروايات

بذاته يشير إلى وجود مؤامرة سياسية مدبرة كانت السبب فى تنحيته، وأنه نحى قسراً

وإكراهاً، وليس زهدا وتعبدا، بعد أن قتل أو سمّ على اختلاف الروايات؛ ومنها رواية

المسعودى: ((امات حتف أنفه، ومنهم من رأى أنه طعن، ومنهم من رأى أنه سقى السمّ

وهوبعمر اثنين وءعشرين))(2) ورواية الطبرى فى تأريخه: ((إنه بويع سنة أربع وستين، فلم

يمكث إلا أربعين يوما حتى مات، وتوفى وهو ابن ثلاث عشرة سنة وثمانية عشر يوما))

ثم قال فى مكان آخر: ((فلم يلبث إلا ثلاثة أشهر)) وقال عوانة: ((فلم يمكث إلا أربعين

يوماً)) وعن عمر بن على بن محمد: ((وبويع بدمشق، هلك بها بعد أربعين يوما، وتوفى

وهو ابن ثلاث عشرة سنة وثمانية عشر يوما))(3)وأكد الطبرى الأقوال التى تناقلت خبر

1- حليم آل البيت الحسن بن على، الشيخ موسى محمد على، ط٢، ص ٤٩-٥٠

2- مروج الذهب، المسعودى، ج٢، ص ٥٧

3- ينظر: تأريخ الطبرى، ج٣، ص ١٠٧١.

سمّه أو طعنه وقتله بحسب اختلاف الروايات.(1)

هنا قد يقول قائل: إذا كان مروان يحمل كل هذا الشوق والتطلع للخلافة والإمرة فلم رفضها عندما جاءه (الحصين بن نمير) من حرب ابن الزبير فى مكة وأخبره بخبر بيعة ابن الزبير، وطلب منه أن يتولاها، لكنه كان من رأيه أن يرحل إلى ابن الزبير فيبايعه بالخلافة كما تقول الروايات؟

وهو سؤال مثمر ومنتج ومهم، ولكن يمكن أن تنطلى مثل هذه الأقوال على من لا يعرف مروان حق المعرفة، أما الذين يعرفونه فبالتأكيد يعرفون سبب قوله هذا، ولا يستغربون منه، فالخبر أورده الطبرى فى تأريخه (2)، ولكن بما هو مشهور عن مروان من مواقف تدعو إلى ملك بنى أمية عامة ورغبته فى تولى الملك خاصة ما يتنافى وهذا الرأى؛ فمروان فى موقفه من الثوار الذين حاصروا الخليفة عثمان تحدث عن ملك بنى أمية وتوعد من يريد سلب هذا الملك منهم، والخبر سبق أن مرّ عليكم، كما دلت الآراء والروايات التى ذكرناها آنفا على تلهفه للخلافة، وهذا الخبر حتى لو كان صحيحا فإنه يدل على أن مروان إنما أراد من خلاله جسّ نبض الأمويين الذين كانوا يتنازعون الخلافة بينهم؛ قبل أن يقدم على ترشيح نفسه، وكان يريد أن يوضح لهم أنم يقفون على مفترق طريقين لا ثالث لهما، فإما أن يكون خليفتهم فيحتفظون بمراكزهم ومكاسبهم، وإما أن يتسلط عليهم عبد الله بن الزبير فيخلعهم من مناصبهم ومراكزهم ويوليها غيرهم.

ثم إن الأمصار كانت حينها قد بايعت ابن الزبير حيث بايعه أهل المدينة ومصر،

1- المصدر نفسه. ج3. ص 1082

2- تاريخ الطبرى. ج3. ص1082

و بايع (زفر بن الحارث الكلابى) بقنسرين فى الشام، والنعمان بن بشير بحمص، و(ناتل بن قيس بن زنباع) فى فلسطين، والضحاك بن قيس أصبح زبيرى الهوى، ويدعو لابن الزبير بالخلافة فى الشام نفسها، هؤلاء جميعا كانوا من القواد العسكريين المهمين الذين حاربوا فى جيش معاوية، وأغاروا على ثغور الدولة العلوية وباقى أمصار الإسلام من قبل، ثم إن الكوفة كانت تحت إمرة مصعب بن الزبير(1)، فرأى مروان أنه إذا فرض نفسه بالقوة وتولى الخلافة دون موافقة البيت الأموى؛ فإنه قد يخسر حربه مع أنصار ابن الزبير فى الشام وفلسطين ومصر قبل أن يخسرها فى لقائه مع جيش ابن الزبير، ومن خلال طرحه لهذا الرأى السياسى الناهض كسب ودهم وأشركهم فى مهمة الدفاع عن كرسيه دون أن يشعروا.

وبمكر ه وخبثه تمكن فعلا من كسب ولائهم، وكان (روح بن زنباع الجذامى) أول المؤيدين لمروان، وهو الذى رد على من دعا لاستخلاف عبد الله بن عمر أو من دعا لاستخلاف ابن الزبير بالقول: ولكن ابن عمر ضعيف وليس بصاحب أمة محمد الضعيف، وأما ما يذكر الناس من عبد الله بن الزبير... ولكن ابن الزبير منافق قد خلع خليفتين يزيد وابنه معاوية وسفك الدم و شق عصا المسلمين وليس صاحب أمة محمد المنافق، وأما مروان بن الحكم والله ما كان فى الإسلام صدع إلا كان مروان ممن يشعب ذلك الصدع وهو الذى قاتل عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان يوم الدار، والذى قاتل على ابن ابى طالب يوم الجمل، فأجمع رأى الناس على البيعة لمروان))(2) وهكذا تولاها مروان لكن بشروط ملزمة منها:

• أن خليفه على العرش خالد بن يزيد بن معاوية، ويلى خالد عليها عمرو بن

1- ينظر: تأريخ الطبرى، ص ١٠٨٢ -١٠٨٣ .

2- ينظر: تأريخ الطبرى، ج٣، ص ١٠٨٤.

سعيد بن العاص.

• على أن تكون إمارة دمشق فى خلافته لعمرو، وإمارة حمص لخالد.(1)

ولكنه لم يلتزم بهذه الشروط وتخلى عنها بعد أيام معدودات ليأخذ البيعة لولديه

عبد الملك، ثم عبد العزيز بدلاً من خالد وعمرو(2)، وكل ذلك يؤكد حبه بل عشقه

وهيامه بالخلافة التى انتظرها طويلاً.

فى سنة أربع وستين للهجرة بويع له بالخلافة، ثم ما لبث فى سنة خمس وستين أن

أخذ البيعة لولديه عبد الملك وعبد العزيز (3)، ثم بعدها بقليل قتل فى العام نفسه بيد

زوجته أم خالد بن يزيد بوسادة وضعتها على وجهه حتى قتلته(4)، وقيل إنه حكم مدة

تسعة أشهر وقيل عشرة أشهر إلا ثلاث ليال (5)، وهى مدة لا تسمن ولا تغنى من جوع

ولا تستحق كل ذلك العناء الكبير، وتلك المخالفات والعداوات التى أثارها، والدماء

الغزيرة التى أسهم فى سفكها!

وهو حتى فى قصية موته بالطريقة التى تحدثت عنها الروايات التأرخيية كان مثيراً

للجدل والحيرة والشك الكبير، فأكثر من واحد من المؤرخين نسب موته إلى سفاهته

وترعه واستهتاره من جهة، وإلى مكر النساء وشدة حقدهن من جهة أخرى، وكما

نقرأ فى أكثر من مكان من كتب التأريخ التى تناولت حقبة حكم الأمويين أو التأريخ

الإسلامى الأول. و كان الطبرى ممن تحدث عن موت مروان خنقاً بيد زوجته، فقال:

1- تأريخ الطبرى، ج٣، ١٠٨٤

2- ينظر: المصدر نفسه، ص ١١١٣

3- الكامل فى التأريخ، مجلد ٣ ص ٦١٩

4- الكامل فى التأريخ، المجلد٣، ص ٦٢١

5- تأريخ الطبرى، ج٣، ص ١١١٣

(لما حضرت معاوية بن يزيد الوفاة أبى أن يستخلف أحداً وكان حسان بن مالک بن

بحدل يريد أن يجعل الأمر بعد معاوية لأخيه يزيد بن معاوية وكان صغيرًا وهو (أى:

حسان بن مالک) خال أبيه يزيد بن معاوية؛ فبايع لمروان وهو يريد أن يجعل الأمر بعده

لخالد... فلما بايع لمروان وبايعه معه أهل الشام قيل لمروان: تزوج أم خالد.. حتى تصغر

شأنه؛ فلا يطلب الخلافة فتزوجها، فدخل خالد يوماً على مروان وعنده جماعة كثيرة

وهو يمشى بين الصفين؛ فقال: إنه والله ما علمت لأحمق، تعال يا ابن الرطبة الاست،

يقصر به ليسقطه من أعين أهل الشام، فرجع إلى أدنه فأخيرها فقالت له أمه: لا يعرفن

ذلک منک واسكت، فدخل عليها مروان فقال لها: هل قال لک خالد فى شيئا؟ فقالت:

وخالد يقول فيک شيئاً!؟ خالد أشد لک إعظاماً من أن يقول فيک شيئاً. فصدقها، ثم

مكثت أياماً. ثم أن مروان نام عندها فغطته بالوسادة حتى قتلته))(1)

وقد اعتمد أكثر الرواة على مضمون هذه الرواية الكاريكتيرية المضحكة، والتى

تدل على استهانة بعض المؤرخين بحقائق تأريخنا الإسلامى الأول، واعتمدوها لرواية

موت مروان، وإلا قل لى بربک إذا كان مروان خليفة وسلطاناً وملكًا و والداً لملوک أكبر

إمبراطورية فى العالم، فلم يقلل زواجه من أم خالد من شأنها؛ فيمنع ذلک خالد عن

المطالبة بالخلافة التى هى استحقاقه بموجب الاتفاق بينهما؟ هذا فى وقت يعتقد فيه

العقلاء أن هذا الزواج بحد ذاته يتحول إلى عنصر دفع وتقوية لخالد ليطالب بالإمرة

ويصبح أكثر استحقاقاً لها من غيره ولاسيما أنه موعود بتوليها، وهناک من يعاضده

ويسانده لنيلها. أما الاعتقاد السائد والمرشح أكثر من غيره للقبول؛ فهو أن المتآمرين

الجدد الذين هم أبناء المتآمرين الأوائل هم الذين قتلوا مروان!!

1- تأريخ الطبرى ج 3 ص 11413

وأرى أنه ليس من المعقول أن تنتهى حياة مروان المليئة بالمؤامرات والشبق للإمرة

بهذا الشكل المضحك دون أن يذكر أحد ماذا حل بأم خالد وكيف تصرف أولاد مروان

معها بعد أن فتحت لهم الباب ليتسلطوا على رقاب الأمة؟

وقد أفرد الدكتور خالد العسلى قسماً خاصاً فى كتابه (دراسات فى تأريخ العرب)

للحديث عن مخططات مروان التى كان يسعى من خلالها إلى نيل الخلافة منها ما نقله

عن الإمتاع للتوحيدى، وفيه: ((وكان مروان إذا جرى بينه وبين معاوية كلام قال

لمعاوية: والله إنى لأبو عشرة، أخو عشرة، وعم عشرة، وما بقى إلا عشرة حتى يكون

الأمر لى))(1) يذكره برواية مستقبلية من أحاديث النبى صلى الله عليه و آله عن العدد الذى يصل إليه

الأمويون فيستولون بعده على الحكم. وقد كانت هذه المعلومة من مدارات النزاع مع

الإمام الحسن عليه السلام، فالإمام كان يعرف أنهم موعودون بالكرسى والإمرة، وهم كانوا

يعرفون أنهم سيلون أمر الأمة وبين هذه وتلك كان مطلوبا من الإمام الحسن عليه السلام

أن يوازن ويرضى أمة اعتادت أن تضع أمام عينيها هدفا واحدا وتوقف نظرها عليه

متجاهلة كل ما حوله.!

الأشعث بن قيس

وجه آخر من وجوه المتآمرين الكبار والسياسيين الصغار، نكرة دخل الإسلام

متأخرا بغدرة غدرها، وانخرط فى العمل السياسى لتقويض الدين وتحريف الشريعة،

له أكثر من جريمة تشرك كلها بدرجة الخبث الكبير؛ لدرجة أن الخليفة أبا بكر وصفه

بأنه: ا(لا يرى شيئاً من الشر إلا أعان عليه)) روى اليعقوبى: أن الخليفة أبا بكر قال لعبد

الرحمن بن عوف الذى عاده فى مرضه: ((ما آسى إلا على ثلاث خصال صنعتها لم أكن

1- دراسات فی تأریخ العرب، د. خالد العسلی،ج۲، ص ۱۹۹

صنعتها، وثلاث لم أصنعها ليتنى كنت صنعتها)) ومن تلك التى ندم أنه لم يصنعها قوله:

((ليتنى قدمت الأشعث بن قيس تضرب عنقه، فإنه يخيل إلى أنه لا يرى شيئاً من الشر إلا

أعان عليه!))(1) وقد كان الأشعث مشهورا بهذه الخصال حيث وصفه مالک الأشتر يوم

صفين بنفس هذه الصفة.

كان الأشعث بطل التحكيم يوم هدد بتسليم الإمام على عليه السلام إلى معاوية إذا لم يوافق

على التحكيم، وكانت ابنته الأداة التى استخدمها معاوية لقتل الإمام الحسن عليه السلام!

أبو سفيان و مشايخ قريش

بعد غزوة تبوک، وفى سنة ١٣ هجرية وقعت معركة (اليرموک) مع الروم وكان

المتآمرون هذه المرة يأملون انكسار المسلمين وخسارة الحرب؛ لكى تسنح لهم فرصة تولى

الحكم وكانوا يتظاهرون أمام الناس علنا معلنين عن موقفهم دونما خوف لثقتهم بقرب

هزيمة المسلمين، حيث يروى الطبرى عن ابن حميد أنه قال: ((حدثنا سلمة بن إسحاق

عن وهب بن كيسان عن عبد الله بن الزبير؛ قال: كنت مع أبى الزبير عام اليرموک فلما

تعبى المسلمون للقتال لبس الزبير لأمته، ثم جلس على فرسه، ثم قال لمولیين له احبسا

عبد الله بن الزبير معكما فى الرحل؛ فإنه غلام صغير؛ قال: ثم توجه فدخل فى الناس،

فلما اقتتل الناس والروم نظرت إلى ناس وقوف على تل لا يقاتلون مع الناس، قال:

فأخذت فرسا للزبير كان خلفه فى الرحل فركبته؛ ثم ذهبت إلى أولئک الناس فوقفت

معهم فقلت: أنظر ما يصنع الناس، فإذا أبو سفيان بن حرب فى مشيخة من قريش من

مهاجرة الفتح وقوفاً لا يقاتلون فلما رأونى رأوا غلاماً حدثاً؛ فلم يتقونى، قال: فجعلوا

والله إذا مال المسلمون وركبتهم الحرب، للروم يقولون: إيه بلاصفر! فإذا مالت الروم

1- تأريخ اليعقوبى، ج۲، ص۱۳۷

وركبهم المسلمون قالوا: يا ويح بلاصفر فجعلت أعجب من قولهم، فلما هزم الله الروم

ورجع الزبير جعلت أحدثه خرهم؛ قال: فجعل يضحک ويقول: قاتلهم الله أبوا إلا

ضغناً))(1)

من هذه المقدامات يتضح أن كل ما وقع فى المجتمع الإسلامى الأول كان من نتاج

الفكر السياسى التآمرى العربى الذى استغل سيطرته على الحكم لتثقيف الناس

بالمفاهيم

المبتدعة حتى وسخت فى أذهانهم ونسوا أو تناسوا الحقيقة المرة، حقيقة أن رسول الله صلى الله عليه و آله!

والخلفاء من بعده وصولا إلى الإمام الحسن عليه السلام قتلوا بيد السياسيين العرب!

إن عمل بعض رجال المجتمع المسلم من الصحابة والتابعين فى المجال السياسى

وتآمر البعض منهم وليس كلهم طبعاً بعضهم ضد البعض الآخر، أو من أجل نصرة

مذهب سياسى بعينه من دون الالتفات للمخاطر التى تهدد الإسلام من جراء هذا

العمل وكما تبين مما سبق، إذا لم تكن واضحة الملامح بالأمس برغم وضوح أثرها

فى الحياة العامة حتى فى مجال تأدية العبادات، أو أنها غيبت لأغراض خاصة، فإنها

أصبحت اليوم مثار نقاشات لا لجلو بعضها من التطاول؛ بل والجرأة المفرطة، وهى

سواء انضوت على حقائق تأريخية لا يمكن السكوت عنها، أم أنها فسرت الحقائق

بعكس مقاصدها الأولى، فإنها تخضع اليوم إلى الدرس والتمحيص والبحث الجرىء،

البحث الذى سيوصلنا إلى نتائج قد تبدو غريبة على الكثير منا.

ولقد تأكد لى أن الإمام عليا عليه السلام كان سباقاً فى تشخيص السياسيين المتآمرين وكان

متخوفاً من الاصطفافات القرابية بينهم، ولذا تراه يقول فى أيام الشورى لسعد الذى

لاقاه فى الطريق: ((أسألک برحم ابنى هذا من رسول الله صلى الله عليه و آله وبرحم عمى حمزة منک

1- تأريخ الطبرى 645/2

أن لا تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهيرا على)).(1)

ثم لما تم الأمر لعثمان صرح الإمام عليه السلام برأيه علنًا من خلال قوله لعبد الرحمن:

((ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا.. والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليک))

وبعدها خاطب الأمة بقوله: ((إن الناس ينظرون إلى قريش، وقريش تنظر بيتها فتقول:

إن وفى عليكم بنوهاشم لم تخرج منهم أبدا، وما كانت فى غيرهم تتداولونها بينكم،(2)

وهاتان الغيبيتان تحققتا بالفعل، حيث مرت عليكم قصة عثمان يوم أوصى لعبد

الرحمن حينما أصابه المرض. أما النبوءة الثانية؛ فقد تحققت بالفعل وتداولها الأمويون

والعباسيون وغيرهم، وحرم منها على وأبناؤه عليهم السلام و على مدى التأريخ، وإلى ما يشاء الله

سبحانه.

إن الإمام علياً عليه السلام لم يقل هذا القول إلا بعد أن أدرک أن الخلافة متحول عنه إلى

غيره لأسباب كثيرة؛ منها أن عبد الرحمن بن عوف هو زوج كلثوم بنت عقبة بن أبى

معيط وهى أخت عثمان لأمه! أما ما حدث بعد ذلک فيدعو إلى الدهشة والاستغراب،

وهو ما يتضح من قراءة القضايا الثلاث الآتية:

• الأولى: إن زمام الأمور كان فعلا بيد عبد الرحمن بن عوف صهر عثمان بن

عفان. وهو بالرغم مما قاله له الخليفة أبو بكر فى حديثه عن (ورم الأنف)

الذى مر سابقاً، ورغبته الحقيقية بتولى الأمر؛ نجده ينزل عن حق الترشيح

بشرط أن يعطى مهمة حق اختيار المرشح، أى: أن تكون له كلمة الفصل

العليا، ربما لأنه رأى أن الوقت غير مؤات ليعلن ترشيح نفه، فحاول من

1- الكامل فى التأريخ، مجلد٣، ص ٥٧

2- ينظر: الكامل فى التأريخ، مجلد٣، ص ٥٧ و ٥٨

خلال هذا العمل تهيئة الأجواء لنفسه وهو ما سيتبين لاحقاً، وهو ما أكده

الإمام على عليه السلام فى قوله السابق، وأكدته الرسالة التى أرسلها عبد الرحمن إلى

عثمان بيد ابنه وقد مر ذكرها!

0الثانية: كان نزول سعد بن أبى وقاص عن حقه بالترشيح بشرط أن يحسب

صوته إلى جانب صوت ابن عوف مبادرة سياسية بارعة لا تقل أهميتها عن

مبادرة ابن عوف، وهذا ليس غريباً؛ لآن سعدا هو ابن عم عبد الرحمن بن

عوف، وبنزوله هذا قوى جانب ابن عوف كثيرا ليمنحه سلطة ترشيح عثمان

بما يفتح الباب أمام أحدهما أو كلاهما لتولى الامر من بعده!

• الثالثة: وهى نقطة لا تقل أهمية عن سابقتيها، أن طلحة بن عبيد الله وهو أحد

المرشحين الأقوياء للخلافة كان غائباً عن المدينة، ولم يشارك فى المباحثات من

أصله، ولم يعد إلى العاصمة (المدينة المنورة) إلا بعد أن تمت بيعة عثمان بن

عفان بالطريقة المعروفة، فبايعه مع الناس.(1)

فلما قوى جانب ابن عوف وأصبح المتحكم بقرار الترشيح أراد تحشيد الشارع

الاسلامى للقبول بحكمه فهو كما يقول ابن قتيبة (2)(خرج يلقى الناس فى المدينة متلثماً

لا يعرفه أحد فما ترك أحدا من المهاجرين والأنصار وغرهم من ضعفاء الرأى ورعاعهم

إلا سألهم واستشارهم، أما أهل الرأى فأتاهم مستشيراً بسؤال واضح وصريح: (من

ترى الخليفة بعد عمر؟) ثم بعد ليلة طويلة من النقاش الحاد الذى استمر إلى صلاة

الصبح، صلى ثم جمع الناس فى المسجد وفتح معهم نقاشًا عن المرشح المحتمل، فاحتدم

1- ينظر: تأريخ الطبرى ج 3 ص 38

2- الأمامة و السياسة ابن قتيبة ص 29

الصراح، وكاد يتحول إلى فتنة وفضيحة، فنصحه سعد الذى كان لمّا يزل إلى جانبه يدعمه بأن يبادر ويعجل بإعلان اسم المرشح، فأعلن اسم عثمان)). (1)

هنا أودّ القول أن علياً عليه السلام كان ومنذ زمن طويل يتابع نشاط التآمرين، وأنه حتى قبل هذا التأريخ؛ بل وفى خلافة أبى بكر وعمر وعثمان، وحتى فى عصر البعثة، كان يتابع تحركاتهم ويرصدها، ولذا كان على علم بكثير من خفاياهم، ومعرفته هذه هى التى استنتج من خلالها بعد هذا التأريخ أن الخوارج غررت بهم جهات سرّية ليخرجوا عن طوعه؛ فقال بعد أن مرّ عليهم صرعى بعد انتهاء معركة النهروان: ((بؤساً لكم لقد ضرّكم من غركم)) (2)

إن ما رشح اليوم من أفكار متحررة تجاوز التشخيص والتحديد الذى أتينا به على خوف من أن يفهمه بعض ضيقى الأفق على أنه تطاول على الصحابة الكرام بالرغم من اعتمادنا على مصادر المدارس الإسلامية وكتب التاريخ والدراسات الفقهية للمدرستين.

وقد رشحت هذه الأفكار التى أراها متحررة ويراها غيرى متطرفة من خلال دراسات مطولة غاية فى الغرابة بدأت تنتشر اليوم على صفحات الجرائد ومواقع الانترنيت، ومن أمثلة هذه الدراسات الموضوع الذى تكلم عليه (موقع العربية نت) (3)

ونظرا للأهمّيّة القصوى لهذا الموضوع الشائك الحساس؛ سأورده كاملا من دون قطع، أو اختزال، أو تبديل؛ لأنه يؤكد فى بعض جوانبه حقيقة وجود الحراك السياسى فى المجتمح الإسلامى الأول، ذلك الحراك الذى يرفض بعضهم أن يشير إليه مجرد إشارة عابرة، بل و يتهم كل من يتحدث عنه إما بالتشيع أو بالأعجمية. ولأنه يعنى ثانيا أن

1- ينظر: الكامل فى التاريخ. ابن الاثير. ج3. ص71

2- الكامل فى التاريخ. مجلد3. ص298

3- موقع العربيه نت من القاهره

الجرأة ستدفع الكثير من الناس إلى التحدث بصوت أعلى مما اعتادوا عليه من قبل، وأن حديثهم سوف ينضوى على كثف للأسرار الخفية، وفضح لما كان مسكوتا عنه من قبل.

يقول التقرير بالحرف الواحد: أثار ملحق من أربع صفحات أصدرته جريدة (الغد) المصرية عن أسوأ شخصيات فى الإسلام جدلا حادّا وانتقادات واسعة بسبب تصديره لأمّ المؤمنين السيدة عائشة وعثمان بن عفان قائمة هذه الشخصيات. وتصدر هذه الجريدة عن حزب الغد الليبرالى الذى يتزعمه د. أيمن نور المغيب فى السجن حالياً تنفيذاً لحكم قضائى بشأن اتهامه بتزوير توكيلات الحزب عند تأسيسه، ولا تزال ترويسة الجريدة تحمل اسمه كرئيس للتحرير، وإن كان لا يتمكن من إدارتها بسبب حبسه، ويرأس تحريرها فعليّا الصحفى أحمد فكرى الذى اختير قبل أسبوعين فقط، وهذا العدد المثير للجدل هو العدد الثانى له)).

قال أيمن بركات عضو الهيئة العليا للحزب بأن سيتمّ عقد اجتماع لبحث ما حدث قائلا: لا أعرف مقدما ما يمكن أن ينتج عن الاجتماع، لكنى أتوقع شخصيا ألّا يمرّ هذا الموضوع بسهولة، فكلنا نقدر هؤلاء الصحابة ونحترمهم ولا يمكن المسّ بأشخاصهم. وتوقع أن يتم فتح تحقيق مع المشرفين على التحرير، ونشر بيان اعتذار فى العدد القادم، خصوصا أن العنوان جاء مخالفا للمضمون الذى يتناول مواقف لهؤلاء الصحابة دون الإساءة إلى أشخاصهم.

ونفى ما تردد بأن ثمة اختراقا أمنياً حدث فى الصحيفة كان من نتيجته إصدار هذا الملحق للإساءة إلى الحزب وصورة د. أيمن نور فى أوساط الرأى العام، مشبرا إلى أن ما حدث لا يزيد عن كونه خطأ مهنياً فى اختيار العنوان لا ينطبق على المضمون نافيا أيضا

أن يكون هناك اختراق إيرانى أو شيعى ممول من الخارج، قائلا إن هذه الأمور مستبعدة تماما فى مصر، ناهيك عن أنها غير موجودة فى الصحيفة، ولا توجد خلفيات طائفية من أىّ نوع وراء هذا الملحق.

عنوان صادم يتناقض مع المضمون

وأكد أيمن بركات أن العنوان كان مستفزّاً وصادما، وأنه أحدث ردود فعل غاضبة حتى من أعضاء الحزب، وأن الاتصالات لم تنقطع عن مقر الحزب.. وقال إن الملحق مكون من أربع صفحات بحجم صفحات الجريدة المعتاد تتحول إلى ثمانى صفحات (تابلويد) عند طيها كملحق منفصل.

وأوضح بركات: اقتصرت الصفحة الأولى على عنوان شامل للملف يقول: ((من عائشة أم المؤمنين وعثمان الخليفة الراشد وحتى الأب الريس والابن الوريث.. أسوأ عشر شخصيات فى الإسلام)).

وقال: العنوان لا ينطبق على المضمون، فالكلام عن عايشة يوجه المديح لها، و يصفها بأنها ظلت تبكى حتى وفاتها على موقفها فى موقعة الجمل وعلى الذين قتلوا فى تلك الموقعة. ((من المقبول الحديث عن موقف سيئ للشخص، لكن وصفه هو ذاته بأنه من أسوأ الشخصيات فهذا ما لا يمكن قبوله بالنسبة لأم المؤمنين وكبار الصحابة المبشرين بالجنة)).(1)

ويضيف: المضمون يبدأ من الصفحة الثانية من الملحق و تقول مقدمته: نحن نحبهم جدا ونقدرهم جدا ولكننا نرى من حقنا أن نختلف معهم أحيانا. وبدأ بعثمان بن عفان حيث تكلم على إطلاق يد الأقارب فى الحكم، ثم الزبير بن العوام باعتبار أنه

1- لاحظ هنا أن هذا الرأى يخالف أقوالهم فى النهى عن الحديث عما شجر بين الصحابة

تورط فى موقعة الجمل، بعد ذلک أم المؤمنين السيدة عائشة وكتب عنها: ظلت طوال عمرها تبكى عشرين ألف قتيل مسلم ماتوا بسببها فى موقعة الجمل، وبعد ذلک عمرو بن العاص عن واقعة التحكيم، وطلحة بن عبيد الله عن موقفه بشأن مقتل عثمان ثم المطالبة بالثأر له، والمغيرة بن شعبة فيما يخص الإيراث من معاوية ليزيد بن معاوية، ومعاوية عن (اغتصاب) الخلافة، وعبد الملک بن مروان، والحجاج بن يوسف الثقفى.

وأشار أيمن بركات إلى أن هذ الملحق لا يحمل اسماً أو أسماء وراء اختبار هذه الشخصيات، أو الطريقة التى اعتمد عليها، إنما مجرد انطباعات لمن كتبوه.

أما رئيس تحرير (الغد) أحمد فكرى فقال ل(العربية.نت) إنه هو الذى كتب الملف واختار هذه الشخصيات بناء؛ على تأثيرها وخطرها على الحياة الإسلامية، فهى التى أجهضت الحلم الديمقراطى فى الحياة الإسلامية أو توقف عندها حكم الخلفاء الراشدين، والذين يمكن اعتبارهم مجموعة الشركاء فى حادث الفتنة الكبرى.

لا اختراق شيعيا ولا نحن تشيّعنا

وأضاف: الملف يقول إن هؤلاء العشرة هم الأسوأ سياسيّا لأنهم كانوا الآكثر تأثيرا وخطرا على الشورى والخلافة و حولوها من حكم ديمقراطى يتم انتقال السلطة فيه بإرادة الناس إلى حكم وراثى عضوض، حيث بدأت فيما بعد الدولة الأموية ثم العباسية.

ويوضح أحمد فكرى أن بعضهم عدّ أن هذا هو كلام الشيعة ونوعا من التشيع والتعرض لصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، نافيا ما قيل عن ثمة اختراق شيعى؛ قائلا ((هذا كلام غير صحيح أو معقول إطلاقا، وحقيقة القضية هو الجدل السائد فى مصر حاليّاً عن

توريث السلطة، والناس كلها ضد ذلك التوريث، ومن ثم نحن قلنا إن مفهوم توريث

السلطة ابتدأ فى الإسلام من هؤلاء العشرة، ومع كل تقديرنا لهم كأشخاص ومبشرين

بالجنة ولهم قيمتهم فى حياتنا، إلا أنهم كانوا شركاء أساسيين و رؤوس الممارسة السياسية

فى حادث الفتنة الذى راح ضحيته عثمان بن عفان و على بن أبى طالب وآل البيت وأكثر

من ١٥ ألف ملم فى موقعة الجمل وفى المواح الأخرى.

من هو الأب الرئيس والابن الوريث؟

وأوضح أن المقصود بالأب الرئيس والابن الوريث فى العنوان، معاوية بن

سفيان وابنه، وأن الملف غير مسلسل ويخص العدد الذى صدر فقط ولا يمتد

لأشخاص فى العصر الحديث كما قيل، مشريا إلى أن ((ملحق العدد الذى قبله كان عن

(النبى الليبرالى).. حيث أننا نصدر كل أسبوع ملحقا ذا موضوع مختلف)).

وأكد أحمد فكرى رييس تحرير (الغد) أن الموضوع يتكلم فقط على السلوك السياسى

الذى حول حكم الدولة الإسلامية وامبراطوريتها العظيمة من دولة ديمقراطية تسود

فيها حالة المكاشفة الواضحة من أى شخص عادى لحاكم الدولة، إلى دولة وراثية.

واستطرد: ((لا أحد يستطيع أن ينكر دور عمرو بن العاص فى توطيد حكم

الأمويين، وأن عثمان بن عفان نفسه وهو الخليفة الراشد المبشر بالجنة وذو النورين تزوج

ابنتين من بنات الرسول اختلف حوله الصحابة حتى أنهم قتلوه ولم يدفنوه. هذا حدث

تأريخى لا يمكن إنكاره، وكان ضمن القتلة محمد بن أبى بكر)).

وأضاف فكرى: ((نحن نناقش مواقف سياسية لأشخاص وبشر، وفى الإسلام

ليست هناك أية قداسة للبشر. (1) والمشكلة ليست فى عنوان الملحق، وإنما فى أشخاص

1- وهـذا الرأى يتناقض مع نظريـة عدالة الصـحابة التى يرى بعض المسـلمين المتعصبين أن مخالفتها تؤدى إلى الكفر البواح المخرج من الملة.

لديهم حس المؤامرة، ويتصورون أن الشيعة وراء ذلک (1) ولديهم تصورات خاطئة

وغريبة عن كيفية تفكير الإنسان. الحقيقة أن البعض يفكر بمنطق المؤامرة ونحن نفكر

بأهمية التعلم من تأريخنا))(2)

ص :211

1- وهـذا ما تخوفنا منه عند البدء بكتابة هذا البحث، لأن هناک من يرى فى الخوض فيما شـجر بين الصـحابة كفرا بواحا يختص به الشـيعة دون غيرهم من الفرق. وكان النسائى احد شهداء هذه السياسة.

2- موقع العربية نت.

أعود وأقول: إذا كانت السياسة العربية بكل هذه القوة والتأثير، فلم لمه يشر إلى

وجودها أحد من المؤرخين الأقدمين، ولماذا قللوا من أهميتها بهذا الشكل؟

واقعا أرى أنه لو كان الإداريون المسلمون قد اهتموا بشأن المنهج السياسى العربى

كما هو اهتمامهم بشأن الجانب المالى مثلا لكان لدينا اليوم خزين ثرّ وتصور واضح عن

كل تلك الحراكات السياسية؛ ولكنهم أغفلوا الإشارة إلى هذا الجانب بمعناه الحقيقى

وأشاروا إليه من خلال إلماعات تهتم بمسألة الدهاء والخداع والمكر وغيرها من الطباع

من دون أن يربطوا هذه الصفات بالسياسة، بالرغم من كونها من أوضح صفات

السياسيين، وترجمة حقيقية لمعنى السياسة، ثم إنهم أسموا تلك الحراكات ب(الفتنة)؛

وأنا أرى أن مصطلح الفتنة مأخوذ من الفلسفة السياسية التى لم تكن قد أصبحت علماً

قائماً بذاته فى ذاك التأريخ؛ فاستعاضوا عن كلمة (سياسة) بكلمة (فتنة) ويقصدون بها

غالبا الآحداث التى وقعت فى زمن عثمان، وما تلاه من العصور الإسلامية القريبة منه.

وللدكتور صبحى الصالح رأى ناضج؛ يقول فيه: ((وأمهات الكتب القديمة

فى النظم الإسلامية التى حملت اسم (الأحكام السلطانية) لم يفتها الفصل بين تينك

الزمرتين من النظم ولكن ما اكتنف عباراتها من الغموض فى أحكام الفقيهين الماوردى

(الشافعى) وأبى يعلى (الحنبلى) لم يتح لنا ولا للباحثين قبلنا الوقوف على الأطوار

التأريخية والأنماط الحضارية والظروف البيئية والجغرافية التى مرّ بها كل نظام على حدة

من قبل أن يأخذ صيغته النهائية (الرسمية) فى تعاليم الإسلام))(1)

وأرى أن هذا الرأى على قدر كبير من الصحة، ولكنه بالتأكيد لا يغطى كل جوانب الحقيقة وإنما يغطى جزءا منها، وجزءا صغيراً فقط؛ لآن التغييب المتعمد لأثر النظام السياسى العربى فى الحياة العامة، والذى كان جزءا من العمل السياسى المنظم الكبير، هو المتسبب الاكبر فى هذا الغموض وإلا فإن النظام السيامى بمفهومه المعاصر كان حاضراً وفاعلا ومتحكماً فى مسار الأحداث والتأريخ، وهو الذى شكل الخارطة السياسية الإسلامية بشكلها المعروف حالياً.

وكلما استطردنا فى الحديث عن تعامل العرب المسلمين مع متطلبات المرحلة التى عاشوها بحسناتها وسيئاتها سوف يتضح لنا دور السياسة فى ترتيب البيت العربى الاسلامى وفق هواها، ويتبين لنا أنهم فى مراحل ساخنة من هذا الحراك قادهم الهوى السياسى بعيدا عن هوى الدين ومسؤولياته.

ثم يجب أن لا نغفل جانبا مهما آخر لا يقل أهمية عن تلك الجوانب؛ وهوأن العرب والمسلمين لم يهتموا بتدوين تاريخهم إلا بعد زمن طويل من بدء البعثة؛ يقول الدكتور عبد الرحمن العزاوى: ((إن بدايات التدوين التأريخى عند العرب مرت بمراحل عبر القرون الثلاثة الهجرية الأولى، لكنها نالت فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى تطورًا فى المنهج والطريقة))(2)

ويتبين من قول آخر للباحث أن هذا التأخرى كان من أسباب وقوع المؤرخ المسلم فى مصيدة الخلط التأريخى؛ حيث قال: ((فإن هذا الموضوع لا يمكن أن يدرک بالنسبة

1- النظم الاسلامية، د. صبحى الصالح، ص ٨

2- المنهجية التأريخية فى العراق، د. عبد الرحمن العزاوى، ص ٨

للقرون الثلاثة الأولى للهجرة ولاسيما القرن الأول والثانى، وأنه لا يمكن التمييز بين التأريخ الصرف والمواد التى كانت تروى وتقص على أنها مادة صالحة من مواد التأريخ...وليس هذا بدعا جاءت به العقلية العربية؛ لأن الارتباك والصعوبة بين المواد التأريخية الأصلية والأساطر قد مر على كل الأمم المثقفة التى شعرت بحاجتها إلى تدوين سيرها فلما شعرت هذه الأمم بالحاجة للتدوين صدمتها هذه العقبة))(1)

والذى أراه أن الدكتور العزاوى حاول تغافل حقيقة الخلط التأريخى الذى وقع فى تأريخنا عند تأكيده الفارق الزمنى بين ساعة وقوع الحدث وتأريخ تدوينه وحده، ناسيًا أو متناسيًا أن هناك حقائق أخرى أكثر من هذا أهمية أسهمت فى تشويه صورة تأريخنا، وكان بعض التشويه والإخفاء متعمنا ومقصودا أسهم فى وضعه المؤرخون والخلفاء ووعاظ السلاطين، لكى لا يعرف القادمون حقيقة ما وقع كما هو، ويكتفون بما يجدونه فى رواييات كتب التأريخ، وبالتالى تنوعت الروايات ومضامينها. وعلى العموم كان رأى الدولة وسلطانها هو النافذ وحجبت كل الآراء الأخرى فلم تجد لها مكانا فى كتب التاريخ، ولكنها لم تمت وتتلاش وإنما بقيت فى عقول وصدور وقلوب فئة من الناس حافظوا عليها وتداولوها شفاها إلى أن حانت الفرصة المؤاتية فدونت وانتشرت، وحينها بدت للاخرين وكأنها غريبة لأنهم لم يألفوها من قبل، وهم الذين أسسوا قناعاتهم وأحكامهم على ما تم تداوله وتدوينه من قبل، ولذا ليس غريبا أن تجد بينهم من ينكر وجود فكر سياسى عربى أو إسلامى؛ أو ينكر حدوث ما فى المدونات الجديدة! أو ينكر أن الأحداث التى نوردها ذات أصل تاريخى.

فضلا عن ذلك نتفق بأن المدونات القديمة لم تكتب بأقلام محايدة وإنما كتبت بأقلام

1- المنهجية التأريخية فى العراقى، د. عبد الرحمن العزاوى، ص ٩

الموظفين الحكوميين ووعاظ السلاطين؛ بل حتى الأحاديث النبوية جرحت وعدلت

وفق نفس المنهجية ولذا تم تغييب الكثير من الحوادث والأحداث بل والنصوص

الصريحة، وتم تحريف القسم الآخر، فوصلنا ما اختاروه هم لا ما كان موجودا. وهؤلاء

الذين تلاعبوا بسنة رسول اللة صلى الله عليه و آله كانوا من الموظفين عند السلطان والسائرين على نهجه

والمؤيدين لخطه والمنفذين لأوامره وبالتالى كانوا يختارون ما يعجبه ويرضيه ويخفون أو

يجرفون ما لا يرضيه.

من هؤلاء ما ذكره صاحب (تهذيب الكمال)(1) عن أحد رواة الحديث وهو (حريز

بن عثمان) الذى كان يشتم الإمام على بن أبى طالب عليه السلام، عوضاً عن ذكر الله، وممن

اعتراف بهذه الحقيقة المرة الإمام أحمد بن حنبل الذى قال عن حريز: إنه كان يحمل على

على. ولكن ابن حنبل لم يلتفت لهذه الخصلة فى تقييمه لحريز؛ فقال عنه: ثقة، ثقة، ثقة!

حريز الذى كان يتطاول على أول القوم إسلاماً يعده ابن حنبل ثقة بالثلاث، فما نوع

الأحاديث التى سيوردها هذا الثقة؟

وكان (الجوزجانى) وهو من أئمة الجرح والتعديل يجاهر ببغضه لعلى وأهل

البيت عليهم السلام! عامة، فإذا مر عليه حديث حريز وثقه حتى ولو كان مخالفا لمنهج الرسالة.

وقد حكم الذهبى وآخرون على أن ابن إسحاق أحد أشهر كتاب السيرة النبوية

كان مدلسًا، وكان يدفع المال والقصص للشعراء ليضعوا فيها أبياى ينسبها إلى المشاركين

فى الحدث الذى يريد الحديث عنه، وهناك من قال: إنه كان يأخذ من بعض اليهود. ومع

ذلك جاء المتأخرون وأخذوا بما فيها من مضمون اعتمادًا على ما أورده ابن إسحاق! (2)

1- تهذيب الكمال، الجزء الخامس، ترجمة ((حريز بن عثمان) الحديث المرقم ١١٧٥

2- يراجع كتابنا (جزئيات فى السيرة النبوية، عرض وتحليل) للاطلاع على آراء العلماء فى هذا الخصوص.

هؤلاء بإجماعهم واجتماعهم أوجدوا كل المصطلحات الإقصائية بدءاً من مصطلح

(سنة الشيخين) مرورا بمصطلح (أهل السنة) وصولا إلى مصطلح (أهل السنة

والجماعة). فهذه المصطلحات الطائفية السياسية لم تكن وليدة فكر الحكام والسياسيين

فقط بل أسهم الإفتائيون بنشرها بعد أن قام السياسيون بتنضيرها ووضح قواعدها

ونشرها بين المسلميين.

والغريب أن هناک جبهة عريضة ترفض اتهام التاريخ بالزيف وترفض أن يقول

أحد ما: إن تاريخنا مزيف، وأرى أن ذلک امتداد للموقف الإسقاطى القديم، وربما

لهذا السبب يقول المستشار العشماوى: ((فدعوى تزييف التأريخ دعوى حديثة لم يقل بها

احد من القدماء الثقات المشهود لهم بكتابة التأريخ مثل الطبرى والسيوطى وابن الأثر

وغيرهم وهى ترفع فى الآونة الأخيرة من جانب تيار الإسلام السياسى ومن يلوذ به أو

ينتفع منه أو يسعى إليه بقصد إسقاط الحجج المقابلة الدامغة التى من واقع التاريخ ومن

صميم الأحداث بطلان دعاوى هذا التيار))(1)

ومن يدقق ويحقق بقول العشماوى يتأكد أن نهجه التعليلى نابع من نفس الخط

السياسى القديم، فكم فى تاريخنا من أكاذيب وأباطيل ودس وتدليس وتلاعب وتحوير

وتزوير متعمد مقصود؛ تفضح ذلک التباينات الكبيرة بين ما جاء به المؤرخون أنفسهم

باستثناء أولئک الذين نقل بعضهم عن البعض الآخر دونما تمحيص او تدقيق.

الآن، وبعد أن أتضح لنا الدور الذى لعبه السياسيون العرب فى الحياة العامة،

فمن الممكن أن نجيب من يشكک بوجود السياسة العربية ودورها بنعم كبيرة لا تقبل

النقاش، ولكن ربما نصطدم بمن يسألنا عن الدليل؟ ومن حق المعترض أن يسأل،

1- الخلافة الاسلامية محمد سعيد العشماوى ص 27

فليطمئن السائل بأن هناک مئات الأدلة على وجود نظام سياسى بكل معنى الكلمة؛

وأن هذا النظام هو الذى أعاد تشكيل الإسلام؛ وفكک الفكر الإسلامى وأعاد صياغته

حسب ما يشتهى ويرغب، وأنه هو الذى تحكم بالأحداث والوقاح ووجهها إلى الوجهة

التى أرادها، وهو الذى قتل الإمام على وقتل الإمام الحسن وقتل الإمام الحسين عليه السلام

وقتل قبل ذلک الخلفاء الثلاثة، وتسبب بمقتل المئات من كبار الصحابة ونخبتهم؛ وأنه

هو الذى تسبب يتشضى الإسلام وتكوين المذاهب؛ وهو الذى أنتج منظومات التكفير

والتنفير.

لقد البس السياسيون العرب منهجهم السياسى ثوبا دينيا حتى بدا وكأنه هو

الدين ذاته مع أنه كان أشد ضررا على الدين من أعدائه الحقيقيين، وذلک لأن سياستهم

كانت دنيوية الأهداف والقواعد والفكر وهى أمور تتعارض غالبا مع العقيدة الدينية

وقواعدها وفكرها. ولذا يرى الأستاذ عزيز الخزروجى إن: فقدان الأمة للقيادة الربانية

الصالحة التى حملت هم تطبيق النظرية الإسلامية فى عالمنا الذى امتلا بالظلم والجور

والفساد والطبقية لهو: بسبب السياسيين الذين لا يراعون حرمة وكرامة الإنسان

ويفرقون فى الفىء لتشوه القواعد والمنطلقات الصحيحة فى رؤاهم ومتبنياتهم العقائدية

المختلطة مع القوانين الوضعية عادة وبالتالى اختلاط الفهم عند الإسلاميين منهم..

للنصوص الشرعية يشكل صحيح، تلک النصوص ألتى تشخص وتحدد معالم القيادة

الربانية التى على الجماعة الإسلامية ألإنقياد والطاعة لها فى كل عمل يراد منه التقرب لله

تعالى))(1)

وحين يفقد المجتمع الحرية، ببب سياسة القهر والفساد والاستبداد من قبل

1- ينظر : كتاب السياسة و الاخلاق :من يحكم من؟ عزيز الخزرجى ؛كتاب الكترونى؛موسوعة نينوى.

المتسلطين تتعرض المنظومة الأخلاقية بشكل طبيعى إلى التبدد والتغيير ويتوقف الإبداع والإنتاج ويموت الوعى، لأن جل هم المواطن ينحصر فى الحصول على لقمة العيش والحاجات الطبيعية بكل وسيلة ممكنة، كالسكن والإمكانات الأخرى، ومن الطبيعى أن تتعرض كرامته للإهانة على يد الذين عادة ما يحتكرون سلطة والمال والإمكانات لتجردهم عن القيم الأخلاقية والمثل والتواضع والمحبة التى يأمر بها الدين وحده، وقد تصل الأمور مع ذاك الوضع إلى حد يصعب معه الحصول على لقمة الخبز إلا ببيع المواطن لكرامته، ولاسيما فى بلادنا وحتى الدول الغربية التى يميل فيها القانون عادةً لمصلحة الأغنياء وأصحاب البنوك والشركات التى لها الحق فى وضع القوانين الخاصة باتجاه مصالحهم من دون مراعاة حقوق العاملين لتتعرض المنظومة الأخلاقية كلها للتغير(1)

لقد تعرضت المنظومة الأخلاقية والأدبية فى الأمة الإسلامية بسبب سياسة وجشع المتصدين فيها إلى تغييرات جذرية منذ القدم ومرورا بالسقيفة وإلى يومنا هذا.. بل إن المفاهيم الإسلامية التى تحوى أمثل المنظومات الأخلاقية انقلبت إلى القد من التعاليم الإسلامية الواضحة فى مجال الربية وحقوق الإنسان وكرامة المواطن العربى والمسلم والعلاقات الاجتماعية، بمعنى صار الكذب حلالاً والصدق نشازاً والحلال حراماً والحرام حلالاً والمعروف منكراً والمنكر معروفاً، حتى صارت معنا من معالم السياسى النشط فى هذا العصر.

وقد لا أجانب الحقيقة لو قلت: إن السياسيين العرب تجاوزوا نظريات (ميكافللى) الايطالى الذى تعممد نظرياته بالأساس على قوانين النظرية السياسية الواقعية المعروفة

1- ينظر : المصدر النفسه من يحكم من؟؛عزيز الخزرجى

بأنها تنهج الأساليب الخادعة للوصول إلى السلطة والحفاظ على المنصب بكل الوسائل

الممكنة، لأن الغاية حسب شريعتهم تبرر الوسيلة، والمطلع على ما كتب ميكافيللى

يرى أنه شرع نظرياته التى فى النهاية تضر بمجموعات وشرائح كبيرة من المجتمع،

لكنها بالمقابل تصب فى مصلحة شريحة أخرى عادة ما تكون مؤتلفة فى القرار والحكم

والأولويات![(1)]

هذه هى أسس السياسة العربية التى كتب لها أن توضع قبالة السياسة الدينية التى

يمثلها الإمام الحسن عليه السلام، كانت ناشطة فاعلة مقتدرة قوية متكاملة مؤيدة من بسطاء

الناس وعامتهم ومن اكتفى بالإسلام ولم يؤمن بروحه وجوهره. كانت تستسغ كل

الوسائل حتى الدنيئة منها لتحقق أهدافها قبالة نخبة عقدية كانت تتحرج من أبسط

الأمور ولا تقدم على عمل إلا بعد أن تعرف كل أوجهه ومقدار قربه أو بعده عن روح

الدين، ثم ما يمكن ان يحققه من نفع وفائدة للناس.

1- ينظر: المصدر نفسه، الخزرجى

الفصل الخامس و النزاع السياسی مع خط الحسنی

اشارة

ص: 221

سياسة التشكيك

قبل الحديث عن المنهج السياسى للإمام الحسن عليه السلام الذى هو المنهج الإسلامى دون تحريف؛ لا بأس من الحديث عن تعامل السياسيين مع سيرته العطرة وبإيجاز شديد مع ضرورة التوسع فى بعض الجوانب المهمة التى لها علاقة وثيقة بمجمل البحث، فلقد وجدتم مهتمين بحياته عليه السلام ربما أكثر من كل الأئمة الآخرين، ولذا لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة فى سيرته إلا ودسوا فيها وحولها أخبارا وروايات وقصصا وأكاذيب، فساروا فى تشويههم مع سيرته الزكية بمنهج تحريفى بدأوه متن ولادته ولم ينتهوا منه حتى بعد هدم قبره الشريف وتسويته بالأرض، أملا بالوصول إلى هدم كل أفكاره والقضاء الكلى على من يعتقد به ويجبه ويتبع منهجه ويؤمن بإمامته، أى أنهم أعادوا كتابة سيرته وفق رؤيتهم السياسية وأرادوا الناس أن يأخذوا بها، وأرادوا قسر الناس على التعبد بفكرهم المنحرف وحده بعيدا عن أى تلون أو تنوع.

وقد ينظر بعضهم إلى هذه الجزئيات البسيطة على أنها ليست من الأهمية بمكان لكى ترك أثرا فى تاريخ الإمام الحسن عليه السلام باعتبار أنه ماذا سيحدث إن شككوا بتأريخ مولده، وماذا لو أنكروا أن النبى صلى الله عليه و اله عق عنه وحلق رأسه بيده الشريفة، وماذا... وماذا؟ ومن يؤمن بهذا التقييم وينظر إلى عمل السياسيين العرب بهذه البساطة أراه غير مدرك

لدرجة وعيهم؛ ويجهل تقييم قدراتهم، لأنه لم يدرک ما أدرکه السياسيون من كبير الأثر

لمثل هذا التعارض الشديد فى جوهر كل مفردة من مفردات حياة إنسان ما لدرجة أنه

يستحيل مع كثيرة الاقوال معرفة الحقيقة التى ضاعت بين أكداس من الاقوال المختلفة

المتباينة، وبدا يثبت السياسيون أنهم وصلوا فى عصر الإمام الحسن عليه السلام إلى درجة عالية

من التنظيم والتنظير، ووظفوا كل مهاراتهم المكتسبة والموروثة لمحاربته من خلال

خطين تم اختيارهما بعناية فائقة:

• الخط الأول: أخذ على عاتقه شن الهجمات العسكرية وتسيير جيش يزيد

تعداده على المائة ألف مقاتل لكى يقتله ويتخلص من وجوده.

• الخط الثانى: أخذ على عاتقه تشويه سيرته من خلال التشكيک والخلط

والفوضى، والملاحظ على هذا الخط أنه تناول مجمل سيرة الإمام

الحسن عليه السلام وكل ما له علاقة به؛ فأضاف إليه وحذف منه، وغير فيه وطمر

بعضه وأخفى الآخر، وشوه ما لم يقدر على تذويبه،والملاحظ على هذا الخط

كذلک أنه استمر عاملا فاعلا ناشطا منذ عصر الإمام الحسن عليه السلام ولغاية هذه

الساعة لم يمل ولم يكل، تراه مستعدا لمهاجمة أى بارقة تبدر عن حياته الشريفة

فيتصدى لها بنفس الاندفاع القديم وربما أكثر.

وسنبدأ بتفكيک ودراسة الخط الثانى أولاً باعتبار أنه تحصيل حاصل للخط الأول،

ولأن دراسة الخط الأول تحتاج إلى تعمق أكثر و شرح أكبر. بدأ هذا الخط عمله مع تاريخ

ولادة الإمام الحسن عليه السلام ووصل إلى هدم قبره الشريف، ويعمل اليوم على تفجير وتهجير

وذبح أتباعه ومحبيه. وكان التشكيک هو سلاح السياسيين فى هذه المرحلة الطويلة؛ نظرا

لما يوقعه التشكيک فى النفس من حيرة وتخبط، فهو على رأى رجل الدين المسيحى البابا

(شنودة الثالث) عمل من وحى الشيطان: إن الشيطان يزيع الشكوک فى كل مجال من

مجالات الحياة. لأن الإنسان فى حالة الشک بكون ضعيفاً يمكن للشيطان أن ينتصر

عليه))(1) وبناء عليه نجد رحلتهم التشكيكية تبدأ من لحظة ولادة الامام الحسن عليه السلام،

فهى المحطة الأولى التى يبدأ التأسيس من خلالها للمحطات التشكيكية الأخرى.

تشكيكهم بتاريخ مولده

الحسن بن على وفاطمة عليهم السلام هو أول حفيد ولد لرسول الله صلى الله عليه و اله وهو حدث فريد

بكل المقاييس، ومن الأهمية بمكان لدرجة أنه لا يمكن لمن يحب النبى صلى الله عليه و آله أن يغفل هذا

التأريخ المهم، كيف والولادة تعنى امتدادا لحياة النبى صلى الله عليه و آله وتكذيبا لمن وصفه بأنه (الأبتر)

ولكن مع ذلک تضاربت الأخبار فى تأريخ ولادته وبشكل يدعوإلى الاستغراب:

فمنهم من قال: إنه ولد فى السنة الثانية للهجرة.

ومنهم من قال: ولد فى التة الثالثة، ذهب إلى ذلک كثير من المؤرخين والباحثين

منهم السيوطى فى تأريخ الخلفاء.(2) والمعتزلى فى نقله عن الزبير بن بكار فى أنساب

قريش، وقوله: ((ولد الحسن بن على عليه السلام للنصف من شهر رمضان سنة ثلاث من

الهجرة))(3) واعتقد أن الشيخ أحمد محمد إسماعيل أخذ عن هؤلاء فقال: ((ولد الإمام عليه السلام

فى ليلة النصف من شهر رمضان المبارک فى السنة الثالثة للهجرة))(4) وقال ابن حجر فى

فتح البارى: ((وكان مولد الحسن فى رمضان سنة ثلاث من الهجرة عند الأكثر، وقيل

1- كتاب حروب الشياطين، البابا شنودة الثالث، مكتبة الكتب المسيحية، كتاب الكترونى، فصل ٢٨ التشكيک

2- ينظر: تأريخ الخلفاء، السيوطى،ص ١٨٨ ، وغيره

3- شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد المعتزلى، مجلد٤، ج١٦ ، ص ٤

4- صلح الحسن غدير عز ولغز جهاد، الشيخ احمد محمد إسماعيل، ص ١٤-15

بعد ذلک، ومات بالمدينة مسموما سنة خمسين، ويقال قبلها ويقال بعدها))(1)

وهناک من قال: إنه ولد فی أواسط السنة الرابعة، کما فی قول الدولانی: ((تزوج

علی فاطمة علیها السلام؛ فولدت له حسنا بعد أحد بسنتين وکان، بين وقعة أحد وبين مقدم

النبی صلی الله علیه و اله المدينة سنتان وستة أشهر ونصف، فولادته لأربع سنين وستة أشهر ونصف

من التاريخ وبين أحد وبدر سنة ونصف))(2) وقال الحاکم فی المستدرک: ((عن قتادة

قال: ولدت فاطمة علیها السلام ؛حسنا بعد أحد بسنتين ونصف، فولدت الحسن لأربع سنين

وستة شهر من التأريخ))(3)

وهناک من ذهب إلی أبعد من ذلک فقال أنه ولد فی السنة الخامسة للهجرة، قال ابن

حجر فی الإصابة: ((ولد فی نصف شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، قال ابن سعد

وابن البرقی وغير واحد، وقيل فی شعبان منها، وقيل ولد سنة أربع وقيل سنة خمس،

والأول أثبت))(4)

وقد أورد الأصبهانی فی المقاتل أن مولد فاطمة الزهراء علیها السلام؛ کان قبل النبوة وقريش

تبنی الکعبة وکان تزويج علی بن أبی طالب إياها فی صفر بعد مقدم رسول الله المدينة

وبنی بها بعد رجوعه من غزوة بدر ولها يومئذ ثمانی عشرة سنة)(5)أی أن الحسن علیه السلام ولد

بعد غزوة بدر بسنة فی أقل تقدير.

1- فتح الباری شرح صحيح البخاری، أحمد بن علیی بن حجر العسقلانی، دارالريان للتراث، ص ۱۲۰، حديث ۳۵۳٦

2- الذرية الطاهرة النبوية، لأبی بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابی.ص ٦٨ حديث رقم 100

3- مستدرک الحاکم، حديث ٤٧٨٩/٣٨٧،ص۱۸۵ ، ج۳

4- الإصابة،ابن حجر، ج۱ ،ص ۳۷٤

5- مقاتل الطالبيين، ص ٥٩

أذكر هنا بأن الروايات أجمعت على أن بناء الكعبة تم سنة خمس قبل النبوة(1)، وأن

النبى الكريم صلى الله عليه و آله صاحب الخمسة وثلاثين عاماً أسهم فى البناء، وحمل الحجارة من

الوادى مشاركاً قومه فى مثل هذا الحدث العظيم ويعنى هذا أنها عليها السلام ولدت قبل البعثة

بخمس سنين فيما إذا كانت قد ولدت فى وقت بناء الكعبة، باعتبار أن النبى صلى الله عليه و اله بعث فى

الأربعين من عمره الشرف وبذا يكون عمرها ثمانية عشر عاماً حين تزوجها الإمام عليه السلام

وهوعمر كبير نسبيا نسبة إلى ما عرف عن العرب والمسلمين من تزويج بناتهم فى الصغر

حتى ادعوا بأن النبى صلى الله عليه و آله تزوج عائشة وعمرها ست سنوات بالرغم من أن هناک من

قال أن ولادة الزهراء وعائشة كانت متقاربة! وإذا ما كان تزويج فاطمة قد تأخر إلى ما

بعد الهجرة فمن المؤكد انه تم بعدها مباشرة، وكانت ولادة الحسن عليه السلام بعد الزواج بسنة

فى أكثر الاحتمالات، فما الذى أخر ولادة الحسن عليه السلام إلى سنة ثلاث أو أربع أو خمس

هجرية إذا لم تكن هناک نية مبيتة لاستخدام هذا الإيهام لأغراض سياسية؟

ولذا أرى أن الروايات التى تذهب إلى هذا المذهب إنما هدفها الانتقاص من حكمة

الإمام الحسن عليه السلام باعتبار أنه كان غضا غريرا حينما ولى الخلافة. وأنه ليس أهلا للصدام

مع دهاء معاوية الحكيم.! وللتشكيک يصدق صحبته للنبى صلى الله عليه و اله والرواية عنه باعتبار

أنه كان أصغر من أن يعد من الصحابة! ولهذا السبب امتنع البخارى ومسلم عن إيراد

أحاديثه، وتوقفا عنده، ولم يخرجا له حتى ولو حديثا واحدا، وهو ما سنتوسع فى بحثه

مستقبلا نظراً لأن البخارى أخرج احاديث لمن هو أصغر منه عمرا.

وهنا أقتبس من ابن شهر آشوب تواريخه التى جاء بها، ومنها قوله: ((قبض رسول

الله صلى الله عليه و اله وله (أى الإمام الحسن) (٧) سنين وأشهر، وقيل: (٨) سنين)).. وقام بالأمر بعد

1- ينظر على سبيل المثال كتاب الرحيق المختوم، صفى الرحمن المباركفورى

أبيه عليه السلام وله (٣٧) سنة.. وأقام فى خلافته (ستة شهر وثلاثة أيام) ووقع الصلح بينه

وبين معاوية سنة إحدى وأربعين.(1)

وبعيدا عن نظرية المؤامرة أقول: إن السياسيين وأعداء الخط العلوى هم من بث

أغلب تلك الروايات فى تأريخنا للتقليل من أهمية الإمام الحسن؛ لأنهم قبالة ذلك

أكدوا بشكل كبير على ضبط تواريخ ولادات ووفيات رجالهم. وبعد هذا التلاعب

الكبير بتاريخ مولده انتقلوا إلى اسمه الشريف.

تشكيكهم فى أصل تسمية

وتضاربت الروايات بفعل وحث السياسيين أيضا فى وقت تسمية الإمام الحسن

وأصل اسمه عليه السلام حيث جاء فى الروايات أن أمه فاطمة عليها السلام جاءت به إلى رسول الله صلى الله عليه و اله

يوم السابع من مولده فسماه حسناً، وعق عنه كبشاً.(2)

وفى رواية أخرى أن النبى صلى الله عليه و آله هو الذى قدم إلى بيت على عليه السلام فى يوم الولادة ليهنئه

بالمولود، وسمى الوليد(الحسن) من قبل الله لم يكن أحد من قبله يحمل هذا الاسم.

وقد أذن فى إذنه اليمنى، وأقام فى اليسرى.

وفى رواية أخرى يتضح أن النبى صلى الله عليه و آله كان حاضرا فى بيت على عليه السلام ينتظر ولادة

حفيده الأول، عن جابر بن عبدالله، قال: لما ولدت فاطمة الحسن عليهم السلام قالت: لعلى

عليه السلام سمه؟ فقال: ما كنت لأسبق باسمه رسول اللهصلى الله عليه و آله. فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: ما كنت

لأسبق باسمه ربى عزوجل، فأوحى الله جل جلاله إلى جرئيل عليه السلام: أنه قد ولد لمحمد

ابن فاهبط إليه وهنئه وقل له: إن علياً منک بمنزلة هارون من موسى، فسمه باسم ابن

1- انظر: مناقب ابن شهرآشوب، ج ٤ ، ص ٢٨- ٢٩

2- إرشاد المفيد، ج ٢،ص 5، مناقب ابن شهرآشوب، ج ٤، ص ٢٨

هارون. فهبط جبرئيل عليه السلام فهنأه من الله تعالى جل جلاله، ثم قال: إن الله تعالى يأمرك

أن تسميه باسم ابن هارون. قال: وما كان اسمه؟ قال: شبر. قال: لسانى عربى. قال:

سمه الحسن، فسماه الحسن))(1)

ولم تعجب هذه التراتبية الإلهية السياسيين الذين اعتبروها مكرمة تتعارض مع

مصالحهم الدنيوية فأكثروا الحديث عن تسمية الإمام الحسن عليه السلام ولكن سعيهم خاب،

وثبت فى الأرض ما ينفع الناس، وذهب زبدهم جفاءً.

وأنا أرى واقعا أن أول ظلم لحق بالإمام الحسن عليه السلام بعد موضوع ولادته كان

موضوع تسميته عليه السلام، فيما أوردت كتب الصحاح أن الاسم الذى اختاره له أبوه هو

(حرب) قال الدوالیبى: ((حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن هانىء بن هانىء عن على،

قال: لما ولد الحسن سميته حربا فجاء رسول الله فقال: أروني ابنى ما سميتموه؟ قلنا:

حربا، قال: بل هو حسن. فلما ولد حسين سميته حربا فجاء النبى فقال: أروني ابنى

ما سميتموه؟ قلنا: حربا، قال بل هو حسين، فلما ولد الثالث سميته حربا. فجاء النبى

فقال: أروني ابنى ما سميتموه؟ قلنا: حربا، قال بل هومحسن))(2)

هنا أرجو ملاحظة أمور مهمة منها:

• تأكيدهم على إصرار الإمام عليه السلام على على اسم (حرب) بالرغم من عدم رضا

النبى صلى الله عليه و آله عن هذا الاسم وكرهه له ونهيه عنه، وهم من وراء هذا الإصرار غير المبرر

والحاد لدرجة أن يتكرر ثلاث مرات ويجابه بالرفض ثلاث مرات أرادوا الطعن

بالإمام، وعد ذلک مثلبة من مثالبه التى تفتق الذهن المريض عن صنعها، ولكنها لم

1- علل الشرائع، ص ١٣٧ ، حديث ٥ ، ونحوه فى ذخائر العقبى، ص ١٢

2- الذرية الطاهرة النبوية، الدولابى، مصدر سابق، حديث ٩٨ ، ص ٦٧

تثبت بالوقوف بوجه النقد العلمى والعقلى.

• حديثهم عن مولود ثالث اسمه محسن بالرغم من اتفاق علماء مدرستنا أزمحسنا

سقط ميتا فى حادث الباب يوم تحريق بيت فاطمة سلام الله عليها . وهدفهم من ذلك الإيغال فى

الدس وضرب أكثر من عصفور بحجر واحد. فضلا عن ذلك هناك روايات أوردها

الدولابى لم يذكر فيها محسنا؛ تقول الأولى: ((عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن

الحنفية عن على انه سمى البحسن بعمه حمزة وسمى الحسين بعمه جعفر، قال: فدعانى

رسول الله فسمى الأكبر بحسن بعد حمزة وسمى الأصغر بحسين بعد جعفر)(1)

وتقول الثانية وهى أصح الروايات وأقربها إلى فكر أهل البيت عليهم السلام وإلى منزلة الإمام

على عليه السلام: ((عن عمران بن سليمان قال: الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة))(2)

أما أقرب الروايات إلى العقل والمنطق فهى التى تذهب إلى أن النبى صلى الله عليه و آله ذهب إلى

بيت على وفاطمة عليهما السلام قبل ساعة الولادة، لأنه يحبهما ويحب ذريتهما وكان ينتظر ولادة

أول مولود من صلبه؛ وقد أخبره الله سبحانه أن ذريتهما أولاده الذين حرم منهم من

زوجاته على كثرتهن، ولأنه يعرف أن ذريتهما سوف يحملون أعباء الرسالة من بعده

وينقلونها إلى الأجيال عبر التاريخ، وأن آخرهم هو المهدى المنتظر. المنقذ الذى سوف

يصلح الكون كله. وحينما ولد الوليد قالت السيدة فاطمة الزهراء لعلى عليهما السلام بصفته

والد الصبى: ((سمه))، فقال لها بما معروف عنه من احرام للنبى وأمره وقوله: ((ما كنت

لأسبق باسمه رسول الله))صلى الله عليه و آله. النبى صلى الله عليه و آله من جانبه لم يكن يريد مصادرة حق الوالد

بتسمية ولده ولكنه كان يريد أن يصدر أمر التسمية من عند الله سبحانه وتعالى، فسأل

عليا: ا(هل سميته))؟ فأجابه: ((ما كنت لأسبقك باسمه))؟ فقال صلى الله عليه و آله: ا(ما كنت لأسبق

1- ينظر: الدولابی، مصدر سابق، حدیث 97 ، ص 67

2- المصدر نفسه، حدیث 99 ص ٦٨

باسمه ربی عزوجل))، فأوحی الله تبارک وتعالی إلی جبرائیل ((أنه قد ولد لمحمد ابن؛ فاهبط

وأقراءه السلام وهنئه، وقل له: إن علیاً منک بمنزلة هارون من موسی، فمه باسم ابن

هارون))، فهبط جبرائیل علیه السلام فهنأه من الله عز وجل، ثم قال: ((إن الله عز وجل یأمرک أن

تمیه باسم ابن هارون))، قال: وما کان اسمه؟ قال: ((شبر))، قال: لسانی عربی،،

قال: سمه الحسن، فسماه الحسن(1) بدلالة أن الروایات اتفقت علی أنه لم یکن یعرف

هذا الاسم (الحسن) عند العرب منذ عسر الجاهلیة ولحین ولادة الإمام الحسن علیه السلام.

وهذه الروایة مقاربة نوعا ما لروایة المجلسی فی البحار، وفیها أن النبی صلی الله علیه و آله جاء

إلی بیت علی وفاطمة علیهما السلام وکانت الزهراء علیها السلام قد ولدت الحسن علیه السلام، فأخرج إلیه

الولید، فقال: ((اللهم إنی أعیذه بک وولده من الشیطان الرجیم، ثم أذن فی أذنه الیمنی،

وأقام فی الیسری))(2) إلا أنه یتبین من هذه الروایة أن الرسول صلی الله علیه و آله جاء بعد الولادة

مباشرة.

المهم أن السیاسیین أحدثوا فی أمر التسمیة وحضور النبی ابنته ساعة ولادتها أمورا

یندی لها الجبین، وانهم کانوا یرفعون الروایات والأحادیث إلی أهل البیت علیه السلام عسی أن

یمر تدلیسهم ولا ینتبه إلیه أحد، وقد قالوا: روی مرفوعا إلی علی بن أبی طالب علیه السلام:

لما حضرت ولادة فاطمة علیها السلام قال رسول الله صلی الله علیه و آله لأسماء بنت عمیس وأم سلمة رضی الله عنهما:

أحضرا فاطمة، فإذا وقع ولدها واستهل صارخا فأذنا فی أذنه الیمنی وأقیما فی أذنه

الیسری.. ولا تحدثا شیئا حتی آتیکما))(3)

ولا أدری لماذا لم یأمرهما النبی صلی الله علیه و آله بأن تخبرا أمه علیها السلام لتؤذن وتقیم فی أذنیه وهی

1- ینظر: أمالی الصدوق، ص ۱۹۸

2- ینظر: البحار، المجلسی، ج ٤٣،ص ٢٥٧

3- حليم آل البيت الحسن بن علی، الشيخ موسى محمد علی، ص ٦٢

أكرم منهما، أو أن تخبرا والده الإمام على عليه السلام ليقوم بذلک؟ لماذا يطلب النبى صلى الله عليه و آله من

آخرين التأذين والإقامة لابنه البكر؟ وما دور وصيته: ولا تحدثا شيئا حتى آتيكما))؟

كما لا أدرى ما مدى مطابقة هذه الرواية مع رواية أخرى أخرجها الشيخ نفسه

وفيها: إن النبى صلى الله عليه و آله كان يروح ويغدو على بيت فاطمة صلى الله عليه و اله منتظرا ساعة ولادتها، وإن

بعض نساء المدينة كن عندها ساعة طلقها، ومنهن سودة بنت سرج، وإن النبى صلى الله عليه و اله

أمرهم بأن لا يحدثوا شيئا، لا آذان ولا إقامة ولا أى أمر آخر لحين دخوله على ابنته؛ بعد

أن تضع وترتاح من آلام الوضع، وتقول الرواية:((أخرج الحافظ عن سودةبنت سرج

قالت: كنت ممن حضر فاطمة حين ضربها المخاض فأتانا رسول الله فقال: كيف هى؟

كيف هى؟ ابنتى فديتها! قلنا: إنها لتجهد، قال: فإذا وضعت فلا تحدثى شيئا حتى

تبلغينى))(1) علما أن الشيخ وبعد أن ذكر هذه الروايات التى نفى من خلالها أن يكون

النبى صلى الله عليه و اله قد أذن فى أذن ولده؛ عاد وأخرج رواية أخرى تؤكد بأن النبى صلى الله عليه و اله بشخصه هو

من أذن وأقام فى أذنى ولده الحسن وتقول الرواية: وأذن فى أذنه، وسماه الحسن،عليه السلام،

وعق عنه بكبش))(2)

تشكيكهم أن النبى صلى الله عليه و آله عق عنه

لم يترک السياسيون التلاعب حتى مع أبسط شعيرة تخص حياة الحسن عليه السلام، وأبوا

إلا أن يسيئوا لها ويكثروا الحديث بشأنها لكى لا يتركوها بنقائها جريا على عادتهم

اللئيمة الحقود، ولذا تجد لهم أقوالا مختلفة بشأن أمر بسيط كالعقيقة يدعوک إلى الدهشة

من مقدرتهم على التلاعب بعقول أتباعهم إلى هذا الحد، والنزول إلى أدق الشعيرات

والخوض فيها، كما فى حديثهم عن العقيقة.

1- ينظر: حليم آل البيت الحسن بن على، الشيخ موسى محمد على، ص ٦٣

2- حليم آل البيت الحسن بن على، الشيخ موسى محمد على، ص ٦٢

فی حدیثها عن أهم نقاط اهتمام الإسلام بالطفل، عدت الدکتورة مریم إبراهیم

هندی من جامعة القاهرة العقیقة کواحدة من أهم هذه النقاط، کما فی قولها: ((فإن من

عظمة الإسلام أنه لم یترک صغیرة ولا کبیرة إلا بینها، واهتم بها، ونبه علیها، وخاصة

ما یتعلق بالإنسان، حیث اهتم الإسلام به قبل أن یخلق فقد حث الزوج علی اختیار أمه

علی أساس الدین کما حیث الولی أیضاً علی اختیار الزوج علی أساس الدین، واهتم به

وهو جنین حیث شرع له عدة أحکام من حیث میراثه وتحریم الجنایة علیه وغیر ذلک،

واهتم به بعد أن یولد حیث حث علی العقیقة عنه، واختیار الاسم الحسن له، وغیر

ذلک))(1)

بل إن الدکتورة المصریة أوضحت سبب اختیارها للکتابة عن موضوع العقیقة

قائلة: ((إن کثیراً من هذه السنن قد اندثر، وانبهر المسلمون بالعادات الغربیة من عمل

السبوع، وإشعال الشموع وغیرها، فاخترت هذا الموضوع محاولة منی لتعریف الناس

بهذه السنن لیتمسکوا بها))(2)

إن مدرسة أهل البیت علیهم السلام تؤمن أن کون الإمام الحسن علیه السلام هو الابن البکر

للنبی صلی الله علیه و آله من فاطمة وعلی علیهما السلام؛ بعد أن فقد أبناءه من قبل بأمر الله تعالی یدفعه حتما

إلی متابعة هذا الحدث الفرید بهمة عالیة وشوق کبیر وترقب وبحث عن تطبیق الشریعة

بحذافیرها فیما یخص المولود الجدید لیتعلم الناس منه ما خفی علیهم أو لم یفهموه من

قبل؛ ولکی یحصن الولید ویربطه بالعقیدة ربطا محکما لا ینفذ منه شیطان أو إنسان، فقام

بکل ما تستوجبه الولادة الجدیدة من مهام وأولها التسمیة الحسنة والآذان والإقامة فی

1- بحث بعنوان (أحکام العقیقة فی الفقه الإسلامی) للدکتورة مریم إبراهیم هندی، مجلة کلیة دار العلوم — جامعة القاهرة، العدد (٢٨) سنة ٢٠٠١م

2- المصدر نفسه

أذنيه، وهى أولى مراحل الإعداد النفسى للطفل يتركها سحر كلمات: (الله أكبر.. الله

أكبر) التى تنساب كسيل عذب رقراق من بين شفتى النبى صلى الله عليه و آله لتتوغل فى أعماق الوليد

وتستقر فى فكره وذاكرته. ثم تلا ذلك حلاقة شعر رأس الوليد وذبح العقيقة عنه.

وأما العقيقة فنجد عنها فى البحار: وعق عنه، قال: بسم الله عقيقة عن الحسن عليه السلام،

وقال: اللهم عظمها بعظمه، ولحمها بلحمه، ودمها بدمه، وشعرها بشعره، اللهم

اجعلها وقاءً لمحمد وآله. وحلق رأسه، وأمر أن يتصدق بزنة شعره فضة))(1) وفى

رواية أخرى: عق عنه بكبشين أملحين وأعطى القابلة فخذا ودينارا)). بل جاء فى

إحدى الروايات أن النبى صلى الله عليه و اله عق عن الحسن عليه السلام بيده الشريفة كما حلق شعره بيده

الشريفة أيضا، أى أنه ذبح العقيقة بيده الشريفة ولم يدع أحدا آخر يذبحها، وحلق له

بيده الشريفة ولم يدع شخصا آخر يحلق له: عن الصادق عليه السلام قال: عق رسول الله عن

الحسن بيده وقال: بسم الله عقيقة عن الحسن، وقال: اللهم عظمها بعظمه ولحمها

بلحمه ودمها بدمه وشعرها بشعره، اللهم اجعلها وفاءً لمحمد وآله))، وهوما لم يفعله

لمولود من مواليد المسلمين قط سوى الحسن والحسين عليهم السلام.

وتجد فى البحوث الشرعية للمدارس الإسلامية عامة اهتماماً بالغاً بموضوع العقيقة

تتضوى تحته تفرعات كثيرة تناولت حكم العقيقة بالشرح المفصل بدءاً من: تعريفها

لغة، فتعريفها اصطلاحاً، فحكم تسميتها، ومن ثم حكمها، ومن يرى أنها سنة وأدلته،

أو واجبة وأدلته، أو مستحبة وأدلته، ثم فضلها وفوائدها، ومن يعق عن المولود، ومن

يعق عنه؟ وهل يعق عن الكبير؟ وهل يجزى التصدق بثمنها؟ وهل يعق الإنسان عن

نفسه إذا بلغ ولم يعق عنه؟ وهل يعق عن المولود لو مات قبل السابع؟ وهل يعق عن

الذكر والأنثى أم عن الذكر فقط؟ الحيوان الذى يذبح فى العقيقة، وشروطه، العدد

1- ينظر: البحار، ج ٤٣، ص٧٥٢

الذى يذبح فى العقيقة عن الذكر والأنثى، وقت الذبح، هل يجوز ذبح حيوان واحد

عن أكثر من طفل؟ ما الحكم لو اجتمعت العقيقة والأضحية فى يوم واحد؟ حكم كسر

عظمها وطبخها والاكل منها والإهداء والتصدق، ولطخ جسم المولود بدمها، وبيع

جلدها وسواقطها.

وفيها أيضا أجوبة شافية لهذه المسائل؛ منها على سبيل المثال لا الحصر والتخصيص

قول السيد محمود الهاشمى: (يستحب أن يعق عن الذكر بذكر وعن الأنثى يأنثى

سمينة سالمة من العيوب.. ويكره أن يأكل الأب منها أو أحد عيال الأب والأحوط

للأم الترك.. ويستحب أن تقطع جداول وقيل يكره أن تكسر العظام ويستحب أن

تعطى القابلة منها الربع ويقسم الباقى على المؤمنين... ومن بلغ ولم يعق عنه استحب

له أن يعق عن نفسه.. ولا يجزى عن العقيقة التصدق بثمنها ومن ضحى عنه أجزأته

الأضحية عن العقيقة(1)

ولم يكن التشيع وحده من أهتم بها فالمدارس الإسلامية كلها تقريبا تشترك فى

وجوب أهميتها كما تشرك فى الكثير من أحكامها ولكن هناك من يحاول التعتيم على

رأى التشيع بالعقيقة تماما كما عتم السياسيون القدماء على عقيقة الإمام الحسن عليه السلام،

حيث تقول الدكتورة مريم إبراهيم هندى من جامعة القاهرة أنها ومن خلال البحث

تبين لها أن المذهب الحنفى وحده من يعتبر العقيقة بدعة، والمذهب الشيعى لم يتكلم

عنها فى كتب فقهه(2)وكما فى قولها: ((وقد رجعت فى هذا البحث إلى ستة مذاهب، وهى

1- منهاج الصالحين المعاملات، فتاوى سماحة آية الله العظمى السيد محمود الهاشمى،ص ٣٩٧- ٣٩٨،الجزء ٢

2- لا مختلف هذه الدكتورة كثيرا عن سلفها أحمد أمين صاحب المنار الذى تطاول فى حينه على الشيعة وأتهمهم بأنواع التهم ثم لما حضر إلى العراق ضمن وفد كان فى منهاج زيارته زيارة النجف وكربلاء، فاهتم به علماؤنا وناظروه بأقواله وأفحموه فأدعى أنه كتب ما كتب من غير أن يعرف فكان عذره أحمق من فعله. وهذه الدكتورة تشبهه فى الحمق تماما فهى لو اتعبت نفسها قليلا لكانت وجدت مئات النقول

الشيعية التى تتحدث عن وجوب العقيقة وأحكامها، ونحن لو لم نكن مهتمين بها لما أفردنا لها مبحثا فى كتابنا هذا. ومن خلال أحد هوامش بحثها ثبت لى أنها تعمدت ذلك، أى تعمدت عدم ذكر رأى التشيع لأنها تعد التشيع من الفرق الضالة كما فى قولها فى أحد الهوامش: (ومن المعلوم أن الإباضية والزيدية والإمامية من الفرق الضالة عن الصراط المستقيم وأهله. الفرقة الناجية والطائفة المنصورة: أهل السنة والجماعة، وأنه لا يعقد بكلامهم على الإطلاق، ولا عبرة بخلافهم، لا فى العقائد والأصول، ولا فى الأحكام والفروع غير أن بعض الكليات الشرعية ببلاد الإسلام (ومنها مصر) تشترط ذكر هذه المذاهب الثلاثة بالإضافة إلى الأربعة والظاهرية فالمذاهب المعتمدة زعموا-: ثمانية)

المالكى، والشافعى، والحنبلى، والظاهرى، والزيدى، والإباضيى، وهى المذاهب التى

وجدت لأصحابها كلاماً حول العقيقة، أما المذهب الحنفى فلم أجد لها ذكراً فى كتبهم

وذلك لأنهم يرون أنها بدعة كما هو مذكور عنهم فى كتب الفقه المقارن، وأما الشيعة

الامامية فلم أجد للعقيقة ذكراً فى كتاب شرائع الإسلام للحلى، ولا فى تهذيب الأحكام

للطوسى، ولا أدرى السبب فى عدم تناولهم لأحكامها))(1)، وأرى أن من المعيب أن

يتوكأ بعض الباحثين على عصى واهية لتوهين معتقد الآخرين، والأكثر عيبا أن يكون

الباحث من حملة الدرجات العلمية، وإلا فمن غير المعقول ان ترجع الدكتورة إلى بحث

أو اثنين لتثبت من خلالهما حكما شرعيا او تنفيه.

إن الاهتمام الزائد بهذه المسألة البسيطة بالذات يعنى أنها مهمة وأن المسلمين

الأوائل عملوا بها بعد أن علمهم النبى صلى الله عليه و اله حكمها نظريا من خلال المحاصرات وعمليا

من خلال عقه عن ذريته من على وفاطمة و أولهم الحسن عليه السلام، والروايات التى نقلت

حادثة العق عن الحسن عليه السلام كثرية منها فضلا عن روايات مدرستنا:

1- بحث بعنوان (أحكام العقيقة فى الفقه الإسلامى) للدكتورة مريم إبراهيم هندى، مجلة كلية دار العلوم — جامعة القاهرة، العدد (٢٨) سنة ٢٠٠١م

أخرج الدولابی عن محمد بن عمر: ((لما ولد الحسن بن علی عق عنه رسول الله

بکبش وحلق شعره وأمر أن یتصدق بوزنه فضة))(1) وعن ابن عباس: ((أن رسول الله عق

عن الحسن کبشا وعن الحسین کبشا))(2) وفی سنن أبی داود:((عن ابن عباس أن رسول

الله صلی الله علیه و اله عق عن الحسن والحسین کبشا کبشا))(3) وفی سنن النسائی: فی روایة أخری عق

عنهما: ((کبشین کبشین))(4) وفی سنن الترمذی، عن الإمام علی علیه السلام: ((عق رسول الله عن

الحسن بشاة)) وقال: یا فاطمة أحلقی شعر رأسه وتصدقی بزنة شعره فضة))(5) وفی

سنن البیهقی عن جابر: ((أن النبی عق عن الحسن والحسین وختنهما لسبعة أیام))(6)

ومع أنه من غیر المعقول بل من المستحیل أن یولد للنبی صلی الله علیه و آله مولود هو سید شباب

أهل الجنة فلا یعق عنه؛ إلا أن السیاسیین وبغیة التهویش والتشوش والتأثیر علی عقول

الناس نوعوا الروایات التی تتحدث عن الإمام الحسنعلیه السلام لیس عن زمن المجابهة معه

فحسب، وإنما ابتداء من التسمیة وحتی فی طقوس الولادة الأخری مثل حدیثهم عن

العقیقة،فادعوا بأن النبی علیه السلام لم یعق عن الحسن علیه السلام؛ بل ومنع فاطمة علیها السلام من ذلک،

لأنهم زعموا أن العقیقة من الموروث الجاهل الذی أبطله الإسلام کما فی روایة الدولابی:عن أی سلمه بن عبد الرحمن قال: سألته عن عقائق الولدان فقال: إنها کانت من عمل

الجاهلیة ولم أعق عن ولد لی قط. قال فسألت علی بن حسین فقال: اخبرنی أبو رافع مولی

رسول الله أن حسن ابن علی الأکبر أرادت أمه فاطمة أن تعق علیه بکبش عظیم فقال

1- الذریة الطاهرة النبویة، الدولابی،مصدر سابق، حدیث ۱۰۳، ص ٦٩

2- الذریة الطاهرة النبویة، الدولابی،مصدر سابق، حدیث ۱۰۵، ص ۷۰

3- سنن أبی داود، فی الأضاحی، حدیث رقم ۲۸٤۱

4- سنن النسائی، باب کم یعق عن الجاریة،ج۷،ص١٦٦

5- سنن الترمذی، حدیث رقم 1519

6- سنن البیهقی، ج۸،ص ۳۲٤

رسول الله صلى الله عليه و آله: لا تعقى عنه بشيء ولكن احلقى رأسه وتصدقى بوزنه من الورق فى

سبيل الله)(1)

ولقد وجدت الرواية فى مسند أحمد تختلف قليلا، أوردها عن أبى رافع، قال: ((إن

حسن بن على لما ولد أرادت أمه أن تعق عنه بكبشين، فقال رسول الله صلى الله عليه و اله: لا تعقى

عنه، ولكن أحلقى شعر رأسه فتصدقى بوزنه من الورق، ثم ولد الحسين فصنعت مثل

ذلک))(2) فقط أرجو الانتباه إلى حديثهم عن إصرار فاطمة عليها السلام فى هذا الأمر الذى يشبه

حديثهم عن إصرار على عليه السلام على اسم (حرب) الذى قالوا أن النبى غيره ثلاث مرات،

وأسألوا أنفسكم: ماذا يراد من مثل هذه الأقوال؟ ولماذا على وفاطمة فقط؟

وهل معنى ذلک أن عليا وفاطمة سلام الله عليهما لو رزقا عشرة أولاد ذكور كان على عليه السلام سيبقى

مصرا على اسم حرب وكانت فاطمة ستبقى مصرة على ان تعق عن كل واحد منهم

بكبشين فيمنعها النبى صلى الله عليه و آله؟ ولماذا ذكروا قصصا تخص الحسن والحسين عليه السلام فقط، لماذا

لم يذكروا قصصا عن بنات فاطمة عليهم السلام والشرع يوجب العقيقة للذكر والأنثى، أم أنها

لم تعق عن البنات، أم لأن دور البنات المجتمعى أقل انتشارا من دور الأبناء، أم ماذا؟

بفعل هذه الأحاديث الساقطة بقيت هذه العقيدة فاشية عند بعض الناس الذين

كانوا ولا زالوا يعتقدون بأن النبى صلى الله عليه و آله لم يعق عن الحسنين عليهم السلام و منع فاطمة عليها السلام

من ذلک، بالرغم من قيامهم بذبح العقيقة عما يولد لهم من مواليد حتى بدا الأمر جالبا

للشک والريبة والشبهة، فانبرى المتأخرون منهم للبحث عن تأويل لهذا الخطل الكبير

والخطأ الفاحش ومن هؤلاء الكاتب الليبى المتعصب الدكتور على محمد الصلابى الذى

بقى إلى أن وافته المنية وهو يعتقد أن الخلفاء العثمانيين المستعمرين هم الامتداد للخلافة

1- الذرية الطاهرة النبوية، الدولابى، مصدر سابق، ص ٦٩- ٧٠، حديث ١٠٤

2- مسند احمدج ٦ ،ص٣٩٢

الإسلامية الشرعية! فأراد تلطيف التعارض فادعى:((وإنما صرفها صلى الله عليه و آله عن العقيقة

لتحمله عنها ذلک؛ لا تركا بالأصالة))(1) وأقول له: وماذا عن الحديث الذى أخرجه

الدولابى وجاء فيه: ((أنها كانت من عمل الجاهلية، ولم أعق عن ولد لى قط)) وكيف

يستقيم قولک مع قوله؟ وبماذا تعلل ذلک القول؟!

أرجو هنا ملاحظة أنه بالرغم من كون الدولابى شافعى المذهب قبل أن يتحول إلى

المذهب الحنبلى(2) وبالرغم من أن المذهب الشافعى أفتى بأن ذبح العقيقة للمولود سنة

مؤكدة استنادا إلى خبر قيام النبى صلى الله عليه و آله فى ذبح عقيقة عن الإمام الحسن عليه السلام، حيث يرى

الشافعية أن الإمام الشافعى احتج فى كون العقيقة سنة عن المولود بالحديث الذى جاء

فيه أن النبى عق عن الحسن عليه السلام وحلق شعر رأسه(3) إلا أن تحوله المذهبى إلى المذهب

الحنبلى المتشدد هو الذى أوقعه بذلک الخلط الكبير.

إن اختلاف رأى مذاهب مدرسة الخلفاء بحكم العقيقة بين الوجوب والإباحة

1- سرة أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن على،ط ٨، على محمد الصلابى، ص ٢٠

2- وترجمه ابن العماد الحنبلى (ت / ١٠٨٩ هـ) قائلا: (عنى بالحديث بعد أن برع فى الفقه وتحول من مذهب الشافعى إلى مذهب الحنابلة - ونقل عن ابن رجب قوله: كان والده شابا تركيا محدثا فاضلا من أصحاب أبى بكر الخطيب الحافظ... وخالط ابن ناصر الحنابلة ومال إليهم وانتقل إلى مذهبهم لمنام رأى فيه النبى صلى الله عليه و آله). ويظهر أن عوامل الغربة واليتم لكونه تركى الأصل وأنه حرم رعاية والده شابا جعلته يتصل بحنابلة بغداد - وأصحاب الشوكة آنذاک - وأن يرتكز فى حياته على العلم ويرتوى من نمير الأدب والفقه والحديث على الأعلام البارزين فى هذه الفنون حتى لقب بمحدث بغداد بلا منازع. شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلى، ج ٣،ص ١٥٦

3- ينظر: مطاليب السؤول فى مناقب آل الرسول، محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن القرشى العدوى النصيبى الشافعى، ص ٢٢٦

والكراهة والحرمة جاء بالتأكيد من تلك الروايات الموضوعة؛ بما يعنى أن السياسيين

وحراكهم العدوانى ضد أئمة أهل البيت عليهم السلام ألحق الضرر حتى بباقى المذاهب

وأوقعها بمشاكل عمقت الخلاف بينها.

والدكتورة المصرية بعد أن قالت عن العقيقة إن: (فيها معنى القربان، والصدقة

واشكر لله تعالى وأنها فدية يفدى بها المولود من المصائب، وفيها إظهار الفرح والسرور

بإقامة شرائع الإسلام، وإرفاء موارد التكامل الاجتماعى بين الناس). أدلت برأيها

بشأن حكم العقيقة فقالت:((يرجح القول باستحبابها على القول بوجوبها، على القول

بكراهتها، وأنها بدعة))(1) بمعنى أنها أفتت باستحباب العقيقة ومع ذلك جاءت

بمجموعة أقوال فقهية بعضها سنن والآخر شرط والثالث يجوز ولا يجوز والرابع إجماع

والخامس اختلاف لكى تبين الحكم الشرعى للعقيقة التى ادعوا بأن النبى صلى الله عليه و اله لم يذبحها

لولده الحسن عليه السلام، فكيف يستقيم ما جاءت به مع ما جاء به الأقدمون؟

ونظرا لأهمية ما توصلت إليه الدكتورة من أحكام، ولكى أبين التناقض الكبير

فى هذه الأحكام سأوردها لكم مختصرة من أقوالها، حيث خلصت بالقول إلى أن:

ذبح العقيقة أفضل من التصدق بثمنها. يستحسن أن يقوم بها الأب. وإن قام هبها غيره

فجائز. يسن أن يعق عن الكبير، وأن يعق الإنسان عن نفسه بعد البلوغ؛ لأنها مشروعة

عنه، وهو مرتين بها، ومحتاج لحفظ الله ورعايته طيلة حياته. إن مات الطفل قبل السابع

اختلف العلماء فى العقيقة عنه حيث يرى البعض أنها تسقط، وقيل: يسقط استحبابها،

وقيل: لا تسقط. يعق عن الذكر والأنثى لقوة أدلة من يرى ذلك وترجيحها على أدلة

من يرى أنه لا يعق عن الأنثى. لا يجوز فى العقيقة إلا الأزواج الثمانية، ذكورهم وإناثهم.

1- بحث بعنوان (أحكام العقيقة فى الفقه الإسلامى) للدكتورة مريم إبراهيم هندى، مجلة كلية دار العلوم — جامعة القاهرة، العدد (٢٨) سنة ٢٠٠١م

يشترط فى الحيوان: أن يكون جذغ ضأن وثنى سواه، ولا يجزئ الجذع من الماعز، وأن تكون سليمة من العيوب على اختلاف بين المذاهب فى بعض العيوب واتفاقهم على بعضها. أجمع العلماء على استحباب استحسان لون حيوان الأضحية، والأبيض أفضل من خلافه، والاءقرن أفضل من الأجم، والذكر أفضل من الأنثى، والفحل أفضل من الخصى؛ إلا أن يكون الخصى أسمن. اختلف العلماء فى تسمينها لكن الراجح جواز ذلك. أجمع العلماء على أنه يذبح عن الأنثى شاة واحدة، واختلفوا فى العدد الذى يذبح على الذكر: حيث ذهب الجمهور إلى أنه يذبح عنه شاتان، وذهب البعض الآخر إلى أنه يذبح عنه شاة واحدة. اختلف العلماء فى وقت ذبح العقيقة حيث يرى البعض أن السنة أن تذبح يوم السابع، وإن ذبحت قبله جيوز، وإن ذبحت بعده تجزئ، ويرى البعض الآخر أنها لا تجزئ قبل يوم السابع، وإن ذبحت بعده أجزأت. لا يجوز ذبح حيوان واحد عن أكثر من طفل. إذا اجتمعت العقيقة والأضحية فى يوم واحد أجزأت إحداهما عن الأخرى. اختلف العلماء فى كسر عظام العقيقة حيث يرى البعض أنه لا تكسر عظامها، ويرى البعض الآخر جوازكسرها. السنة طبخ العقيقة وأن توزع عليهم فى بيوتهم، وإن طبخها ودعا الناس إليها فحسن، وأنه جيوز الإطعام منها نيئاً. السنة أن توزع أثلاثاً كالأضحية. ثلثاً للفقراء، وثلثاً هدية، وثلثاً لأهل بيته. جيوز بيع جلد ورأس وسواقط العقيقة ويتصدق بثمنه، وهى بذلك تخالف الأضحية حيث لا جيوز فى الأضحية بيع هذه الأشياء. لا جيوز لطخ رأس وجسم المولود بدم العقيقة وهو رأى الجمهور، لأن دليل من يجوز ذلك فيه وهم من راويه، وقيل: إنه منسوخ، وقيل: إن هذا كان من أعمال الجاهلية.(1)

المهم أن هذه التفرعات الصغيرة وبالرغم من عدم أهميتها تجدها تحولت إلى مادة

1- ينظر: أحكام العقيقة فى الفقه الإسلامى، الدكتورة مريم إبراهيم هندى، مصدر سابق

دسمة بيد السياسيين، وتراهم يلتفتون إليها ويعتنون بها ويدخلونها فى مشروعهم

التخريبى، ولقد ثبت أن النظريات السياسية المعاصرة والعمليات المخابراتية الحديثة

تهتم كثيرا بمثل تلك الجزئيات لتستخدمها فى تحليل الشخصية التى تريد دراستها

ومعرفة أسرارها،أو تريد محاربتها وتسقيطها. وبذا تتبين درجة الوعى السياسى العربى

الذى حارب خط الإمامة المعصومة، ويتبين مقدار الجهد الذى بذلوه فى محاربة المشروع

الإلهى، وتتبين عظمة الإمام الحسن عليه السلام الذى نجح بالتصدى لمشاريعهم التخريبية.

تشكيكهم فى صحبته

أمضى الإمام الحسن عليه السلام مع جده النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ما يناهز الثمان سنوات من

عمره، وكان النبى يحبه حباً مجاً، وكثيراً ما كان يجمله على كتفيه ويقول: ((اللهم إنى أحبه

فأحبه)) وهو بموجب تعريفهم للصحبة يعد من الصحابة بل من ساداتهم، وبما ألزموا

به أنفسهم نلزمهم.

فضلا عن ذلك كان الإمام الحسن عليه السلام من حيث العمر مقاربا لأعمار مجموعة من

الأولاد الذين ولدوا بعد الهجرة من الذين أخرج لهم البخارى ومسلم عددا لا يستهان

به من الأحاديث التى بنيت عليها أحكام شرعية يتعبد بها الناس مثل المسور بن مخرمة

ومروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وغيرهم، بينما أغفل البخارى ومسلم(1) رواية

الحسن عليه السلام بالرغم من منزلته وقربة من جده النبى ومن أبيه على وأمه فاطمة عليهم السلام

1- لم يخرج مسلم أو البخارى أحاديث عن أئمة أهل البيت عليهم السلام: الإمام الحسن والإمام موسى بن جعفر والإمام الرضا، والإمام الجواد والإمام الهادى، والإمام العسكرى عليهم السلام بالرغم من أن البخارى كان معاصرا للإمام العسكرى مثلا. ينظر: أضواء على الصحيحين دراسة وتحليل لصحيحى البخارى ومسلم، تعريب يحيى كمالى البحرانى، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١٩، ص ١١٣

وهما أحب الناس وأقربهم إلى رسول الله صلى الله عليه و آله. ويعنى هذا أن السياسيين العرب نجحوا

فى التأثير على الرواة والمؤرخين والمدونين لكى يطمسوا فضائل الإمام الحسن عليه السلام؛

ويستنهضوا همم من سار على نهج العداء لهم، وقد نجحوا فى ذلك مع أن الله سبحانه

أبى أن تتجاوز الأيام والشهور الإمام الحسن عليه السلام ولا تحمل من ضوع عطره؛ فزع محبته

فى قلوب الطيبين الذين نقلوا حديثه إلى الناس عبر التأريخ.

إسهامه فى الفتوح

من المؤكد أن الإمام الحسن عليه السلام اشرك فى جميع حروب والده الإمام على عليه السلام فى

البصرة وصفين والنهروان، ولكن من المشكوك فيه أن يكون قد اشرك فى الفتوح قبل

هذا التاريخ. ومع أنهم لم ينجحوا بتاتا فى إثبات اشراكه فى الفتوح التى تمت فى خلافة

عمر بالرغم من كونه كان يومذاك شابا يافعا تجاوز العشرين من عمره الشريف، إلا أن

هناك من يدعى كذبا وتدليسا أنه عليه السلام شارك فى فتح شمال أفريقيا وطبرستان. وقالوا أنه

فى خلافة عثمان بعد أن بلغ عمره نيف وعشرين عاما((انضم إلى المجاهدين حيث اتجهت

ألويتهم إلى احتلال أفريقيا))(1) فلماذا لم يشارك الإمام الحسن عليه السلام فى فتوح عصر عمر

وشارك فى فتوح عصر عثمان بالرغم من سيطرة الأمويين على مقاليد الأمور وتحكمهم

بمن يشارك فى تلك الفتوح ومن يعفى من المشاركة فيها؟ عليا أن المؤرخين أجمعوا

تقريبا على أن الفتوح فى عصر عثمان كانت سياسية أكثر منها عقائدية، وأن الأمويين

كانوا مرون أعداءهم فيها لكى يتخلصوا من خطرهم، وهم من المستحيل أن يجبروا

الحسن عليه السلام كما أجبروا الآخرين للاشتراك عنوة فى تلك الفتوح المسيسة.

ولذا تجد هناك جمعا كبيرا أنا من ضمنهم يشككون بل يرفضون التصديق باشتراك

1- أهل البيت، الحسن بن على، توفيق أبو علم، ص ٦١

الحسن عليه السلام فى تلك الفتوح لأن رواياتهم عن اشتراكه فيها كانت غير دقيقة وبدليل

قاطع، والشيخ الزين رد على الكاتب المصرى الذى ادعى أن خالد بن الوليد والحسن

بن على الذى كان يصحبه فى الفتح الإسلامى أقاما الصلاة فى جامع (قزوين) بقوله:

((والحال أن خالد توفى سنة ٢١ هجرية قبل فتح قزوين بسنة ونصف، على ذلك أبو

الفداء ج ١ صفحة ١٦٤ من تأريخه ونص ابن الأثير أيضا وابن عساكر وأثبتوا أن الذى

فتح قزوين هو البراء، وإن همدان فتحها حذيفة بن اليمان وافتتح الرى؛ ولم تكونا فتحتا

من قبل، انظر مجلد ٤ صفحة ٢٠٠ من تأريخ ابن عساكر، وإنا لم ندر على كثرة البحث

فى هذه المسألة إلى أى مصدر استند الرحالة فى دعوى وصول خالد إلى قزوين المفتوحة

بعد موته؟ ومن دعوى صحبة الحسن بن على عليه السلام خالد فى فتوحه))[1]

وأرى أنه ما كان للإمام على عليه السلام أن يتأخر هو أو يؤخر إشراك بعض أو كل أولاده

فى تلك الفتوح قادة أو منقادين لو كانت مشابهة للفتوح التى أشترك فيها مع رسول

الله صلى الله عليه وآله فى عصر البعثة؛ ولكنه عليه السلام كان ينظر إليها بخلاف ما يراها الآخرون؛ ويعرف

غاياتها وأهدافها؛ ولذا امتنع ومع أولاده عن الإسهام فيها تطبيقا لمبانى عقيدته، وبالتالى

من غير المحتمل أن يسمح لأولاده بالاشتراك بما لا يشترك فيه أو يشكك بصحته

وشرعيته. ومن الطبيعى أن لا يشترك الجميع فى هذا الرأى، فالشيخ محمد اليعقوبى يرى

أن الحسن والحسين عليه السلام شاركا فى الفتوح بوصفها جزءاً من عطائهما للأمة[2] وفى هذا

القول نظر.

1- الشيعة فى التاريخ، محمد حسين الزبن، هامش ص ٩٦

2- ينظر: دور الأئمة فى الحياة السياسية، الشيخ محمد اليعقوبى، ص٣٣٧

الخلط بين مهام إمامته وخلافته

تعتقد مدرستنا أن إمامة الإمام المعصوم تبدتدىء مع بدء حياته، كما هو النبى المرسل

تبدأ نبوته مع بدء حياته حتى مع وجود رسول أو رسل آخرين، وتبدأ إمامته حتى مع

وجود إمام أو أئمة آخرين ولكن (النبى والامام) لا يصرح ما لم يؤمر بذلك تماما كما

يعلن النبى بدء دعوته المأمور بتبليغها، وعليه بدأت إمامة الحسن عليه السلام المصرح والأمور

بإعلانها بعد موت أبيه مباشرة بالمنصبين (الإمامة والخلافة) حيث أقام فى خلافته عدة

أشهر على اختلاف الأقوال، وأقام فى إمامته إلى أن انتهت بمقتله مسموما على يد أعدائه

السياسيين فى سنة خمسين من الهجرة على اختلاف الأقوال أيضا مما ادخل السرور إلى

قلوبهم والحزن والكمد إلى قلوب المؤمنين. ولكن هناك من يرى أن الحسن عليه السلام بتنازله

عن الخلافة لمعاوية تنازل عن الإمامتين الدينية والدنيوية ولم يعد إماما إلا بنظر أهله

وبعض المقربين منه، وهذا خلط أريد منه تشويه الحقائق وحرف مسار التاريخ و شرعنه

سيطرتهم على دولة الإسلام.

ولا خلاف لدينا نحن الشيعة على استخلاف الإمام الحسن بنص من أبيه عليهما السلام

وبوصية من جده النبى الأكرم صلى الله عليه وآله؛ ونقولنا فى ذلك لا حصر لها ولا يرقى إليها شك،

ففى اصول الكافى باب تحت عنوان (الإشارة والنص على الحسن بن على عليه السلام ضم

سبعة أحاديث منها ما فيه نص صريح، ومنها ما فيه إشارة إلى النصيب. ومما جاء فى

النص على إمامته من أحاديث:

١ . عن سليم بن قيس قال: (اثهدت وصية أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى إلى ابنه

الحسن عليه السلام وأشهد على وصيته الحسين عليه السلام ومحمدا وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل

بيته، ثم دفع إليه الكتاب والسلاح وقال لأبنه الحسن عليه السلام: يا بنى: أمرنى رسول الله صلى الله عليه وآله

أن أوصى إليک وأن ادفع إليک كتبى وسلاحى كما أوصى إلىّ رسول الله ودفع إلىّ كتبه

وسلاحه، وأمرنى أن آمرک إذا حضرک الموت أن تدفعها إلى أخيک الحسين عليه السلام...))(1)

٢. عن أبى الجارود، عن أبى جعفر عليه السلام قال: ((إن أمير المؤمنين عليه السلام لما حفره قال

لأبنه الحسن: أدن منى حتى أسرک ما أسر رسول الله صلى الله عليه وآله

إلىّ وائتمتک على ما ائتمتنى

عليه، ففعل))(2)

أما ما جاء إشارة إلى إمامته، فمنه:

١. عن أبى بكر الحضرمى قال: ((حدثنى الأجلح وسلمة بن كهيل وداود بن أبى

يزيد وزيد اليمامى قالوا: حدثنا شهر بن حوشب: إن علياً عليه السلام حين سار إلى الكوفة

استودع أم سلمة كتبه والوصية، فلما رجع الحسن عليه السلام دفعتها إليه))(3)

٢ . عن أبى بكر عن أبى عبد الله عليه السلام: إن علياً حين سار إلى الكوفة استودع أم سلمة

كتبه والوصية، فلعا رجع الحسن دفعتها إليه))(4)

ومن مجمل هذه الروايات نستخلص وجود اتفاق بين رجال مدرستنا بأن الإمام

على عليه السلام أوص بالخلافة لابنه الحسن عليه السلام وهو على فراش الموت، وروياتنا فى ذلک لا

تحصى ولا تعد، ولكن أبناء الفصيل السياسى شككوا بهذه الروايات وجاءوا بروايات

1- أصول الكافى، ص٢١٧-٢١٨حديث رقم ١

2- أصول الكافى ج١،ص٢١٨.

3- المصدر نفسه،ج١، ص٢١٨.

4- المصدر نفسه، ج١،ص٢١٨.

أخرى يدعى بعضها أن قسما وليس كل رجال الأمة انتخبوا الحسن عليه السلام خليفة، ولا

يوجد نص من على عليه السلام على توليه الخلافة. وأبقى القسم الآخر الآمر سرا فلم يشر إلى

الطريقة التى أستخلف بها الحسن عليه السلام، كما حاول الصلابى أن يوحى بنقله عن مجمع

الزوائد ومسند احمد: ((عن عبد الله بن سبع قال: سمعت عليا يقول: لتخضبن هذه من

هذا، فما ينتظر بى الأشقى. قالوا: يا أمير المؤمنين فاخبرنا به نبير عترته، قال: إذن تالله

تقتلون بى غير قاتلى. قالوا: فاستخلف علينا؟ قال: لا، ولكن أترككم إلى ما تركم

إليه رسول الله! قالوا: فما تقول لربك إذا أتيته؟ قال: أقول: اللهم تركتنى فيهم ما بدا

لك، ثم قبضتنى إليك وأنت فيهم، فإن شئت أصلحتهم، وإن شئت أفسدتهم.(1)

وبنقله عن عقيدة أهل السنة فى الصحابة: ((روى البيهقى بإسناده إلى شقيق بن

سلمه، قال: قيل لعلى ابن آبى طالب: ألا تستخلف علينا؟ فقال: ما استخلف رسول

الله فأستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيرا فسيجمعهم بعدى على خيرهم، كما

جمعهم بعد نبيهم على خيرهم))(2)

وهى نقول تفوح منها رائحة التحيز الكبير، جيء بها لتدعم نظرية الخلافة المخالفة

والمعارضة لنظرية الاستخلاف والوصية فى مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ومن خلال تلك

النقول المحرفة والكاذبة حاول الصلابى تفنيد مزاعم النص على خلافة الحسن عليه السلام

فقال: ((عند حديثنا عن بيعة الحسن تبرز أمامنا قضية يروج لها الشيعة الامامية بقوة،

ألا و هى قضية النص على خلافة الحسن عليه السلام من قبل والده على بن أبى طالب عليه السلام، وهذا

الأمر يعد من المفتريات على أمير المؤمنين على حيث لم يصح النقل عنه بذلك))(3)

1- سيرة أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن على، على محمد الصلابى، ص ١٥٦.

2- المصدر نفسه، ص ١٦٠.

3- سيرة أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن على، الصلابى، ص ١٥٧.

وقال أيضا: بهذه النصوص القطعية يتضح بجلاء أن لا أصل للوصية المزعومة

وأن ما أعتمد عليه الامامية هو من وضع عبد الله بن سبأ الذى هو أول من أحدث

الوصية))(1)

لقد طعن أحفاد الفصيل السياسى فى شرعية خلافة الحسن عليه السلام لأنهم كانوا يبحثون

عما يطعنون من خلاله بالتشيع فلم يجدوا أمامهم طودا سوى الحسن عليه السلام لكى يبان أثر

طعنتهم للجميع، طعنوه لأنه ركن الإمامة المعصومة لكى يبطلوا قضية النص التى

نؤمن بها بدلالة أن الصلابى سه اعترف بهذا الجهد وأقره من خلال قوله: إن من

أخطر الأمور التى ابتدعها الشيعة: الوصية، وهى أن رسول الله أوصى بالخلافة بعد

وفاته مباشرة إلى على.. ولكن بالاستقراء التأريخى لتأريخ الخلفاء الراشدين لا نجد

للوصية ذكرا(2)

وخرج الرجل بنتيجة مفادها: إن مسألة النص لا تثبت بأى وجه من الوجوه،

ومسألة حصر الأئمة بعدد معين مردودة بالكتاب و السنة، كما لا يقبلها العقل ومنطق

الواقع)).(3) واجد أن الرد عليه سوف يدخلنا فى متاهات لا حصر لها لأننا ومنذ فجر

تأريخ الإسلام نكتب ويكتبون فى هذا العنوان بالذات فلم نفلح فى إقناعهم بأقوالنا

وعجزوا عن مجرد إشارة إعجابنا البسيط بأقوالهم. ولكنى لا أرغب بمغادرة هذا المبحث

قبل أن أنكر الصلابى بالحديث المتواتر الذى أخرجه جميع الذين عنوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله

والذى يذكر عدد الخلفاء الاثنى عشر من قريش لأقول له: ألا يخالف ما ادعيته تلك

النقول التى حصرت عددهم؟ إن رفض الصلابى فكرة النص على الإمام الحسن عليه السلام

1- المصدر نفسه، ص ١٦٠

2- المصدر نفسه، ص ١٥٨

3- المصدر نفسه، ص ١٦٣

ياتى مكملا للجهد القديم من أجل تقويض فكرة الإمامة من أصولها، وكانت فكرة

تكذيب النص على إمامة وخلافة الحسن عليه السلام المنفذ الذى نفذ منه!

قد يكون موضوع الخلافة واحداً من مواضع ظلم الإمام الحسن عليه السلام وما تعرض

له، فمع أن مدرسة اهل البيت عليهم السلام أوردت أحاديث كثيرة عن بيعة الحسن عليه السلام

للخلافة الدنيوية فضلا عن بيعته للإمامة الشرعية، وهذا ما أكدت عليه مدرستنا دائما،

وأكدت أن الإمام على عليه السلام حينما طعن سلمه سلاحه وسائر تراث الأنبياء الموجود لديه.

أما مدرسة الخلفاء فكانت ولا زالت ترى أن الحسن عليه السلام كان خليفة للمسلمين، ثم

انتهى دوره بعد تنازله لمعاوية وأصبح فردا من سائر الناس، بل وترى أن الحسن عليه السلام

استغل بنوته للإمام على عليه السلام ففرض نفسه على الخلافة فرضا، ويروون فى ذلك حديثا

قالوا فيه: ((إن المسلمين سالوا عليا عن خليفته فقالوا: من ستخلف علينا؟ فقال: ما

أستخلف رسول الله فأستخلف ولكن إن يرد الله للناس خيرا فسيجمعهم بعدى على

خير)) وها أنت تشم فى هذا الحديث رائحة (عام السنة والجماعة) للتدليل على أن الله أراد

بالمسلمين خيرا يوم جمعهم على معاوية بشهادة على!

ويروون حديثا آخراً قالوا فيه: إنه سئل هل يستخلف الحسن عليه السلام؟ فقال: لا

آمركم ولا أنهاكم)).

إن هذه الروايات المتحيزة وضعت وقيلت لكى تنتصر لمؤتمر السقيفة وما جاد به

من نظم استخلافية امتدت على مدى أكثر من ثلاثين عاما من عمر الإسلام، ولكنها

بدت فى منتهى الوهن وهى تصطدم بحقيقة بيعة الإمام الحسن عليه السلام للخلافة فى وقت

رأى فيه مروجوها أن هناك فى المجتمع الإسلامى من هم أكثر استحقاقا من الإمام

الحسن عليه السلام، إذن لابد وأن تكون هناك بيعة شرعية عتم عليها السياسيون هى التى

جاءت بالحسن عليه السلام إلى السلطة متجاوزا من كانوا يرونهم أهلا لها.

أما الروايات التى تتحدث عن بيعة بدت كرد فعل عل مقتل الإمام على عليه السلام فهى

لا تقل وهنا عن سابقاتها، حيث تنقل الروايات التأريخية أن المسلمين فزعوا بعد موت

الإمام على عليه السلام وأجمعوا أمرهم على مبايعة الحسن عليه السلام، فاجتمعوا فى جامع الكوفة سنة

(٤٠) من الهجرة فى صباح (٢١) رمضان، وقدم قيس بن سعد وعبد الله بن عباس

الإمام للخلافة وبايعاه. أو كما يقول اليعقوبى: ((واجتمع الناس فبايعوا الحسن بن

على))(1) وكان ابن قتيبة الدينورى أكثر وضوحا حتى أنه وصف مبايعة الإمام الحسن

وكأنها من سنخ بيعة أبيه يوم ثار الناس إلى مبايعته فيقول: ((وذكروا أنه لما قتل على بن

أبى طالب ثار الناس إلى الحسن بن على بالبيعة))(2)

أما باقى المؤرخين فإما أنهم أوردوا الخبر مموها كما فى قول ابن الأثير فى الكامل

فى حديثه عن سنة أربعين: ((وفى هذه سنة،أعنى سنة أربعين، بويع الحسن بن على

بعد مقتل أبيه))(3) وقول الطبرى فى حديثه عن سنة أربعين هجرية: اوفى هذه السنة،

أعنى سنة أربعين بويع للحسن بن على عليه السلام بالخلافة))(4) ثم فى رواية أخرى حصر

بيعة الحسن بأهل العراق وحدهم دون غيرهم من المسلمين، فقال: ((واستخلف

أهل العراق الحسن بن على عليه السلام على الخلافة))(5) وكأنه يريد أن يوحى بأن أهل العراق

وحدهم اختاروا الحسن عليه السلام خليفة؛ وبالتالى من حق الشام أن تختار معاوية خليفة،

1- تاريخ اليعقوبى ج٢،ص ١٤٩

2- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، ج١ ، ص ١٨٣

3- الكامل فى التاريخ، ابن الأثير، ج٣،ص ٣٥٠

4- تاريخ الطبرى، ج٣، ص ٩٤١

5- المصدر نفسه

ومكة أن تختار ابن الزبير خليفة! ناسيا أن العراق كانت عاصمة الخلافة وما يحدث فيها

يمثل جميع الأمصار إلى أن تتضح مواقفها.

إن هذا التنوع ليس بريئا بالمرة، ولا يمكن اعتباره من الحديث المسترسل لأنه كان

قد أنتقى بدقة ليعبر عن منهج سياسى يمثل رسالة فكرية يجب تمريرها إلى الأجيال

اللاحقة. وهو من سنخ مسعاهم الكبير للتضليل على واحد من أشهر أحاديث النبى

الأكرم صلى الله عليه و آله المستقبلية التى قالها محذرا الأمة، ولكن السياسيين امتصوا وهج الحديث، ثم

نقلوه بعد حين وكأنه مجرد حديث خرافة، مع أن كتب الحديث المشهورة نقلته وشرحته

فى أكثر من مكان ولأكثر من سبب واستنبطوا منه إحكاما شرعية يتعبدون بها. فقد ثبت

فى الصحيحين من رواية عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، عن النبى صلى الله عليه و آله: ((يكون

اثنا عشر خليفة كلهم من قريش)).

وهو الحديث الذى رواه أبوداود من طريق آخر (عن جابر بن سمرة سمعت

رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون. وفى رواية: لا تزال هذه الأمة

مستقيماً أمرها ظاهرة على عدوها حتى يمضى منهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش،

قالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: ثم تكون الفرج فهؤلاء المبشر بهم فى الحديثين ليسوا الاثنى

عشر الذين زعم فيهم الروافض ما يزعمون من الكذب والبهتان وأنهم معصومون،

لأن أكثر أولئک لم يل أحد منهم شيئاً من أعمال هذه الأمة فى خلافة، بل ولا فى قطر من

الأقطار ولا بلد من البلدان، وإنما ولى منهم على وابنه الحسن بن على.))(1)

ولذا تجد ابن كثير يقول تحت عنوان (ليس المقصود بالخلفاء القرشيين الاثنى عشر

أولئک الذين تتابعوا بعد الرسول صلى الله عليه و آله)سرداً: ا(وليس المراد من هؤلاء الاثنى عشر الذين

1- النهاية فى الفتن والملاحم لابن كثير، ص ٨

تتابعت ولا يتهم سرداً إلى أثناء دولة بنى أمية لأن حديث سفينة: (الخلافة بعدى ثلاثون سنة) يمنع من هذا الملك، وإن كان البيهقى قد رجحه وقد بحثنا معه فى كتاب دلائل النبوة فى كتابنا هذا بما أغنى عن إعادته ولله الحمد، ولكن هؤلاء الأئمة الاثنى عشر وجد منهم الأئمة الأربعة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على وابنه الحسن بن على أيضاً، ومنهم عمر بن عبد العزيز كما هو عند كثير من الأئمة وجمهور الأمة ولله الحمد، وكذلك وجد منهم طائفة من بنى العباس وسيوجد بقيتهم فيما يستقبل من الزمان حتى يكون منهم المهدى المبشر به فى الأحاديث الواردة فيه كما سيأتى بيانها وبالله المستعان وعليه التكلان، وقد نص على هذا الذى بيناه غير واحد كما قررنا ذلك))(1) وهكذا تتضح الأسباب الحقيقية التى تعللوا بها للإعلان عن تنازل الحسن عليه السلام عن الإمامة الدينية كتحصيل حاصل لتنازله عن الإمامة الدنيوية، وهذا خلط كبير غير مستساغ، ولكن السياسة تستسيغ عادة ما لا يستسيفه الدين.

1- المصدر نفسه، ابن كثير

التلاعب بتأريخ وفاته

وكما كثرت الأقوال فى تأريخ مولده الشريف؛ كثرت كذلک فى يوم وشهر وسنة

وفاته، وفى مدة عمره الشريف؛ ليس من قبل المؤرخين وحدهم بل حتى من مشاهير

وأعاظم العلماء مثل الكليتى والمفيد والطبرسى وغيرهم، وهذا التخبط مصدره تلک

الروايات التى وضعها السياسيون وثبتها المؤرخون الموالون لهم فى كتب التأريخ؛

فاختلط الأمر على من جاء بعدهم، وباتت معرفة الحقيقة أشبه بالمستحيل.

فعن يوم الوفاة قالوا: قبض مسموماً على يد زوجته جعدة بنت الآشعث بتخطيط

من معاوية وذلک فى السابع من صفر. وقالوا: فى يوم الخميس لليلتين بقيتا من صفر.

وقالوا: لخمس خلون من ربيع الأول. وقالوا: لخمس بقين من ربيع الأول.

وعن شهر الوفاة قالوا: قبض فى ربع الأول لخمس بقين منه. وقيل: فى صعر

لليلتين بقيتا منه. وقيل فى السابع منه. وقيل: فى العاض من المحرم يوم الأحد.

وعن سنة وفاته قالوا: توفى سنة أربعين. توفى سنة أربع وأربعين. توفى سنة خمس

وأربعين. توفى سنة ست وأربعين. توفى سنة سبع وأربعين. توفى سنة ثإن وأربعين. توفى

سنة تسع وأربعين، كما فى قول ابن الأثير وابن حجر فى تهذيب التهذيب وأبو الحسن

المدائنى كما نقل عنه المعتزلى فى شرح النهج، والمسعودى فى التنبيه والإشراف. توفى

سنة خمسين كما فى قول الزبير بن بكار الذى نقله المعتزلى(1) توفى سنة إحدى وخمسين،

1- ينظر: شرح نهج البلاغة، مجلد ٤ ، ج ١٦ ، ص ٤

وذهب إلى ذلک الخطيب البغدادى فى تأريخه وابن قتيبة فى الإمامة والسياسة. وآخرها

قولهم: إنه توفى سنة ثمان وخمسين من الهجرة.

معنى هذا أن هناک عشرة تواريخ محتملة لسنة وفاته عليه السلام ويأنى هذا التناقض مع

أهمية وفاة الحسن عليه السلام بوصفها واقعة بالنسبة إلى محبيه وشيعته من جانب، وإلى مبغضيه

وأعدائه من جانب آخر بما يبدو وكأن هذا التناقض الصارخ ليس من اعتباطية المؤرخين

وعدم دقة الرواة، وإنما هو عمل محكم الصنع من تخطيط السياسيين الذين اعتقدوا أن

الفوضى الخلاقة التى أوقعوها فى مجمل سرة الإمام الحسن عليه السلام سوف تصنع حجابا

سميكا بينه وبين تأريخ الأمة فلا يذكره التأريخ إلا بقصص مملوءة بالشک القائم على

مبدأ (قالوا) و (قيل) و(يقال) من دون أن يعرف من يقف وراء هذه الأقوال الخفية.

وتبعا لذلک خلقوا الاختلاف فى تأريخ استشهاده وفى مدة عمره الشرف عند موته،

فقالوا: مات وله من العمر سبع وأربعون سنة، أو ست وأربعون وأربعة أشهر وثلاثة

عشر يوما، وقيل غير ذلک.

ومن الغريب والمدهش أن تجد هذه التناقصات فى عمدة كتب تأريخ الإسلام بما

يدعو إلى الدهشة والاستغراب، صحيح أن مثل هذا التناقض ليس غريبا على تأريخنا

الذى يمكن وصفه بأنه تأريخ لتناقضات؛ ولكنه من حيث حجم التناقض لم يكن

بالشكل الذى مر فى سيرة الإمام الحسن عليه السلام وهذا يؤكد دور السياسيين العرب فى صنع

هذا الإرباک المتعمد، وفى أدناه مقتطفات من أقوال المؤرخين الكبار عن هذا التناقض:

ففى حديثه عن سنة تسع وأربعين هجرية قال ابن الأثر: ((وفى هذه السنة توفى

الحسن بن على سمته زوجته جعدة بنت الاشعث بن قيس الكندى))(1)

1- الکامل فی التاریخ، ج۳، ص۴۰۲

وقال الاصفهانی: ((واختلف فی مبلغ سن الحسن وقت وفاته... عن هشام بن سالم

وجمیل بن دراج، عن جعفر بن محمد: أنه توفی وهو ابن ثمان وأربعین سنة... عن عبد الله

بن مشکان عن ابی بصیر عن جعفر بن محمد: أن الحسن توفی وهو ابن ست وأربعین))(1)

وقال المسعودی: ((وتوفی بالمدینة مسموماً فیما ذکر فی شهر ربیع الأول سنة ٤٩،

وله ست واربعون سنة))(2)

وقال السیوطی: ((وکانت وفاته سنة تسع وأربعین، وقیل فی خامس ربیع الأول

سنة خمسین وقیل: سنة إحدی وخمسین))(3)

وفی الجزء الأول من کتابه فجر الإسلام أورد أحمد أمین جدولا بأهم الأحداث فی

ذلک العصر؛ مبتدأ بسنة (١٢) هجریة التی مات فیها رسول الله صلی الله علیه و آله، وحینما وصل إلی

سنة (٤٩) هجریة أثار إلی أف موت الإمام الحسن وقع فیها))(4)

وفی تأرخیه قال الیعقوبی: ((وتوفی الحسن بن علی فی شهر ربیع الأول سنة ٤٩))(5)

وفی مقاتل الطالبیین قال الأصفهانی: ((عن أبی بکر بن حفص، قال: توفی الحسن بن

علی وسعد بن أبی وقاص فی أیام بعدما مضی من إمارة معاویة عشر سنین، وکانوا یرون

أنه سقاهما سما))(6) أی أنهما ماتا سنة خمسین للهجرة.

وفی البدایة والنهایة قال ابن کثیر: (وقال شعبة، عن أبی بکر بن حفص قال: توفی

1- مقاتل الطالبین، الأصفهانی، ص٨٣

2- التنبیه والإشراف، المسعودی، ص ٢٦٠

3- تاریخ الخلفاء،السیوطی، ص ١٩٢

4- ینظر: فجر الإسلام، أحمد أمین، جزء١ ، ص٣٧٤

5- تاریخ الیعقوبی، ج٢، ص156

6- مقاتل الطالبین، مصدر سابق، ص٨٠_٨١

سعد والحسن بن على فى أيام بعد ما مضى من إمارة معاوية عشر سنين. وقال ابن علية

عن جعفر بن محمد، عن أبيه قال: توفى الحسن وهو ابن سبع وأربعين. وكذا قال غير

واحد، وهو أصح. والمشهور أنه مات سنة تسع وأربعين كما ذكرنا، وقال آخرون: مات

سنة خمسين. وقيل: سنة إحدى وخمسين أو ثمان وخمسين))(1)

وفى الإصابة قال ابن حجر العسقلانى: قال الواقدى: مات سنة تسع وأربعين،

وقال المدائنى: مات سنة خمسين، وقيل: سنة إحدى وخمسين، وقال الهيثم بن عدى:

سنة أربع وأربعين، وقال ابن مندة: مات سنة تسع وأربعين، وقيل: خمسين، وقيل: سنة

ثمان وخمسين))(2)

وفى المستدرک قال الحاكم: ((أخبرنى إسماعيل بن محمد بن الفضل الشعرانى، حدثنا

جدى، حدثنا إبراهيم بن المنذر، حدثنى أبو واقد قال: توفى أبو محمد الحسن بن على بن

أبى طالب فى ربع الأول سنة تسع وأربعين))(3)

بالمناسبة وجدت هذا التباين فاشيا فى مدرستنا كذلک ربما نتيجة الصخب الذى

أحدثه السياسيون فى رواياتهم الغريبة؛ حيث يرى الشيخ محمد اليعقوبى أن الإمام الحسن

((استشهد فى السابع من صفر سنة ٥٠ للهجرة... وكان عمره (٤٧) عاما ومدة إمامته

عشر سنوات))(4) ويرى الشيخ أحمد محمد إسماعيل أنه: ((استشهد فى الثامن والعشرين

من شهر صفر فى السنة الخمسين للهجرة النبوية الشريفة))(5)

1- البداية والنهاية،إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى، ج٨ ، ص ٢١٣

2- الإصابة، ترجمة الحسن بن على، ج١، ص٣٧٧

3- المستدرک، الحاكم،ج٣،ص٣٨٨، حديث ٤٧٩٠

4- دور الأئمة فى الحياة الإسلامية، ص ٣٣٨

5- صلح الحسن غدير عز ولغز جهاد، الشيخ احمد محمد إسماعيل، ص 15

إن التشكيک بعمر الإمام الحسن عليه السلام كان مشروعا سياسيا بحتا ربما لم يلتفت إليه

الكثير من الباحثين. ومحاولة السياسيين خلط الأوراق والتشويش على ذهنية المتلقى

هو الذى دفعهم إلى استحداث تواريخ عديدة لتضيع معها الحقيقة فيهون أمر الإمام

الحسن عليه السلام على الناس، ودليلى فى ذلک قصة يرويها ابن قتيبة فى تأريخه تقول أن معاوية

كان يتابع تدهور حالة الإمام الحسن عليه السلام الصحية بعد أن سقاه السم، وأنه كان يتلقى

تقريرا إخباريا يوميا يبعثه إليه عامله على المدينة الذى أرسل له يبشره بموت الحسن عليه السلام:

((فلما أتاه الخبر أظهر فرحا سرورا حتى سجد وسجد من كان معه، فبلغ ذلک ابن

عباس وكان بالشام يومئذ فدخل على معاوية، فنما جلس قال معاوية: يا ابن عباس

هلک الحسن بن على، فقال ابن عباس: نعم هلک (إنا لله و أنا إليه رجعون) ترجيعا

مكررا، وقد بلغنى الذى أظهرت من الفرح والسرور لوفاته. أما والله ما سد جسده

حفرتک، ولا زاد نقصان أجله فى عمرک، ولقد مات وهو خير منک، ولئن أصبنا به لقد

أصبنا بمن كان خيرا منه، جده رسول الله صلى الله عليه و آله.... قال معاوية: كم أتى له من العمر؟

فقال ابن عباس: أمر الحسن أعظم من أن يجهل أحد مولده))(1)

فإذا كان عمر الحسن. أعظم من أن يجهل؛ فلماذا هذا الاختلاف؟ ألا يعنى قول

ابن عباس أن المسلمين الأوائل كانوا يعرفون تواريخ ولادة وموت الحسن عليه السلام لأنه

من الشهرة بحيث لا يمكن تجاهله أو عدم العلم به، فلماذا تختلف الأمة فيما بعد بهذا

الشكل الغريب لو لم تكن هناک مصلحة سياسية؟ وأن السياسيين هم الذين أرادوا

طمس التاريخ الحقيقى من خلال تعارض التواريخ التى وضعوها بأنفسهم؟

كما أن الأحداث التى رافقت الوفاة والدفن كانت من الأهمية بمكان لدرجة

1- الإمامة والسياسة، مصدر سابق، ص ١٩٦.١٩٧

أنه يستحيل نسيانها بسهولة ويسر وقد حدث هذا فى زمن كان الناس يؤرخون تبعا

للأحداث فإذا أرادوا الحديث عن تاريخ واقعة أو أمر مهم قالوا: حدث يوم كذا

يشيرون إلى الواقعة المهمة؛ لتفهم الناس تاريخ الحدث، فضلا عن ذلک كانت الكتابة

منتشرة، وكان التاريخ الهجرى معمولا به. وفى كتب الحديث وكتب التاريخ والسيرة

عشرات بل مئات الروايات التى تقول: إن نساء بنى هاشم ما بطلن النوح على الإمام

الحسن عليه السلام لأكثر من شهر، وهناک رواية تقول أن مطلقاته لزمن الحداد عليه لمدة عام

كامل، وعامة الناس ظلوا يبكون عليه زمنا طويلا، والأسواق معطلة، وذلک كله موثق

ومكتوب، ففى المستدرک عن حداد الهاشميات: ((عن أم بكر بنت المسور قالت: كان

الحسن بن على عليه السلام سم مرارا كل ذلک يفلت حتى كانت المرة الأخرة التى مات فيها

فإنه كان يختلف كبده فلما مات أقام نساء بنى هاشم النوح عليه شهرا))(1)

وفيه عن بكاء الناس وتعطل الأسواق: ((قال ابن عمر: وثنا جعفر بن عمر عن أبى

جعفر قال: مكث الناس يبكون على الحسن بن على وما تقوم الأسواق))(2)

وفى الروايات: ((فقد بعث الهاشميون إلى العوالى والقرى المحيطة بيثرب من

يعلمهم بموت الإمام، فنزحوا جميعاً إلى يثرب ليفوزوا بتشيع الجثمان العظيم))(3)

وهرع أبو هريرة وهو باكى العين مذهول اللب إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله وهو

ينادى بأعلى صوته: يا أيها الناس! مات اليوم حب رسول الله صلى الله عليه و آله فابكوا.(4)

وقالوا: وهرع من فى يثرب. وقد حدث ثعلبة ابن مالک عن كثرة المشيعين فقال:

1- المستدرک، الحاكم، حديث ٤٨٠٤/ ٤٠٢،ص ١٨٩،ج٣

2- المصدر نفسه

3- تاريخ ابن عساكر، ج ٨، ص ٢٢٨

4- تهذيب التهذيب، ج٢، ص ٣٠١، وتاريخ ابن عساكر، ج ٤، ص ٢٢٧

((شهدت الحسن يوم مات، ودفن فى البقيع، ولو طرحت فيه إبرة لما وقعت إلاعلى رأس

إنسان))(1) وقالوا: إن البقيع يومها ما كان يسع أحداً من كثرة الناس.

هذه المظاهرة، وهذا الحشد الكبير، وهذا التجتمع الغريب لا يمكن أن يضيع وقته

وساعته ويومه وشهره وسنته فتختفى أخباره عن الناس إلا إذا ما كان هنالک من تعمد

تضييعه لأسباب خاصة. فضلا عن ذلک هناک جزئيات أخرى لها علاقة وثيقة بالحدث

تزيد أشتهاره وانتشاره ومنها الحديث عن حداد نساء الإمام الحسن عليه السلام المزعومات،

وعن حداد نسائه عليه: قال ابن عمر: ((وحدثنا عبيدة بن نائل عن عائشة بنت سعد،

قالت: حد نساء الحسن بن على سنة))(2)

لاحظ هنا أن الحديث الذى أوردوه على لسان ابن عمر يتحدث عن حداد نساء

الحسن خاصة ويغفل الحديث عن حداد نساء بنى هاشم؛ وهو امر لا يمكن متابعته

وحصره ميدانيا حتى من قبل القوات الأمنية المعاصرة المدربة، ولا يمكن التصديق

به عقليا ولاسيما وأن تلک النسوة لابد وإن يكن قد تزوجن بعد طلاقهن منه هذا إذا

سايرناهم جدلا على قدر عقولهم بموضع الزواج والطلاق الكبيرين بما يبدو وكأن

حديثهم هنا مكمل لحديثهم عن خروج نساءه وراء جنازته حافيات حاسرات، وهذه

من نوع الأحاديث التى صنعوها للتدليل على كثرة زواجه، أما الأحاديث الصحيحة

فتذهب للحديث عن نساء بنى هاشم اللواتى طال حدادهن على إمامهن وقائدهن

الحسن عليه السلام.

كما أعتقد أن توافد الناس إلى البقيع هال وأرعب السياسيين ودفعم للتفكير فى أمر

1- الإصابة، ج ١، ص ٣٣٠

2- المستدرک، ص ١٨٩،ج٣

يهون كثرة الجمع؛ فادعوا أن شدة الزحام يوم تشيع الإمام الحسن عليه السلام نشأت من كون مطلقاته البالغ عددهم أكثر من ثلاثمائة أو تسعمائة مطلقة ((خرجن كلهن خلف جنازته لتوديعه وتشييعه؛ وهن حافيات حاسرات، يرددن بصوت مرتفع: نحن أزواج الإمام الحسن))(1)

إن السياسيين هم الذين أخفوا مظاهر حزن النساء الهاشميات على سيدهن الإمام الحسن عليه السلام؛ واستعاضوا عنه بالحديث عن مظاهرة مطلقات الإمام لأغراض سياسية تشويهية بحتة، ومع كل ذلك عبرت بعض الأخبار الصحيحة حاجز المنع ودخلت عنوة إلى بطون كتب التاريخ لتعلن أن نساء ورجال المدينة عامة هم الذين خرجوا فى تشيع الإمام عليه السلام؛ قال ابن كثير: ((وقد اجتمع الناس لجنازته، حتى ما كان البقيع يسع أحدا من الزحام، وقد بكاه الرجال والنساء سبعا، واستمر نساء بنى هاشم ينحن عليه شهرا، وحدت نساء بنى هاشم عليه سنة))(2) وفى رواية أخرى وقال الواقدى: ((حدثتنا عبيدة بنت نابل، عن عائشة قالت: حد نساء بنى هاشم على الحسن بن على سنة))(3)

وهذا يؤكده أنهم بعد أن استجاب الإمام الحسن عليه السلام إلى نداء الله سبحانه وتعالى ليصطفيه إلى جانبه فودع الدنيا غير آسف عليها، استراحوا من هم عظيم، ولكنهم استمروا فى عداوتهم للإمام عليه السلام وأظهروا كل حقدهم لكى يرتكبوا واحدة من أكبر جرائم التاريخ ضد هذا الإنسان العظيم ليودعوه بها وهو محمول إلى قبره الشريف.

بمعنى أنهم ارتعبوا من كثرة المشيعين فأرادوا تشويه هذه المناسبة بالإدعاء بأن الازدحام تولد من تواجد مطلقات الإمام الحسن عليه السلام اللواتى كن يصرخن: (نحن

1- ينظر: أبوطاب المالكى (ت ٣٨٠) فى قوت القلوب

2- البداية والنهاية،إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى، ج٨، ص٢١٢

3- المصدر نفسه، ابن كثير، ج ٨، ص ٢٠٨

مطلقاته) ولا أدرى ما المقصود بذلک، وهذا يؤكد أنهم ارادوا ضرب عدة عصافير

بحجر واحد، الأول: التهوين من حجم المشيعين. الثانى: تأكيد خرافة كثرة الزوجات.

ص :261

تشكيكهم بطريقة موته

أشارت أهم وأغلب كتب التاريخ إلى أن الإمام الحسن عليه السلام مات مسموما، وهوأمر يفضح كيد السياسيين ومكرهم وخداعهم، ويبين أنهم لا يأمنون من يختلفون معه إلا إذا أرسلوه إلى القبر، ومن أكداس كتب التاريخ التى أوردت قصة السم، اخترت بعضا لأن التطرق إليها جميعا يحتاج إلى مجلد كبير. واخرت منها مستدرک الحاكم، وطبقات ابن سعد وتاريخ السيوطى والكامل لابن الأثير ومقاتل الطالبيين للأصفهانى فقط.

ففى مستدرک الحاكم: ((عن أم بكر بنت المسور قالت: كان الحسن بن على سم مرارا كل ذلک يفلت حتى كانت المرة الأخرة التى مات فيها فإنه كان يختلف كبده))(1)

وفيه رواية أخرى: ((عن قتادة بن دعامة السدوسى قال: سمت ابنة الأشعث بن قيس الحسن بن على، وكانت تحته، ورشيت على ذلک مالا))(2)

ورواية أخرى عن عمير بن إسحاق أن الحسن بن على قال: القدبلت طائفة من كبدى ولغد سقيت السم مرارا فما سقيت مثل هذا))(3)

وأخرج ابن سعد فى طبقاته بإسناده: ((إن الحن دخل كنيفاً له، ثم خرج فقال: والله لقد لفظت ساعة طائفة من كبدى قبل، قلبتها بعود كان معى، وإنى سقيت السم

1- المستدرک،الحاكم، ج٣،ص١٨٩،حديث ٤٨٠٤/٤٢

2- المصدر نفسه،ج٣،ص١٩٣، حديث 13/4815

3- المصدر نفسه، ج٣، ص ١٩٣، حديث ٤٨١٦/٤١٤

مراراً فلم أسق مثل هذا))(1) وفی روایة ثانیة: ((إن الحسن علیه السلام، قال: إنی قد سقیت السم

غیر مرة، وإنی لم أسق مثل هذه، إنی لأضع کبدی))(2)، وفی روایة ثالثة، قال: ((کان

الحسن بن عل سقی السم مراراً، کل ذلک یفلت منه، حتی کان المرة الأخرة التی مات

فیها، فإنه کان یختلف کبده.(3)

وقال المسعودی: ((وتوفی بالمدینة مسموما))(4)

وقال السیوطی فی تاریخه: ((توفی الحسن علیه السلام بالمدینة مسموما، سمته زوجته جعدة

بنت الاشعث بن قیس، دس إلیها یزید بن معاویة أن تسمه فیتزوجها))(5)

وقال ابن الأثیر فی الکامل، فی حدیثه عن ستة تسع وأربعین: ((فی هذه الستة توفی

الحسن بن علی، سمته زوجته جعدة بنت الأشعث بن قیس الکندی))(6)

وفی مقاتل الطالبیین، قال الأصفهانی: ((و أراد معاویة البیعة لابنه یزید، فلم یکن

شیء أثقل من أمر الحسن بن علی وسعد بن ابی وقاص، فدس إلیهما سما فماتا منه))(7) وفی

روایة ثانیة: ((عن مغیرة قال: أرسل معاویة إلی ابنة الأشعث إنی مزوجک بیزید ابنی علی

أن تسمی الحسن بن علی وبعث إلیها بمائة ألف درهم فقبلت وسمت الحسن))(8) وفی

روایة أخری: ((عن عمر بن إسحاق، قال: کنت مع الحسن والحسین فی الدار، فدخل

1- طبقات ابن سعد، القسم المفقود، تحقیق الدکتور محمد بن صامل، ج ۱ ، ص ۳۳٦

2- المصدر نفسه، ج ۱،ص ۳۳۸

3- المصدر نفسه، ج ۱،ص ۳۳۹

4- التبیه والإشراف، المسعودی، ص ۲٦۰

5- تاریخ السیوطی، ص ۱۹۲

6- الکامل فی التاریخ،ج۳،ص٤۰۲

7- مقاتل الطالبیین، ص ۸۰

8- مقاتل الطالبیین، ص ۸۱

الحسن المخرج ثم خرج فقال: لقد سقيت السم مرارا ما سقيته مثل هذه المرة، ولقد

لفظت قطعة من كبدى فجعلت اقلبها بعود معى، فقال له الحسين: من سقاكه؟ فقال:

وما تريد منه، أتريد أن تقتله؟))(1)

كل هذه الروايات ومئات غيرها لم نذكرها دفعا للإطالة أجمعت على أن الإمام

الحسن عليه السلام مات مسموما، سمه معاوية بأمر منه وبتنفيذ ابنه يزيد بالتعاون مع جعدة

بنت الأشعث زوجة الإمام عليه السلام، ولأنه من الصعب إنكار هذا الكم الكبير من الوثائق

الدامغة؛ ولكون ما فيها يمثل صفعة قوية للسياسيين وأتباعهم التاريخيين، ويمثل

تشكيكا بصدق منهجيتهم التى أرادوا للناس أن يؤمنوا بها ولأن الكثر من هذه الروايات تسللت إلى بطون التاريخ بغفلة، أو أنهم اعتمدوها بداية لإرهاب الناس

وتخويفهم مثلما تفاخروا يوم قتلوا مالک الأشتر (رحمة الله) بالطريقة نفسها، بقولهم: ا(إن لله

جنودا من عسل) فإنما لما تحولت إلى انتقاص لهم جاهدوا وجاهد من جاء بعدهم من

ذريتهم لتفنيدها لكنهم عجزوا عن رفعها ومحوها وإخفاء أثرها، وفصلا عن محاولات

القدماء هناک الكثير من المعاصرين جاهدوا بقوة لطمس آثار هذه الروايات، ومن

هؤلاء شخص معاصر هو المدعو (فيصل نور) أخذ على عاتقه مهمة التفنيد بالتأويل

والتعليل البائسين البعيدين عن ضوابط المنطق والعقل والعلم، ومما قاله فى محاولته

البائسة: ((هذا الادعاء باطل وذلک لأسباب وهى:

آ. أنه لم يثبت ولا دليل صحيح عليه وإن كان عند صاحبنا نقل ثابت عن عدل

فليرشدنا إليه لا أن يتهم صحابيا دون أن يأتى ببينة على ادعائه.

ب. كان الناس فى تلک المرحلة فى حالة فتنة تتصارعهم الأهواء وكل فرقة تنسب

1- مقاتل الطالبيين ص 81

للأخرى ما يذمها وإذا نقل لنا ذلک فيجب ألا نقبله إلا إذا نقل بعدل ثقة ضابط.

ج. لقد نقل أن الذى سم الحسن غير معاوية فقيل هى زوجته وقيل أن أباها

الأشعث بن قيس هو الذى أمرها بذلک وقيل معاوية وقيل ابنه يزيد وهذا التضارب

بالذى سم الحسن يضعف هذه النقول لأنه يعوزها النقل الثابت بذلک.

د. هذه الحجة تستسيغها العقول فى حالة رفض الحسن الصلح مع معاوية ومقاتلته

على الخلافة ولكن الحق أن الحسن صالح معاوية وسلم له بالخلافة وبايعه، فعلى أى

شىء يسم معاوية الحسن؟))(1)

والظاهر أن ارجل أدرک أن ما جاء به من كلام فارغ لا يقع الناس ولا يرضيهم

فلجأ إلى كتب التاريخ التى طعن بها فى النقطة (أ) وشككک بكل رواياتها ونقولها؛

ليقتبس منها أقوالا قد تعينه، وأوردها تحت عنوان (رد آخر على زعمهم أنه سم الحسن

بن على) ومما جاء تحت هذا العنوان قوله: ((لم يرد فى خبر وفاة الحسن بن على عليه السلام بالسم

خبر صحيح(2) أو رواية ذات أسانيد صحيحة))، وفى ما يلى أقوال أهل العلم فى هذه

المساءلة:-

• قال ابن العربى(3) فى العواصم ص ٢٢٠-٢٢١: فإن قيل: دس أى معاوية

— على الحسن من سمه، قلنا: هذا محال من وجهين:-

أحدهما: أنه ما كان ليتقى من الحسن بأسأ وقد سلم الأمر. وقوله هذا مخالف لما

1- موقع فيصل نور، الرابط http://www.fnoor.com/fn0522.htm

2- هذا الأسلوب الإقصائى ليس جديدا عليهم فابن خلدون قال فى تاريخه عن الأحاديث المهدوية: لم يصح منها شىء، والغريب أن اتباعهم يأخذون بهذه الأقوال البائسة المخالفة للعقل وينسون كل تلک النقول المشهورة التى نقلت قصص سم الحسن عليه السلام والأحاديث المهدوية!

3- أبن العربى هذا هو صاحب مقولة: إن الحسين قل بسيف جده!

أتفقت عليه الكتب التاريخية بأن معاوية كان يخاف مثلا من بأس الحسين وابن الزبير

حينما أراد أن يعقد البيعة لولده يزيد، كذلک ما جاء فى الكامل فى التاريخ ((و أراد معاوية

البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شيء أثقل من أمر الحسن بن على وسعد بن أبى وقاص. وقدمر الحديث عليكم قبل قليل.

الثانى: أنه أمر مغيب لا يعلمه إلا الله، فكيف تحملونه بغير بينة على أحد من خلقه،

فى زمن متباعد، لم نثق فيه بنقل ناقل، بين أيدى قوم ذوى أهواء، وفى حال فتنة وعصبية،

ينسب كل واحد إلى صاحبه مالا ينبغى، فلا يقبل منها إلا الصافى، ولا يسمع فيها إلا

من العدل الصميم.

•قال ابن تيمية فى منهاج السنة (٤/ ٤٦٩): وأما قوله: إن معاوية سم الحسن،

فهذا مما ذكره بعض الناس، ولم يثبت ذلک ببينة شرعية أو إقرار معتبر ولا نقل

يجزم به، وهذا مما لا يمكن العلم به، فالقول به قول بلا علم.

•قال الذهبى فى تاريخ الإسلام (عهد معاوية)(ص ٤٠): قلت: هذا شيء لا

يصح فمن الذى اطلع عليه.

• قال ابن كثير فى البداية والنهاية (43/8): وروى بعضهم أن يزيد بن معاوية

بعث إلى جعدة بنت الأشعث أن سمى الحسن وأنا أتزوجک بعده، ففعلت،

فلما مات الحسن بعثت إليه فقال: إنا والله لم نرضک للحسن أفنرضاک

لأنفنا؟ وعندى أن هذا ليس بصحيح، وعدم صحته عن أبيه معاوية بطريق

الأولى والأخرى•

•قال ابن خلدون فى تاريخه (٢ / ٦٤٩): وما نقل من أن معاوية دس

إليه الم مع زوجته جعدة بنت الأشعث، فهو من أحاديث الشيعة، وحاشا

لمعاوية من ذلک.

• وقد علق الدكتور جميل المصرى على هذه القضية فى كتابه (أثر أهل الكتاب فى الفتن والحروب الأهلية فى القرن الأول الهجرى)(ص ٤٨٢)(1)بقوله: ثم حدث افتعال قضية سم الحسن من قبل معاوية أو يزيد، ويبدو أن افتعال هذه القضية لم يكن شائعا آنذاک؛ لأننا لا نلمس لها أثرآ فى قضية قيام الحسين، أو حتى عتاباً من الحسين لمعاوية.

وفى منهجه البائس البعيد عن العلمية وشرائط البحث العلمى حاول حفيد الفصيل السياسى استخدام ساليب جديدة للدفع عن أولياء نعمته، أو فى الأقل تطويع اساليب قديمة وتجديدها من خلال التعلل مرة بتباعد الزمن، وأخرى بالادعاء ان جريمة السم أمر مغيب لا يعلمه إلا الله، وثالثة بطلب بينة شرعية أو إقرار خطى معتبر(2)، ورابعة بطلب شهود على الجريمة (هذا لا يصح فمن الذى اطلع عليه) وخامسة بتنصيب نفسه قاضيا (وعندى أن هذا ليس بصحيح) وسادسة بالادعاء ان كل الروايات التاريخية (من أحاديث الشيعة) وسابعة بتنزيه معاوية عن عالم الجريمة الذى أشتهر به (وحاشا لمعاوية من ذلک) وثامنة عصب الجريمة برأس أهل الكتاب (أثر أهل الكتاب فى الفتن والحروب الأهلية) وأجد أن هذا الاندفاع الكبير لا يخدم قضية السياسين بقدر ما يفضحهم ويفضح أسلافهم المجرمين.

بعدها جاهد فيصل نور لينفى التهمة عن جعدة زوج الحسن عليه السلام التى سمته ويبرئ ساحتها من جريمة القتل، فقال مستخدما اسلوب التعليل والتأويل والاحتمال

1- هذا الكتاب صدر عن مكتبة الدار بالمدينة المنورة وهوبالأصل رسالة جامعية.

2- وهذا ما قاله من قبل المدعو محمود الملاح فى كتابه مجموع السنة النبوية، فقد قال: لا توجد وثيقة رسمية صادرة من محكمة تثبت أن

معاوية سم الحسن.!

الموروث من ابن العربى وابن تيمية:

• هل معاوية أو ولده يزيد بهذه السذاجة ليأمرا امرأة الحسن عليه السلام بهذا الأمر الخطير، الذى فيه وضع حد لحياة الحسن بن على عليهما السلام غيلة، وما هو موقف معاوية أو ولده أمام المسلمين لو أن جعدة كشفت أمرهما؟!

• هل جعدة بنت الأشعث بن قيس بحاجة إلى شرف أو مال حتى تسارع لتنفيذ هذه الرغبة من يزيد، وبالتالى تكون زوجة له، أليست جعدة ابنة أمير قبيلة كندة كافة وهو الأشعث بن قيس، ثم أليس زوجها وهو الحسن بن على عليهما السلام أفضل الناس شرفاً ورفعة بلا منازعة، إن أمه فاطمة وجده الرسول صلى الله عليه وآله وكفى به فخراً، وأبوه على بن أبى طالب أحد العشرة المبشرين بالجنة ورابع الخلفاء الراشدين، إذا ما هو الشىء الذى تسعى إليه جعدة وستحصل عليه حتى تنفذ هذا العمل الخطير؟!

وفى طريقه تذكر سيده معاوية الذى يترضى عليه كلما مر ذكره ولا يترضى على على والحسن عليهما السلام؛ فقرر الدفاع عنه كذلك تأكيدا فى النفى، ومما قاله:

• لقد وردت الروايات التى تفيد أن الحسن قال: ((لقد سقيت السم مرتين))، وفى رواية ثلاث مرات، وفى رواية ((سقيت السم مراراً))، هل بإمكان الحسن أن يفلت من السم مراراً إذا كان مدبر العملية هو معاوية أو يزيد؟! نعم إن عناية الله وقدرته فوق كل شىء، ولكن كان باستطاعة معاوية أن يركز السم فى المرة الأولى ولا داعى لهذا التسامح مع الحسن المرة تلو المرة!!

• وإذا كان معاوية يريد أن يصفى الساحة من المعارضين حتى يتمكن من مبايعة يزيد بدون معارضة، فإنه سيضطر إلى تصفية الكثير من أبناء اصحابة، ولن

تقتصر التصفية على الحسن فقط.

• وإن بقاء الحسن من صالح معاوية فى بيعة يزيد، فإن الحسن كان كارهاً للنزاع

وفرقة المسلمين، فربما ضمن معاوية رضاه، وبالتالى يكون له الأثر الأكبر فى

موافقة بقية أبناء الصحابة.

• ثم إن هناك الكثير من أعداء الحسن بن على عليه السلام، قبل أن يكون معاوية هو

المتهم الأول، فهناك السبئية الذين وجه لهم الحسن صفعة قوية عندما تنازل

عن الخلافة لمعاوية وجعل حداً لصراع المسلمين، وهناك الخوارج الذين

قاتلهم أبوه على بن أبى طالب عليه السلام فى النهروان وهم الذين طعنوه فى فخذه،

فربما أرادوا الانتقام من قتلاهم فى النهروان وغيرها.

و ألحظ فى هذه التعليلات الأربعة البائسة أن الرجل نسى ما كان عليه ذلك المجتمع

فظن جهلا أن نفس الآلات والمعدات والمختبرات الموجودة اليوم كان موجودا مثلها

عند الأقدمين، وأن لهم قدرة التحكم بدرجة التركيز ودرجة السمية فى المادة كما هوعليه

اليوم فقال فى الفقرة الأولى: (كان باستطاعة معاوية أن يركز السم فى المرة الأولى ولا

داعى لهذا التسامح مع الحسن عليه السلام المرة تلو المرة) وهو هنا يفضح جهله وشدة تعصبه

وانحيازه الكبير وعدم عدالته. فلقد أثبتت النقول أنهم سموا الحسن مرات ومرات

وأن معاوية ويزيد جربوا قتله بانواع السموم فلم تفلح كلها، وفلحت الأخيرة بقتله

فاشتهرت وعرفت، إن الإمام الحسن عليه السلام اعترف بنفسه أن معاوية دس له السم أكثر من

مرة، ومنها ثلاث مرات ممتالية، كما فى قوله لأخيه الحسين: ((يا أخى إن هذه آخر ثلاث

مرار سقيت فيها السم، ولم أسقه مثل مرتى هذه..)) (1)

1- تاريخ اليعقوبى. ج2. ص156

وأثبتت نقول أخرى أن السياسيين وبالرغم من تأخرهم العلمى لم يعدموا وسيلة

الحصول على سم قوى، وهم فعلا كانوا يبحثون عن مواد شديدة السمية تؤثر فى

الحسن عليه السلام وتقتله بعد أن فشلت المرات السابقة؛ وباعتراف الإمام الحسن عليه السلام للرجل

الذى سأله: أفلا تتداوى؟ قال: ((قد سقانى مرتين، وهذه الثالثة لا أجد لها دواء. ولقد

رقى إلى أنه كتب إلى ملك الروم يسأله أن يوجه إليه من السم القتال شربة، نكتب إليه

ملك الروم: إنه لا يصلح لنا فى ديننا أن نعين على قتال من لا يقاتلنا! فكتب إليه معاوية:

إن هذا ابن الرجل الذى خرج بأرض تهامة وقد خرج يطلب ملك أبيه وأنا أريد أن

أدس إليه من يسقيه ذلك فأريح العباد والبلاد منه)).(1)

وقوله فى الفقرة الثانية فإنه سيضطر إلى تصفية الكثير من أبناء الصحابة)) دفاع

فاشل واستغفال للعقل المسلم و إلا فالقاصى والدانى يعرف الجرائم الوحشية الكبيرة

التى ارتكبها معاوية بحق اصحابة وأبنائهم وكل من عارضه وأعترض عليه، فلماذا

هذا التعتيم والكذب؟

وقوله: إن بقاء الحسن عليه السلام يصب فى صالح رغبة معاوية تعيين ابنه يزيد خليفة

باعتبار أن موافقة الحسن عليه السلام علب بيعة يزيد يشجع باقى أبناء الصحابة للموافقة

أو كما قال: ((فربما ضمن معاوية رضاه، وبالتالى يكون له الأثر الأكبر فى موافقة بقية

أبناء الصحابة)) فذلك تدليس كبير جدا لأنه قبل غيره يعرف أن من شروط الإمام

الحسن عليه السلام فى الصلح أن تكون البيعة له أو للحسين، فكيف يوافق على بيعة يزيد؟

أما اتهامه للسبئية والخوارج بجريمة سم الحسن عليه السلاموقوله: فربما أرادوا الانتقام

من قتلاهم فى النهروان)) فهو اعتراف كامل بجريمة السم التى يريد نفيها، فكيف ينكر

1- الاحتجاج. الطبرسی. ج2. ص72

الجريمة ثم يعصبها برأس هؤلاء حتى لو فرضنا جدلا وجودهم؟ علما أنه اعترف من قبل بوقوع الجريمة كما فى قوله الذى مر علينا قبل قليل: ((لقد نقل أن الذى سم الحسن غير معاوية فقيل هى زوجته وقيل أن أباها الأشعث بن قيس هو الذى أمرها بذلك وقيل معاوية وقيل ابنه يزيد وهذا التضارب بالذى سم الحسن يضعف هذه النقول)).

المهم أن الرجل لم يكتف بكل ما قدم فلجأ إلى مناقشة الجانب الطبى فى روايات السم استنادا إلى رأى الطب الحديث بالرغم من اعتقاده أن ما جاء به من احتمالات وفرضيات قد برأ معاوية من جريمة القتل، ولاتمام اللعبة لجأ إلى طبيب من أعوانهم من جماعة هجرة العمالة الوافدة يعمل فى السعودية ويتقاضى مرتبه من خزينتها التى لا تمنح نقودها إلا لمن يسير على نهجها؛ عسى أن يأتى بما يدعم تلك الأقوال الشاذة، فقال: ((هذا؛ وبعرض النصوص المتعلقة بالجانب الطبى فى هذه المسألة على أ.د. كمال الدين حسين الطاهر أستاذ علم الأدوية كلية الصيدلة جامعة الملك سعود بالرياض (يستعين به لاتمام اللعبة)، فقال: بعدما تبينت براءة معاوية وابنه يزيد من تهمة سم الحسن بن على عليه السلام، فيما سبق من أقوال العلماء، وما سردناه من تحليلات، نأخذ رأى الطب)) وفعلا كان الدكتور على قدر كبير من (الأمانة) يتناسب مع كبر خوفه على مرتبه وموارده المالى الكبير، فقال فى جوابه المضحك المبكى: ((لم يشتك المريض أى الحسن بن على عليه السلام من أى نزف دموى سائل، مما يرجح عدم إعطائه أى مادة كيميائية أوسم ذات قدرة على إحداث تثبيط لعوامل تخثر الدم، فمن المعروف أن بعض الكيميائيات والسموم، تؤدى إلى النزف الدموى؛ وذلك لقدرتها على تثبيط التصنيع الكبدى لبعض العوامل المساعدة على تخثر الدم، أو لمضادات تأثيراتها فى عملية التخثر؛ ولذلك فإن تعاطى هذه المواد سيؤدى إلى ظهور نزف دموى فى مناطق متعددة من أعضاء الجسم مثل العين والأنف والفم والجهاز المعدى — المعوى — وعند حدوث النزف الدموى فى الجهاز المعدى —

المعوى - يخرج الدم بشكل نزف دبرى سائل، منفرداً أو مخلوطاً مع البراز، ولا يظهر فى شكل جمادات أو قطع دموية صلبة كانت أو إسفنجية، أو فى شكل (قطع من الكبد)، ولذلك يستبعد إعطاء ذلك المريض أحد المواد الكيميائية، أو السموم ذات القدرة على إحداث نزف دموى)).

وعن طبيعة قطع الدم المتجمدة التى أشارت الروايات إلى أنها قطع من الكبد، يقول أ.د. كمال الدين حسن الطاهر: ((هناك بعض أنوع سرطانات أو أورام الجهاز المعدى — المعوى — الثابتة أو المتنقلة عبر الأمعاء، أو بعض السرطانات المخاطية التى تؤدى إلى النزف الدموى المتجمد، المخلوط مع الخلايا، وبطانات الجهاز المعدى — المعوى — وقد تخرج بشكل جمادات (قطع من الكبد كما فى الروايات)، ولذلك فإنى أرجح أن ذلك المريض قد يكون مصاباً بأحد سرطانات، أو أورام الأمعاء). راجع كتاب: مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى للدكتور خالد الغيث ص395 — ٣٩٧))

ولا أدرى لم رفض الرجل الأخذ بكل الروايات عن جريمة السم وأختار الروايات التى تتحدث عن قطعة الكبد بالرغم من أن المقصود ليس الغدة الكبدية نفسها وإنما يقصد قطع الدم المتخثر بتأثير السم، وما دام يريد اقناعنا بأقوال الأطباء أنصحه ليسألهم عن تأثير السم فى تخثير الدم لكى لا يقع فى مثل هذا الوهم كل مرة.

ثم لما عجز حتى عن إقناع نفسه بعد كل ما جاء به من غث وخلط وتدليس ومن استعان به من الأطباء والمنجمين والسحرة؛ قال متملصا من المسؤولية وبفس أسلوب ابن العربى فى العوصم من القوصم: ((وإن ثبت موت الحسن عليه السلام بالسم فهذه شهادة له وكرامة فى حقه كما قال بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهاج السنة ٤/ ٤٢))(1)

1- موقع فيصل نورhttp://www.fnoor.com/fn0522.htm

ويذكرنى هذا القول بما جاء فى منشور أصدرته إحدى التنظيمات الإرهابية فى العراق وأسمها (جيش محمد) بعد ٢٠٠٣ تحدثت فيه عن المقابر الجماعية التى تم اكتشافها فى أنحاء متعددة من العراق؛ وادعت أن أهل الضحايا الذين عثر عليهم فى المقابر الجماعية يجب أن يفرحوا لأن أبناءهم إذا كانوا مؤمنين سوف يذهبون إلى الجنة! هكذا بكل وقاحة يترجم المعاصرون ما أقترفه الأقدمون من أعمال منافية للأخلاق والدين ويطرحونها للتعامل والتداول مع كل ما تسببه من انحرافات نفسية وأخلاقية على الفرد والمجتمع.

ومن هؤلاء الذين تلاعبوا بجرائم السياسيين أيضا وأنا هنا لا أريد إحصاءهم وإنما أورد نتفا من أقوالهم كان الدكتور على محمد الصلابى الذى كتب تحت عنوان (هل يصح اتهام معاوية بسم الحسن بن على عليه السلام) حيث قال عن رواية ابن سعد فى الطبقات عن حادثة السم: ((ذكرت بعض الروايات أن الحسن بن على توفى متأثرا بالسم الذى وضع له، وقد اتجهت أصابع الاتهام نحو زوجة الحسن جعدة بنت قيس أمير كندة، فهذه أم موسى سرية على تتهم جعدة بأنها لمدت السم للحسن، فاشتكى منه شكاة.... وهذه الرواية إسنادها لا يصح وهى ضعيفة))(1)

وقال أيضا عن الرواية الموجودة فى تهذيب الكامل: ((وحاول بعض من الأخباريين والرواة أن يوجدوا علاقة بين البيعة ليزيد و وفاة الحسن، وزعموا أن يزيد بن معاوية أرسل إلى جعدة بنت قيس أن سمى حسنا فإنى سأتزوجك.... وفى سندها يزيد بن عياض، ابن جعدية، كذبه مالك وغيره))(2)

1- سيرة أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين، على محمد الصلابى، ص ٣٥٣

2- المصدرنفسه، ص ٣٥٤

وقال عن الرواية التى أخرجها الأصفهانى فى مقاتل الطالبيين: ((بإسناده عن احمد

بن عبد الله بن عمار، وهو من رؤوس الشيعة، وفى أسانيده أيضا عيسى بن مهران رافضى

كذاب، قال عنه الخطيب: من شياطين الرافضة))(1)

ثم لما اعترضته الروايات التى أوردتها كتب مدرستهم قال: ((وقد وردمت هذه

الروايات فى كتب السنة بدون تمحيص، مع العلم أن أسانيد تلك الروايات ضعيفة.

وأما كتب الشيعة الامامية فى اتهام معاوية فى مقتل الحسن عليه السلام بالسم فحدث ولا حرج،

وليس لهم روايات صحيحة يعتمد عليها، والقوم متخصصون فى الكذب والبهتان

وإلصاق التهم الباطلة والروايات الظالمة فى الطعن فى الصحابة وخصوصا معاوية))(2)

والصلابى لا يختلف كثيرا عن فيصل نور فى التدليس والكذب فالمدرسة التى

تخرجوا منها واحدة(3)، حيث لجأ بعد أن أظناه اللهاث خلف السراب الكاذب مثل

صاحبه إلى نفس أقوال المنحرفين من الطائفيين الحاقدين على المنهج الامامى مثل ابن

العربى وابن تيمية والذهبى وابن خلدون وغيرهم فأوردها مثل صاحبه، فنقل عن ابن

العربى قوله:((فإن قيل: دس على الحسن عليه السلام من سمه قلنا: هذا محال من وجهين: أنه ما

كان ليتقى من الحسن بأما وقد سلمه الأمر. الثانى: أنه أمر مغيب لا يعلمه إلا الله

فكيف تحملونه بغير بينة على أحد من خلقه فى زمن متباعد)).

ونقل عن ابن تيمية قوله: ((وأما قوله: معاوية سم الحسن، فهذا مما ذكره بعض

1- المصدر نفسه

2- سيرة أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين، على محمد الصلابى، ص ٣٥٤

3- لم اتمكن من تحديد من سرق من من، لم اتمكن من تحديد إذا ما كان فيصل نور قد سرق موضوع الصلابى أو أن الصلابى هو الذى سرق من فيصل، ولكن مجرد إثبات جريمة السرقة يؤكد بأن هناك من لا يرعوى عن فعل أى شىء فى سبيل نصرة ما يؤمن به حتى ولو كان مجرد تفاهات

الناس، ولم يثبت ذلک ببينة شرعية أو إقرار معتبر... وهذا مما لا يمكن العلم به، فالقول به قول بلا علم)).

ويقل عن الذهبى قوله: ((هذا لا يصح، فمن الذى أطلع عليه))

وقال عن رواية ابن الكثر فى النهاية ٨/ ٤٣ : ((وعندى أن هذا ليس بصحيح))

ومل عن ابن خلدون قوله: ((وما نقل من أن معاوية دس إليه السم مع زوجته جعدة بنت الأشعث، فهو من أحاديث الشيعة، وحاشا لمعاوية من ذلک))

ونقل عن الدكتور جميل المصرى قوله: ((ويبدو أن افتعال هذه القضية لم يكن شائعا آنذاک لأننا لا نلمس لها أثرا فى قضية قيام الحسن أو حتى عتابا من الحسين لمعاوية))(1)

وأجد أن الدفوعات الباطلة التى أعتمدها الرجل تدينه وتدين عقيدته، وتؤكد واقعة السم؛ لأنها جميعها مبنية على الظن والشک والضحک على الذقون. فهو يقول عن رواية ابن سعد: (وهذه الرواية إسنادها لا يصح وهى ضعيفة) ويقول عن رواية تهذيب الكمال: (وفى سندها يزيد بن عياض، ابن جعدية، كذبه مالک وغيره) ويقول عن روايات الأصفهانى فى المقاتل: أن فى سندها شيعة رافضة؛ وكأنه يحتكم إلى علم الجرح والتعديل للتدليل على عدالته، ولكنه لا يلبث أن ينكر وجود هذا العلم وفاعليته حينما يجد الروايات نفسها تتكرر فى كتب يعجز عن تكذبيها، ولذا يقول: (وقد وردت هذه الروايات فى كتب السنة بدون تمحيص) هكذا، بدون تمحيص، فكيف تجاوزت رجال الجرح والتعديل لتدخل إلى التاريخ وكتبه بدون تمحيص؟

ثم تراه يطعن بهذا العلم حينما يقول عن رواية ابن كثير: (وعندى أن هذا ليس

1- المصدر النفسه ص 355-353

بصحيح) وكأنه هو الحكم العدل من دون خلق الله أجعين، ولا أدرى لماذا لم يستخدم علم الجرح والتعديل هنا أيضا؟.

أما الأقوال التى نقلها عن مشايخه فهى تجمع على رأى مفاده: ((أنه أمر مغيب لا يعلمه إلا الله فكيف تحملونه بغير بينة على أحد من خلقه فى زمن متباعدة وتتفق على أن هذا (مما لا يماكن العلم به، فالقول به قول بلا علم) وتتوافق على أن: (هذا لا يصح، فمن الذى أطلع عليه) فبنى من خلاصة هذه الأقوال السقيمة الغريبة قاعدة فقهية أراد من الناس أن يتعبدون بها، ولو طبقنا هذه القاعدة على كل تاريخنا وكل قصصه ورواياته، بل لو طبقناها على السنة وعلى التفسير وعلى كل الأخبار التى بين أيدينا سنجد انطباقها عليها بنفس المقاييس التى طبقوها على قضية السم، وهذا معناه أن التشكيك فى صحة سم الإمام الحسن عليه السلام وفق هذه القاعدة الفقهية الغريبة العجيبة ممكن أن ينطبق على جميع الروايات الأخرى وبدون استثناء سواء أكانت قرآنا أم حديثا أم سيرة أم تاريخا أم أدبا وشعرا، أو أى نص تاريخى آخر!

ومن المدهش كيف أن أقوال الصلابى تطابقت كليا مع أقوال فيصل نور ولكننا لا نجد إشارة إلى أن احدهما أقتبس من الآخر، ومصادر الصلابى هى نفسها مصادر فيصل نور، وهذا يعنى أن أحدهما سرق من الآخر ونقل عنه بعيدا عن الأمانة العلمية، وتلك وربى خلة لا يؤتمن صاحبها على الحكم بين نعجتين لا بين فرقتين عظيمتين. ولا أدرى كيف يستسيغ مدعى العلم أن يسرق موضوعا بهذا المستوى إن كان هو الذى سرق من فيصل، كما لا أدرى كيف يسمح صاحب موقع الكترونى وداعية أن يسرق مثل هذا الموضوع من دكتور باحث، إن كان هو الذى سرق الموضوع.!

ومما تقدم يتضح أن التماحك بمجمله يؤكد واقعة السم ويشرى صراحة إلى المجرم

الذى ارتكبها لأنه لو لم يكن هو الفاعل دون غيره لما اتعبوا وأجهدوا انفسهم فى الدفاع عنه بهذا الشكل الغريب!

إن سم الحسن عليه السلام ولاسيما بعد أن عقد الصلح وترک الكوفة وتوجه إلى المدينة المنورة للعيش فيها بسلام يبدو لكل منصف شريف كوصمة عار فى جبين السياسيين؛ تدل على مكرهم وغدرهم واستهتارهم وخداعهم وعدم الوثوق بهم، ولذا أراد أتباع السياسيين محو هذا العار بالتشكيک بصحة واقعة السم مرة، وبتكذيب الروايات التى جاءت فيها واقعة السم مرة أخرى، ولكون واقعة السم موثقة فى أصح المصادر الإسلامية والتاريخية فإن محوها من الذاكرة الجمعية لا يمكن أن يتحقق بأية حال، فوجدوا أن خير وسيلة لمحاربتها تأتى من خلال التشكيک، والتشكيک وحده، وذلک بخلق قصص وروايات توحى بأن هناک احتمالات أخرى لموت الحسن عليه السلام من غير السم.

والظاهر أن بعض الإسلاميين وبعض المستشرقين تعاونا سوية على ترسيخ فكرة أن الحسن عليه السلام لم يمت بالسم الذى دسه له السياسيون وإنما مات بسبب المرض الذى ألم به؛ وقد مر عليكم ما خاض به أحفاد السياسيين (الصلابى وفيصل) لإثبات بطلان واقعة السم، لكن الظاهر أيضا أن المستشرق (لامنس) الذى حطب فى قصة السم كحاطب ليل لم يكن ضحية الروايات الموضوعة لتشويه صورة الإمام الحسن عليه السلام فحب، وإنما كان واحدا من المروجين لتلک الروايات الكاذبة، وكان هواه مع السياسيين ضد الحسنيين، فأخذ بروايات السياسيين وأضاف لها ما يراه مناسبا لدعم رأيه الذى لا أصل له بالرغم من أن ما جاء به مجرد احتمال؛ ومقابل ذلک أعتمد توهين آراء أخرى لها أصول فى كثير من مراجع التاريخ ولم يلتفت إليها، ولذا تراه يرفض الحقيقة التى روتها كتب التاريخ

حول نهاية الإمام الحسن عليه السلام بالسم على يد زوجته بعد أن غرر بها معاوية، وجاء برأى

سقيم مبتى على الظن لا أكثر يبدو فيه وكأنه من أتبع السياسيين المخلصين، وعليه قال

فى آخر ما كتبه فى توجة الحسن عليه السلام: ((وتوفى الحسن فى المدينة بذات الرئة... وقد بذلت

محاولة لإلقاء تبعة موته على رأس معاوية، وكان الغرض من هذا الاتهام وصم الأمويين

بهذا العار ولم يجرؤ على القول بذا الاتهام الشنع جهرة سوى المؤلفين من الشيعة أو

أولئک الذين كان هواهم مع العلوية بنوع خاص. وقد أعطى هذا الاتهام فى الوقت

نفسه فرصة للإيقاع بأسرة الأشعث بن قيس المبغضة من الشيعة، لما كان لها من شأن فى

الانقلاب الذى حدث يوم صفين، وما كان معاوية بالرجل الذى يقرف إثما لا مبرر له.

كما إن الحسن عليه السلام كان قد أصبح مسالماً منذ أمد طويل وكانت حياته عبئاً على بيت المال

الذى أبهضه مطالبه المتكررة، ومن اليسير أن نعلل ارتياح معاوية وتنفسه الصعداء عند

ما سمع بمرض الحسن))(1)

ومن يدقق فى هذا القول ويفككه يجد بينه وبين الأقوال السقيمة الأخرى تواصلا

غريبا، وبما انه أقدم تاريخا من الصلابى وفيصل نور يتبين أن الصلابى سرق منه ما جاء

به دون أن يشير إلى المصدر ليبدو وكأنه جاء بهذا (الفتح المبين) ثم جاء فيصل نور فسرق

من الصلابى لنفس الأسباب، مع احتمال أن يكون فيصل هو السارق الأول، اما الطبيب

الذى أعتمدوه حكما علميا فقد ثبت أنه سرق رأى (لامنس) وأدعاه لنفسه، فما ظنک

بمجموعة سراق يريدون الدفاع عن الباطل؟!

1- دائرة المعارف الإسلامية، مجموعة متشرقين، ج/ ٤٠١ ٤٠٢. تم إصدارها على طبعتين، الأولى بين ١٩١٣ و ١٩٣٨، والثانية ما بين ١٩٥٤ و ٢٠٠٥، ويتم إصدارها من قبل شركة بريل الهولندية. وقد ظهرت هذه الموسوعة بأكثر من لغة، أما بالنسبة للعربية فقد تم تعريب بعض أجزائها وتنقيحها وصدرت فى مصر فى الستينات وأعيد طبعها بالشارقة عام ١٩٩٨

اعتراضهم على دفنه مع جده

كان السياسيون منذ الأيام الأولى للبعثة وفى عصر الخلفاء الأربعة يستغلون الفرص

المتاحة لخلق مشاكل وخلق أزمات تقود المسلمين إلى التقاتل فيما بينهم حتى إن الروايات

تحدثت عن أحداث فى تأريخ متأخر عن تلك الحقب، ويعود إلى أيام الإمام الحسن عليه السلام.

حدثت فيه مشادة مختلقة، اختلقها السياسى مروان بن الحكم ممثل السياسيين العرب

فى المدينة ليجر المسلمين إلى قتال بينى يفضى إلى إضعاف البيت الهاشمى وقتل الإمام

الحسين عليه السلام الذى يعتقدون بأنه يمثل امتدادا للخطر الذى يمثله على والحسن عليه السلام،

وخلاصة هذه القضية أن الإمام الحسن عليه السلامبعد أن دس له معاوية السم واقترب أجله،

أوصى أن يدفن مع جده النبى الأكرم صلى الله عليه و آله حب بعض الروايات وجاء فى الوصية التى

أوردها الشيخ الطوسى فى أماليه عن ابن عباس: ((هذا ما أوصى به الحسن بن على إلى

أخيه الحسين، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريک له و أنه يعبده حق

عبادته، لا شريک له فى الملک، ولا ولى له من الذل، وأنه خلق كل شىء فقدره تقديرا،

وأنه أولى من عبد وأحق من حمد، من أطاعه رشد ومن عصاه غوى، ومن تاب إليه

اهتدى، فإنى أوصيک يا حسين بمن خلفت من أهلى وولدى وأهل بيتک أن تصفح عن

مسيئهم وتقبل من محسنهم، وتكون لهم خلفا ووالدا، وأن تدفتنى مع رسول الله صلى الله عليه و آله

فإنى أحق به وببيته. فإن أبوا عليک فأنشدک الله بالقرابة التى قرب الله عز وجل منک

والرحم الماسة من رسول الله صلى الله عليه و آله أن لا تهريق فى أمرى محجمة من دم حتى نلقيص

رسول الله صلى الله عليه و آله فنختصم إليه ونخبره بما كان من الناس إلينا)(1)

نستشف من الوصية أمورا مهمة جدا، منها:

• الأول: إن الإمام الحسن عليه السلام كان يرغب كليا بأن يدفن مع جده النبى صلى الله عليه و آله وهو

الآمر ذاته الذى يدفع الشيعة إلى الرغبة الآكيدة بان يدفنوا عند ضريح الإمام

على وأولاده المعصومين عليهم السلام؛ لعدم تمكنهم من الحصول على مكان للدفن

قرب الرسول.

• الثانى: إنه كان يعرف بحسب ما أخره به أبوه من الأمور المستقبلية بأن

السياسيين سوف يمنعون دفنه مع جده حتى ولو بالقوة وسفک الدماء.

• الثالث: إنه أراد توضيح منهجه السلمى فى حياته وبعد موته ليكون درسا

للعالمين.

إن قصص مع الأمويين دفن الإمام الحسن عليه السلام مع جده أوردتها أغلب كتب

التاريخ الإسلامى وكتب المدرستين، وقد تلاعبت بها الأقلام السياسية كما تلاعبت

فى كل ما له علاقة بالحسن عليه السلام، ولذا تجد هناک من يثبت بالنقل الصحيح الموثوق أن أم

المؤمنين عائشة ركبت بغلة وسارت للتصدى للمشيعين؛ جنبا إلى جنب مع الأمويين

الذين أثار حقدهم موضع الدفن بشكل كبير جدا دفعهم إلى حمل السلاح والتهديد

بإشعال فتنة كبيرة إذا أصر الهاشميون على الدفن. وهناک أيضا من يدعى بأنها وافقت

على الدفن ولم تعترض كما تقول روايات أخرى ومنها رواية الأصفهانى الذى نقل عنها

قولها: ((نعم، ما كان بقى إلا موضع قبر واحدا))(2)

1- أمالى الشيخ الطوسى

2- مقاتل الطالبيين، ص ٨٢

قال ابن الأثير عن هذه قصة واقعة الدفن: ((فى الستة التاسعة والأربعين للهجرة

توفى الحسن بن على سمته زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندى؛ وأوصى أن

يدفن عند النبى صلى الله عليه و آله؛ فاشتأذن الحسين عائشة فأذنت له، فقام مروان بن الحكم وجمع بنى

أمية و شعتهم ومع من ذلک))(1)

وقال ابن كثير: ((قال الواقدى: حدثنا إبراهيم بن الفضل، عن أبى عتيق قال:

سمعت جابر بن عبد الله يقول: شهدنا حسن بن يوم مات، فكادت الفتنة تقع بين

الحسين بن على ومروان بن الحكم، وكان الحسن قد عهد إلى أخيه أن يدفن مع رسول

الله صلى الله عليه و آله، فإن خاف أن يكون فى ذلک قتال أو شر فليدفن بالبقيع. فأبى مروان أن يدعه،

ومروان يومئذ معزول يريد أن يرضى معاوية بذلک، فلم يزل مروان عدوا لبنى هاشم

حتى مات. قال جابر: فكلمت يومئذ حسين بن على فقلت: يا أبا عبد الله، اتق الله؛ فإن

أخاک كان لا يحب ما ترى، فادفنه بالبقيع مع أمه. ففعل.

ثم روى الواقدى: ((حدثنى عبد الله بن نافع، عن أبيه، عن ابن عمر قال: حضرت

موت الحسن بن على، فقلت للحسين: اتق الله، ولا تثر فتنة، ولا تسفک الدماء، وادفن

أخاک إلى جنب أمه؛ فإن أخاک قد عهد بذلک إليک. قال: ففعل الحسين. وقد روى

الواقدى عن أى هريرة نحوا من هذا))(2)

وفى رواية أن الحسن بعث يستأذن عائشة فى ذلک، فأذنت له، فلما مات لبس

الحسين السلاح وتسلح بنو أمية، وقالوا: لا ندعه يدفن مع رسول الله صلى الله عليه و آله، أيدفن عثمان

بالبقيع، ويدفن الحسن بن على فى الحجرة؟ فلما خاف الناس وقوع الفتنة؛ أثار سعد

1- الكامل فى التأريخ، مجلد٣،ص ٤٠٢

2- البداية والنهاية،إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى، ج٨، ص ٢١١

بن أبى وقاص وأبو هريرة وجابر وابن عمر على الحسين أن لا يقاتل؛ فامتثل ودفن

أخاه قريبا من قبر أمه بالبيقع)).(1) وتبدو الصورة هنا وكأن الأمويين هم من تبنى مسألة

معارضة دفن الإمام الحسن مع جده، ولكنها ليست الصورة الوحيدة فى مشهد الدفن

بكل تأكيد.

ففضلا عن ذلك هناك من يقول أن أم المؤمنين عائشة هى التى حرضت الأمويين

على الخروج لنصرتها لكى تمنع دفن الحسن عليه السلام مع جده صلى الله عليه و آله؛ وهى التى اعترضت

على مكان الدفن؛ ولكن من المؤكد فى حال صحة هذه الروايات أن مروان هو الذى

أو غر قلبها وحضها على الرفض لكى تقع الفتنة من جانب ولا ينال الحسن عليه السلام مقاما

بدفنه إلى جانب جده: ((فلما مضى لسبيله وغسله الحسين عليه السلام وكفنه وحمله على سريره لم

يشك مروان وبنو امية أنهم سيدفنونه عند رسول الله صلى الله عليه و آله، فتجمعوا ولبسوا السلاح،

فلما توجه به الحسين عليه السلام إلى قبر جده رسول الله صلى الله عليه و آله ليجدد به عهداً أقبلوا فى جمعهم؛

ولحقتهم عائشة على بغل وهى تقول: نحوا ابنكم عن بيتى، فإنه لا يدفن فيه ويهتك

عليه حجابه))(2)

ولكن الأصبهانى يعرض على هذا الرأى ويورد رواية تقول: إن عائشة هى التى

كانت مصرة على المنع؛ وهى التى حرضت الأمويين لنصرتها، ولم يوغر قلبها على

الحسن عليه السلام أحد منهم، بل هى التى أثارت قلوب الأمويين واستنفرتهم: ((قال يحيى

بن الحسن: وسمعت على بن طاهر بن زيد يقول: لما أرادوا دفنه؛ ركبت عائشة بغلا

1- البداية والنهاية، ج٨، ص٢١١

2- إرشاد المفيد،ج ٢،ص ١٧، كشف الغمة،ج١،ص 585، ونحوه فى: مقاتل الطالبيين،ص ٧٤، ودلائل الإمامة،ص ٦١، وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد،م٤، ج ١٦ ،ص ٤٩

واستنفرت بنى أمية مروان بن الحكم ومن كان هناك منهم ومن حشمهم))(1)

وبعد ذلک ثار قناص فرص الفتنة السياسى الكبير مروان بن الحكم وجماعته من

السياسيين لتحقيق ما أرادته وما يريدونه هم أيضا، يقول الأصبهانى: ((فمنع مروان بن

الحكم من ذلک، وركبت بنو أمية فى السلاح، وجعل مروان يقول: يا رب هيجا هى

خير من دعة، أيدفن عثمان فى أقص البقيع ويدفن الحسن فى بيت رسول الله؟ والله لا

يكون ذلک أبدا؛ وأنا أحمل السيف، فكادت الفتنة أن تقع))(2)

وفى رواية اليعقوبى: ((فركب مروان بن الحكم ومعيد بن العاص فمنعا من ذلک

حتى كادت تقع فتنة))(3)

ونجد فى المستدرک رواية:((عن سالم بن أبى حفصة قال: سمعت أبا حازم يقول:

إنى لشاهد يوم مات الحسن بن على؛ فرأيت الحسين يقول لسعيد بن العاص ويطعن فى

عنقه: تقدم فلولا أنها سنة ما قدمتک وكان بينهم شىء فقال أبو هريرة: أتنفسون على

ابن نبيكم صلى الله عليه و آله بتربة تدفنونه فيها وقد سمعت رسول الله يقول: من أحبهما فقد أحبنى

ومن أبغضهما فقد أبغضنى))(4) وهذا حديث صريح يشير إلى اعتراض السياسيين على

ما اعتقدوا أنه دفن قرب الرسول صلى لله عليه و آله وفيه يعاتبهم أبو هريرة بما حدث وكأنه يقول لهم:

يا من تبغضون الله ورسوله عار عليكم أن تثيروها فتنة بالظن والشک؛ وكان الأولى

بكم أن تطلبوا من الحسين دفن الحسن مع جده حتى ولو لم يوص بذلک، لا أن تمنعوه!

وسواء صحت هذه الرواية أو تلک، فقد نجح السياسيون فى منع دفن الإمام

1- مقاتل الطالبيين؛ مصدر السابق ص 82

2- مقاتل الطالبيين؛ أبى الفرج الأصفهانى ص 81

3- تأريخ اليعقوبى؛ ج 2 ص 225

4- المستدرک الحاكم ج 3 ص 188-187 حديث 397/4799

الحسن عليه السلام مع جده النبى صلى الله عليه السلام بعد أن أثاروها فتنة لو قيض لها أن تتحول إلى نزاع لكانت

أحرقت الأخضر واليابس ولم تبق للإسلام من أثر يذكر، ولكان معاوية قد أسرع

بإرسال جنوده لحرق المدينة ومن فيها من الهاشميين والصحابة وكل من يعترض عليه،

ليقرأ على الإسلام السلام.

أما ما أراه واعتقده فهو أنه يستحيل أن يطلب الإمام الحسن الدفن مع رسول الله

وهو يعلم تمام العلم أن هناك جيوشا تعترض على هذا الأمر ولديها استعداد لحرق

المدينة والقبر وكل ما فيه، فالحسن عليه السلام الذى تنازل فى حياته عن الخلافة وكل بهرجها

لمجرد أنه كان حريصا على الإسلام من الضياع مع ما كان لديه من جند وأصحاب

ومعدات، لا يمكن أن يأمر بإشعال فتنة تحرق الأخضر واليابس فى مماته؛ ومن بقى من

الهاشميين لم يكونوا سوى قلة قليلة، لا قدرة لهم على مواجهة السيل الأموى المدمر.

أو ربما أنه أراد مرة أخرى أن يثبت للعالم أبتعاد السياسيين عن الحق والعدل

والإيمان، ويظهر للناس كره السياسيين لأهل البيت عليهم السلام الذين أوصى النبى صلى الله عليه و اله

بحبهم وتبجيلهم، فطلب أن يبدو الحسين عليه السلام؛ وكأنه يريد دفن أخيه مع جدهم؛ تماما

كما فعل يوم الصلح، فالصلح وفكرة الدفن وجهان لعملة واحدة هدفها فضح أعداء

الدين، وقد نجح الإمام الحسن عليه السلام؛ فى الوقعتين، نجح حيا وميتا، وفشل السياسيون

وبان غباؤهم وكفرهم وحقدهم للناس. وقبالة هذين الرأيين أرى أن الإمام الحسن عليه السلام

كان يرغب بأن يطوفوا به على قبر جده صلى الله عليه و آله ليثبت آخر العهد به، ثم يدفنونه فى البقيع مع

من دفن فيها سرا بجتب أمه فاطمة الزهراء عليها السلام وفى حضنها الدافىء، أو بجنب جدته

فاطمة بنت أسد رضى الله عنها. وأن الأمويين اعتقدوا بأن الحسين عليه السلام يريد دفن الحسن عليه السلام مع

جده فثارت ثائرتهم.

أما تلك الزوابع التى تحدثت عن تخبط كبير وقع يوم الدفن، فهى من صنع

السياسيين، وجاءت مكملة لباقى فقرات مشروعهم التخريبى، وللأسف صدق بها

كثير من الناس. ولقد وجدت ما يؤيد رأيى بمجموعة نقول جاء منها:

• أولا: ((عن عبد الله بن إبراهيم، عن زياد المحاربى، قال: لما حضرت الحسن عليه السلام

الوفاة استدعى الحسين عليه السلام، وقال له: يا أخى إننى مفارقك ولاحق بربى، وقد سقيت

سم ورميت بكبدى فى الطست، وإنى لعارف بمن سقانى ومن أين دهيت، وأنا

أخاصمه إلى الله عز وجل، فبحقى عليك إن كلمت فى ذلك بشىء، وانتظر ما

يحدث الله تبارك وتعالى فى، فإذا قضيت فغسلنى وكفنى واحملنى على سريرى إلى

قبر جدى رسول الله صلى الله عليه و آله لأجدد به عهداً، ثم ردنى إلى قبر جدتى فاطمة فادفنى هناك،

وستعلم يا ابن أم أن القوم يظنون أنكم تريدون دفنى عند رسول الله صلى الله عليه و آله فيجلبون فى

منعكم من ذلك، وبالله أقسم عليكم أن لا تهريق فى أمرى محجمة من دم. ثم وصى

إليه بأهله وولده وتركاته وما كان وصى أمير المؤمنين عليه السلام حين استخلفه))(1)

• ثانيا: ((روى عن زياد المخارقى قال: لما حضرت الحسن عليه السلام الوفاة، استدعى

الحسين بن على عليهم السلام فقال: يا أخى إنى مفارقك، ولاحق بربى عز وجل، وقد سقيت

السم، ورميت بكبدى فى الطست، وإنى لعارف بمن سقانى السم، ومن أين دهيت،

وأنا أخاصمه إلى الله تعالى، فبحقى عليك إن تكلمت فى ذلك بشىء، وانتظر ما

يحدث الله عز ذكره فى، فإذا قضيت نحبى فغمضنى، وغسلنى وكفنى، واحملنى

على سريرى إلى قبر جدى رسول الله صلى الله عليه و آله لأجدد به عهداً، ثم ردنى إلى قبر جدتى

فاطمة بنت أسد رضى الله عنها فادفنى هناك. وستعلم يا بن ام، أن القوم يظنون أنكم تريدون دفنى

1- موسوعة الأسئلة العقائدية، مركز الأبحاث العقائدية،ج٢، ص ١٦٣ http://www.aqaed.com/book/567/saqd2-06.html

عند رسول الله صلى الله عليه و آله فيجلبون فى منعكم عن ذلک، وبالله أقسم عليک أن لا تهريق فى

أمرى محجمة دم. ثم وصى عليه السلام إليه بأهله وولده وتركاته، وما كان وصى به إليه أمير

المؤمنين عليه السلام حين استخلفه وأهله لمقامه، ودل شيعته على استخلافه، ونصبه لهم علماً من

بعده))(1)

• ثالثا: قال الشيخ المفيد: لما مضى لسبيله غسله الحسين عليه السلام وكفنه وحمله على

سريره، ولم يشک مروان ومن معه من بنى أمية أنهم سيدفنونه عند رسول الله صلى الله عليه و آله

فتجمعوا لذلک؛ ولبسوا السلاح، فلما توجه به الحسين عليه السلام إلى قبر جده رسول الله صلى الله عليه و آله

ليجدد به عهدا؛ أقبلوا إليهم فى جمعهم ولحقتهم عائشة على بغل وهى تقول: ما لى ولكم

تريدون أن تدخلوا بيتى من لا أحب! وجعل مروان يقول: يا رب هيجا هى خير من

دعة. أيدفن عثمان فى أقصى المدينة ويدفن الحسن مع النبى، لا يكون ذلک أبدا وأنا أحمل

السيف، وكادت الفتنة أن تقع بين بنى هاشم وبنى أمية. فبادر ابن عباس إلى مروان

فقال له: ارجع يا مروان من حيث جئت، ما نريد دفن صاحبنا عند رسول الله صلى الله عليه و آله لكنا

نريد أن نجدد به عهدا بزيارته ثم نرده إلى جدته فاطمة بنت أسد فندفنه عندها بوصيته

بذلک، وقال الحسين عليه السلام: والله لو لآ عهد الحسن بحقن الدماء وأن لا أهريق فى أمره

محجمة دم لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم

وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا. ومضموا بالحسن فدفنوه بالبقيع عند جدته فاطمة

بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف)).

ولهذا السبب ترى الميت من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام يطاف به على قبور

ومراقد الآئمة المعصومين عليهم السلام لكى يجدد العهد بهم قبل دفنه.

1- الموسوعة، ص ٦٥

أما السياسيون ولكى يغطوا على خيبتهم وفشلهم فى إثارة الفتنة عمدوا إلى وضع

روايات كثيرة تصل أحيانا إلى درجة التعارض فيما بينها، لكى لا يفهم الناس ما دار فى

يوم الدفن، فلا يصلوا إلى الحقيقة. ومن هذه الروايات قولهم: إن الإمام الحسن عليه السلام أراد

أن يدفنوه مع جده صلى الله عليه و آله، فأخذ الواقدى قولهم، وأخذه عنه ابن سعد، وجاء سبط ابن

الجوزى فأخذ عن ابن سعد، وهكذا استمر تداول المعلومة حتى ملأت بطون الكتب

وبات من الصعب عدم التصديق بها.

قال سبط ابن الجوزى: قال ابن سعد عن الواقدى: لما احتضر الحسن قال: أدفنونى

عند أبى يعنى رسول الله صلى الله عليه و آله فأراد الحسين عليه السلام أن يدفنه فى حجرة رسول الله صلى الله عليه و آله فقامت

بنو أمية ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وكان واليا على المدينة فمنعوه وقامت بنو

هاشم لتقاتلهم، فقال أبو هريرة أرأيتم لو مات ابن لموسى، أما كان يدفن مع أبيه؟ قال

ابن سعد: ومنهم أيضا عائشة وقالت لا يدفن مع رسول الله صلى الله عليه و آله أحد))(1)

إن المشكلة التى أثاروها يوم دفن الإمام الحسن عليه السلام تؤكد خبث المخططات السياسية

التى كانت تحارب الخط العلوى من جانب، وتؤكد من جانب آخر أن السياسيين ومن

لف لفهم لم يجبوا أهل البيت قط، وخالفوا وصايا الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله، وتؤكد

ثالثا أن مخططاتهم الشريرة هى التى أودت بالإمام الحسن عليه السلام، وأخيرا أن هذه المؤامرات

لن تقف عند هذا الحد وإنما ستستمر إلى تحقيق كامل الأهداف المرسومة.

والظاهر أن الأهداف بمجملها لم تتحقق إلى الآن، ولذا نجد أحفادهم يستخدمون

الأساليب ذاتها مع أتباع اهل البيت عليهم السلام بما يعنى أنها ستبقى قلقة فاعلة إلى يوم ظهور

الإمام المهدى المنتظر عجل الله تعالى فرجه.

1- تذكرة خواص الأمة فى خصائص الأئمة، الحافظ ابو الفرج سبط ابن الجوزى، قدم له: السيد محمد صادق بحر العلوم، مكتبة نينوى

هدم القبر الشريف

وبعد كل تلك الجرائم والجرائر العظيمة التى ارتكبوها بحق الإمام الحسن عليه السلام، وكل ذلک التحريف التاريخى الذى اعتمدوه منهجا منذ النصف الأول من القرن الهجرى الآول فصاعدا عز عليهم أن يروا له قبرا على سطح الأرض حتى ولو كان شاهدا بسيطا لا تكلف فيه ولا بهرجة؛ فعمدوا إلى هدمه وتغييب ملامحه فى الثامن من شوال سنة ١٣٤٦ هجرية الموافق ٣٠-٣-١٩٢٨ ميلادية، مع قبور الأئمة الآخرين: الإمام زين العابدين على بن الحسين، وابنه الإمام محمد الباقر، وابنه الإمام جعفر الصادق عليهم السلام.

ومن يحلل هذا العمل المشين يجده جينيا و وراثيا موصولا بالحراک السياسى الأول ونابعا من جوهره وراضعا من ثديه؛ وكأن السياسة تأبى أن ترى المسلمين متحدين على أمر ما مهما كان بسيطا، فيلجأ أساطينها وكهانها إلى سحرهم القديم وطيشهم الأقدم لتطغى القباحة على كل جميل فى الكون.

إن ما تقدم ذكره يؤكد أن بعض المسلمين لم ولن يحترموا قيم مجتمعهم وتاريخ أهلهم فى أى وقت من الأوقات، وهم بسبب أنانيتهم وحبهم للدنيا وجشعهم وطمعهم كانوا ولا زالوا على ستعداد لتخريب الكون من أجل أن يعمروا ملكياتهم الخاصة؛ وإلا هل يعقل أن تقوم أمة تحترم نفسها وتحترم نبيها وأهله بكل تلك الأعمال القبيحة، وكل ذلک التحريف والدس والكذب ضد واحد من أعز أبنائه وشبيهه وحامل مفتاح رسالته؟

ص: 291

وإذا كان الجهل والطيش القديم هو من دفع الأوائل إلى ارتكاب كل تلك

الحماقات؛ فما الذى يدفع أبناءهم فى عصر التقدم والذرة والإنسان الأخير ليرتكبوا

الحماقات نفسها!؟ وإذا ما كان التجهيل المقصود قد لوث عقول أتباعهم المعاصرين،

فما لوث أفكارهم وهم قريبون من عصر البعثة ويعرفون من هو الحسن بن على عليه السلام فى

ميزان النبوة والدين والعقيدة والرحم؟ متوالية فى منتهى العجب لا تتقفى ولا تقف

عند حد مهما تنوع التعامل معها.!

ص:292

هکذا أراد السیاسیون تشویه سیرة الإمام الحسن علیه السلام غیر ملتفتین إلی هذا العلم العالی والطود الشامخ، هذا الإمام المعصوم والخلیفة المنصوص علی إمامته وخلافته، الذی وردت بحقه جملة عظیمة من الأحادیث النبویة الشریفة الصحیحة التی اتفقت المدارس الإسلامیة علی صحتها وتواترها، وهی أحادیث بمضمونها ومجملها تجعل من الإمام الحسن علیه السلام شخصاً فریداً بکل المقاییس الإنسانیة والدینیة والأخلاقیة، ولو أن المسلمین کانوا ملتزمین حقا بمنهج الرسالة لکانوا صلوا علی تراب أقدام الإمام الحسن علیه السلام بدلا من أن یقاتلوه ویغتصبوا حقه ویقتلوه بالسم ویهدموا قبره الشریف.

ولکی تتضح صورة الفعل الشنیع الذی جابهوا به الإمام الحسن علیه السلام وعظیم ما اقترفوه بحقه وبحق الرسالة المحمدیة؛ سأورد بعضا من الکم الکبیر من الأحادیث معتمدا علی کتب المدارس الإسلامیة، ومتجاوزا ما جاء فی کتب مدرستنا لکی لا أتهم بالتحیز، ولکی اثبت أن غیرنا یعرف کما نعرف مرکز الإمام الحسن علیه السلام وقیمته الفکریة والعقدیة والأخلاقیة، ولکن شتان بین التطبیق والتلفیق، وشتان بین من عادی أعداءه وبین من ساوی بینه وبین أعدائه وترضی علیهما سویة! وأنقل مما فی حاشیة السندی علی ابن ماجه بعض الروایات:

• الأولی: ((عن عبد الله بن بریدة، عن ابن عباس قال: انطلقت مع رسول الله صلی الله علیه و آله فنادی علی باب فاطمة ثلاثا فلم یجبه أحد، فمال إلی حائط فقعد فیه وقعدت إلی جانبه

نبينا هوكذلک إذ خرج الحسن بن على قد غسل وجهه وعلقت عليه سبحة، قال: فبسط

النبى صلى الله عليه و آله يده ومدها ثم ضم الحسن إلى صدره وقلبه، وقال: إن ابنى هذا سيد، ولعل

الله عز وجل يصلح به بين فئتين من المسلمين)). وقال: ورد ذيله فى مسند الطيالسى:

٨٧ ٤ ١١١٨، مصنف عبد الرزاق ١١ : 452، وصحيح البخارى 2:35، ومسند

أحمد 5: ٣٧ و51، والمعجم الكبير للطبرانى ٣: ٢٢ ١ 2591، وحلية الأولياء 2:35،

والاستيعاب ١: ٣٧٠، ومجمع الزوائد ٩: 175.

• الثانية: من أحب الحسن والحسين فقد أحبنى، ومن أبغضهما ققد أبغضنى))

• الثالثة: ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة))

• الرابعة: ابناى هذان إمامان، قاما أو قعدا))(1)

وقال السندى، باب فضل الحسن والحسين ابنى على بن أبى طالب عليه السلام: ((حدثنا

أحمد بن عبدة، أنبأنا سفيان بن عيينة، عن عبيد الله بن أبى يزيد، عن نافع بن جبير، عن

ابى هريرة، عن النبى صلى الله عليه و آله قال للحسن: ((اللهم إنى أحبه فأحبه وأحب من يحبه قال

وضمه إلى صدره))(2) وقال السندى: فضلا عن ذلک ورد الحديث فى صحيح مسلم

ج5ص ٣٦ صحيح البخارى ج٢ كتاب فضائل الصحابة ص١٢٨١ جامع الأصول

ج٩ ح6552ص٢٧ مجمع الزوائد ج٩ ص١٧٦ تاريخ ابن عساكر ج١٣ ص١٨٦

ذخائر العقبى ص١٢٢ أسد الغابة ج٢ ص١٢ الصواعق المحرقة الباب العاشر

ص١٣٧ مطالب السؤول ص٢٢٧ المعجم الكبير ج٣ ح٢٥٨٢ ص٣١ إسعاف

1- حاشية السندى على ابن ماجه، أبو الحسن الحنفى الشهير بالسندى، باب فضل الحسن والحسين ابنى على بن أبى طالب رضى الله عنهم

2- المصدر نفسه، حاشية السندى، حديث رقم ١٤٢

الراغبين ص۱۹۳.

وفی فتح البارى، باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام. قال نافع بن جبير: ((عن أبی

هريرة: عانق النبی صلى الله عليه وآله الحسن)) (1)

وفی البحر الزخار وتحت عنوان (الحسن سفينة نجاة) جاء ((عن سعيد بن المسيب

عن ابی ذر، حدثنا عمرو بن على، والجراح بن مخلد، ومحمد بن معمر، واللفظ لعمرو،

قالوا: حدثنا مسلم بن إبراهيم، قال: حدثنا الحسن بن أبی جعفر، عن على بن زيد، عن

سعيد بن المسيب، عن أبی ذر! قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مثل أهل بيتی كمثل سفينة

نوح من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق، ومن قاتلنا فی آخر الزمان كان كمن

قاتل مع الدجال)) وقال: وهذا الكلام لا نعلمه يروى عن النبی صلى الله عليه وآله إلا عن أبی ذر من

هذا الوجه، ولا نعلم تابع الحسن بن أبی جعفر على هذا الحديث أحد)).(2)

وفی مستدرک الحاكم، من مناقب الحسن والحسين ابنی بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ((عن

جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر؛، قال: قال رسول الله: لكل نبی أم عصبة ينتمون

إليهم إلا ابنی فاطمة فأنا وليهما وعصبتهما. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم

يخرجاه)).(3)

وفيه أيضا عن أبی ظبيان، عن سلمان رضی الله عنه قال: سمعت رسول الله يقول: الحسن

والحسين ابناى من أحبهما أحبنی ومن أحبنی أحبه الله ومن أحبه الله أدخله الجنة،

.

1- فتح البارى شرح صحيح البخارى، أحمد بن على بن حجر العسقلانی، مناقب الحسن والحسين.

2- البحر الزخار المعروف بمسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكی البزار، حديث رقم ۳۹۰.

3- المستدرک للحاكم، ج۳، ص۱۷۹ حديث ۳۶۸/۴۷۷۰

ومن أبغضهما أبغضنى ومن أبغضنى أبغضه الله ومن ابغضه الله دخل النار.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه(1)

وعن مصنف ابن آبى شيبة فى الجزء السابع، ما جاء فى الحسن والحسين عليهما السلام.

١ . حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن زر قال: كان الحسن والحسين يثبان

على ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يصلى، فجعل الناس ينحونهما فقال النبى: دعوهما بأبى

هما وأمى، من أحبنى فليحب هذين)).

٢ . حدثنا وكيع عن سفيان عن ابى الجحاف عن ابى حازم عن ابى هريرة قال: قال

يعنى النبى صلى الله عليه واله : اللهم إنى أحبهما فأحبهما يعنى حسنا وحسينا(2)

٣. حدثنا وكيع عن سفيان عن يزيد بن ابى زياد عن ابن ابى نعم عن ابى سعيد قال:

((قال يعنى النبى صلى الله عليه واله : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)).

٤ . حدثنا زيد بن حباب عن إسرائيل عن ميسرة النهدى عن النعمان بن عمرو عن

زر بن حبيش عن حذيفة قال: أتيت النبى صلى الله عليه واله فصليت معه المغرب ثم قام يصلى حتى

صلى العشاء ثم خرج فاتبعته فقال: ملك عرض لى استأذن ربه أن يسلم على ويبشرنى

أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)).

٥. حدثنا حسين بن على عن ابى موسى عن الحسن قال: ((رفع النبى صلى الله عليه واله الحسن

بن على معه على المنبر فقال: إن ابنى هذا سيد، ولعل الله سيصلح به بين فئتين من

المسلمين)).

.

1- المصدر نفسه، ج٣،ص ١٨١، حديث ٣٧٤/٤٧٧٦.

2- المصنف، عبد الله بن محمد بن أبى شيبة،دار الفكر، سنة النشر: ١٤١٤/ ١٩٩٤ م،ج7،ص١٢ه

6 . حدثنا أبو الأحوص عن أبى إسحاق عن على قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الحسن

والحسين سيدا شباب أهل الجنة)).

7. حدثنا عفان قال حدثنا وهيب قال حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد

بن أبى راشد عن يعلى العامرى أنه جاء حسن وحسين يسعيان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فضمهما

إليه وقال: إن الولد مبخلة مجبنة)).

٨. حدثنا مالک بن إسماعيل عن أسباط بن نصر عن السدى عن صبيح مولى

أم سلمة عن زيد بن أرقم أن النبى صلى الله عليه وآله قال لفاطمة وحسن وحسين: ((أنا حرب لمن

حاربكم وسلم لمن سالمكم*.

٩ . حدثنا خالد بن مخلد قال ثنا موسى بن يعقوب الزمعى عن عبد الله بن أبى بكر

بن زيد بن المهاجر قال أخرى مسلم بن ابى سهل النبال قال: أخبرنى حسن بن أسامة بن

زيد قال أخبرنى أبو أسامة قال: ((طرقت رسول الله صلى الله عليه وآله ذات ليلة لبعض الحاجة، قال:

فخرج إلى و هو مشتمل على شىء لا أدرى ما هو، فلما فرغت من حاجتى قلت: ما هذا

الذى أنت مشتمل عليه، فكشف فإذا حسن وحسين على وركيه فقال: هذان ابناى وابنا

ابنتى، اللهم إنک تعلم أنى أحبهما فأحبهما))(1)

١٠ . حدثنا هوذة بن خليفة عن التيمى عن أيب عثمان عن أسامة بن زيد قال: كان

رسول الله صلى الله عليه وآله يأخذنى والحسن فيقول: اللهم إنى أحبهما فأحبهما)).

١١ . حدثنا جوير عن مغيرة عن الشعبى قال: لما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يلاعن

أهل نجران أخذ بيد الحسن والحسين وكانت فاطمة تمشى خلفه)).

1- المصدر نفسه. ج7. ص:513

١٢ . حدثنا وكيع عن الأعمش عن سالم قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنى سميت ابنى هذين باسم ابنى هارون شبر وشبير)).

١٣ ٠ حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعى عن يحيى بن ابى كثير: ((إن النبى صلى الله عليه وآله سمع بكاء الحسن أوالحسين فقام فزعا فقال: إن الولد لفتنة، لقد قمت إليه وما أعقل)).

١٤ . حدثنا هوذة بن خليفة عن التيمى عن أبى عثمان عن أسامة قال:((كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأخذنى والحسن فيقول: اللهم إنى أحبهما فأحبهما)).

١٥ . حدثنا غندر عن شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأقمر قال: ((بينما الحسن بن على يخطب إذ قام رجل من الأزد آدم طوال فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله واضعه فى حقويه يقول: من أحبنى فليحبه، فليبلغ الشاهد الغائب)).

١٦ . حدثنا زيد بن الحباب قال حدثنى حسين بن واقد قال حدثنى عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخطبنا فأقبل حسن وحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ويقومان، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذهما فوضعهما بين يديه ثم قال: صدق الله ورسوله: إنما أموالكم وأولادكم فتنة، رأيت هذين فلم أصبر، ثم أخذ فى خطبته)).

17. حدثنا أسود بن عامر قال: حدثنى مهدى بن ميمون عن محمد بن عبد الله بن ابى يعقوب عن ابن ابى نعم قال: ((كنت جالسا عند ابن عمر فأتاه رجل من أهل العراق فقال ابن عمر: ها انظروا هذا يسألنى عن دم البعوض وهم قتلوا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: هما ريحانتى من الدنيا))(1)

1- المصنف. عبدالله بن محمد بن ابى شيبه. ج7. ص514

18. حدثنا يزيد بن هارون قال أخبرنى جرير بن حازم عن محمد بن عبد الله بن أبى

يعقوب عن عبد الله بن شداد عن أبيه قال: ((دعى رسول الله صلى الله عليه وآله لصلاة، فخرج وهو

حامل حسنا أو حسينا فوضعه إلى جنبه فسجد بين ظهرانى صلاته سجدة أطال فيها،

قال ابى: فرفعت رأسى من بين الناس فإذا الغلام على ظهر رسول الله فأعدت رأسى

فسجدت، فلما سلم رسول الله قال له القوم: يا رسول الله لقد سجدت فى صلاتک هذه

سجدة ما كنت تسجدها، أفكان يوحى إليک؟، قال: لا ولكن ابنى ارتحلنى فكرهت

أن أعجله حتى يقضى حاجته)).

١٩ . حدثنا شبابة قال ثنا شعبة عن عدى بن ثابت عن البراء قال: ((رأيت النبى صلى الله عليه وآله

حمل الحسن بن على على عاتقه وقال: ((اللهم إنى أحبه فأحبه)).

٢٠ . حدثنا جعفر بن عون قال أخبرنا معاوية بن ابى مزرد المدينى عن أبيه عن أبى

هريرة قال: ((بصر عيناى هاتان وسمع أذناى النبى صلى الله عليه وآله وهوآخذ بيد حسن أو حسين

وهو يقول: ترق عين بقة قال: فيقع الغلام قدمه على قدم النبى ثم يرفعه فيضعه على

صدره ثم يقول: افتح فاک قال: ثم يقبله ثم يقول: اللهم إنى أحبه فأحبه .

٢١ . حدثنا مطلب بن زياد عن جابر عن ابى جعفر قال: ((اصطرع الحسن والحسين

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : هو حسين فقالت فاطمة: كأنه أحب إليک، قال: لا ولكن جبريل

يقول: هو حسين)).

٢٢ . حدثنا مطلب بن زياد عن جابر عن ابى جعفر قال: ((مر رسول الله صلى الله عليه وآله بالحسن

والحسين وهو حاملهما على مجلس من مجالس الأنصار فقالوا: يا رسول الله نعمت المطية

قال: ونعم الراكبان))

٢٣. حدثنا عفان قال ثنا وهيب عن عبد الله بن عثمان عن سعيد بن أبى راشد

عن يعلى العامرى أنه ((خرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى طعام دعوا له، فإذا حسين يلعب

مع الغلمان فى الطريق فاستقبل أمام القوم ثم بسط يده وطفق الصبى يفر هاهنا مرة

وهاهنا، وجعل رسول الله يضاحكه حتى أخذه رسول الله فجعل إحدى يديه تحت ذقنه

والأخرى تحت قفاه ثم أقنع رأسه رسول الله فوضع فاه على فيه فقبله فقال: حسين منى

وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حين سبط من الأسباط)).(1)

وفى شرح النووى على صحيح مسلم

٢٤٢٢ حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا ابى حدثنا شعبة عن عدى وهو ابن ثابت

حدثنا البراء بن عازب قال: ((رأيت الحسن بن على على عاتق النبى صلى الله عليه وآله وهو يقول: اللهم

إنى أحبه فأحبه))

٢٤٢٢ حدثنا محمد بن بشار وأبو بكر بن نافع قال ابن نافع حدثنا غندر حدثنا

ثعبة عن عدى وهو ابن ثابت عن البراء قال: ((رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله واضعا الحسن بن

على على عاتقه وهو يقول: اللهم إنى أحبه فأحبه)) (2)

وفى صحيح مسلم: حدثنى أحمد بن حنبل حدثنا سفيان بن عيينة حدثنى عبيد الله

بن ابى يزيد عن نافع بن جبير عن أبى هريرة ((عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال لحسن: اللهم إنى

أحبه فأحبه وأحبب من يحبه))(3)

وفى حلية الأولياء

1- المصنف، عبد الله بن محمد بن ابى شيبة،ج7، ص: ٥١٥

2- شرح النووى على مسلم،يحيى بن شرف أبو زكريا النووى، حديث ٢٤٢٢

3- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى، دار إحياء الكتب العربية، سنة النشر: بلا، خمسة أجزاء، باب فضائل الحسن والحسين رضى الله عنهما، حديث ٢٤٢١

١ . حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا يوسف بن حبيب، حدثنا أبو داود، حدثنا

شعبة، عن عدى بن ثابت، قال: سمعت البراء يقول: ((رأيت النبى صلى الله عليه وآله واضعا الحسن

على عاتقه، فقال: من أحبنى فليحبه. رواه اشعث بن سوار وفضيل بن مرزوق عن

عدى مثله)).

٢ . حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا بشر بن موسى، حدثنا خلاد بن يحيى،

حدثنا هشام بن سعد، حدثنى نعيم، قال: قال لى أبو هريرة: ((ما رأيت الحسن قط إلا

فاضت عيناى دموعا، وذلک أنه أتى يوما يشتد حتى قعد فى حجر رسول الله صلى الله عليه وآله فجعل

يقول بيديه هكذا فى لحية رسول الله ورسول الله صلى الله عليه وآله يفتح فمه ثم يدخل فمه فى فمه

ويقول: اللهم إنى أحبه فأحبه، يقولها ثلاث مرات))(1)

ولو أردنا المواصلة والمتابعة وحمع الأحاديث الدالة على مكانة ومنزلة الحسن بن

على عليهما السلام من كتب مدرسة الخلفاء وحدها لما وسعتنا المجلدات الطوال، ولكنى اكتفى

بما تقدم فهو خير دليل على أن السياسيين لم يأبهوا بكل هذه الأحاديث، ولم يلتزموا

بها، وإنما حاربوا وقتلوا الإمام الحسن عليه السلام وجاء من بعدهم أبناؤهم واحفادهم فدافعوا

عمن كره وقاتل الإمام الحسن عليه السلام ومن فرح بموته وجهل منزلته وفق ازدواجية مقيتة

لا يستقيم معها العدل والإنصاف بله الإيمان والتصديق.

1- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،الإمام الحافظ أبو نعيم الأصبهانى، ص ٣٥، حديث ١٣٢

فرح السياسيين بموته

إن شخصا بمثل مواصفات الإمام الحسن عليه السلام المقدسة ومنزلته الفريدة ما كان

للأمة أن تفرط به لو كانت حقا مدركة لمعنى الرسالة وقيم السماء؛ فالإمام الحسن عليه السلام

أنموذج مائز للإنسان الفريد المنتفى بعناية الرب سبحانه لم تجد الأيام بمثله إلا فى نادر

الندرة ثم عقمت؛ ولن تتكرر نسخته إلى أبد الآبدين، ولكن السياسيين وأعوانهم من

المتزلفين، فضلا عن خدمهم من وعاظ السلاطين اجتمعوا سوية وخلخلوا وخلطوا

صافى منظومة فكر الإنسان المسلم البسيط الساذج الأول؛ وهى لما تزل طرية يانعة

لم تتضج بعد، تتصارع مع قيم البداوة وسنن الجاهلية وعنت العرف العشائرى وما

اكتسبته من قسوة الطبيعة و شظف العيش وهى العوامل المانعة المضادة التى كانت لا

تزال تعشش فى أركان كيانه، فخدعوه وحرفوا مساره وأوقفوا مسيرته نحو المعرفة

السامية التى جاءت بها الرسالة المحمدية؛ ليضخوا فى كيانه معرفة من نوع آخر محت

جوهر البراءة من روحه وحولته إلى نصف آدمى ونصف شيطان؛ فما عاد يحسب للنبوة

وفروعها حسابا سواء ظلمت أمام عينيه أو أسهم هو أيضا فى ظلمها، وهى الساعة

التى تحكمت الازدواجية فيها بفكر الأمة وأوصلتها إلى مرحلة السجود شكرا لله لموت

الحسن بن على بن أبى طالب عليهما السلام سيد شباب أهل الجنة الذى جعله الله للناس إماما

وأمنا!!

ولذا ترى التاريخ ينقل عن معاوية أنه حينما جاءه خبر موت الحسن عليه السلام سجد

وكبر وأعلن الفرح والسرور؛ وروت أغلب المصادر ارتفاع صوت الفرحة من قصر

معاوية بقتل الإمام الحسن عليه السلام! ففى وفيات الأعيان لابن خلكان،ج٢، ص٦٦: ((ولما

كتب مروان إلى معاوية بشكاته كتب إليه: أن أقبل المطى إلى بخبر الحسن، ولما بلغه موته

سمع تكبيراً من القصر، فكبر أهل الشام لذلک التكبير! فقالت فاختة زوجة معاوية:

أقر الله عينک يا أمير المؤمنين ما الذى كبرت له؟ قال: مات الحسن. قالت: أعلى موت

ابن فاطمة تكبر؟)(1)

وفى أخبارالدولة العباسية/ ٤٢ :((عن معمر عن إدريس ومحمدبن إسحاق قال:

ثم إن مروان بن الحكم كتب إلى معاوية يخبره بمرض الحسن بن على عليه السلام وأنه رأى أن به

السل! فكتب إليه معاوية: لا تغيبنى خبره يوماً فكان يأتى خبره معاوية كل يوم! فقال

رجل من قريش: إنى لفى الباب فى اليوم الذى جاء فيه نعى الحسن بن على عليه السلام إذ مر

يزيد بن معاوية داخلاً على أبيه فأدخلنى فما مر بباب إلا قالوا: مرحباً بابن أمير المؤمنين

حتى انتهى إلى البيت الذى فيه معاوية، وإذا امرأته بنت قرظة تعطره وتسرح لحيته،

فلما رأتنا امرأته قالت: واسوأتاه أتدخل علينا الرجال؟ فقال لها: أسكتى وإلا عزمت

على أمير المؤمنين أن يتزوج أربع قرشيات كلهن يأتين بغلام يبايع له بالخلافة! فقال لها

معاوية: أسكتى فلو عزم على يزيد لم أجد بداً من إنفاذ عزيمته! فقامت فلم تقدر على

النهوض حتى وضعت يدها على الأرض ثم ارتفعت، فلما ولت قال معاوية: ما كنا

لنغيرها. قال يزيد: وما كنت لأعزم عليک، إنما قلت ما قلت لأذعرها! فإنا كذلک؛

إذ دخل شيخ طوال كان على الصائفة فسأله معاوية عن أمر الناس والجند، فبينا نحن

كذلک إذ دخل غلام معاوية فقال: يا أمير المؤمنين بشراى! قال: وما ذلک؟ قال: فى هذه

الصحيفة ما تحب. قال: لک بشرال، فدفعها إليه ولما قرأها خر ساجداً ثم رفع رأسه،

1- فرح معاوية بقتله للإمام الحسن عليه السلام، موقع سماحة الشيخ على الكورانى، http://www.alameli.net/books/index.php?id=2842

فعرفنا السرور فی وجهه فنعی الحسن بن علی، فبکی الشیخ وانتحب و وضع یده علی

(فمه) ینتحب فقال له الغلام: أسکت أیها الشیخ فقد شققت علی أمیر المؤمنین! هل

الحسن إلا أحد رجلین: إما منافق أراح الله منه، وإما بر فما عند الله خیر للأبرار! ثم إن

معاویة قال لحاجبه: إئذن للناس وأخر إذن ابن عباس..))(1)

وفی الإمامة والسیاسة لابن قتیبة: 150/1: ((فلما أتاه الخبر أظهر فرحاً وسروراً،

حتی سجد وسجد من کان معه، فبلغ ذلک عبد الله بن عباس وکان بالشام یومئذ فدخل

علی معاویة، فلما جلس قال معاویة: یا بن عباس هلک الحسن بن علی، فقال ابن عباس:

نعم هلک، إنا لله وإنا إلیه راجعون، ترجیعا مکرراً، وقد بلغنی الذی أظهرت من الفرح

والسرور لوفاته! أما والله ما سد جده حفرتک، ولا زاد نقصان أجله فی عمرک، ولقد

مات وهو خیر منک ولئن أصبنا به لقد أصبنا بمن کان خیراً منه، جده رسول الله صلی الله علیه و آله. فجبر الله مصیبته وخلف علینا من بعده أحسن الخلافة. ثم شهق ابن عباس وبکی،

وبکی من حضر المجلس)). ونحوه تاریخ دمشق:۱۳/295، ومروج الذهب٦٦١ (2)

1- المصدر نفسه

2- المصدر نفسه

عدم احترام منزلته

من المفروض بالأمة تبعا لما وصلها من الأحاديث الصحيحة والحسان والمتواترة

أن لا تفرح بموت الحسن عليه السلام، وإنما كان يجب أن تكون للإمام منزلة فى الأقل عند

معاصريه لا يرقى إليها الراقون، ولا يبلغها المتسلقون؛ طالما أنهم سمعوا أخبارها من

فم النبى صلى الله عليه و آله أو من فم من سمعها عنه. كما يتوجب على الأمة التى تحب رسولها أن تحترم

تلك الأوامر وتعمل بها وتطبقها حرفيا مثل أى تعليم أو أمر آخر صادرعنه صلى الله عليه و آله ولكنهم

ضربوا بها عرض الحائط ولم يكتفوا بمحاربة الحسن عليه السلام وقتله ومع تجديده العهد مع

جده صلى الله عليه و آله ثم عمدوا إلى هدم قبره وإنما شوهوا سيرته العطرة وأساءوا له وللإسلام

ولنبى الإسلام. إن كرههم لآل البيت يتنافى مع كل تلك الروايات ويتنافى مع ما جاء

فى خصائص النسائى: ((أخبرنا القاسم بن دينار قال: حدثنا خالد بن مخلد قال: حدثنا

موسى (وهو ابن يعقوب الزمعى) عن عبد الله بن أبى بكر بن زيد بن المهاجر قال:

أخبرنى مسلم بن أبى سهل النبال قال: اخبرنى الحسن بن أسامة بن زيد بن الحارثة قال:

اخبرنى أسامة بن زيد قال: طرقت رسول الله صلى الله عليه و آله ليلة لبعض الحاجة فخرج وهو مشتمل

على شيء لا أدرى ما هو، فلما فرغت من حاجتى قلت: ما هذا الذى أنت مشتمل عليه؟

فكشفه، فإذا هو الحسن والحسين على وركيه فقال: هذان ابناى وابنا بنتى، اللهم إنک

تعلم أنى أحبهما فأحبهما))(1) نعم لم يشفع له ذلک كله، ولم يشفع له شبهه بالنبى صلى الله عليه و اله.

1- تهذيب خصائص الإمام على؛أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى، باب (ذكر ما خص به على بن أبى طالب كرم الله وجهه من الحسن والحسين ابنى رسول الله صلى الله عليه و آله وريحانته من الدنيا وسيدى شباب أهل الجنة إلا عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليه السلام)، ص ١٠٩ - ١١٠، حديث ١٣٤

لم يشفع له شبهه بالنبى صلى الله عليه و آله

من المعروف بين العامة والخاصة أن (ألف عين لأجل عين تكرم) وللعرب

والمسلمين فى ذلک قصص وروايات ومواقف وحكايات، وكانوا يحبون الديار والمناطق

إكراما لعيون من يحبونه، قال شاعرهم:

وما حب الديار شغلن قلبى ولكن حب من سكن الديار

بل إنهم إكراما لمن يحبونه كانوا يسمون أبناءهم باسمه ويكنوهم بكنيته، ويحبون

ويحترمون من يشبه واحدا من آبائهم أو أجدادهم؛ والمفروض أن تكون هذه السجية

عامة شاملة فى كل الحالات، ولكنک للأسف تجد الانتقائية والتمييز واضحا وبشكل

كبير بسبب الخلاف السياسى والعداء العقيدى، فالمعروف أن الإمام الحسن عليه السلام كان

أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه و آله وإكراما للرسول كان يحب أن يكرم شبيهه، ولكنهم لم

يحترموا الشبه لأنهم أساسا لم يكونوا يحترمون الأصل، مع أنهم لم يختلعوا بشأن الشبه

ولم يعترضوا عليه، بل لهم أحاديث كثيرة جدا تتناول موضوع شبه الحسن عليه السلام بجده

النبى صلى الله عليه و آله، منها:

((عن إسماعيل بن أو خالد قال: مشيت مع أو جحيفة إلى الجمعة قال: رأيت

رسول الله وكان الحسن بن على يشبهه))(1)

((عن الزهرى قال أخبرنى أنس بن مالک قال: كان أشبههم برسول الله يعنى أهل

1- الدولابى مصدر السابق ص 70 حديث رقم 106

البيت الحسن بن على))(1)

((عن أبى إسحاق عن هانىء بن هانىء عن على، قال: أشبه الحسن رسول الله ما بين

الصدر إلى الرأس....))(2)

((وروى إبراهيم بن على الرافعى عن أبيه، عن جدته زينب بنت أبى رافع قالت:

أتت فاطمة عليها السلام بابنيها الحسن والحسين عليهم السلام إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فى شكواه التى توفى

فيها فقالت: يا رسول الله، هنان ابناك فورثهما شيئاً. فقال: أما الحسن فإن له هيبتى

وسؤددى، وأما الحسين فإن له جودى وشجاعتى)).

ويصدق هذا الخبر ما رواه محمد بن إسحاق قال: ((ما بلغ أحد من الشرف بعد

رسول الله صلى الله عليه و آله ما بلغ الحسن بن على، كان يبسط له على باب داره، فإذا خرج و جلس

انقطع الطريق فما مر أحد من خلق الله إجلالاً له، فإذا علم قام ودخل بيته فمر الناس،

ولقد رأيته فى طريق مكة نزل عن راحلته فمشى فما من خلق الله أحد إلا نزل ومشى،

حتى رأيت سعد ابن أبى وقاص قد نزل ومشى إلى جنبه))(3)

وروى عن أنس بن مالک قال:((لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه و آله من الحسن بن

على عليه السلام))

1- المصدر نفسه، ص ٧٠، حديث ١٠٧. وقال فى الهامش: والحديث أيضا صحيح فقد رواه عبد الرزاق (٢٠٩٨٤) ومن طريقه أحمد فى المسند (١٦٤/٣) وفى القضائل (١٣٦٩) ورواه أيضا أحمد (١٩٩/٣) والبخارى (٧/ ٩٥) والترمذى (٣٧٧٦) والحاكم (١٦٨/٣) كلهم من طريق معمر

2- الدولابى، حديث ١٠٨ ص ٧١

3- مناقب ابن شهرآشوب،ج ٤ ، ص ٧. ينظر: إعلام الورى بأعلام الهدى، للشيخ الطبرسى، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. (٤) ارشاد المفيد ٢: 5، صحيح البخارى 5: 33، سنن الترمذى 5: 659 | ٣٧٧٦، تاريخ ابن عساكر- ترجمة الإمام الحسن ٢٨/ ٤٨ . ينظر: إعلام الورى بأعلام الهدى، للشيخ الطبرسى.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ((إن الحسن ابنى أشبه برسول الله صلى الله عليه و آله ما بين الصدر إلى

الرأس، والحسين عليه السلام أسفل من ذلک))(1)

وأسأل هنا: كم من رجال الأمة ونسائها تذكروا هذه الأحاديث وهم يرون معاوية

يقود مائة ألف أو أكثر من أهل الشام ليهاجم عاصمة الخلافة الإسلامية التى يسوس

الناس فيها وفى باقى أقاليمها الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام، أشبه الناس برسول

الله صلى الله عليه و آله وهل طرأت على بالهم أو تذكروها، أم أن ذلک لم يحدث؟ وما أسباب غفلتهم يا

ترى، هل هو كم الأحاديث المضادة الذى ضخوه ونشروه بين الناس، ام ماذا؟

واقعا نجد قبالة الكم الكبير من الأحاديث الصحيحة المتفق عليها والتى أوردتها

كتب المدرستين هناک من كذب على رسول الله غير ملتفت إلى تحذيراته، فسخر ملكته

الشيطانية فى وضع أحاديث عن فضائل عدو الحسن عليه السلام سعيا منه إلى معادلة الكفة بين

الحسن عليه السلام ذلک الطود الشامخ والجبل الأشم وبين معاوية تلک الحفرة التى يطمرها

و شل السيول وما تحمله مما مرت عليه فى طريقها!وهى أحاديث الافتراء على حبيب

رسول الله صلى الله عليه و آله الإمام المعصوم الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام.

وكانت سياسة الحجب التى اتبعها السياسيون قد قادت من جاء بعدهم ولاسيما

بعد أن أستنبطوا مصطلح(الخلافة الراشدة) بعد عصر الخلافة بزمن إلى أن يشككوا فى

احتساب مدة خلافة الحسن عليه السلام من ضمن الخلافة الراشدة بالرغم من كونها لم تتجاوز

الستة اشهر إلا بقليل

1- صحيح الترمذى 5: ٦٦٠ ٣٧٧٩١، مورد الضمآن بزوائد ابن حبان: ٥٥٣ ا رقم ٢٢٣٥، تاريخ ابن عساكر ترجمة الإمام الحسن ١٣٣ ا ٦٠. ينظر: إعلام الورى بأعلام الهدى، للشيخ الطبرسى

حجبهم الراشدية عنه

بالرغم من موقف الشيعة من الخلافة بعد وفاة النبى صلى الله عليه و آله؛ وموقفهم حتى من

تسميتها باسم الخلافة الراشدة، وحديثهم عن أصول الإمامة والاستخلاف التى

يعتقدون بشرعيتها وصحتها دون سواها؛ بما يجعلهم غير متحمسين لغيرها، ولا

متباهين بمنزلة ما هو دونها، إلا أن السياسيين إيغالا منهم بالكره والعداء للحسن عليه السلام

أنكروا أن يكون خامس الخلفاء الراشدين، ثم تجاوزوا عددا لا يستهان به من الخلفاء

الأمويين(1) حتى وصلوا إلى عمر بن عبد العزيز الذى حكم فى السنوات ٩٩- ١٠١

هجرية ليجعلوه خامس الخلفاء الراشدين خلافا لما أوردوه فى صحاحهم بأن الرسول

الأكرم صلى الله عليه و آله حدد مدة الخلافة من بعده بثلاثين عاماً وإشارته إلى أنها ستتحول بعد ذلك إلى

ملك عضوض، كما فى الحديث الذى رواه أحمد وأبو داود والنسائى والترمذى، وحسنه

من طريق سعيد بن جهمان عن سفينة أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال: ((الخلافة بعدى ثلاثون سنة

ثم تكون ملكاً))، ((وقد اشتملت هذه الثلاثون سنة على خلافة أبى بكر الصديق، وعمر

1- تجاوزوا حسنا عليه السلام، ثم تجاوزوا كلا من: معاوية بن أبى سفيان الذى حكم تسع عشرة سنة و ثمانية أشهر توفى فى رجب سنة ٦٠ عن ٧٨عاما.. ويزيد بن معاوية: حكم ثلاث سنين و ثمانية أشهرتوفى فى ربيع الأول سنة ٦٤ عن٣٨عاما.. ومعاوية بن يزيد: حكم أربعون يوما توفى فى سنة٦٤ عن٢٣عاما.. ومروان بن الحكم: حكم عشرة أشهر توفى فى رمضان سنة 65 عن 71عاما.. وعبدالملك بن مروان:حكم إحدى وعشرين سنة توفى فى شوال سنة ٨٦ عن ٦٠عاما.. والوليد بن عبد الملك:حكم تسع سنين و ثمانية أشهر توفى فى جمادى الآخرة سنة ٩٦ عن ٤٨ عاما.. وسليمان بن عبد الملك: حكم سنتان و ثمانية أشهر توفى فى صفر سنة ٩٩ عن ٤٥ عاما.. ووصلوا إلى عمر بن عبد العزيز بن مروان: ومدة حكمه سنتين وخمسة أشهر وتوفى فى رجب سنة ١٠١ عن ٤٠ عاما، فجعلوه خامس الخلفاء الراشدين. ولهم فى ذلك مغامرة أخرى عند حديثهم عن حديث رسول الله (الخلفاء بعدى اثنا عشر كلهم من قريش) حيث استخدموا نفس سياسة القفز والتجاوز ولم يفلحوا لحد الآن فى إحصائهم.

الفاروق وعثمان الشهيد، وعلى بن أبى طالب الشهيد أيضاً، وكان ختامها وتمامها بستة

أشهر وليها الحسن بن على بعد أبيه، وعند تمام الثلاثين نزل عن الأمر لمعاوية بن أبى

سفيان سنة أربعين وأصفقت البيعة لمعاوية بن أبى سفيان وسمى ذلک عام الجماعة))(1)

ولذا ترى بعضهم يجعل الحسن عليه السلام خامس الخلفاء الراشدين ويؤلف الكتب

لإثبات ذلک مثل (سن محمد كامل الملطاوى) الذى ألف كتاب (خامس الخلفاء

الراشدين الإمام الحسن بن على) والدكتور (على محمد الصلابى) الذى ألف كتاب

(سيرة أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن على بن أبى طالب)

وترى بعضهم الآخر يجعله مجرد ثائر خسر حربه، فركبته الديون، فطمع بكرم

عدوه، فكاتبه وعقد معه الصلح على أن يسدد ديونه التى تراكمت عليه بسبب تبذيره

على الزواج والطلاق والهدايا، ولذا لا يمكن عده مع الراشدين!

ولتبيان التناقض الكبير أورد من مركز الفتوى فى السعودية ما ورد فى الفتوى

المرقمة: ٩٧٤١١ جوابا على سؤال: (من هو خامس خلفاء الراشدين حيث إن المشهور

أنه عمر بن عبد العزيز، ولكنى قرأت مؤخراً أنه الحسن بن على بن أبى طالب ومن خلفه

معاوية فمتى تولى عمر بن عبد العزيز الحكم؟)

الفتوى:

ا(أما بعد: فالخليفة الراشد الخامس هو الحسن بن على عليه السلام، ولا شک أن معاوية

وعمر بن عبد العزيز كانا عادلين راشدين))(2)

ثم أردفوا قائلين: ((أما خلافة الحسن فقد ثبت عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال: الخلافة فى

1- ينظر النهاية فى الفتن والملاحم لابن كثير، ص ٤

2- مركز الإفتاء السعودى

أمتى ثلاثون ستة، ثم يكون بعد ذلک الملک... رواه أحمد والترمذى. قال الحافظ فى الفتح: والمراد به خلافة النبوة. وقال القاضى: المراد بها الخلافة التى لا يشوبها ملک بعده. وقال بن أبى العز شرح الطحاوية: كانت خلافة أبى بكر سنتين وثلاثة شهر، وخلافة عمر عين سنين ونصفاً، وخلافة عثمان اثنتى عشر سنة، وخلافة على أربع سنين وتسعة أشهر، وخلافة الحسن ستة أشهر، وأول ملوک المسلمين معاوية، وهوخير ملوک المسلمين. وقال ابن كثير فى البداية والنهاية:... وتكميل الثلاثين بخلافة الحسن بن على نحواً من ستة أشهر حتى نزل عنها لمعاوية عام أربعين. انتهى.

فأما معاوية فهو خير ملوک المسلمين كما مر معنا فى كلام أبى العز، حتى قال الأعمش: لو رأيتم معاوية لقلتم إنه المهدى. وقد ذكر عند الأعمش عمر بن عبد العزيز فقال: كيف لو أدركتم معاوية؟! قالوا: فى حلمه؟ قال: لا والله؛ بل فى عدله. ومع ذلک فإن حكمه لا يعتبر خلافة نبوية لأنه شابه ملک، قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى عن خلافة معاوية: وخلافة معاوية قد شابها الملک، وليس هذا قادحاً فى خلافته، كما أن ملک سليمان لم يقدح فى نبوته... وهذا يقتضى أن ثوب الخلافة بالملک جائز فى شريعتنا، وأن ذلک لا ينافى العدل؛ وإن كانت الخلافة المحضة أفضل.

وأما عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) فقد تولى الحكم سنة ٩٩ هـ. وقد كان عادلاً عالماً ورعاً زاهداً، وقد سماه كثير من العلماء الخليفة الخامس لأنه جاء فى زمن ابتعد الولاة فيه عن الهدى النبوى فى الحكم وعن سيرة الخلفاء الراشدين فجدد مسيرتهم، أو لعله لقلة فترة خلافة الحسن عليه السلام، ولاضطر اب أمر المسلمين فى هذه الفترة))(1)

1- مركز الفتـــــــــــــــوى الســـــــــــــــعودى الرابـــــــــــــــط http://www.islamweb.net/fatwa/indox.php?page=showfatwaOption=Fatwaldld=97411

والذى أراه أن هذا التدليس لا يحتاج إلى شرح وتوضيح، فهو واضح والدس فيه

مفضوح والخلط المتعمد لا يمكن أن يمر حتى على بسطاء الناس.

ولكنهم حتى مع كل تلك المحاولات للالتفاف على الحقيقة تجدهم فى أحاديثهم

العامة يتجاوزون الحسن وينسون خلافته الراشدة بالرغم من أنه لم يكن بحاجة إليها؛

ليثبتوا بأن عمر بن عبد العزيز هو خامس الخلفاء الراشدين ولا أحد غيره! كما فى قول

الكركيت عن عمر بن عبد العزيز:((هو خامس الخلفاء الراشدين، وعلى الرغم من أنه

لم يتول الخلافة بعد سيدنا على عليه السلام، إلا أنه يعتبر خامس الخلفاء الراشدين، حيث لم

تشهد الدولة الإسلامية بعد على إلا نهاية للخلافة الراشدة، وانتقال الدولة الإسلامية

إلى دولة تتنازعها الأهواء، وتبعد بها عن الطريق الحق. وجاءت تولية عمر بن عبد

العزيز، وإعزاز الإسلام به، وتقدم الدولة الإسلامية فى عهده، والمآثر التى حدثت على

يديه، فجعلت منه بحق خامس الخلفاء الراشدين))(1)

أما من لم يتجاوز الحسن وجعله فى كفة واحدة مع عمر بن عبد العزيز فقد

تأول ليوسح مكانا لمعاوية أيضا، فما الضير فى أن يكون معاوية معهم فى الكفة نفسها

حتى ولو أصبحوا أكثر من خمسة؟ ما الضير أن يكون معاوية خامس أو سادس الخلفاء

الراشدين؟ ألم يجعله شاعرهم (أعشى بنى ربيعة) رابعا بعد أن أسقط خلافة على بن

طالب عليه السلام كما فى قصيدته التى أوردها الجاحظ فى البيان والتبيين، والتى قال فيها:

((وكان الخلائف بعد الرسول لله كلهم خاشعا

شهيدين من بعد صديقهموكان ابن صخر هو الرابعا

وكان ابنه بعده خامسامطيعا لمن قبله سامعا

1- موقع طارق الكركيت الرابط: http://alkarket.maktoobblog.com

و مروان سادس من قد مضى و كان ابنه بعده سابعا

و بشر يدافع عبد العزيز مضى ثامناً ذا و ذا تاسعا

و أيهم ما يكن سائساً لها لم يكن أمرها ضائعا

فأما ترينى حليف العصا فما كنت من رثية خامعا

فساونى الدهر ختى اشترى شبابى و كنت له مانعا))(1)

إنهم هكذا يفكرون، وهكذا يستهينون بالعقل المسلم، وهكذا يريدون الناس أن

تفكر، أو فى الأقل هكذا يريدون أن يفكروا نيابة عن الناس ثم يجبرونهم على الإيمان

بما توصلوا إليه؛ فيصادرون فكرهم وحقهم، ولهذا، ووفق منطق الجدل الافلاطونى

وبعيدا عن هيمان الشعراء فى الوديان سعى بعضهم حقا وحقيقة ليجعل من معاوية

خامسا للخلفاء الراشدين، كما فى قول الدكتور على محمد الصلابى بعد أن تحدث عن

أمتداد مرحلة الخلفاء الاثنى عشر من قريش الذين عناهم الحديث النبوى، وقال أنها

غير محددة بزمن وتمتد إلى آخر الزمان، وبناء عليه قال: ((وقد ذكر ابن كثير أن من خلفاء

هذه المرحلة عمر بن عبد العزيز. ولما كان معاوية أفضل من عمر بن عبد العزيز، فهذا

يعنى دخول معاوية فى خلفاء هذه المرحلة))(2)

هكذا بكل بساطة، وبهذا المنطق الفج يدخل الناس إلى سلة الخلافة الراشدة

ويخرجوا منها دونما عناء، وما ذاك سوى إستهانة بالعقل المسلم وبالعقيدة والتاريخ

والقيم كلها، والغريب أن البحث فى شبكة الانترنيت يقودك إلى مئات الدراسات

والمقالات التى تتفق مع هذه الآراء الفارغة بما يؤكد أن هناك من يزن بميزانين.

وتأتى هذه المماحكة بالرغم من وجود الكثير من الباحثين الذى استندوا إلى

1- هذه الأبيات تنسب لكثير عزة أيضاً، ولكن نسبتها للأعشى اصح والجاحظ ثقة

2- سيرة أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين، على محمد الصلابى، ص ٣٤٣

أحاديث فى صحاحهم تتحدث عن وجود خلافة راشدة تمتد من تاريخ وفاة النبى صلى الله عليه و آله

ولمدة ثلاثين عاما، ثم لما حسبوا المدة وجدوها تغطى حكم أبابكر وعمر وعثمان، وعد

بعضهم حقبة حكم الإمام على عليه السلام من ضمنها، وعدها آخرون خارجة عنها، وأخرا

مدة الأشهر الستة التى حكم فيها الإمام الحسن قبل أن يتصالح مع معاوية، وقد قال

الصلابى بعد أن نصب نفسه حكما يثبت وينفى كيفما يشاء: ((وأثبت بأن خلافته كانت

راشدة حقة لأن مدته فى الحكم كانت تتمة لمدة الخلافة الراشدة التى أخبر النبى صلى الله عليه و آله أن

مدتها ثلاثون سنة ثم تصير ملكا))(1)

هنا أريد التنويه إلى أن الدفع عن راشدية الحسن عليه السلام لم يأت حبا به وتبجيلا لمقامه؛

وإنما جاء لكى تمرر مثل هذه الطبخات، ولكى يمرر محتوى حديث الخلفاء من بعدى

ومضمونه وفق معاييرهم وحسب فهمهم، وهو محتوى ومضمون تختلف معه مدرستنا

وتعتبره تجاوزا على حقوق شرعية الإمامة والاستخلاف الشرعيين، ويؤكد لک هذا

التلون فى تمرير المشاريع درجة الوعى السياسى عند السياسيين العرب المسلمين عن

طريق خلط الأوراق.

1- سيرة أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن على، الدكتور على محمد الصلابى،ص ٩

وتمكنت السياسة من خلط ألأوراق بشأن خُلق الإمام

روج أحفاد الفصيل السياسى فى كتبهم ومقالاتهم وأحاديثهم بأن الإمام الحسن عليه السلام كان رجلاً مسالماً، ولا باع له فى الحرب والقتال حقا أو باطلا، وقد خلطوا فى هذا الأمر كثيرا، فمن ناحية يروون بأنه شارك فى حروب الفتح، وهى القرية التى فندناها من قبل. ومن ناحية أخرى يروون أمثلة عن حب الإمام عليه السلام لسلم ونبذه للفتنة والخصام والنزاع، يقول السيوطى: ((أخرج ابن سعد عن عمر بن اسحاق قال: ما تكلم عندى أحد كان أحب إذا تكلم أن لا يسكت من الحسن بن على وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة فإنه كان بين الحسن وعمرو بن عثمان خصومة فى أرض فعرض الحسن أمرا لم يرضه عمرو، فقال الحسن: فليس له عندنا إلا ما رغم أنفه، قال: فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه))(1)

وقال السيوطى أيضا: ((وأخرج ابن سعد عن عمير بن اسحاق قال: كان مروان أمرا علينا فكان يسب عليا كل جمعة على المنبر وحسن يسمع فلا يرد شيئا ثم أرسل إليه رجلا يقول له: بعلى وبعلى وبغلى وبك وبك، وما وجدت مثلك إلا مثل بغلة يقال لها: من أبوك؟ فتقول: أمى الفرس. فقال له الحسن: ارجع إليه فقل له: إنى والله لا أمجحو عنك شيئا مما قلت بأن أسبك، ولكن موعدى وموعدك الله، فإن كنت صادقا جزاك الله بصدقك، وإن كنت كاذبا فالله أشد نقمة)(2)

1- تاريخ السيوطى ص ١٩٠

2- تاريخ السيوطى ص ١٩٠

وهم فی إدعائهم هذا لا یریدون مدح الحسن بقدر کوتهم یسعون إلی الإیغال فی

تشویه مدائحه، وإلا بماذا نفسر قول الطبری: ((وکان الحسن لا یری القتال ولکنه یرید

أن یأخذ لنفسه ما استطع من معاویة ثم یدخل فی الجماعة))؟(1) هکذا، وکأن الحسن علیه السلام

بنظرهم مجرد نصاب یبحث عن المنافع الدنیویة ویستغل الفرص لتحقیق الأرباح

المادیة، فهل یتساوق حدیثهم هذا مع کل تلک الأحادیث عن منزلة الإمام الحسن عیله السلام

وعلو شأنه؟

1- تاریخ الطبری،ج۳، ص ۹٤۱

الفصل السادس السياسة الدينية

اشارة

ص: 321

بعد الحديث الطويل عن سياسة الإسلاميين العرب يجب أن نتحدث عن الجبهة

الأخرى جبهة وسياسة العقائديين المسلمين العرب ورجال سياسة الإسلام الذين كان

همهم نشر الدين وإعلاء شأنه لأنهم الجبهة التى تقصدتها جبهة السياسيين الدنيويين

وحاربتها ونالت منها وعملت على تقويضها بكل ما أتيح لها أملا منها فى إطفاء أنوار

الامامة التى كانت تشع على الأمة وتلهمها الايمان؛ وقد تكون فكرة محاولة إطفاء

أنوار الإمامة المعصومة من أشهر ما يعتقده أهلنا نظرا للمحاولات الجادة والخطرة

التى مورست من أجل تحقيق هذا الهدف عبر التاريخ مع كل أئمة أهل البيت

المعصومين عليهم السلام، ويكفى أن نعرف أن هذا العمل مورس حتى مع الأئمة المتأخرين

وصولا إلى الإمامين على بن محمد الهادى والحسن بن على العسكرى وقد جاء فى

أصول الكافى عن محمد بن يحيى عن صالح بن سعيد قال: ((دخلت على أبى الحسن عليه السلام

فقلت له: جعلت فداک فى كل الأمور أرادوا إطفاء نورک والتقصير بک....)(1)

ولأن كتابنا هذا قد تم وضعه للحديث عن الإمام الحسن عليه السلام بوجه خاص لذا لن

أتطرق إلى تعامل النبى صلى الله عليه و آله والإمام على عليه السلام مع السياسيين وردهم عليهم فما أوردته فى

القسم الأول من الكتاب يكفى لتوضيح المقاصد، وسأوقف هذا القسم للحديث عن

تعامل الإمام الحسن بسياسته الدينية مع تلک السياسة وموقف السياسة منه ومن

الإسلام والمسلمين.

1- أصول الكافى، باب مولد أبى الحسن على بن محمد عليه السلام، ص ٣٨١،ج ١ ،حديث رقم ٢

وقبل الحديث عن مراحل حياة الإمام الحسن عليه السلام أود أن أبين أنه من المسلم بشأنه

فى مدرستنا أن أئمة أهل البيت عليهم السلام تميزوا عن باقى المسلمين بأنهم من (المخلصين)

الـذين نزههم الله سـبحانه وتعالى عن الـدنس والقـذر والرجس بنص القرآن ((انما يريـد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيراً))وهم كانوا يعرفون أنفسهم

حق معرفتها ويعرفون منزلتهم عند الله وعند الناس. وكانوا يدعون أتباعهم لكى

يعرفوا أنفسهم أيضا ويمتحنوا ذواتهم، لأن الأئمة موقنون بأن المعرفة مقدمة على ما

سواها، والمعرفة هى التى تؤدى إلى معرفة الذات كما فى قول أمير المؤمنين على عليه السلام:

غاية المعرفة أن يعرف المرء نفسه)) وقوله الآخر: معرفة النفس انفع المعارف))

فمعرفة الذات هى التى تؤدى إلى معرفة الله سبحانه وتعالى والإيمان به، فالذات أو

النفس هى القيمـة العليا التى جعلها الله آية ((سـنريهم ءايتنا فى الافاق و فى انفسـهم حتى يتبين لهم أنه الحق))(1) جعلها آية لتدل عليه وتهدى إلى الإيمان به، كما فى قول

رسول الله صلى الله عليه و آله ((من عرف نفسه فقد عرف ربه)) وهو ما ترجمه الإمام على عليه السلام بقوله:

((الفوز الأكبر من ظفر بمعرفة نفسه)) فالجهل بالنفس يحول بين المرء والإيمان ولذا ثبت

عن على عليه السلام، قوله: ((عجبت لمن يجهل نفسه كيف يعرف ربه)).

وما من إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام و إلا وتجد له عشرات الأقوال التى تحث على

معرفة النفس والبحث عنها وكأنها ضالة كأى ضالة عزيزة أخرى هديا بقول وأمير

المؤمنين على عليه السلام قال: عجبت لمن ينشد ضالته وقد أضل نفسه فلا يطلبها))

يقول الشيخ موسى: ومعرفة النفس عمل جليل إلى أبعد الحدود، فإذا وفق الله

الإنسان كان لابد وأن يتخن لنفسه هدفاً يتناسب مع جلالة قدره وعلو منزلته فلا يقلد

1- فصلت، 53

الحيوانات فى إشباع الملذات واحراف الشهوات... وأقرب طريق إلى تحديد الهدف هو

أن ينظر الإنسان إلى واقعه ويرسم الخطة على أساس سليم ويتعرف على حاجات من

حوله ويوفق بين واقعه ومطالبه حتى لا يصدم فى أول الطريق أو فى منتصفه فإذا كان

ساذجاً أو قاصر النظر فوف يغلب على أمره بل ربما يقف مقهوراً ولا يكمل طريقه،

وهذا أمر خطير لا يوصل إلى غاية، وربما يلقى بصاحبه إلى مواطن الزلل ويطرحه فى

مطارح لايتوقعها(1)

إن حياة التى تبنى وفق هذه المواصفات لا يمكن إلا أن تكون فى منتهى الرفعة

والسمو والعظمة، وعملياً وعلمياً يمكن تقسيم حياة الإمام الحسن عليه السلام إلى ثلاث

مراحل متداخلة، وهى:

- مرحلة المعصومية التى امتدت على طول عمره الشريف منذ ولادته ولحين

استشهاده.

- مرحلة المعصومية القيادية التى امتدت على مدى تسع سنين وأشهر منذ اليوم

الأول لاستشهاد الإمام على عليه السلام وتوليه الإمامة نيابة عن أبيه، ولحين استشهاده

بالسم.

- مرحلة الخلافة والإمامة القائدة المتممة لخلافة على عليه السلام وامتدت على مدى

ستة أشهر وأيام انتهت بالصلح مع معاوية.

هذه المراحل بمجموعها امتدت على مدى سع أو تسع وأربعين عاما من الجهاد

المتواصل المرير، وهى مجمل حياة الإمام الحسن عليه السلام، ومن المؤكد أن فى كل ساعة بل فى

1- حليم آل البيت الحسن بن على، الشيخ موسى محمد على، ط٢،عالم الكتب، بيروت، ١٤٠١٩٨٤٥م، ص٢٦

كل دقيقة من هذا العمر الزاخر بالعطاء كانت هناک مواقف جهادية وعبادية وتعليمية

وإرشادية وتفقيهية وتثقيفية، لكن كم واحد منا يعرف عنها ولو نزراً يسيراً؟ كم واحد

منا يعرف دور الإمام الحسن فی حياة جده النبی صلی الله عليه و آله، وفی حياة أبيه الإمام علی عليه السلام، وفی

مرحلة جهاده للبغاة، وفی الذين التسع التی قضاها فی المدينة المنورة بعد الصلح؟

ودونا عن كل تلک المراحل المفعمة بالحراک، كانت مرحلة ما بعد الصلح من

أكثرها حاجة للدرس والبحث، ولكننا وللاسف الشديد طوينا دونها كشحاً؛ وأشحنا

بوجهنا عنها، ولا نكاد نذكرها إلا فی حال الاضطرار، هذا إذا كنا نملک عنها شيئاً

نتحدث عنه، فتحولت إلی مساحة سوداء معتمة، الرؤيا فيها معدومة،وأخبارها مجهولة،

والحديث عنها سر من أسرار العيب.

وعلی خلاف ذلک وجهنا بعضاً يسراً من اهتمامنا إلی مرحلة الخلافة والصلح التی

كانت بمجموعها أقل من حمل امرأة، فأولیناها بعضا من جهدنا، وقسماً صغيراً من

نشاطنا، واليسير من اهتمامنا، فطفت أحداثها علی أحداث كل حياته الشريفة، وغطت

رواياتها علی كل مراحل جهاده، والأشد نكاية أن هناک بيننا من نظر إلی هذه المرحلة

نظرة سلبية باردة حولت العلاقة بينه وبين الإمام عليه السلام إلی علاقة باردة سالبة؛ وهذا

أمر خطر يجب تداركه، لأن أئمة أهل البيت عليهم السلام المعصومين وحدة واحدة متكاملة

متناقلة تتناقل الأدوار فيما بينهم لتتماهی مع المرحلة التی يعيش فيها كل منهم.

إن شخصيات الأئمة المعصومين عليهم السلام ليست شخصيات انفرادية تخصصية، بل

هی شخصيات متواصلة مع الرسالة ومحيطها ومع حياة المجتمع وليس فيهم من له

حياته الخاصة بمفهومها العام، وإلا ففی المفهوم الخاص لهم حياتهم الخاصة؛ فتزوجوا

وخلفوا وأكلوا وعاشوا وماتوا، أما حياتهم العامة فكانت فی تبادل ادوار مستمر مع

من سبقهم من المعصومين مع خصوصية تحايل المرحلة وتهتم بفرادتها ودرجة الوعى

الجمعى للأمة.

وفى مجمل هذه الحياة القصيرة المفعمة بالأحداث الساخنة كانت السياسة الدنيوية

هى سبب لكل النكبات التى وقعت فى حياة الحسن عليه السلام، بالرغم من أنهم وجدوا من

يتصدى لهم من قبل، حيث تصدى لهم النبى الأكرم صلى الله عليه و آله منذ الأيام الأولى للبعثة ولغاية

انتقاله إلى الرفيق الأعلى وبشكل مستمر أمتد إلى أخريات حياته، بل ولساعات قليلة

قبل موته؛ فلما مات قام بدوره الإمام على عليه السلام الذى تصدى لهم، وكانت له معهم وقائع

فكرية وجدالية حوارية ودموية، فلماا استشهد جاء دور الإمام الحسن عليه السلام ليتصدى

لكشف السياسة والسياسيين الدنيويين، وكان لهذا التصدى منهجه الذى يختلف كثيرا

عن منهجى النبى صلى الله عليه و آله والوصى عليه السلام نظراً لكون السياسيون كانوا فى هذه المرحلة الحساسة

أكثر قوة وخبرة مما كانوا عليه من قبل، وكان الدعم الذى حصل عليه من تصدى لهم

أقل من الدعم الذى حصل عليه من سبقوه، قضلا عن تغير الظروف والآليات التى

استخدمها السياسيون، وثبات الآليات التى انتهجها الدينيون، ليس لأنهم لا يجيدون

فن السياسة وإنما لكونهم ملزمين ومأمورين بأداء ما حملوه؛ مع علمهم بنتائج ما يدور

حتى قبل أن تقع وقائعه، والشواهد على ذلک كثيرة لا تحصى، قد يكون علم المستقبلية

من أهمها.

المستقبلية

وكما بدأنا كتابنا بالحديث عن العصبية ودورها فى دعم السياسيين بوصفها واحدة من آليات عملهم المهمة جداً، سنبدأ خواتيمه بهذا المبحث الخاص بالمستقبلية والغيبيات التى امتاز رسول الله وأئمة أهل البيت عليهم السلام بالحديث عنها والتعامل معها، بكل ما تمثله من تقيد بالتعاليم والتزام بالمنهج وسير وفق الخطة التى رسمها الله للكون باعتبار أن علوم المستقبلية تقف قبالة نعرة العصبية المنفتحة على كل ما يمكن أن يحقق الغلبة؛ والتى رفعت السياسيين إلى كراسى الحكم. فما المستقبلية؟

واقعا لا يوجد بلد متطور معاصر إلا وتجد فيه مراكز حكومية(1) وأهلية لدراسة القضايا الإستراتيجية المتصلة عادة بالمتغيرات العالمية وانعكاساتها المحلية والاقليمية والدولية، نظراً لترابط المصالح واشتراك المصير.

إن حالة عدم الاستقرار التى يعيشها العالم اليوم لا تفتح مجالاً رحباً أمام الباحثين عن الأمن والسلم والذين يأملون عيش حياة رغيدة للبحث عن حلمهم، وبالتأكيد كان الانسان السابق يعيش نفس الارهاصات ويشعر بنفس الخوف من المستقبل؛ ولذا كان الإنسان ولا يزال يتمنى لو كان يعلم شيئا عن غيب المستقبل الذى ينتظره لكى يرتب أولويات حياته تبعاً لذلك، وربما لهذا السبب كثرت حالات ظهور المتنبئين بالمستقبل والفلكيين عبر التاريخ؛ لأن هناك دائماً من يرغب وبشدة بمعرفة الأسرار التى يمكن أن

1- تجدها تحت مسميات مختلفة، منها: وحدات الدراسات المستقبلية، المراكز الدولية للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، وغيرها

يجليها المتنبئون له، بسبب حالة القلق والغموض التى يمثلها المستقبل.

ولذا نلحظ أنه خلال حقبة الثمانينات والتسعينات من القرن الماضى تطور علم دراسات المستقبل (الباراسيكولوجى)، ليشمل مواضيع محددة المحتوى وجدولاً زمنياً للعمل ومنهجاً علمياً تجتمع سوية لتتحدث مع عالم اليوم، الذى يتسم بتغيير متسارع بات المستقبل معه أقرب مما يتصورون.

إن علم المستقبل يشير عادة إلى أن القادم ممكن تصوره من خلال مثال يوضح العلاقات والتشابكات لثلاثية خالدة تتكون أضلاعها من: الماضى والحاضر والمستقبل، ويبحث كذلك عن العلاقة بين أضلاع هذه الثلاثية، فالمستقبل يرسمه الحاضر والحاضر نفسه كان مستقبل الماضى، ومعنى هذا أن علم المستقبليات أو الدراسات المستقبلية هو علم يختص بالمحتمل والممكن من المستقبل، من خلال السيناريو الذى يقترحه المتخصصون بهذا العلم، وبجانب الآشياء التى هى قليلة الاحتمال ولكنها ذات تأثير كبير، فإنه دائما ما تتواجد احتمالية كبيرة يجب عدم الاستهانة بها.

ويرى المتخصصون فى الدراسات المستقبلية أن من أهم نتاج العلم الحديث هو السيناريو المستقبلى الذى يقوم أساسا على دراسة الجدوى، وهذا يعنى السيطرة على الخطة، إمكانية استمراريتها، الوفاء بالتزاماتها المادية، توفر القيادة التقنية والتغلب على العقبات الخارجية التى قد توقف السيناريو فى إحدى مراحله، وفى نهاية المطاف فوائد السيناريو، وإذا ما كان من المجدى أن يتم إيقافه أو استمرار العمل به، رفع مستوى التطور العلمى فى المجال قيد الدراسة. ومعنى هذا أن السيناريو يعتمد على منظومة البيانات المبرمجة والمخزنة والتى يتم تحديثها باستمرار وفقا للتغيرات فى جميع الميادين.

وفى عالم اليوم جاءت الخطط الخمسية الوطنية التى توضع لرسم ملامح السنوات

الخمس القادمة للبلد، مع رصد الاحتياجات المالية المتوقعة والبنية التى يراد إنشاؤها

كمؤشر على نجاح هذا العلم فى مسعاه.

ولقد حدد الدكتور محسن عبد الحميد الهدف من المستقبلية الإسلامية التى مارسها

النبى صلى الله عليه و آله بقوله: ((وفى سبيل ألا يضل الإنسان فى عوالم الغيب وضع الله تعالى فى كتابه

الكريم الحقائق النهائية التى يحتاجها، كى لا يتعب نفسه وفكره فى هذا المجال، دون

جنى أية ثمرة، ليتفرغ إلى التفاعل مع الأرض والاستفادة من الزمن، لإنجاح عملية

الخلافة الإلهية.... وانطلاقاً من هذا المبدأ، فإن على الإنسان فى إطار الحقائق الإلهية

التى وضعت أمامه أن يسلم بالتفصيلات الغيبية. فهو طالما آمن بإله خيالاته المادية فى

محاولة تصور ماهية الإله وصفاته. ولذلك فلقد دعاه الخالق سبحانه وتعالى إلى الإيمان

بالغيب وجعل ذلك من أمارات صدق يقينه فى قوله: (الذين يومنون بالغيب و يقيمون الصلاة و مما رزقنهم ينفقون)(1) ثم بين له أن أى تحرك خيالى للعقل فى غير ما كلف به لا يكون مجدياً

أبداً و لن يوصل الى المراد))(2)

ولقد تأكد أن آباءنا وأجدادنا وأهلنا القدماء لم يكونوا أقل منا حرصاً ورغبة فى

معرفة المستقبل وما تخفيه الأيام، فلقد رافق المتنبئون الحكام فى قصورهم وقادة الجيوش

فى حروبهم، وكان الأغنياء والمترفون يدفعون المبالغ العظيمة لهم ألأ فى الحصول عن

معلومة ولو بسيطة عن المستقبل.

قد تكون لهذا الاهتمام أسبابه الدينية أيضاً، فالعقائد السماوية قائمة على الاستشراف

الستقبلى والوعود المستقبلية وفق معادلات الثواب والعقاب، وفيما يخص الإسلام

1- سورة البقرة، الآية ٣

2- المذهبية الإسلامية والتغيير الحضارى، الطبعة ٤، مطابع وزارة التربية العراقية، تقديم الدكتور عمر عبيد حسنة

كدين متحضر متطور نجد القرآن يتحدث عن المستقبلية بشكل واضح جدا فى أكثر

من مكان، كما فى قصة العبد الصالح وموسى عليهم السلام، حيث قتل العبد الصالح طفلاً.

فاعرض عليه نبى الله موسى عليه السلام الذى لم يكن يعرف غيب هذه القصية بقوله تعالى:

((فانطلقا حتى اذا لقيا غلماً فقتله قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً))(1)

فأخبره العبد الصالح أن هذا الطفل شرير وسيؤذى أبواه ويرهقهما:((و اما الغلم فكانن أبواه مؤمنين فخشينا يرهقهما طغياناً و كفراً((80))فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكوة و أقرب رحما))(2)

ولقد استشرف رسول الله صلى الله عليه و آله المستقبل للأمة لكى يؤكد لمن فى قلبه مرض صدق

ما جاءت به الرسالة، ولكى يزداد المؤمن إيمانا، ولكى يتحوطوا لأنفسهم فلا يقعوا فى

مساوئ الفتن، جاء فى فتن ابن حماد: عن حذيفة بن اليمان قال: هذه فتن قد أظلت

كجباه البقر يهلك فيها أكثر الناس إلا من كان يعرفها قبل ذلك))(3) فمن يعرفها يحتاط

منها ولا يقع فى شركها.

وبالتأكيد كان الاستشراف النبوى مختلفاً عما يجىء به المتنبئون، لأنه كان يتم

بواسطة وحى من السماء ولم يكن اعتقاداً شخصياً ظنياً مبنياً على التخمين والشك،

قابلا للصح والخطأ.

وكان الحديث النبوى عن المستقبل يقع كلما اقتصت الضرورة، ومع أنه صلى الله عليه و آله كان

كثير التحدث عن المستقبلية، نظرا لما يعرفه عن مستقبل الأمة، إلا انه نقل لهم فى بعضى

المناسبات وقايع مهمة تقلاحياً ومباشراً لم يحدث أن مارسه خلال عشرات الحروب

1- سورة الكهف، الآية ٧٤

2- سورة الكهف، الآيات ٨٠و٨١

3- الفتن نعيم بن حماد،ص ٢٦

والسرايا التى جابهت الجزيرة فى عصر البعثة، ولأول مرة حدد النبى صلى الله عليه و آله فى معركة مؤتة

مقدماً أسماء القادة الذين سيتعاقبون على قيادة الجيش كل بعد استشهاد صاحبه حتى قبل

أن تتحركوا، حيث قال لهم: إن أصيب زيد بن حارثة فجعفر بن أبى طالب على الناس،

فإن أصيب جعفر فعبد الله بن أبى رواحه على الناس، فإن قتل فليتربص المسلمون

برجل من بينهم يجعلونه عليهم))(1) وكان على يقين سير الاحداث ونتائجها... بل ورد

فى السيرة أنه صلى الله عليه و آله كان ينقل وقائع المعركة للمسلمين أولاً بأول فيقول: ((أخذ الراية زيد

بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيدا؛ ثم أخذها جعفر فقاتل حتى قتل شهيدا))(2)

ومعنى هذا أن العلم المستقبل كان الحاكم لحراك النبى وأهل البيت (صلوات

الله عليهم أجمعين) ولاسيما وأنهم كانوا يعرفون مقدماً نتائج ما يبغون عمله فى السلم

والحرب. وإذا ما كانت المدارس الإسلامية لأخر قد آمنت بشكل محدود بعلاقة

النبى صلى الله عليه و آله بالمستقبلية فإن حديثنا عن تعامل الأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام مع

المستقبليات أثار حفيظة بعفو الناس وتهكمهم؛ فأسبغوا علينا وعلى عقلنا الذى يؤمن

بذلك ويتقبله برحابة أنواعا مختلفة من الأقوال والتهم وصل بعضها إلى حد التطاول

المشين واتهامنا بالشرك والردة عن الإسلام.

وأنوه هنا إلى أن أتباع المدارس الإسلامية الأخر الذين يتهموننا بالشرك أوردوا

فى باب الكرامات والفضائل فى كتبهم قصصاً عن الغيبيات والمستقبليات ترقى إلى

مستوى الخرافة؛ هذا إذا لم تكن مجرد خرافة صدقوها؛ ولم يعترض عليهم أحد، بينما

تجد حتى من داخل البيت الشيعى من يعترض على حديثنا عن كرامات وفضائل جاء

بها أئمة أهل البيت وأوردتها أوثق الكتب والمصادر. ومن الباحثين الذين تناولوا هذا

1- السيرة النبوية، ابن هشام ج ٤ ، ص ٩

2- السيرة النبوية، مصدر سابق، ج ٤ ، ص ١٦

الجانب بالنقد، أورد موضوعه على سبيل التوضيح باحث شيعى مغترب اسمه (غالب الشابندر) نشر يوم ٢٦/ ٧/ ٢٠١٠ بحثاً بعنوان (نقد أخبار الإمام الحسن بن على بن أبى طالب) ابتدأه بقوله: ((تورد المصادر الشيعية التقليدية الكثير من صور المحاججة بين الإمام الحسن بن على عليه السلام ومعاوية بن أى سفيان، وبعض من الأمويين، ومن الطبيعى أن تنتهى هذه المحاججات بانتصار بيان الحسن وخطابه ودليله وبرهانه، لأن الحسن فى العرف العقدى الشيعى معصوم، وربما يعلم كل ما فى هذا الوجود، بل ما كان وما هو كائن وما سيكون على بعض الروايات بل على بعض الاعتقادات السائدة والتى ربما يتحمل ثقلها علماء كبار فى فن علم الكلام والعقائد والنحل والملل))(1)

ويدعى الباحث أن دليل تشكيكه بعلم الإمام الحسن عليه السلام بالمستقبليات فضلا عن تبحره فى البحث العلمى جاء اعتمادا على ما قاله الشيخ الرجالى الكبير (محسن آصف) عن روايات الجزء (٤٤) من كتاب بحار الأنوار، باب (٢٠) باعتبار أن المجلسى رحمة الله. جمع هذه الروايات فى هذا الجزء من بحار الأنوار، ونص ما قاله الشيخ محسن عن هذا الجزء من البحار: ((فيه مطالب كثيرة محرقة لقلوب المؤمنين، وهى مشتهرة بين الشيعة فى الجملة، بتأثير هذا الكتاب فى نفوسهم، لكن ليس فيها أسانيد معتبرة، فالله تعالى العالم بصحتها من موضوعها))(٢)

حقيقة الأمر أن مدرستنا تؤمن يقينا بأن من فضل الله تعالى على الأنبياء والأئمة أن أمدهم ببعض علوم الغيب، وأطلعهم على بعض أسرار المستقبل لكى تكون سلاحاً

(١) موقع إيلاف،

http://www.alaph.com/web/opinion/2010/7/579703.html

(٢) موقع إيلاف،

http://www.alaph.com/web/opinion/2010/7/579703.html

بأيديهم كأحد اساليب الرغيب فى الدين، وهكذا أعلم جبرائيل النبى محمداً صلى الله عليه و آله، بكثير

مما يخص مستقبل البشرية، فأخبر رسول الله صلى الله عليه السلام علياً عليه السلام بما عنده، وأخبر على أولاده

الحسن والحسين وعنهم أخذ الباقون عليهم السلام. كما فى قوله تعالى: (ءعلم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد((26)) الا ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه و من خلفه رصداً)(1)

ومن يتابع كتب تفسير المدرستين يجدها متطابقة فى تفسير معنى الآيتين، ولكن هناك

من لا يؤمن بموضع تعليم النبى صلى الله عليه السلام الإمام على عليه السلام ألف باب من العلم، وهو التعليم

الذى نستند إليه عند حديثنا عن غيبيات أئمة أهل البيت عليهم السلام؛ ولذا يعيبون علينا

تكلمنا عنه. ولغرض توضيح المعنى أنقل أقوال المفسرين مختصرة.

قال صاحب تفسير الميزان. فى تفسير قوله تعالى: (علم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا) والمعنى: هو عالم كل غيب علماً يختص به فلا يطلع على العيب -وهو

مختص به— أحداً من الناس، فالمفاد سلب كلى وإن أصر بعضهم على كونه سلباً جزئياً

محصل معناه، لا يظهر على كل غيبه أحدا.

قوله تعالى: (الا من ارتضى من رسول) استثناء من قوله: (أحداً) و (من رسول) بيان لقوله (من ارتضى) فيفيد أن الله تعالى يظهر رسله على ما شاء من

الغيب المختص به، فالآية إذا انضمت إلى الآيات التى تخص علم الغيب به تعالى

كقوله: (و عنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو)(2) و قوله (ولله غيب السموت والارض)(3) وقوله:(قل لا يعلم من فى السموت و الارض الغيب الا لله)(4) أفاد ذلک

1- سورةالجن، الآيات٢٦-٢٧

2- سورة الأنعام، الآية ٥٩

3- سورةالنحل، الآية 77

4- سورة النمل، الآية ٦٥

معنى الأصالة والتبعية، فهو تعالى يعلم الغيب لذاته وغيره يعلمه بتعليم من الله.

وقال ابن كثير فى تفسير الآية: ((هذه كقوله تعالى ((و لا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء)) وهكذا قال ههنا إنه يعلم الغيب والشهادة، وأنه لا يطع أحد من خلقه على

شيء من علمه إلا مما أطلعه تعالى عليه))(1)

وقال عنها الطبرى فى تفسيره: ((يعنى بعالم الغيب: عالم ما غاب عن أبصار خلقه،

فلم يروه فلا يظهر على غيبه أحدا فيعلمه أو يريه إياه إلا من ارتضى من رسول، فإنه

يظهره على ما شاء من ذلک. عن على، عن ابن عباس، قوله:((فلا يظهر على غيبه احداً((26)) الا من ارتضى من رسول)

فأعلم الله سبحانه الرسل من الغيب الوحى وأظهرهم

عليه بما أوحى إليهم من غيبه، وما يحكم الله، فإنه لا يعلم ذلک غيره. وعن قتادة: فإنه

يصطفيهم، ويطلعهم على ما يشاء من الغيب. وقال ابن زيد: ينزل من غيبه ما شاء على

الأنبياء، أنزل على رسول الله صلى الله عليه و آله الغيب القرآن، قال: وحدثنا فيه بالغيب بما يكون يوم

القيامة))(2)

وقال القرطبى:قال العلماء (رحمة الله عليهم): لما تمدح سبحانه بعلم الغيب

واستأثر من هنا بم يرضى الله وتعست الشركة به دون خلقه، كان فيه دليل على أنه

لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من

غيبه بطريق الوحى إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم. وليس المنجم

ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر فى الكتب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول

فيطلعه على ما يشاء من غيبه، بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه...

1- تفسير ابن كثير سورة الجن الآية ٢٦

2- الطبرى، تفسير الآية ٢٦ من سورة الجن.ج٢٣/ص٦٧٢

وقيل لأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام لما أراد لقاء الخوارج: أتلقاهم والقمر فى العقرب؟ فقال: فأين قمرهم؟ وكان ذلک فى آخر الشهر. فانظر إلى هذه الكلمة التى أجاب بها، وما فيها من المبالغة فى الرد على من يقول بالتنجيم، والإفحام لكل جاهل يحقق أحكام النجوم. وقال له مسافر بن عوف: يا أمير المؤمنين لا تسر فى هذه الساعة وسر فى ثلاث ساعات يمضين من النهار. فقال له على: ولم؟ قال: إنک إن سرت فى هذه الساعة أصابک وأصاب أصحابک بلاء وضر شديد، وإن سرت فى الساعة التى أمرتک بها ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت. فقال على: ما كان لمحمد صلى الله عليه و آله منجم، ولا لنا من بعده... فمن صدقک فى هذا القول لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ندا أو ضدا، اللهم لا طير إلا طيرک، ولا خير إلا خيرک. ثم قال للمتكلم: نكذبک ونخالفک ونسير فى الساعة التى تنهانا عنها. ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما تهتدون به فى ظلمات البر والبحر، وإنما المنجم كالساحر، وساحر كالكافر، والكافر فى النار، والله لئن بلغنى أنک تنظر فى النجوم وتعمل بها لأخلدنک فى الحبس ما بقيت وبقيت، ولأحرمتک العطاء ما كان لى سلطان. ثم سافر فى الساعة التى نهاه عنها، ولقى القوم فقتلهم وهى وقعة النهروان الثابتة فى الصحيح لمسلم. ثم قال: لو سرنا فى ساعة التى أمرنا بها وظفرنا وظهرنا لقال قائل سار فى ساعة التى أمر بها المنجم، ما كان لمحمدصلى الله عليه و آله منجم ولا لنا من بعده، فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان - ثم قال: يا أيها الناس؛ توكلوا على الله وثقوا به فإنه يكفى ممن سواه))(1)

إن الحديث عن الغيب والمستقبل لا يأتى ليدعم رسالات الأنبياء ومهمات الأوصياء فحسب، بل يأتى كذلک لدعم وإثراء منظومة المعرفة البشرية، وفى حديثه عن الغيب

1- تفسير القرطبى، الآيات ٢٦-٢٧، سورة الجن.ج١٩/ص٢٩

يقول الدكتور (عبد السلام التونجى): ((هذه المعارف سواء توصلنا إليها بالعقل أو

عن طريق الإخبار اليقينى فهى قد وجدت لإثراء الفكر الإنسانى وإنارة السبيل لسلوك

الإنسان بغية هدايته بما فيه مصلحته))(1)

ثم إن من البديهى أن الله عزو جل جعل العلوم مراتباً، وما يمنحه من مرتبة للنبى أو

الإمام المعصوم لا يمنحه للسلاطين والأمراء والملوك وعامة الناس، يقول ابن المطهر

فى (البدء والتاريخ) عن القول فى كمية العلوم ومراتبها: ((أقول إن اسم العلم قد يطلق

فى الحملة على الفهم والوهم والذهن والفطنة واليقين والخطرة والمعرفة وكل ما يحصل

منه إدراك شيء ظاهراً أو باطناً ببديهة عقل أو مباشرة حاسة أو استعمال آلة كالا ستدلال

والفكرة والبحث والتمييز والقياس والاجتهاد، لأن هذه لخصال كلها آلات إدراك

لعلم ووطرق التوصل إليه، ومما يصاب من هذه الجهة فرع بالإضافة إلى علم البداية

والحواس ألا ترى أن الإنسان العاقل المميز مضطر إلى شواهد عقله وحسه غير مضطر

إلى استدلاله وبحثه أو لا ترى أن لا سبيل إلى البحث والاستدلال لمن عرى من عقله أو

أصيب بحسه، فأول العلم الخطرة الصادقة وهو كالبديهة مثلا كل بقوة البديهة وآخره

اليقين وهو استقرار الحق وانتفاء الشك والشبهة عنه))(2)

يعنى أن المستقبلية الإسلامية التى أسس قواعدها القرآن والنبى الأكرم صلى الله عليه و آله هى

حقيقة واقعة لا لبس فيها، وأننا شئنا ذلك أم أبيناه علينا الاعراف بهذه الحقيقة طالما أن

المدارس الإسلامية تتفق على صحة أحاديثها، ولا تعترض على إيراد البخارى ومسلم

وغيرهم لرواياتها بما يدل على أن النبى كان يحدثهم جمعا بأحاديث تخص المستقبل

1- الإيمان بالقضاء والقدر، الدكتور عبد السلام التونجى ط٢، ١٤٢٦، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، بنغازى، ليبيا،ص٨

2- البدء والتاريخ، المطهر بن المطهر المقدمى، كتاب الكترونى، مكتبة المصطفى، ص٣

او يحدث مجموعة منهم او حتى محدث شخصا بعينه، وينقل حديثه شخصا بعينه او

مجموعة أشخاص سمعوه من شخص واحد.

ومما اتفق عليه المسلمون أن النبى حجز الصحابة و المسلمين الأوائل فى المسجد

مدة زمنية طويلة ليحدثهم عن مستقبل الأمة، وقد ورد حديث هذه الواقعة التاريخية

المهمة فى أغلب كتب الحديث؛ منها البخارى ومسلم. وفى أغلب كتب الحديث والفتن

أن رسول الله حدث المسلمين عن المستقبل مدة غير معقولة امتدت لأكثر من اثنى عشر

ساعة شبه متواصلة ابتداء من صلاة الصبح ولغاية وقت صلاة المغرب، وهى مدة

طويلة جدا بكل المقاييس؛ لم يثبت انه صلى الله عليه و آله أو أن نبيا آخر ولا حتى خطيبا مفوها من

قبله استغرقها فى حديث عن أمر عام بسيط بله عن عالم الغيب والمستقبل، وقد أورد

ابن كثير جملة من أخبار هذه الواقعة تحت عنوان: (ذكر إخباره صلى الله عليه و اله بالغيوب المستقبله

بعد زماننا هذا) ومنها: قال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا أبوعاصم، حدثنا عروة عن

ثابت، حدثنا عليان بن أحمد البكرى، حدثنا أبو زيد الأنصارى قال: (صلى بنا رسول

الله صلى الله عليه و آله صلاة الصبح ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ثم نزل فصلى العصر ثم

صعد المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس فحدثنا بما كان وما هو كائن فأعلمنا أحفظنا).

وقد رواه مسلم منفرداً فى كتاب الفتن من صحيحه عن يعقوب بن إبراهيم الدورقى،

وحجاج بن الشاعر عن أبى عاصم الضحاك بن مخلد النبيل عن عروة عن على عن أبى

يزيد وهو عمرو بن أخطب بن رفاعة الأنصارى))(1)

وقد كان الحديث الذى رواه الخليفة عمر بن الخطاب وأورده البخارى فى صحيحه

أكثر تحديداً حيث يتضح من خلاله أنه صلى الله عليه و آله أخبرهم بتاريخ الكون كله من بدء الخليقة

وحتى نهاية يوم الحساب، ودخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار: ((وقال البخارى فى

كتاب بدء الخلق من صحيحه، وروى عيسى عن رقبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن

شهاب قال، سمعت عمر بن الخطاب يقول: قام فينا رسول الله صلى الله عليه و آله مقاماً. فأخبرنا عن

بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلک من حفظه ونسيه

من نسيه.هكذا ذكره البخارى تعليقاً بصيغة التمريض، عن عيسى بن موسى عنجار،

عن أبى حمزة عن رقبة، فالله أعلم))(1)

وقال أبو داود فى أول كتاب الفتن من سننه: ((حدثنا عثمان عن أبى شيبة، حدثنا

جرير، عن الأعمش عن أبى وائل عن حذيفة قال: ((قام فينا رسول الله صلى الله عليه و الله قائماً؛ فما ترک

شيئاً يكون فى مقامه ذلک إلى قيام الساعة إلا حدثه؛ حفظه من حفظه ونسيه من نسيه،

قد علمه أصحابى هؤلاء، وإنه ليكون الشىء فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا

غاب عنه ثم إذا رآه عرفه))(2)

ورواه البخارى عن طريق آخر وكأنه واقعة أخرى استغرقت وقتا أقل من الأولى،

رواه من حديث سفيان الثورى، وملم من حديث جرير كلاهما عن الأعمش به،

وقال الامام أحمد: ((حدثنا عبد الرزاق. أخبرنا معمر عن على بن زيد عن أبى نصرة عن

أبى سعيد قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه و الله صلاة العصر ذات يوم ثم قام فخطبنا إلى أن غابت

الشمس فلم يدع شيئاً مما يكون إلى يوم القيامة إلا حدثناه حفظ ذلک من حفظه ونسى

ذلک من نسيه فكان مما قال: يا أيها الناس إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله استخلفكم

فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء إلى أن قال وقد دنت الشمس أن

1- المصدر نفسه، النهاية فى الفتن والملاحم، ص ١١

2- المصدر نفسه،النهاية فى الفتن، ص ١٠-١١

نغرب وإن ما بقى ين الدنيا فيما مضى يثل ما بقى من يومكم هذا فيما مضى و منه))(1)

وأخرجه نعيم بن حماد عن عبد الله بن المبارک، عن معمر، عن على بن زيد، عن

نضرة، عن سعيد الخدرى؛ وابن عيينة عن على بن زيد عن أبى نضرة عن

أبى سعيد الخدرى، قال: ((صلى بنا رسول الله صلى الله عليه و آله؛ صلاة العصر نهاراً ثم خطب إلى أن غابت

الشمس فلم يدع شيئاً هو كائن إلى يوم القيامة إلا حدثنا به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه))(2)

وإذا ما كانت العصبية التى أحيى السياسيون الأمويون مواتها قد فتحت لهم

الأبواب واسعة لعمل كل ما يظنون أنه يقربهم من تحقيق أحلامهم المريضة؛ فإن علم

أئمة أهل البيت عليهم السلام بالمستقبلية ونتائج ما كان يدور على الساحة حتى قبل أن تنجلى

غبرته جعل الناس تنظر إليهم بمناظير مختلفة، وصل بعضها إلى حد منحهم درجة

الربوبية، و وصل بعضها الآخر إلى حد التشكيک بقدراتهم القيادية والسلوكية، غر

مدركين أن عمل الإمام المعصوم يبدو وكأنه متداخل مع أفق الجبرية التى أقرها المشروع

الكونى الإلهى بعيداً عن القدرية والأمر بين أمرين، بمعنى أن الإمام لا يحتاج إلى التفكير

بنتائج عمله لأنه يعرفها ويعرف ما ستؤول إليه الأمور وما ستكون عليه النتائج؛ وهو

لو أعطى حرية التصرف كما هى متاحة للآخرين لكان قادراً على تفسير النتائج بكل

تأكيد.

ومما يتضح من هذه المقدمة أن الإمام علياً عليه السلام لو كان حر التصرف فى صفين لما

رضى بالرضوخ إلى سلطة التحكيم مهما كانت الظروف المحيطة به، ولكان قد قلب

1- المصدر نفسه، النهاية فى الفتن والملاحم، ابن كثير،ص ١١

2- الفتن، نعيم بن حماد، حديث ١،ج١، ص٢٣- ٢٤

عاليها على سافلها وقطع دابر أعدائه فاستقامت الأمور له. والإمام الحسنعليه السلام هو

الآخر ما كان ليصالح مهما كانت النتائج، ولكان قاتل وقتل الآلاف من جيش العدو

وقتل الألوف من جيشه، واستقامت له الأمور فلا يحتاج الحسينبعد ذلک إلى

الثورة لكى يقوم اعوجاج مسيرة التائهين. والإمام الحسين عليه السلام ما كان ليخرج بثلاثة

وسبعين شخصا ليتحدى إمبراطورية الشر بعظمتها، ولكان أعد العدة وحقق نوعاً آخر

من النصر لا ينتهى بمقتله مع عائلته وجميع أصحابه الكرام.

إن اعتراض الكثيرين على أثر وتأثير المستقبلية على حراک الأئمة المعصومين عليهم السلام،

وتشكيک البعض بصحة وجودها يدفعنا للحديث عن تعامل المدارس الإسلامية مع

موضوع المستقبلية. وقبل الحديث عن مستقبليات أهل البيت عليهم السلام أجد من الضرورة

بمكان أن أتحدث عن بعض ما ينسبه الآخرون ولاسيما منهم من يعترض علينا عندما

نتحدث عن هذا الموضوع إلى أئمتهم وقادتهم من أحاديث عن المستقبليات، وسيكون

معينى فى ذلک دون غيره من المصادر والكتب التى تملأ المكتبات؛ وبقصد الإيجاز كتاب

(معجزات الأنبياء كرامات الأولياء من هذه الأمة) لعلى فرج العبد الله(1) حيث أسهب

الكاتب بالحديث عن الكرامات(2) وقال: ((إن كل ما كان معجزة لنبى جاز أن يكون

كرامة لولى؛ إلا أنه يشرط فى المعجزة إدعاء النبوة، وليس للكرامة هذا الشرط، ولا

1- لقد وجدت الكتاب خالياً من الفهرسة الوصفية فلا اسم دار النشر ولا تاريخ النشر أوسنته مذكوراً فيه باستثناء إشارة إلى أن الكتاب من تدقيق أ. عبد الله سنده وتنضيد حسن مهندس، مع ذكر لمؤلفات الكاتب وهى: الدرر البهية فى منهج الطريقة القادرية الدرر البهية فى أعلام القادرية السهام القادرية لرد شبهات الوهابية؛ ما يدل على أن الكاتب من أتباع الطريقة الصوفية القادرية

2- أورد الشيخ الأمينى رحمه الله أكثر من مئة منقبة وكرامة من هذا الشكل فى كتاب خصه لهذه المنكرات، ينظر: قصص الخرافة فى فضائل الصحابة والتابعين، عبد الحسين الأمينى، كتاب الكترونى، مكتبة العقائد، مركز الأبحاث العقائدى

فرق بين المعجزة والكرامة إلا بهذا الشرط، وقد أكرم الله سبحانه وتعالى كثيراً من أولياء

الأمة بكرامات قريبة من معجزات الأنبياء أو من جنسها))(1)

وعلى سبيل المثال، وفى حديثنا عن المستقبلية نقول نحن: بأن علم الأئمة للمستقبلى

مأخوذ عن جدهم النبى عن على عن الحسن عن الحسين وإلى الإمام المهدى عليهم السلام وأنهم

كانوا يتوارثونه واحداً عن واحد؛ فكذبنا الآخرون وشككوا بصحة أقوالنا، ولكنك

تجدهم يوردون فى كتبهم قصصاً ترقى إلى الخرافة فى حديثهم عن أئمتهم، فالمؤلف

يورد قصة عن صحابى اسمه (عبد الله بن ثوب) يعرف باسم (أبى مسلم الخولانى)(2)

المتوفى عام ٦٢ هجرية يقول فيها: إنه كان مجاهداً وأمير مقدمة.. ((وكانوا غزاة فى أرض

الروم فبعث الوالى سرية وحدد لهم موعد العودة فلما جاء الموعد لم تأت السرية فبينما أبو

مسلم يصلى إلى رمحه الذى ركزه فى الأرض إذ جاء طائر فوقع على سنان الرمح وقال:

إن السرية، قد سلمت وغنمت وسرد عليكم فى يوم كذا فقال، أبو مسلم للطير: من

أنت يرحمك الله؟ قال: أنا مذهب الحزن عن قلوب المؤمنين؛ فجاء أبو مسلم إلى الوالى

وأخبره، فلما كان اليوم الذى ذكر أتت السرية فى الوقت الذى قال))(3)

فلماذا يصدقون طائراً اسمه (مذهب الحزن) لم يرد له ذكر لا بقرآن ولا بحديث

نبوى ولا حتى بأسطورة خرافية أو قصة من قصص العجائز عدا هذه، ورد ذكره على

لسان صحابى لم يذكره ابن حجر فى الإصابة، ويكذبون من يأخذ عن القرآن والنبى صلى الله عليه و آله

ويوردعلى ذلک شواهدا؟

1- معجزات الأنبياء كرامات الأولياء، على فرج العبد الله، ص ١٠

2- بحثت عن الاسم فى باب العين من إصابة ابن حجر ولم أجده ثم بحثت عنه فى باب الكنى والألقاب فلم أجده أيضا

3- ينظر: معجزات الأنبياء كرامات الأولياء من هذه الأمة ص ٢٥

ويورد قصة أخرى عن الصحابسى نفسه، ولكنه ينسب كرامة العلم بالمستقبل هذه المرة إلى راهب نصرانى يعلم بأوقات موت الناس، وتقول هذه القص: ((وروى عن المشايخ الشاميين أنهم مروا بصومعة لأحد الرهبان وكانوا عائدين من أرض الروم، فألهم: هل تعرفون أبا مسلم لخولانى؟ فقالوا: نعم، فقال: إذا وجدتموه فاقرؤوه السلام وقولوا له: إنا نجده فى الكتب رفيق عيسى بن مريم، أما إنكم لا تجدونه حيا!! فلما قدموا دمشق سمعوا بخر وفاته وكان قد توفى بحمة من أرض الروم))(1)

وفى قصة عن (محمد بن حسان أبى عبيد البسرى)، قال: إنه كان جالسا بعرفة وإلى جنبه ولده فقال له: ((يهنئك الفارس! فقال له ابنه: يا أبة وأى فارس؟ فقال: ولد لك الساعة غلام. قال ولده: فلما رجعنا إلى بسر وجدت زوجتى ولدت غلاما فى يوم عرفه))(2)

وفى قصة أخرى عن شيخ اسمه (إبراهيم الدسوقى)، قال: ((جاء إليه سبعة من القضاة يمتحنونه فلما وصلت مراكبهم إلى البر بناحية دسوق كشف الله للشيخ قصدهم فبعث نقيبه فدفعهم، فإذا هم خلف جبل قاف فأقاموا سنة يأكلون من حشيش الأرض حتى تغيرت أجسادهم وخلقت ثيابهم، ثم تذكروا ما وقعوا فيه من أمر سيدنا إبراهيم الدسوقى فتابوا هناك، فأرسل لهم النقيب فدفعهم، وإذا هم على ساحل دسوق))(3)

ومن المستقبليات المشهورة ما عرف عند المؤرخين باسم (أشج بنى أمية) يقصدون بذلك لخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز؛ ففى حديثه عن سيرة عمر بن عبد العزيز قال النويرى: ((وكان أبيض نحيفاً حسن الوجه، وهو أشج بنى أمية، رمحته دابة فشجته،

1- معجزات الأنبياء، ص ٢٨ ٢٩

2- معجزات الأنبياء كرامات الأولياء، ص ٦٢

3- معجزات الأنبياء، ص ٧٠

وهو غلام، فدخل على أمه فصمته إليها ولامت أباه حيث لم يجعل معه حاضناً. فقال لها

عبد العزيز: اسكتى يا أم عاصم، فطوبى له إن كان أشج بنى أمية)(1)0

وأشج بنى أمية خليفة أموى كانوا يعلمون أنه سيملأ الأرض عدلاً حينما يولى وكما

يتبين من أقوالهم، يتبين علمهم بما يخصه حتى من كان منهم فى صدر الإسلام الأول

وقبل أن تبدأ دولة الأمويين بالتبلور، وحتى قبل أن ينصب معاوية والياً على الشام!

قال النويرى: ((وكان عبد الله بن عمر بن الخطاب يقول: يا ليت شعرى، من هذا الذى

من ولد عمر فى وجهه علامة يملأ الدنيا عدلاً؛ فكان عمر بن عبد العزيز، لأن أمه ابنة

عاصم بن عمر بن الخطاب))(2) وفى الكامل فى التاريخ: ((وقيل كان ابن عمر يقول: يا

ليت شعرى من هذا الذى من ولد عمر فى وجهه علامة يملأ الأرض عدلا؟))(3)

وفى هذه الأمثلة كفاية لإثبات حقيقة وجود العلم المستقبل فى فكر الجماعات

الإنسانية سواء كان حقيقيا ثابتاً أم خرافياً وهمياً. ولقد استمر الإدعاء بعلم الغيب أو

المستقبل عبر التاريخ، حتى أن أحد شيوخ المذهب السلفى المعاصرين تحدث عن (عودة

الخلافة الإسلامية)فى عام ١٤٤٦ أى بعد اثنى عشر عاما من الآن، فى موضوع نشر على

(اليوتيوب) تحت عنوان: (بشرى وهابية لا يتوقعها سنى ولا شيعى)، وقال فى قصته

الخرافية: ((إننا نقترب من موعد قيام الخلافة، الخلافة التى ستنزل بيت المقدس، والخليفة

الذى سيفتح فلسطين تحقيقاً لقوله تعالى: ((فاذا جاء وعد الاخرة ليسئو وجوهكم

1- نهاية الأرب فى فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشى التيمى البكرى، شهاب الدين النويرى (المتوفى: ٧٣٣)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣ ، ج ٢١ ص ٣٦٥-٣٦٦

2- المصدر نفسه، نهاية الأرب فى فنون الأدب، ج ٢١ ص 365- ٣٦٦

3- الكامل فى التاريخ، ابن الأثير، ج ٥، ص ٥٩

و ليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة))فإذن هذا الخليفة الذى سيبايع فى فلسطين

بعد أن يفتح الجزيرة العربية وفارس، فنحن نرى والله تعالى أعلم بأنه بين أظهرنا ونراه

بأعيننا وهو عبد الله الذى هو الآن يملك فى الأردن، هذا الرجل سيهديه الله تعالى إلى

هذا الفتح العظيم وسنرى بأعيننا إن شاء الله عام ١٤٤٦ هجرية والمسجد الأقصى قد

أعيد بناؤه كأجمل ما يكون وستجتمع الجيوش التى تفتح فلسطين، ستجتمع على تولية

عبد الله هذا الخلافة لتكون خلافة هاشمية، هى ليست على منهاج النبوة لأن الخلافة

التى على منهاج النبوة ستأتى على يدى محمد الذى هو ابن لعبد الله هذا، أى عبد الله الثانى

ملك الأردن))(1)

صحيح أنهم صاغوا بعغس قصصهم تلك على شكل أحاديث ونسبوها إلى رسول

الله لكى لا يعترض عليها المعرضون، ولكن إيرادنا لروايات عن أهل البيت عليهم السلام

أكثر صدقا منها يوقف مدها بالتأكيد، لأن ما نورده أكثر قرباً للواقع، هذا إذا لم يكن

هو الواقع بعينه. وأؤكد هنا أننا حينما نورد بعض أحاديث المستقبليات عن أهل البيت

الكرام عليهم السلام لا يعنى بأننا نعترض على حديث رسول الله صلى الله عليهو آله بالمرة، والسبب الذى

دعانا إلى ذلک أن الأحاديث التى أوردها غيرنا عن النبى صلى الله عليه و آله فى هذا الباب تحديداً

أغلبها أحاديث ساقطة لا يعول عليها ولا يعتد بها. أما الصحيحة منها فنحن نعتقد

بصحتها أكثر مما نعتقد بصحة روايات أئمتنا، بالرغم من أنهم لم يوردوا حديثاً إلا عن

جدهم الأكرم عليهم السلام، ولاسيما وأن مضمون تلک الروايات تحقق بعضه فى حياة الصحابة

وعايشوه ونقلوا لنا شعورهم تجاهه. وأذكر على سبيل المثال لا الحصر ما أورده ابن كثير

1- شيخ وهاو يتكلم عن عام ١٤٤٦ هجرية ونحن الآن فى عام ١٤٣٣ هجرية ويدعى بأن ملک الأردن عبد الله بن حسين هو المهدى المنتظر، يراجع الرابط http://www.youtube.com/watch?v=RIGJa4CnN9sfeature=related

فی کتاب الفتن عن معلومة مستقبلیة عاشها من سمعها من النبی صلی الله علیه و آله، فقال: وقال

أحمد، حدثنا روح، حدثنا أبو أمیة هم وابن یحیی بن سعید بن العاص، أخبرنی جدی

سعید بن عمرو بن سعید عن أبی هریرة قال: سمعت رسول الله صلی الله علیه و آله یقول: هلکة أمتی

علی یدی غلمة)) فقال مروان وما معنا فی الحلقة أحد قبل أن یلی شیئاً: فلعنة الله علیهم

غلمة. قال وأنا والله لو شئت أن أقول بنی فلان وبنی فلان لفعلت. قال: فکنت أخرج

مع أبی إلی بنی مروان بعد ما ملکوا فإذا هم یبایعون الصبیان ومنهم من یبایع له وهو

فی حزامه، فقلت: هل عسی أصحابکم هؤلاء أن یکونوا الذین سمعت أبا هریرة قال

لنا عنهم: إن هذه الملوک یشبه بعضها بعضاً. ورواه البخاری بنحوه عن أبی هریرة،

والأحادیث فی هذا کثیرة جداً))(1)

ومما یتحقق معه صدق وقوع الحدیث عن المستقبل وتکرره عشرات بل مئات

المرات ما یروی عن أم المؤمنین أم سلمة أنها قالت: کنا عند رسول الله صلی الله علیه و آله تسع نسوة،

وکانت لیلتی ویومی من رسول الله صلی الله علیه و آله، فأتیت الباب فقلت أدخل یا رسول الله؟ فقال:

لا. قالت: فکبوت کبوة شدیدة مخافة أن یکون ردنی من سخطه، أو نزل فی شیء من

السماء، ثم لم ألبث أن أتیت الباب ثانیة فقلت: أدخل یا رسول الله فقال: لا. قالت:

فکبوت کبوة أشد من الأولی، ثم لم ألبث حتی أتیت الباب ثالثة فقلت: أدخل یا رسول

الله؟ فقال: ادخلی یا أم سلمة، فدخلت وعلی علیه و آله جاث بین یدیه، وهو یقول: فداک أبی

و أهی یا رسول الله إذا کان.. کذا وکذا فما تأمرنی. قال: آمرک بالصبر.. ثم أعاد علیه

القول ثانیة فأمره بالصبر.. ثم أعاد علیه القول ثالثة، فقال له: یا علی یا أخی إذا کان

ذلک منهم فسل سیفک وضعه علی عاتقک واضرب قدما قدما حش تلقانی وسیفک

شاهر یقطر من دمائهم، ثم التفت إلی وقال: ما هذه الکآبة یا أم سلمة. قلت: للذی کان

1- سوف يرد الحديث مثبتاً مع الشرح فى مباحث قادمة

من ردک إیای یا رسول الله. فقال لی: والله ما رددتک إلا لشیء خیر من الله ورسوله،

ولکن أتیتنی وجبرائیل علیه السلام یخبرنی بالأحداث التی تکون بعدی، وأمرنی أن أوصی

بذلک علیاً، یا أم سلمة سمعی واشهدی هذا علی بن أبی طالب وزیری فی الدنیا

و وزیری فی الآخرة، یا أم سلمة اسمعی و اشهدی هذا علی بن أبی طالب وصیی

وخلیفتی من بعدی وقاضی عداتی والذائد عن حوضی، اسمعی واشهدی هذا علی

بن أبی طالب سید المسلمین وإمام المتقین وقائد الغر المحجلین، وقاتل التاکثین

والغاسطین والمارقین. قلت: یا رسول الله هن الناکثون؟ قال: الذین یبایعونه بالمدینة

ویقاتلونه بالبصرة. قلت: من القاسطون؟ قال معاویة وأصحابه من أهل الشام. قلت:

من المارقون؟ قال: أصحاب النهروان)(1)

وعن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، عن أبی عبد لله الصادق، عن أبیه، عن

جده علیهم السلام قال: ((بلغ أم سلمة زوج النبی صلی الله علیه و آله أن مولی لها یتنقص علیاً علیه السلام ویتناوله،

فأرسلت إلیه، فلما أن صار إلیها قالت له: یا بنی بلغتی أنک تتنقص علیاً وتتناوله، قال

لها: نعم یا أماه، قالت: اقعد ثکلتک أمک حتی أحدثک بحدیث سمعته من رسول

الله صلی الله علیه و آله ثم اختر لنفک: إنا کنا عند رسول الله تسع نسوة وکانت لیلتی ویومی من

رسول، فدخل النبی وهو متهلل، أصابعه فی أصابع علی واضعاً یده علیه، فقال: یا أم

سلمة اخرجی من البیت وأخلیه لنا، فخرجت وأقبلا یتناجیان سمع الکلام وما أدری

ما یقولان حتی إذا قمت فأتیت الباب فقلت: أدخل یا رسول الله؟ قال: لا، قالت:

فکبوت کبوة شدیدة مخافة أن یکون ردنی من سخطة أو نزل فی شیء من السماء، ثم

لم ألبث أن أتیت الباب الثانیة، فقلت: أدخل یا رسول الله؟ فقال: لا، فکبوت کبوة

1- أمالی الصدوق، ۲۲۸ و ۲۲۹، أمالی الطوسی ٤٢٥ / ۲۵۹ مناقب الخوارزمی: ١٤٦ - ١٤٧ / ١٧١

أشد من الأولى، ثم لم ألبث حتى أتيت الباب الثالثة فقلت: أدخل يا رسول الله؟ فقال: ادخلى يا أم سلمة، فدخلت وعلى جاث بين يديه، وهو يقول: فداك أبى وأمى يا رسول الله إذا كان كذا وكذا فما تأمرنى؟ قال: آمرک بالصبر، ثم أعاد عليه القول الثانية فأمره بالصبر، فأعاد عليه القول الثالثة فقال له: يا على يا أخى إذا كان ذاک منهم فسل سيفک وضعه على عاتقک واضرب به قدماً حتى تلقانى وسيفک شاهر يقطر من دمائهم، ثم التفت إلى فقال لى: والله ما هذه الكآبة يا أم سلمة؟ قلت: للذى كان ردک لى يا رسول الله، فقال لى: والله ما رددتک من موجدة، وإنک لعلى خير من الله ورسوله، ولكن أتيتنى وجبرائيل عن يميتى وعلى عن يسارى، وجبرائيل يخبرنى بالأحداث التى تكون من بعدى، وأمرنى أن أوصى بذلک علياً، يا أم سلمة اسمعى واشهدى، هذا على بن أبى طالب أخى فى الدنيا، وأخى فى الآخرة، يا أم سلمة اسمعى واشهدى، هذا على بن أبى طالب حامل لوانى فى الدنيا، وحامل لوانى غدا فى القيامة. يا أم سلمة اسمعى واشهدى، هذا على بن أبى طالب وصى وخليفتى من بعدى، وقاضى عداتى، والذائد عن حوضى، يا أم سلمة اسمعى واشهدى هذا على بن أبى طالب سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وقاتل التاكثين والقاسطين والمارقين، قلت: يا رسول الله من الناكثون؟ قال: الذين يبايعونه بالمدينة وينكثون بالبصرة، قلت: من القاسطون؟ قال: معاوية وأصحابه من أهل الشام، قلت: من المارقون؟ قال: أصحاب النهروان. فقال مولى أم سلمة: فرجت عتى فرج الله عنک، والله لا سببت علياً أبدا))(1)

وروى أن أمير المؤمنين عليه السلام قال فى أثناء خطبة خطبها بعد فتح البصرة بايام حاكياً عن النبى صلى الله عليه و آله قوله:((يا على إنک باق بعدى ومبتلى بأمتى، ومخاصم بين يدى الله،

1- الاحتجاج، أبی، منصور أحمد بن علی بن أبی طالب الطبرسی، کتاب الکترونی، المکتبة العقائدیة، مرکز الأبحاث العقائدیة،ج ۱ ، ص۲۸۸

فأعد للخصوم جواباً. فقلت: بأبی أنت وأمی بین لی ما هذه الفتنة التی أبتلی بها

وعلی ما أجاهد بعدک، فقال لی: إنک ستقاتل بعدی الناکثة والقاسطة و المارقة..

وحلاهم وسماهم رجلاً رجلاً، وتجاهد من أمتی کل من خالف القرآن وسنتی ممن

یعمل فی الدین بالرأی، فال رأی فی الدین، إنما هو أمر الرب ونهیه. فقلت: یا رسول

الله فأرشدنی إلی الفلج عند الخصومة یوم القیامة. فقال: نعم، إذا کان ذلک فاقتصر

علی الهدی إذا قومک عطفوا الهدی علی الهوی، وعطفوا القرآن علی الرأی یتأولونه

برأیهم بتتبع الحجج من القرآن بمشتبهات الأشیاء الطارئة عند الطمأنینة إلی الدنیا،

فاعطف أنت الرأی علی القرآن إذا قومک حرفوا الکلم عن مواضعه عند الأهواء

الناهیة والآراء الطامحة، والقادة الناکثة، والفرقة القاسطة، والأخری المارقة أهل

الإفک المردی، والهوی المطغی، والشبهة الحالقة، فلا تکلن عن فضل العاقبة، فإن

العاقبة للمتقین(1)

وروی عنه علیه السلام أیضا: عن أبی عمرو الکندی قال: ((کنا ذات یوم عند علی علیه السلام

فوافق الناس منه طیب نفس ومزاح... فقام إلیه ابن الکواء(2)... قال: فمن الخاسرون

أعمالاً ((الذین ضل سعیهم فی الحیوة الدنیا و هم یحسبون أنهم یحسنون صنعاً))(3) قال :کفرة أهل

الکتاب فإن أولیهم کانوا فی حق فابتدعوا فی دینهم فأشرکوا بربهم وهم یجتهدون فی

العبادة یحسبون أنهم علی شیء فهم الآخرون أعمالا... ثم رفع صوته وقال: وما

1- المصدر نفسه، الاحتجاج، الشیخ الطبرسی، ص ۳۰۳ ج

2- کان خارجیاً بل کان من کبار زعمائهم وفی حدیثه عن الخوارج قال الضاری: (ولذلک سمیت الخوارج: حروریة/ وزعیمهم یومئذ: عبد الله بن الکواء ومعه شبث بن ربعی) ینظر: ص ٦٥، الإمام الزهری وأثره فی السنة، حارث سلیمان الضاری، مکتبة بسام، موصل، العراق، ١٤٠٥ 1985 م، وکان ابن الکواء کثیر المساءلة لعلی علیه السلام، کان یسأله تعنتاً، قتل مع الخوارج فی النهروان

3- الکهف ۱۰۳

أهل النهروان غدأ منهم ببعيد!))(1)

ومن حديث المستقبل الذى عايشه المسلمون الأوائل قول رسول الله صلى الله عليه و آله فيما ثبت

عنه فى الصحيحين: ((إذا هلک قيصر فلا قيصر بعده و إذا هلک کسرى فلا کسرى بعده،

والذى نفسى بيده لتنفقن کنوزهما فى سبيل الله))(2)

ومقتل عمار بن ياسر رحمة الله على يد السياسيين بعد أکثر من ثلاثة عقود على ما أخرهم

به النبى صلى الله عليه و آله من المستقبليات التى عايشوها واستشهدوا بها، قال ابن کثير: ((وکذلک

الإخبار بمقتل عمار، وأما ذکر الخوارج الذين قتلهم على بن أبى طالب عليه السلام ومقتلهم

وبعث ذى الندية منهم، فالأحاديث الواردة فى ذلک کثيرة جداً))(3).((وعن أم سلمة أن

رسول الله قال لعمار: تقتلک الفئة الباغية))(4)

بل حتى المتشدد ابن تيمية تحدث عن المستقبلية والإخبار بالغيب بثقة ويقين،

ومما جاء عنه قوله الذى نأتى به للاستشهاد وليس لليقين بصحته، لأنه مشکوک بنواياه

وصدقه: ((وقد ثبت فى صحيح مسلم عن أسماء عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال: ((سيکون فى

ثقيف کذاب ومبير))(5) ويقصد بذلک الحجاج والمختار الثقفيين.

وضمن سياق الحديث عن الغيبيات ورد حديث لرسول الله کان فيه النبى صريحا

1- الغارات، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن هلال المعروف بابن هلال الثقفى، تحقيق عبد الزهرة الحسينى الخطيب، دار الأضواء، بروت، ١٤٠٧-١٩٨٧، ص ١٠٣-105

2- النهاية فى الفتن والملاحم، ابن کثير، ص ٢

3- المصدر نفسه، ص٤

4- تهذيب خصائص الإمام على، أبى؛ عبد الرحمن أحمد بن شعيب المعروف بالنسائى، تحقيق أبى؛ إسحاق الحوينى الأثرى، دار الکتب العلمية، بروت، ١٤٠٥/ ١٩٨٤ م، حديث ١٥٢، ص ١٢٠

5- منهاج السنة النبوية فى نقض کلام الشيعة القدرية،أبو العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية،مکتبة ابن تيمية، سنة النشر: ١٤٠٦ / ١٩٨٦ م، ص١٤٨، ج ٨

وواضحاً فى غيبياته ومستقبلياته حتى أنه حدد الخلافة الإسلامية بثلاثين عاما، ليس

لمنحها الشرعية بما يتعارض مع النص على خلافة على بن ابى طالب عليه السلام للنبى صلى الله عليه و آله

وهو أمر مفروغ منه ومن صحته، ولا مجال لمناقشته، وإنما إخبار من النبى بأن هناك فى

مستقبل الإسلام مرحلتان، الأولى: مرحلة الخلافة بغض النظر عن مضامينها وصدقها

وضعيتها، والثانية: مرحلة التوارث والملكية بغض النظر عن ضعيتها، فالمقام لم يكن

مقام حديث عن الشرعية، وإنما عن التاريخ والمستقبل. قال ابن كثرى: ((وتقدم الحديث

الذى رواه أحمد وأبو داود والنسائى والترمذى وحسنه من طريق سعيد بن جهمان عن

سفينة أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال: الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً. وقد اشتملت

هذه الثلاثون سنة على خلافة أبى بكر الصديق، وعمر الفاروق وعثمان الشهيد، وعلى

بن طالب الشهيد أيضا، وكان ختامها وتمامها بستة أشهر وليها الحسن بن على بعد

أبيه))(1)

ويعنى هذا بان معاوية قاتل خليفتين شرعيين هما على والحسن لكى يستولى

على الحكم وتتحقق النبوءة التى أخربت المسلمين أنه بصلح الإمام الحسن عليه السلام انتهت

الخلافة إلى الأبد وحل بدلا عنها الملكية الوراثية القيصرية.(2)

فضلا عن ذلك توجد هناك أحاديث مستقبلية أوردتها كتب حديث المدارس

الإسلامية نوهت فعلا عن حتمية قتال الإمام على بن أبى طالب عليه السلام لثلاث فئات

إسلامية، تخرج عليه من بين المسلمين، وهى الوقائع التى حدثت فى خلافته عليه السلام وقد

1- النهاية فى الفتن والملاحم، ص ٤

2- مع كل ذلك التوضيح هناك من يعتقد أن الخلافة الإسلامية استمرت حتى مع الخلفاء الأعاجم الذين استعمروا الأمة، وأنها لم تنقطع إلا بانتهاء سلطة سلاطين بنى عثمان فى بداية القرن العشرين،ينظر: على محمد العلابى، تاريخ الدولة العثمانية

أورد النسائی عن أبی سعید الخدری قال: کنا جلوساً ننظر رسول الله صلی الله علیه و آله فخرج إلینا قد

انقطع شسع نعله؛ فرمی به إلی علی علیه السلام فقال: ((إن منکم رجلاءیقاتل الناس علی تأویل

القرآن کما قاتلت علی تنزیله، فقال أبو بکر: أنا؟ قال: لا، قال عمر: أنا؟ قال: لا،

ولکن خاصف النعل))(1)

إن قتال الإمام علی للخوارج خبر مفعم بالمستقبلیة، والخوارج هم المارقة، وعن

أبی سعید الخدری رضی الله عنه أن رسول الله قال: ((تمرق مارقة من الناس یلی قتلهم أولی

الطائفتین بالحق))(2)

وفی حدیث له ارتباط بهذا الحدیث، عن أبی سعید الخدری قال: قال رسول الله:

((تکون أمتی فرقتین فیخرج من بینها مارقة یلی قتلهم أولاهما بالحق))(3) وفی هذا

الحدیث إشارة مهمة للفرقتین، حیث تکون إحداهما أولی بالحق من الأخری، أی

تکون الأخری بعیدة عن الحق، أی ضالة، ولما کان من المتغق علیه ان علیاً علیه السلام هو الذی

قاتل تلک الخارجة، فذلک معناه أن فرقته أولی بالحق من الفرقة التی قاتلته، وهی فرقة

السیاسیتین.

أما فی الحدیث الآخر، فالصورة أوضح حیث تفرق الأمة إلی فرقتین ومن بینهما

تمرق طائفة یقتلهم أولی الفرقتین بالحق وهو علی علیه السلام بمعنی أن الأخری علی باطل:

عن أبی سعید: ((تفترق أمتی فرقتین، تمرق مارقة تقتلهم أولی الطائفتین بالحق))(4)

1- تهذیب خصائص الإمام علی، أبی عبد الرحمن أحمد بن شعیب المعروف نسائی، حدیث ۱۵۰، ص۱۱۸-۱۱۹

2- المصدر نفسه، حدیث ۱٦۰، ص ۱۲۳

3- المصدر نفسه، حدیث ۱٦۲، ص ۱۲۳

4- المصدر نفسه، ۱٦۳، ص ۱۲٤

والحديث الآخر عن الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه و آله، قال: ((تمرق مارقة عند فرقة من الناس

تقتلهما أولى الطائفتين بالحق)(1)

كما أن الحديث عن غربة الإسلام يأتى من بين دفتى دفتر المستقبلية، إذ ثبت فى

الصحيح من حديث الأعمش، عن أبى إسحاق، عن أبى الأحوص، عن عبد الله بن

مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((إن الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى

للغرباء قيل: ومن الغرباء؟ قال: الترائح من القبائل)). ورواه ابن ماجة عن أنس و أبى

هريرة.(2)

كذلک الحديث عن المهدوية مستقل، والأحاديث المهدوية على كثرتها من

المستقبليات المؤكدة، ومنها حديث أنقله بتحفظ كبير كمثال لا أكثر: ((عن قيس عن

شعيب بن خالد عن أبى إسحاق قال: قال على ونظر إلى ابنه الحسن فقال: إن ابنى هذا

سيد كما سماه رسول الله صلى الله عليه و آله وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم صلى الله عليه و آله يشبهه

فى الخلق ولا يشبهه فى الخلق ثم ذكر قصة يملأ الأرض عدلاً))(3)

كما كان الوعد بما سيصيب أهل البيت عليهم السلام من عسف وجور على أيدى السياسيين

جزءاً من المنظومة المستقبلية التى خصهم فيها النبى صلى الله عليه و آله دون غيرهم.

1- المصدر نفسه، حديث ١٦٤، ص١٢٤

2- النهاية فى الفتن والملاحم، ابن كثير، ص١٤

3- ابن كثير النهاية فى الفتن والملاحم، ص ٢٣

ايذاء الحكام الجائرين لآل البيت عليهم السلام

فى الأقل هناک فيما يخص موضوعنا بالذات أربعة وعود من رسول الله صلى الله عليه و آله أودعها

قلوب المسلمين، تتحدث عن المستقبل الذى تنتظره أمة الإسلام وينتظره، وقد عايشوها

وتذكروا قوله بشأنها:

• الوعد الأول: كثرة الغتن التى سوف تحدث بعد موته مباشرة.

وقد وردت فى ذلک أحاديث كثيرة، منها الحديث الذى أخرجه البخارى ومسلم

وجمع كبير من أهل الحديث، والنص لابن كثير فى الفتن: ((ثم روى البخارى ومسلم من

حديث الزهرى، عن عروة، عن أسامة بن زيد قال: أشرف النبى صلى الله عليه و آله على أطم من أطام

المدينة فقال: ((هل ترون ما أرى؟ قالوا: لا. قال: فإنى لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم

كوقع المطر)).

وروى من حديث الزهرى، عن سعيد، عن أبى هريرة، عن النبى صلى الله عليه و آله قال:((يتقارب

الزمان وينقص العلم ويبقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج. قالوا: يا رسول الله إيما

هو؟ قال: القتل القتل)). ورواه أيضاً عن الزهرى، عن حميد، عن أبى هريرة، ثم رواه من

حديث الأعمش، عن سفيان، عن عبد الله بن مسعود وأبى موسى(1).

وفى فتن نعيم بن حماد: عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله:إن الفتنة راتعة فى

1- المصدر نفسه، ص ٢٨

بلاد الله تطأ فى خطامها لا يحل لأحد أن يوقظها، ويل لمن أخذ بخطامها)).(1)

إن الويل: كلمة عذاب، يقال ويله، وويلک، وويلى، وفى الندبة ويلاه، قال الأعشى:

قالت هريرة لما جئت زائرها ويل عليک وويل منک يا رجل

والويل: حلول الشر. قال الراغب الأصفهانى: قال الأصمعى: ويل قبح، وقد

يستعمل على التحسر(2)

وقال: وردت (ويل) فى القرآن فى أكثر من موضع منها كأمثلة: ((فويل لهم مما

كتبت أيديهم))(3)و ((و ويل للكافرين))(4) و ((ويل لكل أفاک أثيم))(5) و ((فويل للذين كفروا))(6) و ((ويل للمطففين))(7) و((ويل لكل همزة))(8)

ولقد ثبت بما لا يقبل الشک والتأويل أن معاوية أيقظ الفتنة يوم قاد جيش الشام

لمحاربة عليى عليه السلام، وأيقظها مرة أخرى يوم قاد جيشه بعد أيام معدودات من مقتل على

ليحارب الحسن عليه السلام، فاستحق الويل مرتين

• الوعد الثانى: إن أهل بيت النبوة صلى الله عليه وآله سيلقون البلاء بعده.

وهو الآخر وردت بشأنه أحاديث كثيرة منها حديث ابن كثير: ((وقال ابن ماجه

1- فتن ابن حماد،ص٣٠

2- مفردات القرآن، الراغب الأصفهانى، ص ٨٨٨

3- سورة البقرة: ٧٩

4- سورة إبراهيم:٢

5- سورة الجاثية: ٧

6- مريم، ٣٧

7- المطففين:١

8- الهمزة: ١

حدثنا عثمان بن ابى شيبة، حدثنا معاوية بن هشام، حدثنا على بن صالح، عن يزيد بن أبى

زياد، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله اغرورقت

عيناه وتغير لونه قال: فقلت: ما نزال نرى فى وجهک شيئا ذكرهه فقال: إنا أهل بيت

اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتى سيلقون بعدى بلاء وتشريداً وتطريداً

حتى يأتى قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخبز (فى أغلب الروايات:

الخير) فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى

رجل من أهل بيتى فيملأها قسطاً كما ملئت جوراً، فمن أدرک ذلک منكم فليأتهم ولو

حبواً على الثلج))(1)

• الوعد الثالث: إن أئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا على إطلاع مسبق بمجريات

الأمور.

وبالرغم من وجود من ينكر هذه الكرامة الفريدة ولاسيما بين المثقفين والاكاديميين

العلمانيين وبعض المتفيقهين الذين يستكثرون على الأئمة عليهم السلام أن يتحدثوا فى الغيبيات،

ويعدون ذلک تطرفا شيعيا مبعثه الغلو، فإن الوقائع تثبت أنهم عليهم السلام كانوا ملمين

بأخبار مستقبلية ورثوها عن أبيهم على عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله جل جلاله، وهناک الكثير

من الروايات والأحاديث التى توثق إخبار رسول الله صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام بأشياء من المغيبات

والغيبيات إلى حد التفصيل الدقيق، حتى أنه حينما أخبره عن حرب المارقين(النهروان)

وصف يد أحدهم وصفا دقيقا وصل إلى درجة توصيف ثلاث شعرات فى طرفها،

والحديث أخرجه النسائى فى الخصائص، قال: ((أخبرنا الحسن بن مدرک قال: حدثنا

يحيى بن حماد قال: ((أخبرنا أبو عوانة قال: أخبرنى أبوسليمان الجهنى أنه كان مع على عليه السلام

1- النهاية فی الفتن والملاحم، ابن کثیر، ص ۲۵

يوم النهروان... فلما كان يوم النهروان وقتل على الحرورية، فخرج على قتلهم حين لم

يجد ذى الثدى، فطاف حتى وجده فى ساقية، فقال: صدق الله وبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله

وقال لى: فى مسكنه ثلاث شعرات فى قبل حلمة الثدى))(1)

وفى حديث آخر، قال النسائى: ((اخبرنا محمد بن العلاء قال: حدثنا أبو معاوية

عن الأعمش عن زيد (وهو ابن وهب) عن على بن ابى طالب عليه السلام، قال: لما كان يوم

النهروان لقى الخوارج فلم يبرحوا حتى شجروا بالرماح (قتلوا جميعا) قال على عليه السلام:

أطلبوا ذا الثدية، فطلبوه فلم يجدوه، فقال على: ما كذبت ولا كذبت أطلبوه فوجدوه فى

وخدة من الأرض عليه ناس من القتلى فإذا رجل على يده مثل سبلات السنور، فكبر

على عليه السلام والناس، وأعجبهم ذلک))(2)

وفى الحديث آخر جاء عن على عليه السلام أنه قال لجنده: ((التمسوا المخدج (وذلک فى يوم

شات) فقالوا: ما نقدر عليه، فركب على بغلة النبى صلى الله عليه وآله الشهباء، قال: هذه من الأرض،

قال: التمسوا فى هؤلاء، فأخرج فقال: ما كذبت ولا كذبت، اعملوا ولا تتكلموا لولا

أنى أخاف أن تتكلوا لاخبرتكم بما قضى الله لكم على لسانه))(3)

وفى حديث آخر: ((أخبرنا محمد بن عبيد قال: حدثنا أبو مالک (وهو عمرو بن

قيس) عن المنهال بن عمرو عن زر بن حبيش أنه سمع عليا عليه السلام يقول: ((أنا فقأت عين

الفتنة، لولا أنا ما قتل أهل النهروان وأهل الجمل. يقول: ولولا أخشى أن تتركوا العمل

لاخبرتكم بالذى قضى الله على لسان نبيكم لمن قاتلهم مبصرا ضلالتهم عارفا بالهدى

1- خصائص النسائى، حديث ١٧٤ ص ١٢٩

2- المصدر نفسه، حديث ١٧٦ ص ١٣٠- ١٣١

3- المصدر نفسه، حديث ١٧٧ ص ١٣١

الذى نحن عليه))(1) وقوله عليه السلام: ((ولولا أخشى أن تتركوا العمل لأخبرتكم بالذى قضى

الله على لسان نبيكم)) يعنى انه يعرف ما لا يعرفه أحد، تعلم ذلک من رسول الله صلى الله عليه وآله

وعن النسائى أيضا: عن كليب الحرمى عن أبيه قال: ((كنت عند على عليه السلام جالسا، إذ

دخل رجل عليه ثياب السفر، وعلى عليه السلام يكلم الناس ويكلمونه، فقال: يا أمير المؤمنين

أتأذن لى أن أتكلم؛ فلم يلتفت إليه وشغله ما فيه، فجلس إلى رجل، قال له: ما عندک،

قال: كنت معتمراً، فلقيت عائشة، فقالت: هؤلاء القوم الذين خرجوا فى أرضكم

يسمون (حرورية)، قلت: خرجوا فى موضع يسمى حروراء، تسمى بذلک، فقالت:

طوبى لمن شهد منكم، لو شاء ابن أبى طالب لأخبركم خبرهم، فجئت أسأله عن

خبرهم. فلما فرغ على، قال: أين المستأذن، فقص عليه، كما قص علىّ، قال: إنى دخلت

على رسول الله صلى الله عليه وآله وليس عنده أحد غير عائشة، فقال لى: كيف أنت يا على، وقوم كذا

وكذا، قلت: الله ورسوله أعلم، ثم أشار بيده، فقال: قوم يخرجون من المشرق، يقرأون

القرآن، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فيهم رجل

مخدج، كأن يده ثدى حبشية، أنشدكم بالله أخبرتكم به؟ قالوا: نعم، قال: أنشدكم بالله

أخبرتكم أنه فيهم، قالوا نعم، فجئتمونى وأخبرتمونى أنه ليس فيهم، فحلفت لكم بالله

أنه فيهم، ثم أتيتمونى به تسحبونه كما نعت لكم، قالوا: صدق الله ورسوله))(2)

وعن الأعمش عن زيد، وهو ابن وهب، عن على بن أو طالب عليه السلام قال: لما

كان يوم النهروان لقى الخوارج فلم يبرحوا حتى شجروا بالرماح (قتلوا جميعا) قال

على عليه السلام: اطلبوا ذا الثدية فطلبوه، فلم يجدوه، فقال على: ما كذبت ولا كذبت، اطلبوه

فطلبوه فوجدوه فى وخدة من الأرض عليه ناف من القتلى، فإذا رجل على يده مثل

1- المصدر نفسه، حديث ١٨١ص ١٣٣

2- الخصائص،النسائی ص .١٠ - ١٠١ النسائی

سبلات السنور، فكبر على عليه السلام وأعجبهم ذلک)).

وعن محمد بن سيرين قال: قال عبيدة السلمانى:لما جئت أصيب أصحاب

النهروان، قال على عليه السلام: اتبعوا فيهم فإنهم إن كانوا من القوم الذين ذكرهم رسول

الله صلى الله عليه وآله فإن فيهم رجلا مجدب اليد، أو مثدون اليد، أو مودون اليد، وأتيناه فوجدناه،

فدللناه عليه، فلما رآه قال: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، والله لولا أن تبطروا، ثم ذكر

كلمة معناها، لحدثتكم بما قضى الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله ، فى قتل هؤلاء، قلت:

أنت سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أى ورب الكعبة ثلاثا)).

وعن المنهال بن عمرو عن ذر بن حبيش أنه سمع عليا عليه السلام يقول: أنا فقأت عين

الفتنة، لولا أنا ما قل أهل النهروان وأهل الجمل، ولولا أخشى أن يتركوا العمل

لأخبرتكم بالذى قضى الله على لسان نبيكم لمن قاتلهم مبصرا ضلالتهم عارفا

بالهدى الذى نحن عليه))(1)وانظر عن أخبار الخوارج ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة، ج ٢، ٢٦٥ وما

بعدها، وعن رأى عائشة فى زعم عمرو بن العاص أنه قتل ذا الثدية بالإسكندرية(2)

يعنى هذا، أن العلم المستقبلى بحدوده الدنيا، ولكن الموثوق كان معروفا لكثير من

المسلمين، ولذا تناقلوا رواياته وعايشوا تحقق تلك الأخبار؛ ولما كان الإمام الحسن عليه السلام

صحابيا مقربا من النبى صلى الله عليه وآله وابنا لرسول الله ولعلى ولفاطمة(عليهم صلوات الله)

فيستحيل أن يكون غير مطلع على البرنامج الربانى المستقبلى، بل كان يحمل فى ذاكرته

وعقله قصصا موثقة ضخت فى كيانه كما كبيراً من الحديث عن مستقبل الأيام وما

1- تهذيب الخصائص، النسائى، ص ١٠٤ - ١٠٥

2- شرح نهج البلاغة، ٢ /٢٦٨

سيقع فيها بما فى ذلک عقد الصلح مع معاوية، ولهذا السبب سماه بعضهم: الكاهن،

أى العارف بالمستقبل، والعارف بالمستقبل لا يمكن أن يرضخ للظن أو التوقع أى: أن

حراكه يكون محكوماً بعلم المستقبل الذى يملكه.

أنطلق من الروايات التى أوردى مثالاً لا أكثر فضلاً عن الروايات التى ساءوردها

لأتحدث عن علاقة أئمة أهل البيت عليهم السلام بالمستقبلية، وأود بداية أن أقول: بأن مجرد

إخبار رسول الله صلى الله عليه و آله للإمام الحسن عليه السلام أو مجرد حديثه أمامه عن دوره فى الإصلاح بين

الناس كما سيمر علينا يضع الإمام عليه السلام الحسن فى لب المستقبلية بعد أن ربط مصيره بها

فأصبح على يقين أنه حمل أمر المستقبل وما عليه سوى الانتظار.

ومن هذه الروايات فى الكافى عن على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن ابى عمر، عن

عبد الصمد بن بشر، عن ابى الجارود، عنابى جعفر عليه السلام قال: ((إن أمير المؤمنين عليه السلام

لما حضرته الوفاة قال لابنه الحسن: ادن منى حتى أسر إليک ما أسر إلىّ رسول الله صلى الله عليه و آله

وائتمنک على ما ائتمننى عليه، ففعل))(١)

وقال ابو جعفر الطبرى الشيعى: حدثنا أبو محمد سفيان، عن أبيه، عن الأعمش،

قال: قال فقير بن عبد الله بن مجاهد] كذا [، عن ابن الأشعث، قال:كنت مع الحسن بن

على حين حوصر عثمان فى الدار، وأرسله أبوه ليدخل إليه الماء، فقال لى: يا بن الأشعث

الساعة يدخل عليه من يقتله، وإنه لا يمسى. فكان كذلک، ما أمسى يومه ذلک)) وأيضا

هناک رواية أخرى جاء فيها، قال أبو جعفر: حدثنا سفيان، عن أبيه، عن الأعمش،

قال: قال محمد بن صالح: ((رأيت الحسن بن على يوم الدار وهو يقول: أنا أعلم من يقتل

(١) الكافى ١: ٣١٢٣٦، ونقله المجلى فى بحار الأنوار ٤٣: ٣١٣٢٢

عثمان، فسماه قبل أن يقتله بأربعة أيام، وكان أهل الدار يسمونه الكاهن)).(1)

• الوعد الرابع: أن الأمة كانت تعرف ما يصيب أهل البيت عليهم السلام حتى قبل

وقوعه وكانوا يصدقون اخباره عند وقوعه.

وهو الآخر ورد بشأنه الكثير من الأحاديث، منها قال ابن ماجة: حدثنا عثمان

بن أبى شيبة، حدثنا معاوية بن هشام، حدثنا على بن صالح، عن يزيد بن أبى زياد، عن

إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: ((بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله اغرورقت عيناه

وتغير لونه قال: فقلت ما نزال نرى فى وجهك شيئا ذكرهه فقال: إنا أهل بيت اختار الله

لنا الآخرة على الدنيا وإن بيتى سيلقون بعدى بلاء وتشريداً و طريداً حتى يأتى قوم من

قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخبز فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فيعطون

ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتى فيملأها قسطاً كما ملئت

جوراً، فمن أدرك ذلک منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج)).(2)

وقد جاء عن الإمام الحسن عليه السلام بعد عقد الصلح ودخول معاوية وعمرو بن العاص

إلى الكوفة وطلب معاوية منه أن يخطب الناس، طبعا نكاية به؛ بأنه: تشهد ثم قال: ((أما

بعد يا أيها الناس فإن الله قد هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا، وإن لهذا الأمر مدة،

والدنيا دول، وإن الله تعالى قال لنبيه: ((و إن أدرى لعله فتنه لكم ومتاع الى حين))

بدلالة حديثه عن مدة الأمر فى قوله: (وإن لهذا الأمر مدة) فهو يؤمن ويعرف أن لكل

شىء مدة هو بالغها. وكل ذلک وتلک الروايات تؤكد ذلک وتثبت أن الأئمة كانوا

يتعاملون مع البرنامج الإلهى بعلم مسبق ومعرفة يقينية.

1- دلائل الإمامة/ص١٦٨/ج(.١١/٨)و(١٢/٨١).

2- النهاية فى الفتن والملاحم لابن كثير، مصدر سابق، ص٢٥

و عليه لا نستغرب أن يبعد الإمام على عليه السلام عن حقه، ويوضع الإمام الحسن عليه السلام فى موضع لا يحسد عليه، فيضطر إلى طلب الصلح إبقاء على الإسلام والمسلمين من الفناء، ويقتل الحسين عليه السلام، وتدور مجزرة قتل وتشريد وتغييب الطالبيين على مر التاريخ ولا يتحركون كما فى مقدورهم أن يتحركوا، فيلين لهم الحديد وتطيعهم الأشجار والبحار والصواعق.

ولا نستغرب من أن الأئمة عليهم السلام كانوا يعرفون بهذه الوقائع قبل وقوعها بزمن طويل وهذا يعنى أن تصرفاتهم الخاصة والعامة وسلوكياتهم وتعاملاتهم السياسية والدينية والحياتية كلها محكومة بما ألقى إليهم من قول أصبحوا ملزمين بتطبيقه حرفيا رضى الناس أم كرهوا، اعتقدوا أم اعترضوا، كفروا أم آمنوا.

ولا نستغرب أن الإمام الحسن عليه السلام كان على علم بكل دقيقة من دقائق عمر إمامته بدءا من ساعة توليه الخلافة و إلى ساعة موته، كان يعرف كيف سيتصرف معاوية وكيف سيتعامل معه أنصاره وجيشه، ونتائج الحشد المتهيئ للقتال، وموضع الصلح وتداعياته، كان يعلمها لا بعلم الغيب كما يتهمنا بعض الأخوة بأنا نقول أن الأئمة يعلمون الغيب؛ وإنما عن طريق التعلم، عن طريق الأخبار المستقبلية العامة والخاصة التى علمها النبى صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام ونقلها على لأبنائه الأئمة عليهم السلام، ولذا لا يحق لأى إنسان مهما كانت منزلته أن يعترض على قول أو فعل يصدر عن الإمام المعصوم مطلقا؛ فهو أدرى بما يصنع ويقول، وهو دائما على صواب سواء قاتل أم صالح، ولكننا مع ذلك نجد بين المتقدمين والمتأخرين من اتخذ موقفا سلبيا من الصلح انعكس على نظرته إلى قداسة ومنزلة الإمام الحسن عليه السلام وبشكل يدل على الجهل قبل كل شىء.

الخاتمة

لقد وجدته ضجيجا عالياً جدا ذاک الذى أحدثه السياسيون العرب لتقويض

الحسنية، وتشويه نقاء سيرة الإمام الحسن عليه السلام، ولا يزال صداه إلى الآن يتردد فى عقولنا،

وبقيت آثاره تتحكم بطرائق تعاملنا مع هذه القامة الباسقة، فمتى نتحرر من تلک

السطوة؟ ومتى نعيد لسيرة الإمام المجاهد المعصوم الحسن بن على بن أبى طالب عليهما السلام

بريقها؟

إن ما رمت الوصول إليه مما تقدم من البحث، ومن خلال هذا التجميع المضنى

لبعض النصوص التى بدأت تنتشر فى الاونة الأخير على شبكة الانترنيت وفى الصحف

الورقية والبحوث والكتب، هو أن التكتيم الذى مورس تأريخيا على دور العرب

المسلمين السياسى أثر كثيرا فى قرارات واستنتاجات من جاء بعدهم من الكتاب

والمؤرخين، فاحتاروا بين أن تكون هناک برامج سياسية عربية ناهضة، وبين أن يكون

العرب من الأمم التى كانت تجهل العمل السياسى، وما تأكد لى من خلال البحث

والمتابعة أن المجتمع الإسلامى الأول عرف السياسة بكمال ألوانها وصيغها وألاعيبها

ودناءتها وخياناتها و مؤامراتها، وأنه مارس العمل السياسى فعلا، وأجاد الصنعة

وأحسن الفن، بحيث نجح فى تمرير طبخات عظيمة دون أن يشعر بها المخالف الساذج

أو يفضح أمره، وأنه نجح فى تغطية هذه المؤامرات وعصبها برأس من لا ناقة لهم فيها

ولا جمل، لكى يبرّئ نفسه منها، ويظهر بمظهر الحريص على الدين والحاكم الشرعى،

ومن هذه الطبخات: مقتل الخلفاء الثلاث عمر وعثمان وعلى عليه السلام، وهو ثمن غال جدا

دفعته الأمة المسلمة ودفعته العقيدة مقابل سعى هؤلاء السياسيين إلى نيل المناصب التى

كانوا يناضلون للحصول عليها.

وإذا ما كان النبى الاءكرم صلى الله عليه وآله قد عمل بجد للقضاء على الشحناء والاءحقاد السياسية

التى شخّص وجودها فى المجتمع الأول، ونجح فى كبتها وتحجيمها. فإن ما حدث بعد

موته مباشرة يثبت أن مجايلة بعض أهل المدينة لعصر البعثة وجيل الصحابة لم تجوهر

إيمانهم الحقيقى بالعقيدة بقدر ما جوهرت تطلعاتهم السياسية، ولذا نرى ((أن جميع

الأحقاد السياسية التى كان النبى صلى الله عليه وآله قد كبتها بنفوذه الأدبىّ لم تلبث أن ذرت قرنها))(1)

ومنه نتأكد من صحة وجود الفصيل السياسى الذى مارس الضغوطات على رجال

الدين وعلماء العقيدة، بعد أن أثمر جهده المتواصل وخيرته الكبيرة المكتسبة والتجارب

الكثيرة التى مر بها فى إزاحة القيادة الشرعية عن مكانها الرسمى بقتل الإمام على عليه السلام

والانفراد بالإمام الحسن عليه السلام.

وأن يتصدى الإمام الحسن عليه السلام لمثل هذا الجهد السياسى المنظم وينتصر من خلال

النجاح بالبقاء على قيد الحياة وقيادة الأمة قيميا وأخلاقيا ثم التصدى لمناهج السياسة

المنحرفة والحكام المنحرفين لهو أكبر دليل على عظمة الحسن عليه السلام وعلو شأنه، وأكبر

دليل على أن الحسن عليه السلام الخليفة والقائد السياسى لم يكن أقل كفاءة وجدارة وتنظيما من

الحسن عليه السلام الإمام المعصوم والقائد الربانى، فهو كما نجح فى الإمامة نجح فى السياسة

ولولا نجاحه السياسى لكانت الأمة اليوم تتعبد بمفاهيم السياسيين التى نشرها

الإسلام الأموى بين الناس ولا تعرف شيئا عن الإسلام المحمدى.

أما السياسيون فإنهم أصيبوا بالخيبة والخذلان بعد أن تبين لهم ولمن جاء بعدهم أن

1- تاريخ الشعوب الاسلاميه. كارل. ج1. ص98

كل الدس والتحريف لم ينجح فى إخفاء وهج الإمام الحسن عليه السلام، وأرى أن بقاء شعلة

الفكر الحسنى منيرة مضيئة معطاء نافعة للأمة كل هذه السنين بالرغم مما تعرضت له

من محاولات لاطفائها يثبت مدى انطباق قوله تعالى: ((فأما الزبد فيذهب جفاء وأمّا ما ينفع الناس فيمكث فى الارض)) على الحسن عليه السلام ومناوئيه؛ فالحسن عليه السلام لأنه مما ينفع الناس

خلّده الله فى قلوبنا وخلّد ذكره، والآخرون من أعدائه، لأنهم زبد أذهب الله وهجهم

وأطفأ شعلتهم وخيب مساعيهم ومؤامراتهم، ولم تنفعهم كل تلك الجرائم والجرائر.

ولكى لا نستهين بفعلهم يجب أن نذكر بعض محاولاتهم للنيل من الإمام

الحسن عليه السلام ففى ذكرها تأكيد لنجاح الإمام عليه السلام وفشلهم. وبالتأكيد تطول قائمة من

يريد جمع الافتراءات التى ارتكبوها بحق الإمام الحسن عليه السلام لأنها بدأت منذ اللحظة

الأولى لولادته ولم تنته لغاية هذه اللحظة، وبعيدا عن المفتريات الطائفية والأخرى التى

سأمر عليها مرور الكرام، سوف أركز حديثى على بعض الافتراءات السياسية حصراً

لأنها الأساس الذى قامت عليه باقى الافتراءات بأنواعها، لكى أثبت وبالدليل القاطع

أن السياسة العربية التى دخلت تحت عباءة الدين، وتزيت بزى الإيمان، فضلا عن

كونها شوهت مبانى العقيدة وأغرت الكثير من المسلمين بالابتعاد عن جوهر الإسلام؛

نجحت كذلك فى التأثير على جميع مكونات العالم الإسلامى، وأثرت فى أنماط سلوكهم

وتفكيرهم من خلال تأثيرها على السعى الإسلامى النقى لأئمة أهل البيت عليهم السلام الذين

وباعتراف الجميع كانوا يريدون السير بالأمة على المحجة البيضاء، كما أخرج ابن أبى

الحديد عن الخليفة عمر قوله لستة الشورى بعد أن جمعهم وغادر على عليه السلام: ((والله، إنى

لأعلم مكان رجل لو وليتموه أمركم لحملكم على المحجة البيضاء. قالوا: من هو؟ قال:

هذا الولى من بينكم. قالوا: فما يمنعك من ذلك؟ قال: ليس إلى ذلك من سبيل))(1)

1- شرح نهج البلاغة، م٣،ج ١٢، ص٢٠٩ - ٢٦٠

و فی خبر ثان فی الاستیعاب وطبقات ابن سعد: أن عمر لما خرج أهل الشوری من

عنده، قال: إن ولوها الأجلح سلک بهم الطریق. قال عبد الله بن عمر: فما یمنعک منه،

یا أمیر المؤمنین؟ قال: أکره أن أتحملها حیا ومیتاً.(1)

وفی هذا الحراک کله کان الإمام الحسن هلم یدعوهم إلی الله، فلا یسمعون، وقد أبرأ

ذمته أمام الله والناس أجمعین وعصب جریرة الرفض برأس من لم یسمعه ولم یأخذ منه؛

فکذبه وأذکر فضله وکرهه وأبغضه وحاربه وقاتله وحاصره وقتله مسموما، غیر آبه

إلی کونه ابن رسول الله صلی الله علیه وآله ، عن جابر قال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله : ((إن لکل بنی أب عصبة

ینتمون إلیها إلا ولد فاطمة فأنا ولیهم وأنا عصبتهم وهم عترتی خلقوا من طینی ویل

للمکذبین بفضلهم، من أحبهم أحبه الله ومن ابغضهم أبغضه الله))(2)

هذا ما جاء به النبی صلی الله علیه وآله وقد صرح الکتاب العزیز بوجوب الآخذ عن النبی صلی الله علیه وآله

والانتهاء عما نهی عنه، قال تعالی: ((وما ءاتاکم الرسول فخذوه و ما نهاکم عنه فانتهوا))

فهل یصح أن تأخذوا ما ترضاه عقولکم وتترکوا ما أمرکم الرسول بالآخذ به؟

((أفتؤمنون ببعض الکتاب و تکفرون ببعض)) ألم یقل رسول الله: ((لا یؤمن

أحدکم حتی یکون هواه تبعاً لما جئت به))؟ فأین هم من قوله تعالی:

((قل إن کنتم تحبون الله فاتبعونی یحببکم الله ویغفر لکم ذنوبکم)) وأین هم من قوله تعالی: ((و ما کان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضی الله ورسوله أمرا أن یکون لهم الخیرة من أمرهم و من یعص الله و رسوله فقد ضل ضلالا مبینا)) ألم یتفق أئمة المذاهب الأربعة علی قاعدة: (کل أحد یؤخذ

من کلامه ویترک إلا رسول الله) فلماذا لم یأخذوا بکلام رسول الله صلی الله علیه وآله الذی نقله لهم

1- الاستیعاب، ج ۳،ص ۱۱۵٤ ترجمة عمر بن الخطاب، الطبقات الکبری، ج ۳،ص ۳٤۲ ترجمة عمر بن الخطاب

2- البحار .ج۲۳ .ص۱۰٤.

الإمام الحسن عليه السلام، فحاربوه وقتلوه؟ وما ذنب الإمام الحسن عليه السلام إذا ما كانت قوى الشر

قد تكالبت عليه لتزيحه من أمامها لكى يتسنى لها السيطرة على الدنيا ومباهجها؟

وبالتالى أرى أنه لا يمكن لأحد مهما علت منزلته وعظم شأنه أن يلوم الامام

الحسن عليه السلام، لأنه عقد مع معاوية صلحا، فيتخذ ذلک دريعة للتقليل من شأن هذا الامام

العظيم، وهذا ما سنعرفه فى الجزء الثانى من الكتاب بإذن الله تعالى، والحمد لله رب

العالمين.

ص :369

المراجع

(أ)

- أهل البيت، الحسن بن على،توفيق أبو علم، ط٣، دار المعارف، القاهرة، مصر.

إعلام الورى بأعلام الهدى، للشيخ الطبرسى، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

أمالى الصدوق، محمد بن على بن الحسين بن بابويه، تقديم: حسين الأعلمى، الناشر: مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، ٢٠٠٩.

آمالى الطوسى،أبى جعفر بن محمد بن الحسن الطوسى، ترجمة، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، مؤسسة الوفاء، ١٩٨١ .

الاحتجاج،أبى منصور أحمد بن على بن طالب لطبرسى، تحقيق الشيخ إبراهيم البهادرى والشيخ محمد هادى به، دار الأسوة للطباعة، طهران، ١٤٢٢.

أعلام النصر المبين فى المفاضلة بين أهل صفين، أبى الخطاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبى (٦٣٣ ١٢٣٥م) دراسة وتحقيق الدكتور محمد أمزون، تقديم الدكتور سامى الصفار، مراجعة الدكتور محمود محمد الطناحى، دار الغرب الإسلامى، المغرب، ١٩٩٨.

أضواء على الصحيحين دراسة وتحليل لصحيحى البخارى ومسلم، تعريب يحيى كمالى البحرانى، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١٩.

الأنظمة السياسية، الدكتور حميد حنون خالد، وزارة التعليم العالى والبحث العلمى،

جامعة بغداد، كلية القانون، الدار العربية للقانون، بغداد، ٢٠١٠.

الإمامة وأهل البيت، محمد بيومى مهران، مركز الأبحاث العقائدية، المكتبة العقائدية.

الامامة والسياسة، المعروف بتاريخ الخلفاء، أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (٢١٣_ ٢٧٦ه) تحقيق على شيرى، منشورات الشريف الرضى،(د.ت).

الإمام الزهرى و أثره فى السنة، حارث سليمان الضارى، مكتبة بسام، موصل، العراق، 1405 ١٩٨٥م.

الاسلام، المستشرق هنرى ماسيه، ترجمة بهيج شعبان، ط٣، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٨ .

الإسلام والثورة، محمد عمارة،ط٣، ١٤٠٨ / ١٩٨٨ م، دار الشروق، بيروت.

الأحكام السلطانية والولايات الدينية، أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى الماوردى (ت 450 هـ)، المطبعة المحمودية،القاهرة، (د. ت).

أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى، محمد بن عبد الهادى المصرى، مكتبة الغرباء، اسطانبول، ١٩٩٢ .

الإيمان بالقضاء والقدر، الدكتور عبد السلام التونجى ط٢، ١٤٢٦، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، بنغازى، ليبيا.

الأوائل، أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيبانى أبو بكر بن أبى عاصم (٢٠٦ – ٢٨٧ هـ_ ٨٢٢ – ٩٠٠م) تحقيق: محمد بن ناصر العجمى، كتاب الكترونى.

أنساب الأشراف، احمد بن يحيى بن جابر البلاذرى (ت ٢٧٩)، تحقيق محمد عبد الله، دار المعارف، مصر، (د.ت).

أسد الغابة فى معرفة الصحابة، على بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى الجزرى، أبو الحسن عز الدين ابن الأثير، تحقيق على محمد معوض وعادل أحمد عبد

الموجود، دار الكتب العلمية.

إحقاق الحق، ميرزا موسى الاحقاقى الاسكوئى،ط ٤، منشورات جامع الإمام

الصادق. العامة – الكويت،2000.

الإصابة فى تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلانى (٧٧٣– ٨٢٥) تحقيق خليل مأمون

شيحا، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤.

إسعاف الراغبين فى سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين بذيل نور الأبصار،

الشيخ محمود بن على الصبان الشافعى، دار الفكر، دمشق.

الإرشاد الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبرى البغدادى المفيد (٣٣٦– ٤١٣).

الاغتيالات فى الإسلام،حسن عبد الله.

(ب)

– بحار الأنوار، المجلسى.

البداية والنهاية، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى

(٧٠١–٧٧٤) تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى، دار عالم الكتب،

١٤٢٤٢٠٠٣م.

بلوغ المرام فى أدلة الأحكام، الحافظ ابن حجر العسقلانى (٧٧٣ت ٨٢٥) دار السلام،

الرياض، ١٩٩٧.

البدء والتاريخ، المطهر بن المطهر المقدسى (ت هه٣)، كتاب الكترونى، مكتبة

المصطفى.

البحر الزخار المعروف بمسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكى

البزار(ت٢٩٢) تحقيق الدكتور محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة

المنورة، سنة النشر: ١٤٢٤/ ٢٠٠٣م.

(ت)

التأريخ السياسى والحضارى للدولة العربية، الدكتور السيد عبد العزيز سالم، دار النهضة العربية، بروت (د.ت).

التأريخ الإسلامى وفكر القرن العشرين دراسة نقدية فى تفسير التأريخ، الدكتور فاروق عمر، ط٢، مكتبة النهضة، بغداد، 1985 .

تاريخ الأمم والملوك، جعفر بن محمد بن جرير الطبرى (٢٢٤-٣١٥ هـ) مراجعة نواف الجراح، دار صادر، بروت، ٢٠٠٣.

تأريخ اليعقوبى، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبى البغدادى (ت ٢٩٢) تعليق خليل المنصور، دار الاعتصام ١٤٢٥.

تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبد الرحمن السيوطى (ت ٩١١) ط٣، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، مكتبة الشرق الجديد، بغداد، دار العلوم الحديثة، بروت،١٩٨٧.

تأريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، تعريب الدكتور نبيه أمين فارس ومنير بعلبكى، ط٢، دار العلم للملايين، بروت،1953.

تاريخ بغداد، أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى أبو بكر - ابن النجار تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامى، سنة الطبع: ١٤٢٢ هـ - م٢٠٠١.

تاريخ دمشق الكبر، أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله الشافعى المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١ه) تحقيق الشخ عبد القادر بدران، دار المسيرة، بروت، ١٩٧٩ .

تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزى، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، سنة النشر: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ .

تهذيب خصائعص الإمام على، أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب المعروف بالنسائى، تحقيق أبى إسحاق الحوينى الأثرى، دار الكتب العلمية، بروت، هـ 1405/ ١٩٨٤م.

تذكرة خواص الأمة فى خصائص الأئمة، الحافظ أبو الفرج سبط ابن الجوزى، قدم له السيد محمد صادق بحر العلوم، مكتبة نينوى، العراق، (د.ت).

تفسير القرآن العظيم، تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى، تحقيق سامى محمد السلامة، ستة النشر: ١٤٢٢ / ٢٠٠٢م .

التقية، نزيه محى الدين، كتاب الكترونى، شبكة الفكر.

التنبيه والإشراف، المسعودى، مؤلف كتاب مروج الذهب، دار التراث، بيروت، ١٣٨٨١٩٦٨م.

(ج)

- جزء فيه من أحاديث الإمام أيوب السختيانى، القاضى أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الأزدى البصرى ثم البغدادى المالكى الجهضمى (المتوفى: ٢٨٢هـ) المحقق: د سليمان بن عبد العزيز العرينى، مكتبة الرشد وشركة الرياض - السعودية، ١٤١٨هـ.

الجمل والنصرة لسيد العترة فى حرب البصرة، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبرى البغدادى المفيد (٣٣٦-٤١٣) ط٢، تحقيق السيد على مير شريفى، مكتبة الإعلام الإسلامى، إيران، ١٤١٦.

جامع الأصول فى أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيبانى الجزرى ابن الأثير (ت ٦٠٦)، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلوانى، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، كل جزء صدر بتاريخ مختلف، صدر الأول فى ١٩٦٩.

الجفر والفتن وإشراط الساعة لأمير المؤمنين على بن أبى طالب، إعداد عكاشة عبد المنان الطيبى، دار اليوسف،بيروت، (د.ت).

الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبى، أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى

القرطبى،دار الفكر للطباعة والنشر.

جامع البيان عن تأويل آى القرآن، تفسير الطبرى، محمد بن جرير الطبرى، دار المعارف،

تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر.

(ح)

الحضارات فى السياسة العالمية، وجهات نظر جمعية وتعددية، بيترجى كاتزنشتاين،

ترجمة فاضل جتكر،سلسلة عالم المعرفة، رقم ٣٨٥، المجلس الوطنى للثقافة والفنون

والآداب، الكويت.

الحضارة العربية الإسلامية، على حتى الخربوطلى، مكتبة الخانجى، القاهرة، مصر،

١٩٧٥.

الحياة السياسية للإمام الحسن،السيد جعفر مرتضى العاملى،المركز الإسلامى للدراسات،

بروت، ١٤٣٢٢٠١١م.

حاشية السندى على ابن ماجه، شرح سنن ابن ماجة، أبو الحسن الحنفى الشهر

بالسندى، دار الجيل، بيروت.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،الإمام الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن

إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهانى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت).

حليم آل البيت الحسن بن على، الشيخ موسى محمد على، ط٢،عالم الكتب، بروت،

١٤٠٥ ١٩٨٤م.

حروب الشياطين، البابا شنودة الثالث، مكتبة الكتب المسيحية، كتاب الكرونى.

(خ)

- الخلافة الإسلامية، محمد سعيد العشماوى، ط٢، دار سينا، القاهرة، ١٩٩٢ .

الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية، الدكتور محمد عمارة، ط٣، المؤسسة العربية

للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤ .

الخراج، محمد بن عبد الله الأزرى البصرى.

(د)

-دور الآئمة فى الحياة السياسية، الشيخ محمد اليعقوبى، مؤسسة البديل للدراسات

والنشر، دار المتقين للثقافة والعلوم، بروت، ١٤٣٠ ٢٠٠٩م.

دور العصبية القبلية وآثارها على المجتمع العربى، الدكتورة آمال آل كاشف الغطاء،

مكتبة الصدر، قم، إيران، (د.ت).

دراسات فى تاريخ العربى قبل الإسلام والعهود الإسلامية المبكرة، د. خالد العسلى،

إعداد د. عبد السلام رؤوف،دار الشؤون الثقافية العامة،وزارة الثقافة، بغداد، ٢٠٠٢ .

دلائل الإمامة، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبرى العامى، (ت ٣١٠ هـ، تحقيق

قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٣.

دائرة المعارف الإسلامية، مجموعة مستشرقين، ج/ ٤٠١ ٤٠٢. تم إصدارها على

طبعتين، الآولى بين ١٩١٣ و ١٩٣٨، والثانية ما بين ١٩٥٤ و ٢٠٠٥، ويتم إصدارها

من قبل شركة بريل الهولندية. وقد ظهرت هذه الموسوعة بأكثر من لغة، أما بالنسبة

للعربية فقد تم تعريب بعض أجزائها وتنقيحها وصدرت فى مصر فى الستينات وأعيد

طبعها بالشارقة عام ١٩٩٨.

(ذ)

-ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى، محب الدين أحمد بن عبد الله الطبرى، دار المعرفة

للطباعة والنشر، بروت، ١٩٧٤ .

الذرية الطاهرة النبوية، لأبى بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابى، تحقيق سعد المبارک

الحسن، الدار السلفية- الكويت، ط١، ١٤٠٧ — ١٩٨٦م.

(ر)

- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان البستى أبو حاتم، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية — بيروت، ١٣٩٧ - ١٩٧٧.

رجال حول الرسول، خالد محمد خالد،دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥ .

الرياض النضرة فى مناقب العترة الطاهرة،أبوجعفر أحمد المحب الطبرى، صححه محمد بدر الدين النعسانى الحلبى، محمد أمين الخانجى، مصر (د.ت).

الرحيق المختوم، صفى الرحمن المباركفورى، دار إحياء التراث، بيروت، (د.ت).

(س)

السيرة النبوية، تدوين مختصر مع تحقيقات وإثارات جديدة، سامى البدرى، ط٣ تحقيق السيد حسين البدرى والشيخ إحسان المظفر، دار طور سينين، دار الفقه، ٢٠٠٥.

السيرة النبوية، عبد الملك المعافرى ابن هشام، تحقيق الشيخ محمد على القطب والشيخ محمد الدالى بلطة، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٢.

ألسياسة وألأخلاق؛ من يحكم من؟، عزيز الخزرجى، كتاب الكترونى، موسوعة نينوى.

سنن الترمذى، محمد بن عيسى بن سورة الترمذى، دار الكتب العلمية، بيروت.

سنن النسائى بشرح جلال الدين السيوطى وحاشية السندى، أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن بجر النسائى، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧ ١٩٨٧م.

*— وطبعة مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤١٤ ١٩٩٤م .

سنن أبى داود، سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى، المكتبة العصرية.

سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزوينى، المكتبة العلمية، بيروت.

سنن الدارمى، عبد الله بن عبد الرحمن الدرامى السمرقندى، دار الكتاب العربى، سنة

النشر: ١٤٠٧ /١٩٨٧م.

السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى (٤٥٨) وفى ذيله الجوهر النقى، دار المعرفة، بيروت .

سيرة أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن على، الدكتور على محمد الصلابى،ط ٨، دار المعرفة، بروت، ١٤٣٠ ٢٠٠٩م.

(ش)

- الشيعة فى التاريخ، محمد حسين الزبن، ط٢، مطبوعات مكتبة النجاح، طهران، (د.ت).

شرح نهج البلاغة، عز الدين أبى حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائنى الشهير بابن أبى الحديد المعتزلى،دار المعرفة، دار الكاتب العربى، دار إحياء التراث، بروت، لبنان، (د.ت).

شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، عبد الحى بن أحمد بن محمد ابن العماد العكرى الحنبلى، أبو الفلاح (ت١٠٨٩) تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ١٤٠٦ - ١٩٨٦م.

شرح النووى على مسلم، يحيى بن شرف أبو زكريا النووى (٦٣١- ٦٧٦)، تحقيق على عبد الحميد أبو الخير، دار الخير، توزيع دار السلام، القاهرة، سنة النشر: ١٤١٦ / ١٩٩٦م.

(ص)

صلح الحسن غدير عز ولغز جهاد، الشيخ احمد محمد إسماعيل، دار الهادى، بيروت، ١٤٢٤_٢٠٠٣م.

صلح الحسن، الشيخ راضى آل ياسين، شركة الأعلمين بيروت، ١٤٣١ ٢٠١٠م.

صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيرى النيشابورى، دار إحياء الكتب العربية، سنة النشر: بلا.

صحيح وضعيف موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، على بن أبى بكر الهيثمى نور الدين، تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى، دار الصميعى، سنة النشر: ١٤٢٢ - ٢٠٠٢.

صحيح البخارى، أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى ١٩٤ـ ٢٥٦) دار إحياء التراث العربى، بروت، ١٤٢٢ـ٢٠٠١م، جزء واحد.

* ـــ وطبعة دار الفكر، بروت بغداد، ١٩٨٦ ، أربعة أجزاء.

(ط)

-الطبقات الكبير (الطبقات الكبرى)، محمد بن سعد بن منيع الزهرى (ت ٢٣٠)، تحقيق على محمد عمر، مكتبة الخانجى، القاهرة، مصر، سنة النشر: ١٤٢١ ـــ ٢٠٠١.

طبقات ابن سعد، القسم المفقود، تحقيق الدكتور محمد بن صامل.

(ع)

-علل الشرائع، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١)، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، ١٣٨٥ ـــ ١٩٦٦م.

العرب قبل الإسلام، أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حياتهم، الدكتور محمود عرفة محمود، عين للدراسات والبحوث،القاهرة، مصر، ١٩٩٥ .

فجر الإسلام، احمد أمين، ط٣، مطبعة لجنة التأليف والدرجة والنشر، القاهرة، مصر، ١٣٥٤ هـ_١٩٣م.

العقل العربى، رفائيل باتاى، ترجمة وليد خالد أحمد حسن، مكتبة مصر، القاهرة، دار المرتضى، بغداد، ٢٠٠٩.

العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب

العلمية، ١٤٠٤ -١٩٨٣م.

العواصم من القواصم، القاضى أبو بكر بن العربى، تحقيق محب الدين الخطيب، ط٢، الدار السعودية للنشر، ١٣٨٧ هـ.

العقيدة والشريعة فى الإسلام، أجناس جولد تسيهر، نقله إلى العربية محمد يوسف عيسى وعبد العزيز عبد الحق وعلى حسن عبد القادر، دار الرائد العربى، بروت، ١٩٤٦ ٠

عون المعبود شرح سنن أبى داود، محمد شمس الحق العظيم آبادى، مع تعليقات شمس الدين بن قيم الجوزية، إشراف ضياء محمد جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر، سنة النشر: ١٤١٥ / ١٩٩٥م .

(غ)

الغارات، أبو إسحاق بن محمد بن سعيد بن هلال المعروف بابن هلال الثقفى، تحقيق السيد عبد الزهراء الحسينى الخطيب، دار الأضواء، بروت، ١٤٠٧ ١٩٨٧ م.

(ف)

- فضائل الخمسة من الصحاح الستة، السيد مرتضى الحسينى الفيروز آبادى، ط٤، مؤسسة الأعلمى، بروت، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م.

الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى، الدكتور محمد البهى، ط ٤ ، مكتبة وهبة، القاهرة. طبع لأول مرة عام ١٩٥٧ م.

فى الاجتماع الإسلامى السياسى، الدكتور حسن الضيقة، دار الإيمان، بروت، ١٩٩٣ ١٤١٤م.

فتوح البلدان، احمد بن يحيى بن جابر البغدادى البلاذرى (ت ٢٧٩) تحقيق محمد رضوان، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر، (د.ت).

الفتن، نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعى المروزى (ت ٢٢٩) تحقيق أبوعبد

الله أيمن محمد محمد عرفة، انتشارات المكتبة الحيدرية،قم، ١٤٢٤ .

فتح البارى بشرح صحيح البخارى، أحمد بن على بن حجر العسقلانى (٧٧٣_ ٨٥٢)

تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ومحب الدين الخطيب،دار الريان للتراث، سنة النشر:

١٤٠٧ه_/ ١٩٨٦م.

فضائل الصحابة ومناقبهم وقول بعضهم فى بعض صلوات الله عليهم، أبو الحسن على

بن عمر بن أحمد بن مهدى بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادى الدارقطنى (ت

٣٨٥ 995م) اعتنى به محمد بن خليفة الرباح، مكتبة الغرباء الأثرية، المملكة العربية

السعودية، ١٤١٩ – ١٩٩٨م.

فجر الإسلام، احمد أمين، ط٣، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر،

١٣٥٤ 1935م.

(ق)

_ كشف الغمة فى معرفة الأئمة، أبى الحسن على بن عيسى بن أبى الفتح الأربلى، ط٢، دار

الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1985 .

الكامل فى التاريخ، عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم

بن عبد الواحد الشيبانى ابن الأثير (555_٦٣٠) تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، دار

المعرفة، بيروت، ١٤٢٨ ٢٠٠٧م.

الكتابة فى درجة الصفر، رولان بارت،ترجمه عن الفرنسية الدكتور محمد نديم

خشفة،مركز الإنماء الحضارى، ٢٠٠٢.

كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين المتقى بن حسام الدين الهندى

البرهان فورى، تحقيق صفوت السقا وبكرى الحيانى، مؤسسة الرسالة، (د.ت).

(ل)

اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة، عبد الرحمن السيوطى جلال الدين، ط٢،

دار المعرفة، سنة النشر: ١٣٩٥ - ١٩٧٥.

(م)

- الميزان فى تفسير القران، السيد محمد حسين الطباطبائى، صححه واشرف على طباعته

الشيخ حسين الاعلمى، منشورات مؤسسة الاعلمى للمطبوعات، بروت، ١٩٩٧ .

مطاليب السؤول فى مناقب آل الرسول، كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن

القرشى العدوى النصيبى الشافعى (ت ٦٥٢) مؤسسة البلاغ،بروت، ١٤١٩

١٩٩٩م.

مقاتل الطالبيين، أبى الفرج الأصفهانى (٢٨٤_ 356 ه_) تحقيق أحمد صقر، مؤسسة

العطار الثقافية، قم، إيران، ١٤٢٨ .

مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبى الحسنبن الحسين بن على المسعودى (٣٤٦

957م) تحقيق أمر مهنا، مؤسسة الأعلمى، بروت، ١٤٢١ ...٢م.

المقدمة، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمى (ت ٨٠٨)ن دار الكتاب اللبنانى،

بروت، ١٩٦١ .

معالم التنزيل، تفسير البغوى، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى،تحقيق محمد عبد الله

النمر وآخرون، دار طيبة،.

المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد على، كتاب الكترونى، الرابط، .

. http://sonofalgeria.blogspot.com/2010/03/10.html

المستدرک على الصحيحين، عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى، تحقيق

مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بروت، ٢٠٠٢.

مسند الإمام أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، دار إحياء التراث العربى،

سنة النشر: ١٤١٤ / ١٩٩٣م.

موطأ مالک، ملحق به کتاب إسعاف المبطأ برجال الموطأ، مالک بن أنس بن مالک، تحقیق سعید محمد اللحام، دار إحیاء العلوم العربیة، بروت، سنة النشر: ١٤١٤ ه_/ ١٩٩٤م.

من دولة عمر إلى دولة عبد الملک، الدکتور إبراهیم بیضون، شهاب الدین للطباعة والنشر، قم، ٢٠٠٦.

المنهجیة التأریخیة فی العراق، الدکتور عبد الرحمن العزاوی، دار الشؤون الثقافیة العامة، بغداد، ١٩٨٨ .

مجموع رسائل الجاحظ، تحقیق الدکتور محمد طه الحاجری، دار النهصة العربیة، بروت، ١٩٨٣.

مرقاة المفاتیح شرح مشکاة المصابیح، علی بن سلطان محمد القاری، دار الفکر، سنة النشر: ١٤٢٢ ٢٠٠٢م.

المناقب، أبو المؤید الموفق بن احمد بن محمد البکری المکی الحنفی الخوارزمی (٤٨٤_٥٦٨) تقدیم محمد رضا الموسوی الخرمان، محمد کاظم الکتبی، منشورات المطبعة الحیدریة، النجف، العراق، ١٣٨٥ ه_ ١٩٦٥م.

المعجم الکبیر، أبو القاسم سلیمان بن أحمد الطبرانی (٢٦٠_٣٦٠)، تحقیق حمدی عبد المجید السلفی.

المعجم الأوسط، أبو القاسم سلیمان بن أحمد الطبرانی، تحقیق الدکتور محمود الطحان، مکتبة المعارف، الریاض، سنة النشر: ١٤٠٥ ه_ ١٩٨٥ م.

المعجم الصفر، أبو القاسم سلیمان بن أحمد بن أیوب اللخمی الطبرانی، تحقیق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفکر للطباعة والنشر، ١٤١٨ / ١٩٩٧م.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدین علی بن أبی بکر الهیثمی، تحقیق حسام الدین

القدسى، مكتبة القدسى، سنة النشر: ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م.

مسند أبى يعلى الموصر، أبو يعلى أحمد بن على بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمى، الموصلى (المتوفى: ٣٠٧هـ) تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق.

المغازى، محمد بن عمر بن واقد الواقدى (ت ٢٠٧هـ) تحقيق الدكتور مارسدن جونس، ط٣، مؤسسة الأعلمى، بروت، ١٤٠٩ ١٩٨٩م.

منتخب كنز العمال بهامش مند احمد بن حنبل.

مقدمة فى تأريخ صدر الإسلام، الدكتورعبد العزيز الدورى، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٨٤.

المناقب والمثالب، القاضى ابى حنيفة النعمان بن محمد التميمى المغربى (ت ٣٦٣) تحقيق ماجد بن احمد العطية،مؤسسة الأعلمى، بروت،١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢م.

المنهجية التاريخية فى العراق، د. عبد الرحمن العزاوى.

المذهبية الإسلامية والتغيير الحضارى، الطبعة ٤، مطابع وزارة الربية العراقية، تقديم الدكتور عمر عبيد حسنة.

معجزات الأنبياء كرامات الأولياء، على فرج العبد الله، تدقيق عبد الله سندة، (د.ت).

مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهانى (ت 425 هـ)تحقيق صفوان عدنان داوودى، ذوى القربى، قم، ١٤٣١ .

منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة القدرية، أبو العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤٠٦ / ١٩٨٦م.

المذهب السياسى فى الإسلام، صدر الدين القبانجى، ط٢، دار الأضواء، بروت،

١٤٠5 ه_ 1985م.

مناقب أل أبى طالب، محمد بن على بن شهر اشوب السروى المازندرانى، طبعه الراشد بن على المحلانى الحايرى سنه ١٣١٣ ه_.

المصنف، عبد الله بن محمد بن أبى شيبة، دار الفكر، سنة النشر: ١٤١٤ ه_/ ١٩٩٤م.

منهاج الصالحين المعاملات، فتاوى سماحة آية الله العظمى السيد محمود الهاشمى، الناشر دفتر آية الله محمود الهاشمى، ١٤٣٢ /٢٠١١م.

الملل والنحل، الشهرستانى، تخريج محمد بن فتح الله بدران، ط٢، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة،(د.ت).

مكاتيب الرسول،على بن حسينعلى الأحمدى، دار المهاجر، بروت،(د.ت).

من دولة عمر إلى دولة عبد الملك، الدكتور إبراهيم بيضون،الناشر شهاب الدين، قم، ١٤٢٧ ٢٠٠٦م.

معاوية، عبد الباقى قرنه الجزائرى، مطبعة مينوى، ١٤٢٦ ه_ .

(ن)

نظام الإسلام السياسى، باقر شريف القرشى، دار المعارف، بيروت، ١٣٩٨ ١٩٧٨م.

النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها، الدكتور صبحى الصالح، ط١٣، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠١.

نشأة علم التاريخ عند العرب، الدكتور عبد العزيز الدورى، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، بروت، ٢٠٠٧.

النصائح الكافية لمن يتولى معاوية، محمد بن عقيل.

النهاية فى الفتن والملاحم، ابن كثير، كتاب الكترونى، مكتبة المصطفى الالكترونية.

نهاية الأرب فى فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشى

التيمى البكرى، شهاب الدين النويرى(المتوفى: 733 هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢4

(و)

وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقرى (ت ٢١٢)، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، ١٤١٠ ١٩٩٠م.

الوجيز فى عقيدة السلف الصالح، الشيخ عبد الله بن عبد الحميد الأثرى، راجعه نخبة من العلماء،ط٢، الغرباء، اسطانبول، ١٤٢٢.

الدراسات والمقالات

- مقال بعنوان: إشكالية فى الدين واللطة،الدين والتعصب والإسلام السياسى) نشر فى موقع النور يوم٢٠١٢/٩/١٩ .

مقال بعنوان (لكى لا يخدعنا بعضهم: هل كان تأريخنا ماضيا سعيدا؟) للكاتب المصرى سيد القمنى نشر فى صحيفة المثقف (العدد: ١٤٠٩ الخميس ٢٠/ 5/٢٠١٠).

نشرة المنتدى — منتدى الفكر العربى برئاسة الأمير الحسن بن طلال ولى العهد، العدد ٧٠ المجلد ٦ تموز ١٩٩١ .

مقال بعنوان (المسكوت عنه فى سيرة عمر بن الخطاب فى الفكر السنى)،احمد صبحى منصور،نشر فى موقع عرب تايمز .

بحث بعنوان (أحكام العقيقة فى الفقه الإسلامى) للدكتورة مريم إبراهيم هندى، مجلة كلية دار العلوم — جامعة القاهرة، العدد (٢٨) سنة ٢٠٠١م .

مواقع الكترونية

- موقع الشيخ الكورانى.

موقع موسوعة الإمام الحسن.

موقع موسوعة الأسئلة العقائدية، مركز الأبحاث العقائدية.

موقع النور، مقال بعنوان: إشكالية فى الدين والسلطة،الدين والتعصب والإسلام

السياسى) الدكتور قاسم حسين صالح، نشر نشر فى موقع النور يوم ٢٠١٢/٩/١٩.

موقع إيلاف.

موقع أهل الحديث.

موقع صحيفة المثقف.

موقع عرب تايمز.

الموقع الرسمى للشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن باز.

موقع اليو تيوب.

موقع ملتقى السنة.

موقع مركز الفتوى السعودى.

موقع فيصل نور.

موقع العربية نت.

.

ص :388

الجزء الثانى الامام المفترى عليه

مقدمة

ص :389

يطول تعداد الافتراءات التى ارتكبها السياسيون وأولادهم وأحفادهم بحق

الإمام الحسن عليه السلام، وسنكتفى بالحديث عن بعض منها لكى نعرف أهمية وقوة الجهات

التى كانت تدير الصراع مع الامام الحسن عليه السلام، وكيف أنها شوهت غالب مفردات

سيرته، وضعفت ما لم تقدر على تشويهه بواسطة بعض رجال الحديث، وبعض العاملين

فى ميدان الجرح والتعديل، وبعض المؤرخين المأجورين، وكيف أن الإمام الحسن عليه السلام بما

معروف عنه من علم وحلم وكياسة ومعصومية وفراسة وشجاعة استطاع تجاوز ما لم

ننجح نحن فى تجاوزه يوم ثبت بوجه الهجمة، فانتصر، ولكن الكثر منا لم يلحظوا عظمة

هذا الانتصار وأثره فى العقيدة، فنسوه أو تناسوه، أو قللوا من أهميته.!

وسعياً وراء الاختصار سوف أتناول فى بداية هذا الجزء لمحات من مواطن التحريف

المعادى، لتكون شاهداً على ما وقع فى باقى المواطن، وستكون قصص زواج الإمام

الحسن عليه السلام المكذوبة بداية حديثنا عن هذه الافتراءات، لندخل بعد ذلک إلى رحاب دنيا

الإمام الحسن عليه السلام؛ ونعرف كيف كان يفكر ويتصرف ويتخذ القرارات وكيف أن حراكه

هذا بإرادته لا بدهائهم كان مكشوفاً للاخرين، بما فيهم أعداؤه الذين استغلوا هذه

الشفافية لينفذوا من خلالها ويضعوا كماً كبيراً جدا من الروايات والأحاديث والقصص

السمجة التى حاولوا من خلالها تشويه صورة وسيرة هذا القائد الفريد، فشوهوا

الإسلام وأساءوا إلى فكره وفقهه و مسيرته قبل أن يسيئوا إلى أحد أبرز قادته.

ص: 391

الفصل الأول قصص زوجاته التسعمانه!

اشارة

ص :393

قصص زوجاته التسعمائة!

تأتى أهمية الزواج من حيث كونه ((واحداً من شؤون الحياة وهو كغيره من الأمور

يوضح الفرق بين المؤمن وغير المؤمن))(1) ولذا تجد المهتمين بالسنة النبوية من رجال

المدرستين الفقهيتين، والتابعين لسنة الأئمة المعصومين عليهم السلام التى رووها عن جدهم

من رجال مدرستنا يولون الزواج أهمية كبيرة، ويفردون له فى كتبهم أبوابا فيما يطلقون

عليه اسم (كتاب النكاح)، منها: باب حب النساء، باب غلبة النساء، باب أصناف

الذساء،باب خير النساء، باب شرار النساء، باب فضل نساء قريش، باب من وفق له

الزوجة الصالحة، باب فى الحض على النكاح، باب كراهة العزبة، باب إن التزويج يزيد

فى الرزق، باب من سعى فى التزويج، باب اختيار الزوجة، باب فضل من تزوج ذات

دين وكراهة من تزوج للمال،باب فضل الأبكار، وعشرات الأبواب الاخر وصولاً إلى

أبواب خطب النكاح والمهر والصداق.

ولقد استغل السياسيون موضوع الزواج فجهدوا جهدهم وكادوا كيدهم للإساءة

إلى الإمام الحسن عليه السلام. بما أضعوه عليه من صفات تبدو مخالفة لروح الشريعة، وهدفهم

من وراء ذلك تلويث صورته النقية وإظهاره بمظهر المزواج المطلاق المذواق النزق

الذى تفتنه النساء وتلهيه عن مطالب الإمامة وشؤون الأمة (حاشاه) ؛ كل ذلك لكى

يقولوا أنه لم يكن أهلاً للقيادة والحكم. ولا يخفى على اللبيب أن قصص تعلق الإمام

1- الزواج الإسلامى، نظرة مختصرة على العلاقات الزوجية فى الإسلام، السيد عبد الحسين دستغيب، ترجمة لجنة الهدى، ط٣، دار البلاغة، بروت، ١٤٣١ هـ ٢٠١٠م، ص١١

١الحسن عليه السلام بالنساء وبالشكل الذى يبدوا غريباً كل الغرابة عنه وعن سلوكه السوى وعصمته ونسبه ومكانته العلمية والاجتماعية إنما جيء بها للطعن به وبالإمامة المعصومة وبمنهج أهل البيت وبالإمام على عليه السلام وبالتشيع عامة؛ ولذا ترى أعداء التشيع يعلنون هذا الهدف الخفى بعد حين معتمدين على تلك القصص الخرقاء؛ ويعتبرون كثرة الزواج سنة سيئة قام بها الإمام الحسن عليه السلام(حاشاه).

ومع أن ذلک العصر كان مولعاً شغوفاً بكثرة الزواج والطلاق، وكان السياسيون منهم أشد فتكاً وشذوذاً وكثرة فيه، إلا أن السياسيين على وجه الخصوص وأتباعهم عامة حاولوا التملص من عدوانيتهم الغرائزية وشهواتهم الدونية لا بنكران وقوعها لأنهم لا تقدرون على ذلک، وإنما عن طريق البحث عن قمم مجتمعية باسقة ليشركوهم قولاً بأفعالهم، حتى وإن كانوا فعلاً أبرياء كل البراءة من ذلک. وكان الإمام الحسن عليه السلام من القمم التى اختاروها نظراً لما شجر بينهم وبينه، فاتهموه بكثرة الزواج والطلاق، لدرجة أنهم وصفوه بالمذواق، وفى عقيدتنا أن رسول الله صلى الله عليه و آله لعن المذواقين والمذواقات، أو الذواقين والذواقات.! فإذا ما كان الإمام الحسن عليه السلام؛ من المذواقين فاللعن ينسحب عليه بالتأكيد، أو هكذا أرادوا أن يظهروه.!

ما أريد قولة ابتداءً بخصوص أكذوبة كثرة زوجات الإمام الحسن عليه السلام؛ بضع مقدمات لأدخل من خلالها إلى صلب الموضوع، وهذه المقدمات هى:

• إن الزواج فى الفقه الإسلامى سنة، قال النبى صلى الله عليه و آله: ((النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى. وأهل البيت الكرام هم أول من طبق سنة جدهم بالحرف الواحد لكى يتبعهم الناس.

• إن شريعة الإسلام أقرت الزواج لإتمام الدين، قال النبى عليه السلام: ((من تزوج فقد

أحرز نصف دينه فليتق الله فى النصف الثانى)) وهنا يأتى الزواج بدرجة عالية

فى سلم العقيدة. ومن يستهين به بالشكل الذى نسبوه إلى الإمام الحسن عليه السلام

يبدو وكأنه يتعمد الإساءة للعقيدة.!

• أن الزواج من أعاظم أبنية الإسلام قال النبى صلى الله عليه و آله: ((ما بنى بناء فى الإسلام

أحب إلى الله من التزويج)) ويستحيل أن يعبث أبسط أتباع أهل البيت عليهم السلام بهذا البناء فكيف بالإمام المعصوم؟

• فى تطبيقهم سنة كان أئمة أهل البيت عليهم السلام يختارون أوسط الأمور تبعاً

للقاعدة الفقهية التى استنبطوها: ((إفراط ولا تقريط، وإنما أمر بين أمرين))

وهو المشهور عنهم فى كل حياتهم، بما فيها الزواج.

• إن المؤمن يتزوج ليرضى الله سبحانه، ولذا تراه يبحث عن (ذات الدين) التى

أوصاه النبى صلى الله عليه و آله بها لتترب يده، والفاسق والملحد والكافر يتزوج لإشباع

رغباته وإمتاع لذاته وإسكات شهواته، وهو لا يبحث عن ذات الدين، وإنما

يبحث عن ذات المال والجمال، بغض النظر عن دينها وأخلاقها.

• وضع رسول الله صلى الله عليه و آله الجنة تحت أقدام الأمهات، ولم يضعها تحت أقدام اللواتى

يتزوجوهن لقضاء الوطر والمتعة، ثم يطلقوهن ليتزوجن من جديد ثم لا ينلن

فرصة للإنجاب.

• إن الزواج بأكثر من واحدة كان فاشياً فى ذلك المجتمع على أن لا يزيد عدد

الزوجات الحرائر فى عصمة الرجل فى المرة الواحدة على أربع، مع ملاحظة

أن فى فقه مدرستنا يتوجب على المتزوج بأربع إذا ما طلق واحدة أو أكثر من

زوجاته أن لا يتزوج قبل انقضاء عدتهن.

• إن رسول الله صلى الله عليه و آله وغالب الصحابة جمعوا أكثر من أربع زوجات وتزوجوا

بأضعاف هذا العدد بدءاً من الخلفاء ووصولا إلى عامة الناس، وفى الروايات

أن الإمام على عليه السلام مع ما كان عليه، تزوج بعد موت فاطمة عليها السلام تسع

حرائر،وكان له ثمانية عشر من أمهات الأولاد، وأنه يوم استشهد كان عنده

أربع حرائر هن: أمامة بنت أبى العاص، وليل بنت مسعود التميمية، وأسماء

بنت عميس الخثعمية(1)، وأم البنين فاطمة بنت حزام الكلابية.

• ثبت فى الروايات أن الإمام علياً عليه السلام كان يبحث عن نساء يلدن له رجالاً

يقاتلون فى سبيل نصرة دين الله، لا للمتعة وقضاء الوطر، كما فى حديثه مع

أخيه عقيل الذى كان نسابة عالماً بأخبار وأنساب العرب وقوله له: ((أبغى

امرأة قد ولدتها الفحول من العرب لأتزوجها فتلد لى غلاماً فارساً. فقال له

عقيل: أين أنت عن فاطمة بنت حزام الكلابية فإنه ليس فى العرب أشجع من

آبائها ولا أفرس))(2)

• إن الإمام علياً عليه السلام كان يبحث بنفسه عن زوجات لأولاده الحسنين عليهم السلام،

ولوكانا كلاهما، أو كان احدهما مزواجاً مطلاقاً لما فعل ذلك.!

فعن ماذا كان الإمام الحسن عليه السلام يبحث فى زواجه بأكثر من تسعمائة امرأة لكى

نصدق قولهم؟ وما الحدود التى التقى بها الذى نسبوه من قول وفعل إليه مع هذه

الحقائق؟ وهل يعقل أن يخالف الحسن عليه السلام بعض أو كل هذه الحقائق بغض النظر عن

1- كانت زوجة جعفر بن أبى طالب فبعدما استشهد تزوجها أبو بكر وأولدها محمداً؛ فمات عتها فتزوجها الإمام على عليه السلام

2- أعيان الشيعة، محسن الأمين العاملى، تحقيق وتخريج: سن الأمين، طبعة دار المعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، سنة ١٤٠٦ / ١٩٨٦م، ج٧، ص ٤٢٩

الأسباب؟

إن الحديث عن المشكلة التى خلقوها من العدم فظهرت إلى الوجود وكأنها واحدة

من حقائق التاريخ تشعب ونزل إلى أصغر جزئياتها، فبات لعقاً على لسان كل من هب

ودب، يتحدثون عنه وكأنهم كانوا شهوداً عليه أو شهوداً على عقود الزواج التى ادعوا

أنه أبرمها، ويتحدثون عن أسماء الزوجات، بل يتطرقون إلى ما دار بينهن وبين الإمام

من حديث بعضه لا يمكن أن يطلع عليه ثالث، لأنه جرى فى مخدع النوم، هذا بالرغم

من أنهم خلطوا كثيراً فى حديثهم عن تاريخ ولادته وتاريخ وفاته وأشياء كثيرة أخر

هى بكل تأكيد أكثر أهمية من موضع الزواج، بما يؤكد أنهم لم يكونوا صادقين فى هذا

الحديث. ونحن ممكن أن نرد على التخرصات بالاسلوب نفسه الذى يرد به بعض

المتشنجين على حقائقنا، ولكننا سنرد تهمة كثرة الزوجات من مصادرها النقلية والعقلية

كما تعودنا(1)

قال المؤرخون والكتاب فى عدد المرات التى تزوج بها الإمام أو عدد النساء اللواتى

تزوجهن فى حياته القصيرة التى قضاها إما تلميذاً عند جده وأبيه ينهل عنهما ومنهما

العلم، وإما مجاهدا فى سبيل الله مع أبيه فى حروبه ضد الناكثين والباغين والمارقين، وإما

حاجاً سراً على الأقدام حتى بلغ عدد مرات ذهابه سيرا إلى مكة أكثر من عشرين مرة(2)

وإما معتكفا فى داره لا يقوم من دسيسة سم حتى يقع فى أختها، قالوا الكثير وغير

1- ولقد كفانا الشيخ الدكتور نجاح الطائى فى كتابه ((الشائعات المشهورة ضد الإمام الحسن)) الصادر عن دار الهدى لإحياء التراث فى بروت عام ٢٠١٠ جرح تلك الروايات، لأنه قام بمتابعتها وأخضعها للجرح بالرجوع إلى مصادر المدرسة التى وضعتها فأسقطها جميعا، فجزاه الله خير جزاء المحسنين

2- عن عبد الله بن عبيد بن عمر قال: ((لقد حج الحسن بن على خمسا وعشرين حجة ماشياً، وإن النجائب لتقاد معه))، مستدرک، الحاكم، حديث ٨٩ثم٣٨٧/٤١،ص ١٨٥ ،ج٣

المعقول بل والمستحيل، والظاهر أنهم لحظوا أن عمره الشريف ومهامه وطرائق تعبده

وانشغاله الدائم لا يتناسب مع عدد الزوجات الذى جاؤوا به، إذ لا يمكن التوفيق بين

ما تحتاجه مهامه وعبادته مع ما يحتاجه الزواج الكثير، فجاؤوا بأقوال غريبة عسى أن

يقتنع بها السذج والبسطاء، ومنها على سبيل المثال إدعاؤهم بأنه فى ذات الوقت الذى

كان يمارس فيه العلاقة مع زوجاته، كان يقرأ ويتعبد أيضاً، كما فى قولهم: ((وكان يقرأ كل

ليلة سورة الكهف قبل أن ينام، يقرؤها من لوح يدور معه حيث كان فى بيوت نسائه،

فيقرؤه بعد ما يدخل فى الفراش قبل أن ينام))(1)ولذا ما خافوا من تعارض قصص كثرة

الزواج مع قصص كثرة العبادة، فوفق هذا الأسلوب: لا ضير بأن كثير العبادة كثير

الزواج يتكرر زواجه بالأيام والساعات وليس بالأشهر والسنين، وعليه ما الضير فى أن

يقول المقدمى فى البدء والتاريخ إنه عليه السلام: ((كان أرخى ستره على مائتى حرة))(2)، ويقول

الذهبى فى سير أعلام النبلاء: ((وكان منكاحاً مطلاقاً تزوج نحواً من سبعين امرأة، وقلما

كان يفارقه أربع ضرائر))(3)، ويقول ابن عساكر إنه عليه السلام: ((تزوج سبعين امرأة، وفى رواية

أنه أحصن تسعين امرأة))(4) وهى صور ملتقطة لما كان يحدث فى قصور السياسيين

الباذخة عكسوها لتبدو فاشية عند غيرهم من الأتقياء كما هى عند المتهتكين،وتجد

الشبه بينها وبين ما أورده النويرى عن الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك الذى

1- البداية والنهاية،إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى، دار عالم الكتب، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م،ج ٨، ص: ١٩٦ تجد فى هذه الرواية ايحاء بأن الإمام الحسن ما كان يحفظ القرآن وأنه كان يلجأ إلى الألواح ليقرأه مكتوباً، وهذا افتراء كبير على الإمام الحسن عليه السلام غير مقبول بالمرة.

2- البدء والتاريخ، المقدسى:ج 5، ص٤

3- سير أعلام النبلاء، الذهبى، ترجمة الحسن بن على بن أبى طالب،ج١٣

4- تاريخ دمشق ينظر: ابن عساكر:ج١٣ /ص٢٤٩، نهج البلاغة، ابن أبى الحديد، شرح،م٤ ، ج ١٦، ص ٨

إذا ما قارنت نصه مع نص الذهبى ستجد تقارباً لا يمكن أن يكون قد وقع مصادفة

أو تناصاً، وأن الذهبى انتقى بعض صفات السياسيين وألصقها بالإمام الحسن عليه السلام

متعمدا؛ بما يعنى أن اتهامهم للإمام الحسن عليه السلام كان تحريفا لما وقع لخلفائهم من أخبار؛

ففى حديثه عن سنة ٩٩ هجرية ذكر النويرى وفاة سليمان بن عبد الملك وروى شيئاً من

أخباره فقال:كانت وفاته يوم الجمعة لعشر مضين من صفر من السنة بدابق من أرض

قنسرين بذات الجنب، وله خمس وأربعون سنة... وكان أكولا، نكاحاً))(1) وهذا يعنى

أن الذهبى وغيره أرادوا القول بأن الإمام الحسن عليه السلام؛ كان كذلک (نكاحاً) كرجالهم.

ولذا لا أستغرب قول ابن كثير: وكان كثير التزوج، وكان لا يفارقه أربع حرائر، وكان

مطلاقاً مصداقاً. يقال: إنه أحصن بسبعين امرأة. وذكروا أنه طلق امرأتين فى يوم واحدة

من بنى أسد وأخرى فزارية، وبعث إلى كل واحدة منهما بعشرة آلاف، وبزقاق من

عسل، وقال للغلام: اسح ما تقول كل واحدة منهما. فأما الفزارية فقالت: جزاه الله

خيرا، ودعت له. وأما الأسدية فقالت: متاع قليل من حبيب مفارق. فرجع الغلام إليه

بذلک، فارتجع الأسدية وترک الفزارية)) ولا أدرى لماذا أرسل غلاماً واحدا ليسمع من

الطليقتين كلتيهما، فهما لم تكونا فى مكان واحد ومن المستحيل أن يأتى قولاهما فى ذات

اللحظة وكأنهما كن بانتظاره.! فضلا عن ذلک تبدو هذه الصورة لمن يحكم عقله مقتبسة

1- نهاية الأرب فى فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشى التيمى البكرى، ئهاب الدين النويرى (المتوفى: ٧٣٣)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣ ، ج٢١،ص٣٥٣،

من صور قصور الرذيلة التى كانت تدار من قبل الجوارى والقيان والغلمان، من عالم

الإماء الذى اشتهرت به قصورهم وباحات ملذاتهم، لا من بيوت الطهر والعفة، بيوت

أهل بيت رسول الله صلى الله عليه و آله.

الغريب أن هذه القصة الأكذوبة تكررت بصيغ أخر يتبين من خلال إحداها أن

الطليقات كن زوجاته بالزواج المنقطع (المتعة) لا الدائم، كما فى قول آخر لابن كثير

الذى أراد كعادته أن يتلافى التناقض الذى وقع به من سبقه من المؤرخين، فقال: ((وقال

عبد الرزاق، عن الثورى عن عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه، عن الحسن بن سعد،

عن أبيه قال: متع الحسن بن على امرأتين بعشرين ألفاً وزقاق من عسل، فقالت إحداهما

وأراها الحنفية: متاع قليل من حبيب مفارق))(1)، وفى هذه الرواية لا نجد أسدية ولا

فزارية، بل نجد واحدة حنفية والأخرى مجهولة!

وأكثر ما يدفع إلى الشك والريبة فى تلك الأقوال عن الكثرة أن أهل الحديث

والمؤرخين من أتباع الفصيل السياسى هم من رواها وإليهم تنتهى، وهم من أوردها

وأنفرد بذكرها كما فعل المدائنى! فالمدائنى هو بطل روايات الزواج، جاء بها من غير أن

يسندها إلى من سبقه، وعنه اخذ المؤرخون بما فيهم ابن أبى الحديد المعتزلى الذى ضمن

شرح النهج الكثير من أقواله. فمن هو المدائنى، وما درجة وثاقته؟

المدائنى

المدائنى (١٣٥- ٢٢٥ /٧٥٢ ٨٤٠م) هو: على بن محمد بن عبد الله بن أبى سيف

أبى الحسن، مولى عبد الرحمن بن سمرة القرشى، وهو بصرى سكن المدائن، طيسفون

من مؤرخى القرن الثانى وكانت ولادته فى أوائل العصر العباسى، عاش نحو تسعين

1- البداية والنهاية،إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى، ص ١٩٨

عاماً، هاجر من المدائن إلى بغداد، ومات فيها. كان أحد المتكلمين؛ وتتلمذ فى بغداد على يد أبى محمد، إسحاق بن إبراهيم الموصلى، الذى كان أحد علماء عصره باللغة والموسيقى والغناء، وله فى ذلک تصانيف كثيرة، فكان إذا زاره صاحبه المدائنى أكرمه وتحفى به وأحسن تقديره، حتى أن المدائنى لما وافته المنية كان فى بيت صاحبه الموصلى(1).

وجاء فى المكتبة الشاملة: ((أخبرنا عمر بن محمد بن سيف إجازة، وحدثنا أحمد بن عبد الله الدورى الوراق عنه، قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدى، قال: حدثنى أحمد بن زهير بن حرب، قال: كان أبى، ويحيى بن معين، ومصعب الزبيرى يجلسون بالعشيات على باب مصعب، قال: فمر عشية من العشيات رجل على حمار فاره، وبزة حسنة، فسلم، وخص بمسائله يحيى بن معين، فقال له يحيى: إلى أين يا أبا الحسن؟ فقال: إلى هذا الكريم الذى يملأ كمى من أعلاه إلى أسفله دنانير ودراهم، فقال: ومن هو يا أبا الحسن؟ فقال: أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلى، قال: فلما ولى، قال: يحيى بن معين: ثقة، ثقة، ثقة. قال: فسألت أبى، فقلت: من هذا الرجل؟ قال: المدائنى))(2)

ويكفى دليلاً على واقع حال المدائنى؛ وصفهم له بتلقى الأموال الطائلة من مكاسب الغناء والطرب التى جمعها الموصل، وهى من أموال السحت الحرام، بما يمكنه من ركوب الحمير الفارهة ولبس الملابس الحسنة. بل يكفى قوله لهم: إنه ذاهب إلى من

1- على بن محمد المدائنى (ت٢٢٨) ودوره فى كتابة التاريخ، رسالة من متطلبات درجة الماجستير تقدم بها الطالب عماد عزام جوابرة إلى قسم التاريخ بكلية الدراسات العليا فى جامعة النجاح الوطنية فى نابلس، فلسطن عام ١٤٢١ هجرية ٢٠٠١ ميلادية

2- موقع المكتبة الشاملة، الرابط: http://shamela.ws/indox.php/author/1893

يملأ كميه بالفضة والذهب دليلا على حبه لنمال دون الاهتمام بمصدره.

يقول (أيلرلنغ ليدوک بيترسن) عن أصل ومذهب المدائنى: ((إن المدائنى كان مولى

لبطن من بطون عبد شمس بن عبد مناف التى تنتمى وترجع إلى مدينة البصرة، وهى

عبارة عن تفرع من الأمويين))(1) ويقول عن منهجه فى الكتابة: ((ويمثل المدائنى مرحلة

متقدمة فى صياغة وتشكيل الرواية التاريخية وإنه قد اختار مادة كتابه من الكثير من

المصادر التى يصعب الحصول على أى مسح مصدرى لمادته بصورة مباشرة وواضحة))(2)

ويتحدث عن مصدر معلوماته، فيقول:((إن افتقار ونقص التجانس فى مصادره يظهر

من الحقيقة إنه اعتمد جنباً إلى جنب على مثل هؤلاء العلماء البصريين أمثال العثمانى يزيد

بن عياض بن جعدبة (المتوفى سنة ٧٧٥-٧٧٦) وأبى بكر الهذيلى الذى بالكاد يكون

ثقة، وجويرية بن أسماء (المتوفى ٧٨٩-٧٩٠)، وسحيم بن حفص بن اليقظان (المتوفى

٨٠٥-٨٠٦م)، وبطريقة مماثلة اعتمد الموالى للأمويين مسلمة بن محارب (المتوفى تقريباً

765-785م)، والموالى للأمويين أيضا عبد الله بن مبارک (المتوفى ٧٩٧م))(3)

عن حفيد السياميين المدائنى أخذ ابن عساكر والمقدسى وابن سعد والسيوطى

وآخرون غيرهم قصص كثرة الزوجات بالرغم من معرفتهم بحقيقة عدد زوجات

الإمام عليه السلام، ومعرفتهم بأن عددهن أقل كثيراً حتى من عامة الناس، لا ملوكهم وأمرائهم

وتجارهم وأغنيائهم! والأغرب أن بعضهم أخذ بتلک الروايات ولم ينتبه إلى الدس

والتشويه الموجود فيها! فتنوعت أقوال المؤرخين فى عدد زوجاته، ولكنهم يشكل عام

1- على ومعاوية، فى الرواية العربية المبكرة، أيلرلنغ ليدوک بيترسن، ترجمة عبد الجبار الناجى، مكتبة دار المجتبى، النجف، العراق، ٢٠٠٩، ص ١٧٦

2- المصدر نفسه، ص ١٧٧

3- المصدر نفسه، ص١٧٧- ١٧٨

ساروا على وقع الطبل السياسيين.

ص :405

واللافت للنظر أن السياسيين لم يأتوا بقصص حب النساء وينسبوها إلى الإمام

الحسن عليه السلام بالشكل الذى أوردته الروايات جزافاً، وإنما كان عملهم مقصوداً أريد من

خلاله القول: إن الامام الحسن عليه السلام باع الخلافة وباع الأمة المسلمة وتاجر بآلام المسلمين

بسبب حبه للمال وجشعه وطمعه (حاشاه) وهوبالتالى لم يكن أهلا لقيادة الآمة المسلمة،

وأن معاوية كان أجدر منه بهذه المهمة الصعبة التى تحتاج أول ما تحتاج إلى التضحية

الكبيرة.! ويأتى حراكهم هذا مكملاً لكل حركاتهم السياسية الأخرى التى أرادوا من

خلالها تشويه صورته، بالإدعاء بأنه لم يكن محترماً عند نسائه، وانه كان يستميل قلوب

النساء بالمال العظيم الذى يبذله لهن؛ لا بشخصه وأخلاقه؛ بمعنى أن نساءه لم يحببنه

لأنه الحسن؛ بل لأنه كان كريما معهن جيود عليهن بمال المسلمين فهو (حاشاه) بنظرهم

(مبذار متلاف) يتفق على ملذاته وملاهيه من خزائن بيت المال العام الذى كان على بن

أبى طالب عليه السلام أنزه مخلوق فى الكون مسؤولاً عنه.

وقد أخذ المستشرق (رونلدسن) هذه الروايات عنهم ونقلها إلى العالم، فقال: ((وقد

برهن (أى الحسن عليه السلام) على كثيرة تبذيره بأن خص كل امرأة من نسائه بمال كثير، فنرى

كيف بذرت أموال طائلة خلال خلافة على عليه السلام، بالزمن الذى كانت الخلافة نفسها

شديدة الافتقار))(1) ومع أن هذا القول يخالف كل ما ورد عن تعامل الإمام على عليه السلام مع

المال إلا أن هناك من صدق بآراء المستشرقين وآمن بها.!

1- عقائد الشيعة، الشيخ المظفر، ص ٨٩-٩٠

والأشد نكاية من ذلک قولهم بأنه كان يشترى بمال المسلمين جوارى بالجملة

ليهديهن بالجملة أيضاً إلى عشيقاته وطليقاته وزوجاته الجدد، قال فى ذلک أبو بكر

الخرائطى ى كتاب (مكارم الأخلاق): ((حدثنا إبراهيم بن الجنيد، حدثنا القواريرى،

حدثنا عبد الأعلى، عن هشام، عن محمد بن سرين قال: تزوج الحسن بن علس امرأة،

فبعث إليها بمائة جارية، مع كل جارية ألف درهم))(1)

هذه الأقوال الباطلة الشانة تدعونا للحديث قليلاً عن علاقة أئمة أهل البيت عليهم السلام

بالمال العام والخاص، لأن السياسيين أرادوا من خلال تلک الروايات أن يظهروا بيت

على بن أبى طالب وبيت ابنه الحسن عليه السلام من بعده بيوتاً مليئة بالجوارى؛ حتى أن هداياهم

لا يقل عددها عن المئة فى كل مرة، بالرغم من أن الشعب كان فقيراً جائعاً! فهل يصدق

هذا الهراء بربكم؟ هل يصدق أن يتعرف صاحب الكلمة الخالدة ((لوكان الفقر رجلا

لقتلته)) بمثل هذا التصرف المشين؟ أليس هو على بن أبى طالب عليه السلام صاحب الكلمات

الخالدة، كما فى قوله: ((أتأمروننى أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليهم، والله لا

أطور به ما سمر سمير، وما أم نجم فى الماء نجماً، ولوكان المال لى لسويت بينهم،

فكيف وإنما المال مال الله؟)) وقد أوردت فى موضوع العصبية رواية الثقفى التى جاء

فيها: إن طائفة من أصحاب على عليه السلام مشوا إليه فقالوا: يا أمير المؤمنين أعط هذه الأموال،

وفصل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالى والعجم ومن تخاف خلافه من

الناس وفراره؟ قال: وإنما قالوا له ذلک، للذى كان معاوية يصنع بمن أتاه، فقال لهم

1- مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل بن شاكر السامرى الخرائطى المتوفى عام ٣٢٧ ، تحقيق ودراسة الدكتور عبد الله بن بجاش بن ثابت الحميرى، طبعة مكتبة الرشد، ٢٠٠٦م، والبداية والنهاية ج١١ ص١٩٧ ، تاريخ دمشق وابن عساكر: ج١٣،ص٢٤٩

على عليه السلام: ((أتأمروننى أن أطلب النصر بالجور، والله لا أفعل ما طلعت شمس، وما لاح

فى الماء نجم، والله لو كان مالهم لى لواسيت بينهم، فكيف وإنما هى أموالهم؟

قال: ثم أزم طويلا ساكتا ثم قال: من كان له مال فإياه والفاد فإن إعطاء المال فى

غير حقه تبذير وإسراف))(1) وفى قوله الآخر: ألا وإن إعطاء المال فى غير حقه تبذير

وإسراف، وهويرفع صاحبه فى الدنيا، ويفعه فى الآخرة، ويكرمه فى الناس، ويهينه

عند الله)). أليس هو على بن أبى طالبة عليه السلام الذى أعسر فخرج إلى السوق ليبع سيفه

الذى حمى الإسلام ونبيه، وهو ينادى: ((من يشترى منى هذا السيف، فو الذى فلق

الحبة، لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه و آله، ولو كان عندى ثمن إزار

لما بعته))؟ أليس هو على عليه السلام الذى امتعض كثيراً من فعلة ابن عباس الذى أخذ مال

البصرة وذهب إلى مكة، حيث ينقل الشيخ على الاحرارى عن الكشى قصة أخذ عبد

الله بن عباس ما فى بيت مال المسلمين فى البصرة وذهابه إلى مكة، فكتب على عليه السلام إليه

رسالة جاء فيها: ((فوالله لو أن حسناً وحسيناً فعلا مثل الذى فعلت لما كانت لهما

عندى فى ذلک هوادة ولا لواحد منهما عندى فيه رخصة حتى آخذ الحق وأزيح الجور

عن مظلومها))(2) فلم يرد عليه ابن عباس ولو بكلمة تثبت أن الحسن عليه السلام كان يأخذ

مال المسلمين ليتزوج به. أليس هو على بن أبى طالب عليه السلام الذى كوى يد أخيه عقيل

لمجرد أنه طلب فوق استحقاقه؟ أليس هو على بن أبى طالب عليه السلام الذى جاء بوصيته

للإمام الحسن عليه السلام وهو يجاهد بنفسه بعد أن طعنه المجرم المرادى: ((الله الله فى الجهاد

بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم فى سبيل الله)) لا فى سبيل الزواج والمتع واشتهاء الطعام،

بل فى سبيل الله وحده.

1- الغارات، إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفى المتوفى سنة ٢٨٣ ، ج ١ ص ٤٦

2- كشف الالتباس فى معرفة أحوال ابن عباس، الشيخ على الأحرارى، ص ٣٢

لقد ذكر أكثر من واحد ممن عايشوا علياً عليه السلام فى زمن الخلفاء الذين سبقوه وفى زمن

خلافته، أنهم لم يجدوا عنده رغبة باكتناز المال أو جمعه كما فعل السياسيون وأعوانهم، قال

سفيان: إن عليا لم يبن آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة، وإن

كان ليؤتى بحبوبه من المدينة فى جواب))(1) وبعد استشهاده قام الإمام الحسن عليه السلام خطير

ومما قاله: ((والله ما ترك صفراء ولا بيضاء، إلا ثمانمائة أو سبعمائة درهم أرصدها

لجارية))(2)

لقد كان المنهج العلوى بالتعامل مع المال منهجاً لأئمة أهل البيت عليهم السلام: أجمعهم،

بل وللفقه، الشيعى، حيث جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله:((المال أربعةآلاف، واثنا

عشر ألف درهم كنز، ولم يجتمع عشرون ألفاً من حلال،وصاحب الثلاثين ألفا هالك،

وليس من شيعتنا من يملك مئة ألف درهم))(3) وبالتالى يتبين أن مقابل ثقافة التخزين

والتكديس السياسية، كان حملة سياسة الشريعة مجرد فقراء معدمين لا يملكون شيئاً

سواء فى حياتهم العامة أم عند توليهم حكم المسلمين. ومن موجبات الحديث عن

السياسيين وعن المال أنهم أرادوه داعماً للتهم التى اتهموا بها الحسن عليه السلام وهى كثيرة،

منها قولهم: إن الحسن عليه السلام تنازل عن الخلافة طمعا بمال معاوية!

من هذه الإلماحات أجد فعلاً أن السياسيين أجادوا فى اختيار الروايات التى تحدثوا

فيها عن علاقة الحسن عليه السلام بالمال العام فى خلافة أبيه، وأجادوا توظيف تلك الأقوال

ليثبتوا من خلالها أن معاوية أيضا كان كريماً مع الحسن عليه السلام المبذر، حيث ادعت رواياتهم

أن الإمام الحسن عليه السلام كان كلاً على معاوية يطمع بعطاياه لكى ينفقها ببذخ فاحش على

1- الكامل فى التأريخ، مجلد٣مص ٣٤٩

2- المصدر نفسه، الكامل

3- ينظر: تحف العقول

متعه، والغريب أنهم لم يفطنوا إلى التناقض فى أحاديثهم؛ فقالوا فى النقل السابق: أنه

أرسل إلى الجارية التى تزوج بها مائة جارية مع كل واحدة منهن ألف درهم بمعنى أنه

أرسل لها فضلاً عن المائة جارية مائة ألف درهم؛ ويتبين من نقول أخر أن هذه المائة

ألف التى يتحدثون عنها هى كل ما كان عليه عطائه السنوى الذى كان يحصل عليه

من معاوية، فهل يعقل أن يهب لجارية واحدة كل عطائه السنوى ومئة جارية يمثل

امتلاكهن ثروة عظيمة لمجرد قول تافه؟ وكيف تزوج بعدها العشرات فى العام نفسه؟

وكيف كان يعيش ويتفق على زوجاته وأبنائه!؟

ودعماً للروايات ولتمرير الافراءات الباطلة جاؤوا بروايات أخر أرادوا من

خلالها تأكيد حاجة الحسن عليه السلام لما فى يد معاوية من مال، وتأكيد واضح أن مال معاوية

هو مال الله! كما فى الرواية التى أخرجها البيهقى وابن عساكر عن طريق أبى المنذر هشام

بن محمد عن أبيه قال: ((أضاق(1) الحسن بن على، وكان عطاؤه فى كل سنة مائة ألف

فحبسها عنه معاوية فى إحدى الذين، فأضاق إضاقة شديدة فقال: فدعوت بدواة

لأكتب إلى معاوية لأذكره نفسى، ثم أمسكت فرأيت رسول الله فى المنام فقال: كيف

أتت يا حسن؟ فقلت: بخير يا أبت، وشكوت إليه تأخر المال عنى، فقال: أدعوت

بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك تذكره ذلك؟ فقلت: نعم يا رسول الله، فكيف أصنع؟

فقال:قل: اللهم أقذف فى قلبى رجاءک وأقطع رجائى عمن سواک. قال: فو الله ما

ألححت به أسبوعا حتى بعث إلى معاوية بألف ألف وخمسمائة ألف))(2)

والظاهر أن ابن كثير انتبه إلى التناقض الموجود فى هذه الرواية فأخرجها بأسلوب

آخر يصحح ما وقع فيه صانعها من خلط، فقال: ولما نزل لمعاوية عن الخلافة من ورعه

1- أضاق : أعسر - نزلت به ضائقة مالية

2- تاريخ السيوطى ص 193

صيانة لدماء المسلمين، كان له على معاوية فى كل عام جائزة، وكان يفد إليه، فربما أجازه

بأربعمائة ألف درهم، وراتبه فى كل سنة مائة ألف، فانقطع سنة عن الذهاب، وجاء

وقت الجائزة، فاحتاج الحسن إليها – وكان من أكرم الناس – فأراد أن يكتب إلى معاوية

ليبعث بها إليه، فلما نام تلك الليلة رأى رسول الله صلى الله عليه و آله فى المنام، فقال له: يا بنى، أتكتب

إلى مخلوق بحاجتك؟؛ وعلمه دعاء يدعو به، فترك الحسن ما كان هم به من الكتابة،

فذكره معاوية وافتقده، وقال: ابعثوا إليه بمائتى ألف، فلعل له ضرورة فى تركه القدوم

علينا. فحملت إليه من غير سؤال))(1)

فهل كان الحسن عليه السلام غير ملتفت إلى صيانة وجهه ليطلب المال من معاوية؟ ألم يرد

فى الروايات أنه: جاء رجل أنصارى يسأل الحسين حاجة فقال الحسين عليه السلام: يا أخا

الأنصار صن وجهك عن بذله المألة وأرفع حاجتك فى رقعة فإنى آت فيها ما سارك

إن ثاء الله؟ فكتب: يا أبا عبد الله إن لفلان على خمسمائة دينار وقد ألح على، فكلمه

ينتظرنى إلى ميسرة، فلما قرأ الحسين الرقعة دخل إلى منزله فأخرج صرة فيها ألف دينار

وقال له: أما الخمسمائة فأقض بها ذمتك، وأما خمسمائة فأستعن بها على دهرك:

لا ترفع حاجتك إلا إلى أحد ثلاثة: إلى ذى دين أو مروءة أو حسب))(2)فهل كان

الحسن عليه السلام غافلاً يعرفه أخوه الحسين وهما رضعا واكستبا معارفهما من مصدر

واحد؟ إذن كيف يطلب من معاوية ومعاوية ليس أحد الثلاثة المذكورين؟

أليس هو الحسن بن عده الذى قال ابن أبى الحديد المعتزلى عن علاقته عليه السلام

بالمال:((روى محمد بن حبيب فى أماليه أن الحسن عليه السلام حج خمس عشرة حجة ماشياً

1- البداية و النهاية،بن كثير، ص ١٩٤،ج١٣

2- أهل البيت وبيت المال، السيد محسن النورى الموسوى، منشورات حسين التميمى، دار المتقين، بيروت، ٢٠٠٩، ص 71

تقاد الجنائب معه وخرج من ماله مرتين وقاسم الله عز وجل ثلاث مرات حتى أنه كان

يعطى نعلاً ويمسک نعلاً ويعطى خفاً وبمسک خفاً))(1) ثم جاء السياسيون ليقولوا:

إن الحسن عليه السلام اصطلح مع معاوية على أن يأخذ ما فى بيت المال الذى بالكوفة، فوفى له

معاوية بذلک، فإذا فيه خمسة آلاف ألف، وقيل: سبعة آلاف ألف.(2) وعلى أن يكون

خراج البصرة(وقيل: دارابجرد) له فى كل عام، فامتنع أهل تلک الناحية عن أداء الخراج

إليه، فعوضه معاوية عن ذلک ستة آلاف ألف درهم فى كل عام، فلم يزل يتناولها مع ما

له فى كل عام فى وفادته من الجوائز والتحف والهدايا، إلى أن توفى(3)

وبناءً عليه تجد فى منظومتهم الحديثية مجموعة كبيرة من الأحاديث السياسية

الموضوعة التى أرادوا من خلالها إظهار الإمام الحسن عليه السلام بمظهر الطماع الجشع المحب

للمال (حاشاه الله) لمجرد أنه شرط ضمن شروط الصلح شرطاً مالياً؛ ظنوه بدافع الطمع،

بل وظفوه ليدل على الطمع، ولكنک إذا رجعت إلى المؤلفات التى تناولت الصلح

وشروطه تعرف سبب هذا التحريف والدس الكبيرين، وتجد السبب الحقيقى الذى

دفع الإمام الحسن عليه السلام إلى وضع الشرط المالى ضمن شروط الصلح، ولاسيما أنه عليه السلام

يعرف أن معاوية سوف يحرم العلويين وأشياعهم من الموارد المالية إيغالاً فى إيذائهم،

حيث يتبين لكل منصف أن الإمام عليه السلام طلب المال من خراج (دار أبجرد) مثلا تعويضاً

لشيعته المتضررين من أعمال معاوية الإرهابية وليس لنفسه لكى يعرفه على ملذاته

كما يدعون. وهذا يعنى أن عمال معاوية هم الذين سيقومون باستحصال خراج تلک

1- شرح نهم البلاغة، مجلدة، ج١٦ ، ص ٤

2- لا أدرى كيف قيض لهم معرفة مقدار عدد الملايين الموجودة فى بيت مال الكوفة بهذه الدقة،ثم يعجزون عن تحديد السنة التى مات فيها الحسن عليه السلام!

3- البداية والنهاية،إسماعيل بن عمر بن كثر القرشى الدمشقى، ص ٢٠٤،ج١٣

المنطقة ثم يخرج منه معاوية ما اتفقا عليه فيرسله إلى الإمام الحسن عليه السلام الذى كان يأمل أن يتسلمه ليوزعه على المتضررين، لا لكى يأخذه لنفسه شخصياً لكى ترفض (دارأبجرد) أن تدفع له ما طلب، كما تقول رواياتهم. فقد جاء فى موسوعة الامام الحسن عليه السلام: حكى الصدوق عن كتاب الفروق بين الأباطيل والحقوق تأليف محمد بن بحر الشيبانى عن أبى بكر محمد بن الحسن بن إسحاق بن خزيمة النيسابورى، حدثنا أبو طالب زيد بن اجزم، حدثنا أبو داود، حدثنا القاسم بن فضيل، حدثنا يوسف بن مازن الراسبى، قال: بايع الحسن بن على معاوية على: أن لا يسميه أمير المؤمنين. ولا يقيم عنده شهادة. وأن لا يتعقب على شيعة شيئاً ويؤمنهم ولا يتعرض لأحد منهم بسوء. ويوصل إلى كل ذى حق منهم حقه. وأن يفرق فى أولاد من قتل مع أبيه يوم الجمل وصفين ألف ألف درهم، وأن يجعل ذلک من خراج دارابجرد من بلاد فارس))(١)

ومن محاسن المصادفات أن تجد الله سبحانه يدفع أحياناً بعض المتعصبين ليظهروا الحقيقة بالرغم من مواقفهم الدفاعية عن السياسيين، فالصلابى الذى شرق وغرب ودس أنواع الدسائس، وحاول تمرير طبخات السياسيين القدماء وتوهين فكر مدرسة أهل البيت عليهم السلام قال: ((وذكر الطبرى برواية عوانة بن الحكم أن أهل البصرة حالوا بين الحسن وبين خراج دارأبجرد، وقالوا: فيئنا، والمعلوم أن جباية الخراج من مهام الدولة ولا علاقة مباشرة بين الحسن وأهل البصرة فى هذا الجانب، ولكن الرواية أشارت إلى أن خراج دارابجرد لم يكن فى الأموال التى صيرت إلى الحسن.... وأما الروايات التى تشير بأن يجرى معاوية للحسن كل عام مليون درهم وأن يحمل إلى الحسين مليونى درهم فى كل عام ويفضل بنى هاشم فى العطاء والصلات على بنى عبد شمس، وكأن الحسن

(١) موسوعة الحسن الرابط:

http://www.mezan.net/mawsouat/hassan/solh.html

باع الخلافة لمعاوية؛ فهذه الروايات وما قيل حولها من تحليل وتفسير لا تقبل ولا يعتمد عليها))(1)

ولكن الصلابى عاد ففتق ما رتقه من قبل واتهم الحسن عليه السلام والطالبيين بأنهم مجرد سراق لمال المسلمين ولاسيما عند تأكيده أهمية الجانب المالى الذى عده من أهم شروط الصلح، فأورده ثانياً بعد طلب الحسن عليه السلام فى الشرط الأول –العمل بكتاب الله وسنة رسوله– فقال مستنداً إلى حديث البخارى المشبوه: ((فالحسن يتحدث عن أموال سبق وأصابها هو و غيره من بنى عبد المطلب، يريد الحسن أن لا يطالبهم معاويةا))(2) وكأن الحسن والطالبيين كانوا مجرد لصوص سطوا على مال المسلمين وسرقوه، وان الحسن محاول استغلال حاجة معاوية للصلح لكى يضغط عليه ليعفو عنهم!، فيا لفاجعة الأمة بهذا التاريخ!

وقالوا: إن الحسن عليه السلام على جليل قدره وعظيم منزلته كان يكتب إلى معاوية أو يفد عليه فى الشام ليستجدى منه الأموال ليتزوج بها، وأن معاوية كان ينتهز حاجة الإمام إلى المال فيذله بالقول أو الفعل. والهدف من قولهم إن الحسن كان يأخذ المال من معاوية هو التمويه على الناس للإيحاء زوراً بأن الإمام اعترف بشرعية خلافة معاوية، وقد أوردوا حديثاً كاذباً عن أهل البيت عليهم السلام أرادوا القول من خلاله أن الحسنين عليهم السلام كانا يقبلان أعطيات معاوية وأن الأخير كان رؤوفاً رحيما بهما معظماً لهما، وكأنه لم يحاربهم ويقتلهم ويشردهم، والحديث أوردوه عن جعفر بن محمد عن أبيه: أن الحسن والحسين رحمة الله عليها. كانا يقبلان جوائز معاوية)) وعليه قالوا: وهذا دليل على تعظيم معاوية لأهل بيت النبوة

1– سيرة أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن على، الصلابى، ص ٣٢٤

2– المصدر السابق، ص ٣٢٤

وإكرامه إياهم، وأن منافسته لهم الظاهرة كانت عن اجتهاد له فيها أجر، إن شاء الله (1)

بالتأكيد هناك أكثر من كاتب وباحث من أتبع الفصيل السياسى أرادوا الإيحاء

للأمة بأن علاقة الحسن والحسين عليهم السلام بمعاوية كانت فى منتهى الود والمحبة والوئام

والتفاهم ببب المال لا غير؛ لأنهم كانوا يحبون المال ولا مصدر للحصول عليه إلا

عن طريق خزائن معاوية؛ وذلك لكى تختلط الأوراق وتضيع الحقيقة، فيعتقد السذج

والبسطاء بأن أخبار الخلاف التى تملأ بطون كتب التاريخ لا أصل لها على أرض

الواقع؛ وإنما وضعها المتأخرون، ومن هؤلاء المدعين على محمد الصلابى الذى قال:

((وجاءت بعض الروايات بسند حسن بأن معاوية كان دائم الوصل للحسين ويسارع

فى تلبية مطالبه وحاجاته وكان يغدق عليه العطاء))(2) وقال مرة أخرى: ((ويبدو أن

صلات الحسين بمعاوية كانت طيبة واستمرت العلاقات بين الطرفين تتسم بكل

احترام وتقدير))(3) وأرى أن هذا القول مخالف لكل حقائق التاريخ، جاء به السياسيون

ليشوهوا سيرة الإمام الحسن عليه السلام وليدلسوا على الناس ويخدعوهم. فمن غير المعقول أن

يطلب الحسن المال من معاوية وغير معاوية من أجل متع عنده منها ألوان وأشكال

لا تحصى كما يدعون، كل ذلك لأجل أن يقع نساءه بالموافقة على الطلاق لكى يتزوج

غيرهن، حتى أنهم قالوا أنه كان يتحايل عليهن ليوقع بهن؛ قال فى ذلك أبوجعفر (محمد

1- الشريعة، أبوبكر محمد بن الحسين الآجرى (ت ٣٦٠)، تحقيق الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجى، دار الوطن، الرياض: ١٤١٨ - ١٩٩٧، ج١، ص١٩٦٣وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم،أبوالقاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبرى اللالكائى (ت٤١٨)، ط٤، تحقيق: د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدى، دار طيبة، الرياض، ١٤١٦ هـ - 1995م، المجلد٢، حديث ٢٧٨٢

2- سيرة أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين، على محمد الصلابى،ص ٣٥٢

3- المصدر السابق، على محمد الصلابى ص ٣٥٢

بن حبيب): وكان الحسن إذا أراد أن يطلق امرأة جلس إليها فقال: أيسرک أن أهب لک

كذا؟ فتقول له: ما شئت، أو: نعم، فيقول: هو لک، فإذا قام أرسل إليها بالطلاق وبما

سمى لها)(1)

ومن يبحث فى بطون كتب التاريخ يجد ثوابت كثيرة تمنع أن يتزل الحسنان عليهم السلام إلى

هذا المستوى، وهناک الكثير من الروايات التى يدين السياسيون بها أنفسهم ويفضحون

جهلهم، فهم بعد أن أوردوا عدداً لا بأس به من الروايات التى تقول أن الحسن

والحسين عليهم السلام كانا يقفان على باب معاوية يستعطفانه ليجود عليهما ببعض المال، جاء من

فضح كل تلک الروايات برواية لم ترد فى كتب مدرستنا ولدينا عليها مؤشرات خطيرة

جدا، ولكننا سنوردها للإفادة مما جاء فى أواخرها، وهو قول رسول الله صلى الله عليه و آله: ((دعم ما لم

تقم على باب سدة أو أميراً تسأله)) جاءت هذه الرواية عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه و آله،

قال: ((إن رسول الله دعا لأهله فذكر عليا وفاطمة وغيرهما. فقلت: يا رسول الله أنا من

أهل البيت؟ قال: نعم ما لم تقم على باب سدة(2) أو أميراً تسأله))(3)

وأعتقد أن مؤاخذاتنا على الرواية واضحة وهى قول ثوبان: (فقلت: يا رسول

الله أنا من أهل البيت؟ قال: نعم) لأن هناک عشرات الأحاديث التى تحصر أهل

البيت عليهم السلام بالخمسة أصحاب الكساء، دون غيرهم من الناس، ومنها على سبيل المثال

ما أورده الشيخ موسى عن أم سلمة أنها قالت: ((بينما رسول الله فى بيتى إذ قالت الخادم:

1- شرح النهج، المعتزلى، مجلد 4، ج١٦

2- السدة: كالظلة التى تقام على الباب لتقى الباب المطر، وقيل هى الباب نفسه، وقيل هى الساحة بين يديه

3- حليم آل البيت الحسن بن على، الشيخ موسى محمد على، ط٢،عالم الكتب، بيروت، 1405 ه_ ١٩٨٤م، ص٢٧-٢٨

إن علياً وفاطمة بالدة، فقال لها: قومى فتنحى لى عن أهل بيتى؟ قالت: فقمت

فتنحيت فى البيت قويباً))(1) فكيف يكون ثوبان من أهل البيت ولا تكون أم المؤمنين أم

سلمة منهم؟ ولاسيما وأن الحاكم أورد الحديث فى مستدركه مع قول رسول الله الذى

خص وحدد فيه أهل البيت:((اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى، اللهم أذهب عنهم

الرجس وطهرهم تطهيراً))(2) وفى لفظ أبى يعلى أن النبى وضع يديه فى الكساء فقال:

اللهم إن هؤلآء آل محمد))(3) وعن شداد بن عبد الله أبى عمار قال: ((دخلت على واثلة

بن الأسقع وعنده قوم فذكروا علياً عليه السلام، فلما قاموا قال: ألا أخبركم بما رأيت من رسول

الله؟ قلت: بل. قال: أتيت فاطمة. أسألها عن على، قالت: توجه إلى رسول الله

ومعه حسن وحسين، فجلت أنتظره حتى جاء رسول الله ومعه حسن وحسين وأخذ

كل واحد منهما بيد، حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد

منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه أو كساءه ثم تلا هذه الآية: ((انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيراً)) وقال: ((اللهم هؤلاء أهل بيتى وأهل

بيتى أحق))(4)

نعم كان الإمام الحسن عليه السلام كريماً جواداً بالحق والعدل والإنصاف دون حاجة إلى

وسخ معاوية، والكتب والمؤلفات التى تحدثت عن كرمه كثيرة منها على سبيل المثال لا

الحصر: المستجاد من فعلات الأجواد للتنوخى، وفيه شواهد على كرم الإمام الحسن عليه السلام،

وكذلك هناك روايات عن كرمه فى كتب كثيرة أخر(5). وقد استغل السياسيون هذه الخلة

1- حليم آل البيت، حليم آل البيت الحسن بن على، ص ٥١

2- المصدر نفسه، حليم آل البيت الحسن بن على

3- المصدر نفسه، حليم آل البيت الحسن بن على

4- المصدر نفسه، حليم آل البيت الحسن بن على، ص ٢٧

5- أعيان الشيعة، تحقيق السيد حسن الأمين قدس سره ابن المصنف، طبعة دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، سنة ١٤٠٦ ه ١٩٨٦م ٤ / ٨٩ ٩٠، تاريخ ابن كثير ٨ / ٣٨، والطبقات الكبرى للشعرانى ١ / ٢٣، ودائرة المعارف للبستانى 7 / ٣٩ وفى إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالى، تقديم بدوى طبانة، تصوير مكتبه كرياطه فوترا - سماراغ — إندونيسيا، كتاب الكترونى، المكتبة الوقفية، ٣ / ١٧٣، والكامل للمبرد ٢ / ١٣، وخصال الصدوق ١٣٠ / ١٣١ ومناقب ابن شهرآشوب ٢ / ٢٣ وغيرها

الكريمة فى أخلاقه وحولوها إلى منفذ للطعن فجعلوا من الكرم إسرافاً من أجل المتعة الشخصية عن طريق الزواج غير المعقول، ثم ادعوا أن الإمام عليه السلام مع كل الإسراف والتبذير، كان لا يقيم مع المرأة التى يتزوجها أكثر من أيام معدودات، لأنه كما يدعون يعرف أن خزائن العراق العلوى والشام السفيانى عامرة بالذهب والفضة وبيوتات الكوفة عامرة بجميلات النساء! ومن تحسن بعينه منهن تستحق الجزاء الأوفى، فيمد لها بالمدة ويسمح لها بالبقاء معه أكثر من غيرها، وقد ذكروا:((إنه نام مع امرأته خولة بنت منظور الفزارى، وقيل: هند بنت سهيل فوق أجار(1)، فعمدت المرأة فربطت رجله بخمارها إلى خلخالها، فلما استيقظ قال لها: ما هذا؟ فقالت: خفت أن تقوم من وسن النوم فتسقط، فأكون أشأم سخلة على العرب. فأعجبه ذلک منها، واستمر بها سبعة أيام بعد ذلک)) يا للهول، سبعة أيام طوال معها، لأنها قالت بحقه كلمة كبيرةوعظيمة.. إذن كم كان يبقى مع الخرساء منهن؟!

لقد صاغوا قصص التبذير المزعومة لتبدو وكأنها من سمات كرمه الكبير، ولذا قالوا: ((وقد كان من الكرم على جانب عظيم. قال محمد بن سيرين: ربما أجاز الحسن بن على الرجل الواحد بمائة ألف. وقال سعيد بن عبد العزيز: سمع الحسن بن على إلى جانبه رجلاً يدعو الله أن يملكه عشرة آلاف درهم، فقام إلى منزله فبعث بها إليه. وذكروا أن الحسن رأى غلاماً أسود يأكل من رغيف لقمة، ويطعم كلباً هناک لقمة، فقال له: ما

1- الأجار: السطح بدون ساتر

حملک علی هذا؟! فقال: إنی أستحی منه أن آکل ولا أطعمه. فقال له الحسن: لا تبرح

من مکانک حتی آتیک . فذهب إلی سیده، فاشتراه واشتری الحائط الذی هو فیه، فأعتقه

وملکه الحائط، فقال الغلام: یا مولای، قد وهبت الحائط للذی وهبتنی له))(1) ولکی

تنطلی لعبتهم علی السذج من الناس ادعوا بأن الإمام علی علیه السلام کان کثیر الانزعاج من

تبذیر ولده الحسن.!

ص :419

1- البدایة والنهایة، ص: ۱۹٦،ج۱۳

انزعاج الإمام على عليه السلام

مصطلح أهل البيت يشمل النبى صلى الله عليه و آله و على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام،

وهم الخمسة أهل الكساء، ثم يمتد ليشمل التسعة المعصومين من ذرية الحسين عليهم السلام،

بدلالة قوله صلى الله عليه و آله: ((اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى)). ولقد قامت علاقة فريدة بين

أهل الكساء ولاسيما منهم الذين تجايلوا بعضهم مع بعض تختلف كلياً عن أى نوع

آخر من العلاقات فى المجتمع الإسلامى، ولأننا نتحدث فى هذا البحث عن الإمام

الحسن عليه السلام سيكون حديثنا منصباً على علاقته االمعصومين الأربعة ومنها علاقته بجده

النبى صلى الله عليه و آله، ولقد أوردت فى البحث عشرات الأحاديث التى تتكلم عن هذه العلاقة،

ولكنى سأورد فى هذا المبحث حديثاً أخرجه الطوسى فى (الثاقب فى المناقب) عن الإمام

الباقر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن حذيفة بن اليمان قال: ((بينا رسول الله صلى الله عليه و آله على جبل أحد فى

جماعة من المهاجرين والأنصار إذ أقبل الحسن بن على عليه السلام يمشى على هدوء و وقار، فنظر

إليه رسول الله، فرمقه من كان معه، فقال له بلال: يا رسول الله ما ترى أحداً بأحد؟

فقال: إن جبرائيل يهديه وميكائيل يسدده، وهو ولدى والطاهر من نفسى، وضلع من

أضلاعى، هذا سبطى وقرة عينى بأبى هو. وقام وقمنا معه وهو يقول: أنت تفاحتى

وأنت حبيبى وبهجة قلبى، وأخذ بيده فمشى معه))(1)

وهذا الفكرة يترجمها حديث آخر بنفس المضمون الفريد يؤكد أن الحسن عليه السلام ثمرة

1- فى رحاب الإمام الحسن المجتبى، قم الثقافة والإعلام، الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الكاظمية المقدسة، ١٤٣٣ ، ص١١ عن الثاقب فى المناقب، ابن حمزة الطوسى، ص ٣١٦- ٣١٩

فؤاد النبى صلى الله عليه و آله، عن أنس بن مالک قال: ((دخل الحسن على النبى صلى الله عليه و آله فأردت أن أميطه

عنه، فقال صلى الله عليه و آله: ويحک يا أنس، دع ابنى، وثمرة فؤادى، فإن من آذى هذا آذانى، ومن

آذانى فقد آذى الله))(1) وحديث آخر عن ابن عباس قال: ((اتحد الحسن والحسين عند

رسول الله صلى الله عليه و آله فجعل يقول: ((هى يا حسن، خذ يا حسين. فقالت فاطمة: تعين الكبير

على الصغير؟ فقال: إن جبرائيل يقول خذ يا حسن))(2) وحديث آخر عن أبى سعيد

الخدرى:((إن رسول الله دخل على ابنته فاطمة وابناها إلى جانبها وعلى نائم فاستسقى

الحسن فأتى ناقة لهم تحلب فحلب منها ثم جاء به فنازعه الحسين أن يشرب قبله حتى

بكى، فقال: يشرب أخوک ثم تشرب، فقالت فاطمة: كأنه آثر عندک منه؟ قال: ما هو

بآثر عتدى مته وإنهما عندى بمنزلة واحدة، وإنک وهما وهذا المضطجع معى فى

مكان واحد يوم القيامة))(3) وحديث آخر من طريق عبد الرحمن بن مسعود عن أبى

هريرة، قال: ((خرج علينا رسول الله صلى الله عليه و آله ومعه الحسن والحسين هذا على عاتقه وهذا على

عاتقه وهو يلثم هذا مرة وهذا مرة حتى انتهى إلينا فقال: من أحبهما فقد أحبنى ومن

أبغضهما فقد أبغضنى))(4)

وكانت نظرة الإمام على لولده الحسن عليهم السلام من المصدر والمنبع نفسه فمن كلام له

لابنه الحسن عليه السلام فى وصية طويلة: ((ووجدتک بعضى، بل وجدتک كلى حتى كأن شيئاً

لو أصابک أصابنى، وكأن الموت لو أتاک أتانى، فعنانى من أمرک ما يعنينى من أمر

نفسى))(5) بل إن الإمام على عليه السلام كان يبجل الحسنين لأنه كان يراهما أبناء رسول الله صلى الله عليه و آله،

. (١)

. (٢)

. (٣)

. (٤)

1- الصواعق المحرقة، ابن حجر، ص١٤٢

2- حليم آل البيت الحسن بن على، الشيخ موسى محمد على، ص ٢٤

3- المصدر نفسه، ص ٢٤

4- المصدر نفسه، ص ٢٥

5- فى رحاب الإمام الحسن المجتبى، قم الثقافة والإعلام، ١٤٣٣ هـ، ص ١٦

ففى صفين لما رأى جميل جهاد محمد بن الحنفية، قال: ((أشهد أنک ابنى حقاً، فقيل له: يا

أمير المؤمنين الحسن والحسين أيضا ابناک؟ فقال: هما ابنا رسول الله))(1)

إن إيراد هذا الكم من الأحاديث يأتى للتقديم إلى ما نسبوه إلى الإمام على عليه السلام بأنه

كان كثير الانزعاج من ابنه الحسن عليه السلام الذى وصفه بكل تلک الأوصاف الجميلة الرائعة،

غير ملتفتين إلى التعارض الكبير بين الفهمين والواقعين والحقيقتين. وأجد حقاً أنه ليس

من اليسير جمع كل الافتراءات التى وجهت للإمام الحسن عليه السلام بفعل أو بقول فهى من

الكثرة يمكان أنها ملأت بطون الكتب؛ فأشكل بعضها على الناس وشتت فكرهم

فاعتقدوا بصحة بعضها بالرغم من بيان و وضوح بطلانها وكذبها. ولكى نعرف طرائق

هذا الدس السياسى أورد فى أدناه نقولاً مختلفة لتكون مدخل إلى لب وصلب الموضوع

وأترک لكم مقارنتها مع قول الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله: ((إن جبرائيل يهديه وميكائيل يسدده،

وهو ولدى والطاهر من نفسى، وضلع من أضلاعى، هذا سبطى وقرة عينى بأبى هو))

وقول الإمام على: ((ووجدتک بعضى، بل وجدتک كلى))

• النقل الأول: أورده ابن سعد فى طبقاته: ((إن عليا مر على قوم قد اجتمعوا على

رجل، فقال: من هذا؟ قالوا: الحسن. قال: طحن إبل لم تعود طحناً، إن لكل

قوم صداداً وإن ,صدادنا الحسن))(2)

ولكى نعرف معنى هذا القول الشطط المنسوب إلى سيد البلاغة الإمام على عليه السلام،

يجب أن نعرف معنى صفة (صداد) التى قالوا أنه وصف بها ابنه الحسن عليه السلام الذى هو

بعضه بل كله، فمعرفة معناها تبرئ علياً وحسناً عليهم السلام، وتتهم من جاء بها بكل مساوئ

1- ينظر: أبناء الزهراء أبناء الرسول، الشيخ رضا الأستادی، برکزیده، قم، إیران، ۱۳۸۸ ه_،ص۱۷

2- الطبقات الکبری اسم الناقص، ابن سعد، ج۱ ،ص277-278

التاريخ، فالصداد فى المعجم الرائد: دابة صغيرة من جنس الجرذان، والصداد: سام

ابرص.(1)وفى تاج العروس: الصداد: الحية، ودويبة من جنس الجرذان، أو سام أبرص،

وقيل الوزغ.(2)

فهل يعقل أن يصف الإمام على عليه السلام ولده وحبيب قلبه الذى سبق وأن قال له:

((أنت بعضى بل كلى)) يمثل هذا الوصف؟ وكيف يبيح المسلم لنفسه أن يرتكب مثل

هذا الحمق والجرم الحقير فيتهم الإمام الحسن عليه السلام ويصفه بهذا الوصف على لساف

الإمام على عليه السلام؟ كم من سوء ارتكبه من أوجد هذا القول السخيف؟ وماذا سيقول لله

تعالى غداً؟ وأرى والله أن مجرد وجود هذا الحديث فى تاريخنا المستباح يصبغه بسواد لا

يدانيه سواد الكون كله، ويؤكد أن السياسيين الذين باعوا دينهم بدنيا زائلة كانوا على

استعداد لارتكاب أخس الجرائم وأحقرها لكى ينفسوا عن حقدهم الدفين على أهل

البيت الكرام، ولذا تراهم يضعون مثل هذه الأقوال السخيفة ليتهموا الإمام على عليه السلام

بأنه لم يكن يثق بقدرات ابنه الحسن عليه السلام، وأنه كان يغتابه من وراء ظهره ويشنع به،

وهذا مناقض وخالف لما نعرفه عن خلق الإمام على عليه السلام ويتعارض بشدة مع الثقة

التى أولاها الإمام على لابنه الحسن عليه السلام فى الأقل خلال الحروب التى وقعت فى خلافته

حيث كاف الحسن عليه السلام أحد أهم قواده العسكريين، وقد كلفه أكثر من مرة ليحشد له

الأمة ويحثهم على الإسهام فى القتال، وكان الناطق الرسمى باسم أبيه. وفى أخبار حرب

الجمل أن الإمام على عليه السلام حينما توجه إلى ذى قار ونزلها، أرسل الحسن عليه السلام إلى الكوفة مع

عمار بن ياسر، وزيد بن صوحان، وقيس بن سعد يستنفروا أهلها لمساعدته على طلحة

1- الرائد معجم لغوى عصرى، جبران مسعود، دار العلم للملايين، سنة النشر: ١٩٩٢

2- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدى، الناشر: طبعة الكويت، ص ٢٠٨٦ فصل الصاد

المهملة مع الدال

والزبير. وتأتى أهمية هذا العمل من أن الإمام عليه السلام كان قد أرسل قبل ذلک وفداً من كبار

قواده وزعماء جيشه، ففشلوا فى مهمتهم، حيث اعترضهم أبو موسى الأشعرى، ولم

يستجيب لطلب الإمام على عليه السلام. لكن مع وصول الإمام الحسن عليه السلام استجاب الناس

لندائه وخرج معه إلى البصرة اثنا عشر ألفاً.

• النقل الثانى: وروى أيضاً عن المسيب بن نجبة قال: ((سمعت علياً يقول: ألا

أحدثكم عنى وعن أهل بيتى؟ أما عبد الله بن جعفر فصاحب لهو، وأما

الحسن بن على فصاحب جفنه وخوان فتى من فتيان قريش، لو قد التقت

حلقتا البطان لم يغن فى الحرب عنكم شيئاً، وأما أنا وحسين فنحن منكم

وأنتم منا))(1)

وحلقتا البطان لغة، كما فى معجم المعانى: والتقت حلقتا البطان: كناية عن اشتداد

الأمر. وفى الموسوعة الثقافية: يضرب فى الحادثة إذا بلغت النهاية. وفى العجم الوسيط:

يقال: فلان عريض البطان: رخى البال. والجمع: أبطنة، وبطن. وفى المعجم الرائد:

البطان: حزام يجعل تحت بطن الجمل أو الفرس. وفى معجم اللغة العربية المعاصر:

البطان: جمع أبطنة: نطاق، حزام يشد على البطن.

وفى كتاب الجليس الصافى: قال:، أوس بن حجر: ((و ازدحمت حلقتا البطان بأقوام

وطارت نفوسهم جزعاً، ويقولون: التقت حلقتا البطان والحقب، ومنه: اشدد بمثنى

حقب حقواها ويقال حقب البعير إذا صار الحزام فى الحقب))(2)

1- ينظر:ابن سعد، الطبقات الكبرى القسم الناقص ج١ ، ص297، شرح نهج البلاغة- ابن ابى حديد، م٤ ، ج١٦ ،ص ١١

2- الجليس الصالح الكافى والأنيس الناصح الشافى، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى النهروانى (ت٣٩٠)، تحقيق عبد الكريم سامى الجندى، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ١٤٢٦ - ٢٠٠5م

ومعنى هذا أنهم أرادوا القول: إن الإمام على عليه السلام وصف ابنه الإمام الحسن عليه السلام

بأنه لا يغنى فى الحرب شيئاً، ولا ينفع إذا تأزمت الأمور، وهذا مخالف لاجماع المؤرخين

الذين أكدوا أن الحسن عليه السلام كان حبيب على عليه السلام، وانه اشترك فى حرب الجمل إلى جنب

أبيه، وحمل رايته وانتصر بها على الناكثين، وفى صفين جمع المهمتين سوية حيث حمل

الراية وخاض الحرب، فضلا عن قيامه بتعبئة المسلمين للجهاد، وبذل جهده لإحباط

مؤامرة التحكيم، والاحتجاج على المنادين به.

لقد شارک الإمام الحسن عليه السلام فى جميع الحروب التى شنها السياسيون ضد الإمام

على عليه السلام، وفى تحكيم صفين، ويوم النهروان، وكان يبرز إلى ساحة القتال كلما اقتضى

الأمر، بل كان يندفع و يتسرع إلى الحرب، قاتل فى معركة صفين كما قاتل من قبل فى

معركة الجمل، ولقد أفادت بعض الروايات أن الإمام على كان يمنع الحسنين عليهم السلام

من النزول إلى ساحة القتال خشية أن ينقطع نسل رسول الله صلىالله عليه و آله، كما فى قوله لأصحابه:

((املكوا عنى هذا الغلام لا يهدنى، فإننى أنفس بهذين يعنى الحسن والحسين على

الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله))(1)

• النقل الثالث: روى ابن عساكر وغيره: ((إن الحسين قال للحسن: أعيذک أن

كذب علياً فى قبره وتصدق معاوية، فقال الحسن: والله ما أردت أمراً قط إلا

حالفتنى إلى غيره))(2)

وهى رواية لحالقة للعقل والنقل ومتعارضة مع ما نقله المؤرخون عن العلاقة المتينة

1- نهج البلاغة: من كلام له عليه السلام فى بعض أيام صفين، وقد رأى ابنه الحسن يتسرع إلى الحرب. باب خطب أمير المؤمنين: ٢٠٧

2- تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج ١٢، ص ٢٦٧

القائمة على الاحترام المتبادل بين الحسنين عليهم السلام.

هكذا عمل السياسيون بجد لتحطيم سياج القلعة الحسنية، وبهذا الأسلوب

التافه والدس الرخيص حاربوا ذكره العطر، ولكن أنى لهم أن يقنعوا بهذه الأقوال

الباطلة الفاشلة إلا من هو هابط إلى مستواهم الدنىء؟ فضلا عن ذلک سرد فى البحث

أنموذجات أخر من هذه الأقوال السخيفة، سوف نوردها فى محلها، وهدفنا من إيرادها

التوضيح أن ما أراده السياسيون من كل الافتراءات والأكاذيب السياسية هو تشويه

نقاء صورة الإمام الحسن عليه السلام والإحياء للأمة بأن الإمام على عليه السلام كان غير راض عنه،

والمؤسف أنهم نجحوا فى ذلک بعض النجاح، فى الأقل مع قومهم، ومن يؤمن بحديثهم.

ص :426

الزواج السياسى

إن السياسيين الدنيويين لم يكفهم التطاول على هذا الطود الشامخ والقمة الباسقة

والمناضل الصلب؛ فادعوا زوراً وبهتاناً إن سلوكه فى التبذير وكثرة الزواج والطلاق

أغضب علياً عليه السلام، الذى ادعوا انه لم تكن له سيطرة على نزوات ولده الحسن؛ فاتجه إلى

أهل الكوفة تخاطباً وراجياً يطالبهم بعدم تزويج الحسن عليه السلام كما فى قول السيوطى: ((وقد

كان على يقول لأهل الكوفة: لا تزوجوه فإنه مطلاق. فيقولون: والله يا أمير المؤمنين لو

خطب إلينا كل يوم لزوجناه منا من شاء، ابتغاء فى صهر رسول الله))(1) والمنكر أنهم

يعزون سبب انزعاج الإمام على عليه السلام إلى دافع سياسى بحت لا علاقة له بالجانب التربوى

والأخلاقى، يعزونه إلى خوفه من انفراط عقد تحالفاته مع القبائل؛ وليس من تكرار

حالات الزواج الشانة وغير المعقولة لولده، وهذا ما أكده ابن سعد فى روايته التى قال

فيها: إن الإمام على كان تخاف أن تثور عليه القبائل بسبب تطليق الحسن لبناتهم، بمعنى

أنه كان منزعجاً من كثرة زواج الحسن خوفا من العداء السياسى الذى ممكن أن يقع بينه

وبين القبائل العربية لا أكثر؛ فروى فى طبقاته رواية منسوبة إلى على عليه السلام تدعى أنه قال:

((مازال الحسن يتزوج ويطلق حتى خشيت أن يكون يورثنا عداوة فى القبائل))(2)

ولأهمية الحديث عن الزواج السياسى بنظر السياسيين وحدهم أقول: لا تخفى

العلاقة الوثيقة بين السياسة ومصطلح الزواج السياسى، فالمصطلح بالرغم من تأخر

1- تاريخ الخلفاء، السيوطى، ص ١٩١

2- الطبقات الكبرى القسم الناقص ابن سعد، ج١/ص٣٠١

صياغته نابع أساساً من عمق الفكر السياسى القديم، ودالاً عليه ومتأثراً به، وهو بالتالى

احد مصاديق التلاعب السياسى التاريخى حتى فى حقبة العصر الجاهل.

ويقصد بمصطلح الزواج السياسى أو المصاهرة السياسية: تلك الزيجات التى

تقف وراءها المصلحة السياسية المتبادلة (مثل محاولة أرباب السلطة حصر الامتيازات

السياسية فيما بينهم، أو الرغبة فى الوصول إلى تقلد المناصب الإدارية أو السياسية أو

العسكرية أو محاولة الاستيلاء على السلطة أو بهدف كسب ود بعض الدول المجاورة)(1)

ولذا نجد للأسف الشديد أن هناك بعض الكتاب والباحثين والمؤرخين اتهموا النبى

الأكرم صلى الله عليه و آله بتهمة عقد الزيجات السياسية بالرغم مما ينطوى عليه هذا السلوك الشائن

من مكر وخداع واحتيال؛ ربما لأنهم عجزوا عن تفسير حالات الزواج المتكرر للنبى

من بعض النساء دون غيرهن مثل زواجه بريحانة بنت عمرو بن خنافة القرظية فى غزوة

بنى قريظة، وزواجه بجويرية بنت الحارث فى غزوة بنى المصطلق، وزواجه بصفية بنت

حيى فى غزوة خيبر، ولا أدرى إن كانوا قد عدوا زواجه بعائشة زواجاً سياسياً أيضا بعد

أن قالوا: إنه تزوجها فى المدينة المنورة وهى لما تتجاوز الست سنين من عمرها بعد، بينما

كان عمره الشريف أكثر من خمسة وخمسين عاماً.

وبناء عليه أرى أنه ليس غريباً على هؤلاء، وهم السياسيون المحنكون الذين

يربطون كل تصرف يبدر من كبير على أنه سلوك سياسى أو أنه جاء بدوافع سياسية،

أن يظهروا علياً وكأنه من صنفهم، يتأثر مثلهم بالسياسة ويتنازل لضغوطاتها كما

يفعلون، فيطعن بكبير أولاده وخليفته الحسن عليه السلام بحجة أن تكرار طلاق الحسن لنساء

القبائل العربية سوف يخلق خلافاً سياسياً بين أهالى المطلقات والخليفة!

1- الزواج السياسـى فى عصر المماليک ٦٤٨- 923 ، الـدكتور فاضل جابر ضاحى والدكتور ثامر نعمان مصـطاف،ط٢، دار رند للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠١٠، ص ٩

وبالتالى يتبين وبشكل واضح مما أورده ابن سعد وغيره فى النصوص السابقة أن

عقول أعداء الإمام الحسن عليه السلام كانت محصورة فى اطر سياسية خالصة، وان كل سلوكهم

وتفكرهم كان محصوراً فى السياسة وحدها، بما لم يدع مجالاً للدين أو للقيم والأخلاق

والصدق والنزاهة أن تجد مكاناً فى تلك العقول. وأن السياسيين نجحوا فى التأثير فى

المؤرخين فجعلوهم يكتبون ما يريدونه. ومع أنه من المفروض بالمؤرخين الذين جاؤوا

بعد هؤلاء أن يمتحنوا النصوص قبل نقلها، إلا أن امتداد أثر الدفع السياسى بدا ظاهراً

حتى على المتأخرين منهم؛ حيث نجد السيوطى يأخذ بقول ابن سعد (حتى خشيت

أن يكون يورثنا عداوة فى القبائل) ولا يكتفى به، وإنما يضيف إليه اسم القبيلة التى

ينتسب إليها من ادعوا أنه رد على الإمام على عليه السلام حيث تبين حسب السيوطى أنه من

قبيلة همدان، بالرغم من أن ابن سعد لم يورد هذا الاسم، ولكن السيوطى قال بملء

فيه: ((وأخرج ابن سعد عن جعفر بن محمد قال: قال على: يا أهل الكوفة لا تزوجوا

الحسن فإنه رجل مطلاق، فقال رجل من همدان: والله لنزوجنه، فما رضى أمسك، وما

كره طلق))(1)

أى أنهم ادعوا بأن أهل الكوفة لم يسمعوا نصيحة أمرهم على عليه السلام بل وتحدوه

بأنهم سيبقون يزوجون الحسن عليه السلام ببناتهم ليلهو معهن ويستأنس بجمالهن؛ (كل ذاك

ابتغاء فى صهر رسول الله) كما تقول الرواية، وما يستنتج من هذه الرواية الموضوعة

أن الحسن عليه السلام كان كثير الزواج كثير الطلاق فى الكوفة التى عاش فيها ثلاث سنوات

مفعمة بالمؤامرات والحروب والسفر والجهاد، وهذا وحده دليل كافى لنفى هذه التهمة

وتفويض هذه الرواية من جذورها.

1- السيوطی، تاريخ الخلفاء، ص ۱۹۱

وبسبب هذه الرواية وأخواتها من الموضوعات تحولت قصص زواج الإمام

الحسن عليه السلام إلى موارد شائبة ينهل منها المحب ظناً منه أنه يخدم قضية الحسن، ويلغ فيها

المبغض ظنا منه أنه يسيء إليه، فلا المحب وفاه حقه ولا الشانئ أطفأ نوره، وكلاهما أساء

إليه من حيث يدرى أو لا يدرى، ففى تتمة القصة المختلقة عن رد الهمدانى على أمير

المؤمنين على عليه السلام، ادعوا أن رد الهمدانى المنمق أسعد علياً فنسى أنه قسيم الجنة والنار

بالنص، فارتجل قائلا:

ولو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وفى هذا تعارض مع ما صح عن النبى صلى الله عليه و آله أن علياً قسيم الجنة والنار، وأظن أن

المادح أغفل ذلک فأورد بيت الشعر ظناً منه أنه يمدح علياً وحسنا عليه السلام وهمدان! أما

اختيار السياسيين لرجل من همدان لينسبوا إليه اعتراضه على قول على عليه السلام وهو القول

الذى انطلى حتى على بعض رجال مدرستنا، فإنه بكل تأكيد لم يأت جزافاً ولم يأت من

فراغ، بما يؤكد للمرة الألف أن السياسيين كانوا بارعين فى صنعتهم، إذ جاء اختيارهم

للهمدانى تبعاً لما يعرفونه عن العلاقة المتينة بين قبيلة همدان وأهل البيت عليه السلام فبعد

أن انتشرت إشاعة مقتل قيس بن سعد فى صفوف جيش الحسن الذى كان مرابطاً فى

المدائن؛ وخروج الخوارج والمدسوسين عليه وانتهابهم ركبه؛ بادر الإمام الحسن عليه السلام

لطلب الدعم من أقرب الناس إليه، وكانت همدان إحدى العشيرتين اللتين طلبهما دون

باقى الناس، فقال: ((ادعوا لى ربيعة وهمدان، فدعوا له، فأطافوا به، ودفعوا الناس عنه،

ومعهم شوب من غيرهم))(1) ومن هنا أخذ السياسيون قصة معارضة همدان للإمام

على عليه السلام وتأييد الإمام الحسن عليه السلام؛ و وضعوها بهذا المضمون الفج التافه.

1- مقاتل الطالبيين ص 73-70

فضلا عن ذلک بینت قصصهم الموضوعة أن الحسن علیه السلام کان یختار من کل عشیرة

عربیة امرأة لیتزوجها، وکأنه یرید أن ینشئ جامعة العشائر والقبائل العربیة، أو أنه

یرید إفساد الود بین أبیه والقبائل العربیة کلها، کما مر فی حدیثنا عن الزواج السیاسی،

فمنقریة، وکلبیة، وثقفیة، وعلقمیة، وسبیعیة وشیبانیة، وتیمیة، وخثعمیة، وقرشیة،

وکندیة، وقضاعیة، وفزازیة، وقیسیة، وتمیمیة، وأنصاریة، وبجلیة، وهمدانیة، وفارسیة،

ومن قبائل أخر نجهل أسماءها، لأن المؤرخین یجهلونها لیس لقصور فی الفهم والتذکر،

وإنما لأنها لم تکن موجودة علی أرض الواقع أصلاً، ولذا لم یشیروا إلیها فی أحادیثهم.

وأسأل هنا: إذا ما کان الهمدانی قد تحدی علیا علیه السلام ولم یأخذ بمنعه تزویج الحسن علیه السلام

لأن همدان تحب أهل البیت، هل یعقل أن رجال جمیع القبائل العربیة کانوا علی القول

نفسه فلم یأخذوا برأی علی وزوجوا بناتهم الحسن بن علی علیه السلام بالرغم من علمهم انه

سیطلقهن بعد یوم أو أکثر، وبالرغم من أن فیهم من لم یکن یهوی أهل البیت علیهم السلام و مثل

قوم الأشعث والخوارج وغیرهم؟

واقعا أنا لا أدری کیف تستقیم مثل هذه الروایات الفجة مع روایات قویة أخر

تؤکد أن الإمام علیاً علیه السلام هو الذی خطب لأبنائه الحسن والحسین علیهم السلام نساءً اختارهن

وزوجهن لهما ومنهن (شاهربانو) بنت کسری التی زوجها للإمام الحسین علیه السلام کما یروی

البلاذری، وبنات امرىء القیس اللواتی خطبهن للحسن والحسین علیهم السلام؛ حیث خطب

علی علیه السلام بناته لولدیه الحسن والحسین فقال أمرىء القیس: ((قد أنکحتک یا علی المحیاة

ابنتی وأنکحتک یا حسن سلمی، وأنکحتک یا حسین الرباب، بناتی))(1)

والنکایة الأعظم أن تجد بعض الروایات تصفه بالمذواق والتی تعنی: سریع

1- ينظر: زوجات الأئمة المعصومين، الشيخ ماجد ناصر الزبيدى،دار المحجة البيضاء، بيروت،7٢٠٠٨٢٨٤١م، ص١٣٣

النكاح سريع الطلاق، وتعنى لغة: الملول لما هو فيه، يريد تذوق غيره، وفى الحديث:إن الله يبغض الذواقين والذواقات))(1) وفى مكارم الأخلاق: إن الله يلعن كل ذواق

من الرجال، وكل ذواقة من النساء))(2)ولذا أرى أن الذين اختاروا صفة (مذواق)

ليلصقوها بالامام الحسن عليه السلام ليسوا من الجهال ولا من قليلى العلم؛ وإنما هم من

المطلعين على الحديث والسنة ولهم باع طويل فى علومها وأسرارها، فالكلمة جاءت

لصيقة بموضوعة الزواج والطلاق العبثى، دون غيرهما، وبات كل من يسمع بها يذهب

تفكيره إلى الزواج والطلاق العبثى لأن هناك قصص كثيرة من التى تناولت الصفة

بالشرح باعتبار أنها وردت فى حديث نبوى ينهى عن العبث فى الزواج والطلاق بهدف

المتعة والتذوق. وقد ورد الحديث بصيغ عديدة منها:

((إن الله يلعن كل ذواق من الرجال، وكل ذواقة من النساء))

((لا أحب الذواقين من الرجال، ولا الذواقات من النساء))

((تزوجوا ولا تطلقوا، فإن الله لا يحب الذواقين والذواقات))(3)

وفى تفسير الطبرى فى تأويل قويه تعالى: ((متعا))(قيل: قد روى عن رسول

الله صلى الله عليه و آله أنه قال: إن الله لايحب الذواقين ولا الذواقات))(4) ومثله فى البحر الزخار(5)

1- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية،باب الذال، ج ١ ص ٣٤٧

2- مكارم الأخلاق، رضى الدين أبى نصر الحسن بن الفضل الطبرسى، ص ١٩٧

3- المقاصد الحسنة فيما اشتهر على الألسنة، شمس الدين أبى الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوى(المتوفى: ٩٠٢)، المحقق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربى - بيروت، ١٤٠٥ هـ -١٩٨٥م

4- جامع البيان عن تأويل آى القرآن، الطبرى، تفسير الآية ٢٣٦ من سورة البقرة

5- المسند (المعلل الكبير)، للحافظ أبى بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصرى البزار(ت ٢٩٢ ج٨، ص٢١-٢٢)، والطبرانى فى الكبير ج ٢٠، ص١٦٧ وفى الأوسط ج١٧،ص150

وورد الحديث بطرق أخر فی ثلاثة مواضع من کتاب الجامع الصغیر وهی کالآتی:

((إن الله تعالی لا یحب الذواقین ولا الذواقات))

((تزوجوا ولا تطلقوا فإن الله لا یحب الذواقین ولا الذواقات))

((لا تطلقوا النساء إلا من رية فإن الله لا یحب الذواقین ولا الذواقات))

و ورد فی مجمع الزوائد للهیثمی: عن أبی موسی أن النبی صلی الله علیه و آله قال: ((لا تطلق النساء

إلا من ریبة إن الله تبارک وتعالی لا یحب الذواقین ولا الذواقات))(1)

وجاء فی مصنف ابن أبی شیبة: حدثنا أبو بکر، قال: حدثنا محمد بن فضیل، عن

لیث، عن شهر بن حوشب، قال: ((تزوج رجل وامرأة علی عهد النبی صلی الله علیه و آله فطلقها، فقال

له النبی: طلقتها؟ قال: نعم! قال: من بأس؟ قال: لا یا رسول الله!

ثم تزوج أخری، ثم طلقها، فقال له رسول الله صلی الله علیه و آله: طلقتها؟ قال: نعم! قال: من

بأس؟ قال: لا یا رسول الله!

ثم تزوج أخری ثم طلقها فقال له رسول الله صلی الله علیه و آله: أطلقتها؟ قال: نعم! قال: من

بأس؟ قال: لا یا رسول الله.!

فقال رسول الله صلی الله علیه و آله فی الثالثة: إن الله لا یحب کل ذواق من الرجال ولا کل ذواقة

من النساء))(2)

1- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علی بن أبی بکر الهیثمی، دار الفکر، بروت - ١٤١٢ هـ

2- المصنف فی الأحادیث والآثار المعروف بمصنف ابن أبی شیبة،عبد الله بن محمد بن إبراهیم أبی شیبة العبسی أبوبکر(ت ٢٣٥)، تحقیق محمد عوامة، دار القبلة - مؤسسة علوم القرآن، الریاض، ١٤٢٧ هـ -٢٠٠٦م،ج ٤، ص١٧٢

فأين هذا المعنى من أحاديث النبى عن الحسن بأنه صلى الله عليه و آله كان يحب ابنه الحسن عليه السلام،

وأن الحسن عليه السلام سيد شباب أهل الجنة، وأنه إمام قام أو قعد وغيرها؟ هل يتساوق معنى

كلمة مذواق وحديث النبى صلى الله عليه و آله عن المذواق مع ما يدعون أن علياً عليه السلام قاله بحق ولده؟

وأى ظلم هو ظلم ذوى القربى لتجد مثل هذه الروايات فى كتبنا المعتبرة؟

وأما صفة المطلاق فلا تقل سوء عن غيرها، إذ كيف يستقيم هذا المعنى مع أقوال

الرسول الأكرم فى الطلاق والمطلاق، وما من كتاب حديث من كتب المدرستين إلا

وتجد فيه أبواباً كثيرة لأحاديث كراهة الطلاق، وعلى سبيل المثال لا الحصر تجد البخارى

قد خص الطلاق فى صحيحه بكتاب ضم تسعة وتسعين حديثاً(1) وتجد فى فروع الكافى

كتاب الطلاق متضمناً عشرات الأبواب التى تضم عشرات الأحاديث، على مدى

الصفحات من ١٢١١ ولغاية ١٣٠٠، وهو عدد كبير من الصفحات التى تخصص

لموضوع واحد.(2) فكيف لا يلتفت الإمام الحسن عليه السلام إلى سنة جده وهو المسؤول عن

إيصالها إلى الناس، فيعمل بخلافها، فيتزوج ويطلق حباً للمتعة لا أكثر حتى قالوا

أن عدد زوجاته فاق التسعمائة؟ وكيف يعقل أن لا يلتفت علماؤنا إلى هذا التناقض

فيوردون مثل هذه الأحاديث التى تطعن بإمام معصوم؟

الغريب أنى وجدت فى البحار قصة أخرى فيها تأكيد آخر على صفة المطلاق،

وفيها: ((خطب الحسن بن على إلى عبد الرحمن بن الحارث ابنته، فأطرق عبد الرحمن ثم

رفع رأسه، فقال: والله ما على وجه الأرض من يمنى عليها أعز على منك، ولكن تعلم

أن ابنتى بضعة منى وأنت مطلاق، فأخاف أن تطلقها، و إن فعلت خشيت أن يتغير

1- ينظر: صحيح البخارى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ١٤٢٢ ٢٠٠١م، ص ٩٦٥_٩٨١

2- ينظر: فروع الكافى،ج٦، دار المرتضى،بيروت، ١٤٢٨ه_ ٢٠٠٧م

قلبى عليک لأنک بضعة من رسول الله، فإن شرطت أن لا نطلقها زوجتک! فسکت

الحسن وقام وخرج، فسمع منه يقول: ما أراد عبد الرحمن إلا أن يجعل ابنته طوقا فى

عنقى))(1)وفى هذه الرواية التى أوردها العلامة المجلسى اتهام صريح للإمام الحسن عليه السلام،

بل وإقرار خطى بأنه مطلاق! ولا أدرى على من نعتب، على السياسيين الذين حاربوا

الإمام الحسن عليه السلام ودسوا فى سيرته كل تلک الروايات، أم على محبيه الذين فاتهم مکر

السياسيين، فأخذوا بأقوالهم ورواياتهم دون امتحان!

وبسبب هذه الروايات السقيمة وغيرها وصلت الجرأة ببعض المدعين إلى أن

يدعوا: إن الإمام الحسن عليه السلام کان يطلق أربع نساء دفعة واحدة ويتزوج أربع نساء دفعة

واحدة، کما فى کتاب قوت القلوب لأبى طالب المکى: ((وکان الحسن ربما عقد له أربعة

وربما طلق أربعة))(2)

إن هذه الصفة التى تدل على الرغبة فى التذوق والتمتع هى من صفات السياسيين

والخلفاء الدنيويين، أخذها أتباعهم عنهم وألصقوها بسيرة الإمام الحسن عليه السلام تشويهاً

ودساً وتدليساً وکذباً، فقصة تطليق الأربع التى تخالف نصوص الشريعة أشتهر بها

السياسيون، ومنهم المغيرة بن شعبة الذى أقر قانون سب الإمام على عليه السلام فى الکوفة،

وشجع الناس عليه وعاقب من عصيه، حيث((کان للمغيرة بن شعبة أربع نساء، فأقامهن

بين يديه صفان وقال: انتن حسان الأخلاق ناعمات الأرداف طويلات الأعناق، اذهبن

فانتن طلاق))(3) أما مدرستنا الفقهية الشيعية التى أسسها على والحسن عليهم السلام من بعده

فلها مبان معروفة فى الطلاق عامة وطلاق صاحب الزوجات الأربع خاصة، وفى

1- بحارالأنوار، ج٤٤،ص ١٧١

2- قوت القلوب، أبى طالب المکى، ج١،ص ٢٤٦

3- سير أعلام النبلاء، الذهبى،ج ٣،ص٣١

الحديث عن جميل بن دراج، عن زرارة بن أعين، ومحمد بن مسلم، عن أبى عبد الله رضى الله عنه

قال: ((إذا جمع الرجل أربعاً؛ فطلق إحداهن، فلا يتزوج الخامسة حتى تنقضى عدة

المرأة التى طلق لا يجمع الرجل ماءه فى خمس))(1)

وعن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن على بن الحكم، عن على بن أبى حمزة،

قال: ((سألت أبا إبراهيم عليه السلام عن الرجل يكون له أربع نسوة فيطلق إحداهن أيتزوج

مكانها أخرى؟ قال: ال، تنقضى عدتها))(2)

طيب، إذا كانت القبائل كهمدان وغيرها تهتم كل هذا الاهتمام بمصاهرة رسول

الله صلىالله عليه و آله؛ فلماذا لم يعلنوا أسماء ذرية بناتهم اللواتى تزوجهن الإمام الحسن عليه السلام؟ لماذا بقى

أمر تلك الذرية سراً دفيناً، واكتفوا بعدة أسماء لا تتناسب مطلقاً مع عدد الزوجات

المزعوم؟!.

والأغرب أنهم جاءوا بهذا الزيف والبهتان وهم يعرفون قبل غيرهم أن الحسن عليه السلام

أقام فى الكوفة مع أبيه ثلاث سنين فقط قضاها بحروب امتدت من البصرة إلى الشام إلى

النهروان، فأين وجد الوقت لمثل هذا اللهو والعبث؟ ثم أيعقل أن يتقل الإمام المعصوم

على بن الحسين أو الإمام المعصوم جعفر بن محمد عليهم السلام هكذا رواية تجرح بعمهم

الحسن؟

إن قصص هذه الزيجات الخرافية وأساليب الطعن السياسية وجهان مهمان لعملة

واحدة؛ ولذا يجب مناقشتهما بعمق وعلمية لكى تتضح الصورة الحقيقية لحياة الإمام

1- فروع الكافى، ج 5،ص ١٠٦٨، باب الذى عنده أربع نسوة فيطلق واحدة ويتزوج قبل انقضاء عدتها، حديث رقم ١

2- فروع الكافى، ج 5،ص ١٠٦٨، باب الذى عنده أربع نسوة فيطلق واحدة ويتزوج قبل انقضاء عدتها، حديث رقم ٢

الحسن عليه السلام المجتمعية. أما قصص الزيجات فقد جاء عنها فى التعليقة الأولى من كتاب

الإمام الحسن القائد والاسوة للشيخ حسين سليمان قوله: ((لقد تحدث المؤرخون عن

زوجات الحسن عليه السلام وأكثروا ومال أكثرهم إلى المبالغة فى تعدادهن مبالغة لا تعتمد على

أساس معقول، فقال بعضهم أن عددهن يتراوح بين الستين والسبعين، وقال البعض

الآخر بأنه تزوج بأكثر من مائتين وخمسين امرأة وعلى قول آخر تسعمائة امرأة؛ وأن أباه

علياً عليه السلام كان يتضجر من ذلک، و وقف بعضهم منه موقفاً يتسم بالاعتدال والتجرد

فقال: بأن تعدد الزوجات كان شائعاً ومألوفاً بين المسلمين، ولم يكن أكثر زواجاً من

غيره، وقل من مات من أعيان المسلمين عن أقل من أربع زوجات، أما رواية السبعين

والتسعين وغيرها من الروايات التى تصفه بأنه مطلاق وأن والده كان يقول: لا تزوجوا

ولدى الحسن فإنه مطلاق فلا مصدر لها إلا المدائنى وأمثاله من الكذبة كما يبدو من

أسانيدها. والمدائنى والواقدى وغيرهما من المؤرخين القدامى قد كتبوا التاريخ فى ظل

الحكومات التى كانت تناهض أهل البيت عليهم السلام وتعمل بكل ما لديها من الوسائل على

تشويه واقعهم وانتقاما منهم، ولم يكن حكام الدولة العباسية بأقل سوءاً وتعصباً من

أسلافهم الأمويين، فقد شاركوهم فى وضع الأحاديث التى تسىء إلى العلويين، وكانوا

يحقدون على الحسنيين بصورة خاصة، لأن أكثر الثائرين على الظلم كانوا من أولاد

الحسن وأحفاده))(1)

إن المدائنى الذى تاجر بموضوع كثرة الزواج والطلاق، والذى قال كما ينقل عنه

1- ينظر: الإمام الحسن القائد والأسوة، للشيخ حسين سليمان سليمان، كتاب ألكترونى، مكتبة الحسن العقائدية، قم التعليقات، التعليقة الأولى. http://www.aqaed.com/ahlulbait/boooks/i-hassan-gh/indexs.htm

المعتزلى فى شرح نهج البلاغة: ((وكان الحسن كثير التزوج))(1) وقال مرة ثانية: ((أحصى زوجات الحسن بن على فكن سبعين امرأة))(2)لم يحص من هذه الكثرة المزعومة سوى (١٠) زوجات فقط، كما فى قوله: ((تزوج خولة بتت منظور بن ريان الفزارية.. وتزوج أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله.. وتزوج أم بشر بنت أبى مسعود الأنصارى.. وتزوج جعدة بنت الأشعث بن قيس.. وتزوج هند بنت عبد الرحمن بن ابى بكر.. وتزوج امرأة من كلب.. وتزوج امرأة من بنات عمار بن أهيم المنقرى.. وامرأة من ثقيف.. وامرأة من بنات علقمة بن زرارة.. وامرأة من بنى شيبان))(3) فأين هن باقى النسوة؟ ولماذا عجز عن ذكر اسماً واحداً آخر؟

1- شرح نهج البلاغه مجلد 4 ج 16 ص 8
2- شرح النهج
3- مصدر النفسه شرح النهج

الأصل التاريخى لروايات الزواج الخرافى

على ما يبدو، ومن دون شک، أن الذين ألصقوا تهمة كثرة الزواج والطلاق بالإمام

الحسن عليه السلام هم السياسيون كما أسلفنا، وعنهم أخذ بعض وليس كل المؤرخين قصصهم،

ونقلوها دونما فحص أو تمحيص كما فعل (أبو الحسن على بن عبد الله البصرى) المعروف

بالمدائنى، وهو من المعاصرين للحكم العباسى، ومن المتهمين بالكذب فى الحديث،

وصاحب رواية سبعين زوجة. وهو مع قوله ذاک لم يحص للإمام عليه السلام سوى عشر نساء

لا غير وعددهن بأسمائهن فى كتابه، فأين ذهب باقى النسوة؟ ولماذا لم يذكرهن؟

فضلا عن ذلک هناک (مؤمن بن حسن بن مؤمن الشبلنجى) الشافعى المصرى

وهو صاحب رواية التسعين زوجة وقد أوردها مرسلة فى كتابه (نور الأبصار فى مناقب

آل بيت النبى الأطهار)(1) ولم ينسبها لأحد، والشيخ (أبو طالب محمد بن على بن عطية

الحارثى) المكى صاحب كتاب (قوت القلوب فى معاملة المحبوب)(2) صاحب رواية

المائتين وخمسين زوجة، ورواية الثلاثمائة زوجة، وكذلک (جلال الدين السيوطى)(3)

صاحب رواية البعين زوجة وغيرهم. وعن هؤلاء أخذ المؤرخون والكتاب من

1- نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار صلى الله عليه و آله، الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجى الشافعى، الدار العالمية، بيروت

2- قوت القلوب فى معاملة المحبوب ووصف طريق الموید إلى مقام التوحيد، محمد بن على بن عطية الحارثى، أبو طالب المكى (المتولى: ٣٨٦) تحقيق الدكتور عاصم إبراهيم الكيالى، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤٢٦ - 2005م

3- تاريخ الخلفاء، السيوطى

المدرستين الفقهيتين تلك القصص، فأخذها عنهم المستشرقون، وذاعت بين الناس

فصدقوها!

أما المؤرخون الآخرون فقد خلت مؤلفاتهم من قصص الزواج ولم يرد فيها

ذكر، فلم يردها ابن قتيبة الدينورى ٢١٣- ٢٧٦ هـ، ولا محمد بن جرير الطبرى ٢٢٤-

٣١٠هـ، ولا أبو الفرج الآصبهانى ٢٨٤-356 هـ، ولا أحمد بن إسحاق اليعقوبى المتوفى

سنة ٢٩٢هـ، ولا على بن الحسين المسعودى ٣٤٦هـ، ولا على بن الكرم الشيبانى

المعروف بابن الآثير 555- ٦٣٠هـ، ولا أحمد بن حجر الهيتمى ٨٨٩- ٩٧٤هـ. لم يرد

أحد من هؤلاء المؤرخين ولو حديثاً واحدا عن خرافة الزواج، فمن أين جاءت؟ ولماذا

انتشرت بهذا الشكل الواسع؟ أليس هو الحقد الآعمى الذى دفع الخلف ليخلدوا

تفاهات السلف؟ ليأتى جلال الدين السيوطى المتوفى سن ٩١١هـ ليعلن هذه الخرافة

للملأ ويدعى بأن الحسن عليه السلام تزوج بعدد كبير من النساء خلال عمره القصير؟

وأما أساليب الطعن التى فضحت السر وبينت سبب وضع هذه القصص الخبيثة

فقد أورد الشيخ (حسين سليمان) بعضاً منها مثل: ولما قبض المنصور على عبد الله بن

الحسن والد الحسنيين الثائرين(1) على الظلم والجور خطب فى حشد كبير من الناس

ونال من على بن أبى طالب عليه السلام ومن الإمام الحسن عليه السلام وجميع الطالبين، وكان مما قاله:

إن ولد أبى طالب تركناهم والذى لا إله غيره والخلافة، ولم نتعرض لهم لا بقليل

ولا كثير، فقام فيها على بن أبى طالب فما أفلح وحكم الحكمين، فاختلفت عليه الأمة

وافترقت الكلمة، ثم وثب عليه شيعته وأنصاره وثقاته فقتلوه، وقام من بعده الحسن

بن على عليه السلام فو الله ما كان برجل، لقد عرضت عليه الأموال فقبلها، ودس إليه معاوية أنى

1- طبعا اولاد عبد الله هم الذين ثاروا وأخذ بجريرتهم، فهو لم يكن ثائراً

جاعلک ولی عهدی فخلعه وانسلخ له مما کان فیه وسلمه إلیه، وأقبل علی النساء یتزوج

الیوم واحدة ویطلق غداً أخری، فلم یزل کذلک حتی مات علی فراشه))(1)

المؤسف أن بعض الکتاب والمؤلفین من مدرستنا أخذوا هذه القصص علی علاتها

وعدوها بقضها وقضیضها من فضائل الإمام الحسن علیه السلام ومن مفاخره وباتوا یتناقلونها

حتی بدت من المسلمات التی لا شی فیها غیر مدرکین الأثر السیئ الذی تترکه علی

عقیدتنا وأئمتنا، وقد اعتبر الآخرون ذلک اعترافاً ضمنیاً بصحة روایات الزواج باعتبار

أننا اعترفنا بها وأوردناها فی مؤلفاتنا، ومن هؤلاء وهؤلاء أخذ المستشرقون تلک

الروایات ووظفوها للدس للإسلام ورسالته؛، وهو ما دفع أحد المستشرقین للقول:

((ویعترف الشیعة أنفسهم أنه کان للحسن ستون زوجة وعدد کبیر من السرایا أو اللواتی

تمتع بهن، وقد ذکر أن عددهن کان بین الثلاثمائة والتسعمائة))(2)

وفی ضوء ومضمون هذه الروایات وأمثالها کتب المستشرق (لامنس) عن

الحسن علیه السلام قائلاً: ((ویلوح أن الصفات الجوهریة التی کان یتصف بها الحسن هی المیل

إلی الشهوات والافتقار إلی النشاط والذکاء...ولما تجاوز الشباب وقد أنفق خیر سنی

شبابه فی الزواج والطلاق، فأحصی له حوالی المائة زیجة عداً، وألصقت به هذه الأخلاق

السائبة لقب المطلاق، و أوقعت علیاً فی خصومات عنیفة، وأثبت الحسن کذلک أنه

مبذر کثیر السرف فقد اختص کلا من زوجاته بمسکن ذی خدم وحشم وهکذا نری

کیف کان یبعثر المال أیام خلافة علی التی اشد علیها الفقر... ولم یکن الحسن علی وفاق

1- الإمام الحسن القائد والأسوة للشیخ حسین سلیمان سلیمان، کتاب ألکترونی، مکتبة الحسن العقائدیة: http://www.aqaed.com/ahlulbait/books/i-hassan-gh/indexs.htm

2- عقیدة الشیعة، رونلدسن، مصدر سابق، ص ۹۰

مع الحسين))(1)

ينضوى نص (لامنس) على تجن كبير وتطاول كثير قد يستغرب البعض صدوره عن مستشرق غربى؛ باعتبار أن المستشرقين محايدون كما هو معروف بين العامة، وقد آن للناس معرفة حقيقة المستشرقين؛ فالموضوعيون منهم قلة قليلة، أما الغالبية العظمى فهم أصحاب مشاريع تخريبية هدفها الأول محاربة الإسلام وتدمير تاريخه، ولنأخذ (لامنس) هذا أنموذجاً؛ ونقرأ ما قاله عنه (عبد الرحمن بدوى) فى (موسوعة المستشرقين)، قال الدكتور بدوى: ((مستشرق بلجيكى، وراهب يسوعى شديد التعصب ضد الإسلام، يفتقر افتقاراً تاماً إلى النزاهة فى البحث والأمانة فى نقل النصوص وفهمها ويعد نموذجاً سيئاً جداً للباحثين فى الإسلام من بين المستشرقين. ولد فى مدينة خنث (Gent) وبالفرنسية (Gand) فى بلجيكا فى أول يوليو سنة ١٨٦٢م. وجاء إلى بيروت فى صباه، وتعلم فى الكلية اليسوعية ببيروت. وبدأ حياة الرهبنة فى سنة ١٨٧٨ م، فأمضى المرحلة الأولى فى دير لليسوعيين فى قرية غزير (فى جبل لبنان)، طوال عامين. ثم قضى خمسة أعوام فى دراسة الخطابة واللغات. وفى ١٨٨٦ صار معلماً فى الكلية اليسوعية ببيروت. وسافر إلى انجلترة، وإلى لوفان. و وصل إلى فيينا فى ١٨٩٦م وعاد إلى بيروت ١٨٩٧م، حيث عين معلماً للتاريخ والجغرافية فى كلية اليسوعيين، ولما أسس (معهد الدروس الشرقية) ضمن كلية اليسوعيين فى ١٩٠٧م، صار فيه أستاذاً للتاريخ الإسلامى. ولما توفى لويس شيخو فى ١٩٢٧ م، خلفه لامنس على إدارة مجلة المشرق، وهى مجلة فصلية

1- دائرة المعارف الإسلامية، مجموعة مستشرقين، ج/ ٤٠١ ٤٠٢. تم إصدارها على طبعتين، الأولى بين ١٩١٣ و ١٩٣٨، والثانية ما بين ١٩٥٤ و ٢٠٠٥، ويتم إصدارها من قبل شركة بريل الهولندية. وقد ظهرت هذه الموسوعة بأكثر من لغة، أما بالنسبة للعربية فقد تم تعريب بعض أجزائها وتنقيحها وصدرت فى مصر فى الستينات وأعيد طبعها بالشارقة عام ١٩٩٨. ج ١ ، ص ٤٠١_ ٤٠٢

تصدر عن اليسوعيين فى بيروت. ولهم مجلة دينية شعبية تبشيرية أخرى تدعى (البشير)،

وقد تولى لامنس إدارتها مرتين قبل ذلك بزمان طويل: مرة فى ١٨٩٤م، ومرة أخرى

من ١٩٠٠م إلى ١٩٠٣م. وكان لامنس يكتب فى هاتين المجلتين مقالات كثيرة، يكتبها

بالفرنسية، ثم يتولى غيره ترجمتها إلى العربية، وتنشر باللغة العربية.

وتوفى لامنس فى ٢٣ أبريل ١٩٣٧م. وإنتاج لامنس يدور حول موضوعين

رئيسين: (أ) السيرة النبوية (ب) بداية الخلافة الأموية. وله إلى جانب ذلك كتب

ودراسات حول موضوعات متفرقة فى العقيدة الإسلامية وتاريخ سورية وآثارها))(1)

وجاء فى الموسوعة الحرة (ويكبيديا): ((هنرى لامنس اليسوعى (١٨٦٢-١٩٣٧)

من علماء الرهبان اليسوعيين، تخصص فى تاريخ الشرق الأدنى وحضارة أهله، وأتقن

اللغة العربية. ويعد من أشد المستشرقين تعصباً على الفكر العربى الإسلامى، وقد بالغ

فى التعصب على الإسلام حتى أعلن المنصفون شكهم فى أمانته العلمية وقالوا: إنه لا

ينسى عواطفه فيما يكتب عن النبى والإسلام، وقد عرف بتهكمه على النصوص العربية

كما وصف إرهاقه للنصوص وتحميلها أكثر مما تحتمل، فإذا وجد فى الإسلام موضعًا

للفضل ذهب بنسبته إلى مصدر غير إسلامى)) وكفى بهذين المصدرين فضحاً لدس

ودجل هذا المستشرق الذى تطاول على الإمام الحسن عليه السلام بسبب كرهه للإسلام(2)

ونتيجة تأثره بما نقله السياسيون المسلمون عن الإمام الحسن عليه السلام من مثالب

مصطنعة منحولة، فتناقلتها من بعدهم ألسن الكتاب والمؤرخين، فضلاً عن تأثره

بمن سبقه من المستشرقين ومنهم لامنس، استعار المستشرق (رونلدسن) من الأخير

1- ينظر: موسوعة المستشرقين، لدكتور عبد الرحمن بدوى، لامنس ١٩٩٢

2- الموسوعة الحرة ويكبيديا

قوله ((فإن الأخبار تدل على أن الحسن كانت تنقصه القوة المعنوية والشجاعة والضبط

النفسى، والقابلية العقلية لقيادة شعبه بنجاح))(1) استعار ذلک ليؤكد من خلاله أن

الحسن عليه السلام بسبب (شهوته) للنساء أهمل بناء جوانب شخصيته الأخر ومنها القيادية

والعلمية! واستناداً إلى دائرة المعارف نفسها، قال: ((وقد قدرت دائرة المعارف

الإسلامية شخصيته مختصراً بأن الشهوات النفسية ونقص النشاط والذكاء هما الصفتان

الأساسيتان لأخلاقه.... وقد قضى زهرة شبابه فى الزواج والطلاق حتى بلغ عدد من

تزوجهن المئة وسمى بالمطلاق))(2) وهو ما كان السياسيون العرب يبغونه من وراء تلک

القصص الخرافية التى نشروها بين الناس، ونسبوها إلى سيرة الإمام الحسن عليه السلام العطرة.

إن مجرد نجاح السياسيين بتحويل موضوعة الزواج من أمر اعتيادى فاش بينهم

يمارسونه بأعداد وأنواع وأجناس مختلفة، ومن طبع تطبع به المجتمع العربى فى جاهليته

أولا ثم فى عصور الفتح الإسلامى فى عشرينات القرن الهجرى الأول ثانياً، إنما يؤكد

أن السياسيين العرب الذين تسلطوا على مقاليد حكم الأمة إنما نجحوا فى مسعاهم

بفضل حنكتهم السياسية، وهم فى مثل هذه الحال قادرون على تلوين المعتقد الإسلامى

بالألوان التى يرغبونها ويدفعون الناس إلى التصديق والعمل بها وربما لهذا السبب نجد

هناک إلى اليوم من لا يرضى الانتقاص من أولئک السياسيين، أو أن يمتدح أحد ما

أعدائهم. وإلا لماذا يضخم السياسيون عدد زوجات الإمام فى وقت يملک كل واحد

منهم أضعاف عدد ما تزوج به الإمام؟ لماذا وافقتهم الأمة فعابت على الحسن عليه السلام كثرة

زيجاته المزعومة، فى الوقت الذى تمتدح فيه كثرة انتقاء الخلفاء والأمراء للإماء والجوارى

والقيان والغلمان، وتعدهم فحولاً و رجالاً فى غاية التميز؟

1- عقيدة الشيعة، دوايت م. رونلدسن، مؤسسة المفيد، بيروت، ١٩٩٠، ص ٨٩

2- عقيدة الشيعة، رونلدسن، ص٨٩

وهكذا تتضح الصورة، ويعرف السبب الذى دفعهم لاتهام الحسن عليه السلام بهذه التهمة

الفرية، فمن يبحث فى كتب التأريخ لا يجد مبرراً لاتهاماتهم الكاذبة إلا بهدف التسقيط

السياسى بكل ما تبيحه السياسة من كذب ودجل حتى من دون أن يحسبوا للإسلام

حساباً، بما يصيبه من أذى على يد الأعداء الذين يستخدمون تلك النقول لطعنه

وتوهينه، ولاسيما إن غالبية المستشرقين الذين أخذوا تلك الروايات هم من رجال

الديانات الأغر التى يتنافس معها الإسلام؛ وقد قال نجيب عقيقى: ((ظهر الاستشراق

أول ما ظهر بالرهبان، وقد اشتهر منهم (جربر) الراهب الفرنسى، قصد الأندلس طلباً

للعلم، ثم أرتحل إلى روما وانتخب حبر سنة ٩٩٩))(1)

1- المستشرقون، بحث فى الاستشراق لدى جميع الأمم، نجيب عقيقى، دار المعارف، مصر، (د.ت) ص ١٩

مع الكثرة يسوء الاختيار

يبدو مما ورد فى الكتاب العزيز من آيات بينات أن هناك مفاضلة بين الثيبات والأبكار

من النساء، حيث يقدم الخطاب القرآنى الأبكار على الثيبات كما فى قوله تعالى: (لم يطمثهن إنس قبلهم و لا جان)(1) وهى الآية التى قال صاحب تفسير (الميزان) المرحوم

محمد حسين الطباطبائى فى معناها: ((الطمث الافتضاض والنكاح بالتدمية، والمعنى:

لم يمسسهن بالنكاح إنس ولا جان قبل أزواجهن))(2) وقال القرطبى فى معناها: ((أى

لم يمسسهن على ما تقدم قبل))(3) وقال ابن كثر: ((لم يطمثهن إنس قبلهم و لا جان)):

أى بل هن أبكار عرب أتراب لم يطأهن أحد قبل أزواجهن من الإنس والجن))(4) وقال

الطبرى: ((يقول تعالى ذكره: لم يمسهن بنكاح فيدميهن إنس قبلهم ولا جان))(5)

ولغة، قال الراغب الأصفهانى فى شرح معنى الطمث: ((الطمث: دم الحيض

والافتضاض، والطامث: الحائض، وطمث المرأة: إذا أفتضها، ومنه استعير: ما طمث

هذه الروضة أحد قبلنا، وما طمث الناقة حبل))(6)

معنى هذا أن المؤمنين موعودون فى الجنة بنساء شابات جميلات أبكار، وهو ما كانت

1- الرحمن،الآية ٧٤

2- الميزان، تفسير سورة الرحمن، الآية ٧٤

3- تفسير القرطبى، سورة الرحمن، الآية ٧٤

4- تفسير ابن كثير، سورة الرحمن

5- تفسير الطبرى، سورة الرحمن

6- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب، ص ٥٢٤

تشتهيه أنفسهم فى الدنيا، فهم فى حياتهم كانوا يفضلون الأبكار على الثيبات، ولكنهم

لا يهملون الثيب، فإذا عز عليهم وجود البكر يلجأون إليهن. وفى البخارى وغيره

تمنى النبى صلى الله عليه و آله على جابر عندما تزوج ثيباً لو كانت زوجته بكراً يداعبها وتداعبه، قال:

((حدثنا أبو النعمان حدثنا هشيم حدثنا سيار عن الشعبى عن جابر بن عبد الله قال: قفلنا

مع النبى صلى الله عليه و آله من غزوة فتعجلت على بعير لى قطوف فلحقنى راكب من خلفى فنخس

بعيرى بعنزة كانت معه، فانطلق بعيرى كأجود ما أنت راء من الإبل فإذا النبى صلى الله عليه و آله،

فقال: ما يعجلك؟ قلت: كنت حديث عهد بعرس. قال: أبكراً أم ثيباً؟ قلت: ثيباً قال:

فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟ قال: فلما ذهبنا لندخل؛ قال: أمهلوا حتى تدخلوا ليلاً،

أى: عشاء لكى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة))(1) وفى الحاشية رقم: ١ قال ابن حجر فى

الشرح: ((قوله (فهلا جارية) أى فهلا تزوجت؟ وفى رواية يعقوب الدورقى عن هشام

بإسناد حديث الباب: (هلا بكراً) وهو معنى رواية محارب المذكورة فى الباب بلفظ

(العذارى) وهو جمع عذراء بالمد))(2)

لكن تقديم الخطاب القرآنى الثيبات على الأبكار فى قوله تعالى: (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمت مومنت قنتت تئبت عبدت سئحت ثيبت و أبكاراً) أشكل على البعض مما دفع المفسرين للجوء إلى التعليل والتأويل، فقالوا:

((هناك من قال: قدم الثيب لان خديجة وهى أولى زوجاته صلى الله عليه و آله كانت كذلك أو لأن الثيب

أكثر نضجاً... وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن الخطاب كان موجهاً لزوجات النبى صلى الله عليه و آله،

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى، أحمد بن على بن حجر العسقلانى، دارالريان للتراث،

سنة النشر: ١٤٠٧ / ١٩٨٦ م، باب تزوج الثيبات، حديث ٤٧٩١

1- فتح البارى باب تزويج الثيبات، حديث ٤٧٩١

2- سورة التحريم، الآية 5

يصبح المعنى: أن يبدله أزواجاً خيراً منكن، ثيبات (مثلكن) وأبكارا الخلاصة: التقديم

لا يعنى دائماً تفضيل المقدم على المقدم عليه))(1) وقال آخرون: ((قد يقال فى الآية انتقال

من الأدنى إلى الأعلى، كأنه قال يبدله ثيبات مثلكن وأبكاراً، وهذا كما تقول إن لم تشتره

بدرهم فغيرك يشتريه بدرهم وبدرهمين، وكذلك الانتقال من الأدنى إلى الأعلى مناسب

فى الإبدال بمن هو خير فى صفة مخصوصة مذكورة كما هو ظاهر، بخلاف ما لو قدم

الأعلى وختم بالأدنى المقارب للمبدل منه فهذا لايشعر بالخيرية كسابقه. وهذا الانتقال

فى ختام صفاتهن مناسب لما بدأ به فى أولها من انتقال فقال: مسلمات مؤمنات))(2) وقال

الشنقيطى: ((وفى تقديم الثيبات على الأبكار هنا فى معرض التخيير ما يشعر بأولويتهن،

مع أن الحديث:((هلا بكراً تداعبك وتداعبها))، ونساء الجنة لم طمثهن إنس قبلهم ولا

جان، ففيه أولوية الأبكار، وقد أجاب المفسرون بأن هذا للتنويع فقط، وأن الثيبات فى

الدنيا والأبكار فى الجنة كمريم ابنة عمران، والذى يظهر والله تعالى أعلم، أنه لما كان فى

مقام الانتصار لرسول الله صلى الله عليه و آله وتنبيههن على ما يليق بمقامه عندهن ذكر من الصفات

العالية ديناً وخلقاً، وقدم الثيبات، ليبين أن الخيرية فيهن بحسب العشرة ومحاسن

الأخلاق))(3) ولم يقل الطبرى بشأنها أكثر من: ((ثيبات: وهن اللواتى قد افترعن وذهبت

عذرتهن وأبكاراً وهن اللواتى لم يجامعن، ولم يفترعن))(4)ولم يقل القرطبى أكثر من:

((أى منهن ثيب ومنهن بكر. وقيل: إنما سميت الثيب ثيباً لأنها راجعة إلى زوجها إن أقام

1- الجمعية الدولية للمترجمين و اللغويين العرب الرابط: http://www.wata.cc/forums/showthead.php?68237 -

2- شبكة (الربانين) العلمية الرابط: http://www.alrabanyon.com/vb/showthead.php?t=8474

3- أضواء البيان فى أيضاح القرآن محمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكى الشنقيطى دارالفكر :هـ_ 1415/م 1995

4- تفسير الطبرى سورة التحريم الآية 5

معها، أو إلى غيره إن فارقها. وقيل: لأنها ثابت إلى بيت أبويها. وهذا أصح، لأنه ليس كل ثيب تعود إلى زوج. وأما البكر فهى العذراء، سميت بكراً لأنها على أول حالتها التى خلقت بها. وقال الكلبى: أراد بالثيب مثل آسية امرأة فرعون، وبالبكر مثل مريم ابنة عمران. قلت: وهذا إنما يمشى على قول من قال: إن التبديل وعد من الله لنبيه لو طلقهن فى الدنيا زوجه فى الآخرةخيراً منهن))(1)

أردت مما تقدم الوصول إلى محصلتين:

الأولى: أن الكثرة التى يتهمون الإمام الحسن عليه السلام بها دفعته بالتأكيد إلى عدم التوقى فى الاختيار؛ لأنه من غير المعقول أن تكون زيجاته وهى بتلك الكثرة التى يصفونها قد حدثت مع أبكار فقط، بل كان الغالب عليها الزواج بالثيبات، لأنهن أقرب منالاً و أيسر تحصيلا، وفى مثل حال الإمام الحسن عليه السلام التى يقولون عنها أنه كان يتزوج بالساعات لا بالأيام، لا يمكن أن يحصل على البكر إلا بشق الأنفس وقد يتأخر كثيراً بسبب البحث عن بكر. وبالتالى يريدون القول أنه عليه السلام كان يتزوج لمجرد المتعة المؤقتة بحيث لا يفرق بين البكر والثيب، وهذا برأيهم مما يعيبه وينتقص منه. ومن ثم الإدعاء بأن الكثرة نفسها هى التى أوقعته فى زيجات غريبة وهو ما يظهره حديث المؤرخين عن زيجات الإمام الحسن عليه السلام الذى فاق كل حديث عن كل سيرته ومنجزه الفكرى والعقدى والإنسانى والجهادى والإصلاحى.

الثانية: أن حب نسائه له، هذا إذا ما كان حديثهم عن الحب صحيحاً، لا يأتى من كونه الحسن بن على عليه السلام ربيب البيت النبوى الأشرف؛ وإنما لأنه كان كريماً معهن بلا حدود. وهى نقطة جديرة بالتفنيد والتكذيب لأنهم جاءوا بها ليدعموا تهمتهم له بأنه كان مبذراً كبيراً.

1- تفسير القرطبى للآية

حب نسائه له

ولكى تصبح تلك القصص مقنعة جاءوا بقصة ساندة لها تتحدث عن تعلق نسائه

به بالرغم من كونهن لا يقضين معه إلا أياماً معدودات، بل ساعات لا أكثر، ففى

تاريخ السيوطى تقول رواية عجيبة: ((وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن حسن قال:

كان حسن رجلا كثير نكاح النساء، وكن قلما يحظين عنده، وكان قل امرأة تزوجها إلا

أحبته وصبت إليه))(1) ونقل ابن كثير مثلها ولكن عن على بن الحسين عليه السلام هذه المرة،قال:

((قال الواقدى: حدثنى على بن عمر، عن أبيه، عن على بن الحسين قال: كان الحسن بن

على مطلاقاً للنساء، وكان لا يفارق امرأة إلا وهى تحبه))(2) وقال ابن كثير أيضاً: ((قال

الواقدى: حدثنى عبد الله بن جعفر عن عبد الله بن حسن قال: كان الحسن بن على كثير

نكاح النساء، وكان قل ما يحظين عنده، وكان قل امرأة يتزوجها إلا أحبته وصبت به))(3)

ثم نقل السيوطى هذه الحكاية الخرافية مضيفاً إليها جملة(و أحصن تسعين امرأة) بقوله:

وأخرج ابن سعد عن على بن الحسين، قال: كان الحسن مطلاقاً للنساء وكان لا يفارق

امرأة إلا وهى تحبه، وأحصن تسعين امرأة))(4)

ولكنهم كثيراً ما كانوا يتسوق ما يخلقونه من حديث خرافة عن قصص زواج

1- تاريخ السيوطى ص 191

2- البداية و النهاية ج 8 ابن كثير ص 198

3- البداية و النهاية ج 8 ص 208

4- تاريخ السيوطى ص 191

الإمام عليه السلام، فيأتون بالمتناقض من دون أن يشعروا بذلک، فکم من روایة بینوا من خلالها

أن مطلقات الحسن علیه السلام لم یکن یحببنه کما ادعوا من قبل، ومنها فی الأقل روایة أخرجها

ابن سعد فی طبقاته، وأخری أوردها المعتزلی فی شرح النهج فی حدیثهما عن زواج الإمام

الحسن علیه السلام بهند بنت سهیل بن عمرو(1) قالوا: إنها کانت متزوجة من عبد الرحمن

بن عتاب بن أسید(2) فطلقها، فتزوجها عبد الله بن عامر بن کریز فطلقها، وتزوجها

الحسن من بعده فطلقها، وروی أبو الحسن المدائنی أنها: ((کانت تقول: سیدهم الحسن،

و أسخاهم ابن عامر، وأحبهم إلی عبد الرحمن بن عتاب))(3)

بمعنی أنها لم تقل: إن الحسن أحبهم إلی نفسها؛ لیتأکد صحة ادعائهم؛ بل فضلت

عبد الرحمن علیه فی العشق، وقالت: (وأحبهم إفی عبد الرحمن بن عتاب) فکیف تستقیم

الأمور؟!

1- سهیل بنعمرو هذا هوالمفارض القرشی الصلب القاسی یوم صلح الحدیبیه

2- أبو عبد الرحمن هذا هو : عتاب بن أسید الذی عینه النبی صلی الله علیه و آله والیا علی مکة یوم أفتتحها و وصله خبر مسیر هوازن لملاقته فخرج من مکة متوجهاً إلیهم.

3- شرح نهج البلاغه مجلد 4 ؛ج 16 ؛ص 5 و أخرجها ابن سعد فی طبقاته؛ الطبقة الخامسة من الصحابة ج 1 ص 303

معرفة دقائق الأمور

لم يقتصر حديث السياسيين وأتباعهم عن كثرة الزواج والطلاق فحسب، بل تشعب

نزولاً إلى دقائق الأحداث، ودقيق علاقته بزوجاته، فمن حديث عن خولة الفزارية التى

نام معها على سطح المنزل غير المستور والتى ادعوا أنها ربطت خمارها برجله خشية أن يقوم

من وسن فيسقط، إلى حديث عن هند بنت جندل بن سهيل بن عمرو التى تسابق للفوز

بها مع يزيد بن معاوية بالرغم من كونها كانت متزوجة بعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد،

ثم بعبد الله بن عامر بن كريز من بعده، وهى التى طلقها الأخير بخدعة من معاوية الذى

أرسل أبا هريرة ليخطبها لابنه يزيد، فزعموا أن الحسن عليه السلام لقيه على الطريق، وسأله:

أين تريد؟ فقال: أخطب هنداً ليزيد بن معاوية! فقال له: فاذكرنى عندها، فاختارته

وتزوجت به(1)

1- شرح النهج ؛م 4؛ ج16 ؛ص5 ؛هنا أور لفت نظركم الكريم إلى واحدة من القصص الخرافية التاريخية الشائعة و هى قصة أرينب بنت إسحاق زوجة عبد الله بن سلام ؛و مخلصها أن يزيد بن معاوية عشقها فأمره أبوه بكتمان أمره ؛ثم أرسل بلى زوجها؛ و كان قد استعمله على العراق ؛ أن اقدم الأمر حظك فيه الكامل؛ فقدم و طلب معاوية من أبى هريرة و أبى الدرداء أن يخبراه أنه يريد أن ينكحها ابنته؛ و أنه كان قد وعدها أن يجعل لها فى نفسها شورى. و كان معاوية قد أوصاها أن تظهر رغبتها فى هذا الامر و أنه لا يمنعها منه إلا أن تحت أرينب؛ و لنها لا تتزوجه إلا إذا فارقها ؛فأخبره الرجلان بذلک ففرح و اشهدهما على الطلاق زوجته؛ و لكن أرينب رفضت الزواج به بحجة أنها وجدته غير ملائم. فلما انقضت عدة أرينب وجه معاوية أبا الدرداء أن يلقاه؛ فاخبره بما وجهه به معاوية ؛ فطلب منه الحسين أن يخطب عليه و على يزيد ؛و لتختر من اختاره الله لها؛ و أن يعطيها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابيه؛ ففعل أبو الدرداء ذلک. و طلب منها أن تختار ؛فاستشارته بذلک فاختار لها الحسين ؛فتزوجها؛و ساق أليها مهراً عظيماً.و يستحيل عقلاً أن تتطابقهذه القصص الخرافية مع قصة الامام الحسن عليه السلام مع هند بنت جندل بما يؤكد و يثبت أنهما من وضع السياسيين جاءوا بهما لتشويه سيرة الحسن و الحسين عليهم السلام.

إلى حديث عن عائشة الخثعمية التى شمتت بموت على عليه السلام فطلقها الحسن ثم نسى شماتتها وبكى بعد أن وصله قولها: (متاع قليل من حبيب مفارق) كما زعموا، إلى حديث عن الزواج بامرأة شيبانية من الخوارج، ثم طلقها وقال: ((إنى اكره أن أضم إلى نحرى جمرة من جمر جهنم)). إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندى التى تقول الأخبار إنه كان يعلم أنها سوف تسقيه سماً يموت بسببه. إلى حديث عن حفصة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر التى تزوجها بالرغم من علمه أن المنذر بن الزبير كان يهواها، والتى طلقها بعد أن أخره المنذر بحديث سوء ملفق عنها. وعن حفصة هذه سأورد روايتين مهمتين:

الرواية الأولى: ذكرها ابن سعد فى طبقاته بخصوص حفصة بنت عبد الرحمن،

لكى نفضح تلك السياسة الرعناء التى انتهجها أعداء أهل البيت عليهم السلام والتى وصل شرارها حتى إلى بعض من يحبونهم ويقدسونهم فأجج النار فى ثيابهم؛ وقصة حفصة التى أوردها ابن سعد فى الطبقات جاءت بأسلوب آخر أراد من خلاله القول: إن عين الحسن ما كانت تشبع من رؤية النساء الجميلات فهو مع زواجه بتسعمائة زوجة كما يدعون كان يعشق حتى مطلقاته المحصنات ذوات الأزواج، وكان يتحين الفرص ويتحايل على الناس لرؤيتهن والحديث معهن ومغازلتهن أيضا، فيا لعار امة تستهين بابن نتت نبيها بذا الشكل المهين، ويا لعار التاريخ الذى ينقل مثل هذه الروايات الحقيرة.

تقول رواية ابن سعد: ((عن سحيم بن حفص الأنصارى، عن عيسى بن أبى هارون

المزنى، قال: تزوج الحسن بن على حفصة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر(1) وكان المنذر بن

الزبير هويها، فأبلغ الحسن عنها فطلقها الحسن، فخطبها المنذر فأبت أن تتزوجه، وقال:

شهرنى. فخطبها عاصم بن عمر بن الخطاب، فتزوجها، فرقى إليه المنذر أيضا شيئا

فطلقها، ثم خطبها المنذر فقيل لها: تزوجيه فيعلم الناس أنه كان يعضهک، فتزوجته،

فعلم الناس أنه كذب عليها))

وإلى هنا تبدو القصة بالرغم من غرابتها وتفاهتها مقبولة نوعا ما كقصة من نسج

الخيال الجامح؛ باعتبارأن الطلاق والزواج كان ميسوراً للجمع، وقدترک مطلقة

فلا تخطب، ولكنهم أبوا أن يقفوا عند هذا الحد، فأوغلوا فى الحقد، فجاءوا بشىء إدّ،

وهو قولهم بأن طليقها الحسن اتفق مع طليقها الآخر عاصم وذهبا للتحدث معها بإذن

زوجها، وأنها بادلت عاصم نظرات الإعجاب والعشق أمام زوجها، وأهملت الحسن

الذى كان يهواها بالرغم من كونها متزوجة؛ فلم تحدثه، ولم تنظر إليه، فأغضبه ذلک

بسبب الغيرة: يقول هذا القسم من الرواية: فقال الحسن لعاصم بن عمر: انطلق

بنا حتى نستأذن المنذر فندخل عليها، فدخلا، فكانت إلى عاصم أكثر نظراً منها على

الحسن، وكانت إليه ابسط فى الحديث، فقال الحسن للمنذر: خذ بيدها فأخذ بيدها،

وقام الحسن وعاصم فخرجا. وكان الحسن عليه السلام يهواها وإنما طلقها لما رقا إليه المنذرا))

والرواية فى هنا المقطع تدعى بأن الحسن عليه السلام كان لما يزل يحبها ويعشقها بالرغم من

كونها صاحبة بعل وفى عصمة رجل.!

ومع كل هذا التطاول والقبح لم يسكتوا ولم يتوقفوا بل جاءوا باتهام آخر أشد

1- لاحظ هنا ان حفصه هذه هى حفيده الخليفه ابى بكر و عمها محمد ابن ابى بكر صاحب امير المومنين على. وعمتها عائشه زوجة النبى. و مع ذلک لا يتحرجون عن الحديث عنها بهذا الشكل المهين و كأنها بغى من بغايا التاريخ كل ذلک لكى يطعنوا باالامام الحسن

عليه السلام

وأقسى من سابقه، حيث نسبوا إلى الإمام الحسن أنه بسبب عشقه لها وميله إليها؛ ما كان يصبر على فراقها؛ فكان يصطحب ابن أخيها إلى بيتها لكى يغازلها عسى أن تلين عريكتها وتطاوعه على المنكر، أو تطلب الطلاق من زوجها لتعود له! فقالوا: فقال الحسن يوما لابن عتيق وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن، وحفصة عمته: هل لک فى العقيق؟(1) قال: نعم، فخرجا فمرا على منزل حفصة، فدخل إليها الحسن فتحدثا طويلا ثم خرج. ثم قال الحسن مرة أخرى لابن ابى عتيق: هل لک فى العقيق؟ فقال: يا ابن أم، ألا تقول: هل لک فى حفصة؟))(2) أى أن لعبة الحسن لم تنطلى على ابن عتيق.!

الرواية الثانية: أوردها الشيخ موسى محمد على فى كتابه (حليم آل البيت الحسن بن على) عن عائشة الخثعمية التى قالوا أن الحسن عليه السلام كان يعشقها بجنون، ولكن بسبب شماتتها بموت الإمام على طلقها ثلاثا بجلسة واحدة وندم ندماً شديداً، لأنه لا يتمكن من إرجاعها إلا بعد أن تتزوج شخصا غيره! وبالتأكيد هناک عشرات الأسباب التى دعتهم إلى اتهام الحسن بهذه التهمة السمجة، ولقد وجدت أن بعضهم أراد من وراء هذه التهمة فضلا عن الإساءة إلى الإمام الحسن، تمرير قاعدة فقهية استنبطها علماؤهم، واختلفوا بشأنها فيما بينهم؛ تماما مثل القواعد الفقهية التى مرورها بواسطة حديث ((ابنى هذا سيد)).

وكما هم مختلفون بشأن هذه القاعدة، نختلف نحن معهم كذلک بشأنها، وأقصد بها قاعدة الطلاق بالثلاث اختلافا كليا، فالمعروف أن المذهب الشيعى الذى أخذ قوانين وأسس تعبده من أهل البيت الأئمة المعصومين عليهم السلام لا يعمل بقاعدة (الطلقات الثلاث فى جلسة واحدة أو بلفظ واحد) كأن يقول لها: طلقتک ثلاثا، أو أنت طالق

1- العقيق أحد و ديان المدينة كان بيت حفصة قريبا منه

2- طبقات ابن سعد. الطبقة الخامسة من الصحابة. ج1. ص307

بالثلاث؛ وإن حدثت يعدها طلقة واحدة، ولنا فى ذلک مباحث كثيرة، ولكنهم أغفلوها

وجاءوا بقصة تظهر الإمام الحسن عليه السلام وكأنه لم يكن يعرف هذه القاعدة، أو أن القاعدة

جاءت بعد موته؛ فهى مستحدثة مبتدعة مردودة بزعمهم! وقد قالوا فى هذه القصة

التى ربطوها بموضع كثرة زواج الحسن عليه السلام: ((وكانت عائشة الخثعمية عنده، فلما

قتل على، قالت له: لتهنک الخلافة، فقال: لقتل على تظهرين الشماتة؟ اذهبى فأنت

طالق ثلاثا، فتلفعت بثيابها وقعدت حتى انقضت عدتها فبعث إليها ببقية بقيت لها من

صداقها وعشرة آلاف صدقة، فلما جاءها الرسول قالت: متاع قليل من حبيب مفارق،

فلما بلغه قولها بكى ثم قال: لولا أنى سمعت جدى، أو قال: لولا أن أبى حدثنى أنه

سمع جدى يقول: أيما رجل طلق امرأته ثلاثاً عند الإقراء أو ثلاثة مبهمة لم تحل له

حتى تنكح زوجاً غيره لراجعتها))(1)

إن فقه المدرسة الشيعية مستقى ومأخوذ عن طريق أهل البيت عليهم السلام! وفق قاعدة

سلسلة السند الذهبية، ومن يؤمن بمثل هذه الأقوال يقطع السلسلة، وهو ما كان يسعى

إليه السياسيون فى حراكهم كله.

وإتماما للفائدة أقول: إن رفض العمل بقاعدة التطليق بالثلاث لا تنفرد به مدرستنا؛

فالمدارس الإسلامية الأخر اختلفت قيام بينها بشأنه، فقال الشافعى وأبو ثور وابن حزم

وجماعة من أهل الظاهر بمشروعيته وجوازه، مستدلين بقوله تعالى:((وللمطلقات نتاع بالمعروف)) وقوله:((لاجناح عليكم ان طلقتم النساء)) باعتبار أنه لم يقيد الطلاق فيهما

بعدد معين فيصح أن يكون واحدة أو اثنتين أو ثلاثا.

وقال جمهور الفقهاء: أنه غير مشروع، مستدلين بقوله تعالى: ((الطلاق مرّتان)) أى

1- ينظر: حليم آل البيت الحسن بن على. الشيخ موسى محمد على. ص82-83

مرة بعد مرة، لا فی تکرار القول، وإنما فی أصل العمل وفق الشروط الشرعیة، ولا من

خلال التلاعب باللفظ، واستشهدوا بما رواه محمود بن لبید: أن رسول الله صلی الله علیه واله أخبر عن

رجل طلق امرأته ثلاث تطلیقات جمیعا، فقام صلی الله علیه واله ! غضبان، فقال: ((أیلعب بکتاب الله

عز وجل وأنا بین أظهرکم؟)) (1)

وقال جمهور الشیعة الامامیة وبعض أهل الظاهر وأبو عبیدة: لا یقع به شیء(2)

وفی مسلم أن ابن عباس قال: ((کان الطلاق علی عهد رسول الله و ابی بکر وسنتین

من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر: إن الناس قد استعجلوا فی أمر کان

لهم فیه أناة، فلو أمضیناه علیهم، فأمضاه علیهم))(3)

وقال ابن قیم الجوزیة: ((وکل صحابی من لدن خلافة الصدیق إلی ثلاث سنین من

خلافة عمر کان علی أن الثلاث بواحدة... ولهذا ادعی بعض أهل العلم أن هذا إجماع

قدیم.. بل لم یزل فیها من یفتی به قرنا بعد قرن إلی یومنا هذا))(4)

وروی أحمد عن ابن عباس أنه قال: ((طلق رکانة بن عبد یزید امرأته ثلاثاً فی مجلس

واحد فحزن علیها حزنا شدیداً سأله رسول الله صلی الله علیه واله !: کیف طلقتها؟ قال: طلقتها ثلاثا،

قال: فی مجلس واحد؟ قال: نعم، قال: فإنما تلک واحدة؛ فأرجعها إن شئت، قال:

فرجعتها))(5)

فهل یعقل ان یأخذ الحسن علیه السلام بامبتدع من الاحکام و الاقوال و یترک سنة رسول

1- ینظر: الفرقه بین الزوجین و ما یتعلق بها من عدة و نسب. علی حسب الله. ص 30

2- المصدر نفسه. ص35

3- المصدر نفسه. ص34

4- المصدر نفسه. ص39-40

5- المصدر نفسه. ص40

الله صلى الله عليه وآله ! الصحيحة، أم أنه كان يجهل حدود الشريعة ولا يعرف الأحكام لكى يوقع نفسه وهما فى مثل هذا الحرج؟

فضلاً عن ذلک ورد ى الرواية أيضا قولهم: ((فتلفعت بثيابها وقعدت حتى انقضت عدتها) أى أنها بقيت معه فى البيت، وهذا مخالف لأحكام الشريعة، لأن هناک فى الفقه قواعد للمعتدة، تختلف فى المعتدة من طلاق رجعى عنها فى المعتدة من طلاق بائن، عن المعتدة من وفاة. والمعتدة من طلاق رجعى هى وحدها التى مجوز شرعا أن يبقيها الرجل فى بيت الزوجية، أما المعتدة من طلاق بائن، فقال بعضهم: لا سكنى لها ولا نفقة ولو كانت حاملاً. فكيف تكون زوجته بائنا، ويبقيها فى بيت الزوجية؟

إن قصص الزواج التى أوجدها السياسيون كانت إحدى أدوات الحرب الإعلامية ضد الإمام الحسن.، ولقد نجحت فى تشويه حقائق التاريخ؛ وأظهرت وجها لا يمكن أن يوصف به ابن رسول الله وشبيهه وسيد شباب أهل الجنة والمعصوم، وبالرغم من سوئها وضعفها ومخالفة مضامينها لمنهج الإمامة المعصومة، مع كل تلک الدسائس نجحت للأسف بالتسلل إلى عقول الناس؛ بما فيهم بعض رجال مدرستنا حتى حازت رضاهم. ومن خلال متابعتى للكتب القديمة والحديثة التى تناولت قصص زواج الإمام الحسن عليه السلام لم أعثر عند أى واحد منهم على ما ثثبت صحة تلک الروايات، ولاسيما وأنهم جميعاً عجزوا عن تعداد أكثر من سبع عشرة زوجة، فهل يعقل أنهم لم يتذكروا سوى أسماء هؤلاء النسوة فقط، ولماذا لم يتمكنوا من ذكر أكثر من هذا العدد حتى ولوبقليل، علماً أن هناک من أحصى تسعا أو عشر زوجات فقط. وبالمناسبة وجدت الحديث عن سبع عشرة زوجة قد ورد ضمن كتاب من كتب مدرستنا يتحدث عن زوجات الأئمة

المعصومين عليهم السلام وليس فى كتب المدارس الأخر وتلك من المفارقات الغريبة(1)

خلاصة ما أريد قوله: يطالبنا بعضهم أحيانا بأن ننسى مصائب التاريخ وأحزانه

وأوجاعه ومآسيه وننشغل بالحاضر، وتلك وربى مصيبة ما دونها مصيبة؛ لأن كل ما

نعيشه اليوم فى حاضرنا المفعم بالمنغصات وثقافة الكراهية والإقصاء، إنما هو وليد حقب

التاريخ. ومن لا يفهم تاريخه لا يمكن أن يفهم حاضره، فالماضى ركيزة الحاضر وأساسه،

خذ مثلا العداء الفاشى بين بعض المسلمين المتطرفين والفكر الشيعى الذى وصل الى

درجة تكفير الشيعة وإخراجهم من ملة الإسلام، وابحث عن أسبابه ستجدها جميعها

سباباً سياسية مصبوغة بصبغة دينية مليئة بإسقاطات الماضى والنزاعات التى دارت

فيه، ولا تجد سبباً سياسيا أو دينيا من مواليد الأيام الحاضرة، وإن صدف عثورك على

ما يبدو جديداً، فلا تنخدع به لأنك سوف تفاجأ بروابطه الروحية والعقدية والسياسية

مع الماضى.

إن دراسة الماضى بعقلية الحاضر تعد بنجاح ما كان أسلافنا قادرين عليه ولا

يتمكنون من الوصول إليه، ولنأخذ مثلا تلك التهم العظيمة التى اتهموا بها الإمام

الحسن عليه السلام، ولاسيما منها تهمة المزواج المطلاق النزق؛ ونحللها بعقلية إنسان القرن

الحادى والعشرين، ماذا سنجد فيها؟

ولد الإمام الحسن عليه السلام فى السنة الثالثة للهجرة وأصبح مستعدا للزواج فى سن

الرابعة عشر وهى مرحلة الاحتلام، فماذا واجهه فى هذه المرحلة؟ أولا: مات جده

النبى صلى الله عليه واله فترك عنده فراغا لا يمكن أن يشغله احد من الناس، ثم بعد ثلاثة أشهر ماتت

1- ينظر، كتاب زوجات الأئمة المعصومين،الشيخ ماجد ناصر الزبيدى، دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٤٢٨ ٧ ..٢م، ص ٩٩-١٣٤.

أمه الزهراء عليها السلام فجددت أحزانه، وخلالها أغتصب حق أبيه بالخلافة، فانعزل عن

المجتمع وجلس يجمع القرآن ويكتب له الشروح، ثم لما بغ السادسة عشر بعد سنتين

و أشهر تجددت الأحزان بعد أن نص الخليفة أبو بكر على عمر ليكون خليفة من بعده،

وفى هذه المرحلة كان مثل والده بعيداً عن الأحداث، حتى انه لم يثبت اشراكه فى الفتوح

ولا توجد إشارة إلى ذلك. وبقيت الحال على ما هى عليه حتى بلغ الخامسة والعشرين

من العمر، فإن كان قد تزوج فى هذه المراحل، وهذا ما حدث بالفعل، ولاسيما وأن

والده زوج أخاه الحسين عليه السلام بابنة كسرى فى أواخر خلافة عمر، وبما انه الابن الأكبر

فمن المؤكد انه كان متزوجا، ولكن من غير المتوقع أن يكون زواجاً مقرطاً بالمرة، لأنه

لا يتناسب مع الظرفين الزمانى والمكانى للإمام ولا الحالة النفسية التى كان عليها. وفى

السابعة والعشرين من عمرة أصيب بانتكاسة أخرى يوم خذل أصحاب شورى الستة

والده بلعبة (سيرة الشيخين) فتجددت الأحزان على مدى عشر سنين أو أكثر مشحونة

بالأحداث الجسام، بما لا يسمح له باللهو.

وبعد مقتل عثمان اختارت الأمة عليا عليه السلام للخلافة، ولكن السياسيين الذين

كانوا يحلمون بالحصول على الملك اعدوا له مفاجأت لا تحصى لكى يفشلوا مشروعه؛

فكانت الهجرة من المدينة إلى الكوفة، ثم تلتها حروب الجمل وصفين والنهروان التى

كان الحسن عليه السلام. فيها مقاتلا وقائدآ ومفاوضا وسفيرآ بما شغله عن متابعة حياته العامة

والالتفات إلى الحياة و متعاها. وخممت هذه المرحلة بمقتل الإمام على، والحسن عليهما السلام حينها كان لما يزل فى أواخر العقد الثالث أو بداية العقد الرابع من عمره، فأستقبلها

بنفس ملؤها الألم والحسرة على ما آل إليه أمر الأمة.

وفوق هذا وذاك اختارته الأمة خليفة وقائداً فلم يمضى سوى ثمانية أيام فى الحكم

حتى وصلت إليه أنباء مسير جيش الشام لاجتياح عاصمته وقتله، فانشغل بالمراسلات وتجميع الجند والتخطيط لتجنيب الأمة مصائب جديدة بعد الذى عانته على مدى أربعين عاما، ولم تمض من الشهر السادس من خلافته إلا أيام معدودات حتى عقد الصلح مع معاوية وجلس فى بيته خيطط للعودة إلى المدينة وهو ما حدث بالفعل بعد مدة يسيرة.

وكان فى المدينة ملازما لقبر جده النبى صلى الله عليه وآله ومسجده، فإذا صل الغداة فى مسجد النبى صلى الله عليه وآله جلس فى مصلاه يذكر الله حتى ترتفع الشمس، فيجلس إليه سادة الناس يسألون عن أمور دينهم ويتحدثون بين يديه. وفى هذه المرحلة جاءه وفد الكوفة يطلبون منه نقض العهد و الرجوع إلى الحرب بعد أن أخل معاوية شروطه، فردهم ردا جميلاً، وقال لهم: ((ليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته ما دام معاوية حياً فإن يهلك معاوية ونحن وأنتم أحياء سألنا الله العزيمة على رشدنا والمعونة على أمرنا وان لا يكلنا إلى أنفسنا فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون))(1) وفيها أيضا كانت مؤامرة معاوية ويزيد وجعدة فى انتظاره. فسقوه السم، وعاش عليلا لمدة أربعين يوماً، ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى.

هذه خلاصة حياة الإمام الحسن بعجالة، وإن كان قد نجح خلالها بحج بيت الله الحرام أكثر من عشرين مرة سيراً على الأقدام، والزواج ببعض النسوة، فتلك وربى من الأمور التى تثبت صلابته و شدة عزيمته، ولكن يستحيل مع حياة مفعمة بالمشاغل والمشاكل بهذا الشكل الغريب أن ينجح الإنسان مهما كانت مقدرته الجسدية والمادية بالزواج بأكثر من الحد المعقول.

1- ينظر: صلح الحسن، راضى آل ياسين، ص302

الغريب أن بعضهم حاول تبرير تهمة كثرة الزوجات ليس بنفيها وتنزيهه منها،

وإنما باعتبار انها لا غبار عليها، لكونها من عادات تلك العصور أو كما يقول أبو علم:

((أما عن تعدد الزوجات وقد صال فيها و جال بعض الجهال، وقد نسوا أن زمن الإمام

غير زماننا ومعاييره غير معاييرنا، فقد كان تعدد الزوجات فى أيام الإمام الحسن عليه السلام

مستحسنا لربط العصبيات والإكثار من الذرارى المقاتلين، ولئن كان التعدد مستحباً،

لغير أهل البيت فقد كان لهم مستحبا لأن سلالة النبى! صلى الله عليه وآله أمان ورحمة لأهل الأرض

وزواجه الكثير دليل عظمته الروحية فى الناس)).(1)ولكن مع اعتراضه على الكثرة بدا أبو علم مثل غيره عاجزاً عن معرفة العدد

الحقيقى لزوجات الإمام الحسن عليه السلام؛ فاختار رقما قريبا من الكثرة بعيدا عن حقيقة

واقع الحال، فقال فى حديثه عن عدد زوجات الإمام: ((وقد كان مجموع ما تزوجه خمس

عشر وهو رقم لا يمت إلى الكثرة المزعومة بصلة))(2) هكذا أحصى أبو علم عدد اللواتى

تزوجهن الإمام الحسن عليه السلام وهو رقم حتى وإن كان مألوفا فى ذلك العصر بالنسبة لكثير

من عامة الناس و فقرائهم إلا أنه غير مألوف لثائر مثل الحسن عليه السلام أعد نفسه للقيام

بعمل يتساوق مع منزلته الدينية والاجتماعية، ولذا تجد الرواة يتخبطون كالغريق فى

سردهم للقصص الخرافية التى تتحدث عن زواج الحسن عليه السلام أما على محمد الصلابى

فنقل عن مصادر التاريخ: ((وقد ذكر المؤرخون أن من زوجاته، خولة الفزازية، وجعدة

بنت الأشعث، وعائشة الخثعمية، وأم إسحاق بنت طلحة بنت عبيد الله التميمى، وأم

بشير بنتمسعود الأنصارى، وهند بنت عبد الرحمن بن ابى بكر، وأم عبد الله وهى

بنت الشليل بن عبد الله أخو جرير البجلى وامرأة من بنى ثقيف وامرأة من بنى عمرو بن

1- أهل البيت، الحسن بن على،توفيق أبو علم، ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص9

2- المصدر نفسه، ص ٧٠

أهيم المنقرى، وامرأة من بنى شيبان من آل همام بن مرة. وربما تجاوز هذا العدد بقليل،

وهو كما ترى لا يمت إلى الكثرة المزعومة بصلة، بعرف ذلک العصر. وأما ما رواه رواة

الأثر، فى كونه تزوج سبعين، وفى بعض الروايات تسعين، وبعض آخر مائتين وخمسين،

والبعض الآخر ثلاثمائة، وروى غير هذا، إلا أنه من الشذوذ بمكان، وهذه الكثرة

المزعومة موضوعة))(1) ولهذا السبب قال الصلابى: ((إن الروايات التاريخية التى تشير

إلى الأعداد الخيالية فى زواج الحسن بن على عليه السلام لا تثبت من حيث الإسناد، وبالتالى

لا تصلح للاعتماد عليها نظراً للشبه والطعون التى حامت حولها))(2)وتلحظ فى هذا

الاقتباس أن الصلابى استهله بالقول: (وقد ذكر المؤرخون أن من زوجاته) مستخدما

(من) التبعيضية ليثبت بأن الأسماء التى سيذكرها بعد هذا القول لا تمثل جميع نساء

الحسن عليه السلام بل هى جزء وبعض من أسماء زوجاته الكثيرات.!

وفى موضوع ذى صلة بتهمة كثرة الزوجات جاء حديثهم عن عدد أولاد الإمام

الحسن عليه السلام الذين رزقه الله بهم بسبب العدد الكبير من تلک الزوجات!.

1- سيرة أمير المؤمنين الحسن بن على بن أبى طالب، الدكتور على محمد الصلابى،ط٨، دار المعرفة،بيروت، لبنان ١٤٣٠ هجرية ٢٠٠٩م، ص ٢٣-٢٤.

2- المصدر نفسه، ص ٢٦

أولاد الإمام الحسن عليه السلام

من حيث تناول أخبار هذا الافتراء نجد تنوعا فى الروايات التى أوردت أخبارا عن

علاقة الحسن عليه السلام بالنساء وهى روايات أزكمت الأنوف برائحتها الطائفية السياسية

المقيتة فقيل: إنه تزوج (٧٠) أو (٩٠) أو (١٠٠) أو (٢٠٠) أو (٣٠٠) أو (٩٠٠) امرأة

حرة، وملك (١٦٠) جارية، بل كان يهدى لمطلقته التى يحبها مائة جارية بمعنى أن عدد

جواريه يفوق كثيراً العدد الذى ذكروه، كل ذلك فى جزء يسير من السبعة وأربعين عاما

وهو مجمل عمره الشريف. ولكنهم لم يلتفتوا إلى ناحية مهمة أخرى، لا أعرف سبب

إغفالهم لها فى بداية، لكنى وجدتهم ينتبهون إليها كالملسوع فى حراكهم السياسية مع

الإمام الكاظم عليه السلام؛ الذى أتهم هو الآخر بنفس الاتهام الباطل، وأقصد بذلك إدعاءهم

بأن الإمام الحسن عليه السلام خلف (١٥) ولداً ما بين ذكر وأنثى فقط، فجعلوا للإمام الكاظم

(٥٠) أو (٦٠) ولدا لكى لا يقعوا فى المطب الخطر نفسه.(1)

وأؤكد للمرة الألف إن موضوع كثرة الزوجات أدخل إلى سيرة الإمام الحسن عليه السلام

بدافع سياسى بحت، بيد أنهم لم يحسنوا سباكته بشكل معقول كما فعلوا فى جوانب

سياستهم الأخر ((وكل ابن أنثى خطاء))، وكانت نقطة ضعف هذا الإدعاء عدد الأولاد

الناتج من كل تلك الزيجات بكل أنواعها، فليس من المعقول أن يرزق من يتزوج

بتسعمائة أو بثلاثمائة أو حتى بمائة أو بخمسين أو بعشرين حرة وبأكثر من ضعفهن إماءً

1- ينظر: كتابنا ((خرافة كثرة زوجات الإمام الكاظم عليه السلام)) الذى فندنا فيه مزاعمهم وكشفنا تدليسهم

بخمسة عشر ولدا و بنتاً فقط! كيف و هناک من رزق من امرأة واحدة بأكثر من هذا

العدد؟ صحيح أنهم اتهموه بأنه كان يعاشر زوجاته لأيام معدودات ثم يطلقهن، ولكن

هل من المعقول أنه كان لا يأتيه اولاد من تلک النساء؟!

لماذا لا يكون نصف عدد المطلقات أو أكثر أو أقل قد علق بهن حمل منه؟ وأين

ذهب هؤلاء الأولاد؟ هل تخلى عنهم الإمام وتركهم لمصيرهم المجهول، وهم من نسب

العترة الطاهرة المطهرة؟ ولماذا لا نجد لهم ذكراً، ولم يذكرهم أحد من المؤرخين؟ ثم

ألم يقولوا أن القبائل كانت تحب أن يتزوج الحسن عليه السلام من نسائهم حبا بمصاهرة أهل

البيت عليهم السلام ليفخروا بذلک على باقى القبائل، فلماذا سكت هؤلاء عن التفاخر بأولاد

الحسن عليه السلام من بناتهم، ولم يوردوا لهم ذكرا؟ لماذا تجد المؤرخين بكامل العجز والقصور

عن الوصول إلى الحقيقة، وتجدهم بالرغم من كثرة حديثهم عن الزواج، لم ينجحوا إلا

فى إحصاء عدد محدود من أولاده؟، وحتى الأرقام الهزيلة التى أوردوها تختلف من

قول إلى آخر، ولكنها تدور على مدار ضيق جدا بين الثانية والستة عشر فقط، فهل

يعقل ذلک لكى يقول اليعقوبى: ((و كان للحسن من الولد ثمانية ذكور)) (1) أو ليقول

أبو إسحاق السعدى الجوزجانى: ((خلف الحسن بن على بن أبى طالب حسن بن حسن

وعبد الله بن حسن وعمرو بن حسن وزيد بن حسن وإبراهيم بن حسن)).(2)

وقد يبدو رقم (١٥) الذى اختير ليكون مدار الحديث عن ذرية الحسن تافها جدا

نسبة إلى عدد ما تزوج به الإمام من النساء، ولا يمكن مقارنته بالأرقام (٦٠- ٧٠- ١٠٠-

٢٠٠ ٣٠٠ ٩٠٠) التى اختاروها عدداً لزوجاته.

1- تاريخ اليعقوبى، ج٢، ص ١٥٨.

2- الدولابى، مصدر سابق، ح ١١٥ ،ص ٧٢، وقال فى الهامش: صحيح من قول الجوزجانى

الملفت أن بعض علماء مدرستنا أوردوا ما يقارب تلك الأرقام، ولكنهم لم يعلقوا

عليها، حيث تجد فى موسوعة الحسن قولهم: ((له من الأولاد ستة عشر ولداً ذكراً

وأنثى))(1) وتجد الشيخ المفيد يقول: .((أولاد الحسن بن على خمسة عشر ولدا ذكرا و أنثى

وهم: زيد بن الحسن و أختاه أم الحسن وأم الحسن أمهم أم بشير بنت ابى مسعود عقبة

بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية، والحسن بن الحسن أمه خوله بنت منظور الفزارية،

وعمرو و أخواه القاسم و عبد الله بن الحسن أمهم أم ولد، وعبد الرحمن بن الحسن أمه

أم ولد، والحسين بن الحسن الملقب بالأثرم وأخوه طلحة بن الحسن وأختهما فاطمة

بنت الحسن أمهم أم اسحق بنت طلحة بن عبد الله التيمى، وأم عبد الله وفاطمة و أم

سلمة ورقية بنات الحسن عليه السلام لأمهات شتى))(2) وكان المفروض بهم أن يبحثوا عن أسماء

أمهاتهم لكى ينفوا التهمة عن الحسن.

فضلا عن ذلك أجد السياسين وضعوا قومهم فى ورطة كبيرة حينما تكلموا عن

زواج الإمام المتكرر بأعداد خيالية وأرقام قياسية من النساء، ثم سكتوا عن ذريته من

هذه الأعداد، فاختلف هؤلاء فى عدد أولاده و احتاروا، بحثا عن تعليلات لعدم التوازن

هذا، فقد روى: أنهم اثنا عشر، ثمانية ذكور و أربع إناث، وقيل ستة عرش الذكور أحد

عرش والإناث خمسة، وقيل أكثر من ذلك وقيل أقل.

ثم لما تبينوا الورطة التى أوقعوا أنفسهم فيها كان الأمر قد خرج من بين أيديهم ولم

تعد لهم قدرة إجراء التصحيح، فلجأوا إلى حيلة أخرى ادعوا فيها أن جميع أولاد الإمام

الحسن عليه السلام على كثرتهم كانوا مصابين بالعقم فلم يخلفوا، إلا الحسن المثنى، أو الحسن

1- موسوعة الحسن: www.mezan.net/mawsouat/hassan/awlad.html

2- الإرشاد، الشخ المفيد،ج٢ ص ٢٠.

وزيد، وهو ما فضحهم؛ لأنهم أرادوا بهذه الكذبة أن يقنعوا أتباعهم بأن قلة ذرية

الحسن عليه السلام تأتى من كون أولاده على كثرتهم لم يخلفوا فانقطع ذكرهم! والظاهر أن هذا

العمل السياسى انطلت؛ حيلته علينا أيضا ففى كتاب كشف الغمة، قال الأربلى: كان

الحسن عليه السلام له من الأولاد عدد لم يكن لكلهم عقب بل كان العقب لأثنين منهم)).(1)

إن ورثة المشروع السياسى، مع الورطة الكبيرة التى وضعهم آباؤهم وأشياخهم

فيها؛ صاروا يبحثون عن منافذ تعينهم فى إدامة روح التشتت عند الناس، لكى لا

يلتفتوا إلى تلك التناقضات، فأخذوا يأتون ببدع و منكرات هدفها دفع الناس للتشكيك

بالعقائد التشريعية لمدرستنا، كما فى قول الكاتب فواز الفواز: لماذا أولاد و أحفاد الإمام

الحسين معصومين وأولاد وأحفاد الإمام الحسن وهو الابن البكر للخليفة الرابع والإمام

غير معصومين؟ هل هنالك أفضلية للإمام الحسين على أخيه الكبير الإمام الحسن؟ هل

المعصومية حصرا بأولاد وأحفاد الحسين ولماذا؟ من الذى أجاز أن تكون المعصومية

بأولاد الإمام الحسين فحسب؟ ... كيف نرفع قيمة أولاد الابن الصغير ونقلل من قيمة

أولاد الابن الاكبر؟ هل كان أولاد وأحفاد الحسن لا يستحقون هذه المعصومية، ولماذا؟

هل الفكرة كلها مرتبطة بزواج الإمام الحسين بحفيدة كسرى شهربانو أو شاه زنان؟

لو كانت حفيدة كسرى زوجة الحسن بدلا من زواجها من الحسين هل نشهد الفكرة

بالمعكوس، أى هل سيصبح أولاد الحسن معصومين وأولاد الحسين غير معصومين؟

هل لأن بعض أولاد الإمام الحسن أسمائهم عمر وأبوبكر وبذا لا يستحقون أن يدخلوا

تحت خيمة المعصومية؟ هل نتزوج من الفارسيات حتى نحمى جلودنا من نار جهنم؟

أفتونا مأجورين))(2) ولا يخفى على اللبيب القصد من هذه المهاترات الكلامية الفارغة

1- كشف الغمة فى معرفة الائمة، قال أبو الحسن على بن عيسى بن ابى الفتح الاربلى
2- موقع كتابات، فواز الفواز، مقال بعنوان (لماذا أولاد الإمام الحسين معصومون وأولاد الإمام الحسن غير معصومين؟) رشه يوم السبت، ٢٧ تشرين الأول، ٢٠١٢ فى الرابط www.kitabat.com

التى ترتبط بالشرع السياسى القديم.

كلمة أخيرة، إن كثرة عدد الأولاد كان فاشيا عند المسلمين لا فى صدر الإسلام

وحده، بل وحتى فى العصور المتأخرة ولا زال إلى يومنا الراهن، لا فرق بين فقر وغنى،

ويقال: إن ذلک نابع من حث رسول الله صلى الله عليه وآله للمسلمين على الإنجاب، كما فى قوله:

.تناسلوا تكاثروا فإنى مباه بكم الأمم)) وحديث .تزوجوا الودود الولود؛ فإنى مكابر

بكم الأمم يوم القيامة)). وقد بلغ عدد أولاد عمر بن الخطاب (١١) ولدا، وأولاد عثمان

(١٥) ولدا، والزبر بن العوام (٢٤) ولدا، وعبدالرحمن بن عوف (١٨) ولدا، وطلحة

بن عبيدالله (١٠) لديه عشرة أولاد، وعتبة بن أبى لهب (١٢) ولدا، والحارث بن نوفل

(١٥) ولدا. بل إن رئيس وزراء ووزير خارجية قطر الحالى، الشيخ حمد بن جاسم بن

جبر آل ثانى يملک (١٥) ولدا، وهو بالتأكيد لم يتزوج نساء كثيرات، وقد قال النويرى

عن سليمان بن عبد الملک: ((وقيل: إنه كان له من الأولاد الذكور أربعة عشر)) (1) لذا لا

عجب أن يكون للإمام الحسن عليه السلام خمسة عشر أو عشرين ابنا من عدد معقول من النساء،

لكن العجب العجاب أن يدعى المدعون بأنه رزق هذا العدد من تسعمائة زوجة.!

إن كل ما تقدم من حديث عن الزواج والأولاد جىء به ليكون داعما لجهدهم

الحربى الأول لتقويض التجربة الحسنية من كل جوانبها، ويأتى الثبات الحسنى بالشكل

الذى هو عليه ليخلد ذكره و تموت ذكراهم، وليثبت بأن كل سعيهم ذهب هباء لأنه زبد

لعبت به ريح الزمان.

1- نهاية الأرب فى فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشى التيمى البكرى، شهاب الدين التويرى (المتوفى: ٧٣٣)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣ ج٢١،ص٣٥٤.

الفصل الثانی صدق الائمة و کذب السیاسیین

اشارة

ص: 471

صِدقْ الأئمة وكَذِبِ السياسيين

إن القواعد العامة للدين وللأخلاق ثابتة لا تتغير، فالكذب هو الكذب، والصدق

هو الصدق، والخيانة لا يمكن لها أن تلبس لباس الطهر، والعفة لا تشبه التهتك فى أى

زمان ومكان، وأقرب المدارس الفقهية إلى روح العقيدة هى المدرسة التى تلتزم بالمبادئ

على حقيقتها وتعرف أوجه الحكم الفقهى الثابتة التى لا تقبل التأويل، وعليه نجد مثلا

أن الكذب فى الفقه الشيعى تنطبق عليه الأحكام الخمسة بحسب منظور الحكم، فهو

حرام ومباح ومكروه ومستحب وواجب. وهو عندنا فى الغالب من الكبائر؛ ومن

القبائح العقلية التى يجب اجتنابها ابتداء. أما فى فقه المدارس الأخر فهو بعنوانه الأوّلى

من الصغائر ويتحول إلى كبيرة بعنوانه الثانوى. وهو عند كل المسلمين واحد من ثلاث

خصال تجعل المرء منافقا؛ ذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وآله ((ثلاث من كن فيه فهو منافق

وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن

خان)) وقد جمع السياسيون الدنيويون هذه الخصال ثلاثها وأجادوها؛ فحدثوا وكذبوا،

ووعدوا واخلفوا، وائتمنوا فخانوا الأمانة. كذبوا فى حياتهم وفى الأعم الأغلب من

أقوالهم، ويجد المدقق الحصيف أن الكذب السياسى هو الذى وضع قواعد تعامل

المدارس الأخر مع الكذب عامة، لدرجة أنهم أجازوه للأنبياء كما فى البخارى وغيره

عن كذبات النبى إبراهيم الثلاث مثلا(1) بمعنى أن السياسة أدخلت الكذب ضمن

1- صحيح البخارى، كتاب أحاديث الأنبياء باب قوله تعالى ((و اتخذ الله ابراهيم خليلا)) النساء ١٢٥، حديث رقم ٣٣٠٨،أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (١٩٤- ٢٥٦ ه) دار إحياء التراث العبرى، بيروت، ٢٠٠١، ص٥٩٧

المسوغات العامة بعد أن حولته إلى واقع ؛ ومنه تسلل إلى الفقه والعقائد ولونها بألوان

سياسية.

وفى الوقت الذى نجدهم فيه يجوزون الكذب والخدع فى الحرب لتضليل العدو

استنادا إلى حديث (الحرب خدعة) الذى رواه البخارى، إلا أنهم أوجبوا أن لا يكون

الكذب أو الخدع منضوياً على نقض عهد أو إخلال بأمان. ومع ذلك ضرب معاوية

بهذا الاستثناء المهم عرض الحائط ونقض عهده مع الحسن عليه السلام دون أن يعيبه أحد.

ومعنى هذا إن السياسيين لم يستسيغوا الكتب السياسى فحسب، وإنما كذبوا

لتزييف التاريخ ومصادرة حقوق الآخرين حتى فى الأولوية والسبق الإيمانى، لدرجة

أنهم صاروا يتهمون الناسى بالتأخر عن قافلة الإسلام وينسبون السبق إلى أنفسهم، وما

هم إلا طلقاء من نسل الطلقاء، ناسين أن الناس تعرف تمام المعرفة بأنهم هم من منع

الناس من دخول الدين، وفى الروايات: ((دخل حويطب بن عبد العزى على مروان بن

الحكم وهو على المدينة. فقال مروان: ما سنک؟ فأخبره، وكان قد بلغ المئة والعشرين،

فقال له مروان: تأخر إسلامک أيها الشيخ حتى سبقک الأحداث؟ يشير إلى انه لم يسلم

إلا بعد فتح مكة!فقال حويطب: الله المستعان. لقد هممت بالإسلام غير مرة، كل ذلک

يعوقنى أبوک عنه وينهانى ويقول: تضع شرفک وتدع دين آبائک لدين محدث وتصير

تابعاً!؟ فسكت مروان))(1)

ولقد عشنا فى زمن أثبت لنا أن سياسة الكذب الموروثة ما زالت ناشطة عند

أحفادهم فاعلة فى ثقافتهم، مؤثرة فى سياستهم، متحكمة فى قراراتهم، لم تهن ولم

1- المستطرف الجديد، حكايات من التراث،هادى العلوى، ط٢، مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية فى العالم العربى، دمشق، ص ١٣-١٢

تضعف بتعاقب الدهور، وهم على نهج أسلافهم يعتقدون من الناحية الشرعية عدم

جواز الانتخابات البرلمانية وعدم جواز المشاركة السياسية والعمل الحزبى فى الحركات

التى اندلعت فى الوطن العربى بمسمى (الربيع العربى)، ومن هؤلاء التيار السلفى فى

مصر الذى بقى مصرا على أنه مجرد مدرسة يقتصر نشاطها على طلب العلم الشرعى

وتصحيح العقيدة والتمسک بالكتاب والسنة والابتعاد عن العمل السياسى، ولكنهم

ما إن سقطت الحكومة حتى زاحموا أصحاب الحق ومن تحمل ثقل الثورة وانتزعوا

مكاسبها رغماً عن الجميع، وكأن التأريخ يعيد نفسه!

هذه المقدرة على التلون الحربائى غيرت قناعات الآمة وعقائد الأفراد وزرعت

الازدواجية فى سلوک المسلمين بعد أن أفسدهم الأمراء و العلماء الفاسدون، ينسب إلى

النبى صلى الله عليه و آله قوله: ((صنفان من أمتى إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس: الأمراء

والعلماء)) فعاشوا فى ظاهرهم خلاف ما فى بواطنهم يسرقون ويزنون ويشربون الخمر

ثم فى ساعات الصحوريبكون ندماً من تلک الآثام و لكنهم لا ينتهون عنها، قالت فاطمة

بنت الحسن: ((دخل علينا العامة الفسطاط بعد مقتل الحسين وأنا جارية صغيرة وفى

رجلى خلخالان من ذهب فجعل رجل يفض الخلخالين من رجلى وهو يبكى. فقلت

ما يبكيک يا عدو الله؟ قال: كيف لآ ابكى وأنا أسلب ابنة رسول الله! فقلت: فلا

تسلبنى. قال: أخاف أن يجىء غيرى فيأخذه!))(1)

إن السياسين بعد أن تمكنوا من السيطرة على مقاليد أمور الأمة خدعوا أنفسهم

وخدعوا الناس معهم، خدعوا أنفسهم يوم ظنوا أنفسهم أسياد البشر فى جاهليتهم

وإسلامهم تبعا لحديث أخرجوه عن أبى هريرة: ((قيل للنبى: من أكرم الناس؟ قال:

1- لمستطرف الجديد، ص ١5

أكرمهم اتقاهم. قالوا: ليس عن هذا نسألک. قال: فأكرم الناس يوسف نبى الله ابن

نبى الله ابن نبى الله ابن خليل الله. قالوا ليس عن هذا نسألک. قال: فعن معادن العرب

تسألونى؟ قالوا: نعم. قال: فخياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام))(1) وخدعوا

الناس بعد أن أغوتهم الدنيا بنعيمها، أخرج ابن الأثير فى تاريخه عن عمار بن ياسر قوله

فى وصى الأمويين: ((ذاقوا الدنيا فاستحبوها واستمرؤوها وعلموا أن الحق إذا لزمهم

حال بينهم وبين ما يتمرغون فيه من دنياهم، فخدعوا أتباعهم أن قالوا إمامنا قتل

مظلوماً ليكونوا بذلک جبابرة وملوكاً)). أما من لم ينخدع منهم فجعلوا السيف حكما

بينهم وبينه فأذعن بالتهديد والوعيد، ففى مجلس شامى عرض معاوية بيعة يزيد ابنه

ولياً للعهد فكثر الأخذ والرد وأنقسم الناس بين مؤيد ومعارض، فقام رجل وخطب

قائلا: ((أمير المؤمنين هذا، وأشار إلى معاوية. فإن مات فهذا، وأشار إلى يزيد. فمن أبى

فهذا، وأشار إلى سيفه. فقال معاوية: أجلس فأنت سيد الخطباء)).

ومع كل حركة يأتون بها كان الكذب والتعليل الأجوف دواءً يداوون به غضب

الناس الذين يستهجنون أعمالهم، روى الطبرى فى تاريخه أن معاوية أراد فى سنة خمسين

من الهجرة نقل منبر رسول الله صلى الله عليه و آله من المدينة إلى الشام ليفرغ مهبط الوحى من معناه

القدسى عند الناس،((قال محمد بن عمر: وفى هذه السنة أمر معاوية بمنبر رسول الله أن

يحمل إلى الشام، فكسفت الشمس حتى ربيت النجوم بادية يومئذ، فأعظم الناس ذلک

فقال: لم أرد حمله إنما خفت أن يكون قد أرض(2)فتظرت إليه، ثم كساه يومئذ))(3)

1- صحيح البخارى ص ٢٤٢ ج٢ كتاب بدء الخلق، باب أم كنتم شهداء،دار الفكر بيروت بغداد ١٩٨٦

2- أرض: أى أصابته الأرضة

3- تاریخ الطبری، مصدر سابق،ج۳، ص ۹٦۹

إن خلفاء وأمراء يسوسون الناس بهذه الأخلاق ويعلمونهم تلك القيم لا يمكن

إلا أن يحرفوا المجتمع عن مسيره الإسلامى الصحيح ويدخلوه فى متاهات الانحطاط

الخلقى، وبالتالى ليس من المستغرب أن تصدر عنهم أسوأ أنواع ردود الفعل، وخير

دليل على ذلک أن معاوية أخلف ما تعاهد عليه مع الإمام الحسن عليه السلام، واعرف بذلک

صراحة بقوله:((إنى منيت الحسن وأعطيته أشياء جعلتها تحت قدمى، لا أفى بشىء منها

له))(1) وكفى بذلک دليلاً على شدة الانحراف.

وخلفاء وأمراء يتهم بعضهم بعضاً بالكذب وخيانة الأمانة ثم يتهمون وكلاءهم

ويتهمهم الوكلاء بالخيانة يعيشون أدنى مراحل الانحطاط الخلقى، ففى العقد الفريد:

((تعقب عبد الملک بن مروان ضيعة له فى الغوطة أيام معاوية فأنكر منها شيئاً، فقال

لوكيله: ويحک إنى لأظنک تخوننى؟ فقال الوكيل: أفتظن ذلک ولا تستيقنه؟ فقال

مروان: وتفعله؟ قال الوكيل: نعم والله إنى لأخونک، وإنک لتخون أمير المؤمنين، وإن

أمير المؤمنين ليخون الله، فلعن الله شر الثلاثة)) هذه هى المعادلات الحاكمة لسلوک

وسياسة وعقيدة السياسيين الدنيويين الذين ما كان يهمهم قتل ابنى بنت رسول الله صلى الله عليه و آله.

ما دام ذلک يحفظ لهم عز دنياهم، ومع هؤلاء كان مقدراً للإمام الحسن عليه السلام أن يتعامل.

أما المعادلة الحاكمة فى حركة أئمة أهل البيت المعصومين عليهم السلام فتنطلق من مزيد

محاولات تقويض قدرات السياسة العربية وتأثيراتها على المجتمع وفق رؤى المنهجية

الإسلامية وسياستها؛ فهم عليه السلام لم يلتفتوا إلى مزايا وقدرات السياسة الدنيوية وما

يمكن أن توفره من معطيات ومزايا حركية سريعة ومتلونة ومشحونة بالكذب والخداع

والدجل والظلم؛ ولذا أحجموا عن التعامل معها وأصروا على العمل وفق رؤيتهم

1- إرشاد الشيخ المفيد مصدر سابق ج 2 ص 12

الدينية المحضة، وقد بدأ نشاط هذه الممارسة فى خلافة الإمام على عليه السلام، وهنا تحديداً بانت ملامح انشقاق المجتمع الاسلامى إلى شقين: الأول عقائدى دينى بقيادة الإمام المعصوم، والثانى سياسى دنيوى بقيادة السياسيين، وهذا هو الاختلاف الحقيقى بين التنصيب الربانى وما سواه، ثم لما أيقنت الناس، أو بدأت توقن بأن هناك خطوطاً تقود حياة الإسلام بعضها إسلامى ثابت والآخر بعيد عن الإسلام كلياً، ولكنه يتمظهر بواقع إنسانى إسلامى؛ كان لابد للسياسة دفاعاً عن نفسها أن توجد خطوطاً متوازية تتخذها درع حماية، ولم يكن لديها أكبر من حقيقة التنصيب الإلهى للتشكيك فى صحته من خلال إسقاط مساوئها على نقائه ليبدو للناس وكأنه بنفس السوء الذى عند السياسيين بل أسوأ، فأظهروا تعلقهم بما يعرف بنظرية الحق الإلهى واستعاضوا بها عن التنصيب الربانى عسى أن ينجح ذلك فى رفع بعض أطراف نظرة الناس السيئه عنهم.

ص :479

نظرية الحق الإلهى

فى حديثه عن الإسلام والسلطة الدينية قال محمد عمارة: ((وفى فترات من تاريخ

حضارتنا الإسلامية تسربت عناصر من هذه النظرية (يقصد نظرية الحق الإلهى) إلى

قطاع محدود من الفكر السياسى، ودعا إليها نفر قليل من مفكرى الإسلام هم أئمة

الشيعة، كما تسربت عناصر من هذه النظرية إلى عقول عديد من المستبدين والحكام

والسلاطين، فأعاقت تطور الأمة وأثقلت عقلها بالقيود ودفعتها دفعا إلى مرحلة

الجمود والتخلف التى شملت عالم الإسلام وكبلته وأثخنته بالجراح لعدة قرون))(1)

إن التنصل الذى يريد الدكتور عمارة تمريره يعد من التداعيات الخطرة لمناهج

السياسة الدنيوية التى طالما سعت إلى التنصل من القبائح وعصب الأمر برأس أئمة

الشيعة، بالرغم من كونهم لم يقيموا دولة الإسلام حتى فى عصر خلافة على عليه السلام؛ بعد

أن انبرى السياسيون الدنيويون وجردوهم من صلاحياتهم سواء بشن الحروب كما

حدث مع على والحسن عليهم السلام أو بالقتل الثأرى كما مع الحسين عليه السلام أو بالحجر والسجن

والمطاردة والقتل كما حدث مع الثمانية الباقين، ولو كانت لهم سلطة على المهدى

المنتظر عجل الله تعالى فرجه لألحقوه بآبائه. ولقد وقع الباحث عمارة فى خلط كبير فتحدث بخلاف ما قدم

حينما أراد التوسع فى شرح مقاصد كلامه، فأخذ ما اتصف به السياسيون الحكام الذين

قادوا الأمة منذ الصلح مع الحسن عليه السلام وإلى بدايات القرن العشرين بعد سقوط الدولة

1- الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية، الدكتور محمد عمارة، ١٤٠٩- ١٩٨٨، دار الشروق، القاهرة، ص ١٠-١١

الثمانية وادعاه جزافاً لأئمة أهل البيت عليهم السلام، فقال: ولقد كانت الدعوة إلى السلطة الدينية وصبغ نظم الحكم وسلطات الحاكم بصبغة الدين وتوحيد السلطتين: الدينية والزمنية فى سلطة واحدة.. كانت الدعوة إلى هذا اللون فى السلطة فكراً و تطبيقاً تتطلق أحياناً من متطلق التبرير لمظالم السلطة البشرية القائمة ومحاولة تأييد الجور وتأييده عن طريق الزعم يأن سلطان هذه السلطة وسلطانها إنما هى ذات طبيعة دينية، فالصلة بينها وبين السماء، و وكالتها عن الله، فحسابها أمامه و إليه، وليس للأمة دخل أو مدخل فى كل هذه الأمور)(1)

إن تبرئة السياسيين الدنيويين من جريمة إذلال الأمة بنظرية الحق الإلهى واتهام أئمة أهل البيت عليهم السلام بأنهم أصحاب هذه النظرية، واتهام التشيع بأنه موجد هذه النظرية، يدفعنا إلى الحديث عنها لكى يفضح العلم والعقل المدعين ويبرئ الطاهرين من محاولات تلويث نقاء سيرتهم العطرة الطاهرة. ولما كان مصطلح (نظرية الحق الإلهى) غير معروف آنذاك فإن أفعال السياسيين كانت توحى بأنهم يريدون إسباغه على أئمة أهل البيت عليهم السلام بمعناه العام، وهو المعنى التاريخى لكل نظرية من النظريات الفكرية المعاصرة، فالمتفق عليه أن أغلب النظريات الفكرية المعاصرة كانت معروفة يشكل أو بآخر فى الأزمنة القديمة، ولكنها تفتقر إلى التسمية والتقنين؛ فجاء المفكرون والعلماء المعاصرون و وضعوا لها أسماء ونسبوها إلى أنفسهم، ثم بدأ بعضهم ولاسيما أحفاد السياسيين منهم بإجراء المقارنات والمقاربات بين القديم والجديد ليثبتوا صحة منهجيتهم، أو ليخدعوا الناس.

ولذا تجد فى أقوال المفكرين المعاصرين فلتات كبيرة تنحو بک إلى معرفة حقيقة

1- المصدر نفسه، الدولة الإسلامية

مغيبة لا يريدون التصريح fiا بحكم خضوعهم للولاء الطائفى، ولكنها تتفلت منهم

عنوة وتعلن عن نفسها صراحة ووضوحا مهما ألبست من ثياب لاخفاء الملامح،

مثال ذلک نجد للدكتور محمد عمارة قولا مفاده: ((إن مرد الكثير من نقاط الضعف

والسلبيات والمظالم التى يعانى منها المسلمون اليوم هو سلب السلطة الحقيقية والسلطان

الفعلى من جماهير المسلمين سواء أكان ذلک لحساب استعمار قديم أو آخر جديد. وسيان

كان المستبد دون هذه الجماهير بالسلطة والسلطان غريبا عنها أم يتزيا بزيها ويتحدث

لغتها ويؤدى مثلها شعائر دينها، أو حتى يؤمها فى أداء شعائر هذا الدين الحنيف))(1)

وهى حقيقة يعرفها المسلمون كلهم ولكن الدكتور لم يصرح بل موه بإدعائه أن السلطة

سلبت من الجماهير المسلمة. وإلا ممن يا ترى سلبت السلطة والسلطان الفعل؟

ولماذا هذا التعتيم؟ هل هو حقا كما أراد الباحث أن يقول أى أنها سلبت من (جماهير

المسلمين)؟ ومتى كان للجماهير صوتا مسموعا عبر التاريخ البشرى كله لكى يكون

لجماهير المسلمين الأوائل صوتا مسموعا وسطوة سلطانية وهم الذين لم يتمتعوا بحرية

الإسلام التى أطلقت أصواتهم عالية إلا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وفى عصره؛ ثم سلب منهم

هذا الحق وصودرت حريتهم لتتم قيادتهم على هوى حكام رسموا لهم خرائط طريقهم

وأمروهم بالسير عليها بعد أن أجبروهم على الايمان باءنهم يحكمون ويقادون بموجب

نظرية الحق الالهى، إن الباحث استخدم نفس الأسلوب التمويهى الذى استخدمه

السياسيون الدنيويون باستخدامه مصطلح (جماهير المسلمين) الذى هو ترجمة حرفية

لما يعرف ب (السيادة الشعبية) ويعود تاريخ هذه الفكرة إلى عهد الفيلسوف أرسطو،

وتعد الشعب هو صاحب السيادة. وهى إحدى نظريات النظم السياسية مثلها مثل

نظرية الحق الالهى ونظرية العقد الاجتماعى وغيرها٠ ولماذا لا نجد إشارات صرحية

1- الدولة الاسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية، الدكتور، ص ١٢ .

لمن يدعون بأنهم مفوضون بقيادة الأمة على أنهم هم الحكام الشرعيون وهم من سلبت

منهم السلطة لتتحول إلى هوس دنيوى لا علاقة له بالدين؟

ثم لماذا نجد السلطويين الدنيويين يهتمون كثيرا بالحق الإلهى ويعتبرون أنفسهم

مخولين من الله للتحكم بمصير الأمة وهو ما لم يدعيه النبى الأكرم صلى الله عليه وآله ولا أحد من أئمة

أهل البيت الكرام؟ هل تجد فى شريعة الإسلام إشارة ولو بسيطة إلى الحق الإلهى؟ بل

هل تجد فى سلوك النبى والولاة الذين عينهم على الأقاليم ما ينبئك بأنهم مارسوا أو كانوا

يمارسون نوعا من أنواع هذه النظرية حتى ولو بأبسط صورها؟ نعم هناك روايات يبدو

تفسير معناها قريبا من مفهوم نظرية الحق الإلهى، ولكن محورها لم يكن أكثر من اجتهاد

شخصى كما فى قصة عبد الله بن حذافة السهمى، ففى صحيحى مسلم والبخارى من

حديث سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: ((نزل قوله تعالى: ((يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى))(1) فى عبد الله بن حذافة السهمى، بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله فى سرية)).

وفيهما أيضا من حديث الأعمش، عن سعيد بن عبيدة، عن أبى عبد الرحمن السلمى، عن

على عليه السلام قال: ((استعمل رسول الله صلى الله عليه وآله رجلا من الأنصار على سرية، بعثهم وأمرهم أن

يسمعوا له ويطيعوا، قال: فأغضبوه فى شىء، فقال: اجمعوا لى حطباً، فجمعوا، فقال:

أوقدوا ناراً، فأوقدوا، ثم قال: ألم يأمركم رسول الله أن يسمعوا لى وتطيعوا؟ قالوا:

بلى، قال: فادخلوها، قال: فنظر بعضهم إلى بعض، وقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله

من النار، فسكن غضبه وطفئت النار، فلما قدموا على رسول الله ذكروا ذلك له، فقال:

لودخلوها ما خرجوا منها، إنما الطاعة فى المعروف))(2)

1- سورة النساء: ٥٩

2- زاد المعاد فى هدى خير العباد، الإمام شمس الدين عبد الله ابن القيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، سنة النشر: ١٤١٨ / ١٩٩٨، فصل فى سرية عبد الله بن حذافة السهمى، ص ٣٢٥.

وأعتقد أن الدكتور محمد عمارة جاء بهذه الفرية دون دليل بعد أن خلط بينها وبين

ما يعرف بنظام الحكم المدنى أو الحكومة المدنية، وهى نظام تقيمه الجماعة يستند إلى

قيمها ويرتكز على إرادتها ويستمر برغبتها، ويظل محافظا على اسمه مهما كانت القوانين

التى يحكم بها سواء كانت دينية بموجب نص مقدس أو فكرية.(1) وهذا ما لم يتحقق

فى الأقل فى جغرافيتنا العربية والإسلامية لا قديما ولا حديثا، و على كل حال أجد أن

الحاكم بموجب هذا النظام حتى و إن كان يعمل بالشريعة المقدسة و يحكم بنصوصها إلا

انه غير معصوم ولا مقدس، ولذا لا يأمن من الخطأ.

ثم ألا يتفق الدكتور عمارة معنا على أن الخلافة الإسلامية بشكلها الذى عرفت به

كانت خلافة بطرائق تنصيب مختلفة ومتنوعة لا تعتمد على منهج واحد بعينه، كانت

خلافة بأربعة طرق فى أولها، ثم ملكية وراثية بالنص فى آخرها، لم تنظم بحديث أو قرآن

ولا يوجد نص ربانى أو نبوى فيه مجرد إشارة بسيطة إليها بأشكالها تلك؟ والنظام نفسه

كان نظام حكم مدنى سياسى اتخذ الجانب الدينى منهجا للقوانين فى الأقل مع تسمى

الخلفاء باسم (خليفة الرسول) أو (خليفة الله فى أرضه) وهى مصطلحات إذا لم تكن

قد جىء بها بوحى من نظرية الحق الإلهى فإنها وضعت قواعد تلك النظرية وشجعت

الحكام اللاحقين على العمل بها بالرغم من حسن النوايا الذى جاء بها.

وأجد أن نظام الاستخلاف السياسى الذى بدأ العمل به بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله بكل صيغه المعروفة هو الذى زرع بنور الفتنة والفرقة فى الإسلام بدءاً من زحزحة

الخلافة عن على عليه السلام فى مؤتمر السقيفة مما دفعه ليكون فى جانب المعارضة، وصولا إلى

كل الجبهات الأخر التى فتحها النظام أو أسس القواعد التى تعتمد عليها فى انفتاحها

1- ينظر: الخلافة الإسلامية، محمد سعيد العشماوى، مصدر سابق، ص ١٧ .

لتصبح فى القرن الرابع الهجرى (٣٣٤ هجرية/ ٩٣٥ ميلادية) مجموعة كبيرة من

الجبهات المتعارضة التى استقلت بشكل أو بآخر عن الأصل؛ فكانت فارس و الرى

وأصبهان والجبل بيد بنى بويه، وكرمان بيد محمد بن إلياس، والموصل وديار بكر

وديار ربيعة وديار مضر بيد بنى حمدان، ومصر والشام بيد محمد بن طغج الأخشيدى،

والمغرب وشمال أفريقيا بيد الفاطميين، والأندلس بيد ملوك الطوائف وخراسان بيد

نصر بن احمد الساسانى، والاهواز و واسط والبصرة بيد البريديين، واليمامة والبحرين

بيد طاهر القرمطى، وطبرستان وجرجان بيد الديلم، وبغداد بيد الخليفة(1)

ولكى نبرئ السابقين من المسلمين العقائديين من مغبة حملهم وزر إدخال نظرية

الحق الإلهى إلى المجتمح المسلم، أؤكد أنها أدخلت إلى الإسلام على يد السياسى معاوية

أول خليفة أموى بعد أن سلب السلطة من أهلها الفعليين بعد صلح وقتل الإمام

الحسن عليه السلام، فأذل الناس، ولذا قال عمر بن بشر الهمدانى: ((قلت لأبى إسحاق: متى

ذلّ الناس؟ قال: حين مات الحسن وادّعى زياد، وقيل حجر بن عدى))(2) ويجد من

يتابع منهجية حكم الخلفاء الأمويين أنهم أول من سلب سلطة العدل الربانى والتصيب

الربانى، وحكموا بموجب سلطة الحق الإلهى مستخدمين الدين كواجهة تخنيع للأمة؛

فمعاوية بن أبى سفيان (٢٠ ق ٦٠٥ ه / ٦٠٣- ٦٨٠م) كان يصرح علنا أن مال دولة

الإسلام ومال الشعب المسلم هو مال الله، وهذه كلمة حق ولكن أريد بها باطل يوم

حرفت عن مقصدها عندما ادعى لنفسه الحق بالتصرف فى هذا المال منعا و منحا حسب

الرغبة، لماذا؟ لأنه حسب زعمه القاصر خليفة الله فى الأرض وممثل الحق الإلهى؛ حيث

قال: ((الأرض لله وأنا خليفة الله فما أخذت فلى وما تركته للناس فبالفضل منى)).

1- ينظر: الخلافة الإسلامية، محمد سعيد عشماوى، مصدر سابق، ص ٢٦.

2- مقاتل الطالبيين، أبى الفرج الاصفهانى، ص ٨٣.

ويتماهى هذا القول مع قول سعيد بن العاص: ((إنما السواد بستان قريش)) وهذه هى الترجمة الحقيقية لنظرية الحق الإلهى. ولذا ترى أتباع العقيدة والمؤمنين حقا بما جاء به الرسول لا يرضون بمثل هذه الآراء المتطرفة ويعترضون بشدة عليها، فقد وجد معاوية من يرد عليه ويقول: ((كلا إن هذا مال الله ومال الناس وبإرادنم يتصرفون به))(1)

كانت نظرية الحق الإلهى معروفة قبل الإسلام، وغالبا كان معمولا بها فى الامبراطوريات الفارسية والرومانية والصينية والمصرية؛ حيث كان الملوك يستعبدون الناس باعتبار أن الله أو (الإله) يختار من يشاء لممارسة السلطة، وهو الذى اختارهم للحكم ومنه يستمدون سلطتهم، أو يزعم الملوك بأنهم من سلالة عرقية أسمى من سلالة العنصر البشرى أو من سلالة (الآلهة). هذه النظرية تعد من أقدم النظريات، وتعتبر الله أو (الإله) المصدر الحقيقى سلطة الأرضية، فيترتب على كون الحاكم يستمد سلطته من مصدر علوى إن يسمو على غيره من البشر، وتسمو إرادته على إرادة المحكومين، وغلا بعضهم فادعى الإلوهية، ومن تنازل منهم ادعى أنه من نسل الآلهة. ولذا كانوا يرون أن ما تقدمه لهم الأمم والشعوب من الخدمة والولاء والخضوع المذل والتضحية ليس إلا واجبا مقدسا يقومون به تجاه العرش والسلطان.

هذه النظرية بدأت بالاندثار فى العصور الأوربية الوسطى بعد أن اشتد النزاع بين الكنيسة وملوك أوروبا، وظهرت البروتستانتية على يد (مارتن لوثر) سنة ١٥٢٠م.

ولكنها لم تمت؛ فالأباطرة طالما أدعوا أن لهم حق حكم الناس وفق مشيئتهم وهواهم، ((و ظلت عروش أوروبا تتوارثها سلالات وعائلات معينة لايجرؤ أحد أن ينافسهم ولا يستسيغ إنسان أن يسأل لماذا يحكم هؤلاء؟ وبماذا يحكمون؟، فالرعاع كلهم مقتنعون تماماً بأنهم يستمدون حكمهم من الله مباشرة! وظهر فلاسفة وباحثون برروا هذا الاستبداد

1- الفتنة الكبرى، طه حسين، طبعة القاهرة، ١٩٧٠، ج ٢، ص ٢٣٤- ٢٣٥.

والعبودية وفلسفوها فى قوالب متعددة؛ فجاء (هوبز) ليتملق ملوك عصره مطالبا بأن لهم الحق فى سلطة مطلقة يستطيعون بها تنفيذ العقد الموهوم، وكذلك كان (جان بودان) (١٥٩٦) و(جروتس) (١٦٤٥) من المدافعين عن الحكم المطلق، ويعلل (بودان) ذلك بأن الحكم غير المطلق معرض للثورات والفتن وصرع الأحزاب، وينكر نظرية العقد المجتمع؛ لأنها تمنح الفرد الشعور بالمشاركة فى تكوين الدولة. أما (جروتس) فيدافع عن الاستبدادية بذريعة أنها أفضل السبل لتطبيق القانون الطبيعى، وإن الناس إذ قد ارتضوا هذا النوع من الحكم، فليس من حقهم أبداً أن يراجعوا عنه))(1)

أما فى المجتمع العربى الذى كانت الطبقية فيه تمثل نوعا من نظرية الحق الإلهى الفطرية ولاسيما قبل عصر البعثة، فإن الإسلام حينما جاء أعاد الأمور إلى نصابها ورد العبودية كلها لله وحده، وفرض على الحكام تبعات ومسؤوليات تناسب مركزهم فى الأمة، فرأى الناس فى معظم أنحاء المعمورة ولاة المسلمين يرعون مصالحهم، وينهضون بأعباء المسؤولية كاملة فى الوقت الذى لا يتميزون فيه عن الأمة بكبير فرق. وبقيت النظرية تتحكم بشعوب العالم الأخر، أما الشام التى حكمها معاوية واليا لعشرين عاما وخليفة لعشرين عاما جغرافيا، سبب قربها من أرض الروم ونظمهم فى الحكم وهم أشهر من طبق نظرية الحق الإلهى، جعل السياسيين العرب الشاميين على إطلاع تام على النظرية و سبل تطبيقها، ولذا ما إن ضرب معاوية الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام عرض الحائط حتى أعلنها صراحة وبدون مواربة بأنه يحكم باسم الله وله من الحق على الناس مثل ما لله سبحانه. وبذلك يكون معاوية هو مؤسس نظرية الحق الإلهى فى المجتمع الإسلامى، هذه النظرية التى ألحقت بالدين ضرراً بالغا بتمسحها به وانتسابها اللفظى إليه وادعاء طواغيتها أنهم يستمدون سلطتهم من تفويض الله لهم، إذ

1- ينظر: علمانية الحكم، الشيخ الدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالى، الفصل الأول

نجم عن ذلک رد فعل عنيف ضد الدين من قبل من يسمون دعاة الحرية الذين وجدوا

فى هذه الدعوة فرصة لمهاجمة الدين متذرعين بأنه يبارک الطغيان ويقدس الدکتاتورية.

والحق الذى لا مرية فيه أن الحکام الذين مارسوا الطغيان متسترين بهذه الدعوة هم أبعد

ما يکونون عن تنفيذ القانون الإلهى، أى الحکم بما أنزل الله، فوق أنهم لا يستطيعون

بل يعجزون عن إقامة الدليل على أن الله منحهم الحق فى التسلط على الأمم وإذلال

الشعوب باسمه. وواخ التاريخ يؤکد أن العدل الربانى والطغيان البشرى نقيضان لا

يجتمعان، وأن الذين کانوا يحکمون بما أنزل الله فعلا ويستندون فى سلطتهم إلى الوحى

الإلهى حقيقة، هم أعظم حکام البشرية عدلا وإنصافا وأشدهم رحمة وتواضعا، وأنهم

بفضل ذلک حققوا فى دنيا الواقع ما کان الفلاسفة يحلمون به فى الخيال، وعکس ذلک

تماما کان الحکام الطغاة الذين يتبجحون بنظرية الحق الإلهى، فهم يمثلون أسوأ النماذج

للجبروت والاستبداد(1)

ومع کل ما سببته هذه النظرية من تخريب للإسلام وأهله نجد للأسف أن هناک

من يحاول التقليل من تأثيرها أو اتهام الآخرين بالرضوخ لسطوتها وتبرئة أسياده منها؛

دفاعا عن الذين جاءوا بها وحکموا الأمة المسلمة بسلطانها حيث قال الدکتور محمد

عمارة بهذا الصدد: ((فنحن نجد فى مقابل تلک الفلسفة وتطبيقاتها وهى لم تبلغ فى تاريخنا،

والحمد لله، بعض ما بلغته فى تاريخ غيرنا من الأمم، نجد المواقف الفکرية الشجاعة

التى رفضت تلک الفلسفة))(2) ولکنه رفض التصريح باسم الجهة أو الأشخاص الذين

عارضوها وکيف کانت معارضتهم لها؛ لأنهم بالتأکيد من أئمة الشيعة، ولذا تراه يلجأ

إلى التمويه فيعود للحديث عن السلطة الدينية التى هى بکل المقاييس أفضل وأشرف

1- ينظر: علمانية الحكم، الشيخ الدكتور سفر بن عبدالرحمن الخوالى، الفصل الأول.

2- الدولة الإسلامية، ص٢٠

من نظرية الحق الإلهى، ليتهم مذهب التشيع و أئمته بأنهم الوحيدون الذين طبقوها فى

الدولة الإسلامية ولو فى الجانب الفكرى؛ حيث قال: لقد كان فكر السلطة الدينية

وكذلك تطبيقاتها فى حضارتنا العربية الإسلامية النقطة السوداء التى مثلت الشذوذ

الذى يثبت قاعدة(لأفق الإسلام) لهذا الفكر و إنكار الأمة وعامة مفكريها لتطبيقاته.

فظلت هذه الدعوى، فى سماء حضارتنا وتاريخنا، سحابة صيف لم تتجد فى مؤسسات

ولم يجتمع حولها جهور ولم يقم لها باستثناء الشيعة مذهب فى إطار مذاهب الإسلاميين.

و إنما وقفت عند هذه الشبهات)).(1)

وهو يموه هنا على نظرية الحق الإلهى بنظرية السلطة الدينية، ويخلط بينهما لغايات

معروفة(2) أراد من خلالها القول بأن أئمة الشيعة هم أول من ادخل نظرية الحق الإلهى

إلى الحضارة الإسلامية بقوله: ونحن إذا ذهبنا نبحث عن الملابسات التى صاحبت

دخول فكرة(السلطة الدينية) ونظرية(الحكم بالحق الإلهى) إلى تراث الإسلام الفكرى

على يد الشيعة فى النصف الثانى من القرن الهجرى الأول، وجدنا تلك الملابسات))(3)

أى انه يتهم الإمام عليا و الإمام الحسن عليهما السلام اللذين حكما فى النصف الأول من القرن

الهجرى الأول بأنهما حكما بموجب هذه النظرية، مع علمه أن هذه النظرية دخلت إلى

الفكر الإسلامى على يد الأمويين فى أواخر النصف الأول من ذلك القرن وتحديدا بعد

1- الدولة الإسلامية، ص ٢١

2- كما فى كتابه (الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية) الذى أصدرته دار الثقافة الجديدة، وهى كتب تتماهى مع ما يدور فى الغرب من حديث عن السلطة الدينية، وفيه شبه من كتاب ((مادلين اولرايت)) (الجبروت والجبار تأملات فى السلطة والدين والشؤون الدولية) الذى كتب مقدمته الرئيس الأمريكى بيل كلينتون، وترجمه إلى العربية عمر الايوبى، ونشرته الدار العربية للعلوم ناشرون، عام ٢٠٠٧.

3- الدولة الإسلامية، ص٢٢

صلح الإمام الحسن عليه السلام واستيلاء معاوية على الحكم. أما أئمة النصف الثانى من القرن

الأول فهم الحسين وعلى بن الحسين و محمد الباقر عليهم السلام. الذين أبعدوا عن الحكم كليا

وكانوا تحت عسف و جور الحكام الامويين، فمن أين لهم أن يسوسوا الناس بموجب

هذه النظرية؟ وترى تحيز الدكتور عمارة واضحا من خلال سعيه لتبرئة الذين قاموا

حقا بالحكم بموجب النظرية ولصقها بأئمة التشيع الذين لم تتح لهم فرصة الحكم، بينما

نجد باحثين آخرين يعترفون بما لم يتحدث عنه، ولكنهم يقعون فى الخطأ نفسه حينما

يتهمون أئمة الشيعة، كما فى قول الدكتور صبرى محمد خليل: ((فى إطار الفكر السياسى

الإسلامى نجد مذهب يقارب مذهب الكهنوتيه،ويتمثل فى مذهب الاستخلاف

الخاص، والقائم على أن الحاكم يتفرد دون الجماعة بالاستخلاف عن الله فى الأرض،

وهو مذهب قال به بعض الخلفاء الأمويين والعباسيين، وقال به الشيعة فى حق ألائمه

من أحفاد على عليه السلام (1) لقد علل الدكتور صبرى وقوع التشيع بهذا الخطأ باعتبار إن:

((وجه الخطأ فى هذا المذهب هو ان الاستخلاف الخاص قصور على الأنبياء،وبختم

النبوة و بوفاة الرسول صلى الله عليه وآله انتهى هنا النوع من أنواع الاستخلاف، والقول بهذا المذهب

يعنى المساواة بين الحاكم والنبى فى الدرجة))(2)، وهنا قصور فى البحث، لأن الباحث لو

تعمق فى البحث لوجد أن الفقه الشيعى يثبت وجود نصوص نبوية على الاستخلاف.

إن الدكتور محمد عمارة وفى محاولته تجاوز اتهامه لأئمة التشيع ادّعى بأنها وجدت

عند العلويين: ((كرفض لسلطة البشر الظالمة، وتتعلق بالمطلب الرامى والداعى إلى

1- البحث الموسوم (مفهوم السلطة الدينية فى الفكر السياسى المقارن) الدكتور صبرى محمد خليل أستاذ الفلسفة جامعه الخرطوم، مدونة الكاتب، الرابط drsabrikhalil.word...

2- المصدر نفسه، مفهوم السلطة

استبدال هذه السلطة الإلهية العادلة بالسلطة البشرية الظالمة))(1)، وهذا وربى منتهى التحيز البعيد عن العقلانية. وفيه دلالة على أن النهج السياسى التعليلى الأول لا زال مستخدماً بنفس القوة ونفس الآسلوب. علما بأن هناك كثيراً من الباحثين الذين أدانوا مثل هذه التحليلات القاصرة مثل الدكتور صبرى محمد خليل أستاذ الفلسفة بجامعة الخرطوم الذى قال عن هذا الرأى الذى أسماه بالمذهب الكهنوتى: ((يستند إلى تصور معين لطبيعة العلاقة بين السلطتين الدينية والسياسية يجعل العلاقة بينهما علاقة تطابق وخلط، ويتمثل فى نظريتى الحكم بالحق الإلهى والعناية الإلهية.هذا التصور مرفوض إسلاميا، لأنه يودى إلى تحويل المطلق عن قيود الزمان والمكان (الدين) إلى محدود بالزمان والمكان نسبى فيهما (الدولة أو السلطة)، أو العكس أى تحويل ما هو محدود بالزمان والمكان نسبى فيهما (الدولة) إلى مطلق، أى إضفاء قدسيه الدين و اطلاقيته على البشر واجتهاداتهم المحدودة بالزمان والمكان، وهو ما رفضه الإسلام حين ميز بين التشريع الذى جعله حقا لله والاجتهاد الذى جعله حقا للناس. ومضمون هذا المذهب هو إسناد السلطة الدينية والسياسية إلى فرد أو فئة، ينفرد أو تتفرد بها دون الجماعة (رجال الدين). وهو مذهب مرفوض فى الإسلام))(2)

واتماما لما بدأه الدكتور عمارة حاول التعلل بركن الإمامة فى الفقه الشيعى والانتقاص منه كما هو ديدنهم على مر التاريخ، متهما الفكر الشيعى بأنه جاء بركن الإمامة من مخترعاته تطبيقا لنظرية الحق، الإلهى وليس من تعاليم الإسلام ونصوص

1- الدولة الإسلامية، ص٢٣

2- البحث الموسوم (مفهوم السلطة الدينية فى الفكر السياسى المقارن) الدكتور صبرى محمد خليل أستاذ الفلسفة بجامعه الخرطوم، مدونة الكاتب، الرابط.drsabrikhalil.wordpress.com

الشريعة وكما يتبين من قوله: ((إن جعل النظام السياسى وقمة السلطة فى المجتمع ركنا من أركان الدين وشأنا من شؤون السماء قد أدى إلى عزل البشر وإبعاد الأمة عن أن تكون هى المصدر الأصل والأساسى للسلطة والسلطان))(1) وهو بذلک يختزل كل أقوال المدارس الإسلامية المختلفة بشأن الإمامة بمجرد كلمات جوفاء، بعيدة عن الواقع، وفيها امتهان للعقيدة الإسلامية.

الغريب أن أبناء وأحفاد الفصيل السياسى يبدون متفقين على منهج التشكيک هذا، وكل منهم يطرحه للنقاش من وجهة نظره الخاصة، ولكنهم جميعا يبغون الوصول إلى هدف واحد، فقد قال الدكتور: ((يعتقد الشيعة أن على بن ابى طالب وذريته من بعده هم أصحاب الحق الشرعى فى حكم الدولة الإسلامية ويرون أن بنى أمية قد انتزعوا الخلافة من أصحاب الحق فيها، ولذلک لم يعترفوا بحكمهم وولوا عل أنفسهم أئمة من ذرية على و آمنوا أن الواجب يملى عليهم أن يعملوا جاهدين ليجمعوا لهؤلاء بين الخلافة التى تمثل السلطة الزمنية والإمامة التى تمثل السلطة الدينية الروحية))(2) وهى الآراء السقيمة التى أخذ بها المستشرقون وأعادوا صياغتها وطرحها إلى التداول فألحقت الضرر بالإسلام الحقيقى وانتصرت للسياسيين، وعلى سبيل المثال تجد فى القسم الخامس من كتاب (العقيدة والشريعة فى الإسلام) للمستشرق (أجناس جولد تسيهر) -وهو قسم مخصص للحديث عن الفرق فى الإسلام— قول المؤلف: ((فالخليفة فى الإسلام السنى تعقد له البيعة لتنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية لكى ترتكز فى شخصه واجبات الجماعة الإسلامية... ومجمل القول أن الخليفة يجتمع فى شخصه السلطة القضائية

1- الدولةالإسلامية•

2- الدولـة الفاطميـة، قيامها ببلاد الغرب وانتقالها إلى مصـرإلى نهاية القرن الرابع الهجرى،الدكتور عبد الله محمد جمال الدين،دار الثقافة

والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٤١١١٩٩١م، ص٣٨.

والإدارية والعسكرية فى الدولة.. وليست له صفة أخرى سوى أنه خليفة لسلفه وقد

تقلده بواسطة بشرية... فالخليفة عند أهل السنة ليست له سلطة روحية لها حق الهداية

والإرشاد))(1)

إن هذا القول بعيد عن الحقيقة كليا ولاسيما فيما يخص الخلافة الأولى أو ما يعرف

باسم (الخلافة الراشدة)، حيث لا ترى مدرسة الخلفاء فى سنة الخلفاء الراشدين امتدادا

لسنة النبى، وإنما تراها مكملة تفرض الهداية والإرشاد وهى مفعمة بالسلطة الروحية

تماما كما كانت السنة النبوية، الخلفاء أنفسهم كانوا يبحثون عن اسم له علاقة بهذه

السلطة وبهذه المهمة، فتسمى الخليفة الأول أبو بكر باسم (خليفة رسول الله) وأراد

الخليفة الثانى عمر تسمية نفسه (خليفة رسول الله) واستخدم المصطلح مدة يسيرة ثم

ألغى بسبب التعقيد لا أكثر. كذلك التسمية بحد ذاتها فيها دلالات أكيدة على هذا

المنهج، أى منهج الاستمرارية التى تمنح الخليفة سلطة روحية لها حق الهداية والإرشاد،

فأنظر إلى ما أخرجه ابن سعد فى طبقاته: ((قال صالح بن كيسان: وأخبرت عن عبد

الرزاق قال: أخبرنا معمر أخبرنى صالح بن كيسان قال: اجتمعت أنا والزهرى ونحن

نطلب العلم فقلنا نكتب السنن، قال: وكتبنا ما جاء عن النبى صلى الله عليه وآله قال: ثم قال: نكتب ما

جاء عن الصحابة فإنه سنة! قال: قلت: إنه ليس بسنة فلا نكتبه، قال: فكتب ولم أكتب

فأنحح وضيعت...! كما ولهم فى ذلك حديث يقول: (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء

الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ)))(2)

وتجد فى تاريخ بغداد: ((قال أبومعاوية: دخلت على هارون -يعنى (أمير المؤمنين)-

---

1- العقيدة والشريعة فى الإسلام، للمستشرق أجناس جولد تسيهر، نقله إلى العربية محمد يوسف موسى وآخرون، دار الرائد العربى، بيروت، ١٩٤٦، ص ١٨٢ .

2- طبقات ابن سعد، ج٢، ص ٣٨٨.

فقال لی: یا أبا معاویة هممت أنه من ثبت خلافة علی فعلت به وفعلت به، فسکت،

فقال لی: تکلم، تکلم! قال: قلت: إن أذنت لی تکلمت. قال: تکلم. فقلت: یا أمیر

المؤمنین، قالت تیم: منا خلیفة رسول الله صلی الله علیه وآله ، وقالت عدی: منا خلیفة خلیفة رسول

الله صلی الله علیه وآله ، وقالت بنو أمیة: منا خلیفة الخلفاء، فأین حظکم یا بنی هاشم من الخلافة، والله

ما حظکم فیها إلا ابن طالب! فقال: والله یا أبا معاویة، لا یبلغنی أن أحدا لم یثبت

خلافة علی، إلا فعلت به کذا وکذا))(1) وفی مسند أحمد: ((قیل لأبی بکر یا خلیفة الله،

فقال: أنا خلیفة رسول الله صلی الله علیه وآله ، وأنا راض به، وأنا راض به، وأنا راض)).(2)

وفی شرح نهج البلاغة: ((قال رجل لعمر یا خلیفة الله، قال: خالف الله بک، قال:

جعلنی الله فداک! قال: إذن یهینک الله)).(3) بل وهناک من سمی الخلیفة عثمان بعد وفاته

باسم خلیفة الله! فقد قال شاعرهم، ونسبوه إلی لیلی الآخیلیة کما فی الطبرانی الکبیر،

ومجمع الزائد:

أبعد عثمان ترجو الخیر أمتهقد کان أفضل من یمشی علی ساق

خلیفة الله أعطاهم وخولهممن کان من ذهب حلو و أوراق(4)

هذه الثقافة ترجها الحجاج بن یوسف الثقفی وخالد بن عبد الله القسری ولاة

بنی أمیة علی الاقالیم، قال الجاحظ: ((خطب الحجاج بالکوفة، فذکر الذین یزورون قبر

رسول الله صلی الله علیه وآله بالمدینة، فقال: تبا لهم، إنما یطوفون بأعواد، ورمة بالیة! هلا طافوا بقصر

أمیر المؤمنین عبد الملک؟! ألا یعلمون أن خلیفة المرء خیر من رسوله؟.

1- تاریخ بغداد، الخطیب البغدادی، ج۲، ص ۳۰۱.

2- مسند أحمد، ج ۱ ، ص ۱۰و۱۱ ۰

3- شرح نهج البلاغة ج۱۲ ، ص۹٤

4- الطبرانی الکبری،ج ۱ ، ص۸٦، ومجمع الزائد، ج۹، ص۹۹.

وعليه قال المبرد: إن ذلک مما کفرت به الفقهاء الحجاج. وأنه إنما قال ذلک والناس

يطوفون بالقبر. وهذه القضية معروفة ومشهورة. وکتب الحجاج إلى عبد الملک: إن

خليفة الرجل فى أهله أکرم عليه من رسوله إليهم، وکذلک الخلفاء يا أمير المؤمنين

أعلى منزلة من المرسلين)). (1) وقد ادعى الحجاج أن خبر السماء لم ينقطع عن الخليفة

الأموى(2) وکان الحجاج يرى ان عبد الملک بن مروان معصوم!(3) بل کان يرى نفسه:

أنه لا يعمل إلا بوحى من السماء، وذلک حينما أخبروه أن أم أيمن تبکى لانقطاع الوحى

بموت رسول الله صلى الله عليه وآله (4)

وقال خالد بن عبد الله القسرى، وذکر النبى صلى الله عليه وآله : ((أيما أکرم رسول الرجل فى حاجته

أو خليفته فى أهله! يعرض أن هشاما خير من النبى صلى الله عليه وآله)). (5) وقال أيضاً: ((والله لأمير

المؤمنين أکرم على الله من أنبيائه)). (6) وزعم خالد أيضا: ((أن عبد الله بن صيفى سأل

هشاما، فقال: يا أمير المؤمنين أخليفتک فى أهلک أحب إليک وآثر عندک أم رسولک؟

قال هشام: بل خليفتى فى أهلى٠ قال: فأنت خليفة الله فى أرضه وخلقه، ومحمد رسول

الله (مر) إليهم؟ فأنت أکرم على الله منه. فلم ينکر هذه المقالة من عبد الله بن صيفى

وهى تضارع الکفر)). (7)

1- العقد الفريد ج٢، ص٤٥٣ وجه،ص15 وص25، البداية والنهاية ج١٩، ص١٣١، وتهذيب تاريخ دمشق ج٤، ص٧٢.
2- ينظر:تهذيب تاريخ دمشق، ج٤، ص72 .
3- ينظر: العقد الفريد، ج٥ ، ص٥٢ .
4- ينظر: تهذيب تاريخ دمشق،ج٤،ص 73، والإمام الصادق والمذاهب الأربعة،ج١،
5- الأغانى، أبى الفرج الأصفهانى، ج١٩ ،ص٦٠.
6- ينظر: الأغانى،ج١٩ ، ص ٦٠، وتهذيب تاريخ دمشق، جه ، ص٨٢ .
7- الأخبار الطوال، الدينورى، مصدر سابق، ص ٣٤٦.

وربما لهذا السبب يرى الأستاذ إدريس الحسيني انطواء عبارة: (الخلفاء الراشدون)

على معنيين اثنين: أحدهما لغوى، والثانى، اصطلاحى. أما لغوياً، فإن عبارة: (الخلفاء

الراشدون): إذا فككنا تركيبها، ونظرنا لغويا فى المفردتين المكونتين لها، نجد بأن:

خلفاء، خليفة من الخلافة.. وهى لغة تعنى النيابة.. وخليفة الرجل، من يقوم مقامه..

وفى القرآن. ((ان يشأ يـذهبكم ويسـتخلف من بعدكم ما يشاء))،((فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب))،((و اذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعـد قوم نوح))،((ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعـدهم لننظر كيف تعملون))،((و اذ قال ربک للملائكـة انى جاعل فى الارض خليفة))،((ياداود انا جعلناک خليفة فى الارض))

أما

فى المصطلح: فإن الخلفاء جمع خليفة مشتقة عن مصدر خلافة.. وهى النيابة، والقيام

مقام الرسول صلى الله عليه وآله بعد وفاته، وتمثل كل مهماته، كحمل الناس على الطاعات وتنفيذ

حكم الشريعة.(1)

ومنه يتضح الخلط الذى وقع به المستشرق (تسيهر) ولاسيما أنه نسب كل ما تقدم

إلى الشيعة وحدهم، كما فى قوله: ((وعلى نقيض ذلک إمام الشيعة، فهو بفضل الصفات

الشخصية التى أودعها الله تعالى فيه، يعتبره الشيعة هادى المسلمين وفقيههم ووارث

رسالة النبى، فيأمر ويعلم باسم الله... وليس للإمام فحسب، صفة الرئاسة للسلطة

الحاكمة المقبولة لدى الله، وإنما يرفعه فوق المستوى البشرى العادى صفات هى فوق

البشرية))(2)، ويتضح أكثر وأكثر تأثير النهج السياسى على الباحثين المعاصرين، فالذين

قاموا بترجمة كتاب (تسيهر) إلى العربية وعلقوا عليه وهم كل من محمد يوسف موسى،

1- الخلافـة المغتصـبة أزمـة تاريـخ أم أزمـة مـؤرخ؟) للأسـتاذ إدريس الحسـينى، كتـاب الكـترونى،مركز الأبحـاث العقائـدية www.aqaed.com!

2- العقيدة والشريعة، أجناس جولد تسيهر، ص ١٨٢-١٨٣

المدرس بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر، وعبد الرزاق عبد الحق المدرس بكلية

الشريعة بالجامع الأزهر وعلى حسن عبد القادر الدكتور فى العلوم الإسلامية ومدير

المركز الثقافى الإسلامى فى لندن، قالوا فى تعليقهم على قول (تسهير): ((ولم ترغب

الخلافة العباسية فى أن تتخلف عن الشيعة فى الآخذ بهذه النظرية، فكانت ترحب عن

طيب خاطر بأن يطلق عليها لقب (ميراث النبوة)... ولكن هذه الآسماء والصفات لا

تخرج فى دلالتها على أن الخلافة ميراث شرعى للسلطة النبوية على اعتبار أن العباسيين

ينتمون إلى آل البيت))(1) وهم بقولهم هذا يريدون تبرئة الآخرين واتهام التشبع بأنه يؤمن

ويعمل بنظرية الحق الإلهى، أما ما بدر من الحكام بما يبدو وكأنه تطبيق لهذه النظرية فذلك

مرده إلى تأثرهم بالفكر الشيعى لا أكثر! وهذا ما يرفضه (دوايت م. رونلدسن) الذى

يرى فى كتابه (عقيدة الشيعة) أن الخلفاء الراشدين الثلاثة جاءوا إلى الحكم بموجب

نظرية الحق الإلهى، فقال: من المحتمل جدا أن فكرة الحق الإلهى التى تقضى بأن يعين

كل إمام خلفه لم تبتعد بوضوح فى أول الآمر من الآراء الأخر بالخلافة. فإن عادة القبائل

العربية أن يختاروا من يلى السابق فى الأهمية بمجتمعهم ولا شك أن هذا المبدأ هو الذى

تقرر بموجبه اختيار أو تعيين الخلفاء الثلاثة الأول ابى بكر وعمر وعثمان، ويمكن أيضا

اعتبار أن عليا جاء إلى الخلافة فى الزمن الذى قدمته الظروف إلى الصف الأول دون أن

يكون لذلك أية علاقة مع الإرث أو التخصيص))(2) ولكنه عاد وتماهى مع سلفه فأتهم

أئمة الشيعة بأنهم حكموا بموجب نظرية الحق الإلهى، فقال: وجاءت تعاليم ابن سبأ

ودعوته فى أن عليا بكونه وصى النبى صلى الله عليه وآله . انتقل إليه النور الإلهى أو الروح الإلهى التى

1- المصدر نفسه. حواشى القسم الخامس. ص332-331

2- عقيدةالشيعة. الدكتور دوايت م .رونلدسن تعريب ع.م. موسسه المفيد. بيروت1440. ه1990م. ص 83

يتمكن من توريثه من شاء))(1)

إن أغلب المستشرقين بما فيهم من أسهم فى تحرير (دائرة المعارف الإسلامية)

عملوا بجد لترسيخ فكرة وجود وتأصل نظرية الحق الالهى عند الشيعة، ومنهم الذين

أسهموا فى كتابة هذه الموسوعة مثل: الفرنسى لويس ماسينيون (١٨٨٣-١٩٦٢)،

الانكليزى رينولد ألين نيكلس (١٨٦٨-١٩٤٥)، دافيد صموئيل مرجليوث

(١٨٥٨-١٩٤٠) إجناس كولد تسيهر (١٨٥٠-١٩٢١)، الانكليزى أ.ج. أربرى،

الألمانى كارل بروكلمان (١٨٦٨-١٩٥٦) الهولندى كريستيان ستوك هرجروينيه

(١٨٥٧-١٩٣٦) الفرنسى جودفروا ديمومبين (١٨٦٢-١٩٥٧)، الانكليزى توماس

ووكر رنولد (١٨٦٤-١٩٣٠)، رينيه باميه (١٨٥٥-١٩٢٤) الفرنسى إيفارست

ليفى بروفنسال (١٨٩٤-١٩٥٥) السويدى كارل فلهلم سترستين (١٨٦٦-١٩٥٣)،

الإيطالى جورجيوليفى دلافيدا (١٨٨٦-١٩٦٧) الألمانى كارل فلرس (١٨٥٧-١٩٠٩)

الدنماركى فرانتس بوهل (١٨٥٠-١٩٣٢)

ومن يتابع تواريخ ميلاد هؤلاء المستشرقين يجد تقاربا غريبا بما يؤكد أنهم أبناء

جيل كتب لهم أن يجندوا للقيام بعمل ضد الإسلام عامة وضد التشيع خاصة، فمن

المستحيل أن تنحصر تواريخ ولاداتهم فى المدة ١٨٥٠ إلى ١٨٦٨ مصادفة. ولقد نجح

بعض هؤلاء فى الترويج لفكرة أن أئمة أهل البيت عليهم السلام يتم تنصيبهم بموجب نظرية

الحق الإلهى، ويحكمون بموجبها بالرغم من أنهم لم يمارسوا الحكم، مع علم هؤلاء

المستشرقين الأكيد بأن الحكام السياسيين هم الذين مارسوا الحكم باسم الله، وما من

قرار اتخذوه أو حكم أصدروه إلا بوحى من هذه النظرية.

1- عقیده الشیعه. مصدر سابق. ص83

التنصيب الإلهى

أقل ما يمكن أن توصف به الآراء التى تتهم أئمة الشيعة بأنهم حكموا بموجب

نظرية الحق الإلهى هو السقم والخواء، أو فى الأقل الخلط المتعمد المقصود؛ فنحن نعرف

كما يعرف غيرنا أن هناك اختلافا كبيرا جدا بين نظرية (التنصيب الإلهى) الشرعية

ونظرية (الحق الإلهى) الشركية، والفرق بين الاثنين كالفرق بين السماء والأرض. ووفق

نظرية التنصيب الإلهى الشرعية ترى مدرستنا بأن تصيب الإمام مكمل لتنصيب النبى،

وفق قاعدة (اللطف) التى توجب أن يبعث الخالق اللطيف بعباده رسله لهداية البشر

و أداء الرسالة الإصلاحية، فنحن نعتقد أن النبوة لطف إلهى ونعتقد: إن النبوة وظيفة

إلهية وسفارة ربانية يجعلها الله تعالى لمن ينتجبه ويختاره من عباده الصالحين وأوليائه

الكاملين فى إنسانيتهم))(1) ونعتقد كذلك أن الإمامة لطف إلهى أيضا، ونعتقد: إنها

كالنبوة لطف من الله تعالى، فلابد أن يكون فى كل عصر إمام هاد يخلف النبى فى وظائفه

من هداية البشر و إرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة فى النشأتين، وله ما للنبى من

الولاية العامة على الناس لتدبير شؤونهم ومصالحهم)).(2)

وعليه نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين، لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها،

ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين مهما عظموا وكبروا، بل يجب النظر فيها

1- عقائد الإمامية،الشيخ محمد رضا المظفر،ط٢، مركز الأبحاث العقائدية، النجف الاشرف، ١٤٢٤ هجرية، ص ٤٧.

2- عقائد الإمامية، المظفر، ص ٧٣- ٧٤.

كما يجب النظر فى التوحيد والنبوة))(1) وقد أخرج محمد بن يعقوب الكلينى ((عن على

بن إبراهيم؛ عن أبيه؛ عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليمانى وعمر بن اذينة؛

عن أبان؛ عن سليم بن قيس الهلالى؛ قال: شهدت أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى إلى ابنه

الحسن عليه السلام وأشهد على وصيته الحسين عليه السلام و محمدا وجميع ولده و رؤساء شيعته و أهل

بيته؛ ثم دفع إليه الكتاب والسلاح وقال له: يا بنى، أمرنى رسول الله صلى الله عليه وآله أن أوصى

إليك و أدفع إليك كتبى وسلاحى كما أوصى إلى و دفع إلى كتبه وسلاحه، وأمرنى أن

آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين؛ ثم أقبل على ابنه الحسين عليه السلام

فقال: وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها إلى ابنك هذا؛ ثم أخذ بيد على بن الحسين؛

وقال: وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها إلى ابنك محمد ابن على؛ واقرأه من رسول

الله ومنى السلام)).

هذا هو القانون الإسلامى الذى نص عليه القرآن والسنة؛ فام ذنبنا إذا ما رفض

الآخرون أن يعتقدوا بما جاء به الإسلام فاخترعوا نظرياتهم الخاصة التى لم تستقر على

منهج محدد؛ وإنما فتحت الباب للتعيين والنص والشورى والغلبة بالسيف؛ فهم يرون

أن الخلافة والإمامة بالغلبة كما فى خلافة عبد الملك بن مروان؟ وهل يتهم من يتبع منهج

الإسلام ويمتدح من يشذ عنه لمجرد أن السياسة تريد ذلك؟

إن الاتهامات الفارغة الباطلة التى يتهمنا بها الآخرون من أحفاد السياسيين

العرب الأوائل تأتى مكملة لمنهج الإسقاط الذى اتبعه السياسيون القدماء بإسقاط

جرائمهم على الأبرياء والتبرؤ منها(2)؛ وهو قول مخالف للحقيقة ومجاف لواقع الخلفاء

1- عقائد الامامية؛ الظفر؛ ص ٧٣.

2- الإسقاط: آلية نفسية شائعة يعزو الشخص بوساطتها أو عن طريقها للاخرين أحاسيس وعواطف ومشاعر يكبتها بداخله. وهو حيلة دفاعية ينسب فيها الفرد عيوبه ورغباته المحرمة والعدوانية أو الجنسية إلى الآخرين حتى يبرئ نفسه. يقول عالم النفس ((سيجموند فرويد)) مؤسس علم التحليل النفسي: (يشير الإسقاط أولا إلى حيلة لا شعورية من حيل دفاع الأنا وبمقتضاها ينسب الشخص إلى غيره ميولا و أفكارا مستمدة من خبرته الذاتية يرفض الاعتراف بها لما تسببه من ألم وما تثيره من مشاعر الذنب،فالإسقاط بهذه المثابة وسيلة للكبت إى اسلوب لاستبعاد العناصر النفسية المؤلمة عن حيز الشعور... إن العناصر التى يتناولها الإسقاط يدركها الشخص ثانية بوصفها موضوعات خارجية منقطعة الصلة بالخبرة الذاتية الصادرة عنها أصلا، فالإدراك الداخلى يلغى ويصل مضمونه إلى الشعور عوضا عنه فى شكل إدراك صادر عن الخارج بعد أن يكون قد لحقه بعض التشويه) ويرى علماء النفس: أن الأفراد الذين يستخدمون الإسقاط هم أشخاص على درجة السرعة فى ملاحظة وتجسيم السمات الشخصية التى يرغبونها فى الآخرين ولا يعترفون بوجودها فى أنفسهم،ويظن كثير من الناس أن هذه الاستراتيجية أو ((الحيلة الدفاعية)) تقلل من القلق الناتج من مواجهة سمات شخصية مهددة، وتظهر هنا مرة أخرى آلية القمع أو الكبت. وجد علماء النفس أن الأفراد العدوانيين الذين لا يدركون مدى شرههم الجنسى مثلا أو عدوانيتهم يلاحظون ذلک فى الآخرين. إن آلية الإسقاط هى آلية نفسية لا شعورية بحتة وهى عملية هجوم لاشعورى يحمى الفرد بها نفسه بإلصاق عيوبه ونقائصه ورغباته المحرمة أو المستهجنة بالآخرين، كما أنها عملية لوم الآخرين على ما فشل هو فيه بسبب ما يضعونه أمامه من عقبات وما يوقعونه فيه من زلات أو أخطاء،فيقول الشخص فى لاشعوره: أنا اكره شخص ما ولكنى أقول هو يكرهنى، هنا أريد أن اخفف من إثمى ومشاعرى الدفينة تجاه ذلک الشخص ويقول علماء النفس: إذا ما قارنا الإسقاط بالتبرير، وكلاهما حيل دفاعية يلجأ إليها الفرد، فأننا نجد أن الإسقاط عملية دفاع ضد الآخرين فى الخارج، أما التبرير فهو عملية كذب على النفس. ويضيف علماء النفس أن الإسقاط إذا كان قائما على شعور عنيف بالذنب أدى إلى حالة اضطراب البرانويا أو ما يصاحبه من هذيان وهلوسة. ويرى عالم النفس ((فرويد)): (ان الإسقاط حيلة نفسية ينسب فيها الشخص سماته الذاتية وعواطفه وميوله لموضوعات بيئته من أشخاص وأشياء... فالإسقاط لا يقصر على كونه حيلة دفاعية وإنما يفهم بالمعنى الواسع للفظه.) ويرى المتخصصون بأن الإسقاط واحد من مكونات ميكانيزم الدفاع فى منظومة الحيل الدفاعية، التى يستخدمها الإنسان بهدف خفض القلق والتوتر عن طريق إنكار الواقع وتشوهه وتزيفه. فعجز الفرد عن مواجهة مشكلاته بصراحة يدفعه إلى أساليب من التكيف يقصد بها تخفيف حدة التوتر الناتج عن الإحباط. وأسباب استخدام الفرد للحيل الدفاعية (اللاشعورية) يأتى لتجنب حالات القلق وما يصاحبه من شعور بالإثم.

أنفسهم؛ وهم الذين ملؤوا الدنيا سلبا وسطوا وعنفا وبغيا وفسقا. وكم كان عمر بن

عبد العزيز منصفا فى قوله الذى نقله عنه ابن الأثير فى تاريخه: ((استعرض عمر بن عبد

العزيز الوضع فى أيام الوليد بن عبد الملك فقال: الحجاج فى العراق والوليد فى الشام

وقرة بمصر وعثمان بالمدينة وخالد بمكة.. اللهم قد امتلأت الدنياجورا و ظلما)).(1)

فهل لحكم السياسيون وفق نظرة الإسلام؟ وهل ينطبق عليهم ولو مجرد فصل

صغير واحد من فصول نظرية التنصيب الإلهى، لكى تبرا ساحتهم من الظلم بالرغم

من كل الأقوال التاريخية التى قيلت عنهم، ويتهم من اتبع شريعة الإسلام بالشذوذ؟

ومن الذى أبعد البشر عن طريق الهداية، محمد صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومون عليهم السلام من ولده،

أم السياسيون الدنيويون الذين لوثوا فطرة الدين وحرفوا شريعته فطعن بنزاهتهم من

هو من جلدتهم، واتهمهم بالظلم من استلم الحكم بعدهم؛ كما فعل الخليفة الأموى عمر

بن عبد العزيز فهو مع اعتزازه بأمويته لمجرد أن رفض سيرة الحكام الأمويين واتهمهم

بالظلم وأعاد فدك إلى بتى فاطمة عليه السلام قام الأمويون بسمه وقتله كما هى عادتهم فى

التخلص من أعدائهم، وفى حجاجه مع الخوارج قالوا له: ((رأيناك خالفت أعمال أهل

بيتك وسميتها مظالم، فإن كنت على هدى وهم على ضلالة فألعنهم وابرأ منهم)) (2)

وكان هذا الخليفة الأموى المعتز بأمويته يردد دائما: ((أهلكنى أمر يزيد، وخصمت فيه،

فأستغفر الله،.)) فخاف بنو أمية أن يخرج ما بأيديهم وأن يخلع يزيد من ولاية العهد،

1- لقد استشـهد الكاتب المصـرى المثير للجدل سـيد القمنى بذا القول فى مقالته المعنونة (هل كان تاريخنا ماضـيا سعيدا؟) التى نشرتها مجلة روز اليوسف الصادرة يوم الخميس ٩ حزيران ٢٠١٠.

2- نهاية الأرب فى فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشـى التيمى البكرى، شهاب الدين النويرى، ج٢١، ص ٣٦٠.

فوضعوا على عمر من سقاه سما. فلم يلبث بعد ذلك إلا ثلاثا حتى مرض ومات.(1)

لقد بقيت نظرية الحق الإلهى منهجا للحكام السياسيين على مدى الدهر، وقد

أثبت الخلفاء العباسيون الذين تسلقوا سلم السلطة بعنوان (الرضا من آل محمد) بعد

أن حاربوا وطاردوا وسجنوا وقتلوا آل محمد (عليهم الصلاة والسلام) أنهم نسخة

طبق الأصل من الأمويين وقد حكموا تحت ظلال النظرية وباسمها؛ وهذا ما صرح به

المنصور العباسى (٩٥- ١٥٨ ٧١٤. ٧٧٥م) فى واحدة من خطبه المشهورة بقوله: ((أيها

الناس لقد أصبحنا لكم قادة وعنكم ذادة، نحكمكم بحق الله الذى أولانا وسلطانه

الذى أعطانا... وإنما أنا سلطان الله فى أرضه، وحارسه فى ماله... جعلنى عليه قفلا إن

شاء أن يفتحى لإعطائكم وإن شاء أن يقفلنى))(2) فضلا عن الألقاب التى اختاروها

لأنفسهم مثل (الحاكم بأمر الله) وغيرها من الكنى المنتزعة من نظرية الحق الإلهى والتى

تدل على التكبر والتجرب والعلو على البشر الآخرين. وهنا يكاد التكبر أن يكون مقرونا

بنظرية الحق الإلهى وبعيدآ كل البعد عن التنصيب الربانى.

1- نهاية الأرب فى فنون الأدب، ص ٣٦٣،ج ٢١.

2- الإسلام وأصول الحكم، على عبد الرزاق، بيروت، ١٩٧٢، ص ١١٥.

الكِبرْ

الكبر

لم نسمع أو نقرأ كلمة واحدة حتى من أعدى أعداء أئمة أهل البيت عليهم السلام تدعى أن

الأئمة المعصومين تكبروا على أتباعهم أو هددوهم ومنعوهم عن إبداء الرأى، والتاريخ

يروى لنا قصصا تثبت بأنهم لم يمنعوا عدوهم من إبداء رأيه، وفى نهج البلاغة ((شتم

رجل من الخوارج عليا عليه السلام فهم أصحابه بمعاقبته فقال لهم: مه!إنما هو سب بسب أو

عفو عن ذنب))

والإمام الحسن عليه السلام مر بالوقف ذاته وتصرف بالسلوك ذاته يوم تعرض للسب من

رجل شامى، فتبسم فى وجهه. وهى واقعة شاهدة على سلوك الإمام الحسن عليه السلام فى الحياة

العامة وطريقة تعامله مع الأحداث الطارئة بما ينسجم مع السلوك الإسلامى السوى

فى أعلى صوره، وهى درجة لا يبلغها إلا من وضع فى مركزه الذى هو فيه بتنصيب

ربانى. القصة أخرجها الخوارزمى فقال: قال رجل من أهل الشام: قدمت المدينة بعد

صفين فرأيت وجلا حضرنا فسألت عنه فقيل: الحسن بن على فحسدت عليا أن يكون

له ابن مثله فقلت له: أنت ابن ابى طالب؟ قال: أنا ابنه، فقلت له: بك وبأبيك فشتمته

وشتمت أباه وهو لا يرد شيئا فلما فرغت أقبل على، وقال: أظنك غريبا ولعل لک حاجة

فلو استعنت بنا لأعناک ولو سألتنا لأعطيتاک ولو استرشدتتا أرشدناک ولو استحملتنا

حملناک. قال الشامى: فوليت عنه وما على الأرض أحد أحب إلى منه فما فكرت بعد

ذلک فيام صنع وفيام صنعت إلا صاغرت إلى نفسى))(1)

ص: 506

1- موسوعة الإمام الحسن www.mezan.net

وأخرجها ابن شهر آشوب: ((ومن حلمه ما روى المبرد، وابن عائشة أن شاميا رآه راكبا فجعل يلعنه والحسن لا يرد فلما فرغ أقبل الحسن فسلم عليه وضحک، فقال: أيها الشيخ أظنک غريبا، ولعلک شبهت؛ فلو استعتبتنا أعتبناک، ولو سألتنا أعطيناک، ولو استرشدتنا أرشدناک، ولو استحملتنا أحملناک، وإن كنت جائعا أشبعناک، وإن كنت عريانا كسوناک، وإن كنت محتاجا أغنيناک، وإن كنت طريدا آويناک، وإن كان لک حاجة قضيناها لک، فلو حركت رحلک إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالک كان أعود عليک، لأن لنا موضعا رحبا وجاها عريضا ومالا كثيرا . فلما سمع الرجل كلامه، بكى ثم قال: أشهد أنک خليفة الله فى أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته وكنت أنت وأبوک أبغض خلق الله إلى، والآن أنت أحب خلق الله إلى وحول رحله إليه، وكان ضيفه إلى أن ارتحل، وصار معتقدا لمحبتهم)).(1)

وأخرجها الإربلى: ((روى ابن عائشة قال: دخل رجل من أهل الشام المدينة فرأى رجلا راكبا بغلة حسنة، قال: لم أر أحسن منه، فمال قلبى إليه فسألت عنه؟ فقيل لى: أنه الحسن ابن على بن ابى طالب، فامتلأ قلبى غيظا وحنقا وحسدا أن يكون لعلى ولد مثله فقمت إليه فقلت: أنت ابن على بن ابى طالب؟ فقال: أنا ابنه، فقلت: أنت ابن من، ومن، ومن؟ وجعلت اثتمه وأنال منه ومن أبيه، وهو ساكت حتى استحييت منه فلما انقض كلامى، ضحک وقال: أحسبک غريبا شاميا؟ فقلت: أجل، فقال: فمل معى إن احتجت إلى منزل أنزلناک، وإلى مال أرفدناک وإلى حاجة عاوناک، فاستحييت منه وعجبت من كرم أخلاقه فانصرفت وقد صرت أحبه ما لا أحب أحدا غيره))(2)

فضلا عن ذلک كان الأئمة المعصومون يحثون أتباعهم على نبذ التكبر فى تعاملهم

1- الموسوعة الإمام الحسن

2- الموسوعة الإمام الحسن

مع الآخر صديقا كان أم عدوا وفى عهده إلى مالک الأشتر رحمه الله قال الإمام على عليه السلام:

وإياک والإعجاب بنفسک والثقة بما يعجبک منها وحب الإطراء فإن ذلک من أوثق

فرص الشيطان فى نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين))(1)

إن سلوک الإمام الحسن عليه السلام مع من تطاول عليه جهلا يعد ترجمة حقيقية لنظرية

التنصيب الالهى، أما نظرية الحق الالهى فإنها طبعت الذين اتخذوها قاعدة بطباع الكبر

والخيلاء، وقد نقل الطبرى عن الوليد بن عبد الملک أنه خطب يوم استخلافه مهددا:

((أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذى فيه عيناه، ومن سكت مات بدائه)) فمن

أين تنبع مثل هذه الأقوال إذا لم تكن نابعة من نظرية الحق الإلهى؟

لذا نجد إن مفهوم الإمرة فى الدين وفى منهج أهل البيت عليهم السلام يختلف عن مفهومه

فى السياسة؛ فالسياسة تبحث عن البهرجة الدنيوية وبالتالى تحتاج إلى ما يمنحها قداسة

تبحث عنها فوجدوا ضالتهم فى نظرية الحق الإلهى معينا، وفى الكبر سبيلا. أما السياسة

فى الدين فتبحث عن تطبيق منهاج الشريعة وتمثل الشريعة وقدسيتها حينما يضع المصلح

نفسه موضع من يحتاج إلى الإصلاح والنصيحة.

لقد كان الخلفاء الأمويون مدججين بالحرس المدجج بالسلاح وإذا خرجوا

خرجت معهم الألوف تحرسهم أو تنتظر فتات خبزهم، وفى قصورهم الفارهة لا يمكن

لأحد أن يصل إليهم؛ وقد أورد اليعقوبى نبذة عمن سن و أسس هذا المنهج الاستعلائى

فى الإسلام، بقوله: وكان معاوية أول من أقام الحرس و الشرط والبوابين فى الإسلام

وأرخى الستور واستكتب النصارى ومشى بين يديه بالحراب وأخذ الزكاة من الأعطية

وجلس على السرير والناس تحته، وبنى و شيد البناء، وسخر الناس ولم يسخر أحد قبله

1- فلسفة الدولة فى الفكر السياسى الشيعى، الدكتور الشيخ محمد شقير، مصدر سابق،ص٨٨

واستصفى أموال الناس فأخذها لنفسه)).(1)

بينما يحدثنا التاريخ عن سيد سياسة الدين الإمام على عليه السلام أنه كان قد ركب دابة لحاجة فتبعه رجل يمشى خلفه، فالتفت إليه وقال له: ((ارجع فإن مشى مثلك مع مثلى فتنة للمتبوع ومذلة للتابع)) وعند سفر الإمام الحسن عليه السلام لأداء فريضة الحج وهى حالة تكررت أكثر من خمس وعشرين مرة، كان الحجج يهابونه وينزلون عن رواحلهم احتراما له ويسيرون معه على الأقدام؛ لأنه كان يحج سائرا، حتى اضطر إلى أن يجانب الطريق العام المؤدى إلى مكة لعدم إحراجهم.

أما لماذا هذا السلوك العلوى؟ فلان كلام على عليه السلام أوضح الهدف، فقد صح عنه قوله فى إحدى حكمه العظيمة: ((قلوب الرعية خزائن راعيها فما أودعها من عدل أو جور وجده فيها)) وقد صح فى أصول الكافى عن الصادق عليه السلام قوله: ((إن شراركم من أحب أن يوطأ عقبه)) بمعنى: من أحب أن يمشى الرجال خلفه. وفى طريقه إلى صفين. لقى الإمام على عليه السلام دهاقين الأنبار، فترجلوا له واشتدوا بين يديه فسألهم: ((ما هذا الذى صنعتموه))؟ قالوا: خلق منا نعظم به أمراءنا. فقال: ((والله ما ينتفع بهذا أمراؤكم وإنكم لتشقون به على أنفسكم فى دنياكم وتشقون به فى آخرتكم)).

وقال الامام على عليه السلام: داتقوا الله فى عباده وبلاده فإنكم مؤولون حتى عن البقاع والبهائم))، وكان الإمام على عليه السلام يرى أن (من ملك استبد) ولذا قال وكرر: ((إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس حتى يتسع على الفقير فقره))

كذلك كان الإمام الحسن عليه السلام يفضل أن يكتب له أهل الحاجة حاجتهم فى ورقة، سئل عن ذلك فأجابهم انه لا يريد للسائلين أن يريقوا ماء وجههم، ليحفظ كرامتهم.

1- تاريخ اليعقوبى، ج٢،ص ١٦٢.

أما السياسيون أصحاب نظرية الحق الإلهى فكانوا يرون أنفسهم أغنى الأغنياء؛

ولا قانون يفرض سلطته عليهم حتى ولو كان قانوناً إلهياً، وكانوا يبيحون لأنفسهم

ما لا يبيحونه لغيرهم؛ لأنهم يشعرون بأنهم فوق البشر؛ ورد فى (تجارب الأمم) لابن

مسكويه: ((وفيها -أى سنة ٣٢١ هجرية- خرج أمر (القاهر) بتحريم القيان والخمر

وسائر الأنبذة، وقبض على من عرف بالغناء من الرجال والمخانيث والجوارى والمغنيات

فنفى بعضهم إلى البصرة وبعضهم إلى الكوفة، وكان القاهر مع ذلك مولعاً بشرب الخمر

ولا يكاد يصحو من السكر ويسمع الغناء ويختار من جوارى القيان من يريد))(1)

وتجد فى تراث أهل البيت عليهم السلام ما نقله الإربلى عن الإمام الحسن عليه السلام :ومن كلامه:

يا بن آدم أعف، عن محارم الله تكن عابداً، وارض بما قسم الله سبحانه تكن غنياً،

وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك

به تكن عدلاً، إنه كان بين أيديكم أقوام يجمعون كثيراً ويبنون مشيداً ويأملون بعيداً،

أصبح جمعهم بواراً وعملهم غروراً ومساكنهم قبوراً.

يا بن آدم إنك لم تزل فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك فخذ مما فى يديك

لما بين يديك فإن المؤمن يتزود والكافر يتمتع)) وكان يتلو بعد هذه الموعظة((وتزودوا

فإن خير الزاد التقوى))(2)

إن السياسيين سلبوا حرية النايس وحولوهم إلى عبيد؛ لأنهم يرون أنفسهم فوق

البشر، أما أئمة الحق فقد فتحوا عيون الناس وأمروهم أن لا يقدسوا الحكام الجهلة؛

لأنهم أصغر مما يبدون عليه. جاء فى (بلاغات النساء): ((تجرأت امرأة من همدان على

1- المستطرف الجديد، ص ١٤

2- موسوعة الإمام الحسن

معاوية فقال لها: لقد لمظكم ابن أبى طالب الجرأة على السلطان فبطيئاً ما تفطمون))

فى كتابه (الحرية فى الإسلام) يقول الدكتور على عبد الواحد وافى: ((يقصد بالحرية

المدنية فى الإسلام الحالة التى تجعل الشخص أهلاً لإجراء العقود وتحمل الالتزامات

وتملك العقار والمنقول والتصرف بما يملك وقد منح الإسلام هذا الحق جميع الأفراد

ما عدا الصبى والمجنون والسفيه))(1)، هكذا بكل بساطة حصر مفهوم الحرية المدنية فى

الحدود الدنيا لمتطلبات العيش والحياة وكأن الحياة لا تتجاوز هذه الحدود الضيقة، مع أنه

يعود ويقول: ((ويسوى الإسلام كذلك فى هذا الحق بين المسلمين وغير المسلمين فيقرر

أن للذميين فى بلد إسلامى أو فى بلد خاضع للمسلمين لهم ما للمسلمين من حقوق

مدنية)). وفى هذا يقول رسول الله: ((من ظلم معاهداً أو انتقص حقه فأنا خصيمه يوم

القيامة))(2) وفى كتابه (الدولة الإسلامية) يعتقد الدكتور محمد عمارة أن: ((فصائل كثيرة

من الصحوة الإسلامية اشتبه عليها الأمر فرددت فكراً ومارست سلوكاً (يوهم) أنها

من أنصار (السلطة الدينية) و (الدولة الدينية) برغم إعلانها تميز الإسلام عن الكهانة

الكنسية فى هذا المقام. وكما كان الخوف والنفور من علمانية تفصل الدين عن الدولة

مع الجمود والتخلف الموروث من أسباب هذه المقولات والممارسات التى أوهمت

تبنى هذه الفصائل لمقولة (السلطة الدينية) و (الدولة الدينية) كانت هذه الشبهات من

الدوافع التى انضمت إلى (الخيار التغريبى) فدفعت (النخبة المتغربة) للاستمساك أكثر

فأكثر بالعلمانية وفصل الدين عن الدولة))(3) أما المنطق والعقل فيرى أن الحكام من

1- الحرية فى الإسلام،الدكتور على عبد الواحد، دار المعارف، مصر،١٩٦٨، سلسلة اقرأ 304؛ص 9

2- الحرية فى الإسلام، ٣٠٤،ص ١٠

3- الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية، ص ٦

أئمة الجور حكموا بقانون نظرية المؤامرة وقانون الحق الإلهى، وأئمة الحق كانوا يرون

غير ذلک، يرون كما قال الإمام الصادق عليه السلام إنه:((لا دين لمن دان بولاية إمام جائر))،

ومن قانون التنصيب الإلهى ولد التواضع والتأسى والتشبه بفقراء المسلمين وعامتهم،

وقبالته ولد من نظرية الحق الإلهى الكبرى والتجبر. وعليه ترى مدرستنا أن التكبر أحد

درجات الإلحاد، فعن حكيم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أدنى الإلحاد، فقال: ((الكبر

أدناه))(1)

إن الكبر: حالة نفسية تجعل الإنسان يرفع ويتعالى على الآخرين... وهو من آثار

العجب وتوابعه، والفرق بينهما أن العجب هو الإعجاب بالذات، بينما الكبر هو التعالى

والتعاظم على الناس(2) والتكبر على عباد الله يرجع بحسب نظر أهل المعرفة إلى التكبر

على الله، وأقبحه التكبر على العلماء، ويدخل فى هذا التكبر أيضا رفض مجالسة الفقراء

والتقدم فى المجالس والمحافل وفى المشى والسلوک(3)بل إن مصدر الكبر هو دونية

النفس وذلتها؛ فمن يجد فى نفسه ذلة يعالجها بالتكبر على عباد الله سبحانه، وقد صح

عن الإمام الصادق عليه السلام، قوله: ((ما من رجل تكبر، أو تجبر، إلا لذلة وجدها فى نفسه))

وصح عنه عليه السلام، قوله:((ما من أحد يتيه، إلآ من ذلة يجدها فى نفسه))

إن توهم الإنسان الكمال يدفعه إلى العجب بنفسه بما يحجب كمال الآخرين، فيراهم

أدنى منه منزلة فيترفع عليهم، وقد كان الخلفاء يتكبرون على كل طبقات الشعب؛ فهم

يعتقدون بأنهم يحكمون باسم الله، ولقد أحيوا العصبية الجاهلية؛ لأنها تتواءم مع نظرية

الحق الإلهى، أما أئمة العدل فيرون الناس سواسية، فقد جاء فى أصول الكافى: ((سحر

1- الكبر، معهد الإمام الخمينى للدراسات الإسلامية، كربلاء المقدسة، العراق،ص ١

2- ينظر، المصدر نفسه، الكبر

3- ينظر المصدر نفسه

بعض الناس من نبطى بحضور الإمام جعفر الصادق عليه السلام، فردهم قائلاً: أصل الرجل عقله، وحسبه دينه، وكرمه تقواه، والناس فى آدم مستوون)).

وفى طبقات ابن سعد: زوج على بن الحسين ابنته من مولاه واعتق جارية له وتزوجها، فكتب إليه عبد الملك بن مروان يعيره فلم يلتفت إليه. لأن مروان عمل بعصبيته التى زرعت الكبر فى نفسه بعيداً عن الدين، والإمام عمل بدينه بعيدا عن العصبية. وروى ابن شهر آشوب: عن كتاب (الفنون) عن أحمد بن المؤدب، و(نزهة الأبصار) عن ابن مهدى أنه: ((مر الحسن بن على على فقراء وقد وضعوا كسيرات على الأرض وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها، فقالوا له: هلم يا بن بنت رسول الله إلى الغداء، قال: فنزل وقال: إن الله لا يحب المتكبرين، وجعل يأكل معهم حتى اكتفوا والزاد على حاله ببركته ثم دعاهم إلى ضيافته وأطعمهم وكساهم))(1)

قال الخوارزمى: ((عن مدرک بن راشد، قال: كنا فى حيطان لابن عباس فجاء الحسن والحسين فطافا بالبستان فقال الحسن: أعندک غداء يا مدرک؟ فقلت له: طعام الغلمان، فجئته بخبز وملح جريش وطاقات بقل، فأكل ثم جىء بطعامه، وكان كثير الطعام طيبة فقال: يا مدرک اجمع غلمان البستان، فجمعتهم، فأكلوا ولم يأكل، فقلت له فى ذلک فقال: ذاک كان عندى أشهى من هذا ثم توضأ ثم جىء له بدابته فأمسک ابن عباس له بالركاب وسوى عليه ثم مضى، فقلت لابن عباس: أنت أسن منهما أفتمسک لهما؟ قال يا لكع أما تدرى من هذان؟ هذان ابنا رسول الله، أو ليس مما أنعم الله على أن أمسک لهما وأسوى عليهما؟))(2)

1- موسوعة الحسن http://www.mezan.net/mawsouat/hassan/tawado3.html

2- الموسوعة، المصدر نفسه

وكان الإمام على عليه السلام يسمى قصر الإمارة فى الكوفة قصر (الخبل) فالأمارة فى

عقيدته: ((لا تساوى شسع نعلى، ما لم أقم بها عدلا وأدخر باطلاً)) وقضى عمراً فى بيت

أم هانى الذى استأجره منها بعيداً عن القصر وبذخه، ومن شدة تواضع على عليه السلام أنه كان

يغضب إذا داس المسلم نملة فى الطريق، ولذا قال محذراً أصحابه: ((إذا رأيت نملة فى

الطريق فلا تدسها، وابتغ بذلک وجه الله عسى أن يرحمک كما رحمتها)) وهذا هو

نهج الرسالة الحق، وعن فى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: ((انظروا إلى من هو أسفل

منكم، ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله)).

قال السبزوارى: قال الحسن بن على عليه السلام: ((إذ من أخلاق المؤمنين: قوة فى دين،

وكرماً فى لين، وحزماً فى علم، وعلماً فى حلم، وتوسعة فى نفقة، وقصداً فى عبادة،

وتحرجاً فى طمع، وبراً فى استقامة، لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب،

ولا يدعى ما ليس له ولا يجحد حقا هو عليه، ولا يهمز ولا يلمز ولا يبغى، متخشع

فى الصلاة، متوسع فى الزكاة، شكور فى الرخاء، صابر عند البلاء، قانع بالذى له، لا

يطمح به الغيظ ولا يجمح به الشح، يخالط الناس ليعلم ويسكت ليسلم، يصبر إن بغى

عليه ليكون إلهه الذى يجزيه ينتقم له))(1) وقال الإمام الحسن عليه السلام: ((أوسع ما يكون

الكريم بالمغفرة إذا ضاقت بالمذنب المعذرة))(2)

لقدكان الإمام الحسن عليه السلام من شدة تواضعه عفيفاً مطيعاً مؤمناً صابراً محتسباً،

وكان أعبد أهل زمانه وأفضلهم، وكان إذا حج حج ماشياً وربما مشى حافياً، وعن

ابن عباس أنه قال: ((ما ندمت على شىء فاتنى فى شبابى إلا أنى لم أحج ماشياً، ولقد حج

1- موسوعة الإمام الحسن، مصدر سابق

2- موسوعة الإمام الحسن

الحسن بن على عليه السلام؛ خمساً وعشرين حجة ماشياً))،(1) ومرة أراد الإمام الانصراف من

مكان كان مجلس فيه، فجاءه فقير فرحب به ولاطفه، وقال له: إنک جلست على حين

قيام منا أفتأذن لى بالانصراف؟ فقال الفقير: نعم يا ابن رسول الله.

ويروى بأن الحسن عليه السلام حينما تسلم الخلافة ساوى بين الناس فى العطاء وساوى بين

سيدة قرشية وأمة فى العطاء، فغاظ القرشية، فقالت: أتساوى فى العطاء بينى وبين هذه

الأمة؟ فرمقها بطرفه، وأخذ بيده قبضة من التراب، وجعل يقلبها ويقول: لم يكن بعض

هذا التراب أفضل من بعضه.

فضلا عن ذلک سن أئمة الجور قانون السب والشتيمة فى الإسلام، لأنهم متكبرون

يرون أنفسهم فوق البشر، فجعلوا من سب على عليه السلام منة تتقربون بها إلى ربهم الذى

يعبدون، وفى حديثه عن بيعة عمر بن عبد العزيز قال النويرى: ((أول ما ابتدأ به عمر بن

عبد العزيز أن ترک سب على بن أبى طالب عليه السلام على المنابر، وكان يسب فى أيام بنى أمية

إلى أن وفى عمر فترک ذلک، وأبـدله بقول الله عز وجل:((إن الله يامر بالعـدل و الاحسن و ايتآئ ذى القربى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى يعظكم لعلكم تذكرون))

فحل ذلک عند الناس محلاً حسناً، وأكثروا مدح عمر بسببه، فكان ممن

مدحه كثير عزة بقوله:

وليت فلم تشتم عليا ولم تخف بريا ولم تتبع مقالة مجرم

تكلمت بالحق المبين وإنما تبين آيات الهدى بالتكلم

فصدقت معروف الذى قلت بالذى فعلت فأضحى راضياً كل مسلم

ألا إنما يكفى الفتى بعد زيغه

1- أهل البيت الحسن بن على توفيق أبو علم ص 22

من الأود البادى ثقاف المقوم))(1)

يستوقفنى هنا قول النويرى: ((فحل ذلک عند الناس محلاً حسناً، وأكثروا مدح

عمر بسببه)) فهذا معناه أن الشعب كان مسلوب الإرادة، يخالف الشريعة فى سبيل رضا

السلطان، وقد شعروا بعد منع الخليفة السب بنوع من الحرية التى عبروا عنها بالفرح

الذى أظهروه.

وكان الخلفاء الدنيويون يأخذون البرىء بذنب المجرم خير مثال على ذلک: خطب

زياد بن أبيه خطبته البراء فقال فيها: والله لأخذن البرىء بالسقيم والمطيع بالعاصى

والمقبل بالمدبر. فنهض أبو بلال بن مرداس وقال: أيها الرجل قد سمعت قولک،

ولعمرى لقد خالفت ما حكم الله فى كتابه إذ يقول((و لا تزر وازره وزر أخرى)). معاوية

ذاته بعد أن ولغ فى دماء الهاشميين كف نوعاً ما عن مطاردة الباقين منهم بعد مقتل

الحسن عليه السلام ولكنه ضيق عليهم عيشهم، لكى يذلهم ويرغم أنوفهم، ولذا تراه يوم حج

سنة ٤٤ هجرية أتاه جماعة من بنى هاشم، وكلموه فى أمورهم، فقال: ((أما ترضون يا

بنى هاشم أن نقر عليكم دماءكم وقد قتلتم عثمان حتى تقولوا ما تقولون؟ والله لا أنتم

أجل دما من كذا وكذا، وأعظم لهم فى القول))(2)

بينما ترفع أئمة العدل عن سب أعدائهم الحقيقيين المجرمين، وفى شرح نهج

البلاغة: ((خرج بعض أصحاب على عليه السلام يشتمون أهل الشام فمنعهم، وقال: كرهت

لكم أن تكونوا لعانين شتامين، تشتمون وتبرأون؛ ولكن لو وصفتم مساوئ أعمالهم،

فقلتم من سيرتهم كذا وكذا ومن أعمالهم كذا وكذا كان أصوب)).

1- نهاية الأرب فى فنون الأدب، ج٢١،ص ٣٥٨

2- تاريخ اليعقوبى،ج٢نص155

ان العوالم بساستها، فإذا صلحوا صلحت، وإذا فسدوا فسدت، وبالتالى لا

انماً تولى وحكم وتحكم فى أمة الإسلام إمعات زوايا التاريخ معاوية ويزيد وخلفاء بنى

أمية وبنى العباس والسلاجقة والعثمانيون، الذين تولوا ظلم الناس وسلبهم حقوقهم

ففسدوا وأفسدوا:((سأل معاوية الأحنف بن قيس عن الزمان فقال: أنت الزمان، فإن

صلحت صلح، وإن فسدت فس)). وقد جاء فس نهاية الادب للنويرى قول معاوية:

((نحن الزمان فمن رفعناه ارتفع و من ضعناه اتضع ليكون مصداقاً لهذا الرأى. ولذا

ضعف الواع الدينى عند الناس، وهم يرون ما جاهدوا من أجله يضعهم ويرفع

الإمعات لتحكم باسم الإسلام، فالعين حينما تعذب، تعذب معها الأنهار التى تأخذ

ماءها منها،قدم على عمر بن عبد العزيز رجل من أهل الثغور له سن و عقل فسأله:كيف رأيت اعمالنا؟ فأجاب: يا امير المومنين إذا طايت البين عذبت الانهار.

ص :517

الفصل الثالث الصلح فی الجزئیة و الکلیة

اشارة

ص: 518

بعض ملامح أخلاق الإمام الحسن عليه السلام السياسية

يقول السيد صدر الدين القبانجي: ((العقيدة الإسلامية في الله، والإنسان، والكون،

هي الأصول النظرية العامة التي يعتمد عليها النظام الإسلامي عموماً سواء في المجال

السياسي أو غيره))(1) بمعنى أن هذه الأركان الثلاثة هي أسس السياسة الإسلامية، ومن

تمسك بها من السياسيين يبقى في دائرة الدين ومن تخلى عنها، بعضاً أو كلاً يغادر الدائرة.

والحسن عليه السلام وفق ما وصلنا عنه حصر نفسه في مركز الدائرة ولم يفارقه إلا وهو محمول

إلى مدفنه في البقيع، والسياسيون أثبتوا واثبت ما جاء عنهم من قصص وأخبار وروايات

أنهم فارقوا الدائرة حتى قبل أن يتسلطوا على رقاب الناس. وللتمييز بين المنهجين

سوف أطلق اسم (المشرقيين) على أتباع المنهج الإسلامي الإمامي واسم (المغربيين)

على السياسيين الإسلامويين الدنيويين وأتباعهم اقتباساً مما جاء في نعي الإمام علي عليه السلام

لمالك الأشتر رحمة الله لما وصله خبر استشهاده؛ والذي قال فيه:((ألا أن مالك بن الحرث

قد قضى نحبه و أوفى عهده ولقي ربه، فرحم الله مالكاً.. لوكان جبلاً لكان فنداً ولو

كان حجرًا لكان صلداً.. لله مالك، وما مالك، وهل قامت النساء عن مثل مالك، وهل

موجود مثل مالك.. أما والله هلاكه قد أعز أهل المغرب وأذل أهل المشرق))(2)

وفي حديثي عن سياسة المشرقيين أنقل بدءاً قول الإمام الصادق عليه السلام:((ما من

1- المذهب السياسي في الإسلام، صدر الدين القبانجي،ط٢، دار الأضواء،بنوت، 1985م ١٤٠٥ ، ص ١٧

2- البحار، ج ٣٣ ص 591

شيء إلا وفيه كتاب أو سنة))(1) لأقول: إن سياسة الدين لها أصول فى الكتاب والسنة،

والصلح واحد من المناهج السياسية يختلف عنه فى السياسة الدينية عما هو عليه فى

سياسة الغربيين؛ فالصلح فى منهج الإسلام والإمامة المعصومة حق مقدم على الحرب

وقد اخذ الأئمة عليهم السلام ذلک من قوله تعالى:((و إن جنحوا للسلم فاجنح لها)) و لذا تراهم

يتأخرون عن الحرب، إلا إذا ما فرضت عليهم، ويتقدمون إلى الصلح ما دام ذلک ممكناً

ومتاحاً، وفى عهده إلى مالک الأشتر رحمة الله قال سيد المتكلمين الإمام على عليه السلام: ((ولا تدفعن

صلحاً دعاک إليه عدوک ولله فيه رضى، فإن فى الصلح دعة لجنودک وراحة لهمومک

وأمناً لبلادک))(2)

وفى كتاب الله قوله تعالى: ((لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلح بين الناس و من يفعل ذلک ابتغاء مرضات لله فسوف نوتيه أجراً عظيماً))(3)وهى الآية التى قال القرطبى فى تفسيرها: ((لو إصلح بين الناس و من يفعل ذلک ابتغاء مرضات الله فسوف نوتيه أجراً عظيماً)):عام فى الدماء والأموال

والأعراض، وفى كل شيء يقع التداعى والاختلاف فيه بين المسلمين، وفى كل كلام

يراد به وجه الله تعالى. وفى الخبر: (كلام ابن آدم كله عليه لا له، إلا ما كان من أمر

بمعروف، أو نهى عن منكر، أو ذكر الله تعالى). فأما من طلب الرياء والترؤس فلا ينال

الثواب... وعن أنس بن مالک أنه قال: من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق

رقبة. وقال النبى صلى الله عليه و آله لأبى أيوب: ألا أدلک على صدقة يحبها الله ورسوله، تصلح بين

1- الكافى، الكلينى، مج١ ص 95

2- نظر:فلسفة الدولة فى الفكر السياسى الشيعى، ولاية الفقيه أنموذجاً، الدكتور الشيخ محمد شقير، دار الهادى، بروت، ٢٠٠٢، ص ٨٧

3- سورة النساء ١١٤

أناس إذا تفاسدوا، وتقرب بينهم إذا تباعدوا. وقال الأوزاعى: ما خطوة أحب إلى الله

عز وجل من خطوة فى إصلاح ذات البين، ومن أصلح بين اثنين كتب الله له براءة من

النار. وقال محمد بن المنكدر: تنازع رجلان فى ناحية المسجد فملت إليهما، فلم أزل بهما

حتى اصطلحا، فقال أبو هريرة وهو يرانى: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: من أصلح بين

اثنين استوجب ثواب شهيد))(1)

وقال ابن كثير:((قال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب حدثنا أبى حدثنا صالح بن كيسان

حدثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره

أن أمه أم كلثوم بنت عقبة أخبرته أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: ليس الكذاب الذى

يصلح بين الناس فينمى خيراً أو يقول خيراً. وقالت لم أسمعه يرخص فى شىء مما يقوله

الناس إلا فى ثلاث: فى الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث

المرأة زوجها. وقال الإمام أحمد: عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: ألا أخبركم

بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا بل يا رسول الله قال: إصلاح ذات

البين. قال: وفساد ذات البين هى الحالقة. عن حميد عن أنس أن النبى صلى الله عليه و آله قال لأبى

أيوب: ألا أدلك على تجارة؟ قال: بل يا رسول الله. قال: تسعى فى إصلاح بين الناس

إذا تفاسدوا وتقارب بينهم إذا تباعدوا. ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف

نؤتيه أجراً عظيماً))(2)

وعلى هذا الاعتبار اتخذ الإمام الحسن عليه السلام الآية الكريمة والأحاديث النبوية

الساندة لها فضلاً عما يحمله من موروث روائى عن جده وأبيه مرشداً، وجعل كل ذلك

لب منهجه السياسى فى الصلح خاصة والإصلاح بين الناس عامة ابتغاء مرضاة الله

1- تفسير القرطبى، سورة النساء
2- تفسير ابن كثير، سورة النساء

سبحانه وتعالى؛ لأنه كان يرى جميع الطرق لأخر مغلقه أمامه إلا الصلح، فإنه كان الخيار الأمثل والحل الأشمل الذى يضمن الحفاظ على قيم الخير بين العالمين. ولذا أرى ويرى كثير من المنصفين ولاسيما منهم من فهم الجهد الكبير الذى قام به الإمام الحسن عليه السلام أهمية الصلح وعظيم شأنه، بل إن محسن الأراكى يرى أن ((صلح الإمام الحسن يعد بحق من أهم المقاطع التاريخية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و آله))(1)

ومن المتعارف عليه عند العقلاء أنه لا يمكن لمن لا يريد إرضاء الله تعالى، ومن يعارض الحفاظ على قيم الخير ويطمع بالرئاسة والإمرة ويسعى إليها على جبال من الجماجم وآهات الأبرياء، أن يكون داعياً لصلح تحقن به دماء المسلمين وتصان أعراضهم، نعم ممكن له أن يسخر هذه المفردة ومضمونها لتحقيق مكاسب سياسية دنيوية وفق رؤى مكيافلى فى كتابه (الأمير)، حيث قال بعد حديثه عن الممالك التى يتم احتلالها بمساعدة الآخرين أو بمساعدة الحظ: ((ولما كان ثمة سبيلان آخران للوصول إلى الإمارة.. فمن واجبنا أن لا نمر بهما مر الكرام.. وأحد هذين السبيلين يتلخص فى وصول المرء إلى مرتبة الإمارة عن طريق وسائل النذالة والقبح))

ولقد أسهب مكيافلى فى حديثه عن صفات هذا النوع من الأمراء بما يبدو متطابقاً كلياً مع أخلاق معاوية الذى وصل إلى الإمارة بالمكر والخداع والنذالة والقبح، فقال: ((ارتقى (أغاتو كليس) الصقلى العرش وهو من أحط الطبقات وأدناها فى بلاده (كما كان معاوية من أحط الطبقات وهم الطلقاء) فقد ولد لأب يعمل فى صناعة الخزف، ونشأ على حياة امتازت ببالغ الشر والفظاعة فى جميع مراحلها، ومع ذلك فقد صاحبت فظاعته حيوية فى العقل والجسم (كما كان معاوية يوصف بالعاقل الداهية) فتمكن

1- صـلح الإمام الحسن وثورة الإمام الحسـين من منظور السـنن التاريخيـة فى القرآن الكريم، محسن الأراكى، مجمع أهل البيت، النجف الأشرف، ١٤٣٣ هـ، ص ٣٣

بعد انضمامه إلى المتطوعة (كما تمكن معاوية بعد انضمامه إلى الإسلام فى أواخر أيامه)

من الارتقاء فى مراتبها حتى وصل إلى درجة قاضى القضاة (كما وصل معاوية إلى

درجة الولاية على الشام) وعندما عين فى هذا المنصب قرر أن يصبح أميراً (تماماً كما

فعل معاوية فى الشام) وأن يحافظ بالعنف ودون اللجوء إلى الآخرين.. وعلى الرغم

من هزيمته أمام القرطاجيين ومحاصرتهم له فى مدينته (كما انهزم معاوية فى صفين أمام

جيش الخلافة) تمكن من الدفاع عنها (كما فعل معاوية بالدعوة إلى التحكيم) ثم ترك

فيها جزءاً من قواته ليواصلوا الدفاع وغزا بالبقية ساحل أفريقية (كما فعل معاوية بغزو

العراق أيام خلافة الحسن عليه السلام) وتمكن فى وقت قصير من تحرير سراقوسة وإنقاذها من

الحصار وأرغم القرطاجيين بعد أن ألحق بهم ضربات شديدة على مصالحته (تماماً كما

فعل معاوية مع الإمام الحسن عليه السلام) والاكتفاء بسيطرتهم على أفريقيا.وكل من يدرس

صفات هذا الرجل وأعماله يتبين له أن ليس فيها ما يمكن أن يعزى إلى الحظ؛ لأنه لم

يصل إلى مرتبة الإمارة بتعاطف من أى إنسان، وإنما بارتقائه سلم المتطوعة معرضاً نفسه

لألوف المشاق والأخطار، وعندما وصل إليها حافظ عليها بتدابير تنطوى على المشقة

والأخطار والشجاعة أيضاً. (تماماً كما فعل معاوية) ولا يمكننا أن نطلق صفة الفضيلة

على من يقتل مواطنيه ويخون أصدقاءه ويتنكر لعهوده ويتخل عن الرحمة والدين(وهى

كلها صفات امتاز بها معاوية)... ومع ذلك فإن فظاعته البربرية وتجرده من الشعور

الإنسانى مضافين إلى ما لاحصر له من مظالمه لاتسمح لنا كلها باعتباره واحداً من

الرجال المشهورين))(1)

أما أن يهدف المتحذلق الانتهازى إلى تحقيق روح الإسلام عن طريق الصلح،

1- ينظر: تراث الفكر السياسى قبل الأمير وبعده، الدكتور فاروق السعد، ط ٢٤، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٩٦-97

فذلک بعید ومستحیل. ولکن تبدل الموازین والقیم ساوی للأسف بین الاثنین (المؤمن

العقائدی والدنیوی الانتهازی)، بل وفضل الثانی (معاویة) علی الأول (الحسن علیه السلام)،

وهذا من عجائب ما مر علی الأمة المسلمة وتاریخها. حدث هذا مع أنک تجد فی أقوال

الطرف الأول (الإمام الحسن علیه السلام) أدلة علی هذا الشاهد لا تجد مثلها أو قریباً منها فی

الطرف الآخر، منها ما أخرج الدولابی: ((عن جبیر بن نفیر عن أبیه قال: قدمت المدینة،

فقال الحسن بن علی علیه السلام: کانت جماجم العرب بیدی یسالمون من سالمت ویحاربون

من حاربت فترکتها ابتغاء وجه الله وحقن دماء المسلمین))(1)، فهذا الابتغاء الوارد فی

هذا الحدیث جید الإسناد لا تجد له مکاناً عند من حارب الحسن علیه السلام، ثم ادعی أتباعه

من بعد: بأنه کان صاحب فکرة الصلح حقناً لدماء المسلمین وحفاظاً علی الدین، کیف

وهو الذی کان دائب البحث عن الزعامة علی حساب أشلاء المسلمین، حتی أنه أمر

قواده بمهاجة حدود الدولة الإسلامیة، لیزعزع حکم الإمام علی علیه السلام فهاجم قوافل

الحجاج، وقتل الأبریاء، ونکل بکل محب لعلی دونما سبب، إلا لکی یضعف الخلافة

فتصل إلیه معمدة بالدماء وأشلاء الأبریاء؟

لقد وعی قلب الإمام الحسن علیه السلام المنهج التربوی الإسلامی ومنهج الإمامة

المعصومة، بعد أن نهل العلم من جده وأبیه وأمه علیهم السلام وبعد أن أعده جده النبی صلی الله علیه و آله.

لأداء الأدوار السیاسیة المعقدة، وهذا ما سنتومع فیه بعد قلیل، وکان قلبه مقبلاً علی

الدین، لأنه أبصر الحقیقة تعلماً من أهله ونکتاً فی القلب. ومن المعروف أن المنهج التربوی الإمامی أهتم کثیراً بموضوع شهوات القلب و میوله، فجاؤوا من هذا الجانب

تبعاً لما أخبرهم به أبوهم الإمام علی فی قوله:((إن للقلوب شهوة وإقبالاً وإدباراً، فاتوها

1- الدولابی، وقال فی الهامش: إسناده جید، حدیث ۱۱۰ ،ص۷۱

من قبل شهوتها و إقبالها، فإن القلب إذا أكره عمى))(1)

وهو وأخوه الحسين عليه السلام أورثا المعصومين من أولادهم هذا الفهم، فأذاعوه

بين الناس، كما فى قول الإمام الرضا عليه السلام: ((إن للقلوب إقبالاً و إدباراً و نشاطاً و فتوراً،

فإذا أقبلت بصرت وفهمت، وإذا أدبرت كلت و ملت، فخذوها عند إقبالها و نشاطها

واتركوها عند إدبارها وفتورها))(2)

ولا يخفى أن الإمام الحسن عليه السلام كان شريكاً لأبيه الإمام على عليه السلام فى الحياة السياسية،

ومنهجهما السياسى واحد مشترك قائم ومبنى على مبدأ الحلال والحرام حرفياً، وهذا

يختلف عن سياسة أهل الدنيا الذين ما إن يدخلوا معلاك السياسة حتى يعطلوا منظومة

الحلال والحرام، وغالباً المنظومة الأخلاقية كلها. فقد أخرج الخطيب فى تاريخه عن ابن

عائشة قال: ((أفضى الأمر إلى عبد الملك والمصحف فى حجره يقرأ، فأطبقه وقال: هذا

آخر العهد بك)). والرواية من طريق آخر عن ابن الأعرابى قال:((لما سلم على عبد الملك

بن مروان بالخلافة كان فى حجره مصحف فأطبقه، وقال: هذا فراق بينى وبينك))(3)،

وقال الذهبى: ((أفضى الأمر إلى عبد الملك والمصحف بين يديه، فأطبقه وقال: هذا آخر

العهد بك))(4)، وقال الراغب فى المحاضرات:((كان عبد الملك بن مروان يسمى حمامة

المسجد للزومه المسجد الحرام، فلما أتاه الخبر بخلافته كان المصحف فى حجره فوضعه

وقال: هذا فراق بينى وبينك))(5)، وقال الدميرى: ((والذى لقب عبد الملك بحمامة

1- شرح نهج البلاغه م 4 ج 16 ص 11

2- امنهج التربوى عند اهل البيت السيد سعيد كاظم العذارى دار الامين للطباعه و النشر بيروت ص 10-11

3- تاريخ البغدادى الخطيب البغدادى ج 10 ص 388

4- سير أعلام الانبياء الذهبى ج 4 ص 248

5- محاضرات الادباء و المحاورات الشعراء والبلغاء أبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهانى (المتوفى: 502 هـ)

شركة دار الرقم بن أبى الأرقم بيروت؛ 1420 هـ ج 1 ص 172

المسجد عبد الله بن عمر بن الخطاب، وجاءته الخلافة وهو يقرأ فى المصحف فطبقه،

وقال سلام عليک هذا فراق بينى وبينک)). وفى السياق نفسه، وتبعاً للمنهج نفسه، يذكر

أن الحجاج بن يوسف الثقفى كان يدرس القران للأطفال، وعندما التحق بركب عبد

الملک بن مروان قال هو الآخر للقران: ((هذا فراق بينى وبينک))!.

إن سياسة الحسن عليه السلام تختلف فى المنهج والمضمون عن غيرها من السياسات،

وهى مبنية على مبانى الإسلام نفسه، ولذا تراه عليه السلام يعبر عن رؤاه فى السياسة يوم سأله

بعض الناس عن رأيه فيها، فقال: ((هى أن تراعى حقوق الله، وحقوق الأحياء وحقوق

الأموات؛ فأما حقوق الله فأداء ما طلب والاجتناب عما نهى، وأما حقوق الأحياء فهى

أن تقوم بواجبک نحو أخوانک ولا تتأخر عن خدمة أمتک، وأن تخلص لولى الامر ما

أخلص لأمته، وأن ترفع عقيرتک فى وجهه إذا حاد عن الطريق السوى، وأما حقوق

الموات فهى أن تذكر خيراتهم وتتغاضى عن مساوئهم، فإن لهم رباً يحاسبهم))(1)

ويعبر عن رأيه فى لخليفة الذى يسوس الناس ويقودهم فهو بنظر الحسن عليه السلام: ((من سار

بسيرة رسول الله صلى الله عليه و آله وعمل بطاعة الله عز وجل. وليس الخليفة من سار بالجور وعطل

السنن واتخذ الدنيا أماً وأباً، وعباد الله خولًا، وماله دولًا، ولكن ذلک أمر ملک أصاب

ملكاً، فتمع منه قليلًا، كأن قد انقطع عنه))(2)

ضمن هذه السياقات الحدية مارس الإمام الحسن عليه السلام السياسة العقائدية وهو مايزال

1- الحياة السياسية للإمام الحسن فى عهد الرسول صلى الله عليه و آله والخلفاء الثلاثة بعده، جعفر مرتضى العاملى، ط٤، المركز الإسلامى للدراسات، بيروت،لبنان، ١٤٣٢ / ٢٠١١م، ص 5

2- الاحتجاج، ج ١ ص ٤١٩ والخرائج والجرائح ص ٢١٨

طفلا لم يتجاوز الخامسة من عمره الشريف، مارسها على يد جده النبى الأكرم صلى الله عليه و آله. ومن

بين كل المواقف التى أراد النبى صلى الله عليه و آله من خلالها إظهار قيمة وأهمية الحسن والحسين عليهم السلام

فى الحياة العامة للمسلمين لكى تكون دليلاً لمن فى قيمه مرض على إمامتها الشرعية هناك

فى أقل تقدير ثلاثة مواقف تؤكد بما لا يقبل الشك أن النبى صلى الله عليه و اله كان يعدهما لدور سياسى

قادم يحتاجان معه إلى هذه القوة الروحية التى لا يمكن نكرانها أو التحجج لتسقيطها

وإبطال أثرها وهذه المواقف الثلاثة هى على التوالى:

• الموقف الأول: شهادتهما على كتاب ثقيف:

حيث أمر النبى صلى الله عليه و آله بأن يوقعا شاهدين على هذا الكتاب المهم بالرغم من صغر

سنهما، مستثنيا كل الصحابة الذين كانوا يحيطون به يومها. وهذا أزعج كثيراً من الأولين

والآخرين. ومن الآخرين الذين أزعجهم هذا التمايز الالهى كان (محمد خليل هراس)

الذى قال فى تعليقة له على الأموال: ((ولا يجوز القول بأن تلك خصوصية لهما رحمة الله عليها اذ

لا دليل عليها، ومادام الطفل مميزًا يجب أن تعتبر شهادته، فإنه قد يحتاج إليها))(1)وكفى

برد السيد العاملى إخراساً لمن يبحث عن التأويل المدعوم بكثير من الحقد والكذب،

كفى به دليلاً ليثبت أن قول الهراس مجاف للحقيقة، فقد قال رداً عليه: ((ألم يجد النبى صلى الله عليه و آله

أحداً من الصحابة يستشهده على ذلک الكتاب الخطير الذى يرتبط بمصير جماعة كثيرة

سوى هذين الصبيين؟! وهل كان وحيداً فريداً حينما جاءه وفد ثقيف، وكتب لهم ذلک

الكتاب حتى احتاج إلى استشهاد ولدين صغيرين لم يبلغا الخمس سنوات، إن أدنى

مراجعة للنصوص التاريخية لتبعد كل البعد هذا الاحتمال الأخير، حيث إنها صريحة فى

أن رسول الله صلى الله عليه و آله قد ضرب لهم(لثقيف) قبة فى المسجد ليسمعوا القرآن، ويروا الناس

1- ينظر: الحياة السياسية للإمام الحسن، جعفر مرتضى العامل ص ٤٣، عن الأموال، هامش ص ٢٨٠

إذا صلوا وكان خالد بن سعيد بن العاص حاضراً، وكان خالد بن الوليد هو الكاتب،

ومع ذلک لم يشهدا على الكتاب))(1)

• الموقف الثانى: اصطحابهما يوم المباهلة

وهو ما قال عنه السيد العاملى: ((إن إخراج الحسنين عليهم السلام فى قضية المباهلة لم

يكن بالأمر الاعتيادى، أو الاتفاقى.. وإنما كان مرتبطاً بمعان ومداليل هامة، ترتبط

ترتبط بشخصية الحسين عليه السلام نفسها، فقد كانا ذلک المصداق الحقيقى، والمثل الأعلى،

والثمرة الفضلى التى يعنى الإسلام بالحفاظ عليها، وتقديمها على أنها النموذج الفذ

لصناعته الخلاقة، والبالغة أعلى درجات النضح والكمال))(2)

نعم هناک مناقشة طرحها بعض المحققين، مفادها إن:((الآية لا تدل على أكثر من

أن المطلوب هو إخراج أبناء أصحاب هذه الدعوة الجديدة، كما يدل عليه قوله (أبناءنا)

ولم يقل (أبنائى)، وليس فى الآية ما يدل على لزوم إخراج ابنى صاحب الدعوة نفسه،

فكون الحسنان ابنين لبعض أصحاب الدعوة كاف فى الصدق)). وقد أجاب السيد

العاملى على هذا الرأى بقوله:

الأول: إن الإمام علياً عليه السلام قد استدل بهذه الآية يوم الشورى على أن الله سبحانه

قد جعله نفس النبى صلى الله عليه و آله، وجعل ابنيه ابنيه، ونساءه نساءه. واحتج بها أيضاً الإمام

الكاظم عليه السلام على الرشيد، واحتج بها يحيى بن يعمر، وكذلک سعيد بن جبير على

الحجاج... فلم يكن استدلالهم بأمر تعبدى بحت، وإنما بظهور الآية، الذى لم يجد

الخصم سبيلاً إلا التسليم به، والخضوع له.

1- الحياة السياسية للإمام الحسن،ص ٤٣- ٤٤

2- المصدر نفسه، ص ٢٠

الثانى: لو كان المراد مطلق أبناء أصحاب الدعوة، لكان المقصود بأنفسنا مطلق

الرجال الذين قبلوا بهذا الدين، وليس شخص النبى صلى الله عليه و آله فقط.. وعليه فقد كان الأنسب

أن يقول (ورجالنا ورجالكم) بدل قوله (وأنفسنا)(1).

• الموقف الثالث: مبايعة النبى صلى الله عليه و آله لهما فى بيعة الرضوان.

قال الشيخ المفيد رحمه الله: .بيعة رسول الله لهما، ولم يبايع صبيًا فى ظاهر الحال غيرهما،

ونزول القرآن بإيجاب ثواب الجنة لهام على عملهما، مع ظاهر الطفولية فيهم)) وهى البيعة

التى قال عنها الخليفة المأمون العباسى فى ضمن احتجاجاته على أهل بيته فيما يتعلق

بالإمام الجواد عليه السلام: ((وبايع الحسن والحسين وهما دون الست سنين، ولم يبايع صبياً

غيرهما))(2) وأنا أرى أن هذه المواقف الثلاثة جاءت ضمن مخطط الإعداد الحياتى لهما

لكى يتهيئا لأداء عملهما القيادى.

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه و اله أنه قدم الحسن والحسين عليهم السلام إلى الأمة بمقدمات

ترفعهم وتعرف الأمة بهم وبأثرهم المستقبلى، ومن خلال مجموعة ضخمة من الأحاديث،

منها: ((هذان ابناى وابنا ابنتى، اللهم إنى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما)) وعن

أنس قال: ((سئل رسول الله صلى الله عليه و آله: أى أهل بيتك أحب إليك؟ قال: الحسن والحسين))

وقوله صلى الله عليه و آله: ((الحسن والحسين إمامان قاما أم قعدا، وفى مودة ذوى القربى،إنه صلى الله عليه و آله قال

للحسين: ((أنت سيد ابن سيد أخو سيد، وأنت إمام ابن إمام أخو إمام، وأنت حجة ابن

حجة أخو حجة، وأنت أبو حجج تسعة، تاسعهم قائمهم))، وفى ينابيع المودة قال صلى الله عليه و آله

عن الإمام الحسن: ((وهو سيد شباب أهل الجنة، وحجة الله على الأمة، أمره أمرى،

1- الحياة السياسية للإمام الحسن، جعفر مرتضى العاملى، ص ٢٥-٢٦

2- المصدر نفسه، ص ٤٥

وقوله قولى، من تبعه فإنه منى، ومن عصاه فإنه ليس منى))، وقوله: ((انا سلم لمن

سالمتم، وحرب لمن حاربتم))(1)، وفى نص عن أنس بن مالک قال: ((دخل الحسن على

النبى صلى الله عليه و آله فأردت أن أميطه عنه، فقال صلى الله عليه و آله: ويحک يا أنس، دع ابنى، وثمرة فؤادى، فإن

من آذى هذا آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله))،(2) وعن أنس قال: ((بينما كان رسول الله صلى الله عليه و آله

راقداً إذ جاء الحسن عليه السلام يدرج حتى قعد على صدره.. فجئت أميطه عنه، قال: ويحک

يا انس دع ابنى وثمرة فؤادى فإن من آذى هذا فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله))(3).

إن الوعى السياسى المبكر للإمام الحسن عليه السلام من غير تلک النقاط التى ذكرناها

يترجمه موقفه من الخليفة أبى بكر، فقد جاء فى الصواعق المحرقة لابن حجر:((أخرج

الدارقطنى أن الحسن جاء لأبى بكر وهو على منبر رسول الله صلى الله عليه و آله فقال: انزل عن مجلس

ابى. فقال: صدقت والله إنه لمجلس أبيک، ثم أخذه وأجلسه فى حجره وبكى. فقال

على عليه السلام: اما والله ما كان عن رايى، فقال: صدقت والله ما أتهمک))(4)، وهذا يعنى

أنه عليه السلام كان واعياً بما يدور وهو لم يتجاوز الثامنة من عمره الشريف بعد.

السياسيون من جانبهم استغلوا مبدئية أخلاق المعصومين عليهم السلام، ونفذوا من

خلالها ليثبتوا لأنفسهم بطولة زائفة قائمة على الكذب والدجل والدس والحقد وقيم

1- سنن الترمذى ج 5 ص ٦٩٩، وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٥٢، وينابيع المودة ص ١٦٥ عنهما و ص ٢٣٠ و ٢٦١ و ٣٧٠ عن جامع الأصول وغيره وروضة الواعظين ص ١٥٨، وذخائر العقبى ص ٢٥، ومقتل الحسين للخوارزمى ج ١ ص 5

2- الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة، احمد بن حجر الهيثمى المكى، مكتبة القاهرة، مصر، ص5

3- أهل البيت، الحسن بن على، توفيق أبو علم، مصدر سابق، ص ٣٧

4- الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة، مصر، ص ١٧٧

الجاهلية(1)؛ لأنهم يفجرون ويغدرون والمؤمن لا يغدر ولا يفجر.

فضلاً عن ذلک أرادت السياسة التعامل مع کل من وقف بوجهها و اعترض على

مشاريعها بنفس الآلية والأسلوب والشدة المفرطة، وهم لشدة حرصهم على دنياهم

اعتبروا أبسط الاعمال تحدياً مصرياً وقفوا بوجهه بحزم وقوة مميتة، ولم يلتفتوا يوماً إلى

الصلح بوصفه حلاً مقترحاً من الحلول، وقد اعتبروا تهيؤ الإمام الحسن عليه السلام للدفاع عن

مبادئ الإسلام أكبر تحد واجههم؛ لان انتصار الإمام عليه السلام سيعنى هزيمة كلية لا عودة

لهم معها إلى الساحة؛ لكونها تختلف عن كل الهزائم السابقة، وأن يتقدم الحسن عليه السلام

بطلب الصلح فى هذا الوقت المصيرى بالذات، فذلک يعنى أن الموازين سوف تنقلب

وسيتم ترتيب الاوضاع من جديد وهذه اكبر مفاجأة للجميع ولذا ترى السياسيين

يستغلون الفرصة المتاحة ويوظفونها أجل توظيف، ومن أجواء وتمظهرات المفاجأة

تم النظر إلى الصلح آلية ومضموناً فاستحسنه بعضهم، وشكک فيه بعضهم الآخر.

وفى أحسن الاحوال نظر بعضنا إليه على أنه حفظ الإمامة واستمرارية وجودها فى

الدنيا وحفظ الشيعة من الانقراض، وفى أسوئها نظروا إليه على أنه تخل عن المسؤولية،

وإذلال للشيعة، ولهذا السبب كثرت الاقوال والاعتراضات والتأويلات والشبهات

حول الصلح آلية ومضموناً!.

لقد أراد الإمام الحسن عليه السلام من خلال الصلح أن يبدأ بترميم أمة جده صلى الله عليه و آله التى

أصابها الوهن مبكراً؛ بسبب الخلافات والصراعات والحروب البينية المتكررة، بعد أن

عرف بأن الحرب لا يمكن أن تبنى ما تم تدميره، وإنما تزيده سوءاً ودماراً، وكان يراهن

1- بعد أن سار الحسن إلى المدينة: قال المدائنى: فقال معاوية يومئذ للوليد بن عقبة بن أبى معيط بعد شخوص الحسن عليه السلام: يا أبا وهب هل مت؟ قال: نعم وشمرت، قال المدائنى: أراد معاوية قول الوليد بن عقبة يحرضه على الطلب بدم عثمان. ينظر شرح النهج، م ٤

،ج١٦،ص ٦

على شروط الصلح، فهى بنظره سلاح ذو حدين إذا التزم بها معاوية أفلسته وعرته

وفضحته، وإذا لم يلتزم بها تفلسه وتعريه وتفضحه أيضاً، وهو ما حدث فعلاً، وصدق

حدس الإمام عليه السلام. وعليه تجد أبناء وأحفاد الفصيل السياسى يجاهدون لتغيير هذه

الوقائع والحقائق بشتى السبل، فأحدثوا فى قواعد الفقه شرخاً، وخرجوا على قواعدها

العامة والخاصة، ومنها مخالفتهم لما نص عليه الإسلام من وجوب احترام العقود.

ص :533

أفردت الأعم الأغلب من كتب الحديث وكتب الفقه أبواباً للحديث عن (الشروط)

ووجوب الوفاء بها، لأن الوفاء بالشروط من أسس دين الإسلام، والإخلال بها يؤدى

إلى الإخلال بحقيقة ارتباط المسلم بعقيدته. ولذا كان رسول الله صلى الله عليه و آله يبايع كل من يأتيه

ليؤمن بشروط، عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال: ((بايعت رسول الله صلى الله عليه و آله على إقام الصلاة،

وإيتاع الزكاة، والنصح لكل مسلم))(1)وفى حديث آخر: ((فاشترط على))(2) وكان شرط

البيعة مقدساً حتى قيل أن معاوية جثا على ركبتيه أمام قيس بن سعد وضرب يده بيده

لكى يعقد البيعة معه ويلزمه بها فلا يعد قادراً على نكثها.

وكان أهل البيت عليه السلام يلتزمون بعهودهم مهما تغيرت الأحوال ويحثون أتباعهم

على الالتزام بها، وفى الطبرى: ((حدثنى محمد بن عمارة الأسدى قال: حدثنا عثمان بن

عبد الرحمن الأصبهانى، قال: حدثنا المسعودى عن ناجية عن أبيه، قال: كنا قياماً على

باب القصر إذ خرج على علينا فلما رأيناه تنحينا عن وجهه هيبة له، فلما جاز صرنا

خلفه، فبينا هو كذلك إذ نادى رجل: يا غوثا بالله، فإذا رجلان يقتتلان فلكز صدر هذا

وصدر هذا، ثم قال لهما: تنحيا، فقال احدهما: يا أمير المؤمنين، إن هذا اشترى منى شاة

وقد شرطت عليه ألا يعطينى مغموزاً ولا محذفاً، فأعطانى درهما مغموزا فرددته عليه

فلطمنى. فقال للآخر: ما تقول؟ قال: صدق يا أمير المؤمنين، قال: فأعطه شرطه، ثم

1- صحيح البخارى، كتاب الشروط، حديث ٢٧١٥، ص ٤٨١

2- البخارى، حديث ٢٧١٤، ص ٤٨١

قال للاطم: اجلس وقال للمظلوم: اقتص، فقال: أو عفو يا أمير المؤمنين؟ قال: ذاک

إليک،فلما جاز الرجل قال على:يا معشر المسلمين، خذوه، قال: فأخذوه فحمل على

ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتاب، ثم ضربه خمس عشرة درة،ثم قال:هذا نكال لما

انتهكت حرمته))(1)

وفى عهد الإمام على عليه السلام إلى مالک الأشتر رحمه الله: ((وإن عقدت بينک وبين عدوک

عقدة أو ألبسته منک ذمة فحط عهدک بالوفاء وارع ذمتک بالأمانة واجعل نفسک جنة

دون ما أعطيت فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق

أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود))(2).

فضلا عن ذلک أجمعت المدارس الإسلامية على وجوب الوفاء بالشروط الجائزة

شرعاً والامتناع عن الارتباط بشروط لا تجيزها الشريعة، والشروط أنواع عدة، منها:

شروط الصحة: هى التى يتوقف عليها صحة الفعل شرعاً، كشرط الطهارة

للصلاة.

وشروط الوجوب: وهى التى يتوقف عليها وجوب العبادة على المكلف، كاشتراط

الإسلام والحرية.

وهناک شروطا عامة، وأخر خاصة، ويسيرة وصعبة، ومن الشروط للمسلم ولمن

يريد أن يسلم قول شهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله). وفى حديث السلسلة الذهبية:

((لما وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيسابور وأراد أن يرحل عنها إلى المأمون اجتمع إليه

أصحاب الحديث، فقالوا: يا بن رسول الله صلى الله عليه و آله، يرحل عنها ولا تحدثنا بحديث فنستفيده

1- الطبرى، م ٣، حوادث سنة أربعين للهجرة، ص ٩٤١

2- فلسفة الدولة فى الفكر السياسى الشيعى، الدكتور الشيخ محمد شقير، ص ٨٧.٨٨

منک! وقد کان قعد فی العمارية فأطلع رأسه وقال: سمعت أبی موسی بن جعفر يقول:

سمعت أبی جعفر بن محمد يقول: سمعت أبی محمد. بن علی يقول: سمعت أبی علی

بن الحسين يقول: سمعت أبی الحسين بن علی يقول: سمعت أبی أمير المؤمنين علی

بن أبی طالب يقول: سمعت رسول الله صلی الله عليه وآله يقول: سمعت جبرئيل يقول: سمعت الله

عز و جل يقول: لا إله إلاّ الله حصنی، فمن دخل حصنی أمن من عذابی. فلما مرت

الراحلة نادانا: بشرطها وشروطها، وأنا من شروطها)).

إن التعامل مع الآخر أيا كان نوعه يحتاج غالبا إلی التشارط دفعا للإيهام وتوضيحا

للحدود والاستحقاقات، سلما و حربا، وعلی هذا تطبع المسلمون. وهناک شروط فی

البيع و فی المعاملة وعند عقد النكاح والطلاق وفی المزارعة والولاء والقرض والوقف.

والشروط كما هی واجبة الوفاء فی السلم والحياة العامة فهی واجبة الوفاء فی الحرب

كذلک، والوجوب هنا كأی وجوب آخر يوقع تقصيرا شرعيا علی من يخل به ويضعه

تحت المساءلة الشرعية والأخلاقية والقانونية، وقد أجمع المسلمون علی أن رسول الله صلی الله عليه وآله

ما أعطی شرطا وأخل به.

وكان الإمام الحسن عليه السلام التلميذ النجيب لوالده الإمام عليه السلام علی تلميذ رسول الله صلی الله عليه وآله

الأنجب و بالتالی ما كان ليخل بشرط أعطاه لغيره؛ مهما كانت الآثار المترتبة عليه، وهذا

واضح فی حياة الأئمة المعصومين أجمعهم، كما أن خلافه واضح فی أخلاق وسياسة من

عاداهم. ووفق هذا الاعتبار لا نستغرب إذا ما التزم الإمام الحسن عليه السلام بشروط الصلح

مع معاوية ونستغرب أشد الاستغراب لو أن معاوية لم يخالف الشروط التی اتفقوا

عليها.

فضلا عن ذلک نجد الدلائل كلها تشير إلی أن من حارب الإمام الحسن عليه السلام ومن

ثم وقع على وثيقة الصلح معه كان كاذبا فى دعواه، وأما الحسن فى موقفه من الصلح فقد

كان صادقا والتزم حرفيا بما اتفق عليه مع معاوية، فكان مصداقا لما جاء فى البخارى:

((عن صالح عن أبى شهاب أن حميد بن عبد الرحمن أخبره: أن أمه أم كلثوم بنت عقبة

أخبرته: أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس ، فينمى

خيرا او يقول خيرا))(1).

1- صحيح البخارى، كتاب الصلح، باب ليس الكاذب الذى يصلح بين الناس، حديث ٢٦٩٢، ص ٤٧٦،طبعة دار إحياء التراث، ٢٠٠١.

ما اشتبه عليهم

معنى هذا أننا يجب أن نعرف بداية أن الإمام الحسن عليه السلام كان على إدراك كامل بأن

الذهب و الإمامة المعصومة يقفان أمام أكبر تحد ممكن أن يواجهه أى فكر فى الكون،

كان مدركا أن السيف ينتظر ما بقى من شيعة أبيه ممن نجوا من محرقة الحروب ودسائس

المكر والغيلة لكى يتم القضاء كليا على فكر التحدى والثبات، ولذا قال لحجر بن

عدى الذى عاتبه على الصلح: إنما صالحت بقيا على شيعتنا خاصة من القتل))،(1)

هكذا كان الإمام الحسن عليه السلام مدركا لما ينتظر المذهب على وجه التحديد، والدين على

وجه العموم فى المنازلة العظيمة المرتقبة، فكان أمام خيارين: إما القبول بالمصالحة على

مضض، أو الفناء الكلى للإمامة و المذهب وللدين الحقيقى، ولقد كان الإمام الحسن عليه السلام

وربى على يقين كامل بما يصنع؛ لأن الأيام أثبتت فيما بعد أن المتربصين بالمذهب والإمامة

لا يريدون تحجيم دورهما فى الحياة وعزلهما عن الناس فحسب، وإنما كانوا يبغون فناءهما

من الوجود كليا؛ بدلالة أنهم مع كثير جيشهم و قدرتهم على أسر الإمام الحسين عليه السلام

ومن كان معه من أصحابه النجباء يوم كربلاء، لجأوا إلى القوة المفرطة وقتلوه و قتلوا

كل من يعتقدون بأنه ممكن أن يترك أثرا ولو بسيطا فى الحياة.

إن مقتل الإمام الحسين عليه السلام بتلك الطريقة الشنيعة جاء ليثبت بأن الإمام الحسن عليه السلام

ومن معه من شيعته بما فيهم الحسين كانوا سيتعرضون إلى نفس المصير لو لم يوافق على

الصلح، مع فارق أن مقتل الحسن عليه السلام ومن معه كان سيعرض المذهب إلى الفناء الكلى،

1- الأخبار الطوال، الدينورى، ص ٢٢٠

لأن الحسين عليه السلام كان معه فى تلك المنازلة وكان معرضا للقتل أيضا، فضحى الحسن عليه السلام بنفسه لأنه كان على يقين بأنه سوف يقتل بعد الصلح لكى يبقى على الحسينوعلى الشيعة وهم الذين أوكل الله لهم حفظ الإمامة المعصومة ومذهبها. أما مقتل الإمام الحسين عليه السلام فقد أسهم فى تقوية وتمتين وجود المذهب الذى استودعه إياه أخوه الإمام الحسن عليه السلام.

وهنا قد يقول قائل: ولكن التشيع لم يمت بموت الحسين بل ازداد تألقا، بمعنى أن التشيع ماكان ليموت بموت الإمام الحسن لو أنه قاتل و مات شهيدا فى أرض المعركة؟ والجواب على ذلک بسيط جدا، والسبب: ان موت الحسن عليه السلام كان يوجب على الحسين إذا ما نجا من القتل أن يعلن إمامته و يتحمل أعباء المواجهة مع قوة تريد موته كما كانت تريد موت أبيه مع كل ما كان يملكه من قوة ومن مدد، وموت أخيه الذى كان أكثر منه جنداً و أنصارا، وبالتالى سيكون مضطرا لإعلان الحرب فيموت فى أوقات هرج و فتنة دون أن يترک أثرا أو يثير تساؤلا، وبموته ينتهى وجود الإسلام والمذهب ويتلاشى أثره فى الحياة و يتحول إلى فرقة لا تتمكن من قيادة نفسها بل تتحول الى امة ممزقة، ثم إن الحسين عليه السلام لم يعلن ثورته فى زمن معاوية و انتظر عشرين سنة من سنة أربعين وحتى سنة ستين هجرية لكى يعلن ثورته فى الوقت الذى أراده الله، وهذا دليل على أن زمن حراكه كان مؤجلا إلى حين، أما لو قاتل الحسن عليه السلام و قتل ونجا الحسين عليه السلام وتولى الخلافة من بعده مباشرة، فإنه ما كان ليؤخر ثورته سنين حدثت فيها أنواع مختلفة من الابتداع والتحريف والخروج على قيم السماء، فضلا عما آلت إليه الخلافة الأموية بعد موت معاوية، فجاءت ثورته لتصحح ذلک الاعوجاج، ولذا خلدت فى ضمائر الناس. وقبالة هذا الرأى أرى أنه لو قيض للحسين عليه السلام أن يكون هو بطل الصلح لما كنا سنعفيه مما حملناه على عاتق الإمام الحسن عليه السلام من أقوال وما أثرناه على الصلح من

شبهات. وهى الشبهات التى ياتى بها عادة أتباع فصيل السياسيين القدماء تحديدا نصرة

لمعتقداتهم التى ورثوها عن آبائهم.

نعم هناک من يقول بأن صلح الحسن عليه السلام. جاء لدرء الفتنة التى سببها سعى معاوية

للملک، وقبالتهم هناک من يقول بأن الصلح بحد ذاته قدم الملک إلى معاوية على طبق

من ذهب وبقانون شرعى يتمثل بتنازل الخليفة الشرعى عن حقه فى الحكم لأحد

الخارجين عليه، بمعنى أن لحسن عليه السلام بالصلح الذى عقده مع معاوية لم يمنع الأخير

من الحصول على الملک بل قدمه له سهلا يسيرا، وكان الأجدر به أن يقاتل كما قاتل أبوه

وأخوه من قبل و اخوه من بعده.

إن هؤلاء لا يعرفون تدرج مهما الإمامة المعصومة تبعا لمستجدات الأحداث، ولم

يستوعبوا تاريخهم الحقيقى، وفاتهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو حامل رسالة الله إلى البشر

كافة وادع وصالح وحارب حسب الظروف، وما أوجبه عليه الله سبحانه، ومن يقرأ

كتب السيرة النبوية يجد أنه صلى الله عليه وآله قاد غزوات عديدة إما لأجل عقد صلح مع هذا الطرف

أو ذاک و إما لموادعة هذا الطرف أو ذاک، و إما لمقاتلة هذا الطرف أو ذاک. ومن أشهر

مواقفه السلمية كان صلح الحديبية مع مشركى قريش الذى عارضه وأعترض عليه

بعض الصحابة الذين كانوا معه، وفيهم من كان حاد التصرف مع النبى صلى الله عليه وآله واتهمه

بالتهاون مثلما اتهموا حفيده الحسن عليه السلام فيما بعد.

إن ما دفع النبى صلى الله عليه وآله إلى عقد مثل هذا الصلح الذى أوقع فتنة بين المسلمين أنفسهم

أنه صلى الله عليه وآله كان يرى فى الصلح انتصارا لا يمكن للحرب أن تحققه ولذا قبل بشروط كفار

قريش لما كان يراه من مصلحة للمسلمين فى هذا الوقت من زمن البعثة. ولكننا نجده

فى مواقف أخر لا يقبل إلا بالحرب ويرفض أى بادرة لعقد الصلح، لأنه كان يرى أن

الحرب فى هذا الموقف تحديدا وليس الصلح هو ما ينتصر به الإسلام. وقد ثبت أن

الإمام الحسن عليه السلام نظر إلى الأمور من حوله بنفس المنظار النبوى، وأدرک أن مصلحة

الأمة والدين والمذهب تكمن فى الصلح لا فى الحرب. فهل يعنى ذلک أن النبى صلى الله عليه وآله

ناقض نفه باتخاذه قرار الصلح فى موطن ما و قرار الحرب فى موطن آخر، أم أن علينا

السكوت عن مناقشة ما لا يمكن أن نعرف أسراره من أى سلوک و تصرف يصدر عن

المعصوم؟

لقد أراد الله سبحانه لصلح الحديبية بالذات أن يكون شاهدآ على الصلح الذى

سيضطر الإمام الحسن عليه السلام لعقده مع أولاد وأحفاد أولئک الذين صالحهم النبى صلى الله عليه وآله .

والموقف الذى بدر من بعض اصحابة يشابه المواقف التى بدرت من بعض أصحاب

الإمام الحسن عليه السلام. حتى الحرج الكبير والألم والحسرة الذى خلفه صلح الحسن عليه السلام

كانت منه شواهد كثيرة فى صلح الحديبية، وما أكبر من أن يرى رسول الله المسلمين

المكيين يأتونه ليلوذوا بجنابه فيضطر إلى إعادتهم إلى أهلهم المشركين التزاما بشروط

الصلح؟

(حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال: أخبرنى عروة بن

الزبير: أنه سمع مروان و المسور بن مخرمة رضى الله عنهما يخبران عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

((لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبى أنه لا يأتيک

منا أحد و إن كان على دينک إلا رددته إلينا وخليت بيننا وبينه. فكره المؤمنون ذلک

وامتعضوا منه وأبى سهيل إلا ذلک، فكاتبه النبى على ذلک، فرد يومئذ أبا جتدل إلى أبيه

سهيل بن عمرو ولم يأته أحد من الرجال إلا رده فى تلک المدة و إن كان مسلما .وجاءت

المؤمنات المهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط ممن خرج إلى رسول الله

يومئذ وهى عاتق فجاء أهلها يسألون النبى أن يرجعهاإليهم، فلم يرجعها....))(1)

لنتابع قصة ابى جندل هذا الذى كانت قريش تسومه سوء العذاب؛ لأنه أسلم

فصادروا حريته وقيدوه بالأغلال والسلاسل، فلما جلس النبى صلى الله عليه وآله للصلح معهم فى

الحديبية أفلت من قيوده ولجأ إلى النبى صلى الله عليه وآله طالبا العون فرده النبى صلى الله عليه وآله إليهم!، وأبو

جندل هو ابن سهيل بن عمرو الذى كان يفاوض النبى! على الصلح. ((أسلم قديما

بمكة، فحسبه أبوه و أوثقه فى الحديد، ومنعه الهجرة، فلما نزل رسول الله الحديبية وأتاه

سهيل بن عمرو فقاضاه على ما قاضاه عليه، أقبل أبو جندل يرسف فى قيوده فرده

رسول الله إلى أبيه، لأن الصلح كان بينهم. ثم أفلت بعد ذلک بزمن فلحق بأبى بصير

وهو بالعيص وقد اجتمعتا إليه جماعة من المسلمين وكانوا كلما مرت بهم عير قريش

اعترضوها فقتلوا من قدروا عليه منهم و أخذوا ما قدروا عليه من متاعهم فلم يزل أبو

جندل مع ابى بصير حتى مات أبو بصير، فقدم أبو جندل ومن كان معه من المسلمين

بالمدينة على عهد رسول الله فلم يزل يغزو معه و يجاهد بعده فى سبيل الله حتى مات

بالشام فى طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة فى خلافة عمر بن الخطاب))(2)، ولكى أثبت

بأن الله تعالى أراد لصلح الحديبية أن يكون شاهدا على صلح الإمام الحسن عليه السلام سوف

أورد قصة الحديبية كما ترويها الروايات وكتب التاريخ.

كانت قريش قد آلت على نفسها منذ هاجر الرسول صلى الله عليه وآله والمسلمون معه إلى المدينة

أن يصدوهم عن المسجد الحرام وأن يحولوا بينهم وبين سائر العرب، وقد كاد العام

السادس الهجرى أن ينتهى ولم ير المهاجرون مكة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد رأى فى المنام

1- صحيح البخارى، ص ١١٦، ج٢ كتاب الشروط، باب ما يجوز من الشروط فى الإسلام والأحكام والمبايعة.

2- ينظر: المستدرک، ص٣١١ت٣١٢، ج3، حديث ٥٢٠٩\٨٠٧.

أنه وأصحابه سيدخلون المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين

لا يخافون وأخبر الصحابة بتلك الرؤيا فازدادوا يقينا بأن النصر قريب و أكيد، وفضل

النبى صلى الله عليه وآله الذهاب فى ذى القعدة وهو من الأشهر الحرم حتى لا تتوجس قريش منه

خيفة وتصده عن مكة، وكان عدد المسلمين معه ألفا وأربعمائة على أرجح الروايات

خرجوا فى ثياب الإحرام البيض وساقوا معهم الهدى وأحرموا بالعمرة ليعلم الناس أنه

خرج زائرا للبيت معظما له، وحتى لا تفكر قريش فى صده عن مكة، وكانوا عزلا من

السلاح إلا ما يحمله كل مسافر وهو سيف فى قرابة.

فلما بلغوا ذا الحليفة ميقات أهل المدينة قلد الرسول الهدى، لكن قريشا بمجرد

علمها أن المسلمين يقصدون مكة أخذت فى الاستعداد للحرب ولم يصدقوا أن هدف

الرسول الحج وعقدوا النية على صد النبى صلى الله عليه وآله عن مكة، وفى(عسفان) على بعد يومين

من مكة لقيه بشر بن سفيان الكعبى فقال: يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك

فخرجوا يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا، فقال صلى الله عليه وآله : ((يا ويح قريش لقد أكلتهم

الحرب، ماذا عليهم لوخلوا بينى و بين سائر العرب فإن هم أصابونى كان الذى أرادوا

وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وآخرين و إن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما

تظن قريش، فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه

السالفة– أى صفحة العنق)).

وكان أول من جاءه بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من خزاعة،ثم تكررت الوفود

بينهما فبعثت قريش رسولا أخر هو مكرز بن حفص، ومن بعده جاء الحليس بن علقمة،

ثم عروة بن مسعود الثقفى سيد أهل الطائف، فكلمه الرسول بنحو مما كلم به أصحابه

واخبره أنه لم يأت يريد حربا، وإنما يريدأن يزور البيت كما يزوره غيره فلايلقى صادا

ولا رادا .وهنا كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة و فيها بايع الرسول أصحابه على أن لا

يبرحوا مكانهم حتى يقاتلوا المشركين دون أن يفروا.

وعندها سارعت قريش، فبعثت سهيل بن عمرو ليعقد صلحا ولم يكن يعنيها فى

هذا الصلح إلا أن يرجع المسلمون هذا العام على أن يعودوا بعد، إذا شاءوا وذلک إبقاء

على مكانة قريش فى العرب فلما رأى الرسول مبعوث قريش قال: ((قد أراد القوم الصلح

حين بعثوا هذا الرجل)) وتقدم سهيل بن عمرو إلى النبى صلى الله عليه وآله فتكلما وتناقشا وتراجعا

ثم جرى بينهما الصلح، وقبل الرسول شروط الصلح ولم يستشرهم فى هذه الشروط

ولم يرق هذا الاتفاق فى أعين بعض اصحابة واعتقدوا أن الرسول صلى الله عليه وآله سلم لقريش

بكل مطالبهم، وكان أشدهم نقدا له عمر بن الخطاب فقد ذهب إلى ابى بكر، فقال: يا

أبا بكر أليس برسول الله؟ قال: بل. فقال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بل. قال: أوليسوا

بالمشركين؟ قال: بلى. قال عمر: فعلام نعطى الدنية فى ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر الزم

غرزه]الزم أمره[فإنى شهد أنه رسول الله. قالعمر: وأنا شهد أنه رسول الله.

ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وأعاد عليه نفس الحوار والاعتراض. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله

أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى)).

وكان الإمام على عليه السلام هوكاتب شروط الصلح، دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله ليكتب شروط

الصلح، فقال: ((اكتب بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل: لا أعرف هذا ولكن

اكتب باسمک اللهم. فقال رسول الله: اكتب باسمک اللهم فكتبها. ثم قال: اكتب هذا

ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو. فاعترض سهيل وقال: لو شهدت

أنک رسول الله لم أقاتلک ولكن اكتب اسمک و اسم ابيک. فقال رسول الله: اكتب

هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو: اصطلحا على وضع الحرب

عن الناس عشر ستين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى

محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه

عليه و أن بيننا عيبة مكفوفة(1) و إنه لا إسلال ولا إغلال(2) وأنه من أحب أن يدخل

فى عقد محمد و عهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل

فيه. وأنک ترجع عنا عامک هذا فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا

عنک فدخلتها بأصحابک فأقمت بها ثلاثا معک سلاح الراكب: السيوف فى القرب

لا تدخلها بغيرها

وبينما رسول الله صلى الله عليه وآله يكتب الكتاب مع سهيل بن عمرو إذ جاءة أبو جندل بن

سهيل بن عمرو يرسف فى الحديد ويريد الالتحاق بالمسلمين. فلما رأى سهيل ابنه قام

إليه فضرب وجهه وأخذ بتلابيبه ثم قال: يا محمد قد لجت(تمت) القضية بينى وبينک

قبل أن يأتيک هذا. قال: ((صدقت)). فجعل يجذب ابنه جذبا شديدا فى جفاء ليرده إلى

قريش وأبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنونى فى

دينى؟ فقال رسول الله: ((يا أبا جندل اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لک ولمن معک

من المستضعفين فرجا ومخرجا إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على

ذلک وأعطونا عهد الله و إنا لا نغدر بهم)). (3)

فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من الكتاب أشهد على الصلح فريقا من الجانبين وقد جاءت

قصة أبى جندل هذا فزادت آلام المسلمين وضاعفت أحزانهم، ودخل على المسلمين

من ذلک أمر عظيم حتى كادوا يهلكون. وبعد أن انتهى الرسول صلى الله عليه وآله من أمر الصلح،

1- عيبة مكفوفة أى: صدور منطوية على ما فيها.

2- الإسلال: السرقة الخفية والاغلال: من الغل أى الخيانة.

3- لاحظ هنا أن الإمام الحسن عليه السلام التزم حرفيا بشروط الصلح، ولكن معاوية وضعها تحت قدمه وتنصل عنها كلها فغدر.

قال لأصحابه: ((قوموا فانحروا واحلقوا رؤوسكم ليتحللوا من عمرتهم ويعودوا إلى

المدينة))، فتباطؤوا حتى قال ذلک ثلاث مرات، فدخل خيمته وذكر لأم سلمة ما لقى

من الناس وأشارت عليه أن يخرج دون أن يكلم أحدا منهم ثم ينحر بدنه ويحلق رأسه،

فلما رأى المسلمون ما صنع النبى صلى الله عليه وآله قاموا عجلين ينحرون هديهم ويحلقون، حتى كاد

بعضهم يقبل الآخر لفرط الغم، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه عائدين إلى المدينة

وفى طريق عودتهم نزلت سورة الفتح.

الاختلاف بين الوقعتين (الصلحين) أن الأولى كان فيها رسول الله صلى الله عليه وآله والوحى

ينزل عليه، فيتعقل من غضب من الصحابة ويذعن لأمر الله ورسوله مرغما، ويزداد

يقينا من آمن منهم بأن الرسول صلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوى ولا يقوم بعمل إلا بأمر الله،

أما الوقعة الثانية فكان فيها الإمام الحسن عليه السلام المحاصر من أعدائه وأصحابه والمكبل

بهجمات السياسيين المتلاحقة، ولذا نجدهم فى الأولى بعد أن نزلت عليهم سورة الفتح

يذعنون كليا لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أما فى الثانية فكانت أباطيل الأعداء ودسهم وخداعهم

هى التى تنزل على جيش الإمام وأتباعه فيزدادون تباعدا عنه واختلافا فيما بينهم.

لقد كان لنا فى صلح الحديبية وشروطه المجحفة دروس لم نستوعبها، ولو كنا

قد استوعبناها ما كان بعضنا ليلوم الإمام الحسن عليه السلام على صلحه مع معاوية، علما أن

الشروط التى شرطها الإمام الحسن عليه السلام على معاوية كانت فى مصلحة الإسلام، على

خلاف شروط صلح الحديبية التى صبت فى صالح قريش غالبا، لكن المدهش فى الأمر

أن قريش الشركة وفت بشروطها حينا من الدهر، أما معاوية المسلم فلم يف بشرط منها

وتنصل عنها بعد سويعات من الاتفاق عليها!.

وبالرغم من كل شيء لنا فى موافقة رسول الله صلى الله عليه وآله على الصلح بالرغم من الشروط

القاسية التى وضعها كفار قريش، درس أوضحه ما حصل بعد حين من اعتراض على

قرار الحسن عليه السلام؛ لأن صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحاب الإمام الحسن عليه السلام والناس عامة

لا يعلمون أين تكمن المصلحة الحقيقية، كما يعلمها الرسول صلى الله عليه وآله أو الامام المعصومه عليه السلام

فرأوا فى الصلح إذلالا.

وأرى أن الأسباب نفسها التى دعت الإمام على عليه السلام إلى قبول التحكيم فى صفين

بعد أن رفع الشاميون المصاحف على رؤوس الرماح والأسنة فأصبح القرآن فى موضع

الامتحان العسير وأصبح الإمام على أمام عليه السلام اختبار محير(1)، إما أن يثبت فيه شدة

احترامه لقدسية كلام الله تعالى أو يظهر بمظهر غير المبالى تجاه القرآن، هى ذاتها التى

دفعت الإمام الحسن عليه السلام الذى وقع فى نفس الحيرة إلى قبول الصلح و هو يرى الإسلام

والوجود الشيعى أمام أكبر تحد، فهو إما أن يجازف بالوجودين ويعرضهما على الأغلب

إلى التدمير الكبير فيقاتل إلى النهاية، أو يبقى على الاثنين، فيصالح ويجمل أوزار الصلح

كما حمل أبوه أوزار التحكيم. وكم هو وزر كبير لدرجة أنه أدى إلى مقتل الإمام على عليه السلام،

ومن بعد أدى إلى سم وقتل الإمام الحسن عليه السلام!.

وإذا ما قيض لمعاوية وجود عمرو بن العاص و ابى موسى الاشعرى يوم صفين

لينقذاه بمؤامرة التحكيم من ورطته الكبيرة، فإنه يوم الحسن عليه السلام؛ كان بحماية تلك

الوجوه ودعمها أيضا؛ ومع وجودها كان يشعر بالورطة نفسها، وبما هو أكبر منها

1- فى رواية نصر بن مزاحم عن صفين أن جيش الخلافة كاد أن يهزم جيش الشام، فباتوا ليلتهم يترقبون الصباح الحاسم حتى أن معاوية قال لعمرو بن العاص: يا عمرو إنما هى الليلة حتى يغدو على علينا بالفصل؛ فما ترى؟ وكانت خطة عمرو المحكمة هى الخديعة الكرى والامتحان الخطر، فقال لمعاوية: إلق إلى القوم أمرا إن قبلوه اختلفوا وإن ردوه اختلفوا، أدعهم إلى كتاب الله حكما فيما بينك وبينهم فإنك بالغ به حاجتك فى القوم وإنى لم أزل أؤخر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه.

بدلالة أنه قدم الى الامام الحسن عليه السلام صحيفة بيضاء ممهورة بختمه ليملى عليه شروطه التى يجب، حيث جاء فى الطبرى:

((أن اشترط فى هذه الصحيفة التى ختمت أسفلها ما شئت، فهولک)).(1)

ص :548

1- تاريخ الطبرى. المجلد3. احداث سنة اربعين للهجرة

الإذلال فى ميزان الواقع

وفق السياق التنويرى ذاته جاء صلح الإمام الحسن عليه السلام ليحقق للإسلام ما حققه

صلح الحديبية؛ ولذا تراه يقول حينما لامه بعض المسلمين على بيعته لمعاوية: ((ويحكم ما

تدرون ما عملت، والله للذى عملت لشيعتى خير مما طلعت عليه الشمس أو غربت،

ألا تعلمون أنى إمامكم ومفترض الطاعة عليكم، و أحد سيدى شباب أهل الجنة بنص

من رسول الله صلى الله عليه وآله علىّ؟ قالوا: بل. قال: أما علمتم أن الخضر لما خرق السفينة وأقام

الجدار وقتل الغلام كان ذلک سخطا لموسى بن عمران عليه السلام إذ خفى عليه وجه الحكمة

فى ذلک، وكان عند الله تعالى ذكره حكمة و صوابا؟)).

نبع اللوم من شعور بعض صحابته أنه أذلهم بالصلح حسب ظاهر ما بدا لهم،

ولذا تجد هناک روايات كثيرة تحدثت عن مفهوم الإذلال وفق رؤاها الفكرية ومقدرتها

العقلية و قوة إيمانها و يقينها بالقرار الذى يتخذه الإمام المعصوم، وقد تخبطت كتب

الحديث عند نقلها لواقعة الصلح والاعتراض، و حدث فيها خلط كثر عند حديثها

عن ما رآه البعض إذلالا أوقعه الحسن عليه السلام بالأمة، سواء من حيث أصحاب تلک الآراء

والأقوال أو الأماكن التى قيلت فيها، ورد الإمام الحسن عليه السلام على من تفوه بها. وانقل

هنا على سبيل التوضيح بعض الروايات التاريخية التى تحدثت عن حوارات وقعت بين

الإمام الحسن عليه السلام وصحابته لتكون شاهدا على ذلک، وقبل ذكر الروايات أورد رواية

مستقبلية سمعها الإمام الحسن عليه السلام عن أبيه عليه السلام، وهى قوله عليه السلام لأصحابه: ((أما أنه

سيظهر عليكم بعدى رجل رحب البلعوم، مندحق البطن، ياكل ما يجد، ويطلب ما

لا يجد، فأقتلوه ولن تقتلوه، الا أنه سيأمركم بسبى والبراءة منى، فأما السب فسبونى،

فإنه لى زكاة ولكم نجاة، وأما البراءة فلا تتبرؤا منى، فإنى ولدت على الفطرة، وسبقت

إلى الإيمان والهجرة))(1)، فهذه الرواية تذكر نهاية فصول قصة الحسن عليه السلام مع معاوية بما

لا يحتاج إلى توضيح أكثر، ولذا رواها الإمام الحسن عليه السلام فى المدينة لمن لامه على الصلح.

أما الروايات، فهى:

نقل القارى فى (المشكاة) عن أبى العريف قال: ((كنا فى مقدمة الحسن بن على عليهما السلام؛

اثنا عشر ألفا مستميتين حرصا على قتال أهل الشام، فلما جاءنا صلح الحسن عليه السلام كأنما

كسرت ظهورنا من الغيظ والحزن، فلما جاء الحسن عليه السلام الكوفة أتاه شيخ منا يكنى أبا

عمرو سفيان بن أبى ليلى فقال: السلام عليك يا مذل المؤمنين. قال: لا تقل يا أبا عمرو،

فإنى لم أذل المؤمنين، ولكن كرهت أن أقتلهم فى طلب الملك))(2).

أصل هذه الرواية أخرجه المعتزلى فى النهج، عن المدائنى، قال: ((ودخل عليه سفيان

بن أبى ليل النهدى فقال: السلام عليك يا مذل المؤمنين! فقال الحسن: اجلس يرحمك

الله إن رسول الله صلى الله عليه وآله رفع له ملك بنى أمية فنظر إليهم يعلون منبره واحدا فواحد، فشق

عليه فانزل الله تعالى فى ذلك قرآنا، قال: ((و ما جعلنا الرءيا التى أريناك الا فتنة للناس و الشجرة الملعونة فى القرآن)) وسمعت أبى عليا رحمه الله يقول: سيلى أمر هذه الأمة رجل

واسع البلعوم كبير البطن فسألته من هو؟ فقال: معاوية. وقال لى: إن القرآن قد نطق

بملك بنى أمية ومدتهم قال تعالى: ((ليلةالقدر خير من ألف شهر)) قال أبى: هذا ملك

1- أنساب الأشراف، البلاذرى، ج٢، ص ٣٢، والغارات، الثقفى، ج٢، ص ٨٤، والمناقب، ابن شهر آشوب، ج٢، ص ١٠٧، وينابيع المودة، القندوزى، ج ١ ، ص ٢٠٦.٢٠ه.

2- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح،على بن سلطان محمد القارى، دار الفكر،سنة النشر: ١٤٢٢ / ٢٠٠٢م، ص ٣٩٧٠، حديث رقم ٦١٤٤.

بنى أمية))(1)، فكانت رواية المدائنى هى الأساس الذى بنيت عليه كل الروايات المشابهة

الأخر، حيث تعددت أسماء القائلين ومناسبات القول، وتبعا لها تعددت ردود الإمام

الحسن عليه السلام على كل منها، بما يؤكد أن غالب هذه الروايات إما مدسوس أو موضوع

لا أصل له ولا يعتد به، أو أن أقوال اللوم القاسى أضيفت إليها وما هى من أصلها.

فالرواية الأولى ذكرت اسم (سفيان بن ابى ليلى النهدى) وهناك رواية نقلها الدينورى

فى الأخبار الطوال ذكرت اسم حجر بن عدى، وفيها أن الإمام الحسن عليه السلام قال لحجر

بن عدى الذى عاتبه على الصلح: ((إنما صالحت بقيا على شيعتنا خاصة من القتل))(2)،

وهناك رواية ثالثة لا تذكر اسما بعينه وتكتفى بالتعميم والتهويل، بما يبدو وكأن

جميع أصحاب الإمام الحسن عليه السلام كانوا يعدون الصلح إذلالا، والرواية فى فتح البارى

للعسقلانى: ((أخرج ابن ابى خيثمة من طريق عبد الله بن شوذب قال: لما قتل على سار

الحسن بن على فى أهل العراق ومعاوية فى أهل الشام فالتقوا، فكره الحسن القتال وبايع

معاوية على أن يجعل العهد حسن من بعده فكان أصحاب الحسن يقولون له: يا عار

المؤمنين، فيقول العار خير من النار))(3).

لقد أورد غير واحد من المؤرخين والرواة ما قالوا بأنه رد فعل عكسى لأصحاب

الإمام الحسن عليه السلام على الصلح باعتبار أن الصلح هزيمة واضحة أمام الأعداء. وقد

يكون هذا الأمر صحيحا فى بعض جوانبه، ولكن تم تهويله وتعظيمه فوق ما كان

عليه، فالناس تختلف مشاربهم ومحدودية عقولهم، فضلا عن ذلك كان جيش الإمام

1- نهج البلاغة، م٤ ،ج١٦ ، ص ٦ .

2- الأخبار الطوال، الدينورى، ص ٢٢٠ .

3- فتح البارى شرح صحيح البخارى،أحمد بن على بن حجر العسقلانى، دار الريان للتراث، سنة النشر: ١٤٠٧ / ١٩٨٦م، حاشية ص ٧٠.

الحسن عليه السلام يفتقد التوافق المطلوب لااجتماع الرأى بسبب تكويناته الجمعية حيث الأثر السالب لوجود الخوارج و بعض القبائل فى صفوفه، ولكن رد الفعل لم يكن بالشكل الذى صوره المؤرخون ولاسيما مسألة التطاول على الإمام الحسن من قبل أصحابه.

وحتى لو آمنا جدلا بصحة موضوع التطاول، فمن المؤكد أنه لم يصدر عن أصحاب الإمام الخلص، ولم يكن بالشكل الذى وصفه السياسيون، وإنما صدر عن قلة من عامة الناس، وهم من المندسين فى جيشه من أتبع عدوه، الذين كانوا من الكثرة لدرجة أنهم كانوا أحد أسباب تخنيع الناس وثنيهم عن خوض الحرب، وهو الأمر الذى تقره السياسة الدنيوية وتعمل بموجبه على مر التاريخ.

يتضح مما تقدم أن القرار الخطير الذى اتحذه الإمام الحسن عليه السلام. وهوخليفة المسلمين الشرعى بعقد الصلح والهدنة مع معاوية الساعى للإمرة و المقاتل طلبا لها؛ كان محطة ومثابة أراد الإمام عليه السلام من خلالها أن يخطط للمستقبل، ليس من خلال القيام بتحرك عسكرى جديد أو بشن حملة إعلامية ضد عدوه، وإنما اعتمادا على خزين المستقبلية الذى يملكه والذى صور له الوقائع بكل تفاصيلها، نزولا إلى أصغر الجزئيات وأدق النتائج.

لقد أدرك الإمام الحسن عليه السلام أن المحيطين به ليسوا بوزن من كان يحيط بأبيه الإمام على عليه السلام، وقواته العسكرية ليست بقوة جنود أبيه، وعدوه المترصد أقوى كثيرا مما كان عليه فى زمن أبيه بعدما انضوى تحت لوائه المئات من الوجوه التى كانت تقاتله بالأمس القريب، وتأثير العقيدة فى نفوس الأمة صار أضعف درجات مما كانت عليه فى زمن أبيه، فضلا عن كونه كان مطلعا على بنود التخطيط الإلهى، ملزما بتنفيذ ما أوكل إليه منها فى حدود مسؤوليته الشرعية. ومع كل هذا التعقيد والتشابك كان قراره بالرغم من وقعه على النفوس قرارا صائبا وحلا مناسبا لتداعيات الوضعية المعقدة التى وجد فيها

نفسه وشيعته المخلصين.

وفوق هذا وذاک کان الحسن علیه السلام مأمورا بالصلح موعودا بالإصلاح علی لسان جده، فالأحادیث الکثیرة التی وردت فی هذا البحث أثبتت أنه علیه السلام سمع الوعد من جده مباشرة و بدون واسطة و لأکثر من مرة، وهذا لا یمنع أن یکون الإمام علی علیه السلام قد کرر علیه أقوال النبی صلی الله علیه وآله وأخبره بما تضمره له الأمة وما سیمر علیه من أحداث، ولذا کان دوره المقدس محددا بهذا الواجب ینتهی مع انتهاء مهمته ولیس ابعد منها، مهما اختلفت الظروف وتعددت الأسباب، وفی هذا رد علی من یری أن الحسن علیه السلام کان یجب أن یقاتل ببقایا جنده کما سیفعل أخوه الحسین بعد حین. فمن یعرف حدود الإمامة المعصومة علی أصولها یدرک عن یقین أن الأئمة المعصومین علیه السلام یتحدون فی الهدف ویختلفون فی التطبیق، ولهذا السبب أجاب الإمام أبو عبد الله علیه السلام من سأله إن کان هو الإمام المهدی المنتظر، کما فی حدیث أبی خدیجة، بقوله: ((کلنا قائم بأمر الله، واحد بعد واحد حتی یجیء صاحب السیف، فإذا جاء صاحب السیف جاء بأمر غیر الذی کان))(1).

إن شروط البیعة التی وضعها الإمام الحسن علیه السلام لمن أراد أن یبایعه علی الخلافة تثبت أنه کان مکلفا بواجبین أحدهما حربی والآخر سلمی و لکل منهما حدوده ووجباته، فقد اشترط علی الذین بایعوه علی کتاب الله و سنة رسوله: ((إنکم مطیعون تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت))(2)، وفی روایات کثیرة أن أول من بایع الإمام الحسن علیه السلام کان قیس بن سعد، وقال له: ((ابسط یدک أبایعک علی کتاب الله و سنة نبیه وقتال المحلین، فقال الحسن: علی کتاب الله وسنة رسوله، فإنهما یأتیان علی کل

1- أصول الكافى،ج ١، ص ٥٣٦ / ٢،والإرشاد،ج ٢،ص ٣٨٤.

2- ابن الأثير: الكامل،ج٣ ص٣٥٠-٣٥١. والطبرى،ج٣،ص ٩٤١.

شرط، فبايعه الناس))،(1) وفى الإمامة والسياسة قال الدينورى: ((وذكروا أنه لما قتل على

بن ابى طالب، ثار الناس إلى الحسن بن على بالبيعة، فلما بايعوه قال لهم: تبايعون لى على

السمع والطاعة، وتحاربون من حاربت، وتسالمون من سالمت))(2).

ص :555

1- ابن الأثير: الكامل،ج٣ص.٣٥.

2- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينورى، ج١ ، ص ١٨٣-١٨٤.

ما بال المعاصرين

إن كان موضوع العتب المر قد حدث فعلا يومذاک، بالرغم من كوننا لا نؤمن

بوقوعه بالشكل الذى وصل إلينا، فما بال المعاصرين يقعون فى نفس الخطأ ويعيدون

أحداث التاريخ المشوه مع ما حباهم الله به من تقدم وتنوير وثورة معلومات و يسر فى

الوصول إلى التحليل والاستنباط؟ إن حقيقة هذا التعارض الكبير بين الموقفين موجودة

اليوم على أرض الواقع، ولا يمكن إنكارها بعدما وجدت طريقها إلى النشر.

خلاصة القول: إن هناک موقفين متطرفين وقفتهما الأمة مع عمل صدر عن إمام

معصوم قام أم قعد، وهما الموقفان اللذان بقيا ملازمين لكل سلوكياتنا وتعاملنا مع

ذكرى مناسبات الأئمة عليهم السلام حيث ترانا منشغلين كليا بأحداث بعينها، وناسين أو

متهاونين مع أحداث أخر، وهذا تناقض يجب التخلص منه، لأن بقاءه واستمراره يخل

بمنظومة الإمامة فى فكر مدرستنا ويفتح الباب أمام من يريد الطعن بعقيدتنا. وأرى أن

المأخذ الوحيد الذى يأخذوه على الإمام الحسن عليه السلام أنه هادن ما قاتل وصالح ما حارب،

فبات الصلح بالرغم من عظيم أهميته وكبير أثره سبة تنسب إلى الإمام المعصوم، فما

من باحث فى سيرة الإمام الحسن عليه السلام إلا و توسع فى الحديث عن الصلح واعتنى به

وبأخباره وكأنه المحطة الوحيدة فى حياة البسط الشهيد، وقد قال توفيق أبو علم: ولقد

عتيت أشد العناية بموضع صلح الإمام الحسن مع معاوية لأنه باعتقادى موضع هام

يستحق البحث والعناية))،(1) وأنا أرى أيضا أن موضوع الصلح مهم يستحق البحث

1- اهل البيت. الحسن ابن على توفيق ابو علم. ص11

والعناية، ولكن يجب على الباحثين المخلصين أن لا يختزلوا حياة الإمام الحسن عليه السلام وجهاده ومدرسته الفكرية فى اصلح وحده ويغفلوا كل تلك الجوانب المشرقة الأخر، تماما كما تجد الثقل الأكبر الذى ألقى على سيرة السبط الحسين عليه السلام انصب على الثورة وحدها، مع إغفال شبه كامل لمراحل حياته الأخر بما فيها عرش سنوات من الجهاد قبل الثورة. فلمإذا هذه التخصصية المستهجنة التى تحرم المتابع من علم كثير يحتاج إلى الإلمام به؟ فكم من واحد منا يعرف العمل النضالى للإمام الحسين متن مراحل طفولته ولغاية تحركه إلى مكة لإعلان الثورة، مع أن دوره حتى فى وجود أبيه وأخيه الحسن عليه السلام كان مؤثرا وفاعلا، وبعد استشهاد أخيه الحسن عليه السلام كان أكثر أثرا وفاعلية لدرجة أن معاوية كان يخشاه و أعد العدة لقتله متى توفرت الأسباب التى لا يهيج معها الشارع الإسلامى؟.

وما من شک أن علماء مدرستنا متفقون على أن الإمام المعصوم يولد و هو مكلف بالإمامة سواء مع وجود إمام قائد أو عدم وجوده، فالإمام على عليه السلام كان مسلما ومؤمنا وإماما فى حياته الأولى قبل إعلان إسلامه على الملأ، وبعد إعلان إسلامه مارس الإمامة فى زمن بعثة النبى صلى الله عليه وآله ومارسها فى زمن الخلفاء الذين سبقوه ومارسها فى عصر خلافته. والإمام الحسن عليه السلام السبط ولد فى زمن إمامة جده النبى الأكرم صلى الله عليه وآله و والده الإمام على عليه السلام فكان إماما معصوما حتى مع وجودهما، والإمام الحسينولد فى زمن إمامة جده وأبيه وأخيه الحسن فكان إماما معصوما. ومعنى هذا أننا ملزمون بمتابعة حياة كل منهم منن لحظات عمره الأولى وإلى تاريخ استشهاده بنفس الأهمية والحرص والتدقيق والحماس والاندفاع؛ لأن أى تحيز مهما كان بسيطا يلحق بالعقيدة ضررا ليس من السهل علاجه، ويمنح الآخرين فرصة الطعن بعقيدتنا واتهامنا بما ليس فينا، والأئمة المعصومون عليهم السلام سواء فى عصر إمامتهم الكلية أو فيما يسبقه من أزمان عملوا

جميعهم على شحذ وتجديد الفكر الدينى وإصلاحه من عطلاته بعد أن أيقنوا أن الحكام والسياسيين الدينيين يعملون عل تمييع هذا الفكر وتنويبه لإعادة ترتيبه وفق مناهجهم ومصالحهم، وهم بالرغم من مطاردتم والتضييق عليهم نجحوا فى مسعاهم وخلقوا حركة أحيت الدين ليس عند أتباعهم فحسب بل وعند معارضيهم أيضا، لأن هؤلاء رأوا أن من واجبهم التصدى لتنامى الفكر الشيعى بفكر يستطع الثبات أمامه، وهذا ما لم ينجح به المتأخرون بالرغم من كل الإمكانيات التى وفرت لهم. فلقد وجدت على أرضنا اعتبارا من أواخر القرن التاسع عشر مجموعات تهدف إلى الإصلاح الدينى بعد أن قام الاستعمار الغربى بنشر الفساد فى كل مفاصل الحياة واتخذت لها خطوطا ومناهج، فاتجهت إحداها كما يقول الدكتور (محمد البهى) إلى التعبئة الروحية والإصلاح الدينى قادتها مجلة (المنار) بعد وفاة الشيخ المعتدل محمد عبدة وتولى أحد أتباع المدرسة السلفية وهو أحمد أمين رئاستها. واتجهت الثانية إلى تعبئة الحماس القومى.(1) وسار الاتجاهان بتواز إلى هدف واحد ولكنهما عجزا كليا عن تحقيق أبسط فقرات مشروعيهما بالرغم من جسامة التضحيات المادية والمعنوية والبشرية، إذ كان كافيا أن تنقلب تركيا التى كانت تقود الإسلام باسم الخلافة الإسلامية إلى دولة علمانية فى عام ١٩٢٤ بمجرد سقوط الإمبراطورية التى حكمت العالم الإسلامى وسرقت خيراته باسم الإسلام لتخسر هذه المشاريع حاضنتها ومركز دعمها، وأعتقد أن الغربيين أحسوا بهذه الهزيمة التى تجعلهم فى مواجهة الموقف الشيعى المتأزم والصارم فعملوا جاهدين على خلق اتجاهات دينية جديدة مدعومة بثروة النفط عسى أن تقف أمام المد الشيعى، وقد نجحوا فى تحجيم قدرة الحراك الشيعى بعد أن توفرت لهم وسائل الدعم المادى والفكرى والإعلامى، ولكن ذلك مهما امتدت آثاره لا يمكن أن يوقف مسير قافلة التشيع أو يعرقل منهجها.

1- الفكر الإسـلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى، الدكتور محمد البهى،ط ٤، مكتبة وهبة، القاهرة.طبع لأول مرة عام ١٩٥٧ م، ص ٠١٧٥

وأنا أرى أن للسياسيين الإسلاميين دورا كبيرا فى هذا المخطط وهم الذين بحثوا فيه عن

نصرة تعوضهم هزائمهم غير ملتفتين إلى تغيير نظرة الناس البسطاء إلى الله سبحانه!.

لقد صور السياسيون القدماء ومن ورث فكرهم من المسلمين المعاصرين (الله)

سبحانه وتعالى على انه (إله) رعب وخوف وقسوة بعد أن نشروا الرعب والخوف فى

قلوب المسلمين باسمه وباسم دينه من خلال أطروحتهم الغبية التى أظهرت الحرب

كآلية وحيدة لحل النزاعات بين البشر، وجاء المستشرقون بعد ردح من الزمان ليحيوا

موات هذه الفكرة فى قلوب المسلمين لكى ينفروهم من الدين ويلجئونهم إلى الغرب

يبحثون فيه عن حريتهم، يقول المستشرق (نيكلسون) بذا الصدد: ((يبدأ القرآن بفكرة ((الله الصمد))

الإله القادر الذى تجرد من المشاعر والميول البشرية وهو سيد عباده

لا والد أبنائه والقاضى الذين ينزل بالآثمين عدلا رادعا ويبسط رحمته على من يتقون

غضبه.. إنه إله خوف أكثر منه إله حب)).(1)

بالمقابل كان سعى الإمام المعصوم منصبا على تغييير الصورة النمطية التى رسمها

السياسيون للرب سواء فى زمن الإمامة المعصومة أم فى العصور اللاحقة، وكان صلح

الإمام الحسن عليه السلام واحدة من التجارب الناجحة فى تغيير نمطية صورة (الرب المرعب

العنيف) فى عقول المسلمين، فالصلح جاء ليثبت لمن فى قلبه مرض، أن الله الرحمن

الرحيم اللطيف بعباده الذى يحبهم ويحبونه، إله حب سرمدى، وقد نشأ محبوه على هذه

الصفة الرائعة فعز عليهم سفك دم إنسان حتى ولوكان هذا الإنسان متغطرسا متجيرا

متكبرا طاغية، فضحوا بالخلافة وبأرواحهم من أجل ذلك الهدف، وهو هدف سام،

وفى الروايات: ((دخل رجل على الحسن بن على عليه السلام بالمدينة وفى يده صحيفة فقال له

1- الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى، الدكتور محمد البهى، مصدر سابق، ص١٩٥.

الرجل: ما هذا؟ قال: هذا كتاب معاوية يتوعد فيه على أمر كذا، فقال الرجل: لقد

كنت على النصف، فما فعلت؟ فقال له الحسن: أجل ولكنى خشيت أن يأتى يوم القيامة

سبعون ألفا أو ثمانون ألفا تشخب أوداجهم دماكلهم يستعدى الله فيم أهرق دمه))(1)،

فما الضير إذا ما اتخذ الإمام الحسن عليه السلام موقفا يحقن تلك الدماء ولاسيما وأن العقيدة

نصت على تحبيذ هذا الموقف فقهيا؟.

ص :560

1- شرح النهج،م٤،ج١٦ ، ص٧.

الجانب الفقهى للصلح

يبدو الصلح من حيث مبانى العقيدة وفقهها صورة واضحة الملامح لقواعد فقهية

إسلامية أجمعت الأمة الإسلامية على التعبد بها واختلفت فى تطبيق بنودها على أرض

الواقع، وهى ما تعرف بقواعد (درء الحدود بالشبهات) و (درء المفسدة) و(لا ضرر

ولا ضرار)-

تاريخيا لم يكن موضوع الصلح فى كليته بين أى مجموعتين إسلاميتين يقع بينها

نزاع دموى وقتال ليأخذ مداه الذى وصل إليه لولا ما خطط له السياسيون العرب بدءاً

من معركة الجمل و وصولاً إلى قيام الجيش الأموى بغزو دار الخلافة الإسلامية بقيادة

معاوية لمحاربة الإمام الحسن عليه السلام و وقوع الصلح بين الإمام ومعاوية، فهذه الأحداث

الدموية المروعة هى التى أعطت الموضوع مداه الرحب. وربما لهذا السبب دون غيره

تجد جميع كتب الحديث قد خصت الصلح إما بكتاب أو بباب منفرد، وخصوا صلح

الحسن عليه السلام بباب لوحده باعتبار أن النبى صلى الله عليه و آله قال: ((ابنى هذا سيد)). نعم وردت فى

القرآن الكريم آيات تأمر عقلاء المسلمين بالإصلاح بين الفئات التى تتقاتل، وهذا من

علم الله سبحانه، ولكن تفسيرها جاء من وحى الصلح ودار حواليه وفى رحاب أجوائه

دفاعاً عن موقف السياسيين أكثر منه دفاعاً عن الدين أو إطراء للحسن عليه السلام، و لنأخذ

على سبيل المثال آيـة (و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصـلحوا بينهما فإن بغت إحـداهما على الاخرى فقتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل و أقسطوا إن

الله يحب المقسطين)(1) لنضعها على طاولة البحث وندرسها ببساطة من حيث سبب

النزول، والتفسير، والتشريع وصولاً إلى حقيقة هذا الاهتمام بصلح الإمام الحسن عليه السلام

بذات.

الآية من حيث سبب النزول:

فى تفسير الطبرسى: ((قوله :(و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) نزل فى الأوس

والخزرج وقع بينهما قتال بالسعف والنعال، عن سعيد بن جبير. وقيل نزل فى رهط عبد

الله بن أبى سلول من الخزرج ورهط عبد الله بن رواحة من الأوس وسببه أن النبى صلى الله عليه و آله

وقف على عبد الله بن أبى، فراث حمار رسول الله صلى الله عليه و آله فأمسک عبد الله أنفه وقال: إليک

عنى، فقال عبد الله بن رواحة: لحمار رسول الله أطيب رحياً منک ومن أبيک فغضب

قومه وأعان ابن رواحة قومه وكان بينهما ضرب بالحديد والأيدى والنعال))(2)، وأخرج

البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس قال: ((قيل للنبى صلى الله عليه و آله: لو أتيت عبد الله بن أبى،

فانطلق إليه وركب حماراً وانطلق المسلمون يمشون وهى أرض سبخة، فما انطلق إليه

قال: إليک عنى، والله لقد آذانى ريح حمارک، فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول

الله أطيب رحياً منک، فغضب لعبد الله رجال من قومه، فغضب لكل منهما أصحابه،

فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدى والنعال، فنزلت الآية))(3).

إلى هنا تبدو كتب «أسباب النزول) غير مهتمة بما حدث من نزاع وما وقع من

1- سورة الحجرات، الآية٩

2- مجمع البيان فى تفسير القرآن، الطبرسى، لسورة الحجرات، الآيات ٦-١٠

3- البخارى، كتاب الصلح، باب ما جاء فى الإصلاح بين الناس، حديث ٢٦٩١، ص ٤٧٦ ، بخارى طبعة دار إحياء التراث العربى، ٢٠٠١، وأورده الواحدى النيسابورى فى حديثه عن أسباب نزول سورة الحجرات، ص ٢٢٦ - ٢٢٧،أسباب النزول، أبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى، تحقيق عبد الله المنشاوى، دار صلاح الدين، القاهرة، ٢٠٠١

صلح بين المتنازعين بعد عصر البعثة، ولكن وجود قاعدة (العبرة فى عموم اللفظ لا

فى خصوص السبب) و وقوع الصلح بين طائفتين من المسلمين على أرض الواقع،

فضلاً عن سعى السياسيين لاستغلال الصلح للحصول على الشرعية التى يحتاجونها

ليحكموا الأمة باسم الدين، جعل المفسرين يخصون الآية بصلح الإمام الحسن عليه السلام،

وينسون الحديث عن واقعة عصر البعثة تلك.

الآية من حيث التفسير:

قال ابن كثير فى معرض تفسير هذه الآيات: ((يقول تعالى آمراً بالإصلاح بين

لفئتين الباغيتين بعضهم على بعض (و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) فسماهم مؤمنين مع الاقتتال و بهذا استدل البخارى وغيره على أنه لا يخرج عن

الايمان بالمعصية و إن عظمت، لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم،

وهكذا ثبت فى صحيح البخارى من حديث الحسن (البصرى) عن أبى بكرة رضى الله عنه قال:

إن رسول الله صلى الله عليه و آله خطب يوماً ومعه على المنبر الحسن بن على عليه السلام فجعل ينظر إليه مرة

و إلى الناس مرة أخرى، ويقول: إن ابنى هذا سيد ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين

عظيمتين من المسلمين. فكان كما قال صلى الله عليه و آله أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل

العراق بعد الحروب الطويلة والوقعات المهولة))(1).

ولا أدرى كيف فات ابن كثير الانتباه إلى الفرق الكبير بين المؤمنين والمسلمين،

ليعد ابن أبى سلول المنافق الذى تقاتل أنصاره مع المؤمنين الأنصار من المؤمنين، إلا إذا

ما كان يروم التأكيد على أن البغاة الذين حاربوا الإمامين على والحسن عليهم السلام مؤمنون!؟

وربما لهذا السبب تجد فى مدرستنا قولاً مختلفاً بالكامل عن هذا القول ففى (مجمع البيان

1- تفسير ابن كثير، سورة الحجرات، الآية ٩و١٠

فى تفسير القرآن) قال الطبرسى فى تفسير: ((و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا)) أى فريقان من المؤمنين قاتل أحدهما صاحبه ((فاصلحوا بينهما))حتى يصطلحا ولا دلالة فى هذا على أنهما إذا اقتتلا بقيا على الايمان ويطلق عليهما هذا الإسلام، لا يمتنع أن تفسق إحدى الطائفتين أو تفسقاً جميعاً ((فإن بغت إحداهما على الاخرى))بأن تطلب ما لا يجوز لها وتقاتل الأخرى ظالمة لها معتدية عليها ((فقتلوا التى تبغى)) لأنها هى الظالمة المتعدية دون الأخرى ((حتى تفىء إلى أمر الله)) أى حتى ترجع إلى طاعة الله وتترك قتال الطائفة المؤمنة ((فان فآءت)) أى رجعت وتابت وأقلعت وأنبت إلى طاعة الله...((قأصلحوا بينهما)) أى: بينها وبين الطائفة التى هى على الإيمان ((بالعدل))أى: بالقسط حتى يكونوا سواء لا يكون من إحداهما على الأخرى جور ولا شطط فيما يتعلق بالضمانات من الأروش ((و أقسطوا)) أى اعدلوا ((إن الله يحب المقسطين)) العادلين الذين يعدلون فيما يكون قولاً وفعلاً))(1)

وقد يكون الشوكانى ممن انتبهوا إلى تهافت ما جاء به بن كثير، ولذا أكد فى تفسيره على كلمة (المسلمين) ولم يورد ذكراً لكلمة (المؤمنين) التى تعلق بها بعض المفسرين لدوافع سياسية بحتة، حيث قال الشوكانى فى تفسيره: ((والمعنى أنه إذا تقاتل فريقان من المسلمين فعل المسلمين أن يسعوا بالصلح بينهم ويدعوهم إلى حكم الله، فإن حصل بعد ذلک التعدى من إحدى الطائفتين على الأخرى ولم تقبل الصلح ولا دخلت فيه كان على المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية حتى ترجع إلى أمر الله وحكمه، فإن رجعت تلک الطائفة الباغية عن بغيها وأجابت الدعوة إلى كتاب الله وحكمه، فعل المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين فى الحكم ويتحروا الصواب المطابق لحكم الله. ويأخذوا على يد

1- مجمع البیان فی تفسیر القرآن، الطبرسی، لسورة الحجرات، الآیات ٦-١٠

الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم وتؤدى ما يجب عليها للأخرى))(1)، المهم أن تفسير

الآيات بهذا الشكل كان سبباً لولادة قواعد فقهية شرعية يتعبد بها الناس إلى الآن!.

الآية من حيث التشريع:

متى يصبح قتال المسلم للمسلم محرماً، ومتى يجوز؟ أسئلة أرادت الآية الشريفة

عرض أجوبتها أمام المسلمين ليعرفوا أحكامها. قبالة ذلك هناك فى أكثر من واقعة

ومقام تحذيرات صدرت عن رسول الله للمسلمين تنهاهم أن يتقاتلوا فيما بينهم أو

أن يسب أحدهم الآخر، قال عبد الله: ((قال النبى صلى الله عليه و آله: سباب المسلم فوق وقتاله

كفر)).(2)وهذا يعنى أن الآية الأولى جاءت من حيث الظاهر على سبيل الاحتمال، وجاء

الحديث الشريف ليقول بأنه حتى مع هذا الاحتمال يجب على المسلم أن لا يسب المسلم

الآخر ولا يقاتله لأن قتاله كفر، ولكن هناك من حول الاحتمال إلى تأكيد ثم تجاوز

الحديث ومضمونه فسب وحارب!.

لقد حذر رسول الله صلى الله عليه و آله أمته من أن يرجعوا بعده كفاراً فيشن بعضهم الحرب

الدموية على الخلافة الشرعية طمعاً فى الدنيا، جاء عن واقد عن أبيه عن ابن عمر: أنه

سمع النبى يقول: الا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض))(3)، وفى رواية

أخرى أنه ذكرهم بهذا الحديث فى حجة الوداع، ((عن جرير قال: قال لى رسول الله فى

حجة الودع: استنصت الناس، ثم قال: لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب

1- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير، الإمام محمد بن على بن محمد الشوكانى، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، 1415 ١٩٩٤م، 5 مجلدات.

2- البخارى، كتاب الفتن، باب لا ترجعوا بعدى كفاراً)) دار إحياء التراث العربى، بيروت، ٢٠٠١، ص1252، حديث ٧٠٧٦

3- المصدر نفسه، حديث ٧٠٧٧

بعض))(1). بل ووردت عن رسول الله صلى الله عليه و آله نصوص تحرم على المسلم أن يستعمل السلاح

ضد المسلم حتى لو كان الآخر معتدياً. لكن فى حالات ضيقة أخر جوز النبى صلى الله عليه و آله قتال

المسلم للمسلم فى مواطن حددها وحالات بينها، منها دفاعاً عن الإسلام والمسلمين

إذا ما بغى عليهم من قبل البغاة، ومنها دفاعاً عن دمه وماله وعرضه إذا ما اعتدى عليه

مسلم آخر. ولكنه صلى الله عليه و آله فى الحالتين حذر الأمة من الفتن وأمرهم باعتزالها، قال رسول

الله صلى الله عليه و آله:((إنها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشى والماشى

خيرمن الساعى، قال: افرأيت إن دخل على بيتى فبسط إلى يده ليقتلنى؟ فقال: كن

كابن آدم. و تلا ((لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليک لاقتلک إنى أخاف الله رب العالمين)). وجاء فى حديث آخر عن أبى ذر: إن رسول الله صلى الله عليه و آله قال له:((يا

ابا ذر ارايت إن قتل الناس بعضهم بعضاً، يعنى حتى تفرق حجارة الزيت من الدماء،

كيف تصنع؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: اقعد فى بيتک واغلق عليک بابک. قال: فإن

لم يردعک شعاع السيف؛ فالق طرف ردائک على وجهک كى يبوء بإثمه وإثمک)).

لقد وعد رسول الله صلى الله عليه و آله المسلمين بالفتن التى تتربص بهم من خلال بيوتهم عن

الزهرى عن عروة عن أسامة بن زيد قال: أشرف النبى على أطم من آطام المدينة، فقال:

اترون ما ارى؟ قالوا: لا، قال: فإنى لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر))(2)،

وكان رسول الله صلى الله عليه و آله يعلم بالفتن التى تنتظر المسلمين والحروب التى تصل إلى درجة

تعريض الأمة للهلاک على يد القردة الذين سينزون على منبره الشريف، ومع ذلک أمر

المسلمين فى الفتنة أن يقطعوا أوتار قسيهم، وأن يضربوا حد سيفهم بالحجارة، فتعطيل

أسلحتهم خير من أن يستعملوها لقتال بعضهم. لكن فهم هذه المصفوفة الأخلاقية

1- المصدر نفسه، حديث ٧٠٨٠

2- البخاری، ص ۱۲۵۰، حدیث ۷۰۶۰

الفقهية الدقيقة يحتاج إلى عقل معصوم كعقل الإمام الحسن بن على عليه السلام الذى شاءت

الإرادة الإلهية أن تضعه كما وضعت أباه فى قلب عصر الفتن. وقد أثبت الإمام الحسن عليه السلام

بأنه الراعى المسؤول عن تطبيق المنهج الربانى فى الحرب والسلم، فأثبت للأمة مشروعية

قتال الإمام والخليفة الشرعى لمن يبغى على المسلمين حتى ولو كان الأخير مسلماً، ثم

اثبت لهم مشروعية الصلح حفظاً لبيضة الإسلام وحفاظاً على العقيدة.

ص :568

مشروعية الصلح والحرب فى الإسلام

فى منظومة الفقه الإسلامى هناک تشريع يأمر بالحرب بدون اعتداء ((وقتلوأ فى

سبيل الله الذين يقتلونكم و لا تعتدوآ))(1)وقد اختلفت أقوال المفسرين فى هذه لآية

ولاسيما فى حديثهم عن الطرف الآخر من معادلة القتال؛ فقال الطبرى فى تفسير الآية:

((اختلف أهل التأويل فى تأويل هذه الآية، فقال بعضهم: هذه الآية هى أول آية نزلت

فى أمر المسلمين بقتال أهل الشرک. وقالوا: أمر فيها المسلمين بقتال من قاتلهم من

المشركين، والكف عمن كف عنهم، ثم نسخت بـ (برآءة). وقال آخرون: بل ذلک

أمر من الله تعالى ذكره للمسلمين بقتال الكفار لم ينسخ، وإنما الاعتداء الذى نهاهم الله

عنه هو نهيه عن قتل النساء والذرارى. قالوا: والنهى عن قتلهم ثابت حكمه اليوم.

قالوا: فلا شىء نسخ من حكم هذه الآية. فتأويل الآية: وقاتلوا أيها المؤمنون فى سبيل

الله... وأمرهم (تعالى ذكره)بقتال من كان منه قتال، من مقاتلة أهل الكفر دون من لم

يكن منه قتال من نسائهم وذرارتهم))(2).

وقال ابن كثير: (قال أبوجعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية، قال: هذه

أول آية نزلت فى القتال بالمدينة، فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه و آله يقاتل من قاتله ويكف

عمن كف عنه، حتى نزلت سورة براءة. وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم حتى:

1- سورة البقرة، الآية ١٩٠

2- ينظر: تفسير الطبرى

قال هذه منسوخة بقوله: ((فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم))(1).

إلا أن ذلک لا يمنع أن يكون قتال المسلم الذى يتآمر على الإسلام ويكيد له قتالاً

فى سبيل الله، كما قاتل عليها المسلمين الذى قاتلوه من الناكثين والبغاة القاسطين

والمارقين، وكما قاتل الإمام الحسن عليه السلام البغاة. وأقف هنا لأذكر بواقعة تاريخية حدثت

بعد موت رسول الله صلى الله عليه و آله مباشرة وهى أن المؤرخين والباحثين أطلقوا على من اعترض

على بيعة أبى بكر اسم (المرتدين) سواء كانوا من المرتدين حقاً، أم من مانعى الزكاة

بسبب عدم اقتناعهم بالبيعة، أم من الذين كانوا يرون بأن النبى صلى الله عليه و آله نص على خليفته

وعينه، بينما نجدهم يسمون من خرج على على والحسن عليهم السلام بالمسلمين المؤمنين، وهذه

مفارقة سياسية أكثر منها عقائدية!.

وفى المنظومة الفقهية تشريع آخر يأمر بالصلح، مرة فى حال جنوح المعتدى إلى

السلم، كما فى قوله تعالى:((و إن جنحوا للسلم فاجنح لها))(2). ولهذا السبب نجد هناک

من يجاهد ليظهر معاوية وكأنه المبادر إلى الصلح جنوحاً منه إلى السلم كما سيمر علينا

لاحقا، وليس من أجل توظيف الصلح لتحقيق مكاسب سياسية! ومرة أخرى باعتبار

الصلح خيراً من الحرب، ولاسيما بين المسلمين أنفسهم، كما فى قوله تعالى: ((و الصلح خير))(3) والقائد المسلم ملزم بتطبيق رؤية الشريعة ليعرف متى تجب الحرب ومتى

يجب الصلح، فإن كانت الحرب هى التى تحقق الأفضل باعتبار أن الصلح مستحيل

وجب خوض الحرب حتى النهاية، فإما نصر و إما شهادة، أما إذا كان بالإمكان أن

يتحقق بالصلح فيجب عدم خوض الحرب، بل السعى وراء الصلح بكل السبل المتاحة

1- ينظر: تفسير ابن كثير

2- الأنفال: ٦١

3- النساء: ١٢٨

والطرق المتيسرة.

و وفق هذه القاعدة خاض الإمام الحسن عليه السلام حربه ضد أهل البغى كما وصفهم

رسول الله صلى الله عليه و آله لأن قتال الباغين واجب على الكفاية كقتال الكفار كما يرى الشهيد

الثانى،(1) وكما يقول المحقق الحلى: ((والفرار فى حربهم كالفرار فى حرب المشركين))،

كما يرى المحقق الحلى(2) ومع ذلک يرى المحقق الحلى أن الصلح والمهادنة وما يعرف

بالمعاقدة على ترک الحرب: ((جائز إذا تضمن مصلحة للمسلمين إما لقلتهم عن المقاومة،

ولما يحصل به الاستظهار، أو لرجاء الدخول فى الإسلام مع التربص))(3)، وفى السياق

نفسه يرى الشهيد الثانى أيضاً أن المعاقدة جائزة: ((وقد تجب مع حاجة المسلمين إليها وقد

تباح لمجرد المصلحة التى لا تبلغ حد الحاجة، ولو انتفت(المصلحة) انتفت الصحة))(4).

ومنه تتضح الصورة الحقيقية والأسباب الحقيقية التى دفعت الإمام الحسن عليه السلام

للاستعداد للحرب ابتداء ثم طلب الصلح أو الموافقة عليه فيما بعد، ولاسيما بعد أن

دخلت الأمة فى أولى مراحل (حكم الصبيان) التى وعدهم رسول الله صلى الله عليه و آله بأنهم بالغوها،

ولا محيص عنها لأنها من مراحل المشروع الإلهى العظيم.

فى هذه المرحلة كان فى ذاكرة الإمام الحسن عليه السلام أكثر من حديث يصف المرحلة

وصفاً بالغ الدقة والتحديد، سواء من حيث الحديث عن واسع البلعوم الذى سيلى

حكم الأمة أو الحديث عن الأغيلمة الذين سينزون على منبر رسول الله صلى الله عليه و آله كما القردة

تنزو، أو الحديث عن الشجرة الملعونة فى القرآن التى ستمد أغصانها المحملة بقرون

الشياطين لتظلل الأمة بسوئها، فضلاً عن تخميناته الخاصة للمرحلة والأنصار.

1- الروضة البهية فى شرح اللمعة الدمشقية، دار الهادى، الشهيد الثانى: ج٣ ص٦٦٨

2- شراح الإسلام، المحقق الحلى،ج٢ دار الزهراء ص٣٨٦

3- المصدر نفسه، ج٢ ص٣79

4- الروضة البهية، الشهيد الثانى، ص654

الفصل الرابع الأغيلمة الشجرة الخبيثة

اشارة

ص :573

حديث الأغيلمة

لو قيض للنفر القليل من أتباع الإمام الحسن عليه السلام الدين لاموه على الصلح، ولمن جاء بعدهم من الأتباع والأعداء، والباحثين والمؤرخين والمهتمين، لو قيض لهم جميعاً معرفة المعنى الحقيقى لحديث الأغيلمة القرشيين الذين حتما ويجب ولابد أن ينزوا على منبر رسول الله صلى الله عليه و آله، لا يمكن أن يردعهم رادع، أو يمنعهم مانع، أو يقف بوجههم سد، أو يحول بينهم وبينه شيء ما كانوا ليلوموا الإمام الحسن عليه السلام على ما فعل أو يغفلوا عن ذكره وتمجيد سرته وعمله وجهاده، فسيطرة الأغيلمة على رقاب الأمة وعد إلهى جعله الله فتنة للناس واختباراً، ولم تكن للحسن عليه السلام أو أى شخص آخر قدرة تغيير هذه الحتمية؛ لأنها من مراحل تدرج المشروع الإلهى الكونى.

ولطالما استوقفنى هذا الحديث الذى تتفق المدارس الإسلامية جميعهاً على صحته والذى قاله رسول الله صلى الله عليه و آله ليكون الميزان المعيارى بين الحق والباطل، بين من يفهم أصول العقيدة ومن لا يفقه منها شيئاً، بين المخلصين المنتجبين الطاهرين المعصومين الذى أطلعهم الله سبحانه على بعض أسرار الكون وبين أعدائهم الدين لم يكونوا يفقهون فى الحياة سوى أمر واحد هو الحصول على مركز الصدارة حتى ولو على أنقاض الإسلام؛ للترفه بمتع الحياة الزائلة، ولو كان هؤلاء يفقهون قيد أنملة من الفقه، ولو كانت تربطهم بالعقيدة مجرد قطعة واهنة واهية من خيط عنكبوت لكانوا عرفوا أهمية الوعد المستقبلى الذى أشار إليه الرسول صلى الله عليه و آله فى حديثه، فامتنعوا عن محاربة أهل الحق وأهل الذكر واكتفوا بما هم عليه، ولكن طمعهم و جهلهم و حبهم للدنيا أعمى عيونهم

وقلوبهم عن فهم معنى الحديث الكريم فدفعتهم رغباتهم الجامحة وشهواتهم الرامحة

ليحققوا للأمة ما تخوف منه الرسول صلى الله عليه وآله وأنزعج، من خلال السير فى درب تملؤه

الدماء والآلام والأوجاع والمؤامرات والخداع، وهذا وحده يكفى دليلاً على سقوط

مشاريعهم الدينية والسياسية والحياتية مهما كان عدد المؤمنين بها، ويكفى دليلاً على

خسران من يتبعهم فى نهجهم ويتخلى عن منهج رسول الله صلى الله عليه وآله .

أما الإمام الحسن عليه السلام المؤتمن على الشروع الرسالى فكان على يقين كامل وتام بأن

وعد الله نافذ لا راد له، وأن الفتنة التى أثارها معاوية مكملة لفتنته الأولى التى سبق

وأن أثارها مع الإمام على عليه السلام، وفيها هلاك الأمة شاء أم أبى؛ فقد سمع من جده صلى الله عليه وآله

وأبيه عليه السلام أنهم (الأغيلمة) الذين سيهلكون الأمة، وهو الحديث الذى أخرجه البخارى

((حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد قال: أخبرنى جدى قال: كنت

جالسا مع ابى هريرة فى مسجد النبى بالمدينة ومعنا مروان، قال أبو هريرة: سمعت

الصادق الصدوق يقول: هلكة أمتى على يدى أغيلمة من قريش فقال مروان: لعنة الله

عليهم غلمة. فقال أبوهريرة: لو شئت أن أقول: بنى فلان وبنى فلان لفعلت، فكنت

أخرج مع جدى إلى بنى مروان حين ملكوا بالشام فإذا رآهم غلماناً أحداثا قال لنا: عسى

هؤلاء أن يكونوا منهم، قلنا: أنت اعلم))(1).

ويعنى هذا أن الإمام الحسن عليه السلام كان مدركاً تمام الإدراك أن معاوية يجب أن ينتصر

ويحكم ويمهد الطريق لغلمان أمية لينزوا على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو كخليفة لرسول

الله وإمام معصوم مأمور بأن يسير وفق سنن المشروع الإلهى التى سبق وأن اطلع على

كامل تفاصيلها وخطواتها عن طريق جده صلى الله عليه وآله وأبيه عليه السلام، فمن غير المعقول، بل من

1- البخارى، كتاب الفتن، فى باب ((هلاک أمتى على يدى أغيلمة سفهاء)) ، حديث ٧٠٥٨.

المستبعد كليا أن يكون الإمام الحسن عليه السلام بعيداً عما كان يرويه والده لهم بشكل خاص

وللأمة بشكل عام عن الأحداث المستقبلية وما ينتظرهم فى قادم الزمان، وهى مرويات

شغل بها على عليه السلام الناس، وأقام الدنيا ولم يقعدها؛ لانه قرأ لهم ماضيهم وحاضرهم

ومستقبلهم، وفى الاختصاص عن الأصبغ بن نباتة قال: ((لما جلس أمير المؤمنين فى

الخلافة وبايعه الناس، خرج إلى المسجد متعمماً بعمامة رسول الله لابساً بردة رسول

الله منتعلاً نعل رسول الله متقلدا سيف رسول الله، فصعد المنبر، فجلس عليه متكئا،

ثم شبك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه، ثم قال: يا معشر الناس سلونى قبل أن

تفقدونى، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله، هذا ما زقنى رسول الله، فاسألونى

فإن عندى علم الأولين والآخرين... فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه؟ لولا آية فى

كتاب الله عز وجل لأخبرتكم بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، وهى

آية((يمحوا الله ما يشاء و ما يثبت و عنده ام الكتاب))(1).

ولم يكن الإمام الحسن عليه السلام وحده مطلعا على هذا السر، فالأمة كلها بما فيها

السياسيون كانوا على علم بتدرج الأحداث وتصاعدها ولو بشكل عام بعيداً عن

الخصوصيات والتخصيص،إذ لم يكن فى الأمة من يجرؤ على تكذيب رسول الله صلى الله عليه وآله فى

حديثه عن الماضى أو الحاضر أو المستقبل، وقد أثبتت لهم التجارب أن كل ما قاله عن

تاريخهم القريب تحقق بما فى ذلك مقتل على عليه السلام على يد أشقى الأشقياء، وعليه لابد من

تحقق نزو الغلمان على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقيادة الأمة باسمه، وهو الأمر الذى لا يمكن

أن يتحقق إلا باستيلاء معاوية على الحكم؛ لأن الغلمان هم أبناء وأحفاد معاوية. ولهذا

السبب وغيره تشعبت طرق حديث (الأغيلمة) وتنوع رواته وتلونت صيغه بما يدل

1- الاختصاص، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبرى البغدادى الملقب بالشيخ المعيد،مؤسسة التاريخ العربى، بيروت، ١٤٣٠ه ٢٠٠٩م، ص ٢٠٥.

دلالة أكيدة على كبير تأثير السياسيين على السنة النبوية ولاسيما منها ما يخص أخبارهم

وأعمالهم، فقد أعادوا ترتيبه وتبويبه مرات عديدة لهدف واحد و هو الدفاع عن أنفسهم

وتبيان أحقيتهم بالخلافة والملک بالرغم مما وصفهم النبى صلى الله عليه وآله به من سىء العمل

والخلق، وتعنى هذه الأحقية برأيهم القاصر خطل رأى من حاربهم وقاتلهم سواء أكان

من حاربهم سيد الناس عليا عليه السلام عليه، أم ولديه الحسن والحسين عليهما السلام، ما دامت هذه

الأحاديث تدعى أن النبى صلى الله عليه وآله أمتدحهم ووصف أيام حكمهم بأيام (رحمة) كما سيرد فى

طرق الحديث بعد تحريفه.

والغريب أن كثيرا من المؤلفات التاريخية والمهتمة بالسنة والحديث نقلت هذه

الروايات ووثقت رواتها ومدحتهم، ففى كتاب (النهاية فى الفتن والملاحم) لابن كثير

أحاديث تصب فى المعنى نفسه أو قريبا منه، انقلها لا لاعتماد صحتها وواقعيتها وصدقها

بسبب المغالطات الموجودة فيها، وإنما بوصفها مثالا على تمكن السياسيين من تشويه

السنة النبوية، وبعض تلک الروايات لا يمكن تصديقه أو الأخذ به بسبب معارضته

للروايات الصحيحة المتواترة المتفق عليها.

وأول تلک الروايات وأكثرها أهمية هو الحديث الصحيح الذى نوه عن (الأغيلمة)

الذين يكون هلاک الأمة على يدهم والذى تعرض للتحريف الكبر. وقد ورد هذا

الحديث فى الأعم الأغلب من كتب الحديث، وأنا أورده هنا عن ابن كثير الذى أورد

الروايات المحرفة معه، قال: ((قال أحمد: حدثنا روح، حدثنا أبو أمية هم وابن يحيى بن

سعيد بن العاص، أخبرنى جدى سعيد بن عمرو بن سعيد عن ابى هريرة قال: سمعت

رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ((هلكة أمى على يدى غلمة)) فقال مروان: وما معنا فى الحلقة أحد

قبل أن يلى شيئا: فلعنة الله عليهم غلمة. قال: وأنا والله لوشئت أن أقول بنى فلان وبنى

فلان لفعلت. قال: فكنت أخرج مع ابى إلى بنى مروان بعد ما ملكوا فإذا هم يبايعون

الصبيان ومنهم من يبايع له وهو فى حزامه، فقلت: هل عسى أصحابكم هؤلاء أن

يكونوا الذين سمعت أبا هريرة قال لنا عنهم: إن هذه الملوک يشبه بعضها بعضاً))(1).

وقد جاهد السياسيون فى إعادة رسم هذه الصورة التى رسمها الحديث بالرغم

من وضوحها الكبير الذى لا يخفى على لبيب، أعادوا رسمها من خلال أحاديث نبوية

أخفوا معالمها وأحاديث موضوعة نبوها إلى النبى صلى الله عليه وآله تضع حقبة حكمهم فى خانة

الرحمة الإلهية، بل وجعلوها فى مصاف حقبة البعثة المشرفة، وما منعهم مانع من أن

يجعلوها قبالة حكم الخلفاء من بعد رسول الله، كل ذلک ليقولوا للأمة أنهم ليسوا

معنيين بذا الحديث، والمعنى به من يأتى بعدهم! ولقد أورد ابن الأثير رواياتهم فى

مصاف ذلک الحديث الصحيح، وللأسف، ومنها:

قال أبو داود الطيالسى: ((حدثنا جرير بن حازم، عن ليث، عن عبد الرحمن بن

سابط، عن ابى ثعلبة الخشنى، عن ابى عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل، عن النبى صلى الله عليه وآله

قال: إن الله بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة وسيكون خلافة ورحمة وسيكون عزا وحرمة

وسيكون ملكا عضوضا وفسادا فى الامة يستحلون به الفرح والخمور والحرير

وينصرون على ذلک ويرزقون أبدا حتى يلقوا الله عز وجل)).(2) وكأن الرواة وابن

الأثير ومن لف لفهم يريدون القول أن مدة حكم السياسيين الذين حاربوا عليا وحسنا

وحسينا. كانت (عزا وحرمة) ثم نسبوا الملک العضوض والإفساد فى الأمة إلى من

جاء بعدهم أى العباسيين وكأنهم مبرئون من هذه الأعمال الخسيسة!.

1- كتاب النهاية فى الفتن والملاحم لابن كثير، كتاب الكترونى، ص 7.

2- المصدر نفسه.

ومثله عن معاذ بن جبل؛ قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه و اله : ثلاثون نبوة، وثلاثون ملک

وجبروت، وما وراء ذلک لا خير فيه. رواه الطبرانی فی الأوسط. قال الهيثمی: وفيه مطر

بن العلاء الرملی، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات)). (1) وأقف هنا لأجری عملية حسابية

بسيطة عن الأرقام التی وردت فی هذا الحديث. يقول الحديث: ((ثلاثون نبوة)) بينما

المعروف بأن النبوة فی طوريها المكی والمدنی كانت ثلاثة وعشرون عاما فقط، ومعنی

هذا أنهم أضافوا كامل خلافة ابی بكر وجزءا من خلافة عمر إلی عصر النبوة وهذا شیء

غريب جدا. ويقول الحديث: ((وثلاثون ملک وجبروت)) وهذا يشمل باقی حقبة خلافة

عمر وكامل خلافة عثمان وخلافة الإمام علی ثم خلافة الإمام الحسن عليهما السلام وكامل خلافة

معاوية الذی توفی فی دمشق عن ٧٨ سنة وكانت وفاته فی رجب سنة ٦٠ هجرية وهی

تمام مجموع الحقبتين اللتين نوه عنهما الحديث! فهل يعقل ذلک؟ هل يعقل أن تكون

حقب حكم ما بعد البعثة يمستوی حقبة حكم البعثة، وهل يعقل أن تكون حقبة حكم

معاوية بموازاة حقبة حكم علی عليه السلام؟.

وروی البيهقی من حديث عبد الله بن الحارث بن محمد بن حاطب الجمحی، عن

سهل بن أبی صالح، عن أبيه، عن ابی هريرةقال: ((قال رسول الله صلى الله عليه و اله يكون بعد الأنبياء

خلفاء يعملون بكتاب الله ويعدلون فی عباد الله، ثم يكون من بعد الخلفاء ملوک

يأخذون بالثأر ويقتلون الرجال ويصطفون الأموال فمغير بيده ومغير بلسانه ومغير

بقلبه وليس وراء ذلک من الإيمان شیء)). (2) وفی صحيح مسلم من حديث ابی رافع،

((عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه و اله: ما كان نبی إلا كان له حواريون يهدون

1- إتحاف الجماعة بما جاء فی الفتن والملاحم وأشراط الساعة، الشيخ حمود بن عبد الله التويجری، الرياض، ١٣٩٤، باب ما جاء فی الخلافة والملک العضوض والجبرية، ج- ١ ص- ٢١٢

2- النهاية فى الفتن والملاحم لابن كثير، ص ٧.

بهديه ويستنون بسنته. ثم يكون من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويعملون ما

ينكرون)).(1)

وحتى مع منظومة التشويش السياسى وضعوا قوانين غاية فى الدقة وادخلوها إلى

منظومة الفقه تأمر من ينتبه من عقلاء المسلمين إلى التزوير الحاصل بالكف والامتناع

عن قتالهم بل و وجوب الطاعة لهم والوفاء ببيعتهم باعتبار أن الله هو من سيحاسبهم

على أعمالهم، وفى صحيح البخارى من حديث شعبة عن فرات الفرار عن ابى حازم،

عن ابى هريرة، عن النبى صلى الله عليه و آله قال: كانت بنوإسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى

خلفه نبى وإنه لا نبى بعدى وإنه سيكون خلفاء كثيرون. قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟

قال: فوا ببيعة الاول فالاول وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم))(2).

كما أن هناك كتبا, سلفية تناولت هذه الأحاديث بالرواية والشرح والتوسع فى

البحث بغية ترسيخ القناعات السياسية القديمة نفسها، ومنها كتاب (إتحاف الجامعة

بما جاء فى الفتن والملاحم وأشراط الساعة) باب ما جاء فى الخلافة والملك العضوض

والجبرية، والكتاب للشيخ السلفى حمود بن عبد الله التويجرى.

جاء أول هذه الأحاديث لتخنيع الناس ومنعهم عن الاعتراض أو الثورة، وفيه:

عن ابى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله سيكون بعدى خلفاء يعملون بما يعلمون،

ويفعلون ما يؤمرون، وسيكون من بعدهم خلفاء يعملون بما لا يعلمون، ويفعلون ما لا

يؤمرون، فمن أنكر برئ، ومن أمسك سلم، ولكن من رضى وتابع. رواه ابن حبان

فى صحيحه))(3).

1- المصدر نفسه، النهاية، ص٨.

2- المصدر نفسه، ص 7-٨.

3- إتحاف الجامعة بما جاء فى الفتن والملاحم وأشـراط الساعة، باب ما جاء فى الخلافة والملک العضوض والجبرية، الشيخ حمود بن عبد الله التويجرى، ج١ ،ص ٢١٤.

ثم جاء الحديث الآخر الذى يلزم الناس بطاعة الملوك المتجبرين: ((عن ابى هريرة

عن رسول الله صلى الله عليه و آله : أنه قال: كانت بنوإسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلک نبى خلفه

نبى، وإنه لا نبى بعدى، وإنه سيكون خلفاء فيكثرون. قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟

قال: فوا ببيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم. رواه:

الإمام أحمد، والشيخان، وابن ماجه))(1).

وهناک أحاديث أخر أخذت جانب الحياد النسبى مع ما فيها من خلاف لما هو

مشهور عند المسلمين، وهى تروى تاريخا عاما بتسلسل الأحداث من النبوة إلى الخلافة

إلى الملكية، الحديث الأول يروى تفصيلا محايدا للنظرة النبوية المستقبلية وفيه: عن

حبيب بن سالم، قال: سمعت النعمان بن بشير يقول: كنا قعودا فى المسجد، وكان بشير

رجلا يكف حديثه، فجاء أبو ثعلبة الخشنى فقال: يا بثير ابن سعد! أتحفظ حديث

رسول الله صلى الله عليه و آله فى الأمراء؟ وكان حذيفة قاعدا مع بشير، فقال حذيفة: أنا أحفظ

خطبته. فجلس أبو ثعلبة، فقال حذيفة: قال رسول الله:

تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون

خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم

تكون ملكا عاضا، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون

ملكا جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة

على منهاج النبوة، ثم سكت. قال حبيب: فلما قام عمر بن عبد العزيز، وكان يزيد بن

النعمان بن بشير فى صحابته، فكتبت إليه بهذا الحديث أذكره إياه، فقلت: إنى لأرجو أن

يكون أمير المؤمنين (يعنى: عمر) بعد الملک العاض والجبرية، فأدخل كتابى على عمر بن

1- إتحاف الجماعة بما جاء فى الفتن واللاحم وأشراط الساعة،ج ١ ،ص٢١٤.

عبد العزيز، فسر به وأعجبه. رواه: الإمام أحمد، وأبو داود الطيالسى، والبزار، والطبرانى

فى الأوسط))(1).

وعن أبى ثعلبة رضى الله عنه، قال: ((لقيت رسول الله صلى الله عليه و آله، فقلت: يا رسول الله! ادفعنى إلى

رجل حسن التعليم. فدفعنى إل ز عبيدة بن الجراح، ثم قال: قد دفعتک إلى رجل

يحسن تعليمک وأدبک، فأتيت أبا عبيدة، وهو وبشير بن سعد أبو النعمان بن بشير

يتحدثان، فلما رأيانى سكتا، فقلت: يا أبا عبيدة! والله ما هكذا أوصاک رسول الله صلى الله عليه و آله!

فقال: إنک جئت ونحن نتحدث حديثا سمعناه من رسول الله صلى الله عليه و آله، فاجلس حتى

نحدثک. فقال: قال رسول الله صلى الله عليه و اله: إن فيكم النبوة، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة،

ثم تكون ملكًا وجبرية. رواه أبو نعيم فى المعرفة)).(2)

ومع هذا وذاک فلتت أحاديث نصت صراحة على نوع وصفة الحكم الذى

سيقود الامة المسلمة بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام، وهى أحاديث حددت صراحة

نوع الانحراف الذى سيقع بعد الصلح، و وسمته بأنه حكم (أعفر) أى ترابى أو معفر

بالتراب دلالة على الانحطاط الكامل، وهى أحاديث جىء بها للإشارة إلى حكم

العباسيين تحديداً باعتبار أن حكم الامويين المنحرف، وكما قالوا فى رواياتهم، يدخل فى

باب (ملک ورحمة) الذى يجىء بعد باب (نبوة ورحمة) ومنها، ((عن مكحول عن أبى ثعلبة

الخشنى رضى الله عنه عن أبى عبيدة بن الجراح قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: أول دينكم نبوة ورحمة،

ثم ملک ورحمة، ثم ملک أعفر، ثم ملک وجبروت يستحل فيها الخمر والحرير. رواه

الدارمى فى سننه)). ولكنهم فى فصلهم عصر الخلافة عن عصر النبوة وعصر حكم

الامويين أضاعوا على أنفسهم فرصة الإفادة من هذا الحديث فوقعوا فى بئرهم الذى

1- المصدر نفسه، إتحاف الجماعة، ج١، ص٢١٠

2- المصدرنفسه،ج١، ص٢١٠

حفروه. ومثله حديث آخر ((عن عبد الرحمن بن سابط عن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه. عن

أبى عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى قال: إن الله عز وجل بدأ هذا الأمر

نبوة ورحمة، وكائناً خلافة ورحمة، وكائنًا ملكًا عضوضاً، وكائناً عتواً وجبرية وفساداً

فى الأرض، يستحلون الفروج والخمور والحرير، وينصرون على ذلك، ويرزقون أبداً

حتى يلقوا الله. رواه: أبو داود الطيالسى، والطبرانى)). قال الهيثمى: ((وفيه ليث بن أبى

سليم، وهو ثقة، ولكنه مدلس، وبقية رجاله ثقات))(1) وقريباً منه، ((عن أبى الطفيل:

أنه سمع حذيفة رضى الله عنه يقول: يا أيها الناس! ألا تسألونى؛ فإن الناس كانوا يسألون رسول

الله! عن الخير وكنت أسأله عن الشر؟ أفلا تسألون عن ميت الأحياء؟ فقال: إن

الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه و آله، فدعا الناس من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الايمان،

فاستجاب له من استجاب، فحيى بالحق من كان ميتاً، ومات بالباطل من كان حياً، ثم

ذهبت النبوة، فكانت الخلافة على منهاج النبوة، ثم يكون ملكاً عضوضاً، فمن الناس

من ينكر بقلبه ويده ولسانه، والحق استكمل، ومنهم من ينكر بقلبه ولسانه كافاً يده،

وشعبة من الحق ترك، ومنهم من ينكر بقلبه كافا يده ولسانه، وشعبتين من الحق ترك،

ومنهم من لا ينكر بقلبه ولسانه؛ فذلك ميت الأحياء)). رواه أبو نعيم فى (الحلية)(2)

هذا التخبط الكبير كان الدافع وراء منظومة الحديث المتحيز التى أوجدوها فيما

بعد، والتى نمت أكبر مع سقوط الدولة الأموية وقيام حكومة بنى العباس التى تزيدها

سوءاً وظلماً، والملاحظ أن الأحاديث من هذا النوع تنسب عادة إلى كبار الصحابة ومن

هو معروف ومشهور منهم، ومنها ((عن ابن عباسه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: أول

هذا الأمر نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم يكون ملكاً ورحمة، ثم يكون

إمارة ورحمة، ثم يتكادمون عليها تكادم الحمير، فعليكم بالجهاد، وإن أفضل جهادكم

1- إتحاف الجماعة بما جاء فى الفتن والملاحم وأشراط الساعة،ج ١ ،ص ٢١٠

2- المصدرنفسه،ج١، ص٢١٣

الرباط، وإن أفضل رباطكم عسقلان. رواه الطبراى. قال الهيثمى: ورجاله ثقات)).(1)

ومنها ((عن ابى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يكون بعد الأنبياء خلفاء يعملون بكتاب الله ويعدلون فى عباد الله، ثم يكون من بعد الخلفاء ملوك يأخذون بالثأر ويقتلون الرجال ويصطفون الأموال؛ فمغير بيده، ومغير بلسانه، ومغير بقلبه، وليس وراء ذلک من الإيمان شيء.رواه البيهقى))(2).

وفى حديث آخر يساوى بين الخلفاء والأمراء والملوک: عن قيس بن جابر الصدفى عن أبيه عن جده: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: سيكون من بعدى خلفاء، ومن بعد الخلفاء أمراء، ومن بعد الأمراء ملوک، ومن بعد الملوک جبابرة، ثم يخرج من أهل بيتى يملأ الأرخى عدال كما ملئت جورا، ثم يؤمر القحطانى، فوالذى بعثنى بالحق ما هو دونه)).(3)

ومثله ((عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه: أن عمر بن الخطاب كان يقول: إن الله بدأ هذا الأمر حين بدأ بنبوة ورحمة، ثم يعود إلى خلافة ورحمة، ثم يعود إلى سلطان ورحمة، ثم يعود ملكا ورحمة، ثم يعود جبرية يتكادمون تكادم الحمير. أيها الناس! عليكم بالغزو و الجهاد ماكان حلوا خضرا قبل أن يكون مرا عسرا، ويكون ثماما قبل أن يكون رماماً أو يكون حطاماً؛ فإذا شاطت المغازى، وأكلت الغنائم، واستحل الحرام، فعليكم بالرباط، فإنه خير جهادكم. رواه: نعيم بن حماد فى الفتن، والحاكم فى مستدركه))،(4)

وعن عمر أيضا: ((أنه قال: أول هذه الأمة نبوة، ثم خلافة ورحمة، ثم ملک ورحمة، ثم ملک وجبرية، فإذا كان ذلک فبطن الأرض يومئذ خير من ظهرها. رواه نعيم بن حماد

1- إتحاف الجماعة بما جاء فى الفتن والملاحم وأشراط الساعة ص ٢١٢.

2- المصدر نفسه،ج١،ص ٢١٤.

3- المصدر نفسه،ج١، ص ٢١٢

4- المصدر نفسه، إتحاف الجامعة٠

فى الفتن)).(1)

ولذا ترى الإمام الحسن عليه السلام الذى كان مؤمنا تمام الإيمان بصحة حديث الأغيلمة

ووجوب نزوهم على منبر رسول الله باليوم والساعة والدقيقة يستغل الفرص ليبين

للأمة أنه لم يفعل ما فعل بأمر منه؛ وإنما فعله بأمر الله تعالى، وقد قيض الله لواحد من

أكبر المدعين على أهل البيت عليهم السلام: ليخرج حديثا يثبت ذلک، وهو أبو الحسن المدائنى،

الذى قال عن الحسن عليه السلام : ((ودخل عليه سفيان بن ابى ليلى النهدى فقال: السلام عليک

يا مذل المؤمنين! فقال الحسن: أجلس يرحمک الله إن رسول الله صلى الله عليه وآله رفع له ملک بنى

أمية فنظر إليهم يعلون منبره واحدا فواحدا، فشق عليه ذلک فأنزل الله تعالى فى ذلک

قرآنا قال له:((وما جعلنا الرءيا التى أريناک الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن))

وسمعت أبى عليا رحمه الله يقول: سيلى أمر هذه الأمة رجل واسع البلعوم كبير البطن،

فسألته من هو؟ فقال: معاوية، وقال لى: إن القرآن قد نطق بملک بنى أمية ومدتهم، قال

تعالى: ((ليلة القدر خير من الف شهر))، قال أبى: هذه ملک بنى أمية، قال المدائنى: فلما

كان عام الصلح أقام الحسن بالكوفة أياما ثم تجهز للشخوص إلى المدينة فدخل عليه

المسيب بن نجية الفزارى وظبيان بن عمارة التيمى ليودعاه، فقال الحسن: الحمد لله

الغالب على أمره لو أجمع الخلق جميعا على أن يكون ما هوكائن ما استطاعوا))(2).

وهو أوجز وأوضح تشخيص للحالة بما لا يحتاج إلى مزيد شرح، ولكن دعما للموضوع

لا بأس من الحديث عن ركن آخر من أركان هذه المستقبلية وأقصد أحاديث رسول

الله صلى الله عليه وآله عن الشجرة الملعونة فى القرآن.

1- المصدر نفسه، إتحاف الجامعة•

2- شرح نهج البلاغة، مجلد4، ج١٦ ، ص ٦

الشجرة الملعونة فى القرآن

يجرنا الحديث عن حكم غلمان بنى أمية إلى الحديث عن الشجرة الملعونة فى القرآن

فى قوله تعالى:((و اذ قلنا لک ان ربک احاط بالناس وما جعلنا الرکیا التى ارینا‌ک الا فتنة للناس و الشـجرة الملعونة فى القرا» و نخوفهم فما یزیدهم الا طغیانا کبیرا))(1)

ومعرفة رأى

المفسرین، فیها، وهو رأى مقارب ومطابق لکل ما قلناه فى الجزء الأول من الکتاب

عن المحاولات المستمیتة لحرف الحقائق وإخفاء الدور التخریبى للسیاسیین العرب،

وهى محاولات اشترک بتنفیذها مجموعة کبیرة من السیاسیین والإفتائیین والمؤرخین

والمفسرین. فالمعروف والثابت أن (الشجرة الملعونة) جاءت إشارة إلى شجرة النسب

الأموى، ولعن القرآن لها یثبت بما لا یقبل التأویل أو الشک أنهم کانوا محاربین للخط

الإسلامى العام، وما تفریطهم بعلى بن أبى طالب ثم بالحسن بن على ثم بالحسین علیه السلام•

وباقى العلویین والطالبیین إلا دلیلا على ذلک، ولکن الجهد السیاسى والجهد الداعم له

غطیا على هذه الحقائق فى تفسیرهم للشجرة الملعونة التى کانت من أسباب قبول الإمام

الحسن علیه السلام الصلح مدعین أنها شجرة الزقوم التى فى نار جهنم وغیرها من الأقوال،

نستمع إلى أقوالهم التى سنفندها بقول السید الطباطبائى (رحمه الله) فى تفسیر المیزان، فهو

قول فصل قوض کل الاقوال.

قال الطبرى: ((وقوله:((وما جعلنا الرءیا التى ارینا‌ک الا فتنه للناس)) اختلف أهل

التأویل فى ذلک، فقال بعضهم: هو رؤیا عین، وهى ما رأى النبى صلى الله علیه وآله لما أسرى به من

1- سورة الإسراء، الآیة ٦٠ .

مكة إلى بيت المقدس. وقال آخرون: هى رؤياه التى رأى أنه يدخل مكة. وأما قوله:

((و الشجرة الملعونة فى القرآن)) فإن أهل التأويل اختلفوا فيها. فقال بعضهم: هى

شجرة الزقوم. وقال آخرون: هى الكشوث. عن مولى بنى هاشم حدثه، أن عبد الله بن

الحارث بن نوفل، أرسله إلى ابن عباس، يسأله عن الشجرة الملعونة فى القرآن؟ قال: هى

هذه الشجرة التى تلوى على الشجرة، وتجعل فى الماء، يعنى الكشوشى))،(1) ولم يتطرق

الطبرى لا من قريب ولا من بعيد إلى علاقة الأمويين بالآية، وسكت سكوتا مطبقا فلم

ينبس ببنت شفة! .

وقال السعدى فى تفسيره: ((والشجرة الملعونة التى ذكرت فى القرآن وهى: شجرة

الزقوم، التى تنبت فى أصل الجحيم))(2).

وقال السيوطى فى كتابه ((مفحمات الأقران فى مبهمات القرآن): ((و الشجرة الملعونة فى القران)) قال ابن عباس: هى شجرة الزقوم)).(3)

وقال القرطبى: ((فى قوله تعالى: ((والشجرةالملعونة فى القران)) ثلاثة أقوال:

الأول: هى شجرة الزقوم و الثانى: عن ابن عباس قال: الرؤيا التى فى هذه الآية هى

رؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله أنه يدخل مكة فى ستة الحديبية، فرد فافتتن المسلمون لذلك، فنزلت

الآيـة، فلما كان العام المقبل دخلها، وأنزل الله تعالى: ((لقد صدق الله رسوله الرءيا بالحق)) (4))). وفى هذا التأويل ضعف، لأن السورة مكية وتلك الرؤيا كانت بالمدينة.

1- تفسير الطبرى للايه60 من سورة الاسراء

2- تفسير السعدى للايه60 من سورة الاسراء

3- مفحمات الاقران فى مبهمات القران. جلال الدين السيوطى(911-849ه. علق عليه محمد ابراهيم سـليم. مكتبه القران للطلع و النشر و التوزيع. القاهرت1987

4- سورة الفتح الايه27

والثالث: إنه عليه السلام رأى فى المنام بنى مروان ينزون على منبره نزو القردة، فساءه ذلک فقيل:

إنما هى الدنيا أعطوها، فسرى عنه، وما كان له بمكة منبر ولكنه مجوز أن يرى بمكة

رؤيا المنبر بالمدينة. وهذا التأويل الثالث قاله أيضا سهل بن سعد رضى الله عنه . قال سهل: إنما

هذه الرؤيا هى أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يرى بنى أمية ينزون على منبره نزو القردة، فاغتم

لذلک، وما استجمع ضاحكا من يومئذ حتى مات. فنزلت الآية غيرة أن ذلک من

تملكهم وصعودهم يجعلها الله فتنة للناس وامتحانا. وقرأ الحسن بن على فى خطبته فى

شأن بيعته لمعاوية: ((و إن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين))،(1) قال ابن عطية: وفى

هذا التأويل نظر، ولا يدخل فى هذه الرؤيا عثمان ولا عمر بن عبد العزيز ولا معاوية.(2)

وفضلا عما تقدم أورد القرطبى قول ابن عباس: ((هذه الشجرة بنو أمية، وأن

النبى صلى الله عليه وآله نفى الحكم). ولكنه لم يقتنع لا بهذا ولا بما سبقه، فقال: (وهذا قول ضعيف

محدث والسورة مكية، فيبعد هذا التأويل، إلا أن تكون هذه الآية مدنية، ولم يثبت ذلک.

وقد قالت عائشة لمروان: لعن الله أباک وأنت فى صلبه، فأنت بعض من لعنة الله. ثم

قال: ((و الشجرة الملعونة فى القرآن)) ولم يجر فى القرآن لعن هذه الشجرة، ولكن الله لعن

الكفار وهم آكلوها. والمعنى: والشجرة الملعونة فى القرآن آكلوها. ويمكن أن يكون

هذا على قول العرب لكل طعام مكروه ضار: ملعون،)). ولكى يثبت صحة رأيه قال

ثانية: ((وقال ابن عباس: الشجرة الملعونة هى هذه الشجرة التى تلتوى على الشجر

فتقتله، يعنى الكشوث))(3) غير آبه إلى ما تضمنه قول ابن عباس من تمثيل وتشبيه لبنى

أمية والتفافهم على الأصل كما تلتف الشجرة المتطفلة على الشجر الأصيل.

1- سورة الأنبياء: ١١١

2- ينظر: القرطبى، تفسير الآية ٦٠ من سورة الإسراء

3- المصدر نفسه، تفسير القرطبى.

واشترک ابن کثیر مع القرطبی فی الرأی فقال: ((و أما الشجرة الملعونة فهی شجرة

الزقوم لما أخبرهم رسول الله صلی الله علیه وآله أنه رأی الجنة والنار ورأی شجرة الزقوم فکذبوا

بذلک)) وقال أیضا: ((وقیل المراد بالشجرة الملعونة بنو أمیة، وهو غریب ضعیف. وقال

ابن جریر حدثت عن محمد بن الحسن بن زبالة حدثنا عبد المهیمن بن عباس بن سهل

بن سعید حدثنی ابی عن جدی قال: رأی رسول الله صلی الله علیه وآله بنی فلان ینزون علی منبره نزو

القرود فساءه ذلک فما استجمع ضاحکا حتی مات قال وأنزل الله فی ذلک ((و ما جعلنا الرءیا التی اریناک الا فتنة للناس))،وهذا السند ضعیف جدا، فإن محمد بن الحسن بن

زبالة متروک و شیخه أیضا ضعیف بالکلیة، ولهذا اختار ابن جریر أن المراد بذلک لیلة

الإسراء وأن الشجرة الملعونة هی شجرة الزقوم، قال لإجماع الحجة من أهل التأویل علی

ذلک أی فی الرؤیا و الشجرة وقوله (ونخوفهم) أی الکفار بالوعید والعذاب والنکال

((فما یزیدهم الا طغیانا کبیرا)) أی تمادیاً فیما هم فیه من الکفر والضلال وذلک من

خذلان الله لهم)).(1)

أما السید الطباطبائی فقال فی المیزان ردا علی تلک الأقوال: ولا یدری ما هذه

الشجرة الملعونة فی القرآن التی جعلها فتنة للناس، ولا توجد فی القرآن شجرة یذکرها

الله ثم یلعنها، نعم ذکر سبحانه شجرة الزقوم و وصفها بأنها فتنة کما فی قوله((ام شجرة الزقوم62 انا جعلناها فتنة للظالمین)) (2) لکنه سبحانه لم یلعنها فی شیء من المواضع التی

ذکرها، ولو کان مجرد کونها شجرة تخرج فی أصل الجحیم وسببا من أسباب عذاب

الظالمین موجبا للعنها لکانت النار وکل ما أعد الله فیها للعذاب ملعونة ولکانت

ملائکة العذاب وهم الذین قال تعالی فیهم: ((و ما جعلنا اصحاب النار الا ملائکة و ما جعلنا

1- تفسیر ابن کثیر، الآیة ٦٠، سورة الإسراء.

2- الصافات - ٦٣.

عدتهم الا فتنة للذين كفروا))(1) ملعونين، وقد أثنى الله عليهم ذاک الثناء البالغ فی قوله:

((علیها ملائکة غلاظ شداد لا یعصون الله ما امرهم و یفعلون ما یومرون))(2) وقد عد

سبحانه أیدی المؤمنین من أسباب عذاب الکفار؛ إذ قال: ((قاتلوهم یعذبهم الله بایدیکم))(3) ولیست بملعونة. وبهذا یتأید أنه لم یکن المراد بالآیة الکشف عن

قناع الفقرتین و إیضاح قصة الرؤیا والشجرة الملعونة فی القرآن المجعولتین فتنة للناس؛

بل إنما أریدت الإشارة إلی إجالهما والتذکیر بما یقضیانه بحکم السیاق.

نعم ربما یلوح السیاق إلی بعض شأن الأمرین: الرؤیا والشجرة الملعونة فإن الآیات

السابقة کانت تصف الناس أن أخراهم کأولاهم وذیلهم کصدرهم فی عدم الاعتناء

بآیات الله سبحانه وتکذیبها، وأن المجتمعات الإنسانیة ذائقون عذاب الله قریة بعد قریة

وجیلا بعد جیل بإهلاک أو بعذاب مخوف دون ذلک.

وبذلک یظهر أن الرؤیا والشجرة المشار إلیهما فی الآیة أمران سیظهران علی الناس أو

هما ظاهران یفتتن بهما الناس فیشیع بهما فیهم الفساد ویتعرق فیهم الطغیان والاستکبار

وذیل الآیة:((ونخوفهم فما یزیدهم الا طغیانا کبیرا)) یشیر إلی ذلک.

أضف إلی ذلک أنه تعالی وصف هذه الشجرة التی ذکرها بأنها ملعونة فی القرآن،

وبذلک یظهر أن القرآن مشتمل علی لعنها وأن لعنها بین اللعنات الموجودة فی القرآن

کما هو ظاهر قوله: ((و الشجرة الملعونة فی القران)) وقد لعن فی القرآن إبلیس ولعن فیه

الیهود ولعن فیه المشرکون ولعن فیه المنافقون ولعن فیه أناس بعناوین أخر کالذین

یموتون وهم کفار والذین یکتمون ما أنزل الله والذین یؤذون الله ورسوله إلی غیر

1- المدثر: ٣١.

2- التحریم: ٦.

3- التوبة: ١٤.

ذلک. وقد جعل الموصوف بهذه اللعنة شجرة، و الشجرة کما تطلق علی ذی الساق من

النبات کذلک تستعمل فی الأصل الذی تطلع منه و تنشأ علیه فرع بالنسب أو بالاتباع

علی أصل اعتقادی، قال فی لسان العرب: ویقال: فلان من شجرة مبارکة أی من أصل

مبارک. وقد ورد ذلک فی لسانهکثیرا کقوله: ((أنا وعلی من شجرة واحدة،، ومن

هذا الباب قوله فی حدیث العباس: عم الرجل صنو أبیه.

وبالتأمل فی ذلک یتضح للباحث المتدبر أن هذه الشجرة الملعونة قوم من هؤلاء

الملعونین فی کلامه لهم صفة الشجرة فی النشوء والنمو وتفرع الفرع علی أصل له

حظ من البقاء والاثار وهم فتنة تفتتن بها هذه الأمة، ولیس یصلح لهذه الصفة إلا

طوائف ثلاث من المعدودین وهم أهل الکتاب والمشرکون والمنافقون ولبثهم فی الناس

وبقاؤهم علی الولاء إما بالتناسل والتوالد و إما بطلوع عقیدة فاسدة ثم اتباعها علی

الولاء من خلف بعد سلف. ولم یظهر من المشرکین وأهل الکتاب فی زمن الرسول قبل

الهجرة وبعدها قوم بهذا النعت، وقد آمن الله الناس من شرهم مستقلین بذلک بمثل

قوله النازل فی أواخر عهد النبی صلی الله علیه وآله : ((الیوم یئس الذین کفروا من دینکم فلا تخشوهم و اخشون)) (1).

فالذی یهدی إلیه الإمعان فی البحث أن المراد بالشجرة الملعونة قوم من المنافقین

المتظاهرین بالإسلام یتعرقون بین المسلمین إما بالنسل و إما بالعقیدة والملک هم

فتنة للناس، ولا ینبغی أن یرتاب فی أن فی سیاق الآیة تلویحا بالارتباط بین الفقرتین

أعنی قوله: ((و ما جعلنا الرءیا التی ارینا ک الا فتة للناس و الشجرة الملعوة)) وخاصه بعد

الإمعان فی تقدم قوله: ((و اذ قلنا لک ان ربک احاط بالناس)) وتذییل الفقرات جمیعا

1- المائدة: ۳.

بقوله:((و نخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا)) فإن ارتباط الفقرات بعضها ببعض

ظاهر فى أن الآية بصدد الإشارة إلى أمر واحد هو سبحانه محيط به ولا ينفع فيه عظة

وتخويف إلا زيادة فى الطغيان. ويستفاد من ذلک أن الشأن هو أن الله سبحانه أرى

نبيه صلى الله عليه وآله ؛ فى الرؤيا هذه الشجرة الملعونة وبعض أعمالهم فى الإسلام ثم بين لرسوله أن

ذلک فتنة.

وقوله: ((وما جعلنا الرءيا التى ارياناک الا فتنه للناس و الشجرة الملعونة فى القران))

محصل معناه على ما تقدم أنه لم نجعل الشجرة الملعونة فى القرآن التى تعرفها بتعريفنا،

وما أريناک فى المنام من أمرهم إلا فتنة للناس و امتحانا و بلاء نمتحنهم ونبلوهم به وقد

أحطنا بهم. والمراد بالتخويف إما التخويف بالموعظة والبيان أو بالآيات المخوفة التى

هى دون الآيات المهلكة المبيدة.

ويؤيد جميع ما تقدم ما ورد من طرق أهل السنة واتفقت عليه أحاديث أئمة أهل

البيت عليهم السلام أن المراد بالرؤيا فى الآية هى رؤيا رآها النبى صلى الله عليه وآله فى بنى أمية والشجرة

شجرتهم. وقد ذكر جميع من المفسرين استنادا إلى ما نقل عن ابن عباس أن المراد بالرؤيا

التى أراها الله نبيه هو الامراء، و المراد بالشجرة الملعونة فى القرآن شجرة الزقوم. ثم لما

ورد عليهم أن الرؤيا على ما صرح به أهل اللغة: هى ما يراه النائم فى منامه والامراء

كان فى اليقظة اعتذروا عنه تارة بأن الرؤيا كالرؤية مصدر رأى ولا اختصاص لها بالمنام،

وتارة بأن الرؤيا ما يراه الإنسان بالليل سواء فيه النوم واليقظة، وتارة بأنها مشاكلة

لتسمية المشركين له رؤيا، وتارة بأنه جار على زعمهم كما سموا أصنامهم آلهة فقد روى

أن بعضهم قال للنبى صلى الله عليه وآله لما قص عليهم إسراءه لعله شىء رأيته فى منامک فسماه الله رؤيا

على زعمهم كما قال فى الأصنام (آلهتهم)، وتارة بأنه سمى رؤيا تشبيها له بالمنام لما فيها

من العجائب أو لوقوعه ليلا أو لسرعته. وقد أجاب عن ذلک بعضهم، أن الإسراء کان

فی المنام کما روی عن عائشة ومعاویة. ولما ورد علیهم أیضا أن لا معنی لتسمیة الزقوم

شجرة ملعونة ولا ذنب للشجرة اعتذروا عنه تارة بأن المراد من لعنها لعن طاعمیها علی

نحو المجاز فی الإسناد للدلالة علی المبالغة فی لعنهم کما قیل وتارة بأن اللعنة بمعنی البعد

وهی فی أبعد مکان من الرحمة لکونها تنبت فی أصل الجحیم، وتارة بأنها جعلت ملعونة،

لأن طلعها یشبه رؤوس الشیاطین والشیاطین ملعونون؛ وتارة بأن العرب تسمی کل

غذاء مکروه ضار ملعونا.

أما ما ذکروه فی معنی الرؤیا فما قیل: إن الرؤیا مصدر مرادف للرؤیة أو إنها بمعنی

الرؤیة لیلا یرده عدم الثبوت لغة ولم یستندوا فی ذلک إلی شیء من کلامهم من نظم أو

نشر إلا إلی مجرد الدعوی. وأما قولهم: إن ذلک مشاکلة لتسمیة المشرکین الإسراء رؤیا

أو جری علی زعمهم أنه رؤیا، فیجب تنزیه کلامه سبحانه من ذلک البتة فما هی القرینة

الدالة علی هذه العنایة و أنه لیس فیه اعراف بکونها رؤیا حقیقة؟ ولم یطلق تعالی علی

أصنامهم (آلهة) و(شرکاء) و إنما أطلق (آلهتهم) و(شرکائهم) فاضافها إلیهم والإضافة

نعمت القرینة علی عدم التسلیم، ونظیر الکلام جار فی اعتذارهم بأنه من تشبیه الإسراء

بالرؤیا فالاستعارة کسائر المجازات لا تصح إلا مع قرینة، ولو کانت هناک قرینة لم

یستدل کل من قال بکون الإسراء منامیا بوقوع لفظة الرؤیا فی الآیة بناء علی کون الآیة

ناظرة إلی الإسراء.

و أما قول القائل: ((إن الإسراء کان فی المنام فقد اتضح بطلانه فی أول السورة فی

تفسیر آیة الإسراء)).(1)

1- المیزان فی تفسیر القرآن.

قتال الحسن عليه السلام للبغاة مكمل لقتال على عليه السلام لهم

إن بغى معاوية لم ينقطع فهو فضلا عن خروجه على الخليفة الشرعى على عليه السلام

ومحاربته فى صفين، خرج على الخليفة الشرعى الحسن بن على عليه السلام وقاد جيوشه

ليحاربه، ومعروف أن الأمة بايعت الحسن خليفة، واعترف جميع المسلمين المنصفين

بهذه البيعة، أما معاوية فكان مجرد وال آبق عاص، وهو بخروجه على الخليفة الشرعى

فى الحالتين خالف كل القواعد حتى تلك التى وضعها علماء مدرسته حيث جاء عن

ابن تيمية قوله: ((المشهور فى مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم

بالسيف وإن كان فيهم ظلم... لأن الفساد فى القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل

بظلمهم بدون قتال ولا فتنة، فيدفع أعظم الفسادين بالتزام الأدنى، ولا نكاد نعرف

طائفة خرجت على ذى سلطان إلا كان فى خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد

الذى أزالت))(1).

ولكن السياسيين أرادوا لمنظومة الحديث الموضوع أن تعمل عوضا عن منظومة

السنة النبوية وأن تقوم بشرعنة كثير من الأحداث والأعمال المخالفة للإسلام التى

وقعت منذ اللحظات الأولى لوفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فصاعدا، ومع أنها اصطدمت بمنظومة

أخرى أجمع المسلمون على صحتها ولم يختلفوا فى مضمونها، إلا أن ذلك لم يشفع للحق

عند غالبية المؤرخين ليأخذ مجراه، ولم يلن قلوبهم فأوغلوا فى الدس والتشويه وضمنوا

تاريخنا كثيرا من التحريف والتحيز الذى شوه صورته.

1- منهاج السنة النبوية، عبد الحليم بن تيمية، ج ٢، ص 78.

ونجد فى منظومة الأحاديث الصحيحة روايات تتحدث عن قتال الإمام على عليه السلام للبغاة، ثم نجد فى التاريخ قصصا عن هذا القتال الذى كان الضلع الثانى من أضلاع المثلث العدوانى: (الناكثون) و (الباغون) و (المارقون) ولما كان الذين يحملون صفة (الباغون) هم أنفسهم الذين قاتلوا الإمام الحسن عليه السلام للاسباب نفسها التى قاتلوا من أجلها علياً عليه السلام، فإن صفة البغى بقيت لصيقة بهم لم تفارقهم ولم يفارقوها. وقد أورد السيوطى فى تاريخه قولا فيه دلالة عظيمة على بغى معاوية وخروجه على الخلفاء الشرعيين بالرغم مما فيه من دس، جاء فيه: ا(خرج معاوية على على كما تقدم، وتسمى بالخلافة، ثم خرج على الحسن))(1)، أما الدس الموجود فى الحديث فهو قوله: ((وتسمى بالخلافة)) إذ المشهور بين المؤرخين أن معاوية بويع من قبل الشاميين بعد الصلح وليس قبله.

وقد كان فى مخطط الإمام الحسن عليه السلام أن يرد على خطر معاوية بعد أن يكمل بناء إدارة دولته، ولكن معاوية استبق الأمور فهو ما إن سمع بمقتل الإمام على عليه السلام حتى جمع جيشه و سار نحو الكوفة ليفرض عليها سيطرته، وهو ما اتفق عليه المؤرخون ومنهم اليعقوبى، الذى قال فى تاريخه: ((وأقبل معاوية لما انتهى إليه الخبر بقتل على، فسار إلى الموصل بعد قتل على بثمانية عشر يوما))(2) وذلك ليفاجئ الإمام الحسن عليه السلام قبل أن يكمل استعداداته؛ لأنه كان على يقين بأن الحسن عليه السلام يحمل مشروع على عليه السلام الذى يرفض أن يكون معاوية مجرد وال على إقليم بل خليفة للمسلمين. وقد لعبت السياسة لعبتها ابتداء من هذه المرحلة بالتحديد حيث كثرت الأقاويل والدسائس والتحريف.

1- تاريخ السيوطى. ص196

2- تاريخ اليعقوبى. ج2. ص 149. ج2

إن رسول الله صلى الله عليه وآله وصف معاوية و جنده بالفئة الباغية(1)، فى مجموعة من الأحاديث

سواء منها تلك التى أخبر بها الإمام على عليه السلام بمن سيقاتله فى قابل الأيام أو تلك التى أخبر

بها أن عمارا تقتله الفئة الباغية، فقتل عمار فى حرب صفين، وعلى عليه السلام هو الخليفة الشرعى

المنتخب من قبل جماهير المسلمين بما يعنى أن من قاتله هم الموصفون بالبغى. ولكن

أحفاد الفصيل السياسى لم يأبهوا للحديث الصحيح واستندوا إلى أحاديث موضوعة

لكى ينفون صفة البغى عن أجدادهم، ولأنهم كانوا على يقين أن كل ما جاءوا به من

تصحيف وتحريف وتدليس لا يمكن أن يقع العقلاء؛ فتراهم بعد التأويل يخرجون

بمحصلة لا أصل لها فى الشريعة، قالوا من خلالها: ((إن البغى كما أنه لا ينافى وصف

الايمان، فكذلك قد يكون الباغى صاحب حق))، وأنقل لكم نص قولهم: ((كذلك يجب

ألا ينسى المستدل بحديث عمار أن يستدل بحديث: ((إن ابنى سيد ولعل الله أن يصلح

به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين*، وهذا الحديث من دلائل نبوته صلى الله عليه وآله حيث أخبر عما

سيكون على يدى الحسن بن على من الإصلاح بين المؤمنين وهذا قد تحقق وشهد

عليه التاريخ عندما اصطلح الحسن عليه السلام ومعاوية وتنازل الحسن عليه السلام طواعية عن الخلافة

لمعاوية... وما كان الحسن عليه السلام ليتنازل لمعاوية لو ظن أن معاوية خال من وصف الايمان

كما تدعى الرافضة وأذنابهم؛ لأن تسليم أمور المسلمين للدعاة إلى النار والمنافقين الكفار

1- بالمناسبة هناك من يرى فى لفظة (البغى) مدحا أكثر منه ذما باعتبار أن البغى لا يخرج من الإيمان ولذا يقولون: (فإن ذكرت البغى فلا تنس الايمان، والبغى لم يكن صفة معاوية وحده بل صفة عائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم من أكابر الصحابة وهى أيضا صفة زيد بن على بن الحسين فى خروجه على هشام، وهذه من زلات الأكابر المغفورة لما لها من تأويل، فهذه فرقة مؤمنة باغية على إمامها يغفر الله لها لسابقتها وحسن بلائها فى الإسلام، وأما معادة معاوية وحده من ينين سائر هؤلاء فلا المنطق يؤيدها ولا قواعد الشريعة. ينظر الرابط www. ahlalsonnah

الفجار من أعظم الذنوب بل من الكفر، ومن المحال أن يستحق الحسن المدح والثناء

والسيادة من أجل كفر، ومن المحال أن يتنازل عن ولاية أمور المسلمين لعدو داعية إلى

النار، فإن من يولى دعاة النار يكون هو أيضا داعية إلى النار بالتسبب كما لا يخفى... أن

البغى كما أنه لا ينافى وصف الايمان فكذلك قد يكون الباغى صاحب حق)).(1)

وهذا الرأى المتحيز بعيد عن الحقيقة ومخالف للمنقول؛ لأن معنى البغى فى فقه

مدرستنا والمدارس الاخر واضح وجلى ولا يحتاج إلى كثير جهد لكى يفهم؛ فقد فسر

السيد الطبابطبائى فى الميزان البغى على أنه: ((الظلم والتعدى بغير حق. والفىء الرجوع،

والمراد بأمر الله ما أمر به الله، والمعنى: فإن تعدت إحدى الطائفتين على الأخرى بغير

حق فقاتلوا الطائفة المتعدية حتى ترجع إلى ما أمر به الله وتنقاد لحكمه)).(2)

ونقل القرطبى فى تفسيره عن القاضى ابى بكر بن العربى قوله: ((فتقرر عند علماء

المسلمين وثبت بدليل الدين أن عليا عليه السلام كان إماما، وأن كل من خرج عليه باغ وأن قتاله

واجب حتى يفىء إلى الحق وينقاد إلى الصلح))(3).

وقال القاضى أبو بكر بن العربى عن هذه الآية بالذات: ((هذه الآية أصل فى قتال

المسلمين، والعمدة فى حرب المتأولين، وعليها عول الصحابة، وإليها لجأ الأعيان

من أهل الملة، وإياها عنى النبى صلى الله عليه وآله بقوله: ((تقتل عمارا الفئة الباغية)). وقوله. فى

شأن الخوارج: .يخرجون على خير فرقة أو على حين فرقة))، والرواية الأولى أصح؛

لقوله.: تقتلهم أولى الطائفتين إلى الحق)). وكان الذى قتلهم على بن أبى طالب

1- أهل السنة، الرابط www. ahlalsonnah

2- تفسير الميزان، الحجرات ٩.

3- تفسير القرطبى الآية ٩ سورة الحجرات.

ومن كان معه))(1).

وقد أجمعت المذاهب على شرعية قتال الخليفة الشرعى للبغاة، بل و قصر بعضهم هذا الحق على الخليفة الشرعى دون سواه، وفى تفسيرهم لسورة الحجرات أوضحوا أبعاد هذا الحكم بشكل دقيق؛ فبعد أن قال الطبرى فى تفسير الآية التاسعة من سورة الحجرات: ((يقول تعالى ذكره: وإن طائفتان من أهل الإيمان اقتتلوا، فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء إلى حكم كتاب الله، والرضا بما فيه لهما وعليهما، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل)) عاد ليقول: ((وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل عن على، عن ابن عباس: فإن أجابوا حكم فيهم بكتاب الله، حتى ينصف المظلوم من الظالم، فمن أبى منهم أن يجيب فهو باغ، فحق على إمام المؤمنين أن يجاهدهم ويقاتلهم، حتى يفيئوا إلى أمر الله، ويقروا بحكم الله. وفى حديث آخر: حدثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: ولا يقاتل الفئة الباغية إلا الإمام))(2).

أما القرطبى فإنه قدم للموضع بقوله: ((قال العلماء: لا تخلو الفئتان من المسلمين فى اقتتالهما، إما أن يقتتلا على سبيل البغى منهما جميعا أو لا. فإن كان الأول فالواجب فى ذلك أن يمشى بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والموادعة. فإن لم يتحاجزا ولم يصطلحا وأقامتا على البغى صير إلى مقاتلتهما. وأما إن كان الثانى وهو أن تكون إحداهما باغية على الأخرى، فالواجب أن تقاتل فئة البغى إلى أن تكف و تتوب، فإن فعلت أصلح بينها و بين المبغى عليها بالقسط والعدل. فإن التحم القتال بينهما لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند أنفسهما محقة، فالواجب إزالة الشبهة بالحجة النيرة والبراهين القاطعة على مراشد الحق. فإن ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا إليه ونصحتا به من

1- تفسير القرطبى الآية ٩ سورة الحجرات
2- تفسير الطبرى، سورة الحجرات، الآية ٩

اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين. والله أعلم)) (1)؛

والقرطبى بهذه المقدمة جعل المسؤولية مفتوحة لا يتحملها شخص ما بعينه، من

خلال قوله: ((وقوله تعالى: ((فقاتلوا التى تبغى)) أمر بالقتال. وهو فرض على الكفاية إذا

قام به البعض سقط عن الباقين...وفى هذه الآية دليل على وجوب قتال الفئة الباغية

المعلوم بغيها على الإمام أو على أحد من المسلمين))، ثم عاد وقال: إذا خرجت على

الإمام العدل خارجة باغية ولا حجة لها، قاتلهم الإمام بالمسلمين كافة أو من فيه كفاية،

ويدعوهم قبل ذلك إلى الطاعة والدخول فى الجامعة، فإن أبوا من الرجوع والصلح

قوتلوا))، وهدف القرطبى من المقدمة وما تلاها القول: إن معاوية ليس باغ وغير

مشمول بقول إذا خرجت على الإمام العدل خارجة باغية ولا حجة لها؛ لأنه كان

صاحب حجة شرعية وهى المطالبة بالثأر لعثمان!)).

بل حتى أتباع المذهب الإباضى وهم الخوارج يرون جواز مقاتلة البغاة، فهم كما

يقول (قشار بالحاج): لا يستحلون دماء المسلمين ولا أخذ شىء من أموالهم... فمال

المسلم ودمه حرام إلا من استثناه الشرع فى إباحة دمه وهم البغاة فى قوله تعالى: ((فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله)) وهم من خرج على الإمام

العدل الذى اختاره المسلمون عن شورى))(2).

ومع هذا وذاك تجد السياسيين العرب يتفننون فى طمس كل الحقائق ويتجاهلون

أمر الله بقتال الفئة الباغية لمجرد أنهم يريدون أن يخذلوا الإمام علياً عليه السلام فى حربه للبغاة.

ثم يتحدثون بأن الإمام الحسن عليه السلام هو الذى سار إلى قتال معاوية؛ وبالتالى لم يكن معاوية

1- تفسير القرطبى، سورة الحجرات، الآية ٩ .

2- اللمعة المضيئة فى تاريخ الإباضية، بالحاج بن عدون قشار، ط٢، مكتبة الضامرى، السيب، سلطنة عمان، ١٤١١ ١٩٩٠م، ص ١٤.

باغيا على الإمام الحسن عليه السلام لأنه بمسيره كان يريد الدفاع عن نفسه! ومن يسير إلى قتال

الآخر هو الباغى بشرعهم.

لقد وظف السياسيون مقتل الخليفة عثمان على يد الثوار واستثمروه لتحويله من

حدث سياسى دينى إلى ثأر عشائرى دينى، عشائرى بالنسبة لهم وللقبائل التى ترتبط

معهم بولاء وعهد، ودينى لمن تابعهم من القبائل والعشائر الاخر والمسلمين الآخرين،

فاختزن عربيهم وأعجميهم هذا الثأر فى ذاكرته ليشعر أن له ثأرا ينبغى المطالبة به ويجب

سداده. ثم لما جاءت صفين التى أشعل نارها البغاة كما وصفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وبسبب

الأعداد الكبيرة من القتل والجرحى فيها تجدد الثأر، فأضافت صفين حقوقا أخر

للثأر؛ فصار الثأر ثأرين مسيطر عليهما، يستثيرهما السياسيون متى شاءوا ويخمدونهما

متى رغبوا، ولذا ترى مفردة الثأر تخمد قليلابعد التحكيم دون أن تنطفئ فإذا ما قتل

الإمام على عليه السلام بيد أثقاها أو كما يصفه معاوية فى رسالته إلى عماله: (رجلا من عباده)

و نصب الحسن خليفة مسلمين من بعده استفزها السياسيون وأوقدوا نارها من جديد

فاستعرت وتأججت وذر الشيطان قرنه ليوقد بنارها فتنة فى عالم المسلمين لخوض

المعركة التى تقرر المصير.

كان حكم وحكومة الإمام الحسن عليه السلام فى مرحلة التأجيج والتصعيد هذه لما يزل

عودا طريا غضا لينا غير متكامل البناء ولا ملموم الأطراف ولا متناسق الصورة، لا

يملك مقومات مجابهة البغى والغيلة والغدر والمكر، وكانت حكومة وحكم السياسيين

الغربيين كيانا متكاملا مترابطا مبنيا على مبدأ المعاملة والمتاجرة ليس بالقيم وحدها، بل

حتى بالنفس الإنسانى والوجودى، فانشغل الامام الحسن عليه السلام فى ترميم بيت الخلافة

وأنشغل البغاة فى تجميع قواهم لينقضوا على آخر معاقل قوى الإسلام المحمدى، ولم

يأخذ الأمر من معاوية أكثر من رسالة بخط واحد و نمط واحد، وكأنها كتاب رسمى

من الكتب التى تصدرها الدوائر الحكومية اليوم بعدة نسخ، أو ما يعرف بالإعمام،

وتعطى منها(نسخة إلى/....) تذهب كل منها إلى جهة ما لتوصل الكتاب إلى جميع

المعنيين بمحتواه، وكانت رسالة معاوية:

((بسم الله الرحمن الرحيم

من معاوية أمير المؤمنين إلى..... وذكر أسماءهم

ومن قبله من المسلمين

سلام عليكم

فإنى أحمد الله إليكم الذى لا إله إلا هو.

أما بعد:

فالحمد لله الذى كفاكم مئونة عدوكم وقتلة خليفتكم، إن الله بلطفه وحسن صنعه

أتاح لعلى بن أبى طالب رجلا من عباده، فاغتاله فقتله، فترك أصحابه متفرقين مختلفين،

وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم، فأقبلوا إلى

حين يأتيكم كتابى هذا بجهدكم وجندكم وحسن عدتكم، فقد أصبتم بحمد الله الثأر

وبلغتم الأمل، وأهلك الله أهل البغى والعدوان))(1).

وتلحظ هنا أن معاوية يتهم الإمام عليا و خليفته الإمام الحسنبأنهما باغيان،

ويصف نفسه بالنقى المؤمن المؤتمن، ورسالته إلى عماله ليست أقل الأدلة على ذلک.

لكن قبالة رمالة معاوية هذه هناک رمالة أخر هى عبارة عن خطبة ألقاها الحسن عليه السلام.

1- شرح نهج البلاغة، م٤،ج١٦،ص ١٣-١٤.

بأتباعه دليلها لا يصمد بالوقوف أمامه أى دليل فى الكون، فرسالة معاوية أثارت نخوة

الجاهلية ودعت إلى الثأر القبلى الموروث، أما رسالة الإمام الحسن عليه السلام فقد جاء فيها:

بعد الحمد والثناء

أما بعد:

فإن الله كتب الجهاد على خلفه وسماه كرها، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين:

((و اصبروا ان الله مع الصابرين)) فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على

ما تكرهون، إنه بلغتى أن معاوية بلغه أنا كنا أزمعنا على المسير إليه، فتحرك لذلك.

فأخرجوا (رحمكم الله) إلى معسكركم بالتخيلة، حتى ننظر وتتظروا ونرى وتروا))(1).

ومنه يتضح من هو مؤمن ومن هو باغ.

إن المؤرخين فى حديثهم عن سير الحسن عليه السلام إلى قتال معاوية أسهبوا فى القول

وأكثروا فى التأويل، ولم يرسوا على قرار واحد، واجد أن هذا التلون والتنوع لم يقع

مصادفة، بل كان مقصودا و موظفا و مستثمرا.

1- شرح نهج البلاغة،م٤ ،ج١٦ ،ص ١٤ .

جيش الإمام الحسن عليه السلام

إذا ما كان معاوية قد نجا بحياته فى تجربة صفين بخدعة سياسية، فإنه فضلا عن

عقدة الخوف التى خرج بها (1) لم يكن واثقا من انطلاء خدعة أخرى مثل خدعة رفع

المصاحف مرة ثانية، ولاسيما وأنه كان يرى من خلال المراسلات مع الحسن عليه السلام أنه

يجابه فتى صارما حازما مصرا على تقويم الاعوجاج، فأراد أن يتخلص من الورطة

الجديدة بعيدا عن ساحات الحرب فعمل فى ثلاثة محاور:

المحور الأول: قام بجمع آلاف مؤلفة من الجند يرهب بهم قلوبا يريد خداعها

واستمالتها إلى جانبه لكى يبدو أمام الناس وكأن جيشه لا يقهر ومن الأجدى لهم

والأجدر بهم أن ينجوا بأرواحهم وحربوا إلى جانبه أو يتركوا القتال، وبعد أن تحقق له

بعض ذلک بدأ بالخدعة الأخرى.

1- قال المسعودى فى مروج الذهب: ((وذكر أن معاوية بن أب؛ سفيان تنازع إليه عمرو بن عثمان بن عفان وأسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وآله فى أرض، فقال عمرو لأسامة: كأنک تنكرنى، فقال أسامة: ما يسرنى نسبک بولائى، فقام مروان بن الحكم فجلس إلى جانب عمروبن عثمان، وقام الحسن فجلس إلى جانب أسامة، فقام سعيد بن العاص فجلس إلى جانب مروان، فقام الحسين فجلس إلى جانب الحسن، وقام عبد الله بن عامر فجلس إلى جانب سعيد، فقام عبد الله بن جعفر فجلس إلى جانب الحسين، وقام عبد الرحمن بن الحكم فجلس إلى جانب ابن عامر، فقام عبد الله بن العباس فجلس إلى جانب ابن جعفر، فلما رأى ذلک معاوية قال: لا تعجلوا، أنا كنت شاهدا إذا أقطعها رسول الله صلى الله عليه وآله أسامة، فقام الهاشميون فخرجوا ظاهرين، وأقبل الأمويون عليه فقالوا: ألا كنت أصلحت بيننا قال: دعونى فوا لله ما ذكرت عيونهم تحت المغافر بصفين إلا لبس على عقلى وهى صورة تنبئک بالرعب العظيم الذى زرعته صفين فى قلب معاوية)).

المحور الثانی: قرر إفراغ بیت المال الشامی بکل ما فیه وهو أکثر من کثیر؛ من

أجل أن یستمیل إلیه قلوب الطماعین من جانب ویحدث الضجة المفتعلة فی معسکر

الحسن علیه السلام من جانب آخر، ولقد نجح فی المشروعین؛ نجح فی إمالة قلوب العشرات

من شیوخ القبائل والقادة والمتنفذین والوجهاء الغربیین ممن کانوا مع الحسن علیه السلام

إلی جانبه فاعتزلوا الحرب تباعا وتخلوا عن المسیر ویمم بعضهم صوب الشام یعلن

البیعة ویستلم الثمن، فضلا عمن کان موجودا فی العسکر من المغرضین والجهلاء

والمصلحیین والسیاسیین؛ موعودا بالمال الوفیر إن هو نجح فی قتل الحسن علیه السلام أو فی

إشارة الفتنة فی معسکره أو تحریض الجند علی قتله، وثالثة الأثافی کان وجود الخوارج

ضمن قوات الحسن علیه السلام وهم الذین یضمرون الحقد له ولمعاویة وکانوا یعتقدون أن

مقاتلة معاویة من خلال جیش الحسن علیه السلام تضعفهما سویة، فما إن رأوا الکفة تمیل إلی

جانب معاویة حتی غادر بعضهم لیجد له مکانا فی صفوف جند الشام؛ لکی یضعف

کفة جیش الحسن، وعسی أن یهدم ما یقدر علی هدمه هناک عند معاویة، وبقی القسم

الآخر فی معسکر الحسن علیه السلام ینتظر الفرصة للفتک به کما فتکوا بابیه من قبل، فمن غادر

منهم أضعف معنویات جیش الحسن، ومن بقی شاغب و نافق فأحدث فتنة فی صفوف

الجیش.

المحور الثالث: دفع الحرب قدر المستطاع وإجبار الحسن علیه السلام علی قبول الصلح؛

لکی لا یتورط بقتل ابنی رسول الله صلی الله علیه وآله الحسن والحسین علیه السلام، فتثور علیه الأمة

وترفض منحه الشرعیة، وهی لما تزل حانقة علیه بسبب قتاله لعلی علیه السلام.

إن المدة التی قضاها معاویة فی إعداد الغربیین (جیشه وشعبه) لمثل هذه المنازلة

کانت کافیة جدا لتنظیمهم وترتیبهم، علی خلاف الشرقیین الذین فرض جذب

العاصمة والقها عليهم أن يعيشوا مع أصناف وأجناس وطبائع وأفكار حتى وإن بدت

متعايشة، فإنها بالتأكيد لم تكن متجانسة ولا متفاهمة. وقد أعد معاوية جيشه الجرار من

ذاك الشعب المترف المستقر، وكان على الحسن عليه السلام أن يعد جيشا من هذا الشعب القلق

المضطرب غير المتجانس، وهو الذى ابتلى بشعب متنوع متنافر متكاره غير متجانس،

كان فيه المخلص الشريف، واللص الشريد، والحاقد، والكاره، والمصلحى، والنفعى

والجاسوس، ومن باع دينه بدنانير قليلة، ومن يسعى إلى متع الحياة و بهجتها بعيدا

عن رقابة أهل البيت عليهم السلام، ولقد نقل الشيخ آل ياسين وصف صعصعة بن صوحان

العبدى للكوفة وذكره للأجلاف الذين كانوا فيها فى عصر الإمام الحسن عليه السلام، بقوله:

((قبة الإسلام وذروة الكلام، ومصان ذوى الأعلام، إلا أن بها أجلافا تمنع ذوى الطاعة

وتخرجهم عن الجماعة، وتلك أخلاق ذوى الهيئة والقاعة)).(1)

وحقا كان المجتمع الكوفى خليطا غير متجانس من الناس الذين تختلف مشاربهم

ورؤاهم وحتى عقائدهم، فهناك:

. الشيعة المخلصون الذين كانوا قد نذروا أرواحهم للموت فى سبيل إمامهم

الحسن عليه السلام وعقيدتهم الحقة.

وهناك المسلمون الحقيقيون، وأهل البصائر يلهبون حماس الشعب ويحرضونهم

لقتال أهل البغى بشتى أساليب الاستنهاض.

• وهناك الأمويون وهم من أبناء الأسر البارزة كعمر بن سعد وقيس بن

الاشعث وعمر بن حريث وأبو بردة بن موسى الأشعرى وحجار بن ابجر

1- صلح الحسن، الشيخ آل ياسين، ص ٦١، عن البلاذرى فى فتوح البلدان والبرقى فى تاريخ الكوفة والحموى فى المعجم.

وعمر بن الحجاج وإسماعيل وإسحاق ابنى طلحة بن عبيد الله وغيرهم، وهم

الذين وعدوا معاوية باغتيال الإمام أو تسليمه له أسيرا؛ وكتبوا إليه واستحثوه

على المسير نحوهم(1).

وفضلا عن هؤلاء كان فيها ((الاءشعث بن قيس و المنذر بن الزبير و إسحاق بن

طلحة وحجر بن عمرو و يزيد بن الحارث بن رويم وشبث بن ربعى وعروة بن قيس

ومحمد بن عمير وعبد الله بن مسلم بن سعيد وأسماء بن خارجة والقعقاع بن الشور

الذهلى و شمر بن ذى الجوشن الضبابى))(2)، وكلهم كانوا متعاونين مع معاوية داعمين

له، موهنين أتباع الحسن عليه السلام؛ لأنهم إما كانوا ينتمون إلى الشرع السياسى، أو يكرهون

البيت العلوى، أو يطمعون بهبات معاوية بعد أن وعدهم بالمال الوفير، اخرج الشيخ

الصدوق (رحمه الله): ((و بعث معاوية لكل من عمر بن حريث، والاشعث بن قيس، وحجار

بن ابجر عينا من عيونه يمنى كل واحد منهم بقيادة جند من جنوده، أو تزويج إحدى

بناته، أو بمائة ألف درهم إن هم قتلوا الإمام الحسن عليه السلام))(3).

• وهناک من أنصار معاوية الآخرين من هم من أهل الكوفة وباقى الأمصار

الذين أفسدتهم هداياه ووعوده.

• وهناک الهمج الرعاع الذين ينعقون خلف كل ناعق، تتقاذفهم الأهواء

وتحركهم الأقوال، وتقعد بهم الأفعال.

• وهناک الخوارج القشريون والحرورية، الذين كانوا يكيدون للحسن عليه السلام

1- الإرشاد، الشيخ المفيد، ص ١٧٠.

2- ينظر: صلح الحسن، آل ياسين، ص ٨٨

3- علل الشرايع، الشيخ الصدوق، ص ٨٤.

ويعيقون مشروعه النهضوى، وهم حزب له تأثير كبير على الشارع، وقادة

كبار متفانون فى سبيل عقيدتهم منهم عبد الله بن وهب الراسبى، شبث بن

ربعى، عبدالله بن الكواء، الاشعث بن قيس، شمر بن ذى الجوشن. ويكفى

دليلا على وحشية هؤلاء وبغضهم لآل البيت عليهم السلام أن أغلبهم اشتركوا فى

قتل الحسين عليه السلام فى معركة الطف الخالدة.

• وهناک من يثبط الناس عن الجهاد، وهم الجبناء الرعاديد.

• وهناک جواسيس معاوية يبثون الدعايات ويشوشون الأفكار.

• وهناک الحمراء وهم مجموعة أعجمية متقلبة الولاء ضعيفة الدين.

وهؤلاء جميعا لم يكن انخراطهم فى جيش الإمام عليه السلام بأقل خطرا من بقائهم فى

الكوفة، ولذا تراه حينما خرج بجيشه من الكوفة متجها إلى المدائن كانت عينه ترنو إليها

وتنظر إليهم وهو ينتظر منهم الغدرة والفجرة، بعد أن تمكنوا من التأثير على الناس

ومنعوهم من الالتحاق بالجيش.

فضلا عن ذلک ابتلى الإمام الحسن عليه السلام بجيش لا يقل تلونا عن شعبه الملون الهجين،

فقد قسم المؤرخون جيشه إلى أقسام و أغفلوا أقساما أخر لم ينتبهوا لوجودها، ومجموع

ما ذكروه، وما أضفته أنا إلى إحصائهم بلغ تسعة أقسام، هى:

• الأول: الهاشميون الطالبيون من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله، وفيهم الحسين

والعباس عليهما السلام.

• الثانى: الشيعة المخلصون الذين اتبعوه لأداء واجبهم الدينى و إنجاز مهمتهم

الإنسانية، وهم قلة قليلة ممن بقى من أنصار على عليه السلام.

• الثالث: مسلمون يرون أن القتال مع الخليفة الشرعى واجب دينى لا يجوز التأخر عنه، حتى ولو لم يكونوا من المؤيدين لمنهج لخليفة الشرعى.

• الرابع: سرايا ومجاميع الخوارج الذين كانوا يريدون محاربة معاوية عن طريق الحسن عليه السلام ومحاربة الحسن عليه السلام عن طريق معاوية.

• الخامس: أصحاب الفتن والمطامع، الذين يبتغون من الحرب مغنما لدنياهم، تماما كما كان بعض الأعراب يخرجون فى غزوات عصر البعثة طلبا للمغنم.

• السادس: شكاكون لم يعرفوا حقيقة الأمر من هذه الحرب، فجاؤوا إليه يلتمسون الحجه ويطلبون البينة.

• السابع: أصحاب العصبية، الذين اتبعوا رؤساء قبائلهم عصبية لا أكثر مع أن الرؤساء لم يكونوا أكيس منهم. ولذا وصفهم الشيخ المفيد بأنهم (لا يرجعون إلى دين).

• الثامن: الخلايا النائمة التى زرعها معاوية فى الكوفة أبان حكم الإمام على عليه السلام على أن يتحركوا ساعة يشاء لأداء ما يشاء مقابل مغريات دنيوية كثيرة، وهؤلاء ليسو من الوجوه المعروفة والبارزة فى المجتمع، ولكنهم يمتازون بالدهاء ويحملون روحا إجرامية لا يردعها رادع.

• التاسع: الحمراء، وهم من الأعاجم وقيل أنهم من الفرس تحديدا، ومن أبناء السبايا الفارسيات اللائى أخذن فى عين التمر وجلولاء، زاد عددهم على عشرين ألفا، وكانوا أجناد من غلب، اشركوا على رأس ثلاثة عقود فى ثلاث وقعات كبيرة، اشركوا فى بداية العقد الرابع سنة (٤١) هجرية إلى جانب

معاوية ضد الإمام الحسن عليه السلام مع أنهم كانوا ظاهرا من أنصاره أو فى الأقل من

أبناء شعبه، وفى بداية العقد الخامس سنة (٥١) هجرية أصبحوا شرطة زياد

ابن أبيه ويده الضاربة، وفى بداية العقد السادس سنة (٦١) هجرية كانوا من

المرجفين بالحسين عليه السلام، ولقد ثبت تاريخيا أنهم كانوا أقسى على التشيع من كل

أعدائه العرب.

ولقد أوجز الشيخ المفيد (رحمه الله) حالة جيش الإمام بعدة كلمات قال فيها: ((صف

معه أخلاط من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه عليهما السلام، وبعضهم محكمة يؤثرون قتال

معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن و طمع فى الغنائم، وبعضهم شكاك،

وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا قبائلهم لا يرجعون إلى دين))(1)، كما ويرى السيد محمد

على الحلو أن الإمام الحسن عليه السلام كان: ((أمام جيش مثقل ممزق.. مثقل بتبعات الماضى

الذى خلقه أمر التحكيم ليؤسس فكرة الخوارج بكل ضجيجها وعجيجها... ومحكوم

بما للقبائلية شأن من الانصياع على نخوة العصبية))(2).

أما السياسيون وأتباعهم التاريخيون فقد عملوا جاهدين على إخفاء هذه الحقائق

وجاءوا بما يخالف الواقع لمجرد أن البخارى أورد حديثا عن كثرة جيش الحسن عليه السلام،

ولذا تجد الدكتور الصلابى مثلا يتعلل بحجج واهية لتأويل رواية البخارى عن خوف

معاوية من الدماء الريئة التى ستسفك إذا تحارب جيشه مع جيش الحسن عليه السلام، الذى

وصفوه من حيث الكثرة بالجبال كما فى قول: ((إن ما ورد فى رواية البخارى من وصف

لجيش الحسن يفيد قوة جيش الحسن وتماسكه، مما يعنى أن جيش العراق قابل جيش

1- الإرشاد، الشيخ المفيد، ج٢، ص١٠.

2- الحسن بن على رجل الحرب واللام، السيد محمد على الحلو، مؤسسة السبطين العالمية، ١٤٢٦ ، ص91.

الشام وهو فى أحسن حالاته المادية والمعنوية))(1)، وهذا مخالف لكل الأقوال والغاية منه

معروفة.

وبهذه المواصفات الشعبية والعسكرية كان مطلوبا من الحسن عليه السلام مقاتلة واحد

من أقوى الجيوش فى عصره من حيث التنظيم والتدريب والإعداد والإنفاق والاعتقاد

الأيديولوجى أيضا. ونخلص منه بنتيجة واضحة وهى أن ذروة و قمة التكتل الشرقى

كانت مؤمنة مخلصة وفية قادرة متمكنة مندفعة بعقل لتمارس دورها الإلهى المرسوم،

ولكنها كانت تشكو ضعف القاعدة، فالقاعدة كانت ضعيفة متهاونة مفككة منكفئة

رخوة، وأجل وصف وجدته لحال الذروة والقاعدة هو قول السيد محمد باقر

الصدر(رحمه الله): ((لم يكن الشك فى الكبرى، بل العيب فى الصغرى))(2)، وهؤلاء هم الذين

كتب عنهم التاريخ أنهم شعب الإمام الحسن عليه السلام. وجيش الذى أراد أن يواجه به طغيان

معاوية! وما أدراك ما التاريخ ومن كتب التاريخ.

فمما لا ريب فيه أن التاريخ صنيعة الأقوياء، وكثر من تناقضه صنيعة السياسيين،

وما وصل إلينا بعضا من هذا ومن ذاك، مضافا إليه ما ابتدعته الأقلام المأجورة أو

المدفوعة بطائفية وولاء، ولذا نجد فيه تهافتا وتباينا وخلطا غريبا. وأنا من خلال بحثى

عن أقوال و آراء المؤرخين فى الصلح وجدتهم عرضا يتحدثون عن أرقام جيش الإمام

الحسن عليه السلام بشكل غريب ففيهم من قال: إنه اثنا عشر ألفا، وهناك من قال: هو أربعون

ألفا وقد تحدث بعضهم عن مئة ألف، وبات حجم الجيش محصورا بين رقمى اثنا عشر

ألفا ومئة ألف، هذا التباين الرقمى يبدو مقصودا من عدة جوانب، مع أن هناك من

1- سيرة أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن على، ص٢٩٧.

2- أئمة أهل البيت ودورهم فى تحصين الرسالة الإسلامية، الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر، العارف للمطبوعات، بروت، ١٤٢٩

٢٠٠٨م، ص ٢٢٩.

يرى أن ((جيش الإمام الحسن عليه السلام بأجمعه ربما لم يكن يزيد على العشرين ألفا))(1)، وقد

استند السياسيون إلى التباين الرقمى ليدعوا أن الحسن عليه السلام جمع جيشا أسطوريا قبالة

جيش الشام الأسطورى فخاف معاوية هلاک الأمة وسعى إلى الصلح بكل الوسائل

بما فيها رشوة الامام الحسن عليه السلام بملايين الدنانير ليقبل! وقد فات هؤلاء أن معاوية كان

مدركا لأهمية الجيش القوى والكثير، وكان يعده عصب دولته المرتقبة، يقول الدكتور

عبدالله جمال الدين فى كتابه الدولة الفاطمية: ((الجيوش عصب الأمم، وساعدها المتين

وأداتها القوية بها تحقق الدول غاياتها وتصل إلى أهدافها ومقاصدها وتؤكد وجودها

وتحمى كيانها، وبدون جيش قوى تعتبر الدولة بنيانا متداعيا و كيانا هزيلا متهاويا،

وبمقدار ما تملک من قوى عسكرية وما توفره لنفسها من عدد وعتاد حربى، بمقدار

ما تفرض هيبتها على الآخرين))(2) فعمل منذ الأيام الأولى التى تسلم بها إدارة الشام

بعد موت واليها يزيد بن أبى سفيان على بناء جيش جرار وتسليحه بأحدث الأسلحة

المتاحة وتقويته وتغذيته وتدريبه بحجة أن هذا الجيش يقف قبالة جيش الإمبراطورية

الرومانية، وكان الصرف على هذا الجيش المدلل يتم من الخزينة المركزية بهذا العذر

بالذات، فضلا عن كامل واردات الشام التى تبرعت بها الحكومة المركزية إليه بحجة انه

يرابط فى وجه جيش الروم، حتى تحول قائده إلى كسرى العرب وتحول جيشه إلى جيش

إمبراطورى جرار!.

فماإ موقف الإمام الحسن من الجيش وكيف تعاملت السياسة الدنيوية مع قصة

1- عاشوراء بين الصلح الحسنى والكيد السفيانى، السيد جعفر مرتضى العاملى، كتاب ألكترونى، مكتبة العقائد، مركز الأبحاث العقائدية، عن أغاليط المؤرخين، لمحمد أبو اليسر عابدين، ط سنة ١٣٩١ دمشق، سوريا.

2- الدولة الفاطمية، قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصرإلى نهاية القرن الرابع الهجرى،الدكتور عبد الله محمد جمال الدين،دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٤١١ ١٩٩١م، ص٣.

جيش الحسن عليه السلام؟ قبل الإجابة على هذا السؤال أود أن أبين أن الإمام الحسن عليه السلام

ورث جيشا متعبا منهكا خاض بعض أفراده حروب الإسلام كلها منذ أوائل طور

البعثة المدنى وإلى استشهاد الإمام على عليه السلام، وخاض جله تحت راية الإمام على عليه السلام ثلاث

حروب مريرة كلها مع مسلمين، وليس مع أعدا؛ مشركين أو كفار أو غزاة أجانب،

فخلق ذلک كله نوعا من النكوص والروح العبثية الطاغية على الروح الجهادية، فضلا

عن خزينة أنهكتها الحروب، ومدينة تصطرع فى باحاتها الأفكار والولاءات وتتحكم

بسلوكها الحزازات والحساسيات، و عدو خبر السياسة وخبرته حتى قيل إنه أدهى

العرب فى المكر والحيلة والكذب والخدع، وكان بالتالى من الصعب على الحسن عليه السلام

أن يخلق جيشا بنفس مستوى جيش الشام المنظم أو حتى قريبا منه، فضلا عن نجاح

معاوية وأجرائه وجواسيسه وأعداء الخط العلوى فى تثبيط عزائم الناس ومنعهم من

الخروج مع الحسن عليه السلام، حيث كان مقدرا للحسن عليه السلام وفق الإحصاءات أن يحشد أكثر

من ثلثمائة ألف مقاتل، وكان الجيش المقدر على الكوفة وحدها تسعين ألفا أو مائة ألف،

والجيش المقدر على البصرة ثمانين ألفا، وهؤلاء هم أهل العطاء فى المصرين، أعنى الجنود

الذين يتقاضون الرواتب من خزينة الدولة. وفى المصرين العسكريين الكوفة والبصرة

مثل هؤلاء عدد من أتباعهم ومواليهم ومن متطوعة الجهاد غالبا. فهؤلاء زهاء ثلثمائة

وخمسين ألفا وهى مقاتلة العراق عدا جيوش فارس واليمن والحجاز(1)، ولكنه لم

ينجح فى حشد ولو جزءا صغيرا من هذه المجاميع الهجينة زيادة عما كان معه، فخذلوا

الإمامه الذى دعاهم إلى الجهاد مما أغضب عدى بن حاتم الطائى فخاطبهم: ((أنا ابن

حاتم، سبحان الله ما أقبح هذا المقام لا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم، أين خطباء

مضر الذين ألسنتهم كالمخاريق فى الدعة فإذا جد الجد فرواغون كالثعالب أما تخافون

1- ينظر: صلح الحسن، آل ياسين، ص ٩٠ وتاريخ اليعقوبى، ج٢،ص ١٦٢.

مقت الله؟)).(1)

هنا أود أن أبين أن كثيرا من المصادر التاريخية أشارت إلى أن الإمام على عليه السلام كان

فى أواخر أيامه يعد العدة لغزو معاوية، وأنه جمع جيشا يتراوح عدده بين الأربعين

والخمسين ألفا، ولكنه قتل قبل أن يحركه، فانحل وتفرق الجند ولم يبق منهم سوى اثنى

عشر ألفا دفعهم الإمام الحسنعليه السلام للتصدى و عرقلة جيش الشام الذى وصل بقيادة

معاوية إلى (مسكن) وسار الإمام بمن معه زائدا أربعة آلاف من أهل الكوفة قد يكونون

من الذين تفرقوا عن الجيش الذى أعاده الإمام على عليه السلام ، فعادوا مع الإمام الحسن عليه السلام .

ولقد خلق تخلف الجند و تخلى بعضهم عن البيعة إشكالا كبيرا لم يلتفت إليه المؤرخون

بالرغم من تكرره أكثر من مرة، فلطالما تخلف بعضهم عن غزوات النبى صلى الله عليه وآله، وكثيرا ما

تخلفوا عن على عليه السلام، ومن المؤكد أنهم تخلفوا عن نصرة الحسن عليه السلام؛ لأنهم تخلفوا بعد

ذلک عن أخيه الحسين وسفيره مسلم بن عقيل عليهما السلام، وحتى بعد هذا التاريخ حينما ثار

سليمان بن صرد الخزاعى وأصحابه سنة خمس وستين للهجرة كان قد بايعه ثمانية عشر

ألف مقاتل، ثم لم يخضر منهم إلا ثلاثة آلاف وتخلف الباقون.

المهم أن السياسيين استغلوا الإحصائيات الأولى واغفلوا هذه ليبنوا على تلک

نتائج توهم الناس بكبر عدد جيش الإمام عليه السلام لغايات سوف تتبين لاحقا، وتبعا لهم

وعنهم أخذ المؤرخون والرواة روايات وقصصا تتحدث عن أرقام خيالية، قالوا بأن

الحسن جمعهم ليقاتلوا معه، ومن أقوالهم فى جيش الأربعين ألفا الذى تفرق عند موت

الإمام على عليه السلام قول القارى: ((وكان الحسن عليه السلام يومئذ أحق الناس بهذا الأمر فدعاه

ورعه و شفقته على أمة جده إلى ترک الملک والدنيا رغبة فيما عند الله، ولم يكن ذلک لقلة

1- شرح النهج، م٤،ج١٦،ص ١٤.

ولا ذلة، فقد بايعه على الموت أربعون ألفا))(1)، ومثله فى ذخائر العقبى: ((قال أبو عمرو:

لما قتل على بن ابى طالب بايع الحسن أكثر من أربعين ألفا، كلهم قد بايع أباه قبله على

الموت)). بل أن ابن الأثير أنكر كليا أن يكون قد تخلف أحد عن الجيش الذى جمعه الإمام

على عليه السلام وقال إنهم بمجموعهم بايعوا الإمام الحسن عليه السلام وساروا معه، كما فى قوله: كان

أمير المؤمنين على قد بايعه أربعون ألفا... فلما قتل وبايع الناس ولده الحسن بلغه مسير

معاوية فى أهل الشام فتجهز هو و الجيش الذين كانوا بايعوا عليا و سار عن الكوفة))(2).

بل حتى ابن ابى الحديد قال فى شرح النهج: ((وسار الحسن فى عسكر عظيم وعدة

سنة حتى نزل دير عبد الرحمن... ثم دعا عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب فقال له:

يا بن عم إنى باعث إليک اثنى عشر ألفا من فرسان العرب وقراء مضر))(3)، وأرى أن ابن

ابى الحديد بالغ كثيرا؛ لأن جيش الحسن عليه السلام حتى مع الاثنى عشر ألفا الذين أرسلهم مع

عبيد الله بن عباس و قيس بن سعد لم يكن جيشا عظيما.

وأورد اليعقوبى رد زياد بن عبيد عامل على عليه السلام على فارس، على تهديد معاوية

ليستشهد به على الكثرة، قائلا: وكان زياد بن عبيد عامل على بن ابى طالب على فارس،

فلما صار الأمر إلى معاوية كتب إليه يتوعده ويتهدده، فقام زياد خطيبا، فقال: إن ابن

آكلة الأكباد وكهف النفاق وبقية الأحزاب كتب يتوعدنى ويتهددنى، وبينى وبينه ابنا

بنت رسول الله فى تسعين ألفا))(4)، وكما يتبين من الرواية أن زيادا كان حينها فى فارس

1- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح،على بن سلطان محمد القارى، دار الفكر،سنة النشر: ١٤٢٢ / ٢٠٠٢م تسعة أجزاء، ص ٣٩٧٠، حديث رقم ٦١٤٤.

2- الكامل فى التاريخ، ص٣٥٣،ج٣، أحداث سنة إحدى وأربعين

3- شرح نهج البلاغة، م٤ ،ج١٦ ،ص١٤.

4- تاريخ اليعقوبى،ج٢،ص١٥٢.

بعيدا عن الإمام الحسن عليه السلام، وقد يكون الرقم الذى وصله خاطئا أو مبالغا فيه، أو أنه

استخدم أسلوب المبالغة للتهويل والتخويف.

وفى الامامة والسياسة بالغ ابن قتيبة الدينورى أكثر عند نقله المحادثة التى تمت فى

مجلس ضم الإمام الحسن عليه السلام وسليمان بن صرد الخزاعى، بقوله: ((فجلس سليمان فقال:

أما بعد فإن تعجبنا لا ينقضى من بيعتک معاوية و معک مئة ألف من أهل العراق))(1)، مع

أن هناک أكثر من مصدر نذكر أن ابن صرد كان يومها بعيدا عن الإمام الحسن عليه السلام لأكثر

من عامين، والرواية نفسها تبين أن هذا الحديث وقع بعد الصلح بزمن غير معروف،

وليس قبله.

من المهم أيضا للحقيقة والتاريخ أن نعرف أن جيش الإمام الحسن عليه السلام قادة وجندا

تعرضوا خلال مدة التمحيص إلى ضغوطات مادية ونفسية أجبرت بعضهم، حتى

الموتور منهم مثل عبيد الله بن عباس الذى قتل الأمويون ولديه، أجبرتهم على التخلى عن

الامام الحسن وخذلانه والالتحاق بمعاوية، فانكشف ظهر الإمام وبانت ملامح

هزيمة كان يمكن أن تؤدى إلى مجزرة حقيقية لا تهللک المسلمين وحدهم بل وتهللک

الإسلام فكرا وعقيدة، وتحول الإسلام المحمدى إلى إسلام أموى يؤمن به الناس كافة.

وكإ اختلفوا فى عدد جيش الإمام لغايات معروفة اختلفوا كذلک، وللغايات نفسها فى

من بدأ المسير أولا لمقاتلة الآخر.

1- الامامة والسياسة. ابن قتيبة. ج 1. ص 185 ت 186

من البادئ بالمسير إلى الحرب؟

ما أريد التنويه عنه أنه بين الردة والاعتراض بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله ولدت مناطق الخرق الكبرى التى أوهنت جانب الإسلام وأضعفت قدرات المسلمين، ولاسيما بعد أن سل السيف المسلم لمقابلة ومقاتلة السيف المسلم فى ميادين الوغى بعد أن كان السيفان متحدان دفاعا عن الإسلام، ثم لما جاءت (الجمل) رسخت فكرة السيفين المسلمين المتناحرين فى عقول المسلمين، وظهور شعور بأن الإسلام الواحد صار إسلامين اثنين؛ واحد عقديا والآخر سياسيا دينيا، ثم هبطت (صفين) من أوكار الشر لتعلن انتهاء مرحلة الإسلام الواحد كليا و تثبت وجوها جديدة للإسلام تبدو فى ظاهرها متصلة وفى حقيقتها منفصلة كليا، فأصبح الإسلامان ثلاثة إسلامات: إسلام عقيدى، و إسلام سياسى دينى، و إسلام سياسى بحت.

فى هذه المرحلة كان هم الدينيين الأكبر رتق الخرق الخطير وترميم ما انهار وما آل إلى السقوط، وكان هم السياسيين استغلال ظاهر التوافق لتقوية جانبهم وتوهين الجانب الآخر، ولاسيما وأنهم يحملون فى خزائنهم من متع الحياة ومباهج الدنيا ما لا يوجد مثله عند الجانب الآخر، فضلا عن شوق النفوس حتى سلمة منها إلى سماع رنين الذهب وتحسس ملمسه والتمتع بالنظر إليه. ولقد فعل المال فعله حتى طغى صوته على صوت العقيدة، فتحول كثر من المسلمين إلى مجرد دمى تسير باتجاه مصدر رنينه أملا بالحصول على حصة بدل أن يسيروا نحو صوت المؤذن عسى أن يحصلوا على مغفرة، أو صوت وقع السيوف عسى أن يحصلوا على كرم الشهادة، وجراء ذلك وقع التحكيم، و طبر

رأس الإمام على عليه السلام فاستشهد. وقد أعدت هذه المؤامرة لتقتل الإمام عليه السلام من ساعته فلا تتاح له فرصة تعيين خليفة، ولكن بقاءه حيا وتبليغه الوصية لأبنائه وتعيينه خليفة رسميا شرعيا من بعده هو الإمام الحسن عليه السلام؛ خلط الأوراق عليهم وصاروا أمام وضع جديد يجب أن يعدوا له عدته ولا يستهينوا به.

وحينها عرف السياسيون بأنهم حققوا نجاحا مرحليا مما يعنى أن أمامهم مهمة أخرى يجب انجازها للوصول إلى الهدف، ولإتمام المرحلة الأهم، بادروا إلى المساجد والبيوت يوزعون الهبات الجزيلة بدل أن ينتظروا قدوم الآخرين لطلبها منهم.

و وصلت هذه الهبات إلى أقرب أصحاب قادة الإمام الحسن عليه السلام فلوثت فطرتهم وهبطت هممهم، فمن لم يخرج ليسيء منهم تقاعس عن النصرة أو عن اعتراض المسيئين الذين أصبحوا يصولون ويجولون دون أن يردعهم رادع، باستثناء محاولات خرج فيها أنصار الخلافة بمجاميع صغيرة غير نظامية وإنما تطوعية لمطاردتهم كان ضررها أكثر من نفعها، لأن المسيئين أثاروا الفوضى بتخطيط سليم جدا، بحيث أنها لم تكن فوض عبثية بل كانت فوضى خلاقة مدروسة لا يجيد فعلها غير الأذكياء من السياسيين، ولاسيما وأن حركة مفسدة جديدة كانت تخرج مباشرة فى مكان آخر بعد تلك التى هربت مما يضطر المجاهدين للمسير إليهم حتى وصلوا إلى درجة الانهاك قبل أن يخوضوا حربهم المقدسة، فى وقت كانت فيه قوات الجانب الآخر مرتاحة وجبهتهم الداخلية متماسكة، وبناء عليه كانوا على استعداد لخوض الحرب، بينما كان جند الخلافة يتعللون بالأعذار لكى لا يشركوا فى الجهاد.

ومنه يتضح أن جيش الإمام الحسن عليه السلام حتى لوكان مكونا من مليون جندى فإنه لم يكن مستعدا للقتال بالمرة، ثم إن ما تقدم تثبت بما لا يقبل الشك أن تعداد جيشه لم يزد

على العشرين ألفا فى أحسن الأحوال، بل ربما كان معه فى المدائن بضعة آلاف فضلا عن

أقل من اثنى عشر ألفا ساروا مع عبيد الله بن عباس وقيس بن سعد.

إن معاوية بحنكته السياسية وكثير حيلته وتجربته السياسية أراد مباغتة الإمام

الحسن عليه السلام قبل أن تستقيم له الأمور ويقوى؛ فتحرك بجيشه نحو العراق بعد أيام

معدودات من بيعة الناس للحسن عليه السلام خليفة، وكان قد دس قبل ذلك من يبث

الإشاعات والأكاذيب فى عاصمة الإسلام الكوفة و باقى الديار التى بايعت الحسن عليه السلام

مثل البصرة والحجاز واليمن و فارس و سائر المناطق التى كانت تدين لأبيه بالولاء

والبيعة، لترهيب الناس وتخويفهم وإبعادهم عن الإمام و تخليهم عنه، وقد تنبه الإمام

الحسن عليه السلام إلى هذا الأمر وألقى القبض على بعض المندسين، فأرسل إلى معاوية رسالة

جاء فيها: ((أما بعد. فإنک دسست إلى الرجال كأنک تحب اللقاء؛ لا أشک فى ذلک

فتوقعه إن شاء الله)).(1)

الإمام عليه السلام من جانبه كان يرى نفسه وارثا للمشروع العلوى فى محاربة البغاة

وإحقاق الحق وتوحيد أمة الإسلام التى شقها معاوية بطمعه وجشعه، وكان على يقين

كامل أن معاوية لن يستجيب لطلبه ويدخل فى طاعته، ولكنه كان يريد ترتيب أوضاعه

أولا قبل أن يتوجه إلى حرب مصيرية تحدد معالم الإسلام كله، ومعاوية أدرک ذلک، بل

وأدرک أن الحسن عليه السلام إذا ما قامت له الأمور واستقامت الرعية ولاسيما منهم من يغلى

قلبه ودمه حقدا عليه، لأنه كان المخطط والداعم لقتل الإمام على عليه السلام فمن المحتمل

أن ينتصر وتذبح أحلامه إلى الأبد، ولذا استعجل الأمور و حشد الحشود وقادها نحو

الكوفة؛ ولاسيما وانه كان يرى نفسه أصلح من الحسن عليه السلام فى قيادة الأمة، كما جاء فى

1- مقاتل الطالبيين.ص٣٣.

جوابه على واحدة من الرسائل التى بعثها الحسن عليه السلام إليه (1) وفيها يخاطب الحسن بقوله:

((فلو علمت أنک اضبط منى للرعية وأحوط على هذه الأمة و أحسن سياسة وأقوى على

جمع الاموال وأكيد للعدو لاجبتک إلى ما دعوتنى إليه ورأيتک لذلک أهلا؛ ولكنى قد

علمت أنى أطول منک ولاية وأقدم منک بهذه الأمة تجربة وأكبر منک سنا فأنت أحق أن

تجيبنى إلى هذه المنزلة التى سألتنى؛ فادخل فى طاعتى ولک الأمر من بعدى))(2).

ولذا أقول: إننا حينما نناقش مسألة من الأسبق فى المسير إلى الحرب: الحسن عليه السلام

أم معاوية؛ لا نريد أن نتهم معاوية بأنه البادئ فى الحرب رجما فى الغيب؛ لأن حرب

معاوية لم تنطفئ نارها منذ أن بايعت الأمة عليا عليه السلام خليفة للمسلمين إلى أن مات سنة

ستين وقبر فى الشام، وقد أبقى جنده على أهبة الاستعداد وكامل العدة تحسبا لما قد

يحدث فيباغته. نحن نناقش ذلک لنثبت أن السياسيين نجحوا فى التأثير على مخطط

الإمام الحسن عليه السلام ولم يتركوا له فرصة ترتيب الأوضاع فدفعوه إلى الموافقة على الصلح.

أما الخلط الذى بثوه فى بطون كتب التاريخ، فالغاية منه التهويش والتشويش، ويدخل

هدفا فى باب الفعل السياسى المقصود، ويأتى غاية فى التقليل من قيمة الإمام الحسن عليه السلام

وإظهاره بمظهر من لا يجيد التخطيط فيسير بعدد محدود من الجند المنهكين لقتال جيش

عرمرم يفوق عديده المائة وثلاثين ألفا!.

وبعد أن أحدث السياسيون الخلط والفوضى الخلاقة التى كانوا يأملون أن تفعل

فعلها جاء المؤرخون فأفاضوا فى حديثهم عمن بدا المسير أولا لملاقاة الآخر؛ لأن لبدء

1- يؤكد معاوية هنا على نقاط مهمة جدا منها مسألة السن التى تكلمنا عنها فى حديثنا عن تلاعبهم بتواريخ ولادة الإمام، ومنها الإشارة إلى أحد بنود الصلح التى وضعها الحسن عليه السلام وهى أن يخلفه على قيادة الأمة.

2- شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد، م٤، ج١٦ ٠

المسير بزعمهم علاقة بالبغى، أى أنهم كانوا يوحون بأن من يبدأ المسير أولا لقتال

صاحبه يبغى عليه، ويكون هو الباغى، وفئته هم الفئة الباغية بعرفهم وحدود فهمهم.

وأراهم فى غفلة تامة عن إدراک فقه السيرة النبوية ومسير الرسول صلى الله عليه وآله لقتال الكفار بما

فيهم أجدادهم، ولكنه صلى الله عليه وآله لم يكن يباغت أعداءه كما لم يكن يبدأهم بقتال، وفى كتاب

لله تعالى: ((فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله))(1) ومع ذلک كان آل البيت عليهم السلام لا

يبدؤون أحدا بقتال حتى وإن خرجوا للحرب واستعدوا لها؛ فعل ذلک على عليه السلام مع أهل

الجمل وصفين والخوارج والقصة معروفة، وفعله الحسن عليه السلام مع جند معاوية فى وصيته

إلى عبيد الله بن عباس و فعله الحسين عليه السلام فى الطف.

فضلا عن ذلک نجد فى تاريخنا خلافا حول البادئ فى الحرب، وهى واحدة من

مجموعة إشكاليات تتحدث عن الحرب بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية، ومن كان

البادئ فيها. ومنطقيا أجد أن الإمام الحسن عليه السلام كان يرى أن واجبه الشرعى تجاه الدين

والأمة يدعوه إلى قتال الفئة الباغية التى شقت الأمة، وأنه كان فى طور الإعداد لهذا

العمل بعد أن قدم له بمجموعة رسائل ليلقى من خلالها الحجة، بعثها إلى معاوية يطالبه

فيها بالدخول فى طاعته سواء قبل تحركه نحو العراق أو أثناء وجوده فى معسكر مسكن،

ومعاوية بحنكته السياسية و شدة مكره ودهائه بادر إلى التحرک نحو العراق فى الأيام

الأولى لبيعة الحسن عليه السلام؛ لكى يقطع عليه طريق التهيؤ للحرب و يحصره فى زاوية ضيقة،

ولكن أحفاد الفصيل السياسى لا يعرفون بهذه الحقيقة ويضعون اللوم على الحسن عليه السلام

معتبرين أنه البادئ فى التحرک والدعوة إلى الحرب كما فى قول الصلابى: ((خرج معاوية

من الشام وتوجه إلى العراق بعد أن وصل خبر خروج الحسن من الكوفة إلى المدائن

بجيوشه))، معتمدا على ما جاء فى طبقات ابن سعد وفيها: ((وقد تأخر خروج معاوية

1- سورة الحجرات، الآية ٩ ٠

وكان ذلک بعد سماعه لخروج الحسن بجيوشه))(1)، وهذا مناف لما أجمع عليه المؤرخون.

والملحوظ أن هؤلاء المؤرخين هم الذين نشروا الخلاف حول حقيقة التقاء

الجيشين.

ص :626

1- سيرة أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن على، ص٢٩٢.

إلتقاء الجيشين

ومثل اختلافهم فى من بدأ المسير أولا، اختلفوا فى موضوع التقاء الجيشين، وهناك

فى الأقل أربعة آراء حول هذا الموضوع:

فمنهم من قال: إن الطرفين لم يلتقيا مطلقا ولم تكن هناك نية حقيقية للحرب، ومن

هؤلاء ابن قتيبة الذى، قال فى الإمامة والسياسة فى حديثه عن الحسن عليه السلام: ((فلما تمت

البيعة له، واخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك، كاتب معاوية، فأتاه فخلا به، فأصطلح

معه على أن لمعاوية الإمامة ما كان ما فإذا مات فالأمر للحسن))(1)، هكذا بعيدا عن

تجييش الجيوش والمسير إلى الحرب، وبعيدا عن كل تلك الروايات التى أتعبت أعصاب

وعقول المسلمين على مر التاريخ، وعلى منهج (العواصم من القواصم) أنكر ابن قتيبة

كل الأخبار ليعلن بأن الحسن عليه السلام وغريمه معاوية حلا الإشكال بينهما سلما و دون

حرب! ولا أدرى لماذا قبل الحسن عليه السلام بداية البيعة إذا ما كان راغبا بالتخلى عنها لا

للحسين مثلا أو لأخيه محمد بن الحنفية أو لأى واحد من أصحاب أبيه؛ وإنما لأشد

أعدائه وأعداء البيت الهاشمى معاوية بن ابى سفيان! كذلك قال القارى: ((فلما التقى

الجمعان بمنزل من أرض الكوفة و أرسل إليه معاوية فى الصلح أجاب على شروط منها

أن يكون له الأمر بعده)).(2)

1- الامامة والسياسة، ، ج١،ص١٨٤.

2- عون المعبود،محمد شـمس الحق العظيم آبادى، دار الفكر، سنة النشر: ١٤١٥ ه/ ١٩٩٥م، ص ٣٢٨، حديث ٤٦٦٢، باب ما يدل على ترك الكلام فى الفتنة .

ومنهم فريق ثان نقل أخبارا مموهة لم يجدد من خلالها طرفا بعينه لينسب إليه البدء

بالمسير. فمنهم من ادعى بأن الإمام الحسن عليه السلام هو البادئ بالمسير، ومنهم من قال أن

معاوية هو البادئ بالمسير، ومنهم من قال إنهما سارا معا وسوية! والهدف من القول

إن الطرفين سارا سوية لملاقاة أحدهما الآخر، أريد منه رفع تهمة البغى عن معاوية،

مع إدعائهم أن الإمام الحسن عليه السلام هو البادئ بالعدوان طالما أنهم قدموه على معاوية

فى حديثهم عن المسير. ففى الإصابة: قال ابن ابى خيثمة: حدثنا هارون بن معروف،

حدثنا ضمرة، عن ابن شؤذب قال: لما قتل على سار الحسن فى أهل العراق ومعاوية فى

أهل الشام))(1)، وفى الطبرى: بايع الناس الحسن بن على عليه السلام بالخلافة، ثم خرج بالناس

حتى نزل المدائن... وأقبل معاوية فى أهل الشام حتى نزل سكن))(2)، ومثله قول العظيم

آبادى: فإنه لما قتل على عليه السلام عنه بايعه أكثر من أربعين ألفا فبقى خليفة بالعراق وما

وراءها من خراسان ستة شهر وأياما ثم سار إلى معاوية فى أهل الحجاز وسار إليه

معاوية فى أهل الشام))، وكذلک قول القارى: ثم سار إلى معاوية وسار معاوية إليه))(3)،

وقول العسقلانى فى فتح البارى: وقال ابن بطال: ذكر أهل العلم بالأخبار أن عليا لما

قتل سار معاوية يريد العراق وسار الحسن يريد الشام))(4).

ومنهم فريق ثالث قال: إن الحسن هو البادئ، ومن هؤلاء العسقلانى بقوله:

((وأخرج ابن سعد من طريق مجالد، عن الشعبى وغيره، قال: بايع أهل العراق بعد

1- الإصابة،ابن حجر، المجلد الأول، ترجمة الحسن بن على، ص ٣٧٦.

2- تاريخ الطبرى،ج٣،ص ٩٤١.

3- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح،على بن سلطان محمد القارى، ص ٣٩٧٠، حديث رقم ٦١٤٤، دار الفكر،سنة النشر: ١٤٢٢ / ٢٠٠٢م تسعة أجزاء

4- فتح البارى شرح صحيح البخارى،أحمد بن على بن حجر العسقلانى، دار الريان للتراث، سنة النشر: ١٤٠٧ / ١٩٨٦م ثلاثة عشر جزء

على الحسن بن على، فسار إلى أهل الشام وفى مقدمته قيس بن سعد))(1)، وكأن الرجل

يجهل أن قوات معاوية كانت حينها على مشارف العراق فخرج الإمام للتصدى لها.!

واليعقوبى بقوله: .وأقام الحسن بن على بعد أبيه شهرين، وقيل أربعة أشهر، ووجه

بعبيد الله بن عباس فى اثنى عشر ألفا لقتال معاوية)).(2)

والعسقلانى فى الفتح بقوله: ((لما سار الحسن بن على رضى الله عنه؛ إلى معاوية بالكتائب قال

عمرو بن العاص لمعاوية أرى كتيبة لا تولى حتى تدبر أخراها))(3)

إن الذين ادعوا بأن الإمام الحسن عليه السلام هو البادئ فى المسير لا تقل غايتهم (عنتا) عن

سابقتها، وهدفها معروف، لأنها أرادت إظهار معاوية بمظهر المدافع•

بل وفى مدرسة أهل البيت عليهم السلام أيضا هناك من يرى بأن الحسن عليه السلام ؛ هو الذى

سار أولا لقتال معاوية، مع أنه مثل غيره يعلم تمام العلم بأن مبايعة الإمام الحسن عليه السلام

بالخلافة فى الكوفة هى التى أزعجت معاوية، فبادر إلى وضع الخطط لمواجهة الموقف

و جمع الجيش وسار به إلى الحرب، ولم يكن الحسن عليه السلام مستعدا بعد للمواجهة. ومن

أقوالهم فى ذلك: ((لما عزم الإمام الحسن بن على عليه السلام على حرب معاوية خرج من

الكوفة إلى معسكر النخيلة وخلف مكانه المغيرة بن نوفل بن حارث بن عبد المطلب،

وأمره أن يحث الناس على الخروج والالتحاق به فى المعسكر. فخرج الناس أفواجا

إليه عليه السلام وسار من النخيلة إلى دير عبد الرحمن فمكث هناك ثلاثة أيام كى يتم الجيش،

فصاروا أربعين ألفا بين فارس وراجل فبعث عبيد الله بن عباس وقيس بن سعد فى اثنى

1- الإصابة، ترجمة الحسن بن على، ص ٣٧٦،المجلد الأول

2- تاريخ اليعقوبى، ص ١٤٩-

3- فتح البارى شرح صحيح البخارى،أحمد بن على بن حجر العسقلانى، دار الريان للتراث، سنة النشر: ١٤٠٧ / ١٩٨٦م، ج١٣،ص ٦٦-٦٧

عشر ألف رجل من دير عبد الرحمن إلى حرب معاوية، فقال عليه السلام: عبيد الله أميركم فإن أصيب فقيس بن سعد على الناس، وأمر عبيد الله أن يشاور قيسا وسعيدا)). وخرج عليه السلام من هناك وتوجه إلى الساباط فى المدائن، فأراد امتحان واختبار أصحابه وإنجاء كفرهم ونفاقهم وعدم وفائهم، فجمع الناس و حمد الله و أثنى عليه ثم قال: أما بعد، فإنى والله لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنّه وأنا أنصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت محتملا على مسلم ضغينة ولا مريدا له بسوء ولا غائلة، ألا و ان ما تكرهون فى الجماعة خيرلكم مماتحبون فى الفرقة. ألا و إنى ناظرلكم خيرا من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمرى ولا تردوا علىّ رأيى، غفر الله لى ولكم وأرشدنى وإياكم لما فيه المحبة والرضا))(1)، ولا أدرى كيف تتهمون الحسن عليه السلام بذلک مع أنه كان فى موقف يتوجب معه أن يستميل قلوب جنده بما فيهم من يشک بولائه له و إخلاصه فى الجهاد، ولم يكن بحاجة لاختبارهم.

ومنهم فريق رابع أكد أن معاوية هو الذى كان البادئ بالمسير، وهؤلاء أصناف الأول: ناقل للحقيقة، والثانى: شامت متفاخر مدفوع بالعصبية، والثالث: سمع فنقل دون بحث، كما فى قول السيوطى: ((ولى الحسن عليه السلام الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة فأقام فيها ستة أشهر وأياما، ثم سار إليه معاوية))(2).

وفى مقاتل الطالبيين قال أبو الفرج الاصبهانى: ((فاجتمعت العساكر إلى معاوية بن أبى سفيان، وسار قاصدا إلى العراق وبلغ الحسن خبر سيره، وأنه بلغ جسر منبج فتحرک لذلک))(3).

1- موقع الشيرازى www. alshirazi.net

2- تاريخ الخلفاء، ص ١٩١.

3- مقاتلا لطالبيين،ص٦٩.

وفی شرح النهج قال المعتزلی متحدثا عن معاویة: ((وأقبل إلی العراق فی ستین ألفا

واستخلف علی الشام الضحاک بن قیس الفهری، والحسن مقیم بالکوفة لم یشخص

حتی بلغه أن معاویة قد عبر جسر منبج فوجه حجر بن عدی یأمر العمال بالاحتراس

ویذب الناس، فسارعوا فعقد لقیس بن سعد بن عبادة علی اثنی عشر ألفا فنزل دیر عبد

الرحمن واستخلف علی الکوفة المغیرة بن نوفل بن الحرث))(1)، ومعنی هذا أن الإمام

الحسن علیه السلام لم یتحرک إلا بعد أن أصبح فی مرمی نیران جیش الشام الذی جاءه غازیا

محاربا.

کذلک تجد فی مدرستنا أن هناک من یری بأن معاویة هو الذی بدأ المسیر، کما فی قول

الشیخ فلاح العابدی: ((فلما سمع الإمام الحسن علیه السلام بان معاویة بلغ بجیشه إلی جسر

منبج و هو بلد قدیم بینه وبین حلب یومان(2) أمر الإمام بعض أصحابه أن ینادوا لصلاة

الجامعة، وبعد أن احتشد الناس خرج وصعد المنبر فحمد الله وأثنی علیه ثم قال: انه

بلغنی أن معاویة بلغه إنا کنا أزمعنا علی المسیر إلیه فتحرک لذلک، اخرجوا رحمکم

الله معسکرکم فی النخیلة))(3).

ومنهم فریق خامس تخبط فجاء بقولین احدهما نذکر فیه أن الحسن هو الذی سار

إلی معاویة أولا، والثانی یقول فیه أن معاویة هو الذی سار إلی الإمام الحسن علیه السلام، ومن

أقوالهم: أن الحسن سار إلی معاویة بجیش عظیم فخاف معاویة علی الإسلام و طلب

الصلح مقابل دفع المال الکثیر جدا فوافق الحسن علیه السلام! بینما نجد فی بطون کتب التاریخ

المعتبرة أن معاویة هو الذی سار بجیش له أول ولیس له آخر لمقابلة جیش الخلافة.

1- شرح نهج البلاغة، م٤ج١٦ ص ١٠ .

2- معجم البلدان، ج ٨ ،ص ١٦٩.

والغريب أن البخارى نفسه روج لهذا التنوع فى حديثين أخرجهما عن الصلح؛ قال فى

أحدهما: ((لما سار الحسن)) أى أن الحسن هو الذى سار إلى قتال معاوية، وفى الثانى:

((استقبل والله الحسن بن على معاوية بكتائب)) بمعنى أن معاوية سار إليه فأستقبله ولم

يكن هو البادئ بالمسير(1).

وتجد فى هذا الخبر فذلكة سياسية تخبط فيها العسقلانى فى هوامشه على البخارى

وخالف حتى نفسه وهى كثيرة جدا منها إدعاؤه بأن الإمام عليه السلام عزل قيس بن سعد

بن عبادة و عين ابن عباس الذى اشترط لنفسه مثلما ((اشترط الحسن عليه السلام، فقد أخرج(2)

الحاشية رقم: 1 حاشية العسقلانى على الحديث: قوله: ((لما سار الحسن بن على إلى معاوية

بالكتائب))، فى رواية عبد الله بن محمد عن سفيان فى كتاب الصلح: ((استقبل والله الحسن

بن على معاوية بكتائب أمثال الجبال. وقوله ((أمثال الجبال)) أى لا يرى لها طرف لكثرتها

كما لا يرى من قابل الجبل طرفه)) ولكنه أراد أن يبعد تمة التحيز والكذب عن نفسه،

لأنه يعرف كما يعرف غيره أن جيش الإمام الحسن لم يكن بالعدد الذى يتحدث عنه،

فأضطر إلى أن يستثنى ويقول معللا: ((و يحتمل أن يريد شدة البأس)) أى ليس الكثرة

العددية، بل القوة والشكيمة، وهو حتى فى هذه جافى الحقيقة، لأن جيش الحسن

كان أضعف بعشرات المرات من جيش الإمام على عليه السلام، ومن جيش معاوية.

ثم أكمل العسقلانى حديثه بالقول: وأخرج الطبرى بسند صحيح عن يونس

بن يزيد عن الزهرى قال: ((جعل على على مقدمة أهل العراق قيس بن سعد بن عبادة

وكانوا أربعين ألفا بايعوه على الموت، فقتل على فبايعوا الحسن بن على بالخلافة، وكان لا

1- ينظر: البخارى حديث2704 . ص478و حديث7109 ص 1256

2- البخارى. باب قول النبى صلى الله عليه وآله للحسن بن على((ان ابنى هذا لسيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين))

حدیث6692

يحب القتال، ولكن كان يريد أن يشترط على معاوية لنفسه، فعرف أن قيس بن سعد لا

يطاوعه على الصلح فنزعه وأمر عبد الله بن عباس فاشترط لنفسه كما اشرط الحسن)).(1)

حيث نجد فى هذا القول كذبا كثيرا، منه:

• الأول: تحدث فيه عن عظمة جيش الإمام الحسن عليه السلام للتهويل والمبالغة فى

قوله: ((استقبل والله الحسن بن على معاوية بكتائب أمثال الجبال))

• الثانى: قوله أن الحسن كان لا يحب القتال: ((فبايعوا الحسن بن على بالخلافة،

وكان لا يحب القتال)) حتى ولوكان فى سبيل إعلاء كلمة الله.

• الثالث: أن الإمام عليه السلام كان يريد من معاوية أن يرحمه ويمنحه الأمان، ولكنه

كان يراوغ للحصول على مزيد من المنافع (حاشاه)، بقوله: ولكن كان يريد

أن يشترط على معاوية لنفسه)).

• الرابع: أنه عزل قيس بن سعد عن الإمرة، فقال: ((فعرف أن قيس بن سعد لا

يطاوعه على الصلح فنزعه و أمر عبد الله بن عباس فاشترط لنفسه كما اشترط

الحسن))(2)، بينما المعروف أن قيس رحمه الله بقى مقاتلا و مجاهدا إلى جنب إمامه

وقائده الأعلى حتى اللحظات الأخيرة، والمعروف كذلک أن عبد الله بن

عباس لم يشترک فى الحرب، وقد خلط العسقلانى بينه وبين أخيه عبيد الله. ولنا

مع هذا الحديث وقفة أخرى.

1- حاشية ص 68، فتح البارى شرح صحيح بخارى، احمذ بن على بن حجر العسقلانى،دار الريان للتراث، سنة النشر:م1986\1407ه ثلاثة عشر جزء

2- حاشية ص 68، فتح البارى شرح صحيح بخارى، احمذ بن على بن حجر العسقلانى،دار الريان للتراث، سنة النشر:م1986\1407ه ثلاثة عشر جزء

أما المؤكد تأريخيا فإن معاوية هو الذى جمع أكثر من ستين وقيل ثمانين وقيل مئة ألف

وقيل مائة وثلاثين ألف مقاتل على اختلاف الروايات و سار بهم نحو الكوفة لمحاربة

الإمام الحسن عليه السلام خليفة المسلمين الشرعى، بعد أن علم بمقتل على عليه السلام ومبايعة الناس

للحسن عليه السلام، ولقد كانت أنباء جيش الشام الجرار القادم إلى الحرب تذاع فى الكوفة

والبصرة وسائر البلاد، مع كثير من المبالغة والتهويل، وكان الجميع يعلم أن حربا

و شيكة تنتظرهم. وهو ما دفع الإمام الحسن عليه السلام للكتابة إلى معاوية يطالبه بالدخول

فى بيعته، فأرسل إليه كتابا، جاء فيه: ((وإما حملنى إلى الكتابة إليک، الأعذار فيما

بينى وبين الله عز وجل فى أمرک، ولک فى ذلک إن فعلته الحظ الجسيم، والصلاح

للمسلمين، فدع التمادى فى الباطل، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتى، فإنک

تعلم أنى أحق بهذا الأمر منک عند الله، وعند كل أواب حفيظ، ومن له قلب منيب،

و اتق الله ودع البغى، واحقن دماء المسلمين. فوالله ما لک خير فى أن تلقى الله من

دمائهم بأكثر مما أنت لاقيه به، وادخل فى السلم والطاعة، ولا تنازع الأمر أهله ومن

هو أحق به منک، ليطفئ الله النائرة بذلک، ويجمع الكلمة، ويصلح ذات البين، وإن

أنت أبيت إلا التمادى فى غيک، سرت إليک بالمسلمين فحاكمتک، حتى يحكم

الله بيننا وهو خير الحاكمين))(1)، ثم يعد عدة مراسلات وتأكد مسير معاوية نحو

الكوفة بعث الإمام الحسن عليه السلام بأول سرية لتشكل مقدمة جيش فى طور البناء عسى

أن تنجح فى مشاغلة العدو إلى أن يتهيأ باقى الجيش، وهذا بحد ذاته يؤكد أن معاوية

باغت الحسن عليه السلام، وكانت السرية تحت أمرة عبيد الله بن عباس وكتب إليه الحسن: ((يا

بن العم، إنى باعث إليک اثنى عشر ألفا من فرسان العرب وقراء مضر، الرجل منهم

يريد الكتيبة، فسر بهم، وألن لهم جانبک، وابط لهم وجهک، وافرش لهم جناحک،

1- مركز آل البيت للمعلومات، محمد امين نجف، عن شرح نهج البلاغة34\16

وأدنهم من مجالسک، فإنهم بقية ثقات أمير المؤمنين. وسر بهم على شط الفرات، ثم

امض حتى تسير بمسکن، ثم امض حش تتقبل بهم معاوية، فإن أنت لقيته فاحبسه

حتى آتيک، فإنى على أثرک و شيکا، وليکن خبرک عتدى کل يوم، وشاور هذين - يعنى

قيس بن سعد، وسعيد بن قيس -، فإذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلک، فإن فعل

فقاتله، وإن أصبت فقيس بن سعد، فإن أصيب قيس بن سعد فسعيد بن قيس على

الناس))(1)، ثم سار بنفسه بعد أيام حتى بلغ مظلم ساباط التى كانت قريبة من المدائن

حتى قبل أن يكمل إعداد قواته وتهيئتها وتنظيمها، وما كان ذاک إلا لكى لا يفسحوا له

مجال تنظيم صفوف جيشه وأوليات منهجه السياسى.

نعم نجد فى النقول المعتبرة كثيرا من النصوص التى تبين أن أصحاب الإمام

الحسن عليه السلام الخلص ومن بايعه من الهاشميين كانوا يريدونه أن يبدأ بالمسير لمقاتلة البغاة

ساعة توليه الخلافة، ولكنه كان يريد ترتيب أولياته قبل كل شىء ولاسيما وأنه يعلم

بنتائج هذا النزع وما ستؤول إليه الأمور، كما كان يعرف قوة جيشه ومدى إخلاصهم

له، وفى الأخبار أن جارية بن قدامة السعدى وعبد الله بن عباس طلبا من الإمام المسير

لقتال معاوية، أما جارية فقال عنه الثقفى: ((وأقبل جارية حتى دخل على الحسن بن على

فضرب على يده فبايعه وعزاه وقال: ما مجلسک؟ (سر يرحمک الله) سر بنا إلى عدوک قبل

أن يسار إليک؟ فقال: لو كان الناس كلهم مثلک سرت بهم ولم يحمل على الرأى

شطرهم أو عشرهم)). (2)

وأما ابن عباس، فقال عنه ابن أعثم: وإذا بكتاب عبد الله بن عباس قد ورد عليه

1- الغدير، الامينى،ج2،ص83

2- الغارات، ابراهيم ابن محمد بن سعيد بن هلال المعروف بابن هلال الثقفى، تحقيق عبد الزهرة الحسينى، دار الاضواء بيروت،1407ه

1987م،ص 443

من البصرة و إذا فيه: لعبد الله الحسن أمير المؤمنين من عبد الله بن عباس. أما بعد يا ابن رسول الله فإن المسلمين ولوک أمرهم بعد أبيک ، وقد أنكروا أمر قعودک عن معاوية وطلبک لحقک، فشمر للحرب وجاهد عدوک، ودار أصحابک وول أهل البيوتات والشرف ما تريد من الأعمال، فإنک تشترى بذلک قلوبهم، واقتد بما جاء عن أئمة العدل من تأليف القلوب و الإصلاح بين الناس، واعلم أن الحرب خدعة ولک فى ذلک سعة ما كنت محاربا ما لم تنتقص مسلما حقا هو له، وقد علمت أن أباک عليا إنما رغب الناس عنه و صاروا إلى معاوية، لأنه واسى بينهم فى الفىء وسوى بينهم فى العطاء، فثقل ذلک عليهم، واعلم بأنک إنما تحارب من قد حارب الله و رسوله حتى أظهره الله أمره، فنام أسلموا و وحدوا الرب، ومحق الله الشرک وأعز الدين، أظهروا الإيمان وقرأوا القرآن وهم بآياته مستهزؤن وقاموا إلى الصلاة وهم كسالى، وأدوا الفرائض وهم لها- كارهون، فلما رأوا أنه لا يغزو فى هذا الدين إلا الأنبياء الأبرار والعلماء الأخيار وسموا أنفسهم لاسيما الصالحين، ليظن بهم المسلمون خيرا، وهم عن آيات الله معرضون. وقد منيت أبا محمد بأولئک القوم وأبنائهم وأشباههم، والله ما زادهم طول العمر إلا غيا، ولا زادهم فى ذلک لأهل الدين إلا غشاء فجاهدهم رحمک الله، ولا ترض منهم بالدنية، فإن أباک عليا لم يجب إلى الحكومة فى حقه حتى غلب على أمره فأجاب وهو يعلم أنه أولى بالأمر، إن حكم القوم بالعدل، فلما حكم بالهوى رجع إلى ما كان عليه، وعزم على حرب القوم حتى وافاه أجله، فمضى إلى ربه(رحمه الله)، فانظر رحمک الله أبا محمد ولا تخرجن من حق أنت أولى به من غيرک و إن أتاک دون ذلک. والسلام عليک ورحمة الله وبركاته)) (1)

ومثله رأى جندب الذى قال عنه ابن ابى الحديد: قال جندب: فلما أتيت الحسن

بكتاب معاوية قلت له: إن الرجل سائر إليک فابدأ بالمسير حتى تقاتله فى أرضه وبلاده

وعمله، فأما أن تقدر أنه ينقاد لک فلا والله حتى يرى منا أعظم من يوم صفين، فقال:

أفعل، ثم قعد عن مشورتى))(1).

هل التقى الجيشان فعلاً؟

ومثلما اختلفوا فى قوة وعديد جيش الإمام الحسن عليه السلام وفى من بدأ المسير أولا إلى

الحرب، اختلفوا كذلک فيما إذا التقى الجيشان أم لم يلتقيا. ولقد كافح معاوية منذ البداية

بمرارة لكى لا يلتقى جيشه بجيش يقوده الحسن عليه السلام، فلقد كان مرعوبا من اللقاء،

ولذا سخر كل ملكته فى المكيدة والخدع والمكر والترغيب والترهيب، لكى يوقف

الحسن عليه السلام فى مكانه فى المدائن ويعمل على تحطيم آلته الحربية وقواته العسكرية هناک

من غير مواجهة فعلية، كان يرى فيها إذا ما تحققت هزيمة ما دونها وقوف ونهاية إلى

أبد الآبدين.

ومع أن الوقائع التاريخية أثبتت أن جيش الخلافة بقيادة الإمام الحسن عليه السلام لم يلتق

بجيش معاوية مطلقا، وأن قوات تابعة للحسن عليه السلام كانت بقيادة قيس بن سعد هى التى

تناوشت مع جيش معاوية فى (مسكن)، إلا أن غالب المؤرخين ولاسيما أتبع الفصيل

السياسى يأبون الاعتراف بهذه الحقيقة ويؤكدون دائما على أنهما التقيا، بل إن اغلب من

شرح حديث (ابنى هذا سيد) أكد حدوث اللقاء بين الجيشين، ويأتى هذا دليلا دامغا

على أن السياسيين نجحوا فى زرع الفوضى فى تاريخنا، وأن المؤرخين نقلوا تلک الفوضى

بعضا عن بعض دونما فحص أو تمحيص أو دراسة وتحليل، فأصبحت مرجعا يرجع

إليه من يأتى بعدهم ظنا منه أنها الحقيقة.!

1- شرح نهج البلاغه، م4\ج16\ص13

ومن الذين أكدوا لقاء الإمام مع معاوية فى أرض المعركة، كان القارى بقوله: ((ثم

سار إلى معاوية وسار معاوية إليه، فلما تراءى الجمعان بموضع يقال له (يسكن) بناحية

الأنبار من أرض السواد))(1) حيث لم يكتف القارى بتصحيف اسم المنطقة من (مسكن)

إلى (يسكن) بل أكد أن الحسن عليه السلام هو الذى بدأ المسير، وأنه لقى معاوية فيها!.

ومثله قول العظيم آبادى: ((فإنه لما قتل على بايعه أكثر من أربعين ألفا فبقى

خليفة بالعراق وما وراءها من خراسان ستة أشهر و أياما، ثم سار إلى معاوية فى أهل

الحجاز وسار إليه معاوية فى أهل الشام، فلما التقى الجمعان بمنزل من أرض الكوفة))(2).

وقول العسقلانى: ((لما سار الحسن بن على رضى الله عنه إلى معاوية بالكتائب قال عمرو

بن العاص لمعاوية أرى كتيبة لا تولى حتى تدبر أخراها))(3)، وفى فتح البارى أيضا:

وقال ابن بطال: ذكر أهل العلم بالأخبار أن عليا لما قتل سار معاوية يريد العراق

وسار الحسن يريد الشام فالتقيا بمنزل من أرض الكوفة، فنظر الحسن إلى كثرة من معه

فنادى: يا معاوية إنى اخترت ما عند الله)) فرد العسقلانى على هذا الخبر بقوله: ((إن

الحسن ومعاوية لم يتلاقيا بالعسكرين حتى يمكن أن يتخاطبا وإنما تراسلا، فيحمل

قوله: فنادى يا معاوية على المراسلة، ويجمع بأن الحسن راسل معاوية بذلك سرا فراسله

معاوية جهرا))(4)، لاحظ هنا أن العسقلانى الذى أنكر أن يكون الحسن عليه السلام قد لقى

معاوية يحاول الدس من طرف خفى لكى يبدو الإمام الحسن هو (الجبان) الذى يكاتب

(سرا) يتوسل الصلح بينما لايخاف معاوية شيئا ويكاتبه جهرا!.

ولكنه عاد وقال: ((وأخرج ابن ابى خيثمة من طريق عبد الله بن شوذب قال: لما قتل

1- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح.ص 3970. حديث رقم6144

2- عون المعبود. ص328.حديث4662. باب ما يدل على ترك الكلام فى الفتنة

3- فتح الباری شرح صحیح البخاری. ج13. ص66-67
4- فتح الباری شرح صحیح البخاری. ج13. ص205

على سار الحسن بن على فى أهل العراق ومعاوية فى أهل الشام فالتقوا)).(1)

وقال أبو بكر بن ابى الدنيا: ((حدثنا العباس بن هشام، عن أبيه قال: لما قتل على

بايع الناس الحسن بن على فوليها سبعة أشهر وأحد عشر يوما. وقال غير عباس: بايع

الحسن أهل الكوفة، وبايع أهل الشام معاوية بإيلياء بعد قتل على، وبويع بيعة العامة

ببيت المقدس يوم الجمعة من آخر سنة أربعين، ثم لقى الحسن معاوية بمسكن – من

سواد الكوفة – فى سنة إحدى وأربعين، فاصطلحا وبايع الحسن معاوية)).(2)

وبناء على هذه المعلومات المتباينة المتضاربة، قال الصلابى مؤكدا حدوث اللقاء:

.تبادل الرسل بين الحسن ومعاوية و وقوع الصلح بينهما(رضوان الله عليهما) فقد سجل

الإمام البخارى فى صحيحه تلك اللحظات الحرجة من تاريخ الأمة المسلمة حين التقى

الجمعان، جمع أهل الشام وجمع أهل العراق)).(3)

غاية هذا التخبط المشبوه تبدو سياسية الصنع كليا، وقد خلقوها ليشيعوا من

خلالها وهما آخر مبنيا على مبدأ تشويش فكر المتلقى بالإدعاء مرة أن الإمام هو الذى

طلب الصلح ومرة أن معاوية هو الذى طلب الصلح حرصا منه على الأمة والدين!

وهؤلاء هم الذين صوروا مبادرة الصلح على أنها ولدت فى ميدان المعركة شبها بمؤامرة

رفع المصاحف فى صفين؛ ليقولوا لأتباعهم أنهم نجحوا فى استغفالنا مرات ومرات!

وفعلا يقودنا هذا التخبط إلى البحث عمن كان المبادر إلى الصلح لأنه من المستحيل أن

ينحصر التلاعب فى جوانب محددة دون غيرها ولابد وان يمتد ليغطى كافة متعلقات

الحدث لكى تتكامل اللعبة السياسية بتكاثر الحديث الموهوم عنها.

1- فتح البارى شرح البخارى. ج13. ص 70

2- المصدر نفسه

3- سيرة اميرالمومنين خامس الخلفاء الراشدين. الصلابی. ص293

مَنْ بادر إلى الصُلح أولا؟

سؤال فى غاية الأهمية، لا تقل أهمية الجواب عنه عن الصلح ذاته ولاسيما وأن

هناك من تلاعب بهذه المعلومة المهمة بالرغم من وجود إشارات نبوية إلى أن الإمام

الحسن عليه السلام هو الذى سوف يبادر إل صنع الصلح متى ما وجد الصلح أنفع للدين

والدنيا وأهلها لأنه مطلع على سير الأحداث بدقائقها، وهو أدرى الناس بمصلحة

الناس. وليس من قبيل المصادفة أن يتفق العنوان الذى اخترته لهذا المبحث مع عنوان

اختاره الصلابى لنفس الموضوع كنت قد عثرت عليه وأنا أجمع مادة هذا المبحث بعد

أن اخترت هذا العنوان، فتأكد لى أن الحديث عن هذا الموضوع طالما شغل الفكر نظرا

لعلاقته بمجمل الحراك السياسى والدينى لتلك الحقبة، ولكن الصلابى وعلى منهج

ابن العربى فى العواصم من القواصم حسم الأمر وادعى: ((إن الرغبة فى الصلح كانت

موجودة لدى الطرفين، فقد سعى الحسن إلى الصلح وخطط له منذ اللحظات الأولى

لمبايعته، ثم جاء معاوية فأكمل ما بدأه الحسن فكان عمل كل واحد منهما مكملا

للآخر(رضوان الله عليهم أجمعين)).(1)

وما من كاتب فى سيرة الإمام الحسن ولاسيما من كتب فى موضع الصلح إلا وأكد

عن يقين بأن معاوية هو صاحب فكرة الصلح والبادئ به(2)، وهذا إن كان صحيحا من

1- سيرة أمير المؤمنين وخامس الخلفاء الراشدين،صه٢٩ ٠

2- حتى الشيخ مرتضى آل ياسين ذهب إلى هذا المذهب وقال: ((وما كان بدعا من محاولات معاوية فيما يهدف إليه أن يبتدر هو إلى طلب الصلح فيعطى الحسن كل شرط ليأخذ عليه شرطا واحدا هو الملك)) ينظر: صلح الحسن،ص ٢٢٣

حيث التطبيق فإنه مجاف للحقيقة من حيث التنظير، وبمعنى أوضح إن كان صحيحا

بوصفه واقعة فإنه ليس صحيحا بوصفه فكرا ومبدأ وعقيدة، فاصلح لم يكن فى أى

يوم آخر ضمن أولويات معاوية الذى كان يقدم الحرب خيارا أوحدا، فإذا مالت الريح

عليه وانهزم فى حربه، يقدم الصلح مشروعا بديلا أو خطة للإنقاذ والطوارئ كما فعل

يوم رفع المصاحف فى صفين. ومعاوية هو معاوية سواء فى صفين أو فى مواجهة الإمام

الحسن عليه السلام التى كان يرى فيها صفينا أخرى قد لا ينجو منها.

ولأن السياسيين كانوا قد شخصوا ميزة الحرص على الدين والعقيدة فى منظومة

تفكير الحسن عليه السلام، فالظاهر أنهم كانوا قد دفعوه عنوة إلى الصلح ليس حبا فى بقائه حيا

وإنما لكى لا يتحملوا أعباء حرب قد تطول فيتذكر الناس صفين ولاسيما أن ذكراها

لما تزل طرية فى فكرهم، ولكى لا تغضب الأمة عليهم؛ لأن قتل الحسن عليه السلام فى ساحة

الحرب ممكن أن يقلب الموازين ويثير حماسة الناس كما حدث بعد ذلك مع الحسين عليه السلام

يوم ثار التوابون وغيرهم انتقاما لمقتله، أما قتله غيلة فال يمكن إثباته للجميع ويمكن أن

يمر دون أن ينتبه إليه احد من الناس. ولذا بادر معاوية إلى ترغيب الإمام عليه السلام بالصلح

فى وقت كان الإمام يرى الصلح مع معاوية فى تلك المرحلة بالذات أمرا لا عز فيه ولا

منفعة ولا إنصاف كما جاء فى خطبته التى ألقاها على جنده فى المدائن وقال فيها بصريح

العبارة: ((ألا وإن معاوية دعانا لأمر ليس فيه عز ولا نصفة)) قال هذا بعد أن وصله كتاب

معاوية مهددا ومتوعدا: وان أنت أعرضت عما أنت فيه وبايعتنى وفيت لک بما وعدت

وأجريت لک ما شرطت... ثم الخلافة لک من بعدى))(1).

عمل السياسيين هذا ينم عن مقدرة سياسية هائلة، حيث بدا معاوية بالترويج

1- شرح نهج البلاغة، م٤ ،ج١٦ ،ص ١٣

لموضوعه الصلح حتى قبل أن تشتد الأزمة بين الحسن عليه السلام وبينه بدليل أنه بعث برسالة

إلى عبيد الله بن عباس قائد مقدمة جيش الحسن عليه السلام الذى كان مرابطا فى (مسكن) يخبره

فيها أن الحسن عليه السلام وقع الصلح معه وفيها: ((إن الحسن قد راسلنى فى الصلح وهو مسلم

الأمر لى فإن دخلت فى طاعتى كنت متبوعا وإلا دخلت وأنت تابع، وجعل فيها ألف

ألف درهم))(1) مما دفع عبيد الله إلى الهرب ليلا إلى جانب معاوية فأوهى ذلك عزيمة

جند الامام عليه السلام.

إن نجاح السياسيين فى كسب عبيد الله فتح لهم الباب واسعا لكسب الآخرين

من قادة جند الإمام بنفس الطريقة والأسلوب فتزعزع نظام جند الإمام وبات بين

خيارين إما القتال إلى النهاية والتسبب بقتل الآلاف من الشيعة و غيرهم من المسلمين

وإما القبول بالصلح وحقن الدماء حتى ولو نهب تراثه. وعجيب كيف يتسنى للتاريخ

أن يعيد نفسه، فبالأمس القريب وقف على بن طالب عليه السلام الموقف ذاته تتنازعه القوى

ذاتها، فصورها لنا بقوله: ((فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا، وطفقت أرتئى بين

أن أصول بيد. جذاء أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير و يشيب فيها الصغير

و يكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، فرايت ان الصبر على هاتا احجى ، فصبرت، وفى

العين قذى وفى الحلق ,شجا، أرى تراثى نهبا))(2).

إن عبيد الله بن عباس وجد من يدافع عنه ليس لأنه رفض خوض الحرب، بل لأنه

خان الإمام الحسن عليه السلام وهرب إلى جانب معاوية، ومنهم الطبرى الذى ادعى مرة أن ابن

عباس إنما كان هو البادئ بالكتابة إلى معاوية بعد أن علم أن الحسن عليه السلام يريد الصلح،

وأن معاوية أرسل له عامر فى خيل عظيمة فخرج إليهم عبد الله ليلا حتى لحق بهم ونزل

1- المصدر نفسه، م ٤ ،ج١٦ ،ص ٤٢

2- المصدر نفسه.

وترک جنده (1) وأدعى مرة ثانية أن ابن عباس كان هو المبادر بطلب الصلح، فقال: ((فلما علم عبيد الله بن عباس بالذى يريد الحسن عليه السلام أن يأخذه لنفسه كتب إلى معاوية يسأله الأمان ويشترط لنفسه على الأموال التى أصابها فشرط له معاوية ذلک)).(2)

بل وهناک من أوغل فى دفاعه عن عبيد الله لدرجة انه نفى أن يكون عبيد الله مع جيش الحسن عليه السلام، كما فى قول الصلابى: ((والحقيقة التاريخية تقول: أن قائد الجيش كان الحسن بن على عليه السلام، وان قائد مقدمته كان قيس بن سعد ولا ذكر لعبد الله بن عباس أو أخيه عبيد الله فى هذا الجانب إلا فى الروايات الضعيفة والتى لا يقوم لها دليل))(3) وهذا استغفال للعقل المسلم وتشويه لتاريخ يحمل جينات التشوه فى كيانه لكى تضيع الحقائق فلا يعرفها الناس، وإلا فإن الكثير من المؤرخين ذكروا اشتراک عبيد الله فى قيادة الجيش، ويأتى قول الصلابى ليؤكد من خلاله صحة إلتقاء القائدين فى الحرب.

أما المخلص التقى قيس بن سعد فلأنه بقى ثابتا إلى جانب الامام عليه السلام لذا تحدثوا عن خلاف و همى وقع بين الامام الحسن عليه السلام وبينه لكى ينالوا منه، وعن هذه القصة يقول الطبرى: ((وكان الحسن لا يرى القتال ولكنه يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية ثم يدخل فى الجماعة٠ وعرف الحسن عليه السلام أن قيس بن سعد لا يوافقه على رأيه فنزعه وأمر عبيد الله بن عباس))(4) متجاهلا أن قيس هو الذى جمع الجند الذين فرقتهم هزيمة عبيد الله، فقاتل بهم.

إن من يعرف الامام الحسن عليه السلام على حقيقته يدرک أنه كان يمثل خط الرسالة

1- ينظر: الطبرى، الجلد٣، ص٩٤٣.

2- المصدر نفسه، المجلد ٣، ص ٩٤١.

3- سيرة امير المؤمنين، الصلابى، مصدر سابق، ص ٣٢٤.

4- تاريخ الطبرى، الجلد٣، ص٩٤١.

ومنهجها، ومن مبادئ الرسالة حقن الدماء البريئة والسعى للحفاظ على وحدة الأمة،

وبالتالى تمكن السياسيون من تشخيص هذه الميزات فى منظومة أخلاقه فسعوا إلى الإفادة

منها لانقاذ أنفسهم وتحقيق أطماعهم من خلال التأكيد على وجوب وقوع الصلح بين

الطرفين، والسياسيون هم الذين ضخموا دور معاوية فيها وأظهروه وكأنه هو الذى

حث لامام الحسن عليه السلام على الصلح حقنا لدماء الآمة.

ص :645

قصة البخارى الملفقة

لهذا الإدعاء الغريب قصة يوردها البخارى يؤكد فيها أن معاوية هو صاحب الحق

وهو الذى عرض الصلح على الإمام حقنا لدماء المسلمين باعتبار انه المسؤول عن

مصلحة المسلمين بحكم كونه (الخليفة الشرعى) بالرغم من كونه باغيا على الحسن عليه السلام

وعلى أبيه وخارج على الخليفة الشرعى. حيث جاء فى البخارى: ((حدثنا عبد الله بن

محمد، حدثنا سفيان، عن أبى موسى قال: سمعت الحسن (البصرى) يقول: استقبل

والله الحسن بن على معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إنى لأرى

كتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها، فقال معاوية: (وكان والله خير الرجلين): إن قتل

هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لى بأمور الناس، من لى بنسائهم، من لى بضيعتهم؟

فبعث إليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس: عبد الرحمن بن سمرة(1) وعبد الله بن

عامر بن كريز(2)فقال: اذهبا إلى هذا الرجل، فأعرضا عليه، وقولا له واطلبا إليه، فأتياه

فدخلا عليه فتكلما، وقالا له، فطلبا إليه، فقال الحسن بن على: إنا بنو عبد المطلب قد

أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاشت فى دمائها. قالا: فإنه يعرض عليك كذا

1- أحد الطلقاء، ينظر الإصابة ص١١٦٣ج٢رقم ٥١٣٥.

2- قالوا: ولد على عهد النبى صلى الله عليه وآله بمكة بعد الهجرة بأربع سنين، فلما كان عام القضاء سنة سبع وقدم رسول الله مكة معتمرا حمل إليه ابن عامر وهو ابن ثلاث سنين، فحنكه فتلمظ وتثاءب، فتفل رسول الله فى فيه فجعل يبتلع ريق النبى وقال النبى: ((هذا ابن السلمية؟)) قالوا: نعم، قال: ((هذا ابننا وهو أشبهكم بنا.! ولا أدرى إذا ما كان ذلك الشبه المزعوم هو الذى جعله من أصحاب معاوية الخلص المنحرفين عن أهل البيت عليهم السلام!.

وكذا، ويطلب إليک ويسألک، قال: فمن لی بهذا؟ قالا: نحن لک به، فما سألهما شيئا إلا

قالا: نحن لک به، فصالحه))(1).

وفی هذا الحديث صور البخاری والعسقلانی جيش الإمام الحسن عليه السلام بأنه كتائب

أمثال الجبال جاهزة للحرب، لكن معاوية (الحريص) فكر ی حفظ دماء المسلمين

(لتقواه وتدينه وحرصه على الإسلام)، فأرسل زعيمين من طلقاء بنی أمية إلى الامام

الحسن عليه السلام يعطياه ما يريد قبالة الصلح، فوجداه يريد المال ولا شیء غير المال، فأعطياه

الملايين وتم الصلح! هكذا وبكل بساطة!.

لقد سوق البخاری فی هذا الحديث الصورة التی أراد بها الأمويون إظهار

الحسن عليه السلام بصورة الرجل المهزوز المستعد لبيع عقيدته وقيمه ودينه مقابل المال الذی

قالوا أنه كان يحتاج إليه ليدفعه مهرا للنساء اللواتی يريد الزواج بهن!، وهی الصورة

التی قال عنها العسقلانی: فقال معاوية: اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه (أی ما

شاء من المال) وقولا له: (أی فی حقن دماء المسلمين بالصلح) واطلبا إليه (أی أطلبا منه

خلع نفسه من الخلافة وتسليم الأمر لمعاوية) وابذلا له فی مقابل ذلک ما شاء))(2)

وبعيدا عن أی تبريرات أخرى أقول: إن ما أورده الطبری يتعارض كليا مع هذا

القول، فالطبری يقول إن الحسن عليه السلام هو الذی طلب من معاوية أن يصطلحا، كما فی

قوله: ((فلما رأى الحسن عليه السلام؛ تفرق الأمر عنه بعث إلى معاوية يطلب الصلح))(3) وأما

ما أورده العظيم آبادی فجاء مؤيدا لرأی العسقلانی، حيث قال: ((فلما التقى الجمعان

1- البخاری،كتاب الصلح، باب قول النبی للحسن بن على ابنی هذا سيد، حديث رقم ٢٧٠٤، ص٤٧٨.٤٧٩.

2- فتح الباری، ابن حجر،ج ١٣،ص ٥٥.

3- تاريخ الطبری، المجلد ٣، ص٩٤٢.

بمنزل من أرض الكوفة وأرسل إليه معاوية فى الصلح أجاب على شروط منها أن يكون

له الأمر بعده، وأن يكون له من المال ما يكفيه فى كل عام))(1).

كما صور البخارى معاوية من أحرص الناس على الدين وأهله، ولو كان وجود

مثل هذا الموقف محتملا مجرد احتمال فى منظومة أخلاق معاوية لكان الأجدر به أن لا

يقود جند الشام لمحاربة الخلفية الشرعى المنتخب مع كل ما كان يمثله ذلك التحرك

العسكرى الكبير من خطر على الأمة والدين. كما أثبتت الروايات التاريخية أن جيش

الإمام على فى صفين كان أضعاف جيش الإمام الحسن عليه السلام بل وحتى قادة جيش الامام

اصعاف، وباقى الجند بما فيهم الصحابة الأبرار يختلفون كثيرا عن وشل وثمالة الجيش

الباقى مع الحسن وبالتالى كانت الأخطار المرتبة على نشوب الحرب بين الجيشين؛ جيش

الخلافة العلوية والجيش الأموى أشد خطرا بمئات المرات من خطر وقوع الحرب بين

معاوية والحسن عليه السلام؛ فلماذا قام بفعلته تلك ابتداء؟ ولماذا لم يسلم الأمر إلى الإمام

على عليه السلام الخليفة الشرعى بعد أن رأى عظم جيش الخلافة، وكثير جيشه الذى جاء به

من الشام، لو كان حقا يملك مثل هذا الحرص المزعوم؟ أين كان فى حرب صفين التى

جمع فيها أكثر من (١٣٠) ألف مقاتل و وضعهم أمام جيش الخلافة البالغ تعداده أكثر

من (١٣٥) ألف مقاتل كما تقول الروايات، وفى رواية: ((وكان على عليه السلام يوم صفين على

بغلة رسول الله المسماة بدلدل، فحمل بها فى تسعين ألفا وقيل مائة وعشرين ألف وعشرة

آلاف))(2)وفى رواية غيرها: ((عن زكريا بن عيسى عن ابن شهاب أن محمد بن عمرو بن

1- عون المعبود، محمد شمس الحق العظيم آبادى، دار الفكر، سنة النشر: ١٤١٥ / ١٩٩٥م، أربعة عشر جزء، ص ٣٢٨، حديث ٤٦٦٢، باب ما يدل على ترك الكلام فى الفتنة.

2- أعلام النصر المبين ص٩٤.

العاص شهد القتال يوم صفين فى خمسة وثلاثين ومائة ألف))(1).

أين كان فى هذه الحرب التى دامت أشهرا متواصلة وأشهرا أخرى متفرقة حيث

بدأت فى الأول من صفر ٣٧هجرية، وسقط فيها على ما روى بين (٧٠-١١٠) ألف قتيل

و تركت من الجرحى والمعوقين ما يفوق هذا العدد بكثير؟ لماذا يغفل هذا العدد العظيم

من قتل المسلمين ويلتفت إلى ما يمكن أن يقع منهم صريعا بحربه مع الحسن عليه السلام؟ وفى

حديثه عن أيام صفين قال الكلبى: ((قال ابن ديزيل: وقتل فى ثلاثة أيام من أيام البيض:

ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة ثلاثة وسبعون ألفا من الفريقين)) (2) وفى قول

آخر: ((فقتل فيها من أصحاب الإمام على عليه السلام خمسة وعشرون ألفا، ومن أصحاب

معاوية خمسة وأربعون ألفا على اختلاف فى ذلك)) (3)

وفى رواية شامية: ((كان أهل الشام ستين ألفا فقتل منهم عشرون ألفا وكان أهل

العراق مائة وعشرين ألفا فقتل منهم أربعون ألفا))(4).

أقف هنا لأورد حديثا للصلابى أراد من خلاله التدليس على أخبار صفين لكى

يثبت صحة و صدق حرص معاوية على الأمة ودماء المسلمين، وذلك لكى يدعم

الأقوال التى تدعى أن حرصه هو الذى دفعه إلى طلب الصلح مع الحسن عليه السلام، قال

الدكتور الصلابى: ((تضاربت أقوال العلماء فى عدد القتل فذكر ابن ابى خيثمة أن القتلى

فى صفين بلغ عددهم سبعين ألفا، من أهل العراق خمسة وعشرون ألفا، ومن أهل الشام

خمسة وأربعون ألف مقاتل. كما ذكر ابن القيم أن عدد القتل فى صفين بلغ سبعون ألفا

1- المصدر نفسه، ص ٦٤ ٠

2- أعلام النصر المبين فى المفاضلة بين أهلى صفين، ص ٥٣ ٠

3- المصدر نفسه، أعلام النصر المبين فى المفاضلة بين أهل صفين، ص٥٩ ٠

4- المصدرنفسه، ص ٦١ ٠

أو أكثر، ولا شك أن هذه الأرقام غير دقيقة بل أرقام خيالية، فالقتال الحقيقى والصدام الجماعى استمر ثلاثة أيام مع وقف القتال بالليل إلا مساء الجمعة فيكون مجموع القتال نحو ثلاثين ساعة، ومهما كان القتال عنيفاً، فلن يفوق شدة القادسية التى كان عدد الشهداء فيها ثمانية آلاف وخمسمائة وبالتالى يصعب التصديق عقلاً أن نقبل تلك الروايات))(1)

وأول تدليس لهذا الرجل، إدعاؤه أن معركة صفين دامت ثلاثة أيام فقط، حيث أخذ أقوال بعض المؤرخين عن أيامها الثلاثة الأخرة و أوهم الناس أنها كل أيام المعركة وأهمل باقى أيامها، ففى هذه الأيام الثلاثة وحدها دون غيرها اشتدت الحرب، كما ذكر ابن سعد والبلاذرى وغيرهم، حيث قال ابن سعد: ((وكان القتال الشديد ثلاثة أيام ولياليهن،آخرهن ليلة الهرير))(2) وقال البلاذرى: وقال الواقدى فى إسناده: كان القتال الشديد بصفين ثلاثة أيام ولياليهن،آخرهن ليلة الهرير))(3) وربما كان هذا التدليس هو الدافع وراء تضخيم بعض الباحثين لعدد أيام صفين كرد فعل، كما فى قول الشيخ محمد اليعقوبى: ((إن معركة صفين التى استمرت حوالى سنة ونصف كانت تشهد فرات هدنة وإيقاف للقتال))(4).

والتدليس الثانى أن الدكتور الصلابى خالف أقوال علمائهم ومؤرخيهم الذين اتفقوا على أن قتل صفين كانوا أكثر من سبعين ألفا: خمسة وأربعون ألفاً من أهل الشام

1- ينظر: معاوية بن أبى سفيان شخصيته وعصره، الدولة السفيانية، ص ١٢٧

2- ينظر: طبفات ابن سعد، ج٣، ص٢٦١

3- ينظر: أنساب الآشراف ص٣١٨

4- موقع الشيخ محمد اليعقوبى، الرابط www.yaqoobi.com/arabic/artc/2445/news/index.html

وخمسة وعشرون ألفاً من أهل العراق، فقد قدر محمد بن سيرين عدد القتل فى هذه

المعركة بنحو سبعين ألف رجل. كان منهم خمس وأربعين ألف شخص من جيش الشام،

أى كان نصف الجيش قد فنى، فما استطاعوا عدهم إلا بالقصب، وضعوا على كل إنسان

قصبة، ثم عدو القصب(1) وفى فتح البارى عن ليلة الهرير وهى آخر ليالى صفين قبل

التحكيم، قال العسقلانى: ((وقتل بين الفريقين تلك الليلة عدة آلاف وأصبحوا وقد

أشرف على وأصحابه على النصر))(2).

وذكر بعض الرواة أن مدة إقامة الجيشين فى صفين مئة وعشرة أيام، وأن الوقائع

كانت تسعين وقعة، ولكن الشيخ على الكورانى عد ذلك مبالغة فقال: ((ذلك مبالغة، فهو

لا يستقيم إلا بأن يقصدوا مجموع سفرهم من أول مقدمة الجيش التى أرسلها على عليه السلام.

والظاهر أن الحرب استمرت الثانى عشر يوماً فقط، من يوم الأربعاء أول شهر صفر

سنة ٣٧، إلى ليلة الهرير ليلة الجمعة الثانى عشر من صفر، وفى صبيحتها رفع معاوية

المصاحف داعياً إلى وقف القتال وتحكيم حكمين))(3) وأجد أن الشيخ الكورانى هون

من أمر صفين كثيراً، فهناك عشرات النقول التى أثبتت طول مدتها، وكثرة القتلى فيها،

وقد أوردنا من قبل قصة بناء معاوية قصراً فى الميدان، وبناء الإمام على مسجداً طينياً

لأداء الصلاة، كما أن ابن الجوزى قال فى منتظمه: إن علياً عليه السلام طلب أثناء الحرب هدنة

1- الذهبى فى تاريخ الإسلام - عهد الخلفاء الراشدين (ص545)، و معجم البلدان (٤١٤/٣ - ٤١٥)، و مصنف ابن أبى شيبة (295/15) بإسناد حسن من مرسل ابن سيرين، و هو من أصح المراسيل. وتاريخ خليفة (ص١٩٤) مختصراً.

2- ينظر: فتح البارى، العقلانى، ج١١ ، ص١٠٤

3- ينظر: موقع الشيخ الكورانى، الرابط http://www.alameli.net/books/index

لمدة شهر بعد أن رأى كثرة القتل))(1)

وفى العودة إلى أصل موضوعنا أقول: إن من كان مع على فى جيشه أعظم أن يهابوا

من غيرهم وهم الصحابة الكرام من البدريين وأصحاب بيعة الشجرة وباقى الصحابة

والتابعين بما لم يكن مع الحسن عليه السلام مثلهم أو قريبا منهم، فماذا لم يتهيب معاوية من

هؤلاء وتهيب ممن كانوا مع الحسن عليه السلام؟ ((قال ذو النسبين: وقتل من أصحاب على عليه السلام

خمسة وعشرون بدرياً... من أهل بدر سبعون رجلاً، وشهد معه ممن بايع تحت الشجرة

سبع مائة رجل فيمن لا يحصى من أصحاب رسول الله ومن خيار التابعين، ومع على

رايات كانت مع رسول الله يقاتل بها أعداء الله))(2).

ثم هل يعقل أن معاوية كان يبحث عن حقن الدماء وهو الذى قال فى خطبته

فى الكوفة بعد أن دخلها: ((يا أهل الكوفة أترون أنى قاتلتكم على الصلاة والزكاة

والحج؟ وقد علمت أنكم تصلون وتزكون وتحجون)) وأين ذهب الحرص لما أمر قواده

الذين أرسلهم يجوبون الأقاليم بأمر مفاده: .فاقتل كل من لقيته ممن ليس هو على مثل

رأيک...))(3)

واقعا يستحق حديث البخارى وشرح العسقلانى وقفة طويلة بسبب التناقضات

الواردة فيه، ولأنه تناول أكثر من جانب من جوانب الصراع والصلح بدءاً من حديثهم

عن عظم جيش الحسن عليه السلام، و وصفه بأنه جيش له أول وليس له آخر، وهى الأرقام

المدعومة بشهادات الزور ومنها قول صالح بن أحمد: ((سمعت أبى يقول: بايع الحسن

1- ينظر: منتظم لابن الجوزى، ج 5 ، ص117 -١١٨

2- المصدر نفسه، المنتظم، ص ٦٧-٦٨

3- المصدر نفسه، أعلام النصر المبين

تسعون ألفا، فزهد فى الخلافة وصالح معاوية، ولم يسفک فى أيامه محجمة من دم))(1)

وصولا إلى التحدث عن التقاء الجيشن، وثمن الصلح؛ قال ابن أبى خيثمة: ((حدثنا

هارون بن معروف، حدثنا ضمرة، عن ابن شوذب قال: لما قتل على سار الحسن فى أهل

العراق، وسار معاوية فى أهل الشام فالتقوا، فكره الحسن القتال، وبايع معاوية على أن

يجعل العهد للحسنمن بعده. قال: فكان أصحاب الحسن يقولون: يا عار المؤمنين.

قال: فيقول لهم: العار خير من النار. وقال أبو بكر بن أبى الدنيا: حدثنا العباس بن

هشام، عن أبيه قال: لما قيل على بايع الناس الحسن بن على فوليها سبعة شهر وأحد

على يوما. وقال غير عباس: بايع الحسن أهل الكوفة، وبايع أهل الشام معاوية بإيلياء

بعد قتل على، وبويع بيعة العامة ببيت المقدس يوم الجمعة من آخر سنة أربعين، ثم لقى

الحسن معاوية بمسكن – من سواد الكوفة – فى سنة إحدى وأربعين، فاصطلحا وبايع

الحسن معاوية. وقال غيره: كان صلحهما ودخول معاوية الكوفة فى ربيع الأول من

سنة إحدى وأربعين))(2)

فى الفقرة الثانية من الحديث قالوا عن الحسن عليه السلام: بأنه كان مسالما يكره الحرب ولا

يميل إلى القتال وسفک الدم، وهذا مخالف لما أوردوه عنه بأنه شارک فى الفتوح، ومخالف

لما ثبت عنه عليه السلام انه اشترک فى جميع حروب أبيه وأبل فيها بلاءً حسناً. فالحسن عليه السلام لم

يصالح لأنه يكره كل أنواع الحروب بما فيها الحروب العقائدية بطبيعته، وإنما صالح بقياً

على الدين والمذهب. والفهم الخاطئ فضلا عن الدس السياسى والتحريف الممجوج

هو الذى دفعهم إلى الحديث عن حب الحسن عليه السلام لنفسه وتفضيلها على جميع أصحابه

وشعبه، بدليل أن شروط وثيقة الصلح نصت على: ((إن الناس آمنون حيث كانوا من

1- الفتح للعسقلانى ج 13 ص 204

2- فتح البارى العسقلانى ص 205

أرض الله تعالى فى شامهم ويمنهم وعراقهم وحجازهم وعلى أن أصحاب ر وشيعته

آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا وعلى معاوية بذلک عهد

الله وميثاقه وعلى أن لا يبغى للحسن بن على ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من بيت

رسول الله غائلة سوء سراً وجهراً ولا يخيف أحداً منهم فى أفق من الآفاق شهد عليه

بذلک فلان وفلان وكفى بالله شهيداً))(1)

وفى الفقرة الثالثة ادعوا أن الحسن عليه السلام الذى وصفوه بالأنانى كان يريد أن يكاتب

معاوية ليعطيه الأمان لنفسه دون أصحابه، وهذا ما تكذبه وثيقة الصلح التى طلب فيها

عدم مطاردة الشيعة.

وتحدثوا فى الفقرة الرابعة عن خلاف بين الحسن عليه السلام وقيس بن سعد، وهذا كذب

محض حيث أجمع المؤرخون على أن يدس بن سعد بن عبادة (رحمهما الله) كان يقاتل

بجبهة حددها له الإمام الحسن عليه السلام، وأن معاوية حاول الوقيعة بينه وبين الإمام بالادعاء

فى جيش الحسن بأن قيس سالم معاوية والإدعاء عند قيس بأن الإمام صالح معاوية

كما فى قول اليعفوض وكان معاوية يدس إلى عسكر الحسن من يتحدث أن قيس بن

سعد قد صالح معاوية وصار إليه! ويوجه إلى عسكر قيس من تتحدث أن الحسن قد

صالح معاوية وأجابه))(2) بالمناسبة أنواع دس معاوية كثيرة لا تحصى منها ما قال عنه

الشيخ المفيد: ((فلما بلغ معاوية بن أبى سفيان وفاة أمير المؤمنين وبيعة الناس ابنه الحسن

دس رجلاً من حمير إلى الكوفة، ورجلاً من بنى القين إلى البصرة ليكتبا إليه بالأخبار،

ويفسدا على الحسن عليه السلام الأمور. فعرف ذلک الحسن فأمر باستخراج الحميرى من عند

1- موسوعة الحسن الرابط .http://www.mezan.net/mawsouat/hassan/sohl.html

2- تأريخ اليعقوبى، جزء٢ن ص ٢١٤

لحام بالكوفة فأخرج و أمر بضرب عنقه وكتب إلى البصرة، باستخراج القينى من بنى

سليم، فاخرج و ضربت عنقه، وكتب الحسن إلى معاوية: أما بعد، فإنک دسست الرجال

للاحتيال والاغتيال وأرصدت العيون كأنک تحب اللقاء وما أوشک ذلک، فتوقعه إن

شاء الله، وبلغنى أنک شمت بما لا يشمت به ذو حجى))(1).

أما تكملة الشرح فالمهم فيه أن العسقلانى نفسه عاد ليشكک بمضمون الحديث

وليوقع نفسه فى تناقض كبير، فقال: وأخرج الطبرى والطبرانى من طريق إسماعيل

بن راشد قال: ((بعث الحسن قيس بن سعد على مقدمته فى اثنى عشر ألفا، يعنى من

الأربعين(2) فسار قيس إلى جهة الشام وكان معاوية لما بلغه قتل على خرج فى عساكر

من الشام(3) وخرج الحسن بن على مدافعا حتى نزل المدائن، فوصل معاوية إلى مسكن.

ويال ابن بطال: ذكر أهل العلم بالأخبار أن عليا لما قتل سار معاوية يريد العراق و سار

الحسن يريد الشام فالتقيا بمنزل من أرض الكوفة، فنظر الحسن إلى كثرة من معه فنادى:

((يا معاوية إنى اخترت ما عند الله، فإن يكن هذا الأمر لک فلا ينبغى لى أن أنازعک

فيه و إن يكن لى فقد تركته لک فكبر)) أصحاب معاوية. وقال المغيرة عند ذلک: أشهد

أنى سمعت النبى صلى الله عليه وآله يقول: ((إن ابنى هذا سيد))، الحديث وقال فى آخره: فجزاک الله

عن المسلمين خيرا. وبالرغم من التهافت الذى جاء به ابن بطال الذى نقل عن (أهل

العلم) الذين لا نعرفهم بأن الحسن عليه السلام التقى بمعاوية فى ساحة الحرب فى الكوفة،

1- موسوعة الحسن www.mezan.net

2- أنظر كيف وقع فى حرج بسبب اختلاف أرقام جيش قيس الذى قال انه أربعون ألفا ثم أصبح بقدرة قادر اثنا عشر ألفا مدعيا أن هؤلاء من الاربعين ألفا، أما أين ذهب الثمانية و عشرون ألفا فلا يلتفت إليه.

3- وفى هذا تأكيد تام بأن معاوية يريد الحرب ويريد الخلافة ولذا جهز أو حرک جيشه الجاهز المجهز ليستغل فرصة غياب الخليفة الشرعى عن الساحة.

وبأن الحسن عليه السلام نادى معاوية يطلب الصلح، وبأن الحسن عليه السلام لم يكن يعرف إن كان

أمر الخلافة قد خصه الله به بصفته الخليفة الشرعى الذى بايعه المسلمون أم أن الأمر

لمعاوية وهو الخليفة الشرعى الذى لا يجب على الإمام الحسن مقاتلته ومنازعته، وبأن

الحسن عليه السلام تنازل عن طيب خاطر عن حقه فى الخلافة إلى معاوية دون شروط وبأن

الحسن عليه السلام دعا لمعاوية بالخير بالرغم ما بينهما من خلاف تاريخى. بالرغم من كل ذلك

لم تنجح مساعيهم وخابت آمالهم.

ص :657

مؤامرة الخطبة

أشار العسقلانى فى مجرى شرحه لحديث البخارى إلى حادثة مهمة جدا وقعت فى

الكوفة بعد أن دخلها معاوية الذى وقف عند (النخيلة) قبل أن يدخل الكوفة ليضع

شروط الصلح تحت قدمه، فمعاوية اعترف بتوجهه السياسى الصرف حتى قبل أن يجف

حبر وثيقة الصلح وقبل أن يدخل الكوفة، لكنه فى النخيلة أفصح عما فى مكنونه يوم

خطب الناس، وقال: إنى ما قاتلتكم لتصوموا أو لتحجوا وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم

وقد أعطيت الحسن شروطا كلها تحت قدمى))(1) فاستفز بذلك الإمام الحسن عليه السلام

وأغضبه، ثم حاول مع صنوه عمرو بن العاص استغلال غضب الإمام بإجباره على

التكلم أمام الناس، فمعاوية و بحث و دس من عمرو بن العاص طلب من الحسن عليه السلام

أن يتكلم أمام الناس ليحرجه، فالمسلم بصحته أن بطل التحكيم السياسى العتيد عمرو

بن العاص كان قد أعد للصلح مفاجأته، كما أعد للهزيمة فى صفين مفاجأة التحكيم،

قال الطبرى: ((وكان عمرو بن العاص حين اجتمعوا بالكوفة قد كلم معاوية وأمره أن

يأمر الحسن أن يقوم و يخطب الناس فكره ذلك معاوية، وقال: ما تريد إلى أن يخطب

الناس؟ فقال عمرو: لكنى أريد أن يبدو عيه للناس، فلم يزل عمرو بمعاوية حتى

أطاعه، فخرج معاوية فخطب الناس، ثم أمر رجلا فنادى الحسن بن على فقال: قم يا

حسن فكلم الناس، فتشهد فى بديهة أمر لم يرو فيه، ثم قال: أما بعد، أيها الناس، فإن الله

قد هداكم بأولنا و حقن دماءكم بآخرنا، وإن لهذا الأمر مدة و الدنيا دول، وإن الله تعالى

1- اهل البيت، الحسن بن على، توفيق ابو علم ص12

قال لنبيه:((و ان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين)) فلما قالها قال معاوية: إجلس فلم

يزل ضرما على عمرو، وقال: هذا من رأيک))(1) لقد أراد معاوية برفضه لشروط الصلح

استفزاز الإمام و إغضابه، وأراد عمرو بن العاص إجباره على صعود المنبر و إلقاء خطبة

فى الخاصة و العامة وهو بحالة الغضب تلک عسى أن يتفوه بما يغضب معاوية فيستحل

قتله دون أن يلومه احد باعتبار أن الحسن عليه السلام هدده أو تطاول عليه أمام الجماهير الغفيرة

التى كانت حاضرة، وهو ليس بملام بقتله!.

أما العسقلانى فإنه كعادته حرف الكلام عن مواضعه فقال فى الشرح أن معاوية

هو الذى طلب من الحسن أن يخطب، وأن الحسن امتدح معاوية فى خطابه، فقال:

((والمحفوظ أن كلام الحسن الأخير إنما وقع بعد الصلح والاجتماع كما أخرجه سعيد بن

منصور والبيهقى فى (الدلائل) من طريقه ومن طريق غيره بسندهما إلى الشعبى قال: لما

صالح الحسن بن على معاوية، قال له معاوية قم فتكلم، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم

قال أما بعد؛ فإن أكيس الكيس التقى وإن أعجز العجز الفجور، ألا و إن هذا الأمر الذى

اختلفت فيه أنا ومعاوية حق لامرئ كان أحق به منى، أو حق لى تركته لإرادة إصلاح

المسلمين و حقن دمائهم، وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين. ثم استغفر ونزل)).

هنا تعاون ابن كثير و العسقلانى لتشويه هذه الواقعة، فابن كثير عجز عن إنكار

دور عمرو الذى تحدث عنه الطبرى، ولكنه أخفى اسم المحرض، فقال: ((قال محمد بن

سعد، عن هوذة بن خليفة، عن عوف، عن محمد بن سيرين قال: لما دخل معاوية الكوفة

وبايعه الحسن بن على عليه السلام، قال أصحاب معاوية لمعاوية: مر الحسن بن على أن يخطب،

فإنه حديث السن عيى، فلعله يتلعثم فيتضع فى قلوب الناس. فأمره، فقام فاختطب،

1- الطبری، المجلد۳، ص۹٤۳.

خطبته: أيها الناس، والله لو ابتغيتم بين جابلق وجابرس رجلا جده نبى

أخى لم تجدوه، وإنا قد أعطينا بيعتنا لمعاوية، ورأينا أن حقن دماء المسلمين

خير من إهراقها، والله ما أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين. وأشار إلى معاوية،

فغضب من ذلک وقال: ما أردت من هذه؟ قال: أردت منها ما أراد الله منها. فصعد

معاوية وخطب بعده. وقد رواه غير واحد و قدمنا أن معاوية عتب عل أصحابه))(1).

اما أحفاد الفصيل السى^ليا٠^^^اولوا طمس سق كب

والتغطية عل فعل السياسيين وكيدهم، وترئة عمرو بن العاص من الدسيسة والكيد

والتآمر، فضلا عن تبييض صورة معاوية وإظهاره بمظهر الرحيم بالحسنهإ، فقال

الشيغ مئ ائم٠ اكمس^^^^ة من الحسص^^^^^^^^^^^^٠ جوع الناس ويعلمهم

إلى الحسنبكل أدب ولطف وألممس منه أن خيطب! هكذا أراد الشغ لملمة تلک

المؤامرة،فيا عجبا لشدة مكرهم وعظيم كنهبم!.

ولم يكتف العسقلانيوأحغى1لسياسيين من بعده هبذا التضليل فلجأ العسقلانى

. متفرقة لكى لا يفتضح

أمره، فقال مرة: ومن طريق عوانة بن الحكم نحوه، وزاد وكان الحن صالح معاوية

عل أن يجعل له ما فى بيت مال الكوفة، وأن يكون له خراج دار أبجرد)).

وقال ثانية: <(وذكر محمد بن قدامة فى ((كتاب الخراج)) بند قوى إلى أى بصى^

الحن بن عل يقول فى خطبته عند معاوية: إنى اشرطت عل معاوية

والنهاية، ج١٣ ،ص ٢٠٥.

مصدر سابق، ص ١٨٧.

الخلافة بعده)).

وقال ثالثة: ((وأخرج يعقوب بن سفيان بسند صحيح إلى الزهرى قال: كاتب الحسن بن على معاوية واشترط لنفسه فوصلت الصحيفة لمعاوية وقد أرسل إلى الحسن يسأله الصلح ومع الرسول صحيفة بيضاء مختوم على أسفلها وكتب إليه أن اشترط ما شئت فهو لک، فاشترط الحسن أضعاف ما كان سأل أولا، فلما التقيا وبايعه الحسن سأله أن يعطيه ما اشترط فى السجل الذى ختم معاوية فى أسفله؛ فتمسک معاوية إلا ما كان الحسن سأله أولا، واحتج بأنه أجاب سؤاله أول ما وقف عليه فاختلفا فى ذلک فلم ينفذ للحسن من الشرطين شىء)). وسنتكلم عن الشروط لاحقا.

ص :662

الفصل الخامس المدارس الفقهية و موضوع الصلح

اشارة

ص :664

المدارس الفقهية وموضوع الصُلح

تباينت الآراء والرؤى حول الصلح بكليته وجزئيته ليس فى المدرسة الفقهية

الواحدة، بل فى كل مدارس الفقه، فمقابل العمومية وشبه الانغلاق الشيعى نجد

فى الجانب الآخر انفتاحا على الصلح بكليته وتوسعا فى جزئياته وبناء قواعد فقهية

قائمة على نتائج ما وصلهم عن الصلح من أحاديث أسست لمشروع فقهى غاية فى

التعقيد والتنوع، ومن الجزئيات التى أشبعوها بحثا و شيدوا على نتائج بحوثهم التى

استخلصوها منها قواعد فقهية كان حديث (ابنى هذا سيد) وهو حديث قلق غير

مستقر، مشكوك فى صحته، ومع ذلك تكاد لا تجد كتاب حديث من الصحاح إلى السنن

إلى المسانيد إلا وقد خصه بالشرح و التعليل والتحليل و التأويل وبشكل مطول موسع،

تبعا للصيغ المختلفة له ولاسيما نهاياته التى ورد فى بعضها (فئتين عظيمتين) وفى بعضها

(فئتين مسلمتين) وفى بعضها الآخر (فئتين مسلمتين عظيمتين) بل وفى بعضها (فئتين

مؤمنتين)، ومن صيغه:

• ((إن ابنى هذا سيد يصلح الله على يديه فئتين عظيمتين،))

أورده بهذه الصيغة الترمذى فى سننه عن الحسن (البصرى) عنابى بكرة قال:

((صعد رسول الله صلى الله عليه و آله المنبر فقال: وأورد الحديث ثم قال: هذا حديث حسن صحيح.(1)

1- سنن الترمذى، محمد بن عيسى بن سورة الترمذى، دار الكتب العلمية، بيروت، حديث رقم ٣٧٧٣.

كما أورده الأخوذی فی التحفة: حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن عبد الله

الأنصاری حدثنا الأشعث هو ابن عبد الملک عن الحسن عن ابی بکرة و أورد الحدیث))(1)

• حدیث ((إن ابنی هذا سید و لعل الله أن یصلح به بین فئتین من المسلمین

عظیمتین)).

أورده بهذه الصیغة کل من النسائی عن أبی موسی إسرائیل بن موسی قال: ((سمعت

الحسن یقول: سمعت أبا بکرة یقول: لقد رأیت رسول الله صل الله علیه واله علی المنبر والحسن معه

وهو یقبل علی الناس مرة وعلیه مرة ویقول)) ثم أکمل الحدیث(2).

• حدیث ((إن ابنی هذا سید و إنی أرجو أن یصلح الله به بین فئتین من امتی)).

أورده أبو داود فی سننه، بنفس السند، وقال: ((فی حدیث حماد ولعل الله أن یصلح

به بین فئتین من المسلمین عظیمتین))(3)

• حدیث ((إن ابنی هذا لسید إن یعش یصلح بین طائفتین من المسلمین))

أورده الإمام أحمد فی مسنده وکرره خمس مرات حدیث رقم ١٩٩٦٠ حدثنا:

عبد الرزاق، أخبرنا: معمر، أخبرنی: من سمع الحسن یحدث عن أبی بکرة، قال: ((کان

النبی صل الله علیه واله یحدثنا یوما والحسن بن علی فی حجره فیقبل علی أصحابه فیحدثهم ثم یقبل علی

الحسن فیقبله، ثم قال: إن ابنی هذا لسید إن یعش یصلح بین طائفتین من المسلمین))،

1- تحفة الأحوذی، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحیم المبارکفوری، دار الکتب العلمیة، ص ١٨٩، حدیث ٣٧٧٣.

2- سنن النسائی، أحمد بن شعیب بن علی بن سنان بن بجر النسائی، مکتب المطبوعات الإسلامیة، سنة النشر: ١٤١٤ / ١٩٩٤م حدیث رقم ١٤١٠.

3- سنن ابی داود، سلیمان بن الأشعث السجستانی الأزدی، المکتبة العصریة،باب ما یدل علی ترک الکلام فی الفتنة حدیث ٤٦٦٢.

وحديث رقم ١٩٩٣٥ حدثنا: هاشم حدثنا: المبارک حدثنا: الحسن حدثنا: أبو بکرة

قال: ((کان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلى بالناس وکان الحسن بن على رضى الله عنه يثب على ظهره إذا

سجد، ففعل ذلک غير مرة، فقالوا له: والله إنک لتفعل بهذا شيئا ما رأيناک تفعله بأحد؟

قال المبارک: فذکر شيئا ثم قال: إن ابنى هذا سيد و سيصلح الله تبارک وتعالى به بين

فئتين من المسلمين، فقال الحسن فوالله والله بعد أن ولى لم يهرق فى خلافته ملء محجمة

من دم))،. وحديث رقم ١٩٩٨٦ حدثنا مؤمل، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا على بن زيد،

عن الحسن، عن أبى بکرة قال: ((بينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم يخطب إذ جاء الحسن بن

على فصعد إليه المنبر فضمه النبى صلى الله عليه وآله إليه ومسح على رأسه و قال: ابنى هذا سيد ولعل

الله أن يصلح على يديه بين فئتين عظيمتين من المسلمين.. وحديث رقم ١٩٩٩٤

حدثنا عفان، حدثنا مبارک بن فضالة، عن الحسن أخبرنى أبو بکرة: ((أن رسول الله صلى الله عليه وآله

کان يصلى فإذا سجد وثب الحسن على ظهره وعلى عنقه فيرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رفعا رفيقا

لئلا يصرع قال: فعل ذلک غير مرة، فد قضى صلاته قالوا: يا رسول الله رأيناک صنعت

بالحسن شيئا ما رأيناک صنعته؟ قال: إنه ريحانتى من الدنيا و إن ابنى هذا سيد وعسى

الله تبارک وتعالى أن يصلح به بين فئتين من المسلمين)). وحديث رقم ١٩٨٧٩ حدثنا

سفيان، عن أبى موسى ويقال له إسرائيل، قال:((سمعت الحسن قال: سمعت أبا بکرة،

وقال: سفيان مرة عن أبى بکرة رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله على المنبر وحسن عليه السلام معه وهو يقبل

على الناس مرة وعليه مرة ويقول: إن ابنى هذا سيد ولعل الله تبارک وتعالى أن يصلح

به بين فئتين من المسلمين))(1).

وورد فى مصنف عبد الرزاق عن أخبرنا عبد الرزاق عن معمر قال: ((أخبرنى من

1- المسند، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، دار إحياء التراث العربى،سنة النشر: ١٤١٤ ١٩٩٣م، ص٣٨

سمع الحسن يحدث عن ابى بكرة قال: كان النبى صلى الله عليه وآله يحدثنا يوما والحسن بن على فى

حجره، فيقبل على أصحابه، فيحدثهم ثم يقبل على الحسن فيقبله ثم قال: ابنى هذا

سيد، إن يعش يصلح بين طائفتين من المسلمين)).(1)

وورد فى عون المعبود، باب ما يدل على ترک الكلام فى الفتنة: حدثنا مسدد و مسلم

بن إبراهيم قال: حدثنا حماد عن على بن زيد عن الحسن عن ابى بكرة، وحدثنا محمد بن

المثنى عن محمد بن عبد الله الأنصارى قال: حدثنى الأشعث عن الحسن عن ابى بكرة

قال: ((قال رسول الله صلى الله عليه وآله للحسن بن على: إن ابنى هذا سيد و إنى أرجو أن يصلح الله به

بين فئتين من أمتى. وقال فى حديث حماد و لعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين

عظيمتين)).

وورد فى شرح السيوطى لسنن النسائى أخبرنا: محمد بن منصور قال: حدثنا

سفيان قال: حدثنا أبو موسى إسرائيل بن موسى قال: سمعت الحسن يقول: سمعت

أبا بكرة يقول: ((لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله على المنبر والحسن معه وهو يقبل على الناس

مرة وعليه مرة ويقول: إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين

عظيمتين))(2).

• حديث ((إن ابنى هذا سيد، وإن الله سيصلح به بين فئتين من المسلمين))

ورد فى البحر الزخار: حدثنا أحمد بن منصور الرمادى، قال: حدثنا أبو داود، عن

أبى فضالة، وهو مبارک بن فضالة، عن الحسن، قال حدثنى أبو بكرة رضى الله عنه أن رسول

1- مصنف عبد الرزاق،أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعانى، المكتب الإسلامى، سنة النشر: ١٤٠3 / ١٩٨٣م، حديث رقم ٢٠٩٨١

2- شرح السيوطى لسنن النسائى،جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى، دار البشائر الإسلامية، سنة النشر: ١٤٠٦ / ١٩٨٦ م، حديث رقم ١٤١٠.

الله صلى الله عليه وآله ، قال فى الحسن بن على: ((إن ابنى هذا سيد، وإن الله سيصلح به بين فئتين من

المسلمين)).(1)

• حديث ((إن ابنى هذا سيد عسى أن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين)).

ورد فى البحر الزخار: حدثنا أحمد بن منصور، قال: حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنا

مبارک بن فضالة، عن الحسن، قال: حدثنى أبو بكرة رضى الله عنه قال: ((كان النبى صلى الله عليه وآله يصلى بنا

فكان الحسن بن على يجئ وهو صغير كما سجد النبى صلى الله عليه وآله وثب على رقبته وظهره فيرفع

النبى رأسه رفعا رفيقا حتى يضعه قالوا: يا رسول الله، إنک لتصنع بذا الصبى شيئا ما

رأيناک تصنعه، قال: إنه ريحانتى من الدنيا إن ابنى هذا سيد على أن يصلح الله به بين

فئتين من المسلمين))(2).

وورد فى مرقاة المفاتيح عن أبى بكرة رضى الله عنه قال: ((رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله على المنبر

والحسن بن على إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه مرة، ويقول: إن ابنى هذا

سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين))(3).

وورد فى المعجم الصغير للطبرانى حدثنا لؤلؤ الرومى مولى أحمد بن طولون

البغدادى، حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا عبد الرحمن بن شيبة الجدى، حدثنا هشيم

عن يونس بن عبيد، ومنصور بن زاذان، عن الحسن، عن أبى بكرة قال: ((رأيت رسول

1- البحر الزخار المعروف بمسند البزار،أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكى البزار، ص ١١٠، الجزء التاسع، حديث رقم ٣٦٥٦.
2- البحر الزخار المعروف بمسند البزار،أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكى البزار، ص ١١٠، الجزء التاسع، حديث رقم ٣٦٥٧.
3- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح،على بن سلطان محمد القارى، دار الفكر،سنة النشر: ١٤٢٢ / ٢٠٠٢م، ص ٣٩٧٠، حديث رقم ٦١٤٤.

الله صلى الله عليه وآله على المنبر و معه الحسن بن على وهو يقول: إن ابنى هذا سيد، وإن الله عز وجل

سيصلح على يديه بين فئتين عظيمتين من المسلمين))(1).

كما ورد فى المعجم الأوسط: حدثنا أحمد قال: حدثنا الفيض بن وثيق الثقفى قال:

حدثنا أبو زهير عبد الرحمن بن مغراء عن الأعمش عن ابى سفيان عن جابر قال: ((قال

رسول الله صلى الله عليه وآله فى الحسن بن على: إن ابنى هذا سيد، وليصلحن الله به بين فئتين من

المسلمين عظيمتين)). (2)

وفى البخارى عن أبى بكرة رضى الله عنه ((إن النبى صلى الله عليه وآله قال: إن ابنى هذا سيد، وإن الله يصلح

به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)).(3)

وورد فى حلية أبى نعيم: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا يوسف القاضى،

حدثنا أبو الوليد الطيالسى، حدثنا مبارک بن فضالة، حدثنا الحسن، حدثنى أبو بكرة،

قال: ((كان النبى صلى الله عليه وآله يصلى بنا فيجىء الحسن وهو ساجد، صبى صغير، حتى يصير على

ظهره أو رقبته فيرفعه رفعا رفيقا، فلما صلى صلاته، قالوا: يا رسول الله إنک لتصنع بهذا

الصبى شيئا لا تصنعه بأحد، فقال: إن هذا ريحانتى، وإن ابنى هذا سيد، وعسى الله أن

يصلح به بين فئتين من المسلمين)) (4).

1- المعجم الصغير،أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمى الطيران، دار الفكر،سنة النشر: ١٤١٨ / ١٩٩٧م، ص ٢٧١، حديث ٧٣٤، باب اللام.

2- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد المعروف(الطيران)،مكتبة المعارف، سنة النشر: ١٤٠5 / 1985م، ج ٢، ص ٤٨٢، حديث ١٨٣١.

3- منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة القدرية،أبو العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية،مكتبة ابن تيمية، سنة النشر: ١٤٠٦ / ١٩٨٦ م، ج ٨، ص١٤٤_ ١٤٥.

4- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،الإمام الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهانى، ص ٣٥، حديث ١٣٢ .

وورد فی فتح الباری للعسقلانی فی باب مناقب الحسن والحسین: حدثنا صدقة

حدثنا ابن عیینة حدثنا أبو موسی عن الحسن سمع أبا بکرة، قال: ((سمعت النبی صلی الله علیه وآله

علی المنبر والحسن إلی جنبه ینظر إلی الناس مرة وإلیه مرة ویقول: ابنی هذا سید ولعل

الله أن یصلح به بین فئتین من المسلمین))(1).

کما ورد فی فتح الباری فی (باب قول النبی صلی الله علیه وآله للحسن بن علی إن ابنی هذا لسید

ولعل الله أن یصلح به بین فئتین من المسلمین)، حدیث ٦٦٩٢، صلی الله علیه وآله ((ابنی هذا سید

ولعل الله أن یصلح به بین فئتین من المسلمین))(2).

وورد فی البخاری بصیغة ((ابنی هذا سید ولعل الله أن یصلح به بین فئتین من

المسلمین))(3) کما ورد فی کتاب الصلح من البخاری بصیغة ((ابنی هذا سید ولعل الله

أن یصلح به بین فئتین عظیمتین من المسلمین))(4) حیث وردت الصفة (عظیمتین) فی

واحد منهما ولم تردفی الثانی. وأخیرا و لیس آخرا أورده ابن تیمیة فی منهاج السنة النبویة.

وفی کل هذه الأحادیث هناک لازمة تصف الفئتین المتحاربتین مرة بالعظیمتین

وأخری بالمسلمتین وثالثة بالمؤمنتین، واللازمة الثالثة ترد عرضیا فی حدیثهم وجدلهم

وحجاجهم ومنها ما نشره موقع عقیدة أهل السنة: ((وإن ذکرت حدیث عمار فلا تنس

حدیث یصلح الله به بین فئتین من المؤمنین))(5).

1- فتح الباری شرح صحیح البخاری،أحمد بن علی بن حجر العسقلانی، دار الریان للتراث، سنة النشر: ١٤٠٧ ه / ١٩٨٦ م، حدیث ٣٥٣٦، ص ١٢٠، وفی طبعة دار إحیاء التراث العربی برقم ٣٧٤٦، ص٦٦٤ باب مناقب الحسن والحسین رضی الله عنهما.

2- فتح الباری شرح صحیح البخاری،أحمد بن علی بن حجر العسقلانی، ج ١٣، ص ٦٦-٦٧

3- البخاری، طبعة دار إحیاء التراث العربی برقم ٧١٠٩، ص ١٢٥٦.

4- البخاری، طبعة دار إحیاء الراث العربی برقم ٢٧٠٤، ص ٤٧٨.

5- موقع (عقیدة أهل السنة و الجامعة عبر العصور من السلف والخلف الصالح) تحت عنوان:

أما مضمون الحديث فمرة يبدو برجاء وأمل التحقق مع استخدام كلمة (عسى)

أو (لعل)، ومرة يبدو جازما قاطعا، ومرة يبدو احتماليا، وهكذا تنوعت صيغه فكانت

خلاصتها: يصلح الله على يديه / ولعل الله أن يصلح به/ وإن الله يصلح به بين فئتين /

وإنى أرجو أن يصلح الله به / إن يعش يصلح بين طائفتين / وسيصلح الله تبارک وتعالى

به بين فئتين / سيصلح به بين فئتين / ولعل الله أن يصلح على يديه / وعسى الله تبارک

وتعالى أن يصلح به / ولعل الله تبارک وتعالى أن يصلح به /وليصلحن الله به بين فئتين

وهكذا تجد مئات الروايات التى تذكر الحديث بما يبدو وكأنه تكرر أكثر من مرة فى

أكثر من مكان، فى إحداها كان النبى صلى الله عليه و آله يخطب فجاءه الحسن عليه السلام، وفى الثانية كان يصلى

وفى الثالثة كان جالسا مع أصحابه، وهكذا،وكلها بالرغم من اختلافها وتباينها وتعدد

أماكنها موقوفة على(ابى بكرة) وحده من دون مائة وأربعة وعشرين ألف صحابى مات

عنهم رسول الله صلى الله عليه و آله . لكن التكرار والتنوع لم يشفع لهذا الحديث بالثبات أمام الجرح

والتعديل الذى أثبت ضعفه ووضعه، أو يصمد أمام هجمات السياسيين الذين لم يلتفتوا

إلى توهين العلماء له، فأرادوا سلخ هذه الكرامة من الحسن وإلباسها لمعاوية بعد أن

وضعوا للحديث صيغ مختلفة تنوعت وتلونت، وتلاعبوا به فشوهوه وأفرغوه من

محتواه بالرغم من ضعفه، ولاسيما حينما حاولوا أن يضفوا على معاوية مبادرة السبق

بطلب الصلح حقنا لدماء المسلمين لكونه بزعمهم أرحم بهم من الحسن عليه السلام بالأمة.

ضمن سياقات التحريف كانت لهم منظومة من الوقائع تجدها متطابقة كليا مع

منهجهم القديم. وقد كان الحديث النبوى أحد ميادينهم التى خاضوها دون التفات

لما يحدثه تحريف الحديث النبوى من اثر كبير على الإسلام أولا وعلى المحرف نفسه

(الأجوبة الأزهرية على الشبه الشيعية) .

الذى يبوء بغضب الله تبعا لحديث: «من كذب على فليتبوأ مقعده من النار » وهو

حديث متفق عليه. وكان حديث «وأن الله يصلح به بين فئتين » خير مثال على تلاعبهم

بالسنة، فالحديث جاء بصيغ وطرق مختلفة وكثيرة اتفقت غالباً على نوع الفئتين اللتين

سوف يصلح بينهما الإمام الحسن عليه السلام وهما: «فئتين من المسلمين مؤمنتين عظيمتين »

ولا شيء أكثر، وفى مثل هذه الحال قد تكون الفئتان العظيمتان مؤمنتان كلتاهما وقد

تكون واحدة مؤمنة والأخرى باغية معتدية، وقد تكون إحداهما على حق والأخرى

على باطل، وتبقى كل الاحتمالات مفتوحة على هذا النص. أما إذا ما تم تغيير كلمة

واحدة منه فإن المعنى ينقلب رأساً على عقب ويتغير كامل مضمون الحديث، بمعنى

أنک لو وضعت كلمة)مؤمنتين(بدل كلمة)عظيمتين(فمعناه انک حكمت بالإيمان

لكلا الطرفين، وهو الأمر المستحيل خروجه من فم النبى صلى الله عليه وآله لأنه يعرف أن إحدى

الفئتين ستكون مؤمنة والأخرى مسلمة باغية، وفرق كبير بين الإيمان والإسلام(قالت الاعراب ءامنا قل لم تؤمنوا و لكن قولوا أسلمنا)(1).
أما القلق وفقدان الاستقرار اللذان

وصفت بهما الحديث بالرغم من وروده فى اغلب كتب الحديث والتاريخ فهو ناشئ

من كونه كثير التلون، وينتهى سنده إلى شخص واحد هناک شک بصدقه، وإيمان أكيد

بصحة ولائه الأموى القرابى وهو)أبو بكرة(وعليه مدار هذا الحديث.

وكما غامر أبو بكرة فى روايته لهذا الحديث غامر العسقلانى كثيراً عند شرحه له،

كما ونقل مغامرات قومه وصحبه مع الحديث، فهم الذين أضافوا له جملا وكلمات لم

يفطن إليها من وضعه، لها من الدلالات ما يوهن مركزية الحديث ومقصده الأول،

فكلمات مثل:)ولعل الله أن يصلح به(و)وإنى لأرجو أن يصلح الله به(و)سيد يصلح

الله به(و)يصلح الله على يديه(و)أرجو أن يصلح الله به(و)إن يعش يصلح بين

1- الحجرات 1

طائفتين) و (و سيصلح الله تبارک وتعالى به بين فئتين)و(وعسى الله تبارک وتعالى أن

يصلح به بين فئتين) إنما جيء بها للتأثير على عقلية المتلقى فلا يكاد يركز على جوهر

الموضوع بقدر انشغاله بفرعيات لا تسمن ولا تغنى من جوع. وعن قولهم (لعل الله)

قال العسقلانى: «قوله: (ولعل الله أن يصلح به) كذا استعمل (لعل) استعمال عسى

لاشتراكهما فى الرجاء »)(1) إذن هى مجرد أمنية تمناها النبى صلى الله عليه و آله لولده الحسن عليه السلام لا أكثر،

فهل يعقل ذلک؟

ومن هذا الحديث وشرح العسقلانى لمحتواه كوَّنوا منظومة فقهية طويلة عريضة

بما يؤكد بأن السياسيين العرب كانوا متمكنين من صنعتهم السياسية وهو ما جعلهم

يؤثرون بشكل مباشر على عقل الأمة وعقل أتباعهم ومريدهم وأعوانهم لدرجة أنهم

حرَّفوا مقاصد رسول الله صلى الله عليه و آله الذى امتدح بالصلح الإمام الحسن عليه السلام فجعلوا من

موضوع الصلح كرامة لمعاوية وهزيمة للإمام الحسن عليه السلام الذى يدَّعون بأنه باع الخلافة

الشرعية مقابل مال قليل، لا يسمن ولا يغنى من جوع. ثم قاموا باستنباط الأحكام

الفقهية من تفرعات هذا الحديث وجعلوا الأمة تتعبد بمحتواها! وهى أحكام شرعية

وقواعد فقهية جاءت لترسيخ ما أرادته السياسة وما حققته على أرض الواقع، ومنها:

- القاعدة الأولى: (المفضول والفاضل) فى الخلافة:

حيث استنتجوا من خلال الحديث: أن الخلافة تصح للمفضول مع وجود الفاضل،

ليس للتأكيد طبعاً على أن الإمام الحسن الذى تنازل عن الخلافة كان هو (الفاضل)ولا

معاوية الذى توج حاكما كان (مفضولا)، بل لأن هناک بين المسلمين من هو أفضل من

الحسن عليه السلام ومن معاوية وأجدر بالخلافة منهما حسب زعمهم مثل سعد بن أبى وقاص

1- فتح الباری، الجزء ۱۳،ص ۷۱

وسعيد بن زيد باعتبار أنهما اشتركا فى معركة بدر!، حيث قال العسقلانى: ((وفيه ولاية

المفضول الخلافة مع وجود الأفضل لأن الحسن ومعاوية ولى كل منهما الخلافة وسعد

بن أبى وقاص وسعيد بن زيد فى الحياة وهما بدريان))(1).

وهى القاعدة التى عللها الباقلانى بقوله: «وأما ما يدل على جواز العقد للمفضول

وترك الأفضل لخوف الفتنة والتهارج فهو أن الإمام إنما ينصب لدفع العدو وحماية

البيضة وسد الخلل وإقامة الحدود واستخراج الحقوق فإذا خيف بإقامة أفضلهم الهرج

والفساد والتغالب وترك الطاعة واختلاف السيوف وتعطيل الأحكام والحقوق وطمع

عدو المسلمين فى اهتضامهم وتوهين أمرهم صار ذلك عذراً واضحاً فى العدول عن

الفاضل إلى المفضول »)(2) أما ما كانوا يبغونه من مجمل هذه الأقوال ومن القاعدة الفقهية

نفسها فمعروفة أصوله ودوافعه.

- القاعدة الثانية: جواز تنازل الخليفة لمن يتمرد عليه ويحاربه حقنا للدماء:

حيث قال: «الحسن بن على ترك الملك لا لقلة ولا لذلة ولا لعلة بل لرغبته فيما عند

الله لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة »(3)

- القاعدة الثالثة: رأفة الشخص ترشحه للخلافة:

ومعاوية بزعمهم أحق من الحسن عليه السلام بالخلافة لأنه رؤوف بالناس أكثر من

الحسن عليه السلام، حيث قال الباقلانى: «وفيه فضيلة الإصلاح بين الناس ولاسيما فى حقن

1- المصدر نفسه، العسقلانى، ص ٧٢

2- تمهيد الأوائل فى تلخيص الدلائل، القاضى أبو بكر محمد بن طيب الباقلانى، تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتاب الثقافية، ١٤٠٧ ه / ١٩٨٧ م، ص ٤٧٥

3- العسقلانى، المصدر نفسه، ص ٧٢

دماء المسلمين، ودلالة على رأفة معاوية بالرعية، وشفقته على المسلمين، وقوة نظره فى

تدبير الملك، ونظره فى العواقب » وليس الباقلانى وحده من يرى فى معاوية كل تلك

الرأفة والرحمة والحنان، فهم جميعا يشتركون فى هذا القول، فالدكتور على محمد الصلابى

يقول فى مقدمة كتابه: «وَوَضَّحْتُ صفات معاوية والتى من أهمها: العلم والفقه والحلم

والعفو والدهاء والحيلة وعقليته الفذة وقدرته على الاستيعاب وتواضعه وورعه

وبكاؤه من خشية الله »(1)

● القاعدة الرابعة: جواز تنازل الخليفة مقابل الحصول على المال الكثير، أى بيع

الخلافة:

حيث قال: «قاله ابن التين، وفيه جواز خلع الخليفة نفسه إذا رأى فى ذلك صلاحا

للمسلمين والنزول عن الوظائف الدينية والدنيوية بالمال وجواز أخذ المال على ذلك

وإعطائه بعد استيفاء شرائطه » ويعنى هذا حسب رأى العسقلانى أن الإمام الحسن عليه السلام

تنازل عن الإمامتين الدينية والدنيوية إلى معاوية مقابل المال فحسب، وهذا بالضبط ما

كان معاوية يبحث عنه وهو أن يعده الناس إماما دينيا وهو شىء كبير فى كل المقاييس.

وربما لهذا السبب ولكى يبينوا قيمة الخلافة التى تنازل عنها الحسنعليه السلام قالوا أن

معاوية وهبه خمسمائة مليون درهم، كما فى قول سفيان: «فصالح الحسن على شروط

ووثائق، وحمل معاوية إلى الحسن مالاً عظيماً يقال خمس مائة ألف ألف درهم »(2)

بالمناسبة رأيناهم كيف تحدثوا عن أزمة بين الإمام الحسن عليه السلام وقيس بن سعد،

1- معاوية بن أبى سفيان شخصيته وعصره، على محمد الصلابى، ط 6، دار المعرفة، بيروت، 1432 هـ_2011 م، ص 8

2- المستدرک، ج 3 ص 191

ثم جاءوا بما يبدو وكأنهم يفضلون قيس على الحسن لأن قيس لم يطلب المال كما فعل الحسن، والرواية لابن الأثير يتحدث فيها عن صلح قيس بن سعد مع معاوية بعد أن صالح الحسن: «فلما بعث إليه معاوية ذلک السجل اشترط قيس له ولشيعة على الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال، ولم يسأل فى سجله ذلک مالاً »(1) وكم هم واهمون أولئک الذين وضعوا هذه القاعدة وأدخلوها إلى أصل عقيدتهم، دون أن ينتبهوا إلى أنها تتعارض مع القواعد التى سبقتها، فقد يكون المتنازل له)المنزول له(غير رؤوف ولا رحيم فيظلم الناس، وقد يكون سبباً فى الفتنة والتهارج لأنه لا فاضل ولا مفضول، وقد يكون عاجزا عن حماية أرض الإسلام!.

- القاعدة الخامسة: وجوب أن يكون لكل من الباذل والمبذول له سبب فى الولاية يستند إليه:

حيث قال: «وجواز أخذ المال على ذلک وإعطائه بعد استيفاء شرائطه بأن يكون المنزول له أولى من النازل وأن يكون المبذول من مال الباذل. فإن كان فى ولاية عامة وكان المبذول من بيت المال اشترط أن تكون المصلحة فى ذلک عامة، أشار إلى ذلک ابن بطال، قال: يشترط أن يكون لكل من الباذل والمبذول له سبب فى الولاية يستند إليه، وعقد من الأمور يعول عليه .»

- القاعدة السادسة: فى دلالات معنى)سيد(: وهى قاعدة تستحق التوسع فى الحديث عنها.

نحن نعرف أن السياسيين ومدرسة الإسلام الأموى نجحوا سوية فى تغيير معنى ألفاظ الكثير من المصطلحات الإسلامية و لَمحّوا الكلمات أكثر من طاقتها ليفرغوها من

1- الكامل، ج 13 ، ص 35

معناها القدسی ویلبسوها معنا دنیویا باهت الملامح بفعل التدلیس کما فعلوا مع کلمة

(مولی)مثلا فی حدیث)من کنت مولاه(وهو حدیث متواتر، ولقد أعملوا فکرهم مع

کلمة أخری وردت فی حدیث مشکوک بصحته سنداً ومتناً، موقوف علی)أبی بکرة(هو

حدیث)ابنی هذا سید(، والکلمة المقصودة هی کلمة (سید). وقبل الحدیث عن دلالة

کلمة (سید) التی تعرضت إلی التلاعب الکبیر تماما مثل کلمة)مولی(أبغی الحدیث

أولا عن سیرة شخص وجدنا أن الحدیث الذی وردت فیه هذه الکلمة موقوفاً علیه،

وعنه أخذ الرواة ونقلوا، وکتب المدونون ونشروا، وهو الصحابی أبو بکرة.

أبو بکرة رجل منحرف عن خط الإمامة المعصومة. ویکفی دلیلاً علی انحرافه أنه

کان یخنع الناس ویمنعهم من نصرة الإمام علی علیه السلام:« وکان أبو بکرة لما قدم علی علیه السلام

البصرة لقی الحسن بن أبی الحسن (البصری) وهو متوجه نحو علی فقال: إلی أین؟

قال: إلی علی، قال: سمعت رسول الله صلی الله علیه و آله یقول: ستکون بعدی فتنة النائم فیها خیر من

القاعد، والقاعد فیها خیر من القائم. فلزمت بیتی... فلما کان بعد ذلک لقیت جاریة بن

عبد الله وأبا سعید فقالا: أین کنت أمس؟ فحدثتهما بما قال أبو بکرة، فقالا: لعن الله أبا

بکرة، أساء سمعاً فأساء إجابة، إنما قال النبی صلی الله علیه و آله لأبی موسی: تکون بعدی فتنة أنت فیها

نائم خیر منک قاعد، وأنت فیها قاعد خیر منک ساع »(1)، بمعنی أن النبی صلی الله علیه و آله شَخّصَ

ضلوع أبی موسی بالفتن التی ستقع، فحذره ونصحه عسی أن یردعه،والحدیث موجه

إلیه تحدیداً لا إلی غیره، کحالة فردیة بحتة لأن النبی صلی الله علیه و آله عرف انه سیخوض فی الفتنة.

صحیح أن هناک قاعدة فقهیة معروفة تقول: (العبرة فی عموم اللفظ لا فی خصوص

السبب) ولکنها لا تنطبق علی هذه الحالة الخاصة بأبی موسی الأشعری بدلالة أن جاریة

بن عبید الله وأبا سعید لعنا أبا بکرة الذی خلط فی الحدیث وعممه.

1- الغارات، ص 451 452

البخارى بطريقته المعهودة فى التلاعب بالأحاديث لأسباب سياسية أخرج هذا

الحديث عن الحسن البصرى، قال: «خرجت بسلاحى ليالى الفتنة فاستقبلنى أبو بكرة

فقال: أين تريد؟ قلت: أريد نصرة ابن عم رسول الله، قال: قال رسول الله: إذا تواجه

المسلمان بسيفيهما فكلاهما من أهل النار، قيل فهذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: إنه

أراد قتل صاحبه »(1)

وأبو بكرة بطل هذه الرواية هو: نفيع بن الحارث بن كلدة. قال المزى فى تهذيب

الكمال: «نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبى سلمة، واسمه عبد العزى،

ويقال: ابن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن قسى، وهو ثقيف، أبو بكرة الثقفى، وقيل:

اسمه مسروح، و قيل: نفيع بن مسروح. و قيل: كان أبوه عبدا للحارث بن كلدة الثقفى

فاستلحقه الحارث، وهو أخو زياد لأمه، وكانت أمهما سمية أمة للحارث بن كلدة،

و إنما قيل له أبو بكرة لأنه تدلى إلى النبى صلى الله عليه و آله ببكرة من حصن الطائف، فكنى أبا بكرة

وأعتقه رسول الله يومئذ، وكان نادى منادى رسول الله يومئذ: أن من نزل إليه من عبيد

أهل الطائف فهو حر. وقال يعقوب بن سفيان: أبو بكرة نفيع بن الحارث، ونفيع، نافع،

وزياد هم بنو سمية وهم إخوة»(2)

وفى سير أعلام النبلاء: «أبو بكرة الثقفى الطائفى مولى النبى صلى الله عليه و آله. اسمه نفيع بن

الحارث، وقيل: نفيع بن مسروح. تدلى فى حصار الطائف ببكرة، وفر إلى النبى وأسلم

على يده، وأعلمه أنه عبد، فأعتقه. ووفد على معاوية، وأمه سمية، فهو أخو زياد بن أبيه

1- البخارى، كتاب الفتن، باب إذا التقى المسلمان بسيفيهما، ص 1252 - 1253 ، حديث . 7083

2- تهذيب الكمال فى أسماء الرجال

لامه »(1)

وقال ابن عساكر: «أبو بكرة بن الحارث بن كلدة بن عمرو. وقيل: كان عبداً

للحارث بن كلدة، فاستلحقه، وسمية: هى مولاة الحارث، وكان أبو بكرة ينكر أنه ولد

الحارث ويقول: أنا أبو بكرة مولى رسول الله، فإن أبى الناس إلا أن ينسبونى، فأنا نفيع

بن مسروح.. وقال ابن سعد: مات أبو بكرة فى خلافة معاوية بن أبى سفيان بالبصرة »(2)

وتتفق مصادر التاريخ على أنه الأخ غير الشقيق لزياد بن أبيه من أمه، وفضلا عما

أوردناه نجد هناك فى استيعاب ابن عبد البر قوله: «أبو بكرة أخو زياد لأمه... سكن

البصرة ومات بها سنة إحدى وخمسين »(3)

وقال الثقفى فى الغارات: لما بلغ زياداً قدوم عبد الله بن عامر أميراً (على فارس)

أقبل إلى قلعة بفارس فنزلها وهى اليوم تدعى قلعة زياد، ووثب بسر على بنى زياد، عبد

الله، وسالم، ومحمد، فأوقفهم، فخرج عمهم أبو بكرة من البصرة حتى قدم على معاوية،

فقال معاوية: ما جاء بأبى بكرة إلا أمر أخيه زياد وبعد حديث طويل مع معاوية رضى

الأخير وسامحه فطلب منه أبو بكرة الكتابة لبسر بن أرطأة ليطلق سراح أبناء زياد، قال

لمعاوية: «فأكتب إلى بسر فليخل سبيل بنى أخى فإنه قد حبسهم، فكتب إليه: أما بعد

فإن أبا بكرة أتانى وألتمس لأخيه الأمان على ما أحدث والصلح على ما فى يديه، فخل

سبيل بنى أخيه حين يقدم عليك، والسلام »(4).

1- سير أعلام النبلاء، الذهبى، ج 3، ص 5 - 1

2- ينظر: دراسة لمستبصر إماراتى بعنوان «نقض الحديث الموضوع ابنى هذا سيد » نشرها فى موقع شبكة الكافى العقائدية، الرابط، http://alkafi.net/vb/showthread.php?p=1687

3- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، ج 3، ص 5

4- الغارات، ص 445-447

وفى عودة إلى نقاش كلمة)سيد(فى حديث)ابنى هذا سيد(أقول: إن تلك الكلمة تسببت فى إحداث لغط وجدل كبيرين، ولاسيما وأنها بدت ميزاناً معيارياً فضائلياً بين طرفى النزاع التاريخى أهل البيت من جانب والسياسيين ورجالهم من جانب آخر، وأخذت هذه الكلمة مديات لا تقل عن المدى الذى وصلته كلمة)مولى(فى تفسيراتهم وتعليلاتهم وحججهم، وتلحظ أيضا أنهم بالرغم من ذلك وكما فعلوا مع شقيقتها كلمة مولى اعترفوا ضمناً بالمعنى الحقيقى لها بعد أن أغلقت أمامهم الأبواب كلها ولم يشفع لهم التأويل.

المعنى اللغوى لكلمة: (سيد) فى المعجم الوسيط: «السَّيِّدُ: المالكُ. والسَّيِّدُ المَلِكُ. والسَّيِّدُ الموْ ذو العبيد والخدمِ. والسَّيِّدُ المُتَوَ للجماعة الكثيرة. والسَّيِّدُ كلُّ من افتُضرتْ طاعتهُ. والسَّيِّدُ لقبُ تشريف يخاطب به الأشراف من نسْل الرسول. وسيِّدُ كل شيء: أشرفُه وأرفعُه. يقال: القرآن سيِّدُ الكلامِ. والجمع: سادة، وسيائدُ»(1)

وفى لسان العرب، «سيد: الكلام نتلوه وقيل فى قوله عز وجل وسيداً وحصورا،ً السيد الذى يفوق فى الخير قال ابن الأَنبارى: إِن قال قائل: كيف سمى الله عز وجل يحيى سيداً وحصوراً والسيد هو الله إِذ كان مالك الخلق أَجمعين ولا مالك لهم سواه؟ قيل له لم يُرِد بالسيد ههنا المالك وإِنما أَراد الرئيسَ والإِمامَ فى الخير كما تقول العرب فلان سيدنا أَى رئيسنا والذى نعظمه. وسادَ قومَه يَسُودُهم سيادَةً وسُوْدَداً وسَيْدُودَةً فهو سيِّدٌ. وتقول سَوَّدَ قومه وهو أَسودُ من فلان أَى أَجلُّ منه قال الفراء يقال هذا سَيِّدُ قومِه اليوم فإِذا أَخبرت أَنه عن قليل يكون سيدَهم قلت هو سائدُ قومِه عن قليل وسيد. وأَساد الرجلُ وأَسْوَدَ بمعنى أَى وَلدَ غلاماً سيداً »(2)

1- المعجم الوسيط

2- ينظر: لسان العرب، حرف السين، مادة سود

وفی مفردات الراغب: «والسید: المتولی للسواد، أی: الجماعة الکثیرة، وینسب

إلی ذلک فیقال: سید القوم.. ویقال: ساد القوم یسودهم، ولما کان من شرط المتولی

للجماعة أن یکون مهذب النفس قیل لکل من کان فاضلا فی نفسه: سید، وعل ذلک

قوله: (و سیداً و حصوراً)(1) وقوله: (و ألفیا سیدها)(2) فسمی الزوج سیدا لسیاسة

زوجته، وقوله:(ربنآ إنا أطعنا سادتنا)(3) أی ولاتنا وسائسینا »(4)

ومع ذلک، ولکی یمسخوا معنی الکلمة ویربطوا معناها بالصلح وبحراکهم

السیاسی، قالوا: «والسؤدد یدل علی رئاسة مع انتفاع فإذا فقد الانتفاع فقدت السیادة »(5)

ومعنی هذا أن الحسن علیه السلام بتنازله فقد هذا المرکز وفقد السیادة معه! وقالوا: «وفیه أن

السیادة لا تختص بالأفضل، بل هو الرئیس علی القوم والجمع سادة، وهو مشتق من

السؤدد وقیل من السواد لکونه یرأس علی السواد العظیم من الناس أی الأشخاص

الکثیرة. وقال المهلب: الحدیث دال علی أن السیادة إنما یستحقها من ینتفع به الناس،

لکونه علق السیادة بالإصلاح »(6)

ولمثل هذا ذهب القاری فی مرقاة المفاتیح بقوله: «أصله سیود قلبت الواو یاء

وأدغمت. قیل: وهو من لا یغلبه غضبه، وقیل: الذی یفوق فی الخیر، والأول أنیق بما

بعده الآتی، والأظهر الثانی لأنه إنما یطلق حقیقة علی من جمع السیادة نسباً وحسباً وعلماً

1- آل عمران 39

2- یوسف 25

3- الأحزاب 6

4- مفردات ألفاظ القرآن، ص 432 مادة سود

5- فتح الباری شرح صحیح البخاری، 1986 م باب قول النبی صلی الله علیه و آله للحسن بن علی رضی الله عنهما ابنی هذا سید ولعل الله أن یصلح به بین فئتین عظیمتین

6- فتح الباری شرح صحیح البخاری، أحمد بن علی بن حجر العسقلانی

وعملاً (ولعل الله): أتى بصيغة الرجاء إيماء إلى عدم وجوب شيء على المولى، فالمعنى

أرجو منه سبحانه (أن يصلح به)، أي: بسببه (بين فئتين عظيمتين من المسلمين). قال

التوربشتي: كفى به شرفاً وفضلاً فلا أسود ممن سماه رسول الله سيداً »(1)

وعليه خرجوا بنتيجة وقاعدة فقهية مفادها: (إن السيادة لا تختص بالأفضل، بل

هو الرئيس على القوم) ليقولوا من خلالها: وبما أن الحسن عليه السلام تنازل واعتزل الرئاسة

فلم يعد قادراً على نفع الناس ولم يعد رئيساً وخليفة؛ فإن معاوية الرئيس والخليفة هو

السيد لأنه من ينفع الناس والقادر على الإصلاح! وفعلاً جاءوا بحديث يثبت هذا

المعنى الهزيل في (شرح أصول اعتقاد أهل السنة) فضلوا فيه معاوية على عمر وقالوا انه

كان اسود من عمر كما في حديثهم: «حدثنا عبيد الله بن أحمد قال: حدثنا أحمد بن على

بن العلاء قال: زياد بن أيوب، قال: حدثنا أبو سفيان الحميدى قال: حدثنا العوام بن

حوشب، عن جبلة بن سحيم قال: قال ابن عمر: ما رأيت رجلا بعد رسول الله صلى الله عليه و آله كان

أسود من معاوية. فقال له رجل: ولا عمر؟ فقال: عمر كان خيراً منه، وكان هو أسود

منه(2) » أي أن عمر كان خيراً من معاوية، ولكن معاوية كان أسود من عمر، واترك لكم

حل الإشكال!.

ومع أنهم يعدون عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين بعد أن تجاوزوا

الإمام الحسن عليه السلام، إلا أنهم مع ذلك يُسَودون عليه معاوية بل ويعتبرون تراب حافر

فرس معاوية أفضل منه، كما في قولهم: «سُئل عبد الله بن المبارك: عمر بن عبد العزيز

1- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح،على بن سلطان محمد القارى، ص 3970 ، حديث رقم 6

2- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، الجزء الثامن، ص 1529 1530 حديث رقم 2781

أفضل أم معاوية؟ فقال غبارُ دخل فى أنف فرس معاوية حين قاتل مع رسول الله صلى الله عليه و آله

أفضل من كذا عمر بن عبد العزيز »(1) وبالمحصلة والتعويض يكون معاوية أسود من

عمر!.

ومن هذه القاعدة استنتجوا صفات الخليفة المفترض التى يمنع فقدانها ترشيحه

للمنصب إلا بأسباب، والتى بزعمهم لم تكن موجودة عند الإمام الحسن عليه السلام، غير

مدركين أن الإمام الحسن عليه السلام أرفع وأجل قدرا من أن تكون فيه بعض تلك الصفات

التى أوردها والتى تدل على القسوة والظلم، حيث يقول الباقلانى: «فإن قال قائل:

فخبرونا ما صفة الإمام المعقود له عندكم؟ قيل لهم: يجب أن يكون على أوصاف: منها

أن يكون قرشيا من الصميم ومنها أن يكون من العلم بمنزلة من يصلح أن يكون قاضيا

من قضاة المسلمين ومنها أن يكون ذا بصيرة بأمر الحرب وتدبير الجيوش والسرايا وسد

الثغور وحماية البيضة وحفظ الأمن والانتقام من ظالمها والأخذ لمظلومها وما يتعلق

به من مصالحها ومنها أن يكون ممن لا تلحقه رقة أو هوادة فى إقامة الحدود ولا جزع

لضرب الرقاب والأبشار ومنها أن يكون من أمثلهم فى العلم وسائر هذه البواب التى

يمكن التفاضل فيها إلا أن يمنع عارض من إقامة الأفضل فيسوغ نصب المفضول

وليس من صفاته أن يكون معصوماً ولا عالماً بالغيب ولا أفرس الأمة وأشجعهن ولا

أن يكون من بنى هاشم فقط دون غيرهم من قبائل قريش »(2)

ولكى لا نجانب الحقيقة نلزم الباقلانى بما ألزم به نفسه، فهو يقول: «فإن قالوا: فما

تقولون إذا كانت الأمة مفرقة على مذاهب مختلفة وآراء متضادة... قيل لهم فكلهم ولاة

هذا الأمر فأيهم سبق بالعقد لرجل تمت بيعته ولزمت طاعته وصار المخالف عليه باغياً،

1- موقع حقيقة الأخوان المسلمين http://www.anti-ikhwan.com/?p=75

2- تمهيد الأوائل، الباقلانى، ص 4

يجب حربه »(1) بمعنى أن نظرية المفضول والفاضل لا يمكن تطبيقها مع وجود بيعة شرعية لخليفة مسلم بايعته الأمة ورضيت به، ومن لا يرضى ويعترض على هذه البيعة ويخرج على الخليفة يجب على الأمة مقاتلته لا أن تصنع له الأعذار لكى تشرعن حكمه.

وأنا حينما قلت: أن الإمام الحسن عليه السلام أرفع وأجل قدراً من أن تكون فيه بعض تلك الصفات، إنما عنيت أن ما وضعته مدرستنا للخليفة الشرعى من شروط يختلف بعضها كلياً عن شروط مدرسة الخلفاء ويختلف القسم الآخر جزئياً، ونلتقى معهم فى أقسام أخرى، والحقيقة أن أول ما يجب معرفته فى هذا الباب أن المصطلح المستخدم فى مدرستنا هو (الإمامة) وليس (الخلافة) الشائع فى المدارس الأخرى، ومن الممكن توضيح بعض الاختلافات باختصار مثل:

وجوب العدل بمعناه الأوسع بينما تعتقد مدرسة الخلفاء بأن أقل ما يجب فى الخليفة من هذه الخصلة أن يكون ممن يجوز قبول شهادته.

والنسب المعول عليه عندنا أن يكون الإمام هاشمياً قرشياً من آل الرسول صلى الله عليه و آله تحديداً، وعندهم مختلف بشأنه.

والعصمة بمعنى استحالة ارتكاب الإمام لأى من الرذائل صغيرها وكبيرها، وما ظهر منها وما بطن، وهم لا يشترطون ذلك.

والعلم والأعلمية حيث ترى مدرستنا أن الإمام ليس مجرد رجل سياسة وحرب، بل هو الحافظ للشرع بعد النبى صلى الله عليه و آله والمبين للناس أحكام الدين والكاشف لأسراره، ولذا ينبغى أن يكون علمه منسجماً مع هذه المهمة العظيمة. وعندهم أقل ما يكفيه منه أن يبلغ فيه مبلغ المجتهدين بالحلال والحرام.

1- المصدر السابق، ص 47

ونعتقد أن الإمام ينبغى أن يكون أفضل أهل زمانه فى صفات الكمال من شجاعة،

وكرم، وعفة، وصدق، وعدل، وتدبير، وعقل، وحكمة، وخلق. ولا يشترطون هم فى

الخليفة أو الإمام أن يكون أفضل أهل زمانه.

والبلوغ الذى ترى مدرستنا انه ليس شرطاً ما دام الإمام مسدداً بالعلم المكتسب

والعلم اللدنى، بينما يوجبونه هم مع أنهم خالفوه غالبا. ولقد أجاد الشيخ آل ياسين

وصف هذا الاختلاف بيننا وبين الآخرين بقوله: «وخفى عليهم أن الإمامة فى الإسلام

دين كالنبوة نفسها، ويجوز فيها ما يجوز فى النبوة، ولا يجوز عليها ما لا يجوز على النبوة

فى عظمتها. فما شأن الاجتهاد بالسن فى مقابل النص على التعيين.. وما شأن الملاحظات

السياسية فى مقابل كلمات الله وتصريحات نبيه صلى الله عليه و آله. وكانت سن على يوم وفاة الرسول صلى الله عليه و آله

سن عيسى بن مريم يوم رفعه الله، أفيجوز لعيسى أن ينتهى بقصارى نبوته فى الأرض

إلى هذه السن ولا يجوز لعلى أن يبتدئ خلافته فى ثلاث وثلاثين »(1)

ومما نلتقى فيه معهم: الذكورة، والعقل، والشجاعة، والحرية، العدالة، سلامة

الحواس والاغضاء والإسلام، وهذه المؤهلات تخص الأئمة الاثنى عشر من أهل

البيت عليه السلام المنصوص على خلافتهم، وأما فى عصر غيبة الإمام الثانى عشر المهدى

المنتظر عليه السلام، فلا يشترط توفر العصمة فيمن ينوب عنه وهم الفقهاء العدول.

أقف هنا قليلا لأقول من أجل التوضيح لا أكثر: إن قولنا بالإمامة وقول غيرنا

بالخلافة مبنى على حقيقة إسلامية عرفناها وجهلها غيرنا من المسلمين؛ وذلك أننا نرى

الدين ليس عقيدة يتعبد بها الإنسان فحسب وإنما هو نظام سياسى شامل مبنى على أسس

من ترابط الجانبين العبادى والحياتى ترابطاً مصيرياً شاملاً كاملاً، مثله أحسن تمثيل قولٍ

1- صلح الحسن، الشيخ آل ياسين، ص 40-41

الإمام على عليه السلام:«اعمل لدنياک کأنک تعیش أبدا واعمل لآخرتک کأنک تموت غدا »

بینما رأی الآخرون بسبب ما تعرضوا له من حیرة منبعها طرائق التعیین المختلفة الأولی

التی لم تتطابق، أن الدین شیء والسیاسة شیء آخر، الدین للتعبد والسیاسة لقیادة الحیاة

المدنیة ولذا یمکن للخلیفة أن یکون بمستوی یزید الفاسق مثلاً أو خلفاء بنی العباس

المشهورین بالتحلل الأخلاقی.

والغریب أن المفکرین الغربیین انتبهوا إلی هذا الترابط بما لم ینتبه إلیه المسلمون

وقد نقل الشیخ باقر شریف القرشی رحمةالله بعض أقوالهم الدالة علی هذا الفهم مثل

قول الدکتور (شاخت):«إن الإسلام یعنی أکثر من دین، إنه یمثل نظریات قانونیة

وسیاسیة وجملة القول إنه نظام کامل من الثقافة یشمل الدین والدولة معاً » وقول

العلامة (جیب):«إن الإسلام لم یکن مجرد عقائد دینیة فردیة، وإنما استوجب إقامة

مجتمع مستقل له أسلوبه المعین فی الحکم وله قوانینه وأنظمته الخاصة » وقول (لورافیتشا

فالیری):«إن الناس لتتلهف إلی دین یتفق وحاجاتهم الدنیویة ولا یکون قاصراً علی

إرضاء مشاعرهم وإحساساتهم ویریدون أن یکون هذا الدین وسیلة لأمنهم وسعادتهم

فی الدنیا والآخرة، ولیس هناک من دین تتوفر فیه هذه المزایا کلها بشکل رائع سوی دین

الإسلام، إنه لیس مجرد دین فحسب بل إن فیه حیاة للناس لأنه یعلمهم کیف یحسنون

التفکیر والکلام ویحضهم علی فعل الخیر وصالح الأعمال »(1)

والخلاصة: یتبین ظاهراً أن فهم المسلمین الأوائل لکلمة (سید) یختلف جذریا

عما أراد السیاسیون للناس أن یفهموه من معناها، والحدیث الذی أورده الحاکم فی

المستدرک یفضح مقدار التلاعب الذی قام به الإفتائیون من وعاظ السلاطین لأجل

1- ينظر: نظام الإسلام السياسى، ص 23

أن يشوهوا الحقائق أمام الناس ويصرفوا أذهانهم عن معانيها الحقيقية. فالسيادة التى

قصدها رسول الله صلى الله عليه و آله فى مواضع أخرى ليس من بينها حديث «ابنى هذا سيد »، سيادة

ثابتة غير قابلة للنزع تبعاً لمستجدات الأحداث وغير قابلة للتغيير أو للتنازل أو الهبة

للغير وهذا لا يأتى من دواخل الفكر الشيعى فقط، وإنما هناك دلائل كثيرة عليه فى

مدرسة الخلفاء ومنها حديث أبى هريرة: «عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى قال: كنا مع

أبى هريرة فجاء الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام علينا فسلم فرددنا عليه السلام ولم

يعلم أبو هريرة فقلنا له: يا أبا هريرة هذا الحسن بن على قد سلم علينا، فلحقه وقال:

وعليک السلام يا سيدى. ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: إنه سيد »(1)، ليس

لأن النبى صلى الله عليه و آله قال: ابنى هذا سيد وإنما لأنه صلى الله عليه و آله وصف الحسن بصفة (سيد) فى أكثر

من حديث نبوى منها «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » أى هى مرتبة خاصة

بالحسن بأمر النبى صلى الله عليه و آلهصلى الله عليه وآله

إن معنى السيادة فى معتقدنا يجىء موازياً لمعنى الولاية والإمامة، أى أنها ركن من

أركان الدين، ونحن نرى أن كلمة (سيد) لا تطلق جزافاً، وليست كلمة عابرة لا أهمية

لها. وعندما تطلق على أحد ما يستحقها يراد بها أنه جامع للشرائط ولصفات كريمة

فى ذاته وصفاته وأفعاله وبره وخيره وأخلاقه وشمائله وسيرته وسلوكه وفعله، وفيه

كل صفات الكمال وما يبين أنه يسود على غيره ويعلو عليه بعلمه وحلمه وبره وصبره

وشجاعته. ولاسيما من كان حميد الخصال كريم الفضائل، ولا تطلق على كل رئيس إلا

مجازا، فضلا عن أن رسول الله صلى الله عليه و آله حدد السيادة باثنى عشر قرشيا وسماهم بالاسم.

- القاعدة السابعة: وفيه إطلاق الابن على ابن البنت.

1- المستدرک، ج 3، ص 18

(وقد انعقد الإجماع على أن امرأة الجد والد الأم محرمة على ابن بنته، وأن امرأة ابن البنت محرمة على جده، وإن اختلفوا فى التوارث) ولكن السياسيين غيروا هذا المفهوم وأوحوا للناس سواء فى زمن الأمويين أو العباسيين بأن موروثهم القبلى الجاهلى لا يسمى ابن البنت ابناً ولا يعترف ببنوته! ولذا قالوا فى أمثالهم: (ابن أبنک؛ ابنک وابن ابنتک لا) .

● القاعدة الثامنة: صحة رأى من قعد عن القتال مع معاوية وعلى عليه السلام شرعا:

إذ قال: «واستدل به على تصويب رأى من قعد عن القتال مع معاوية وعلى وإن كان على أحق بالخلافة وأقرب إلى الحق، وهو قول سعد بن أبى وقاص وابن عمر ومحمد بن مسلمة وسائر من اعتزل تلک الحروب » وهى القاعدة التى أخذ بها ابن تيمية فى فقهه وقال: «وسائر الأحاديث الصحيحة تدل على أن القعود عن القتال والإمساک عن الفتنة كان أحب إلى الله ورسوله. وهذا قول أئمة السنة وأكثر أئمة الإسلام. وهذا ظاهر فى الاعتبار، فإن محبة الله ورسوله للعمل بظهور ثمرته، فما كان أنفع للمسلمين فى دينهم ودنياهم كان أحب إلى الله ورسوله. وقد دل الواقع على أن رأى الحسن كان أنفع للمسلمين; لما ظهر من العاقبة فى هذا وفى هذا »(1)

وتدلک هذه القاعدة على نوع الحراک السياسى وكيف غير المفاهيم والقيم والشرائع.

● القاعدة التاسعة: تصويب من قاتل مع على عليه السلام. ولكن الفريقين مأجورون وفق قاعدة: (اجتهد فأخطأ):

قال: «وذهب جمهور أهل السنة إلى تصويب من قاتل مع على لامتثال قوله تعالى:

(و إن طآئفتان من المؤمنين اقتتلوا)الآية، ففيها الأمر بقتال الفئة الباغية، وقد ثبت أن

1- منهاج السنة، ج 8، ص 145 14

من قاتل علياً عليه السلام كانوا بغاة، وهؤلاء مع هذا التصويب متفقون على أنه لا يذم واحداً

من هؤلاء بل يقولون اجتهدوا فأخطأوا، وذهبت طائفة قليلة من أهل السنة – وهو

قول كثير من المعتزلة – إلى أن كُلاً من الطائفتين مصيب، و طائفة اخرى إلى أن المصيب

طائفة لا بعينها »(1). وتجدهم فى هذه القاعدة البائسة يتخبطون فلا هم يعترفون بالحقيقة

ويقرون بأن من كان مع على عليه السلام كان على صواب، ولا هم يقرون بخطأ من حارب علياً

وقاتله، وقتل آلاف المسلمين ظلماً وبهتاناً.

● القاعدة العاشرة: عدم خروج الفريقين المتقاتلين من الملة:

قال: «فى الحديث دليل على أن واحدا من الفريقين لم يخرج بما كان منه فى تلك

الفتنة من قول أو فعل عن ملة الإسلام، لأن النبى صلى الله عليه و آله جعلهم كلهم مسلمين مع كون

إحدى الطائفتين مصيبة والأخرى مخطئة، وهكذا سبيل كل متأول فيما يتعاطاه من رأى

ومذهب إذا كان له فيما تناوله شبهة، وإن كان مخطئا فى ذلک، ومن هذا اتفقوا على قبول

شهادة أهل البغى ونفوذ قضاء قاضيهم، واختار السلف ترک الكلام فى الفتنة الأولى،

وقالوا: تلک دماء طهر الله عنها أيدينا فلا نلوث به ألسنتنا »(2) وهذا جزء من ثقافة

التأويل التى بثها السياسيون.

● القاعدة الحادية عشرة: ما فعله الحسن عليه السلام أفضل عند الله مما فعله الحسين عليه السلام

قال: «وكان ما فعله الحسن عليه السلام أفضل عند الله مما فعله الحسين، فإنه وأخاه سيدا

شباب أهل الجنة، فقتل الحسين شهيداً مظلوماً، وصار الناس فى قتله ثلاثة أحزاب:

حزب يرون أنه قتل بحق، ويحتجون بما فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه و اله أنه قال: من جاءكم

1- ينظر: فتح البارى، ج 13 ، ص 66 – 68

2- مرقاة المفاتيح، ص 3970 ، حديث رقم 614

ترابط منهج الإمامة المعصومة وفهم الحسن عليه السلام للصُلح

وأمركم على رجل واحد يريد أن يفرق بين جماعتكم فاضربوا عنقه بالسيف كائناً من

كان.. قالوا: وهو جاء والناس على رجل واحد، فأراد أن يفرق جماعتهم. وحزب يرون

أن الذين قاتلوه كفار، بل يرون أن من لم يعتقد إمامته كافر. والحزب الثالث – وهم أهل

السنة والجماعة – يرون أنه قتل مظلوماً شهيداً »(1)

ولک أن تندهش من مقدرة السياسيين فى التأثير على الشارع الإسلامى بهذه

الدرجة العالية لدرجة أنهم تمكنوا من استغفال العقل المسلم وإحداث شغب كلامى

حول كلمة وردت فى حديث مشكوک بصحته واقنعوا الناس، بل وشغلوهم بهذه

الفوضى عن متابعة أمور الدين والدنيا الأكبر شأنا. وهم يبغون من وراء هذه القاعدة

تسقيط المشروع الحسينى بعد أن اعتقدوا أنهم سقطوا المشروع الحسنى!.

وفى العودة إلى أصل الموضوع، أقول: إن السياسيين العرب نجحوا بالتأثير على

جيش الإمام الحسن عليه السلامعليه السلام

سواء بمباغتته بالمسير والوصول إلى جسر منبيج أو بالشائعات التى نشروها بين

الناس أو بالترغيب والرشا العظيمة التى دفعوها إلى وجوه جيشه أو بالتهديد الذى

أرسلوه وأوصلوه إلى من لم يطعهم أو يتنازل لهم. كل ذلک والحسن عليه السلام كان لما يزل

مشغولاً بترتيب بيت حكومته الجديدة وهو لا يملک سوى بعض الأصحاب المخلصين

الذين يعينونه على ترتيب الأوضاع الداخلية، فلما فاجأه معاوية بجيشه العظيم الجرّار

أصبح أمام خيارين: إما الاستسلام المهين، أو خوض حرب خاسرة وغير متكافئة،

وبالرغم من صعوبة التحديد اختار أن يقاتل الباغين والتصدى لهم، ولكنه بعد أن

نزل بقواته المدائن وبعد أن طعنه احد أتباع معاوية المدسوسين بين جنده، ولاذ بعض

1- منهاج السنة، ج 8، ص 147

من كان فی صفوف جیشه بمعاویة طمعاً بالدنیا، وجد ظهره مکشوفا فوبخ المتخاذلین

لأنهم لم یعینوه فی حربه ووافق علی الصلح، قال ابن أبی الحدید: «و أرسل عبد الله بن

الحارث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب... إلی معاویة یسأله المسالمة واشترط علیه

العمل بکتاب الله وسنة نبیه وأن لا یبایع لأحد من بعده»(1)

1- شرح نهج البلاغة، م 4 ج 16 ص 8

ترابط منهج الإمامة المعصومة وفهم الحسن عليه السلام للصلح

مما لا شک فيه أن الإمامة المعصومة التی هی من لطف الله بعباده حلقات مترابطة

ذات هدف واحد ومهام مختلفة ولا يمكن التقليل من مهمة أحد الأئمة حبا بمهمة

الآخر، يعنی لا يجوز تفضيل احدهم عليهم نتيجة فعل كبير قام به. وجل ما مأمور

به الإنسان هو أن يعرف إمام زمانه ويتمسک به، فقد صح عن أبی جعفر عليه السلام قوله:

«من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية، ومن مات وهو عارف لإمامه لم يضره،

تقدم هذا الأمر أو تأخر، ومن مات وهو عارف لإمامه كان كمن هو مع القائم فی

فسطاطه »(1) ومن يتمسک بإمام زمانه عليه أن يتمسک بصحة إمامته وصحة إمامة

المعصومين السابقين واللاحقين، عن محمد بن سليم قال: قلت لأبی عبد الله :«رجل

قال لی: اعرِفِ الآخر من الأئمة ولا يضرک أن تعرف الأول، فقال: لعن الله هذا؛ فإنی

أبغضه ولا أعرفه، وهل عُرف الآخر إلا بالأول »(2)

وعن صفوان عن ابن مُسْكان قال: «سألت الشيخ عن الأئمة، قال: من أنكر واحدا

من الأحياء فقد أنكر الأموات »(3)، وعن ابن أبی يعفور قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام

يقول: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم: من ادعی إمامة

1- أصول الكافی، ج 1، ص 278 ، حديث رقم 5، باب أنه من عرف إمامه لم يضره تقدم هذا الأمر أو تأخر

2- المصدر نفسه،ج 1،ص 279 ، حديث 7، باب من ادعی الإمامة وليس لها بأهل

3- المصدر نفسه، ص 280 ،حديث 8

من الله ليست له، ومن جحد إماماً من الله، ومن زعم أن لهما فى الإسلام نصيبا »(1)

والذى أريده من هذه المقدمة الإشارة والتأكيد على عظم تقصير من ينسى إمامة

الحسن عليه السلام أو يتهاون بحقها وحقوقها فلا يكاد يذكره إلا نادراً بحجة انه صالح معاوية

وتنازل عن الخلافة، خلافا لما قام به الحسين عليه السلام الذى حارب واستشهد، فلولا رسول

الله صلى الله عليه و آله ما عرف على عليه السلام، ولولا على ما عرف الحسن عليه السلام، ولولا الحسن ما عرف

الحسين عليه السلامعليه السلام

وعلى الأمة أن تفهم عظمة الصلح الذى عقده الإمام الحسن عليه السلام على وجهه لا

كما يتصورونه، فقد كان الإمام الحسن عليه السلام مدركا وجوب الصلح فضلا عما يملكه من

معلومات عن هذا الوجوب الذى تجوزه الشريعة ولذا تراه يحتج بهذا الفهم فيما احتج

به على صاحبه أبى سعيد الذى سأله: «يا ابن رسول الله لم هادنت معاوية وصالحته وقد

علمت أن الحق لک دونه وأن معاوية ضال باغ؟ فأجابه: يا أبا سعيد ألست حجة الله

تعالى على خلقه و إماماً عليهم بعد أبى؟ قال: بلى قال: ألست الذى قال رسول الله لى

ولأخى الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا؟ قال: بلى قال: فأنا إمام لو قمت وأنا إمام

لو قعدت، يا أبا سعيد علة مصالحتى لمعاوية علة مصالحة رسول الله لبنى ضمرة

وبنى أشجع ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية أولئک كفار بالتنزيل ومعاوية

وأصحابه كفار بالتأويل »(2)

هنا أذكر بأن رسول الله فى أكثر من مناسبة وعد عليا بأنه سيقاتل على تأويل القرآن

كما قاتل هو على تنزيله؛ ولعدم وجود فاصل زمنى أو نوعى بين مشروع قتال الإمام

1- المصدر نفسه، ص 280 ،حديث 12

2- صلح الحسن، ص 2

على عليه السلام للبغاة ومشروع قتال الإمام الحسن عليه السلام لهم دفاعا عن القرآن فمن اليقين أن

الإمام الحسن عليه السلام مشمول بهذه النبوءة الصادقة، على أن قتاله لهم هو استمرار لقتال أبيه

لهم وأنه يقاتل أيضا على التأويل كما قاتل جده على التنزيل.

لقد أدرك الحسن عليه السلام كل تلك الأقوال التى قالها جده النبى عن الصلح(1)، وللرواة

أحاديث كثيرة عن نبوغ الإمام الحسن عليه السلام الباكر، «فقد ملک بمقتضى ميراثه من الذكاء

وسمو الإدراک ما لا يملكه غيره، فكان لا يمر عليه شىء إلا حفظه، وكان يحضر مجلس

جده صلى الله عليه و آله فيحفظ الوحى فينطلق إلى أمه فيلقيه عليها فتحدث به الإمام عليا فيتعجب

ويقول: من أين لک هذا؟ فتقول: من ولدک الحسن »(2)

كما ورد فى الأخبار أن أمه فاطمة عليها السلام كانت تعلمه ما تتلقاه من أبيها وأن الإمام

على عليه السلام كان ينصح الحسن إذا حضر ويكتب له إذا غاب، وبذلک تكاملت شخصيته

على يد أعظم المعلمين فى الكون.

وقد حفظ الإمام الحسن عليه السلام عن جده الكثير من الأحاديث التى أخرجها أهل

كتب الحديث عنه مع انه لم يتجاوز الثامنة من عمره الشريف حينما مات جده النبى صلى الله عليه و آلهصلى الله عليه وآله

بمعنى أن الإمام الحسن عليه السلام لم يكن قليل علم لكى يتخبط بتصرفاته فيأتى بما يندم عليه

حاضرا أو مستقبلا، أو يخالف الشريعة وقوانين الدين، فلقد كان ملما بكل تلک العلوم

1- هناک الكثير من الدلائل على أن الحسن سمع من جده كمًا لا بأس به من الأحاديث، وفى المستدرک:)عن أبى الحوراء، عن الحسن بن على قال: علمنى رسول الله صلى الله عليه وآله هؤلاء الكلمات فى الوتر: أللهم اهدنا فيمن أهديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارک لنا فيما اعطيت، وقنا شر ما قضيت، إنک تقضى ولا يقضى عليک، إنه لا يذل من واليت، تباركت ربنا وتعاليت(حديث المستدرک ج 3، ص 188 ، 399 / 48

2- أهل البيت، الحسن بن على، توفيق أبو علم، ص 40

وعلمه هو الذى دفعه إلى عقد الصلح، فكان صلحه فى تأثيره وأثره كحرب الإمام

الحسين عليه السلام فى تأثيرها.

والذين إدَّعَوا أن معاوية هو صاحب فكرة الصلح وأن الإمام الحسن عليه السلام كان يريد

المغامرة بالإسلام وبالتشيع بخوض حرب خاسرة، إنما أرادوا تبيان فضيلة مصنوعة

لمعاوية، كما فى مرقاة المفاتيح: «عَلِمَ (الحسن) أنه لن تغلب إحدى الفئتين حتى يذهب

أكثر الأخرى، فكتب إلى معاوية يخبره أنه يصير الأمر إليه على أن يشترط عليه أن لا

يطلب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشىء مما كان فى أيام أبيه فأجابه معاوية

إلا أنه قال: عشرة أنفس فلا أُتَمِنَهُم، فراجعه الحسن عليه السلام فيهم، فكتب إليه يقول: إنى

قد آليت إننى متى ظفرت بقيس بن سعد أن أقطع لسانه ويده، فراجعه الحسن إنى لا

أبايعک أبدا وأنت تطلب قيسا أو غيره بتبعة قلت أو كثرت، فبعث إليه معاوية حينئذ

برق أبيض وقال: اكتب ما شئت فيه، فأنا ألتزمه فاصطلحا على ذلک، واشترط عليه

الحسن أن يكون الأمر له من بعده، فالتزم ذلک كله معاوية، واصطلحا على ذلک »(1)

فالقارى سرق كرامة الإمام الحسن عليه السلام فى قوله دفاعاً عن الصلح مع معاوية التى

مثلها قوله الشريف: «ولكنى خشيت أن تأتى يوم القيامة سبعون ألفاً أو ثمانون ألفاً

تشخب أوداجهم دما كلهم تستعدى الله فيم هريق دمه » ونسبها إلى معاوية الذى كان

البادئ فى حرب صفين والبادئ فى حرب الإمام الحسن، والذى كان مستعداً لخوض

عشرات الحروب الأخرى وسفک دم ألوف أخرى من المسلمين فى سبيل الحكم.

وقال ابن بطال: «وبأن الحسن نادى معاوية يطلب الصلح » وهذا لم يعجب

العسقلانى؛ ليس لكونه مجرد تهافت لأن الإمام ومعاوية لم يلتقيا قبل توقيع الصلح؛

1- مرقاة المفاتيح، ص 3970 ، حديث رقم 61

وإنما لأنه لا يتفق مع ما روج له السياسيون، فقال: «وفى صحة هذا نظر من أوجه:

الأول: أن المحفوظ أن معاوية هو الذى بدأ بطلب الصلح ». إذن برأى العسقلانى أن

معاوية طلب الصلح وليس الحسن عليه السلام. ولكنه لم يأت بهذا القول من أجل الحقيقة وإنما

جاء به دفاعا عن معاوية، وترسيخ فكرة انه مصلح.

ولتأكيد قصة (المصلح ورجل السلام المزعوم) معاوية الذى كان حسب زعمهم

بطل الصلح مع الحسن عليه السلام أوردوا قصة ثانية تقول: إن معاوية طلب الصلح مع قيس

بن سعد أيضا، حيث قال العسقلانى: وأخرج عبد الرزاق فى مصنفه عن معمر عن

الزهرى قال: «وكان قيس بن سعد بن عبادة على مقدمة الحسن بن على، فأرسل إليه

معاوية سجلا قد ختم فى أسفله فقال: اكتب فيه ما تريد فهو لک، فقال له عمرو بن

العاص: بل نقاتله، فقال معاوية وكان خير الرجلين -: على رسلک يا أبا عبد الله، لا

تخلص إلى قتل هؤلاء حتى يقتل عددهم من أهل الشام، فما خير الحياة بعد ذلک؟ وإنى

والله لا أقاتل حتى لا أجد من القتال بداً »(1)، وللتأكيد على أن هذا الحديث مجرد هراء

وجدت فيه صوراً مقتبسة حرفياً من قصة أخرى، منها:

- إن الحوار بين معاوية وعمرو بن العاص جاء متطابقاً فى الحديثين، وهذا محال.
- إن معاوية هو الذى بادر إلى الصلح فى الحديثين وهذا محال أيضاً.
- وصفهم لمعاوية بأنه (وكان خير الرجلين) فى الحديثين والناس تعرف أن (كِلا

الأخوين.... ولكن).

- تحرج معاوية من قتل المسلمين فى الحديثين لدرجة أنه كان يرى الموت أطيب

من الحياة إذا أسهم فى قتلهم، كما فى قولهم: (فما خير الحياة بعد ذلک) وهذا

1- فتح الباری شرح صحیح البخاری، ج 13 ، ص 68

مخالف لما عرف عنه من رغبة ملحة فى القضاء على العلويين والخط العلوى

بعد أن أمر قواده بتعقبهم فى الآفاق.

• إرسال معاوية صحيفة فارغة ليكتب فيها قيس شروطه كما هى الصحيفة التى

أرسلها إلى الإمام الحسن عليه السلام. وقيس ليس الحسن عليه السلام، لا من حيث المنزلة ولا

من حيث القوة والأتباع.

• قولهم: إن معاوية قال: «وإنى والله لا أقاتل حتى لا أجد من القتال بداً » وهذا

خلاف الواقع لأن معاوية الذى لم يقاتل فى سبيل نصرة الإسلام أبداً لأنه لم

يكن يرى فيه بداً، قاتل من لم يقاتله، قاتل عليا وتسبب بموت أكثر من مئة

ألف مسلم فيهم عدد كبير من الصحابة، وقاتل الحسن عليه السلام!.

أما تكملة شرح العسقلانى لحديث البخارى فتأتى لتأكيد جوانب مهمة من سياسة

التحريف التى اتبعت فى معالجة سياقات الصلح، حيث قال العسقلانى: «فقال عبد

الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة: نلقاه فنقول له الصلح (أى نشير عليه بالصلح)،

وهذا ظاهره أنهما بدَءآ بذلک، والذى تقدم فى كتاب الصلح أن معاوية هو الذى بعثهما

فيمكن الجمع بأنهما عرضا أنفسهما فوافقهما ولفظه هناک «فبعث إليه رجلين من قريش

من بنى عبد شمس عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن

عبد شمس، وهو الذى ولاه معاوية البصرة بعد الصلح »، فقال معاوية: «اذهبا إلى

هذا الرجل فاعرضا عليه » أى ما شاء من المال (وقولا له) أى فى حقن دماء المسلمين

بالصلح (واطلبا إليه) أى اطلبا منه خلعه نفسه من الخلافة وتسليم الأمر لمعاوية وابذلا

له فى مقابلة ذلک ما شاء «قال فقال لهما الحسن بن على عليه السلام: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا

من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت فى دمائها، قالا فإنه يعرض عليک كذا وكذا

ويطلب إليک ويسألک، قال: فمن لی بهذا؟ قالا: نحن لک به فما سألهما شيئا إلا قالا

نحن لک به، فصالحه »(1)

ثم يأتی ابن بطال ليستخلص من هذا الحديث الموضوع المصنوع ما يثبت بان معاوية

هو الذی أصلح بين الفئتين العظيمتين وليس الحسن عليه السلام، وأن مطالبة الحسن عليه السلام بالمال

الكثير إنما لكی يوزعه علی من يرفض الصلح من جنده، فقال: «هذا يدل علی أن معاوية

كان هو الراغب فی الصلح وأنه عرض علی الحسن عليه السلام المال ورغبه فيه وحثه علی رفع

السيف وذكره ما وعده به جده صلی الله عليه و آله من سيادته فی الإصلاح به، فقال له الحسن: إنا

بنو عبد المطلب أصبنا من هذا المال، أی إنا جبلنا علی الكرم والتوسعة علی أتباعنا

من الأهل والموالی وكنا نتمكن من ذلک بالخلافة حتی صار ذلک لنا عادة(2) وقوله

إن هذه الأمة أی العسكرين الشامی والعراقی (قد عاثت) أی قتل بعضها بعضا فلا

يكفون عن ذلک إلا بالصفح عما مضی منهم والتآلف بالمال. وأراد الحسن عليه السلام بذلک

كله تسكين الفتنة وتفرقة المال علی من لا يرضيه إلا المال، فوافقاه علی ما شرط من جميع

ذلک والتزما له من المال فی كل عام والثياب والأقوات ما يحتاج إليه لكل من ذكر.

وقوله: من لی بهذا، أی: من يضمن لی الوفاء من معاوية؟ فقالا: نحن نضمن

لأن معاوية كان فوض لهما ذلک، ويحتمل أن يكون قوله: أصبنا من هذا المال، أی فرقنا

منه فی حياة علی وبعده ما رأينا فی ذلک صلاحاً فنبه علی ذلک خشية أن يرجع عليه بما

تصرف فيه .»

أسأل: إذا ما كان هذا الأمر صحيحاً، فلماذا لم يلتزم الرجلان بتعهداتهما والتزاماتهما

1- فتح البارى- ج 13 ، ص 6

2- فتح البارى- ج 13 ، ص 6

وهما اللذان ضمنا للحسن عليه السلام أنهما قادران على دفع معاوية ليفى بشروط الصلح ولهما القدرة على ذلک؟ .

ويُستثمر التخبط المقصود والمتعمد ليصل إلى مديات تؤكد بأن السياسة لا تستحى من عمل القبيح(1)، ففى كتاب (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)لأبى القاسم هبة الله ابن الحسن بن منصور الطبرى تأكيد آخر على أن معاوية هو من طلب الصلح، كما فى قولهم: «عن حاتم بن أبى صغيرة، عن عمرو بن دينار قال: عَلِمَ معاوية أن الحسن بن على كان أكره الناس للفتنة، فلما توفى على بعث، فأصلح الذى بينه وبينه سرا، وأعطاه معاوية عهدا إن حَدَثَ به حَدَثٌ والحسن حى ليجعلن الأمر إليه. فلما توثق منه قال عبد الله بن جعفر: إنى لجالس عند الحسن إذ ذهبت لأقوم، فقال: يا هناه اجلس. فجلست، فقال: إنى قد رأيت رأيا، وإنى أحب أن تتابعنى عليه. قلت: وما هو؟ قال: قد رأيت أن أغدو إلى المدينة فأنزلها، وأخلى بين معاوية وبين هذا الحديث، فقد طالت الفتنة وسفكت فيها الدماء وقطعت الأرحام وعطلت الحدود والفروج وقطعت السبل. ثم قال: ادعوا لى الحسين. فأبه، فأعاد مثل قوله لأبى جعفر، فقال الحسين: أعيذک بالله أن تُكذب علياً فى قبره وتصدق معاوية. فقال الحسن: والله ما أردت أمراً قط إلا خالفتنى إلى غيره، ولقد هممت أن أقذفک فى بيت وأطينه عليک حتى أقضى من أمرى. فلما رأى الحسين غضبه، قال: أنت أكبر ولد على وخليفته، فرأينا لرأيک تبع، فافعل ما بدا لک. فقام الحسن فخطب فقال: أيها الناس إنى كنت أكره الناس لأول هذا الأمر، وإنى أصبحت لذى حق أديت إليه حقه أحق منى، أو حق حدث فى صلاح أمة محمد، وإن الله قد ولاک يا معاوية هذا الحدث، فخير يعلمه عندک أو شر يعلمه فيک،

1 – قال على عليه السلام : « والله ما معاوية بأدهى منى، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر، لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرة، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة .»

وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين، ثم نزل »(1) ولا ادرى متى كان معاوية صاحب

حق لكى يعترف له الحسن عليه السلام بحقه، ومتى كان الطليق أحق من ابن رسول الله بالخلافة!

إن هذا الاتجاه المنحرف قام على أسس منحرفة ولكنها دقيقة التخطيط، ويستشف

من تتابع الأحداث أن الإمام الحسن عليه السلام كان قد كلم أصحابه بالصلح بعد أن وصله

خبر مسير معاوية بأهل الشام، وبعد أن رأى تنازل همتهم وضعف روحهم القتالية

وتحطم معنوياتهم، فقام جواسيس معاوية المتواجدين ضمن صفوف جيش الإمام عليه السلام

بالكتابة إلى معاوية بما دار وحدث، فاستغل معاوية السياسى الداهية الذى لا يردعه

رادع ما اعتبره ثغرة قاتلة فى منظومة قوة الحسن عليه السلام العسكرية وقرر إرسال رسالتين

لهذا الجيش شبه المفكك:

الأولى: تفيد بأنه حريص كذلك على الصلح وطالب له كما هو الحسن عليه السلام، وأراد

أن يوهم جيش الحسن بأن ما قاله الحسن عن الصلح صحيح كليا وها هو يصالح حتى

من دون أن يستشيرهم، وضمن التوجه الإعلامىّ المضادّ نفسه «وجه معاوية وفدًا إلى

الحسن بن علىّ يتكوّن من المغيرة بن شعبة وعبد الله بن عامر بن كريز وعبد الرحمن بن

أم الحكم »(2)، وأتوه وهو بالمدائن نازل فى مضاربه، ثمّ خرجوا من عنده وهم يقولون

ويُسمِعون الناس (يوهمونهم): «إنّ الله حقن بابن رسول الله الدماء، وسكن به الفتنة،

وأجاب إلى الصلح فاضطرب العسكر ولم يشكك الناس فى صدقهم فوثبوا بالحسن

فانتهبوا مضاربه وما فيها، فركب الحسن فرسا ومضى فى مظلم ساباط، وقد كمن

1- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ج 8، ص: 1539 ،حديث 2799 ، سياق ما روى من إمارة معاوية وتسليم الحسن بن على الأمر إليه

2- عبد الرحمن بن عبد الله الثقفى، ينسب إلى أمه أم الحكم أخت معاوية

الجراح بن سنان الأسدى(1) فجرحه بمعول فى فخذه وقبض على لحية الجراح ثم لواها

فدق عنقه »(2)

والثانية: جاء بها الطبرى فى قوله: «بايع الناس الحسن بن على عليه السلام بالخلافة، ثم

خرج بالناس حتى نزل المدائن... فبينا الحسن عليه السلام فى المدائن إذ نادى مناد فى العسكر:

ألا إن قيس بن سعد قد قتل فانفروا، فنفروا، ونهبوا سرادق الحسن حتى نازعوه بساطاً

كان تحته »(3)

فهل يعقل أن ينتهب متاع الإمام عليه السلام مرتين فى وقعتين متشابهتين متطابقتين كلياً

خلال أيام معدودات من قبل بعض جنده أم أن الخلط والتخبط هو الذى تلاعب

بوقائع التاريخ فتنوعت الروايات وتعارضت فيما بينها؟ .

إن الذين يدعون أن معاوية هو صاحب فكرة الصلح تأثروا كثيراً بمضمون هذه

الروايات، فهم فى قولهم)وأجاب إلى الصلح(أرادوا إخبار الناس بأن معاوية طلب

من الإمام الحسن عليه السلام عقد الصلح والإمام رضى به وأجابه!، وما يؤكد رغبة معاوية

بأن يكون هو بطل الصلح لاعتبارات كثيرة جدا يترجمه مضمون هذه الرواية حرفيا،

1- كل ما وجدته عن هذا الرجل أنه كان يرى رأى الخوارج، وله قبل هذا التاريخ وقائع ذات نفس خارجى منها ما جاء فى قول ابن الأثير: ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وكانت وقعة نهاوند:)وثار أهل الكوفة على سعد فى غضون هذا الحال، فشكوه فى كل شىء حتى قالوا: لا يحسن يصلى؛ كان الذى نهض بهذه الشكوى رجل يقال له: الجراح بن سنان الأسدى فى نفر معه، فلما ذهبوا إلى عمر فشكوه، قال لهم عمر: إن الدليل على ما عندكم من الشر نهوضكم فى هذا الحال عليه، وهو مستعد لقتال أعداء الله، وقد جمعوا لكم، ومع هذا لا يمنعنى أن أنظر فى أمركم.الكامل لابن الأثير، ص 5،ج 3، وقعة نهاوند

2- ينظر:تاريخ اليعقوبى، ج 2،ص 1

3- تاريخ الطبرى، ج 3، ص 94

فالرواية أشارت إلى أمور غريبة عجيبة تدل كلها على أن السياسيين العرب أجادوا الصنعة ونجحوا فى سلب إرادة المسلمين وجردوهم من عقولهم وحولوهم إلى قطيع يقودونه كيفما يشاءون، فمن غير المعقول أن تتمكن كلمة كاذبة خرجت من أفواه الطلقاء من زعزعة جيش كامل ليتحول من النظام إلى الغوغاء لو لم تكن هناك مقدمات كثيرة بعضها مادى والآخر معنوى والثالث إعلامى. فالناس الذين كانوا يبحثون عن السلم بعد كل تلك الحروب هم الذين كانوا ينادون من كل جانب: (البقية البقية) فهل يعقل أن يتمردوا على قيادتهم المعصومة عند سماعهم خبر موافقة الإمام على الصلح؟. وما ذاك إلا لكون السياسيين ومن خلال الحروب المتكررة التى شنوها على دولة الإسلام وخلفائها الشرعيين جعلوا الناس يحنون ويتطلعون إلى السلم ويكرهون الحرب وذكرها، فمن غير المعقول أن تدخل أمة فى أربعة حروب متتالية خلال مدة لا تزيد على الأربع سنوات كما هى حروب الجمل وصفين والنهروان ثم الحرب المرتقبة بين جيش الخلافة وجيش الخارجين على القانون، ولا تحن إلى السلم والراحة والتمتع بالحياة. ولقد مررنا فى تاريخنا الحديث بالحالة نفسها يوم قاد السياسيون شعبنا العراقى لمحاربة الأكراد فى شمالى العراق ثم الاشتراك بحربين فى العامين 1967 و 1973 مع الصهاينة ثم العودة إلى حرب الشمال مع الأكراد ثم الحرب مع إيران وبعدها غزو الكويت وختامها بأم المعارك، وبالتالى أصبح الشعب العراقى بقضه وقضيضه يتطلع إلى سلام دائم ويأمل بأن تنتهى حقبة الحروب. وبالتالى كانت رغبة أصحاب الحسن عليه السلام بالسلم وعدم خوض حرب جديدة أمنية يتمنون تحقيقها ولكنها لا يمكن أن تؤثر فيهم بالشكل الذى تصوره الروايات التاريخية.

وفوق هذا وذاك كان الحسن عليه السلام موعوداً بالإصلاح كما فى الحديث الذى أخرجه

الكثير من المشتغلين بالحديث النبوى ومنهم الدولابى: «عن أبى ضمرة بن عبد الله بن

المستورد حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة مولى بنى هاشم أن رسول الله أبصر

الحسن بن على مقبلا، فقال: أللهم سلمه وسلم منه »(1)(ولا يوجد ما يثبت ولو من بعيد)

أن الرسول دعا لمعاوية بمثل هذه الدعوة.

فصلح الإمام الحسن عليه السلام وعد ربانى كان الحسن عليه السلام أول العارفين به والمنوهين

عنه فهو من ضمن خزينه الفكرى عن المستقبليات التى بثها والده فى عقله وقد كان

الإمام عليه السلام على يقين تام بأنه ينفذ إرادة الله سبحانه وتعالى تطبيقا للنهج الإلهى بتسيير

الكون وإدارته وهو فى الصلح كجده صلى الله عليه وآله فى مكة غير مأمور بحرب ومأمور بتأليف

القلوب وتوحيد كلمة المسلمين حفاظاً على الإسلام. نعم كان الإمام مأموراً بالحرب

وفق البرنامج الإلهى أيضا فلما انتهى مشروع المواجهة الذى أبانت فشله نوعية جيش

الإمام عليه السلام والذى مع كل تلك المعوقات أن أدى دوره الكبير فى الأقل بعدما أبان بان

هناك كثيرين كانوا من ضمن المشروع الحسنى، لما انتهى ذلك المشروع حل بدلا منه

مشروع المسالمة والصلح فصار لزاماً عليه أن يركن إلى السلم ويوقف المظاهر الحربية

إيذاناً ببداية مشروع جديد يهيئ لمرحلة جديدة من الصراع بين الحق والباطل.

أشير هنا إلى أن الإمام على عليه السلام قاتل أصحاب الجمل فى البصرة، ومعاوية فى صفين

والخوارج فى النهروان بقوات موازية لقواتهم بل وتتفوق عليها كثيرا كما فى معركة

الخوارج، والإمام الحسن عليه السلام قاد جيشاً لا بأس به لمواجهة معاوية الذى سار بقواته

وجيشه الجرار لغزو عاصمة الخلافة، فهل يعقل أن يخرج الإمام الحسين عليه السلام بثلاثة

وسبعين شخصا فقط ليواجه قوات الوالى الأموى فى الكوفة، وحتى لو فرضنا جدلا أنه

1- الدولابی، ح 111 نص 71

كان يمكن أن ينتصر على قوات الوالى بسبب تأييد أهل الكوفة له، فهل يتمكن من جمع

قوة يمكنها التصدى لقوات الشام التى ستزحف عليه لتنتقم منه؟ ألا يدلنا هذا على أن

الأئمة المعصومين مأمورون بأداء أدوارهم التى يعرفون نتائجها وكل تفرعاتهم

دون التفات للحسابات الدنيوية؟.

أما السياسيون العرب الذين تحدثنا مطولاً عن منهجهم التحريفى وإخلالهم

بالشروط وتنصلهم عن تحمل المسؤولية والبحث عمن يعصبون أعمالهم برأسه فقد

تعاملوا مع الصلح وفق رؤاهم السياسية وعملوا جاهدين على تحسين صورتهم وتشويه

صورة الإمام فى إطار الصلح من خلال تحريف الروايات بالقطع والإضافة ولذا تجد

فى الأحاديث النبوية عن الصلح تبايناً غريباً لا يتساوق مع ما عرف عن النبى صلى الله عليه وآله من

دقة فى اختيار الكلمات وهى من الصفات التى أجمع المسلمون على تمسك النبى صلى الله عليه وآله بها طوال بعثتهز

لماذا صالَح الحسن عليه السلام؟

سؤال لا يقل فى أهميته عن كل تلك الأسئلة التى وردت من قبل، وتأتى أهميته من

كون الأسباب الموجبة للصلح تعرضت إلى تلاعب كبير ومشين من قبل السياسيين

وأتباعهم بغية القول أن الإمام الحسن عليه السلام لم يكن واثقاً من أحقيته بالإمامة والخلافة؛

وانه كان يرى معاوية أحق منه بالخلافة وأجدر، ولقد أسهب القوم فى شرح أقوال

السياسيين التى وردت بشأن هذه النقطة بالذات كالصلابى الذى تتبع بعض أقوال

السياسيين المحرفة ليجعل منها دواعم لهذا التجنى والكذب الكبيرين، فنقل عن

الشعبى، بعد أن قال عنه فى الهامش: أنه ثقة، قال: «شهدت الحسن بن على بالنخيلة

حين صالحه معاوية فقال معاوية:إذا كان ذا فقم فكلم الناس أنك قد سلمت الأمر لى،

وربما قال معاوية: أخبر الناس بهذا الأمر الذى تركته لى، فقام فخطب على المنبر فحمد

الله وأثنى عليه، قال الشعبى: وأنا أسمع، ثم قال)أى الحسن(: فإن أكيس الكيس

التقى، وإن أحمق الحمق الفجور، وإن هذا الأمر الذى اختلفت فيه أنا ومعاوية، إما

كان حقا لى تركته لمعاوية إرادة إصلاح هذه الأمة وحقن دمائهم...أو يكون حقا

كان لامرئ كان أحق به منى ففعلت ذلك » وهى الرواية الموقوفة على الشعبى(1)

1- عامر بن شرحبيل الشعبى: أشترك فى حركة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث مع قراء الكوفة والبصرة، ثم هرب مع من بقى من أتباع ابن الأشعث بعد فشل الحركة، فأمر الحجاج أن يؤتى به فجىء به. فأعتذر للحجاج، فقبل، وقال: أنت يا شعبى أحب إلى ممن يدخل علينا يقطر سيفه من دمائنا ثم يقول ما فعلت ولا شهدت، قد أمنت عندنا يا شعبى. جاء هذا فى وقت أمر فيه الحجاج بقتل أكثر من مائة ألف مسلم ممن اشتركوا بالحركة ومنهم سعيد بن جبير ، وهذا يؤكد ولاء الشعبى للخط السياسى وبعده عن الخط العلوى

أخرجها عنه ابن سعد فى الطبقات وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى دلائل النبوة وابن عبد البر فى الاستيعاب.

كما نقل الصلابى عن ابن سعد رواية مشابهة لهذه الرواية، جاء فيها: «فقال الحسن: أيها الناس إنى كنت أكره الناس لأول هذا الحديث، وأنا أصلحت آخره لذى حق أديت إليه حقه أحق به منى، أو حق جدت به لصلاح أمة محمد، وإن الله قد ولاک يا معاوية هذا الحديث لخير يعلمه عندک أو لشر يعلمه فيک »(1)

إن الإمام الحسن عليه السلام صاحب حق شرعى وعرفى، وكان قادراً على القتال ومقتدرا على الفوز بالمنازلة، لو شاء ذلک بما يملكه من قوى غيبية خفية، وانْ يميل إلى الصلح مع ما لديه من المزايا فذلک ما لم يستوعبه المسلمون، وقد استغل السياسيون جهل الناس ببواطن الأمور فخلقوا قصصاً تنتقص من مكانة عدوهم الإمام الحسن عليه السلام وتوهم الناس وتلهيهم عن البحث عن الحقيقة المغيبة. والسياسيون فى سعيهم العدوانى التخريبى أوجدوا للصلح مخارجَ وقصصاً ورواياتاً تجرده من قيمته الأخلاقية والدينية وتضعه فى موضع الجدل السياسى الذى يبغى خداع الأمة ويدفعها لأن تشكک فى رأى من يدعى بأن خلافة معاوية لم تكن خلافة شرعية، والتى كما يقولون كانت قد حصلت على دعم نبوى بوجوب عدم كرهها، كما فى حديثهم: «حدثنا القاسم بن جعفر قال: حدثنا على بن إسحاق بن محمد قال: حدثنا على بن حرب قال: حدثنا ابن أبى سفيان قال: حدثنا هشيم، عن أبى عامر الشعبى قال: قلت للحارث بن حجر: ما حمل الحسن بن على أن يبايع لمعاوية ويسلم له الأمر؟ قال: إنه سمع من يقول: لا تكرهوا إمرة

1- سيرة أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين، الصلابى، ص 30

معاوية»(1)

فإذا ما كان الحسن عليه السلام قد سمع هذا الحديث، فلماذا قبل البيعة أول مرة وكره بيعة

معاوية، بينما المفروض به لو كان ما نقلوه صحيحاً أن لا يكره إمرة معاوية ويبايعه

ويتنازل له عن الإمامتين باعتبار انه يحمل توصية نبوية بوجوب عدم كراهة إمرته!؟.

علماً أن الذين اعتمدوا هذا الحديث المكذوب الموضوع جاءوا بحديث آخر يدعى

بأن الحسن ترك الخلافة تهربا لأنه لم يكن يرغب بأن يبتلى بها، كما فى قولهم: «حدثنا

على بن عمر، حدثنا إسماعيل بن محمد قال: حدثنا عباس الدورى قال: حدثنا داود

الطيالسى قال: حدثنا شعبة: أنه أخبرهم عن يزيد بن خمير عن عبد الرحمن بن جبير بن

نفير، عن أبيه قال: قلت للحسن بن على: إن الناس يزعمون أنك تريد الخلافة. فقال:

كانت جماجم العرب بيدى، يسالمون من سالمت، ويحاربون من حاربت، فتركتها

التماس رحمة الله، ثم ابتلى بها ناس... »(2)

وبعدها جاءوا بحديث ثالث تختلف أسبابه عما سبق، قالوا فيه: «حدثنا عبد الله بن

محمد بن أحمد، حدثنا عبد الله بن أحمد بن غياث القاضى، قال: حدثنا يحيى بن جعفر

قال: حدثنا محمد بن عبيد الطنافسى، قال: حدثنا صدقة بن المثنى، عن رياح بن الحارث

قال: قام الحسن بن على بعد وفاة على ، فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم

قال: إن كل ما هو آت قريب، وإن أمر الله واقع وإن كره الناس، وإنى والله ما أحببت

1-))) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة،أبو القاسم هبة الله ابن الحسن بن منصور الطبرى، ص: 1539 ، حديث 2800 الجزء 8،حديث 2799 ، سياق ما روى من إمارة معاوية وتسليم الحسن بن على الأمر إليه

2- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، الطبرى، ص: 1539 ، حديث 2797 الجزء 8،حديث 2799 ، سياق ما روى من إمارة معاوية وتسليم الحسن بن على الأمر إلى

أن أَلِيَ من أمر أمة محمد صلى الله عليه وآله مثقال حبة من خردل، تهراق فيه محجمة من دم، قد

علمت ما ينفعنى مما يضرنى، فالحقوا بمطيكم »(1) ويدفعنا هذا التخبط غير المحمود

للبحث عن الأسباب الحقيقية التى جعلت الإمام الحسن عليه السلام يفضل الصلح.

لقد قَدّر الإمام الحسن عليه السلام وأجاد، فقد نظر أولاً إلى جنده ومكونات عسكره

فوجدهم ليسوا كما كانوا فى زمن أبيه عليه السلام وجده صلى الله عليه وآله، فلم يخفى مشاعره تجاههم وأعلنها

صريحة واضحة فاستغل السياسيون هذه الصراحة، وأخذوا نتفاً من أقواله وأضافوا

إليها من عندهم دسا ومكراً ونسبوا كل ذلک له على انه قائله. قال الديلمى: من كلام

الحسن بن على لأصحابه بعد وفاة أبيه: «أما والله ما ثنانا عن قتال أهل الشام ذلة ولا

قلة ولكن كنا نقاتلهم بالسلامة والصبر، فشيبت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع،

وكنتم تتوجهون معنا ودينكم أمام دنياكم، وقد أصبحتم الآن ودنياكم أمام دينكم، فكنا

لكم وكنتم لنا، وقد صرتم اليوم علينا، ثم أصبحتم تعدّون قتيلين: قتيلا بصفين تبكون

عليه، وقتيلا بالنهروان تطلبون بثأره، فأما الباكى فخاذل، وأما الطالب فثائر .»

إلى هنا يبدو الأمر منطقياً بالرغم من أن هناک روايات أخرى نقلت خطبة

الحسن عليه السلام الحقيقية وفيها إختلاف واضح، ومن أن أحداث الرواية التى إعتمدوها غير

مترابطة؛ لأن الرواية تجمع عشوائياً بين بداية خلافة الحسن عليه السلام بعد موت أبيه مباشرة

وتنقل حديثاً عن جنود خاضوا حرباً لم يحسنوا الصنيع فيها مع أن الجيش الذى كان

بقيادة الإمام الحسن عليه السلام لم يلتق بجيش معاوية ولم يخض الحرب، وتنقل حديثاً آخر عن

ساعات ما بعد الصلح وترک القتال! لكن ما جاء بعد ذلک فى الرواية لا يقبله منطق ولا

عقل لأن الرواية تعود إلى الحديث عن مقترح تقدم به معاوية لعقد الصلح، ووقوف

1- المصدر نفسه، ص: 1538 ، حديث 2797 الجزء 8،حديث 27

الحسن عليه السلام لاستشارة جنده فى الأمر! إذ نسب الديلمى إلى الإمام قوله: «وإن معاوية قد دعا إلى أمر ليس فيه عزٌّ ولا نصفة، فإن أردتم الحياة قبلناه منه، وأغضضنا على القذى، وإن أردتم الموت بذلناه فى ذات الله وحاكمناه إلى الله. فنادى القوم بأجمعهم: بل البقية والحياة .»

ويرى كل منصف أن فى ذاكرة الإمام الحسن عليه السلام ومنذ سويعات بيعته الأولى كانت تتردد مقولات رسول الله صلى الله عليه وآله، ولاسيما بعد أن رأى تخاذل القوم عن نصرة أبيه، فنوى الصلح إبقاءً على الدين وفضحاً للمخالفين، وهذا خلاف ما زعمه الآخرون بأن معاوية هو صاحب الصلح وكأنهم يريدون القول أن بمعاوية حَقِن الله دماء الأمة. ودليلنا فى ذلك خطبة الإمام الحسن عليه السلام التى قالها فى ساباط مظلم قرب المدائن، ومواقف أصحابه فى الصلح. روى أبو الفرج: «وأخذ الحسن على حمام عمر، حتى أتى دير كعب ثم بكر فنزل ساباط دون القنطرة فلما أصبح نادى فى الناس: الصلاة جامعة، فاجتمعوا، وصعد المنبر، فخطبهم، فحمد الله، فقال: الحمد لله كلما حمده حامد، وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد، وأشهد أن محمدا رسول الله أرسله بالحق، وائتمنه على الوحى. أما بعد، فوالله إنى لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنِّه وأنا أنصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغينة ولا مريداً له سوءاً ولا غائلة، ألا وإن ما تكرهون فى الجماعة خير لكم مما تحبّون فى الفرقة، ألا وإنى ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمرى، ولا تردّوا على رأيى، غفر الله لى ولكم وأرشدنى وإياكم لما فيه المحبة والرضا.

قال: فنظر الناس بعضهم إلى بعض، وقالوا: ما ترونه يريد بما قال؟ قالوا: نظنه والله يريد أن يصالح معاوية ويسلم الأمر إليه، فقالوا: كفر والله الرجل ثم شدّوا على

فسطاطه فإنتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته، ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن

جعال الأزدى وهو خارجى، فنزع مطرفه عن عاتقه، فبقى جالسا متقلدا السيف بغير

رداء، ثم دعا بفرسه فركبه، وأحدق به طوائف من خاصته وشيعته، ومنعوا منه من

أراده ولاموه وضعفوه لما تكلم به.

فقال: ادعوا لى ربيعة وهمدان، فدعَوا له، فأطافوا به، ودفعوا الناس عنه، ومعهم

شوب من غيرهم، فقام إليه رجل من بنى أسد من بنى نصر بن قعين يقال له الجراح

بن سنان وهو الآخر خارجى، فلما مر فى مظلم ساباط قام إليه فأخذ بلجام بغلته وبيده

معول، فقال: الله أكبر يا حسن، أشركت كما أشرك أبوك من قبل، ثم طعنه فوقعت

الطعنة فى فخذه فشقته حتى بلغت أربيته فسقط الحسن عليه السلام إلى الأرض بعد أن ضرب

الذى طعنه بسيف كان بيده واعتنقه، وخرَا جميعاً إلى الأرض، فوثب عبد الله بن الخطل فنزع المعول من يد جراح بن سنان فخضخضه به، وأكبَ ظبيان ابن عمارة عليه، فقطع أنفه ثم أخذوا الأجُر فشدخوا وجهه ورأسه، حتى قتلوه »(1). ولهذا السبب ورد

توضيح الإمام الصادق عليه السلام كما فى وصيته لأبى جعفر محمد بن النعمان الأحول المعروف

بمؤمن الطاق: «إعلم أنَّ الحسن بن على عليه السلام لما طعن وإختلف الناس عليه سلَّم الأمر

لمعاوية، فسلَّمت عليه الشيعة: عليک السلام يا مذل المؤمنين، فقال عليه السلام: ما أنا بمذلّ

المؤمنين ولكنى معزّ المؤمنين، إنى لما رأيتكم ليس بكم عليهم قوّة سلّمت الأمر

لأبقى أنا وأنتم بين أظهرهم، كما عاب العالم السفينة لتبقى لأصحابها، وكذلک نفسى

وأنتم لنبقى بينهم »(2).

وما دفع الحسن عليه السلام إلى الصلح فضلاً عما تقدم توضحه المحاورة التى دارت

1- مقاتل الطالبيين، ص 70 - 73

2- تحف العقول، الحسن بن شعبة الحرانى، الأعلمى، ص 224

بينه عليه السلام وبين سفيان بن ليل الذى قال للإمام: «أنت والله بأبى أنت وأمى أذللت رقابنا

حين أعطيت هذا الطاغية البيعة وسلَمتَ الأمر إلى اللعين إبن اللعين إبن آكلة الأكباد ومعک مائة ألف كلهم دونک، وقد جمع الله لک أمر الناس!.

فقال: يا سفيان، إنا أهل بيتٍ إذا علمنا الحق تمسكنا به، وإنى سمعت علياً يقول:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لا تذهب الليالى والأيام حتى يجتمع أمر هذه الأمة على

رجل واسع السُّرم، ضخم البلعوم، يأكل ولا يشبع، لا ينظر إليه، ولا يموت حتى لا

يكون له فى السماء عاذر، ولا فى الأرض عاذر، وإنى عرفت أن الله بالغ أمره »(1)

وتوضحه كذلک المعلومة التالية التى تؤكد بأن معاوية كان يعرفها أيضا ويستغلها

للوصول إلى مبتغاه، فمعاوية نفسه كان يعرف السبب تماماً ويعلم أن فى نزاعه مع

الخلفاء الشرعيين تكْمن مصلحته ويتحقق حلمه تبعاً لحديث صحيح متفق عليه عن

النبى :« ما إختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها »(2). ولقد أزَل

الله لسان معاوية فإعترف صراحة بذلک، ثم ندم عليه وعدل عنه كما فى مقاتل الطالبين

حيث خطب معاوية حين بويع له فقال: «ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها

على أهل حقها، ثم إنه انتبه، فندم، فقال: إلا هذه الأمة فإنها، وإنها»(3)

1- مقاتل الطالبيين، ص 7

2- ورد هـذا الحديث فى كتب الفريقين: مجمع الزوائد ج: 1 ص: 157 كتـاب العلم: باب فى)) الاختلاف. المعجم الأوسط للطبرانى، ج: 7 ص: 370 ، حـديث رقم 7957 . فيض القـدير ج: 5 ص: 415 . حليـة الأولياء لأبى نعيم، ج: 4 ص: 313 ، رقم الحديث: 22 . تذكرة الحفاظ ج: 1 ص: 87 فى ترجمة الشعبى. سير أعلام النبلاء للذهبى، ج: 4 ص: 311 فى ترجمة الشعبى. ذكر من اسمه شعبة ص: 68 . كنز العمال للمتقى الهندى، ج: 1 ص: 183 حديث: 929 . الجامع الصغير للسيوطى ج: 2 ص: 481 حديث: 7799 . شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى، ج: 5 ص: 181

3- مقاتل الطالبين، ص 77

الفصل السادس الصلح و القواعد الفقهية

اشارة

ص :716

الصُلح والقواعد الفقهية

يلتقى الصلح مع كثير من القواعد الفقهية التى تبين أن الإمام الحسن عليه السلام وهو الخليفة المنتخب من قبل الأمة والمنصَّب من قبل الله تعالى رحمةً للناس وهو أولى من غيره فى أنْ يتمسَّک بها ويطبقها مهما كانت النتائج والمواقف، وفى الفقه الإسلامى هناک مجموعة قواعد فقهية يلتقى معها الصلح منها:

درء الحدود بالشبهات

تم استنباط قاعدة (درء الحدود بالشبهات) من مجوعة أحاديث نبوية، منها: قول رسول الله :« إدرؤوا الحدود بالشبهات، ولا شفاعة ولا كفالة ولا يمين فى الحد ». والحديث الآخر: «إدرؤوا الحدود بالشبهات وأقيلوا الكرام عثراتهم إلا فى حد من حدود الله »(1)

وقال العلامة محمد تقى المجلسى فى شرح كلمة (الشبهات): «بكل ما اشتبه عليكم حتى فى المسألة إذا كانت مشتبهة لتعارض الأدلة أو لعدمها ظاهراً »(2)، وقال عبد القادر عودة: «الشبهة هى ما يشبه الثابت وليس بثابت، أو هى وجود المبيح صورة مع انعدام حكمه أو حقيقته »(3)

1- ينظر:، فقه الحدود والتعزيرات، السيد عبد الكريم الاردبيلى، ج 1، ص 86 و 87

2- المصدر نفسه، ج 1، ص 91

3- المصدر نفسه، ج 1، ص 91 ،

لقد سعى الإمام الحسن عليه السلام إلى درء شبهة العدوان بالسعى إلى الصلح، فلقد أتهم هو وأبوه وأخوه الحسين عليه السلام بأنهم يسعون إلى فض نزاعاتهم مع المسلم الآخر بالسيف لا بالحِجاج؛ فأراد الحسن عليه السلام أن يستعمل هذه القاعدة الفقهية ليبعد عنه وعنهم تهماً ما أنزل الله بها من سلطان. ومما لا خلاف عليه أن الإمام الحسن عليه السلام رأى فى الحرب مع رجل عنيد متغطرس لا يردعه رادع عن تحقيق مآربه الدنيوية مثل معاوية مفسدةً كبيرةً لأن الحرب مع هذا العناد سوف تطحن المسلمين طحناً وقد يُقتل ويعوق فيها أضعاف ما قتل وعوق فى صفين لأنها كانت تمثل الفرصة الأخيرة لمعاوية؛ يخسر بخسارتها كل ما حلم به وقام ببنائه على مدى أكثر من عشرين عاماً بمساعدة كل السياسيين، ومعنى ذلك أن الإسلام سوف يخسر خيرة شبابه ويصبح عرضة لهجمات الأعداء من دون أن يملك فرصة الدفاع عن نفسه.

نعم كان فى الحرب منفعة لو ضمن الحسن عليه السلام النصر ولو وثق بجنده والمحيطين به على كثرتهم. وهؤلاء كانوا تحت ضغط شديد فمن جهة كانوا يرون أنفسهم ملزمين بإطاعة ولى الأمر الخليفة المنتخب والإمام المعصوم، ومن جهة أخرى لم يكونوا قادرين على استيعاب سياسة الحسن عليه السلام المبدئية التى تبدو بنظرهم عقيمة قبالة سياسة معاوية التى كانت تتحرك فى كافة الاتجاهات. ومن جهة ثالثة كانت أموال معاوية تلمع أمام أعين الطماعين منهم، فضلا عن ذلك كان رؤساء القبائل الذين يشتركون فى الحروب عادة لتحقيق المكاسب لقبائلهم يرون ما عند الإمام الحسن عليه السلام وما يمكن أن يحققه لهم أقل كثيرا مما يعدهم به معاوية. وفى مثل هذه الحال العصية كان درء المفسدة يتصارع مع تحقيق المنفعة، وكان الحسن عليه السلام بين خيارين إما أن يختار المنفعة للدين والأمة من خلال محاولة إزالة معاوية ومشاكله المستمرة من طريقهم بواسطة الحرب مهما كانت نتائجها وتضحياتها، وإما أن يروّض معاوية بالصلح لكى يكف شره عن الطيبين،

فإختار الصلح درء للمفسدة.

أرى عقلاً أن تقديم درء المفسدة على جلب المنفعة منحوت أصلاً من قاعدتين

فقهيتين الأولى:(لا ضرر ولا ضرار) والثانية:(الأصل فى الأشياء الحلية/الإباحة)

وسيكون هذا مدار حديثنا عن الموضوع. كما أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح،

ولا خلاف فى ذلک بين المدارس الفقهية الإسلامية.

أما لجنة تأليف القواعد الفقهية والأصولية التابعة لمجمع فقه أهل البيت فقد

كانت واضحة فى تعاملها مع القاعدة ابتداءً من النص الذى قالوا عنه: «نص القاعدة:

دفع المفسدة أولى من جلب المنفعة » وصولاً إلى تطرقهم إلى الألفاظ الأخرى للقاعدة،

مثل: «إذا دار الأمر بين دفع المفسدة وجلب المنفعة كان دفع المفسدة أولى من جلب

المنفعة .»

ولتوضيح القاعدة قالت اللجنة: «إذا وقع التزاحم بين واجب وحرام بأن يكون

فى فعل مصلحة ملزمة وفى فعل آخر مفسدة ملزمة، ولم يتمكن المكلف من امتثالهما فإنه

يقال بترجيح جانب الحرام على جانب الواجب لأن دفع المفسدة أولى من جلب المنفعة .»

وتستند مدرستنا فى إقرارها لهذه القاعدة على «إن الظاهر من كلمات من تعرض

لهذه القاعدة هو وضوحها عند العقل ولذا لم يتعرضوا لمستندها»(1)

أما الشيخ باقر الإيروانى فيرى: «إن قاعدة (دفع المفسدة أولى من جلب المصلحة)

هى تامة فى بعض الموارد وليس دائما، فإن المناسب ملاحظة درجة المصلحة ودرجة

1- كافـة الاقتباسات أعلاه مسـتقاة من كتاب قواعـد أصول الفقه على مـذهب الإماميـة، إعداد لجنة تأليف القواعد الفقهية والأصولية التابعة لمجمع فقه أهل البيت،الجمهورية الإسلامية الإيرانية، المجمع العالمى لأهل البيت، طهران، 1423 هـ، ص 174 17

المفسدة، فربما تكون المصلحة اكبر بكثير من المفسدة، كما لو فرض أن فعل الجهاد أو

الصلاة توقف على فعل محرم صغير كاجتياز المغصوب بمقدار شبر، فيلزم فعل الواجب

وترجيح المصلحة لا ترك الواجب والتضحية به لأجل عدم ارتكاب المحرم الصغير،

هذا بلحاظ الأمثلة الشرعية. وأما بلحاظ الأمثلة العرفية فمن الواضح أن العاقل

يذهب إلى المكان الذى يتضرر فيه بمقدار قليل ما دام يستفيد من ذهابه إليه فوائد كبيرة

معنوية ومادية »(1)

ويرى الشيخ الإيروانى: «إن القاعدة المذكورة تنفع لو حصل قطع بالأولوية دون

ما إذا حصل ظن بها، فإنه ليس بحجة ومن الواضح أن غاية ما يحصل عادة هو الظن

بالأولوية دون القطع »(2)

كذلك يرى المحقق الخوئى بأنه: «على القول بالامتناع ووحدة المجمع وجودا

وماهية، فهو إما مشتمل على المصلحة دون المفسدة أو المفسدة دون المصلحة، فليس فى

مورد الاجتماع مفسدة ومصلحة ليدور الأمر بين دفع المفسدة وجلب المنفعة حتى يقال

بأن دفع المفسدة أولى من جلب المنفعة »(3)

وقد أورد الشيخ الكلينى عن عبد الله بن بكير عن زرارة عن أبى جعفر عليه السلام

قال: «إن سمرة بن جندب كان له عذق(4) فى حائط لرجل من الأنصار، وكان منزل

الأنصارى بباب البستان، وكان يمرّ به إلى نخلته ولا يستأذن، فكلّمه الأنصارى أن

1- كفاية الأصول فى أسلوبها الثانى، الشيخ باقر الإيروانى، مؤسسة إحياء التراث الشيعى، رقم الإصدار 19 ، النجف الأشرف، 1429 هجرية، ج 3، ص 5

2- كفاية الأصول، ص 60

3- قواعد أصول الفقه على مذهب الإمامية، مصدر سابق، ص 176

4- العذق: هو النخلة بحملها

يستأذن إذا جاء، فأبى سمرة، فلما تأبّى جاء الأنصارى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فشكا إليه

وخبّره الخبر، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وخبّره بقول الأنصارى وما شكا، وقال: إن

أردت الدخول فاستأذن. فأبى، فلمّا أبى ساوَمه حتى بلغ به من الثمن ما شاء الله، فأبى

أن يبيع ذلک، فقال: لک بها عذق يمدّ لک فى الجنّة، فأبى أن يقبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله

للأنصارى: إذهب فاقلعها وإرمِ بها إليه، فإنه لا ضرر ولا ضرار »(1)

وفق هذا الفهم للقاعدة وأصول اشتقاقها نجد أن كل من اعترض على صلح

الحسن عليه السلام كان جاهلاً لمعنى هذه القاعدة، إذ لو كانوا على علم بمضمونها لما كانوا قد

إعترضوا عليه، ولا إعتبروا الصلح ذُلاً، فالإمام المعصوم عليه السلام أدرى بمكمن المفسدة

والمصلحة من جميع الناس، وهو أولى من غيره بتطبيق قواعد الإسلام شاء الناس أم أبَوا.

أما بعض أتباع مدرسة الخلفاء من الذين تعللوا بحجج واهية ووصفوا الإمام

الحسن عليه السلام بأوصاف دنيوية قالوا بأنها دفعته إلى طلب الصلح؛ فإنهم أكثر جهلاً من

أتباع مدرستنا الذين عدو الصلح ذلاً، والدليل أنّ فقه مدرسة الخلفاء هو الآخر أولى

قاعدة درء المفسدة أهمية كبيرة ولهم فى ذلک قول نصه: «فإن قاعدة: درء المفاسد مقدم

على جلب المصالح، من القواعد الفقهية التى حام حولها كثير من كلام أهل العلم فى

كتب الأحكام والقواعد الفقهية والمقاصد، مما يؤكد على أهمية هذه القاعدة ومكانتها

بين القواعد الفقهية »(2)

ولهم رأى يقول بأن هذه القاعدة ثابتة من الكتاب والسنة: «لقد نهى الإسلام عن

مضرة الآخرين، وأصَّل فى ذلک قاعدة تندرج تحتها كثير من المسائل العلمية، وهى: درء

1- فروع الكافى،ج 5، ص 971 ، حديث رقم 2، باب الضرار، طبعة دار المرتضى

2- ملتقى أهل الحديث، موضوع بعنوان: قاعدة: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح// http

المفاسد مقدم على جلب المصالح، والأدلة على هذه القاعدة ثابتة بالكتاب والسنة، ولها

صور من الواقع الذى نعيشه»(1)

ويرون كذلك إن: «من المسلمات المعروفة فى الشريعة الإسلامية أن درء المفسدة عن

الناس وجلب المصلحة لهم، بكفالة ضرورياتهم وتوفير حاجياتهم وتحسيناتهم من أهم

مقاصدها العامة. ولو استقرأنا نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وآراء

المذاهب الفقهية وجدنا أن تحقيق مصالح الجماهير الواسعة يأتى فى مقدمة تلك المصالح،

حتى غدت هذه القضية لوضوحها فى النصوص وتواترها فى النقل عن السلف الصالح

تشكل قاعدة فقهية عامة، تحسم مسألة تعارض المصالح الخاصة مع المصالح العامة،

لصالح العامة دائماً .»

وهناك فيهم من يرى الأمر أوسع مما تقدم، ولاسيما فى حديثه عن معنى القاعدة:

«تدل القاعدة على أن المفاسد متى ما كانت أكبر من المصالح فإن الواجب دفعها قدر

الإمكان، ولا ينظر فى تحقيق المصلحة لكونها مغمورة فى المفسدة، أما إذا كانت المصلحة

أعظم من المفسدة فالقول الراجح هو الإتيان بتلك المصلحة لكون المفسدة مغمورة فى

تلك المصلحة، وإن تساوت المفاسد والمصالح وهو أمر يكاد يكون متعذراً فقد اختلف

فيه العلماء على ثلاثة أقوال:

القول الأول: دفع المفسدة أولى من جلب المصلحة.

القول الثانى: إن جلب المصلحة أولى من دفع المفسدة

1- موقع إسلام ويب، http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=Full Contentaudioid=179956

القول الثالث: التوقف أو بالتخ فى كل حالة بِحَسَبِها وما يلابسها»(1)

ومن أقوالهم فى هذا المعنى: «فإنَّ القاعدة الفقهية تقول: درء المفاسد مقدم على

جلب المصالح. والمفسدة: هى التى تلحق بمن وقعت عليه الضرر، وهى مرتبطة بقول

النبى « :صلى الله عليه وآله لا ضرر ولا ضرار ». والمصلحة: هى التى تجلب المنفعة لمن كانت له هذه

المصلحة.

والمعنى العام للقاعدة: أنه إذا تعارضت مفسدة مع مصلحة فالأولى أن لا ننشغل

بالمصلحة، بل الأولى إزالة المفسدة؛ لأن إزالة الضرر أولى من جلب المنفعة؛ لأن إزالة

المفسدة أو درءها فيها منفعتان: المنفعة الأولى: عدم وقوع المفسدة. المنفعة الثانية: تركُ

المرء سالماً؛ لأن الضر إذا وقع على الإنسان فإنه يعيقه عن كثير من المصالح التى لا بد أن

يتقدم لها. ففيها منفعتان: قطع هذه المفسدة التى كانت ستقع، وأيضاً قطع أبواب مفاسد

أخرى يمكن أن تجرها هذه المفسدة »(2)

إن مدرسة الخلفاء تعد هذه القاعدة «من القواعد الكبرى التى يعتمد عليها الفقهاء

فى تقرير الأحكام الشرعية للحوادث والمسائل المستجدة، وأغلب كتب القواعد

الفقهية عبرت عنها بقول: «الضرر يزال »، وعبر عنها الشيخ عبد الرحمن السعدى،

والدكتور البورنو، والأستاذ الزرقاء ب «لا ضرر ولا ضرار » وهو ما جعله الآخرون

أصلاً لها »(3)

1- ملتقى أهل الحديث، موضوع بعنوان قاعدة: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.
http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=212504

2- ينظر، موقع إسلام ويب = http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page FullContentaudioid=179956

3- الوجيز فى إيضاح قواعد الفقه الكلية، الدكتور محمد صدقى بن أحمد البورنو، ط 5، مؤسسة الرسالة،بيروت، 1419 ه_ 1998 م، ص 77 وينظر: ج 2 ص 779 ، المدخل الفقهى العام، مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع السلسلة: الفقه الإسلامى فى

ثوبه الجديد، 2004

وهم يرون إن «هذه القاعدة من أركان الشريعة، وتشهد لها نصوص كثيرة من

الكتاب والسنة وهى أساس لمنع الفعل الضار وترتيب نتائجه فى التعويض المالى

والعقوبة، وهى أيضاً سند لمبدأ الاستصلاح فى جلب المصالح ودرء المفاسد، وهى

عدة الفقهاء وعمدتهم وميزانهم فى تقرير الأحكام الشرعية للحوادث »(1)، ويؤمنون

بأن أصلها قوله صلى الله عليه و آليه: « لا ضرر ولا ضرار » وهو حديث أخرجه مالک فى الموطأ عن

عمرو بن يحيى عن أبيه مرسلاً. وأخرجه الحاكم فى المستدرک والبيهقى، والدارقطنى

من حديث أبى سعيد الخدرى، وأخرجه ابن ماجه من حديث ابن عباس وعبادة بن

الصامت.(2)

ويبنى فقهاء مدرسة الخلفاء على هذه القاعدة كثيراً من أبواب الفقه ولاسيما فقه

البيوع، منها: الرد بالعيب، وجميع أنواع الخيارات من اختلاف الوصف المشروط

والتعزير وإفالس المشترى والحجر بأنواعه، والشفعة؛ لأنها شرعت لدفع ضرر

القسمة، والقصاص والحدود و الكفارات، وضمان المتلف والقسمة، ونصب الأئمة

والقضاة، ودفع الصائل وقتال المشركين والبغاة، وفسخ النكاح بالعيوب أو الإفساد أو

غير ذلک(3) ويعتقدون بأن(هذه القاعدة مستفادة من استثناء القرآن الكريم فى حالات

1- ينظر: المدخل الفقهى العام، الأستاذ أحمد الزرقاء ج 2ص 879 . الوجيز فى إيضاح قواعد الفقه الكلية د. محمد صدقى بن أحمد البورنو، ص 8

2- الأشباه و النظائر، الشيخ زين العابدين ابن إبراهيم، شرح:احمد بن محمد الحنفى الحموى ابن نجيم المصرى الحنفى، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان، 1400 هـ 1980 م، ص 5

3- الأشباه والنظائر فى قواعد وفروع فقه الشافعية، جلال الدين عبد الرحمان السيوطى ت 911 ،ط 2، تحقيق مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز، مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة - الرياض، 1418 هـ / 1997 م، ص 4

الاضطرار الطارئة فى ظروف استثنائية بقوله تعالى: إلا ما اضطررتم إليه.(1)

وهم يرون بأن الضرر لا يُزال بمثله أو بالضرر، ويقولون: «هذه القاعدة تعتبر قيداً

لقاعدة: (الضرر يزال) التى أوجبت إزالة الضرر قبل وقوعه ودفعه بعد وقوعه، فإزالة

الضرر لا يجوز أن تكون بإحداث ضرر مثله؛ لأن هذا ليس إزالة، ومن باب أوْلى أن

لا يزال الضرر بضرر أعظم منه، فالشرط أن يزال الضرر بلا إضرار بالغير، فإن أمكن

وإلا فبأخف منه. وعلى ذلك لا يجوز لإنسان محتاج إلى دفع الهلاك عن نفسه جوعاً أن

يأخذ مال محتاج مثله، كما لا يجوز لمن أُكره على القتل أن يقتل إذا كان المراد قتله مسلماً

بغير وجه حق. وإذا ظهر فى المبيع عيب قديم وحدث عند المشترى عيب جديد إمتنع رد

المبيع بالعيب القديم لتضرر البائع بالعيب القديم إلا أن يرضى »(2)

كما يرون أن الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف باختيار أهون الشرين أو أخف

الضررين تبعا لقاعدة: «إذا تعارضت مفسدتان روعى أعظمهما ضرراً بارتكاب

أخفهما(3) أى أن الأمر إذا دار بين ضررين أحدهما أشد من الآخر فيتحمل الأخف ولا

يرتكب الأشد ». والأصل فى هذه القواعد قولهم: «إن من أُبتلى ببليتين وهما متساويتان

يأخذ بأيتهما شاء، وإن إختلفتا يختر أهونهما؛ لأن مباشرة الحرام لا تجوز إلا للضرورة،

ولا ضرورة فى حق الزيادة »(4)

وكلما سرنا مع قواعدهم الفقهية نصل إلى حقيقة صلح الحسن عليه السلام بالرغم مما

1- غمز عيون البصائر وشرح كتاب الأشباه والنظائر، احمد بن محمد الحنفى الحموى،دار الباز، مكة المكرمة، 1405 / 1985 م، ص 672 ، والمدخل الفقهى العام: الزرقاء ص 5

2- ينظر: الوجيز للدكتور البورنو، ص 2

3- أشباه ابن نجيم ص 98

4- المصدر نفسه، ص 98

تعرض له، فهم بعد تلک القواعد أجازوا قاعدة أخرى تقول: «يتحمل الضرر الخاص

لدفع الضرر العام » باعتبار أن هذه القاعدة مبنية على المقاصد الشرعية فى مصالح

العباد. ولكنهم ذهبوا فى تفسيرها بعيداً، فقالوا ب «جواز رمى كفار تترسوا بالأسرى

من المسلمين أو صبيانهم أو نسائهم لدفع ضرر زحفهم عن العموم »(1)وهو ما يعرف

اليوم فى الفقه السلفى الذى ينتهجه تنظيم (القاعدة) بقاعدة (الترس) التى استخدمها

الإرهابيون فى العراق بقيامهم بتفجيرات أدت إلى قتل عشرات المسلمين بهدف قتل

شخص كانوا يترصدونه!.

وفق هذه المفاهيم بمستواها الأسمى قرر الإمام الحسن عليه السلام درء المفسدة الكبيرة

وتفضيل ذلک على المصلحة التى كان يراها صغيرة ويراها الآخرون اكبر من أن يتم

التنازل عنها. ولكن ألا يعتبر تنازله عن الحرب قعوداً عن الجهاد؟.

إن الحسن عليه السلام بوصفه الإمام المعصوم لابد ان يكون عارفاً بفضل الجهاد على القعود

فى الإسلام، وكم جعل الله للمجاهد فى سبيله من فضل وحسنات ودرجات، وقد اخذ

الحسن والحسين عن أبيهما أحاديث الجهاد(2)، ونقلوها إلى أبنائهم الذين ما تركوا الجهاد

فى يوم ما، ولذا صبغت دماؤهم وجه التاريخ الإسلامى كله، وبالتالى لا يمكن للإمام

الحسن عليه السلام أن يترک جهاد معاوية بالبساطة التى يتحدث عنها التاريخ المحرف، وقد

ثبت أن الإمام الحسن عليه السلام رأى فى السلم والموادعة جهاداً أكبر يفوق جهاد السيف فركن

1- الوجيز للدكتور البورنو، ص 58 . وابن نجيم ص 78 ، المدخل الفقهى العام للزرقا، ص .489

2- فى فروع الكـافى الجزء الخامس كتاب كامل عن الجهاد يقع فى اثنين وثلاثين بابا من ص 773 ولغاية ص 812 ما ترک حديثا ورد عن أهل البيت بشأن الجهاد إلا وذكره، فهل يعقل أن الإمام الحسن لم يلتفت إلى هذا الكم الكبير من الأحاديث؟

إلى السلم ليحفظ بيضة الإسلام.

ومن لب قواعد الإسلام الفقهية انطلق الإمام الحسن عليه السلام ليتنازل مؤقتاً عن الخلافة الدنيوية دون الإمامة الربانية درءاً للمفاسد الكثيرة التى تترتب على إصراره على القتال، ولكن لم يتم التعمق فى فهم هذا المقصد السامى النبيل فأُثيرت الشبهات حول الصلح بعد أن قام بعض الإفتائيين ببناء قواعد فقهية كثيرة على أصل الصلح وعلى الأحاديث التى ورد فيها ذكره ولاسيما منها الأحاديث التى وضعها الطرف المنتصر ليشرعن من خلالها مقاتلته للخليفة الشرعى وجلوسه على كرسى حكم الأمة المسلمة.

ويكاد حديث «ابنى هذا سيد » أن يكون المثال الأكثر وضوحا على هذا التلاعب.

بل هل من تحريف أكبر مما جاء فى خطبة معاوية يوم دخل (النخيلة) منتصراً والذى جاء فى كتب التاريخ عنه، ومنهم الشيخ المفيد :«فلما تم الصلح سار معاوية حتى نزل النخيلة وهى معسكر الكوفة وكان ذلک يوم جمعة فصلى بالناس وخطبهم. وقال أبو الفرج: انه جمع الناس بالنخيلة فخطبهم قبل أن يدخل الكوفة خطبة طويلة لم ينقلها أحد من الرواة تامة وجاءت مقطعة فنذكر ما انتهى إلينا منها، فقال: ما إختلفت أمة بعد نبيها إ لا لا ظهر أهل باطلها على أهل حقها ثم إنتبه فإستدرک وقال إ لا لا هذه الأمة فإنها وإنها. قال المفيد وأبو الفرج وقال فى خطبته إنى والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا إنكم لتفعلون ذلک ولكنى قاتلتكم لأتأمرّ عليكم، وقد أعطانى الله ذلک وأنتم كارهون، إلا وانى كنت منّيت الحسن وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمى لا أفى بشىء منها. وفى رواية أبى الفرج أنه قال إن كل شىء أعطيته الحسن بن على تحت قدمَى هاتين لا أفى به قال أبو الفرج قال شريک فى حديثه هذا: هو التهتک.

وقال المدائنى: خطب معاوية أهل الكوفة فقال: أترانى قاتلتكم على الصلاة والزكاة

والحج وقد علمت أنكم تصلون وتزكّون وتحجّون ولكننى قاتلتكم لأتأمّر عليكم وعلى

رقابكم وقد آتانى الله ذلک وأنتم كارهون إن كل مال أو دم أصيب فى هذه الفتنة لمطلول

وكل شرط شرطته فتحت قدمَى هاتين(1) .

ص :728

1- موسوعة الحسن، الرابط http://www.mezan.net/mawsouat/hassan/solh.html

الإمام والوحدة الإسلامية

كان مقدراً لنزاع معاوية مع الإمام الحسن عليه السلام أن يقسم الأمة إلى قسمين متناحرين؛

سواء انتصر معاوية فى النزال، أم بقى الأمر كما هو عليه، بما يشبه انقسام الأمة إلى رعايا

يحكمهم منهجان مختلفان فى دولتين واحدة فى الكوفة والثانية فى الشام. أقول هذا

لأن فرص انتصار الحسن عليه السلام عسكرياً فى هذه المنازلة كانت منطقياً شبه معدومة، بل

معدومة كلياً والأسباب واضحة معروفة، فما تأثير عشرين أو ثلاثين ألف مقاتل كوفى

غير متجانسين فكريا ولا متوافقين عقديا ولا منهجيا قبالة مئة وثلاثين ألف مقاتل

شامى تم إعدادهم إعداداً فكرياً وعقدياً وعسكرياً لمثل هذه المواقف وهذه المنازلة على

مدى أكثر من عشرين عاماً فأصبحوا وحدة متجانسة وأهدافها محددة واضحة.

ولما كان الأئمة المعصومون يرون أن وحدة المجتمع من أهم أسس وركائز

المجتمع المسلم الإنموذجى، فإنهم لا يمكن أن يخالفوا قاعدتهم هذه لأى سبب كان،

نعم كان المفروض بالأمة أن تعرف وتدرك أن أسس الوحدة التى يقوم عليها نظام

المجتمع المسلم لا تتحقق إلا من خلال التطبيق الحرفى لقوله تعالى:(وَاعتَصَمُوا بِحَبلِ الله جَميعاً و لا تَفَرَّقُوا) وتعرف أن حبل الله واضح جلى دلاهم عليه رسول الله ،صلى الله عليه وآله

وأرشدهم إلى معناه بما لا يقبل التأويل إطلاقاً فى قوله: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به

لن تضلوا بعدى أبداً: كتاب الله وعترتى أهل بيتى » ولكن هذا قد لا يكفى أمة غاب

عنها الدفاع عن الحق منذ مؤتمر السقيفة وإلى يوم شورى الستة، فأراد الله للأمة أن تمر

بامتحان نزاع معاوية مع الإمام الحسن عليه السلام، وأراد للإمام الحسن عليه السلام أن يتحمل وزر

هذا الامتحان، ومع ثقل ما حمله أن يدعو إلى الوحدة كرها للفرقة وحفظاً للدين.

ص :729

إن الدعوة للوحدة الإسلامية كانت منهج الإمامة المعصومة المقدم على كثير من

المناهج الأخرى، وقد تحمل أئمة أهل البيت من اجل هذه القضية وهذا المبدأ

لوماً كثيراً، ولؤماً أكثر، وظلماً بلا حدود! ومع ذلک أصروا على متابعة العمل والسير

نحو الهدف المنشود حتى وهم يرون تراثهم نهباً، ومع هذا وذاک يبقى علمهم بالمستقبلية

الأكثر تأثيراً فى قراراتهم وذلک أنهم يعرفون الدرب الذى يسيرون عليه وإلى أين

سيوصلهم وما نتيجة ذلک؛ فتراهم يقاتلون ويصالحون، ويسكتون ويثورون تبعاً لهذه

القواعد المقدسة، وخير دليل على ذلک ما أورده الشيخ محمد اليعقوبى عن كتاب الإمام

الحسين عليه السلام إلى رؤساء أخماس البصرة الذى جاء فيه: «أما بعد فإن الله إصطفى محمدا صلى الله عليه وآله

من خلقه وأكرمه بنبوته وإختاره لرسالته، ثم قبضه إليه وقد نصح لعباده وبلّغ ما أُرسل

به، وكُنّا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته وأحق الناس بمقامه فى الناس، فأستأثر علينا

قومنا فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية ونحن نعلم أنّا أحقّ بذلک الحقّ المستحق

علينا ممن تولاه »(1)

إن الإنسان العاقل الذى يسعى إلى تحقيق ما ينشدُ اليه سلماً أفضل بكثير مما لو

حققه من خلال الحرب، فالحرب كالنار يجب أن تُستخدَم كآخر علاج بعد أن تعجز

العلاجات الأخرى عن الحل، بل قد يتم التنازل عن بعض المطالب المهمة فى سبيل عدم

خوض الحرب حفاظاً على الأمة والدين؛ وذلک هو منهج الإمامة الذى رسمه الإمام

على عليه السلام بتخلّيه عن محاربة من أغتصب حقه، وقمين بالحسن وهو الابن البار لعلى عليهما السلام

أن يكون أكثر الناس تطبيقاً لسياسة والده، وإن كان على عليه السلام قد أوقف مطالبته بحق

التنصيب الإلهى على طريق السلم والحجاج والقتال، فإن الحسن عليه السلام أوقف مطالبته

بذلک الحق على وثيقة الصلح التى وقعها مع معاوية.

1- دور الأئمة فى الحياة السياسـية، الشـيخ محمد اليعقوبى، مؤسسة البديل، دار المتقين، بيروت، ه_1430 2009 م، ص 99 ، عن مقتل الحسين للمقرم، ص 207

وثيقة الصُلح

من الغريب واللافت للنظر أنهم مع كل تلك الضوضاء التى أثاروها حول الصلح

لم يلتفتوا كثيراً إلى ثمرة الصلح وإلى مضمون وثيقة الصلح أو شروطه، ولذا تجدهم

يتجاوزونها، أو يذكرون بعضا منها ويسكتون عن الآخر، أو يوزعونها على مجمل

أقوالهم عن الصلح، وغالباً ما يبترون بعضها أو يبدلون كلمة محل أخرى أو يغيرون

الصياغة حتى كادت أن تضيع علينا ويتلاشى أثرها، وبدل ذلك أكدوا على الصحيفة

البيضاء التى أرسلها معاوية إلى الإمام الحسن عليه السلام بعد أن وافق على الصلح يبغون من

وراء ذلك إظهار معاوية بمظهر الحريص المتسامح المستعد لتقديم كل ما يخطر ولا يخطر

على البال من أجل حقن دماء المسلمين ونزع فتيل الحرب، وقد كانت الصحيفة البيضاء

أكثر أهمية عندهم من محتواها الذى سطره الإمام الحسن عليه السلام بيده الشريفة.

إنَّ مجرد قول الطبرى: «وكان الحسن لا يرى القتال، ولكنه يريد أن يأخذ لنفسه

ما استطاع من معاوية »(1) يظهر الحسن عليه السلام بمظهر الطمّاع الجَشع الذى أراد أن يستغل

الفرص لتحقيق المكاسب الشخصية وعليه يجب أن تتساوق مطالبه وشروطه مع هذا

الجشَع الذى وصفوه به، فيضع من الشروط ما يضمن له الكسب المادى فى كافة المجالات

المتاحة، فلماذا يمتنع عن ذلك ويكتفى بعدّة شروط فحسب؟ ولماذا يتجاهلون تلك

الشروط؟.

1- تاريخ الطبرى،المجلد 3،ص 941

ومجرد قوله: «وقد أرسل معاوية قبل هذا إلى الحسن بصحيفة بيضاء مختوم على

أسفلها، وكتب إليه: أن اشترط فى هذه الصحيفة التى ختمت أسفلها ما شئت فهو

لک »(1) يعنى أنّ الفرصة كانت متاحة أمام الحسن عليه السلام ليتعمق فى الطلب، ويتنوع فى

الرغبة، ويتفنن فى الكسب، وهذه كلها لا يمكن أن تجمعها خمسة أو ستة شروط بل

تحتاج إلى الكثير من التفصيل والتخصيص فى الأقل لكى يحمى نفسه ويضمن حصوله

على تلک المكاسب، فلماذا يتجاهلونها؟.

بل إن الطبرى نفسه جاء بما يثبت أن الحسن عليه السلام طمع فى سماحة معاوية وتجاوز

على سقف المطالب التى طالب بها أولاً، فأضاف إليها أشياء أخرى، حيث قال عن

الصحيفة: «فلما أتت الحسن اشترط أضعاف الشروط التى سأل معاوية قبل ذلک »(2)

ومن حقنا أن نسأل الطبرى: إذن لماذا لم تذكرها، لماذا أغفلتها وهى بهذه الكثرة التى

تصفها بها؟.

وأكثر ما تعرضت له الشروط من دسٍّ وتشويه جاء من السياسيين أنفسهم ومن

أحفادهم بما فيهم المعاصرون، فالدكتور الصلابى ذكر بعضاً منها، وليس كل شروط

الصلح، ولكنه فنّد كل فقرة أوردها، وكذب الروايات بشأنها.

فعن الشرط الأول الخاص بوجوب عمل معاوية بكتاب الله وسنة رسوله، أضاف

الصلابى مقتبسا من الصواعق المحرقة جملة (وسيرة الخلفاء)وهى ليست موجودة فى

النص الأصلى، ثم قال بعد ذلک: «وهذا دليل على توقير الحسن بن على لأبى بكر وعمر

وعثمان وعلى إلى حد جعل من إحدى الشروط على معاوية بن أبى سفيان انه يعمل

1- الطبرى، المجلد 3، ص 942 - 943

2- المصدر نفسه، 3، ص 943

ويحكم فى الناس بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الراشدين»(1)

والملاحظ أن هناك توجهاً واسعاً نحو هذا الاعتقاد الغريب إذ ليس الصلابى

وحده من تحدث عن فقرة (سيرة الخلفاء) فهناك كثيرون ومنهم الشيخ موسى صاحب

كتاب (حليم أهل البيت) الذى أورد هو الآخر هذه الزيادة الغريبة فى الشرط الأول

للصلح، فأورده بنص: «على أن يعمل فيها بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله وسيرة

الخلفاء الصالحين ». والزيادة فى النص هى قوله: (وسيرة الخلفاء الصالحين) وفى رواية

أخرى أوردها تجد الزيادة تنص حرفياً على (سيرة الخلفاء الراشدين) التى رفض الإمام

على عليه السلام العمل بها، حيث يقول النص الزائد: «على أن يعمل فيها بكتاب الله تعالى وسنة

نبيه وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين »(2)

إن مجرد إعطاء معاوية صحيفة بيضاء للحسن ليكتب ما يشاء من الشروط يثبت

أن الحسن ما كان ليحكم نفسه بما رفض أبوه أن يحكم به نفسه من قبل، وأن معاوية ما

كان ليطلب من الحسن عليه السلام إضافة هذه الجملة لأنه كان متلهفا لعقد الصلح أكثر مما هو

مهتماً بشروطه ولاسيما وأنه بيَّت فى خاطره أن يتنكر للشروط متى ما تمكن. إن موافقة

معاوية على كتابة الحسن عليه السلام لهذه الجملة تضعه أمام مسؤولية ما كان ليوافق أن يضع

نفسه تحتها، وبالتالى أرى أن معاوية لم يكن مستعداً ليربط نفسه بهذا القيد حتى ولو أصر

الإمام الحسن عليه السلام على تضمينه لشروط الصلح.

أما الشرط الثانى المتضمن (أن يكون الحسن خليفة من بعد معاوية) فقد فنده

الصلابى باقتباس عن فتوح ابن أعثم الذى روى عن الحسن أنه قال: «أما ولاية الأمر

1- الصلابى، مصدر سابق، ص 320

2- حليم أهل البيت الحسن، الشيخ موسى محمد على، ص 186

من بعده فما أنا بالراغب فى ذلک ولو أردت هذا الأمر لم أسالمه ». ثم أقتبس من

صواعق ابن حجر الهيثمى مدعياً أن الحسن طلب أن يكون الأمر شورى بين المسلمين

ولم يخص نفسه، ونص ابن حجر المقتبَس هو: «بل يكون الأمر من بعده شورى بين

المسلمين » ووصل إلى محصلة مفادها: «طلب الخلافة بعد معاوية نجد أنها تتنافى مع

أنفة وقوة وكرم الحسن، فكيف يتنازل عن الخلافة حقناً لدماء المسلمين ثم يوافق على

أن يكون تابعاً وتشرئب عنقه للخلافة » وختم تأويله بالقول: «ومن الملاحظ أن أحداً

من أبناء الصحابة أو الصحابة لم يذكروا خلال بيعة يزيد شيئا من ذلک، فلو كان الأمر

كما تذكر الروايات عن ولاية عهد الحسن عليه السلام بعد معاوية لأتخذها الحسين ابن على عليه السلام

حجة.. ولو كان الحسن عليه السلام أسند إليه منصب ولاية العهد فى الشروط لكان قريباً بعد

معاوية من إدارة الدولة أو تولى إحدى الأقاليم الكبرى لا أن يذهب إلى المدينة وينعزل

عن إدارة شؤون الحكم .»

أما الشيخ موسى فقد أورد هذا الشرط بصيغتين:

الصيغة الأولى: «ليس لمعاوية أن يعهد لأحد عهداً، بل تكون الخلافة للحسن من

بعده، أو يكون الأمر شورى بين المسلمين .»

الصيغة الثانية: «وليس إلى معاوية بن أبى سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً بل

يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين »(1)

وتجد اختلافا مخزيا فى صياغة هذا الشرط المحرف كما فى نق الدكتور والشيخ عن

ما هو فى الشرط الحقيقى، فالمعروف أن الحسن عليه السلام طلب فى شرطه أن تكون الخلافة

له من بعد معاوية، فإن أصابه مكروه تكون للحسين عليه السلام؛ ولم يرد موضوع الشورى

1- ينظر: المصدر نفسه، ص 186

فی صیغة الشروط، ولا فی صیغة الوثیقة کلها. والمضحک أن الشیخ موسی نسی هذا

القول وأورد فی شروط معاویة التی تقابل شروط الحسن والتی سنوردها فی ختام

المبحث اعترافاً فی الشرطین الأول والعاشر منها یخالف ما جاء به من قبل، نص معاویة

فی الشرط الأول الذی أورده الشیخ، علی: «لک الخلافة من بعدی فأنت أولی الناس بها،

ولک بذلک عهد الله ومیثاقه » ونص فی الشرط العاشر منها علی: «الولایة للحسین إن

حدث بنا حدث » وهذه الصیغة تأتی لتأکید شرط الإمام الحسن علیه السلام ورداً علیه واعترافاً

صریحاً من معاویة بموافقته علی ما جاء فی الشرط، فکیف یلزم معاویة نفسه بشرط یقیده

ویلزمه وهو غیر موجود فی شروط الحسن علیه السلام؛ ویترک الشرط الذی ذکروه والذی یتیح

له تعیین من یشاء للخلافة، لو کان الحسن علیه السلام لم یتطرق فی شروطه إلی الخلافة؟

أما عن شرط التوقف عن سب الإمام علی علیه السلام فینقل الصلابی عن شیخه الدکتور

محمد بطاینة قوله الاحتمالی الذی یبدأه ب_ (قد): «فقد لا تکون هذه القضیة بحثت بین

الحسن ومعاویة وقد أتهم الشیعة معاویة علی سب علی ولعنه فوق المنابر، فهذه الدعوة

لا أساس لها من الصحة... ولم یثبت قط فی روایة صحیحة، ولا یعول علی ما جاء

فی کتب الدمیری والیعقوبی وأبی الفرج الأصفهانی، علما بأن التاریخ الصحیح یؤکد

خلاف ما ذکره هؤلاء من إحترام وتقدیر معاویة لأمیر المؤمنین علی وأهل بیته، فحکایة

لعن علی علی منابر بنی أمیة لا تتفق مع منطق الحوادث ولا طبیعة المتخاصمین»(1)

وقد أورد الشیخ موسی هذا الشرط بتسلسل (4) ونصه: «أن یترک سب علی وأن

لا یذکره إلا بخیر » ولم یعلق علیه، بما یؤکد وجود الشرط ضمن الشروط.(2)

1- ینظر: الصلابی، مصدر سابق، ص 319 - 328

2- سبق وأن تحدثنا باختصار عن موضوع السنة التی أبتدعها معاویة بسب الإمام علی علیه السلام

ونظراً لأهمية الشروط التى ذكرها الشيخ موسى ولاسيما وأنه أورد لائحة أخرى

للشروط تحت عنوان (شروط معاوية للصلح) وضعها قبالة لائحة شروط الحسن ،عليه السلام

سوف أنقل النص حرفياً إتماماً للفائدة.

قال الشيخ موسى: «كتب الإمام الحسن ، وكان ذلک بمسكن » وهذا أول

الوهم فالحسن عليه السلام لم يكن بمسكن، ولم يصل إليها، لأنه كان حينها فى المدائن، والصلح

تم عن طريق المراسلة وليس المفاوضات المباشرة. المهم أن الشيخ ذكر لائحة الصلح

وشروطه، وهى:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما صالح عليه الحسن بن على معاوية بن أبى سفيان، صالحه على أن يسلم إليه

ولاية المسلمين

1 . على أن يعمل فيها بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله وسيرة الخلفاء

الصالحين.

2 . ليس لمعاوية أن يعهد لأحد عهداً، بل تكون الخلافة للحسن من بعده، أو

يكون الأمر شورى بين المسلمين. وفى رواية أخرى: « وليس إلى معاوية بن

أبى سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً بل يكون الأمر من بعده شورى

بين المسلمين .»

3 . الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى فى شامهم وعراقهم وحجازهم

ويمنهم.

4 . أن يترک سب على وأن لا يذكره إلا بخير.

ص :736

5. أصحاب على آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا

فلا يتعرض لأحد منهم بسوء.

6. أن لا يبتغى للحسن بن على ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول

الله غائلة سراً ولا جهراً ولا يخيف أحداً منهم فى أفق من الآفاق.

7. أن يوصل لكل ذى حق حقه.

8. أن يوفر للحسن حقاً قدره خمسون مليون درهم (50 ألف ألف) فى كل سنة.

9. أن يقضى له جميع ديونه.

10 . أن لا يطالب أهل الحجاز والعراق بشىء مما كان أيام أبيه.

11 . أن يعطيه ما غفى بيت مال الكوفة وهو خمسة ملايين درهم (خمسة آلاف

ألف).

12 . أن يكون له خراج دارأبجرد بفارس أو كورين من كور البصرة.

وعلى معاوية بذلک عهد الله وميثاقه، وشهد عليها عبد الله بن الحارث وعمرو بن

سلمة وغيرهما، وكفى بالله شهيدا (1).

أما لائحة شروط معاوية المقابلة لشروط الإمام الحسن عليه السلام، فقد نصت على:

1. لک الخلافة من بعدى فأنت أولى الناس بها، ولک بذلک عهد الله وميثاقه.

2. لک ما فى بيت مال العراق من مال بالغاً ما بلغ، تحمله إلى حيث شئت.

3. لک خراج أى كور العراق شئت، معونة على نفقتک يجبيها أمينک ويحملها

1- حليم آل البيت الحسن بن على، الشيخ موسى محمد على، ص 183 - 184

إليک کل سنة.

4. أن لا يستولى عليک بالإساءة ولا أبغيک غائلة او مکروها.

5. لا تقضى ديونک الأمور.

6. لا تعصى فى أمر أردت فيه طاعة الله.

7. أن لا يتبع أحد بما مضى بالسب أو القذف.

8. لا ينال أحداً من أتباع على بمکروه.

9. لا يذکر على إلا بخير.

10 . الولاية للحسين إن حدث بنا حدث.

11 . لک خراج دار الحرب من أرض فارس وخراج أبجرد أيضا.

12 . ولک فى کل سنة خمسون مليون درهم(1).

إن التلاعب بشروط الصلح وإعادة صياغتها بعيداً عن أصولها يأتى مکملاً لتخريب

عمل السياسيين الأوائل ومتساوقاً معه وداعماً لخطه بما يعنى أن الحراک السياسى الأول

لا زال فاعلاً ومتحکماً فى علاقة المسلمين مع بعضهم، ولا زالت تأثيراته بادية على

سلوکهم وتعاملهم مع الآخر، ويعنى هذا أن المشاکل والإشکالات التى أثارها الفعل

السياسى قديما تثار اليوم بشکل وأسلوب آخر قريباً فى جوهره من الأصل، وهى التى

تتسبب فى مشاکل المسلمين فيما بينهم وبينهم وبين الآخر وأتباع الديانات الأخرى

والحضارة العالمية القائمة، وتوقع الفوضى فى مجتمعاتنا وتنشر ثقافة الکراهية والحقد.

1- المصدر نفسه، ص 185 - 186

معاوية والصُلح

هذا هو معاوية الذى يصفه اليعقوبى بأنه: «جهم الوجه، جاحظ العين، وافر

اللحية، عريض الصدر، عظيم الإليتين، قصير الساقين والفخذين »(1) تحول بعد الصلح

إلى إنسان آخر، لا تحده حدود، ولا توقفه سدود، يبتدع فتخاف الناس أن ترد عليه

إبتداعه، ويأتى من يضع الأحاديث على لسان الصحابة ليشرعنوا تلك البدع؛ ففى

حاشيته على حديث ابن أبى مليكة قال العسقلانى: «أوتر معاوية بعد العشاء بركعة

وعنده مولى لابن عباس فأتى ابن عباس، فقال: دعه فإنه قد صحب رسول الله صلى الله عليه وآله قال

العسقلانى: «قوله:(باب ذكر معاوية)أى ابن أبى سفيان واسمه صخر ويكنى أيضا أبا

حنظلة بن حرب بن أمية بن عبد شمس، أسلم قبل الفتح، وأسلم أبواه بعده، وصحب

النبى صلى الله عليه وآله وكتب له، وولى إمرة دمشق عن عمر بعد موت أخيه يزيد بن أبى سفيان سنة

تسع عشرة وإستمر عليها بعد ذلك إلى خلافة عثمان، ثم زمان محاربته لعلى وللحسن،

ثم إجتمع عليه الناس فى سنة إحدى وأربعين إلى أن مات سنة ستين، فكانت ولايته بين

إمارة ومحاربة ومملكة أكثر من أربعين سنة متوالية »(2)

أما كيف تعامل معاوية مع شروط الصلح، فذلك يحتاج إلى فيلق من علماء النفس

والأطباء النفسيين لتحليل هذه الشخصية المركبة المعقدة ولاسيما وأنه مهَّد لضرب

1- تاريخ اليعقوبى،ج 2،ص 166

2- فتح البارى شرح صحيح البخارى، أحمد بن على بن حجر العسقلانى، مصدر سابق، ص:130

شروط الصلح بعرض الحائط وعدم الوفاء بها حتى فى لحظة إرساله الصحيفة البيضاء

إلى الحسن عليه السلام، ولقد حاول المؤرخون الدفاع عنه بحجج واهية ولكنهم لم ينجحوا فى

إخفاء تنصله عن تلك الشروط، فقالوا فى دفاعهم أن الحسن عليه السلام بعد أن اشترط أضعاف

الشروط التى سأل معاوية قبل ذلک فى الصحيفة المختومة (امسكها عنده) أى لم يرسلها

إلى معاوية ليعرف ما فيها فيوافق أو يرفض، وبالمقابل: «امسک معاوية صحيفة الحسن

التى كتب إليه يسأله ما فيها، فلما التقى معاوية الحسن سأله الحسن أن يعطيه الشروط

التى شرط فى السجل الذى ختم معاوية فى أسفله، فأبى معاوية أن يعطيه ذلک، فقال:

لک ما كنت كتبت إلى أولا تسألنى أن أعطيكه، فإنى قد أعطيتک حين جاءنى كتابک.

فقال الحسن: وأنا قد اشترطت حين جاءنى كتابک وأعطيتنى العهد على الوفاء بما فيه،

فاختلفا فى ذلک، فلم ينفذ للحسن من الشروط شيئا »(1)، ومع كل هذه الصراحة التى

لا يمكن تأويلها أكثر مما جاء فيها يأتى أحد أحفاد السياسيين ليدعى كذباً بعيداً عن كل

أصول البحث العلمى والمنطق والأخلاق.

أن هذا الأمر لم يقع، وإن معاوية: «التزم العمل ببنوده »(2)، وهذا كذب مفضوح

ودس رخيص كان ولا زال يتحكم فى مناهج بحث بعض المدارس الإسلامية.

لم يكن هذا الاختلاف هذا إذاً آخذنا بأقوالهم على علاتها مجرد سوء فهم أو اختلاف

على بعض ما جاء فى الصحيفة؛ لأن مجرد موافقة معاوية على إرسال صحيفة بيضاء

ممهورة بختمه، حتى لو صدقنا قولهم أن الحسن عليه السلام وقعها ولم يرسلها إلى معاوية ليطلع

عليها؛ يعنى انه أعطى الحسن عليه السلام صكا موقعا على بياض جاهزاً للصرف بعد كتابة

المبلغ أياً كان مقداره فيه، وليس من حقه أن يعترض على المبلغ تحت أى ذريعة وأى عذر

1- تاريخ الطبرى، المجلد 3، ص 443

2- المصدر نفسه، ص 187

فالقانون لا يحمى المغفلين! فكيف وعشرات كتب التاريخ تثبت أن تبادل وثائق الصلح

تم بين الطرفين بعد دمغها من قبل الشهود، وبموجب هذا التبادل تم وقف إطلاق النار

وإتمام ما اتفقوا عليه؟

إن تخبطهم يذكرنى بما أورده ابن قتيبة عن الحديث الذى دار بين الإمام الحسن عليه السلام

وسليمان بن صرد الخزاعى بعد الصلح والذى ادعوا فيه أن سليمان حينما دخل على الإمام

قال: «السلام عليک يا مذل المؤمنين »!ثم تخبطوا فى حقيقة من قال هذه الجملة فقالوا

مرة أنه سفيان بن أبى ليلى، وقالوا مرة أخرى أنه أبو عامر سعيد، وغير ذلک،المهم أن ابن

قتيبة يروى من خلال هذا الحوار المزعوم أن سليمان أو أى من الأسماء التى ذكروها قال

للحسن عليه السلام معاتبا: «ثم لم تأخذ لنفسک ثقة فى العهد، ولا حظا من القضية، فلو كنت

إذ فعلت ما فعلت وأعطاک ما أعطاک بينک وبينه من العهد والميثاق كنت كتبت عليه

كتاباً بذلک وأشهدت عليه شهوداً من أهل المشرق والمغرب أن هذا الأمر لک من بعده

كان الأمر علينا أيسر »(1)، أى أن ابن قتيبة ينكر أن تكون هناک صحائف قد تُبودِلت بين

الجانبين، ويقتصر على كلام شفهى دار بينهما، والسبب أن ابن قتيبة من الجماعة الذين

توهموا أن الحسن عليه السلام ومعاوية التقيا فى أرض المعركة كما يتضح من قوله عن الإمام

الحسن عليه السلام: « فلما تمت البيعة له واخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلک كاتب معاوية فأتاه

فخلا به فإصطلح معه على أن لمعاوية الإمامة ما كان حياً، فإذا مات فالأمر للحسن»(2)

أما الحقيقة التى أحجم الرواة والمؤرخون عن التحدث عنها فهى أن السياسيين

كانوا يعتبرون الصلح الذى إعتبره الإمام الحسن عليه السلام مرحلة لحفظ الدين؛ كانوا يعتبرونه

من جانبهم مرحلة مؤقتة لامتصاص الغضب الشعبى، فإذا نجحوا فى ذلک؛ وهم قد

1- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينورى، ج 1، ص 186

2- المصدر نفسه، ج 1، ص 184

نجحوا فعلاً، فإن توظيف الصلح نفسه لقتل الإمام الحسن عليه السلام كان مرحلة أخرى من

مراحل مشروعهم الذرائعى، وقد جاء رفضهم للشروط المدرجة فى الصحيفة لاستفزاز

الإمام الحسن عليه السلام عسى أن يرفض الصلح أو أن يخرج منه قول أو يبدر منه فعل فيه تهديد

أو وعيد لهم، فيتخذوه ذريعة لقتله،وقد تقدم حديثنا عن مؤامرة عمرو بن العاص يوم

طلب من معاوية أن يجبر الحسن عليه السلام لإلقاء خطبة فى شعبه وأمته بكل ما يمثله ذلك من

حرج لقائد قد يعتقد شعبه إنه إنهزم فى المنازلة!.

إن هذا الحراك غير العقلانى يأتى للدفاع عن السياسيين الذين لم يلتزموا بالشروط

التى أوجب الإسلام على المسلم أن يلتزم بها، فالإسلام كان صريحاً دقيقاً واضحاً،

كما فى قوله تعالى: {يا ايها الذين امنوا أوفوا باالعقود}(1)، ذلک لأن الصلح قيمة

عليا وهو من المفردات المهمة التى أولاها الخطاب القرآنى عنايته فكثر تداولها به،

وأستخدمها بمعان جاءت مشتقة من جذرها، وفى الكتاب العزيز الكثير من الكلمات

المرتبطة بالصلح، مثل: صالح، صالحا، الصالحات، الصالحون، صالحين، الصالحين.

وجاء فى مفردات الراغب الأصفهانى: الصلاح ضد الفساد.. وقوبل فى القرآن تارة

بالفساد؛ وتارة بالسيئة، والصلح يختص بإزالة النفار بين الناس، يقال منه: اصطلحوا

وتصالحوا(2).

وفى معجم المصطلحات الفقهية: صُلح: هو إنهاء الخصومة والاتفاق بعد النزاع.

واصطلاحا؛عقد الصلح هو عقد للتسالم والتراضى بين شخصين ويكون العمل على

طبق ما اتفقا عليه، وهو لازم على الطرفين.

1- سورة المائدة،الآية 1.

2- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهانى، ط 6، ذوى القربى، قم، 1431 هـ، ص 489 490 .

وفى اللغة صُلْحٌ،(ص ل ح): عَقَدَ صُلْحاً بَيْنَهُما وِفَاقاً بَعْدَ خِصَامٍ. إنهاءُ حَالَةِ

الحرب، وفى مسند أبى داود والترمذى:(الصلح جائز بين المسلمين، إلا صُلحاً أحل

حراماً أو حرّم حلالاً).

والصلح معاقدة يتوصل بها إلى الإصلاح بين المختلفين ويتنوع أنواعاً: صلح بين

المسلمين وأهل الحرب، وصلح بين أهل العدل وأهل البغى وصلح بين الزوجين إذا

خيف الشقاق بينهما. وأجمعت الأمة على جواز الصلح فى هذه الأنواع التى ذكرناها

ولكل واحد منها باب يفرد له، يذكر فيه أحكامه(1)

والمعاقدة تعهد وعهود، ولا يوجد من ينكر أن شروط الصلح كانت عهوداً واجبة

الوفاء بكل ما لكلمة عهد من معنى فى فكر وعقيدة الإسلام وقد وضع الإسلام قواعد

للوفاء بالعهود وحدوداً لمن يخلفها، علماً إنه حتى فى الجاهلية كانت هناك آداب توجب

عليهم حفظ العهود حيث كانت عهود الجوار سائدة فى قريش ومثلها عقود السقاية

والحجابة وغيرها وكانوا يرعونها حق رعايتها وحينما جاء الإسلام إمتدح فيهم حسن

صنيعهم مع العهود أما أن يأتى مسلم يُطلق عليه لقب (أمير المؤمنين) وينقض عهوده

بل ويضعها تحت قدمه فذلك نزول إلى ما دون مستوى الجاهلية. ويرى عدنان النجوى:

«أن كل عهد يبرمه المؤمن فى حياته يجب أن يكون عهداً نابعاً من عهده مع الله، مرتبطاً

به، ماضياً معه (2)

ولما كان معاوية قد تخلى عن عهده للحسن عليه السلام فإنه بذلك يثبت عدم إرتباطه بعهد

1- المغنى، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن قدامة المقدسى الحنبلى، الجزء الثانى عشر، كتاب الصلح.

2- العهد والبيعة وواقعنا المعاصر،الدكتور عدنان على رضا النجوى، دار الهدى للطباعة والنشر،الرياض، السعودية، 1410 ه_ 1990 م،ص 59 .

الله سبحانه لأن «نقض العهود واتخاذ الأيمان بها دخلاً وغدراً هو صورة من صور

السقوط وزلة القدم، وصورة كذلک من الصد عن سبيل الله »(1)ولذا أرى أن المدارس

الإسلامية التى تجيز قتل الآخر بالرغم من وجود عهود عقدية بينهما يفرضها الاشتراک

بالعقيدة إنما وضع أسسه الفقهية عمل معاوية تجاه صلحه مع الحسن عليه السلام وهو لوحده

يحمل كل الأوزار التى تترتب على ذلک تبعاً لقوله صلى الله عليه و آله : « من سن سنة حسنة.... » لكننا

نسأل: وماذا بعد أن رفض معاوية الشروط، وتآمر لقتل الإمام؟

كان من المفروض، بل من الطبيعى تبعاً للأعراف الدينية والمجتمعية المتداولة

أن يقوم الإمام الحسن عليه السلام هو الآخر بالتخلى عن تلک الشروط ما دام الطرف الثانى

قد أخل بها وهذا متداول حتى فى عصرنا الراهن فى الاتفاقيات الدولية بل وحتى فى

الأعراف العشائرية، ولكن الإمام عليه السلام بقى مصراً على التمسک بها لأنه يعرف أن أعمال

معاوية كانت بهدف استفزازه ودفعه عنوة لكى يعلن عن رفضه الصلح فيقوم بأمر

قواته بقتله والتخلص منه، وينفذ ما منعه الحسن عليه السلام عن تنفيذه فى المرة الأولى.

أما بعيداً عن الروايات المسيسة فإن الوقائع كلها تثبت أن معاوية حرق الشروط

كلها دفعة واحدة، فلم يعمل بكتاب الله وسنّة نبيّه و(سيرة الخلفاء الصالحين) كما

نصت المادة الأولى المحورة. ولم يلتزم بشرط أن يكون الأمر من بعده للحسن ثم للحسين عليهما السلام فجعل الولاية لابنه يزيد من بعده. ولم يتوقف عن سب الإمام على عليه السلام

تبعاً للشرط الثالث بل أصر على سب على وإبنه الحسن عليه السلام. ولم يعطِ الحسن عليه السلام خراج

أبجرد كما نص البند الرابع مدعياً أن أهلها منعوه وهو لا يمكن أن يضغط عليهم. ولم

يلتزم بخامس الشروط الخاص بأمان شيعة على عليه السلام ومحبيه فبدأ بمطاردتهم والقصاص

1- المصدر نفسه، ص 3

منهم وقَتْلُ حجر بن عدى وجماعته خير شاهد على ذلک.

بل إن المؤرخين يجمعون على أن معاوية ألقى فى النخيلة قبل أن يدخل الكوفة خطبة طويلة، كما فى رواية المعتزلى: «وسار معاوية حتى نزل النخيلة وجمع الناس بها فخطبهم قبل أن يدخل الكوفة خطبة طويلة لم ينقلها أحد من الرواة تامة وجاءت متقطعة فى الحديث وسنذكر ما إنتهى منها إلينا »(1) ، فلماذا لم يذكروا منها سوى مقاطع صغيرة؟ ولماذا تم إخفاء غالبها؟ ألا يأتى ذلک لأسباب لا تحتاج إلى كثير عناء لكى تُعرف وأنها بطولها كانت على غرار ما رواه الاعمش بن عمرو بن مرة عن سعيد بن سويد قال: صلى بنا معاوية بالنخيلة الجمعة ثم خطبنا فقال: «والله إنى ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكُوا، إنكم لتفعلون ذلک، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطانى الله ذلک وأنتم كارهون »، وعلى غرار: «ألا إن كل شىء أعطيته الحسن بن على تحت قدمى هاتين، لا أفى به (2).

1- شرح النهج،م 4،ج 16 ،ص 16

2- المصدر نفسه

الحسن عليه السلام بعد الصُلح

منذ (41) هجرية ولغاية 49 أو 50 أو 51 هجرية على اختلاف الروايات يقبع

فى الظل والعتمة عقد زمنى من الصراع المرير، عقد عاشه الإمام الحسن عليه السلام بين نارين

مستعرتين، نار الحزن على دين جده صلى الله عليه وآله الذى يراه يتهاوى تحت ضربات السياسيين،

ونار الحزن وهو يرى نظاماً ودولة تمر فى مرحلة التأسيس المضطربة الحساسة فتسحق

فى طريقها آثار البناء النبوى العلوى، وفضلا عن هذه وتلك كانت قيود الصلح وأوامر

الوفاء بالعهد تُحَجم حراكه وتجعله يحسب للكلمة ألف حساب قبل أن يتفوه بها، ولذا

وجد الإمام الحسن عليه السلام نفسه فى وضع خطير، إما أن يتحمل ما يوجه إليه من نقد لاذع

وكلام جارح من قبل الأصدقاء والأعداء ويسكت، وإما أن يجاهد دون أن يخرج على

تعهداته وإلتزاماته، فإختار المواجهة الناعمة لتكون طريقه لرد هجماتهم والتصدى

لتخريبهم. فى هذه المرحلة الحساسة الحاسمة التى يصفها بعض أحفاد الفصيل السياسى

بأنها كانت مرحلة وذّ ووئام بين الحسن عليه السلام والسياسيين الدنيويين. فى وقت يعرف

القاصى والدانى أن سهام الحقد كانت تنطلق باتجاه الحسن عليه السلام من كل جانب. وفى الحالتين

كان عليه أن يوضِّح منهجه والأسباب التى دفعته إلى الصلح والعودة إلى مدينة جده .صلى الله عليه وآله

كانت كتب معاوية تأتيه بالتهديد والوعيد فيتصدى لها ولمن يلومه على موقفه من

معاوية، روى المدائنى عن إبراهيم بن محمد عن زيد بن أسلم قال: «دخل رجل على

الحسن بالمدينة وفى يده صحيفة فقال له الرجل: ما هذا؟ قال: هذا كتاب معاوية يتوعد

فيه على أمر كذا، فقال الرجل: لقد كنت على النصف فما فعلت؟ فقال له الحسن: أجل

ولكنى خشيت أن تأتى يوم القيامة سبعون ألفاً أو ثمانون ألفاً تشخب أوداجهم دماً

كلهم تستعدى الله فيم هريق دمه (1)

وكان أتباع معاوية يسبون الإمام على عليه السلام علناً وعلى مسمع منه لإغاظته، فكان

يتصدى لهم بإباء كبير، قال المدائنى: وروى أبو الطفيل، قال: «قال الحسن لمولى له

أتعرف معاوية بن خديج؟ قال: نعم، قال: إذا رأيته فأعلمنى، فرآه خارجاً من دار عمرو

بن حريث، فقال: هو هذا، فدعاه، فقال له: أنت الشاتم علياً عند ابن آكلة الأكباد دائماً،

والله لئن وردت الحوض، ولن ترده، لترينه مشمراً عن ساقيه، حاسراً عن ذراعيه يذود

عنه المنافقين (2)

وكان يفضح ممارساتهم ويوضح لهم خاتمة أمرهم بسبب توليهم معاوية وخذلانهم

الدين، قال أبو الحسن (المدائنى): «حدثنا سليمان بن أيوب عن الأسود بن قيس العبدى

أن الحسن عليه السلام قال لقى يوما حبيب بن مسلمة فقال له: يا حبيب رب مسير لک فى غير

طاعة الله! فقال: أما مسيرى إلى أبيک فليس من ذلک؟ قال: بلى والله ولكنک أطعت

معاوية على دنيا قليلة زائلة، فلئن قام بک فى دنياک؛ لقد قعد بک فى آخرتک، ولو كنت

إذ فعلت شراً وقلت خيراً كان ذلک كما قال الله عز وجل:((خلطوا عملا صالحا و ءاخر سيِـئا)) ولكنک كما قال سبحانه: ((كلا بل ران قلوبهم ما كانوا يكسبون))(3)

وكان يتابع شيعته ويدافع عنهم ويحميهم من بطش السياسيين وأعوانهم، قال أبو

الحسن (المدائنى): «طلب زياد رجلاً من أصحاب الحسن ممن كان فى كتاب الأمان،

فكتب إليه الحسن: من الحسن بن على إلى زياد، أما بعد، فقد علمت ما كنا أخذنا من

1- المصدر نفسه، م 4،ح 16 ، ص 7

2- المصدر نفسه، المعتزلى.

3- المصدر نفسه، م 4،ح 16 ، ص 7.

الأمان لأصحابنا، وقد ذكر لى فلان أنک تعرضت له فأحب أن لا تعرض له إلا بخير،

والسلام)(1) وهذا مغاير لما ادعاه الصلابى الذى يرى أن الهاشميين كانوا فى المدينة محل

إجلال وتكريم واحترام من معاوية (2)

وكان عليه أن يتصدى ويُقوّمُ ويرشد وعاظ السلاطين، والمتفيقهين، ومن نصبوا

أنفسهم فى موضع الإفتاء والتفسير، ومن سمع من الرسول صلى الله عليه وآله فوعى كُلاً أو جزءاً،

ومن لم يعِ شيئاً، وكِلا الأنموذجين كانا يكلمان الناس ويعلمانهم الدين ولاسيما الدين

المخلوط بآراء السياسيين، ويستنبطون الأحكام الفقهية من هذا الخلط. فالمدينة يوم

عاد إليها الإمام الحسن عليه السلام كانت تعج بخليط هجين من الناس بما فيهم صحابة رسول

الله صلى الله عليه وآله والتابعين، حيث كان فيها عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وأبو سعيد الخدرى

وجابر بن عبد الله الأنصارى وأبو هريرة وكثيرون غيرهم، وكان لكل منهم طريقته فى

التعامل مع الأحداث ومعطياتها حتى كثرت الرؤى والآراء، وكان الفكر الحسنى هو

بيضة القبان المطلوب منها أن توازن بين الأطروحات.

أذكر هنا أن كل ما وقع فى معسكر الإمام الحسن عليه السلام فى المدائن بما فيه الطعنة التى

وجهها له الخارجى جراح بن سنان كان من تدبير وتخطيط معاوية، وفى حديثه عن

المراسلات قبل الصلح بين الإمام ومعاوية ذكر ابن أبى الحديد أن معاوية كتب للحسن

مهدداً: «أما بعد فإن الله يفعل فى عباده ما يشاء لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب

فأحذر أن تكون منيتک على أيدى رعاع من الناس »(3). ومعاوية لا يعلم الغيب ولا

يملک شيئا من العلم اللدنى وليس بالمتنبىء أو العالم بالأبراج والنجوم وحساب الفلک

1- المصدر نفسه، م 4،ح 16 ، ص 7.

2- ينظر سيرة أمير المؤمنين، الصلابى، ص 350

3- شرح نهج البلاغة، م 4، ج 16 ، ص 13 .

ليعرف أن هناك رعاعاً سوف يحاولون قتل الحسن عليه السلام لو لم يكن هو من دبر تلك المكائد،

وهو بعد سلسلة الجرائم الوحشية التى إرتكبها والتى صبر عليها الإمام الحسن عليه السلام قرر

التخلص منه؛ فدس له السم وقتله بنفس الطريقة والخديعة التى إستعملها مع مالک

الأشتر (رضوان الله تعالى عليه) لتصدق مقولته القميئة: «إن لله جنوداً من عسل » فقال

الإمام الحسن عليه السلام وقد حضرته الوفاة: «لقد حاقت شربته، وبلغ أمنيته، والله ما وفَّى بما

وعد، ولا صدَّق فيما قال (1)

وسواء كان معاوية قد طلب الصلح خدعة أو أن الإمام الحسن عليه السلام قد طلبه تنفيذاً

لوصية جده فى الإصلاح بين الفئتين فإن الأمة هى الملامة أولاً وأخراً لأنها لم ترعى أهل

بيت النبوة بما أمر به جدهم صلى الله عليه وآله، ولم يتمسكوا بهم، وإنما تمسكوا بالسياسيين الدنيويين

الذى أخرجوهم من الدين وأدخلوهم الدنيا، «عن عبد الله بن الحسن المثنى عن أبيه

الحسن السبط عليه السلام قال: خطبنا جدى المصطفى صلى الله عليه وآله يوماً فقال بعد أن حمد الله تعالى

وأثنى عليه: معاشر الناس إنى أدعى فأجيب، وإنى تارک فيكم الثقلين كتاب الله

وعترتى أهل بيتى إن تمسكتم بهما لن تضلوا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علىَّ الحوض

فتعلموا منهم ولا تعلِّموهم فإنهم أعلم منكم ولا تخلوا الأرض ولو خلت لساخت

أو لإنشاخت بأهلها، ثم قال: اللهم إنک لا تُخلى الأرض من حجةٍ على خلقک لئلا

تبطل حجتک ولا تضل أولياءک بعد إذ هديتهم، أولئک الأقلون عددا والأعظمون قدراً

عند الله عز وجل، ولقد دعوت الله تبارک وتعالى أن يجعل العلم والحكمة فى عقبى

وعقب عقبى وفى زرعى وزرع زرعى إلى يوم القيامة فاستجب لى (2)

1- تذكرة الخواص: 23 ، وتاريخ ابن عساكر: 4 / 226 ، وحلية الأولياء: 2 / 38 ، وصفوة الصفوة: 1 / 320 .

2- أهل البيت، الحسن بن على، توفيق أبو علم، ط 3، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص 14 .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكرر على أسماع الأمة: «أللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم

تطهيراً « » أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم»« اللهم أحب من أحبهم وابغض

من ابغضهم ووال من والاهم وعاد من عاداهم وأعن من أعانهم وأجعلهم مطهرين من

دنس معصومين من كل ذنب » فكم واحد من الأمة تمسک بهذه الوصايا؟ وكم واحد

أخلص لرسول الله وأتبع أمره؟ أنا لا أريد الإدعاء بأن لا أحد تمسک بهذه الدعوات لأن

هناک من خلص الصحابة والتابعين من تمسک حرفياً بكل قول تلقاه من رسول الله صلى الله عليه وآله

ولكن هؤلاء كانوا قلة قليلة لأن السياسيين حرفوا الناس عن الطريق القويم وأثَّروا على

عقولهم، وربما لهذا السبب كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ما استقبل الحسن أو الحسين عليهما السلام

يبكى لكى ترسخ الوقائع فى قلوب المسلمين ولا يعلوا عليها فى قلوبهم رنين الدنانير.

لقد أقبل الحسن عليه السلام على جده صلى الله عليه وآله فناداه: «إلى إلى يا بنى فأدناه وأجلسه على فخذه

وبدأ يذكر الأمة بما سيمر عليه فقال: أما الحسن فإنه إبنى وولدى منِّى وقرة عينى وضياء

قلبى وثمرة فؤادى وهو سيد شباب أهل الجنة وحجة الله على الأمة، أمره أمرى وقوله

قولى، فمن تبعه فإنه منى ومن عصاه فليس منى وإنى لمّا نظرت إليه تذكرت ما يجرى

عليه من الذل بعدى » وأنا واقعاً متى ما قرأت هذا النص الغريب أقف عند جمل منه

بعينها ومنها قوله صلى الله عليه و آله : « وهو سيد شباب أهل الجنة »« وحجة الله على الأمة » فهى تأكيد

دامغ لا يقبل التأويل على أن من رفض حجية الحسن عليه السلام إنما رفض حجية رسول الله صلى الله عليه وآله

وعصاه وخرج عن طوعه وخالف أمره. وقوله: «أمره أمرى وقوله قولى » التى تعنى أن

من وضع أمره قبالة أمر الحسن عليه السلام إنما جاء بتحد للنبوة بقدسيتها ووضع أمره قبالتها

تحديا لها. وقوله: «فمن تبعه فإنه منى ومن عصاه فليس منى » التى تعنى أن الذين تبعوا

السياسيين وأطاعوهم وخالفوا الحسن عليه السلام وعصوه فإنهم أخرجوا أنفسهم من طاعة

رسول الله صلى الله عليه وآله ودخلوا فى طاعة الشيطان، فماذا بعد ذلک؟ ماذا يحتاج المعترض أكثر من

هذه الحقائق لكى يعرف موضع قدمه قبل أن تزل به إلى الهاوية؟

وجاء عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وآله كان يأخذ حسناً فيضمه إليه ثم يقول: «اللهم إن هذا

ابنى وأنا أحبه وأحب من يحبه »(1)، فهل أن من حاربه وظلمه وآذاه وسلبه حقه يحبه

ويحب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وهل أن من قاتله ووضع شروط الصلح تحت قدمه وآذاه

ينجو بفعلته اللئيمة هذه، وهو الذى آذى رسول الله صلى الله عليه وآله وآذى الله سبحانه؟ بل هل أن

من نسىَّ الدور الريادى الكبير للإمام الحسن عليه السلام فإتهمه بأنه أخلد بصلحه إلى الدِعة

وآثر العافية والراحة، وفّاه حقه؟

رحم الله سماحة السيد المجاهد عبد الحسين شرف الدين الذى قال فى مقدمته

لكتاب صلح الحسن للشيخ راضى آل ياسين: «ومن الغريب بقاء الناس فى عشواء غماء

من هذا الصلح إلى يومهم هذا (2)

لقد أدرك الإمام الحسن عليه السلام أن وضع الكوفة والأمصار التى بايعته لا يقوى على

تجهيز جيش له قدرة الوقوف بوجه الجيش الشامى الجرار، وشعر بالخطر مع تضاؤل

المسافة بين جيش الشام والكوفة ولذا لجأ إلى خطة محكمة أراد من خلالها تأخير

هجوم معاوية إلى أن يتمكن من تجميع قواته فلجأ إلى المراسلات التى تنوعت معانيها

ومضامينها بين التهديد والوعيد إلى الدعوة للإصلاح وحقن الدماء وتوحيد السيوف

الإسلامية باتجاه واحد، أى أنه استدرج معاوية من خلال تلك الرسائل ليتمهل بالهجوم

على الكوفة، فلما اعترضت جهده مواقف الخذلان التى بدا عليها جنده وشعبه المثخن

بالجراح وذكريات المعارك الدموية آلى على نفسه أن لا يكون السبب فى سفك دماء ليسَ

1- المصدر نفسه، ص 36 .

2- صلح الحسن، الشيخ راضى آل ياسين،شركة الأعلمى للمطبوعات، بيروت، 1431 ه_2010 م، ص 5.

من ورائها طائل، فوافق على الصلح الذى عرضه عليه معاوية، فصان بذلک الدين

ودماء المؤمنين.

أما الوجه الذى تجرأ وقاتل حبيب الله ورسوله، وهو معاوية بن أبى سفيان بن

حرب فقد حاول فى سعيه لشرعنة وجوده على رأس هرم السلطة أن يخلق منظومة

حديثية وينسبها لرسول الله صلى الله عليه وآله تمتدحه وتطعن بالآخر، فأوجد جيشا من الوضاعين

الذين باعوا آخرتهم بدنياهم؛ رضوا أن يضعوا له مئات الأحاديث التى وصل الأمر

ببعضها أنها طعنت بصحابة آخرين مثل أبى بكر وعمر كما فى حديثهم «حدثنا محمد

بن الحسين الفارسى قال: حدثنا محمد بن بكار السكسكى قال: حدثنا أبو القاسم يزيد

بن محمد بن عبد الصمد قال: حدثنا محمد بن شعيب بن شابور قال: حدثنا مروان

بن جناح، عن يونس بن ميسرة بن حلبس الحبلانى، عن عبد الله بن بشر: أن رسول

الله صلى الله عليه وآله استشار أبا بكر وعمر فى شىء، فقالا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله: ادع

لى معاوية. قال: فغضب أبو بكر وعمر فقالا: أما كان فى رسول الله ورجلين من قريش

ما يجدون أمر رسول الله؟ فقال رسول الله: ادع لى معاوية. فلما جاءه وقف بين يديه،

فقال: حملوه أمركم ؛ فإنه قوى أمين (1)

ويأتى هذا بعد أن دعا له النبى صلى الله عليه وآله كما يزعمون بالعلم والوقاية من النار، ففى

المصدر نفسه: «حدثنا الحسين بن عمر، حدثنا إسماعيل بن محمد، حدثنا الحسن بن

عرفة، حدثنا قتيبة بن سعيد، عن ليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، عن يونس بن

سيف، عن الحارث بن زياد صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله: دعا لمعاوية، فقال: اللهم علمه

1- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، مصدر سابق، ج 8، ص: 1525 ، حديث رقم 2776

الكتاب والحساب، وقه العذاب (1)

وفى حديث آخر قالوا أن النبى دعا له ليجعله الله هادياً للأمة: «حدثنا على بن

عمر، حدثنا إسماعيل بن محمد، حدثنا عباس بن محمد، حدثنا أبو مسهر، حدثنا سعيد،

عن ربيعة بن يزيد، عن عبد الرحمن بن أبى عميرة المزنى قال سعيد: وكان من أصحاب

النبى، عن النبى، قال فى معاوية: اللهم اجعله هادياً مهتدياً، وأهده وأهد به (2)

وفى حديث آخر يبشره بأنه من أهل الجنة بعد أن تعذر إدخال اسمه ضمن قائمة

(العشرة المبشرين) لأسباب خاصة! بل وإنه يتزاحم مع رسول الله صلى الله عليه وآله على باب الدخول

إلى الجنة كفرسى رهان أو كالسبابة والوسطى، وقد يسبق الرسول صلى الله عليه وآله لأن الحديث لم

يذكر من سبق منهما!: «حدثنا على بن عمر قال: حدثنا إسماعيل بن محمد قال: حدثنا

عباس بن محمد قال: حدثنا عبد العزيز بن يحيى المروزى، سكن الدجيل قال: حدثنا

إسماعيل بن عياش الحمصى، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر

قال: قال رسول الله: يدخل عليكم من هذا الباب رجل من أهل الجنة، فدخل معاوية،

ثم قال من الغد، ودخل معاوية، ثم قال من الغد مثل ذلك فدخل معاوية، فقال رجل:

يا رسول الله هذا هو؟ قال: هذا هو. ثم قال رسول الله: أنت منى يا معاوية وأنا منك،

أنت تزاحمنى على باب الجنة كهاتين السبابة والوسطى قال: وجمعهما (3)

بل وجاؤوا بحديث ادعوا فيه أن النبى صلى الله عليه وآله وعده بالخلافة وقال له إذا وليت فإتق الله

وأعدل!: «حدثنا محمد بن أحمد بن سهل قال: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن قال:حدثنا

بشر بن موسى قال: حدثنا أحمد بن محمد الأزرقى قال: حدثنا عمرو بن يحيى، عن جده

1- المصدر نفسه، ص 1527 ، حديث 2777 ،

2- المصدر نفسه، ص 1527 ،حديث 2778

3- المصدر نفسه، ص 1527 ،حديث 2779

قال: كانت إدواة(1) يحملها أبو هريرة يوضئ بها رسول الله فأخذ معاوية إدواة مثلها،

وكان يتبع بها رسول الله فنظر إليه النبى، وقال: إن وليت أمراً فإتق الله واعدل (2)

ونسبوا إلى معاوية حديثا يدعى فيه بأنه لن يخرج من الدنيا إلا بعد أن يبتلى بالخلافة،

كما فى قوله الذى أخرجه له جماعة شرح أصول اعتقاد أهل السنة: «قال معاوية: قد

عرفت أنى لا أفارق الدنيا حتى أبتلى؛ لقول رسول الله: إن وليت أمرا فاتق الله واعدل(3)

ولا أدرى من ضربه على يده لكى يبتلى نفسه بالخلافة؟ أليس هو الذى حارب

علياً عليه السلام ودس له من يقتله غدراً كل ذلك طمعاً بها؟ أليس هو من حارب الحسن عليه السلام

ودس له من يسقيه السم ختلاً طمعاً بها؟ أليس هو من أوصى ولده يزيد بقتل كل من لا

يبايعه على الخلافة حتى ولو كان الحسين ابن النبى صلى الله عليه وآله؟ أليس هو من قال لأهل الكوفة:

بل قاتلتكم لأتأمر عليكم؟ أليس هو الداهية الماكر الذى إستخدم كل إنحطاط السياسة

وغدرها لكى يستولى على خلافة المسلمين؟

ومع إنتهاء حقبة وضع الحديث جاءت حقبة وضع المقال ونشره، وكما كان

الحديث مدفوع الثمن بالدينار الذهب أصبح المقال مدفوع الثمن بدولار البترول، وإذا

ما كان هناك من يصدق بالأقوال التافهة المكذوبة المنسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ويأخذ بها

ويعتمدها مصدراً للتوثيق لا يصعب عليه أن يأخذ بما يأتى فى المقالات التافهة.

أليسوا هم من أرادوا تلميع الصورة المشوهة للدهاء الذى وصف به معاوية،

والذى قلنا من قبل أنه مصطلح استخدم بدلاً عن مصطلح السياسة، حيث حاول وعاظ

1- هكذا بالأصل والصحيح إداوة: وهى إناء صغير من جلد يتخذ إناء.

2- المصدر نفسه، شرح أصول الإعتقاد، ص 1525 حديث 2773 .

3- المصدر نفسه، ج 8، ص 1525 ، حديث 2774 .

السلاطين إضفاء لمسة من الشرف على سياسة الدهاء والمكر فحولوها من (الخديعة

والتآمر) إلى (الأناة والحلم) حيث جاء عنهم قولهم: «حدثنا عبد الرحمن بن عمر، حدثنا

محمد بن جعفر قال: حدثنا محمد بن الصلت قال: حدثنا النضر بن إسماعيل البجلى، عن

مجالد، عن الشعبى قال: الدهاة أربعة: معاوية للأناة والحلم، وعمرو للداهية والحرب،

والمغيرة للمعضلات الشدائد، وزياد على الصغير والكبير (1)

وإلى الذين يعتقدون بأن الله تعالى يحب معاوية ولذا فقهه فى الدين ووفقه

للفوز بالخلافة وأعانه للانتصار على أعظم شخصيتين فى التاريخ؛ الإمام على وولده

الحسن عليهما السلام أكتفى بإيراد رأى المرحوم سيد قطب (2) بمعاوية وإنتصاره المزعوم، قال

سيد قطب: «إن معاوية وزميله عمرو بن العاص لم يغلبا علياً لأنهما أعرف منه بدخائل

النفوس، وأَخْبَرُ منهُ بالتصرف النافع فى الظرف المناسب، ولكن لأنهما طليقان فى

إستخدام كل سلاح، وهو مُقيد بأخلاقه فى اختيار وسائل الصراع. وحين يركن معاوية

وزميله إلى الكذب والغش والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذمم لا يملك على أن

يتد إلى هذا الدرک الأسفل. فلا عجب إذ ينجحان ويفشل، وإنه لفشل أشرف من كل

نجاح.على أن غلبة معاوية على على، كانت لأسباب أكبر من الرجلين: كانت غلبة جيل

على جيل، وعصر على عصر، وإتجاه على إتجاه. كان مدُّ الروح الإسلامى العالى قد أخذ

ينحسر. وإرتد الكثيرون من العرب إلى المنحدر الذى رفعهم منهُ الإسلام، بينما بقى على

فى القمة لا يتبع هذا الانحسار، ولا يرضى بأن يجرفهُ التيار. من هنا كانت هزيمته، وهى

1- المصدر نفسه، ص: 1534 ، الجزء 8،حديث رقم 2790 .

2- سيد قطب رجل دين مصرى هو الذى أسس تنظيم الأخوان المسلمين فى مصر فى خمسينات القرن الماضى

هزيمة أشرف من كل انتصار (1)

لقد ذكر سيد قطب جزء صغيراً من الحقيقة الكبيرة، فماذا كان مصيره، وكيف جوبه؟ وكيف نظر إليه المعاصرون من أحفاد السياسيين القدماء؟ ولماذا وصل بهم الأمر إلى تكفيره؟ إن من يبغى التجديد والتصحيح يجابه بهجمات شرسة لإجباره إما على الرجوع عن آرائهِ، أو السكوت وعدم التكلم، ولذا كانت الهجمة التى جوبه بها سيد قطب شديدة لدرجة أنهم اتهموه بأنه يسب الصحابة ويتطاول على الجيل الأول، بل ويسب الأنبياء، وأول من تبنى تكفيره هم الإفتائيون من أبناء الفصيل السياسى بالذات، ومن هؤلاء (عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ) المفتى العام للمملكة العربية السعودية يرد على كلام سيد قطب فى (الصحابيين)معاوية وعمرو بن العاص بقوله: «هذا كلام باطنى خبيث أو يهودى لَعين ما يتكلم بهذا مسلم. عمرو بن العاص شهد له النبى بالجنة ومعاوية من فضلاء الصحابة وهم رضى الله لهم الدين وأهل وتقوى وصلاح لا يشك مسلم فيهم ولا فعلوا شيئا يعاب عليهم وكل ما قاله أولئك فمجرد فرية وكذب وتضليل وعياذاً بالله عنوان نفاق ممن قاله » وبعد هذه الهجمات الشديدة سكت سيد قطب وسبح مع التيار لا ضده.

وفى مناسبة أخرى كتب محمد حامد الأحمرى موضوعا عن ما سمى بالربيع العربى قال فيه: «وهذه الثورات هى تحرير من العبودية للحاكم المستبد، وإنقاذ للإنسان العربى الذى تردى فى ظلمات الاستبداد عقوداً طويلة، حتى كاد ينسى كرامته وحريته، إن هذا التحرر استعادة لقيم الحرية والاختيار فى الإسلام، تلك التى غابت منذ أن أجبر معاوية العرب على حكم يزيد، فحرموا بعدها قروناً متطاولة من المشاركة فى اختيار

1- كتب وشخصيات، سيّد قطب،طبعة دار الشروق، القاهرة، صفحة 242 243

الحاكم » فثارت ثائرتهم وجن جنونهم، فكفروه وفسقوه وأباحوا دمه، ونعتوه بواطىء

النعوت مثل: قزم، زائغ، ضال، الدعى، الصعلوك، المرتزق، الخبيث، ولقد وردت هذه

النعوت كلها فى مقال واحد كتب ضده، ولك أن تتخيل النعوت الأخرى التى نعت بها

الرجل لمجرد أنه قال: «منذ أن أجبر معاوية العرب على حكم يزيد » وهى حقيقة تاريخية

يعرفونها قبل غيرهم!

إن المقال المذكور نشر فى جريدة العرب القطرية وجاء فيه: «كيف لقزم يتهجم على

الجبل الأشم والطود العظيم الذى ضرب به المثل فقال المسلمون عنه: وفاء بغدر خير

من غدر بغدر، يا للعجب أن يأتى زائغ ضال ليرمى نجم العوالى معاوية، الذى استنارت

بحلمه الأرض وتعطرت المجالس بذكره الجميل. يا لمهزلة الدعى الأحمرى، صعلوك

مرتزق يرفع عقيرته ويتبجح ليطول السحاب أو يزحزح الجبال. يا من تتناول بين الفينة

والفينة فى أطروحاتك وتلميحاتك الخبيثة عظيم من عظماء التاريخ ألا وهو سيدنا

معاوية بن أبى سفيان معاوية وما أدراك ما معاوية؟ أحد دهاة العرب وسادتها فى

الجاهلية والإسلام، فاتح عظيم وقائد سياسى محنک فصيح اللسان شجاع كريم شهم

حليم من أعظم خلفاء المسلمين فى التاريخ »(1). ولک أن تتخيل الحالة النفسية التى يمر

بها الكاتب وهو يقرأ مثل هذا التهديد والوعيد، ولاسيما فى زمن الكواتم والمفخخات.

القضية التاريخية بكل تأكيد ليست كما يريد تدليسها أحفاد السياسيين الأولين،

ولا إجتهاد فيها، ولا أجر لمن خرج عن طاعة الشرعية والشريعة، بل كانت ثأرا سياسيا

تعود بداياته إلى أيام البعثة الأولى، يوم نزع الإسلام هيبة العرب الجاهليين ومرغ أنوف

العصاة منهم بالتراب، وإستمرت تتجدد مع كل واقعة فى ذلک التاريخ فكانت كل

1- جريدة العرب القطرية، الأحد 12 / 6 / 1432 هـ، 15 / 5 / 2011 م، الدوحة عبدالله العذبة إياد الدليمى

حروبهم التى شُنت ضد الإسلام بسببها وطلباً للثأر البدوى القديم وذحل الجاهلية

اللئيم، ثم جاءت حروبهم مع على عليه السلام طلباً للثأر ذاته، وبعدها جاءت حربهم مع

الحسن عليه السلام فلما صالحهم فرحوا لأنهم أخذوا بثأرهم من أهل البيت .

ولقد اعترف السياسيون أنفسهم بأنها معركة ثأر لا معركة عقيدة أو جهاد، وأن

فوزهم الظاهرى فيها هو الذى أعاد لهم أمجاد جاهليتهم التى جردهم الإسلام منها،

فأسمع إلى قول السياسى ابن كريز عن هذا الثأر، كما نقل الثقفى فى الغارات: «فلما بايعه

الحسن تفرغ معاوية لاستعمال العمال، فبعث المغيرة بن شعبة على الكوفة... وبعث عتبة

بن أبى سفيان على البصرة، فقام إليه عبد الله بن عامر(1) وقال: يا أمير المؤمنين إن عثمان

هلك وأنا عامل البصرة عزلنى على فجعلت مالى ودائع عند الناس، فإن أنت لم تولنى

البصرة ذهب مالى الذى فى أيدى الناس، فولاه عند ذلك البصرة، فخرج إليها، وسرح

معه معاوية بسر بن أرطأة فى جيش؛ فأقبل حتى دخل البصرة فصعد المنبر فقال: الحمد

لله الذى أصلح أمر الأمة وجمع الكلمة وأدرك لنا بثأرنا وكفانا مؤنة عدونا... ثم إن

بسراً صعد درجتين من المنبر ثم نادى بأعلى صوته: ألا إن ذمة الله بريئة ممن لم يخرج

فيبايع، ألا إن الله طلب بدم عثمان؛ فقتل قاتليه ورد الأمر إلى أهله(2)

فهل أن أمر الإسلام يعود إلى الطلقاء فنزعه أهل البيت منهم تحدياً لأمر الله

1- عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس يكنى أبا عبد الرحمن ابن خال عثمان بن عفان، ولاه البصرة بعد عزله لأبى موسى الأشعرى وضم إليه بلاد فارس وهو ابن خمس وعشرين سنة وبقى عليها إلى ان قتل عثمان فسار بما عنده من الأموال إلى مكة فوافى طلحة والزبير ورجع بهم فشهد معهم وقعة الجمل ولم يحضر صفين ثم إنضم إلى معاوية فولاه البصرة وبقى عليها ثلاث سنين ثم عزله فنزل المدينة ومات سنة سبع أو ثمان وخمسين. ينظر: الإصابة، ابن حجر، حرف العين.

2- الغارات، الثقفى، ص 444 445 .

فأعاده الله إليهم، لكى يدعى بسر مثل هذا الإدعاء الأجوف، أم ماذا؟ وهل أن علياً عليه السلام

هو من قتل عثمان لكى يطلبوا ثأرهم لعثمان منه ومن بنيه؟ وبأى حق يطلبون ثأراً من

خليفتين شرعيين اختارتهما الأمة؟ ولماذا كرهوا علياً عليه السلام كل هذا الكره؛ فكفروه؛ وهو

أول القوم إسلاماً، وأعظمهم إيماناً، وأقربهم إلى رسول الله ؟صلى الله عليه وآله

فضلاً عما تكشفه هذه الرواية التى وضعت النقاط على الحروف يتبين أن طلب

ثأرهم الجاهلى كان عميقاً فى كرهه لعلى عليه السلام ولكل ما يمت لعلى عليه السلام بصلة، ويكفى دليلاً

أن أحد قواد معاوية المقربون منه وهو بسر بن أرطأة الذى دخل البصرة مع ابن كريز

بعد مقتل على عليه السلام قام على المنبر فذكر علياً عليه السلام فقال: «أنشدكم بالله أتعلمون أن علياً كان

كافراً منافقاً؟ فسكت الناس. فرد عليهم القول؛ وقال: ألا ترون أناشدكم؟ (1)

ولم يكتف بسر بن أرطأة بتوجيه هذا الاتهام إلى رجل الإسلام الخالد وإنما قام

بأفعال شنيعة مروعة ضد أتباع على عليه السلام ومحبيه وشيعته والسائرين على نهجه: «قال:

وأقبل بسر يتتبع كل من كان له بلاء مع على عليه السلام أو كان من أصحابه وكل من أبطأ عن

البيعة، فأقبل يحرق دورهم ويخربها، وينهب أموالهم (2)

إن الترضى والترحم على معاوية جاء من تمسك بعض المدارس الإسلامية بحديث

منسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عن بسر بن سعيد،عن ابى قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله يقول صلى الله عليه وآله

يقول«اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم اصاب فله اجران و اذا حكم فاجتهد فاخطا فله اجر »(3) وتجد المنافذ التى فتحها لهم هذا

1- المصدر نفسه، ص 447 448 .

2- المصدر نفسه، ص 449 .

3- صحيح البخارى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب اجر الحاكم إذا إجتهد فاصاب أو اخطا، ص 268 ،ج 4، دار الفكر بيروت بغداد.

الحديث واسعة يمر من خلالها الجمل والفيل والزرافة والحصان وحتى البغل والحمار

وما هو أصغر أو اكبر.

وبناءً عليه عدّوا معاوية فى صفين مجتهداً أخطأ وله أجر لأن الله عادل لا يمكن أن

يحرمه من الأجر حتى ولو تسبب بمقتل أكثر من مئة ألف مسلم موحد. ولكنک تجدهم

يعدون الحسن بن على عليه السلام الخليفة الشرعى الذى كان يدافع عن الشرعية والعقيدة قبالة

تلک الهجمة مجتهدا أخطأ وله أجر واحد تماماً مثل أجر معاوية فى صفين. وبين هذا

وذاک لا يعدون الحسين عليه السلام مجتهداً سواء أكان مخطئاً أم مصيباً؛ فلا أجر له، لأنه خرج

على خليفة لا يملک ذرة من الشرعية، فأى تحيز كبير هذا؟

إن هذا التمايز الغريب جعلهم يعدون من أمتنع عن دفع الزكاة لحكومة الخليفة

أبى بكر مرتداً كافراً، بينما يعدون من خرج على الخليفة على عليه السلام وحاربه طمعاً فى الدنيا،

صحابياً عدلاً ومن المبشرين بالجنة. وجعلهم يعدون من سب أحداً من الصحابه مهما

كانت منزلته كافراً زنديقاً متآمراً على الإسلام يستوجب التعزير فإن لم يمتنع يقتل، أما

من يمتنع عن سب صحابى جليل كما فعل حجر بن عدى (رحمة الله) الذى امتنع عن سب

الإمام على عليه السلام فمصيره الذبح؛ لأنه بنظرهم متأول عاص مخالف للجماعة يستحق القتل

صبرا.

هذا التمايز المتحيز إستمر إلى اليوم بما يؤكد أن المنهج السياسى القديم لا زال فاعلاً

ومؤثراً ومتحكماً بعقول عدد كبير من المسلمين، فعندما دخلت المعارضة العراقية إلى

البلد أثناء وبعد الاحتلال الأمريكى حكم عليهم أحفاد السياسيين بالكفر وكفروا تبعاً

لذلک جميع الشيعة، وإعتبروهم من الخارجين من الملة باعتبار أنهم استعانوا بالأجنبى

الكافر للخلاص من الطاغية، ولكنهم لا بأس أن يستعينوا بالكافر الأجنبى نفسه

لتحرير الكويت من الغزو الصدامى، ولا بأس أن تمر بوارج أمريكا الحربية من قناة السويس وتنطلق طائراتها الحربية من القواعد الخليجية لقصف العراق بتبريک من الأخوان المسلمين، ولا بأس أن تتخذ القيادة المركزية الأمريكية للحرب على العراق من قاعدة (السيليه) القطرية مقراً متقدماً لها، ولا بأس أن يستعينوا بعد ذلک التاريخ بالأجنبى الكافر نفسه لقتل الرئيس الليبى معمر القذافى وتخريب ليبيا، ولا بأس أن يستعينوا به لقتل الرئيس السورى بشار الأسد. ولا بأس أن يستعينوا به لتدمير حزب الله فى لبنان. ومع ذلک يتهمون العراقيين الشرفاء بأنهم عملاء وأذناب للمحتل الأمريكى ويجب قتالهم وقتلهم بكل الطرق الممكنة فإستقدموا الإنتحاريين المجانين من فلسطين والأردن وليبيا وسوريا والسعودية ومصر والمغرب وإريتريا وموريتانيا والشيشان وأوكلوا لهم ذبح الإسلام والمسلمين.

وقد ذهب الشيخ يوسف القرضاوى إلى مصر أثناء ما عرف باسم (ثورة الربيع العربى) وصلى بالناس جماعة فى ساحة التحرير بالقاهرة يحرضهم على القتل والهمجية، ولكنه بعد عودته إلى الخليج أصدر فتوى تكفر الثوار البحرينيين وتعدهم من الخارجين على ولى الأمر!

واليوم تجد السعوديين والقطريين يدافعون بقوة وشراسة عن الشعب السورى وحقه بالحصول على نظام ديمقراطى وإنتخابات حرة نزيهة وهم أنفسهم لا يسمحون بمجرد التظاهر السلمى؛ ويعدون الديمقراطية والانتخابات والمظاهرات بدعا مخالفة للإسلام ولا إجتهاد فيها!

وأنا هنا لا أجترئ على أحد ولا أتهم أحداً من عباد الله ظلماً حينما أورد الحقيقة التاريخية التى عجزت مصادر المخالفين عن تكذيبها أو تضعيفها، ولا أتطاول على

صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله حينما أنقل ما شجر بين السياسيين منهم وبين أهل البيت

الكرام ؛ كيف وكل ما يشجر بيننا اليوم من نزاع وصراع ومواجهة أصله ومنبعه

من تلك المصائب التى أحدثها السياسيون؟

أما ما يسمونه ظلماً باسم (حسن الظن) فلا حسن فيه، لا والله، فمن المستحيل

أن أكذب عقلى وأبطل المنطق وأضعف المنهج العلمى وأخالف المنقول الصادق وكل

الحقائق لكى لا أُتهم بسوء الظن لمجرد أنى أقول الحقيقة، لا، فذلك يعنى الخداع بعينه

والدجل بأعلى صوره والتدليس والكذب والمراوغة وكل العادات السيئة فى الكون،

كيف أسكت عن حقائق واضحة وضوح الشمس لكى أحسن الظن بمن تسبب فى

تدمير الإسلام وتقسيمه وإضعافه وقتل جماله وسماحته وبساطته؟ كيف أسكت عمن

تسبب بمقتل آلاف الصحابة الكرام فى الجمل وصفين والنهروان وغيرها؟ كيف

أسكت وهل من المعقول أن أصدق بالصفة التى وضعها دكتور خالد بن محمد الغيث

عضو هيئة التدريس فى جامعة أم القرى قسم التاريخ الإسلامى لسلامة القلب بقوله

المرعب: «فإن سلامة القلب تجاه صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، والتأدب معهم، وإحسان الظن

بهم هى من صميم اعتقاد أهل السنة والجماعة، وعن ذلك يقول ابن الصلاح : ثم إن

الأمة مجمعةٌ على تعديل جميع الصحابة، ومن لابس الفتن منهم فكذلك، بإجماع العلماء

الذين يُعتد بهم فى الإجماع؛ إحساناً للظن بهم، ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر، وكأن الله

سبحانه أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة، والله أعلم (1)

ومع انه لا يوجد عاقل فى الكون كله ممكن أن يصدق فكرة أننا نتطاول على

الصحابة الكرام؛ ذلك الجيل المثالى الرائع لمجرد ذكرنا لبعض حقائق التاريخ ولبعض ما

1- المقدمـة، مرويات خلافـة معاويـة فى تاريخ الطبرى، دراسة نقدية مقارنة، دكتور خالد بن محمد الغيث، دار الأندلس الخضـراء، جدة، ألسعودية، 1420 2000 .

أحدثته سياسة بعضهم من نفور وتباعد، إلا أن السياسيين المعاصرين أحفاد السياسيين

الأوائل وبعد أن أيقنوا بصحة معتقدنا صَعُبَ عليهم أن يكتشف العالم حقيقة ما يدور

فأرادوا منعنا من بيان مثالب معاوية وباقى السياسيين بإعتبار أن ذلک هو المنفذ للتطاول

على الصحابة، أو كما يقول الدكتور خالد بن محمد: «هذا ويشكِّل من لابس الفتنة من

الصحابة مثل معاوية مدخلاً لأعداء هذا الدين للنيل من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، وعن

ذلک يقول عبد الله بن المبارک (رحمة الله): معاوية عندنا محنة، فمن رأيناه ينظر إليه شزراً،

إتهمناه على القوم)يعنى الصحابة(وقال الربيع بن نافع الحلبى (رحمة الله): معاوية ستر

لأصحاب محمد صلى الله عليه وآله، فإذا كشف الرجل الستر، إجترأ على ما وراءه (1)

إن هذا التخبط الأعمى هو الذى دفع المدعو فيصل نور إلى خبط الحابل بالنابل

وتوجيه السب واللعن إلى جميع من وقفوا موقفاً تصحيحياً من معاوية، فقال فى موقعه:

«ما زال مسلسل الشيعة الإمامية عليهم من الله ما يستحقون فى النيل من الصحابة

الكرام وأعراضهم مستمراً ومن ضمن هؤلاء الصحابة معاوية بن أبى سفيان الذى

قاتل علياً وهذا القتال جرى بقدر الله تعالى ليبتلى المؤمنين به هل يمسكون ألسنتهم

ويسلمون أم يخوضون فيه ويأثمون. لكن الشيعة هداهم الله أصروا على موقفهم من

معاوية،انه ضال كافر فأوردنا عليهم دليلاً قاصماً لا يمكن رده وهو مبايعة الحسن

لمعاوية بعد مقتل أبيه علىّ .... فنحن نقول: ها هو الحسن إمامكم المعصوم قد

بايع معاوية ورضى بمبايعته... فكيف يبايعه ويأمر بمبايعته إذا كان يعتقد أنه ضال

كافر؟ ثم إن فعل الإنسان أى إنسان لا يخلو أن يكون:إما صحيح محض، أو خطأ

محض، أو صحيح يحتمل الخطأ، أو خطأ يحتمل الصحة. فمن أى هذه الأنواع كان

1- المصدر نفسه.

فعل الحسن (1)

فانظروا إلى من خدعهم هراء التاريخ الكاذب كيف تعلقوا بماضٍ تافه جامد حجب الرؤية عنهم وباعد بينهم وبين الحياة الطبيعية. أنظروا إليهم كيف تعلقوا بمواريث الكذب والدجل والخديعة والغش والدماء، وكيف أثرَّ هذا التعلق على طرائق تفكيرهم وسلوكهم فجمدهم فى مساحات مغلقة لا علاقة لها من التاريخ المعاصر والحياة القائمة فباتوا فى سلوكهم وكلامهم وكأنهم أقوام غزتنا من عمق التاريخ ومجاهل الصحراء التى لم تصل الحضارة إليها ولم يطرق التمدن بابها، فأضافوا إلى هموم البشرية هموماً أخرى فى وقت يبدو فيه المشهد العالمى المعاصر مأساوياً بكل ما للكلمة من معنى حيث ثلث العالم فى حالة حرب، وثلاثون مليون شخص مصابون بمرض نقص المناعة المكتسبة (الايدز) فى أفريقيا وحدها، وكل بقرة فى الإتحاد الأوربى تستهلك نحو 2،5 دولار فى اليوم وهذا أكثر مما يقتات به 75 % من سكان أفريقيا، وتصرف أمريكا أكثر من 10 مليارات دولار سنوياً على الأفلام والمجلات الإباحية، وفى مدينة آفون البرازيلية هناك 700000 امرأة تعمل فى مجالات الجنس والدعارة بينما يبلغ مجموع عناصر القوات المسلحة البرازيلية 454000 عنصر فقط، وتبلغ تجارة العالم بالمخدرات نحو 400 مليار دولار، وتتعرض نحو 120000 فتاة للاتجار فى أوربا الغربية كل عام(2)

ونحن وإن كنا أقل من ذلك إحصاء إلا أننا لسنا معصومين من الوصول إلى هذه النتيجة سواء طوعاً نتيجة التأثر بما يحدث فى العالم الذى تحول اليوم على قرية صغيرة يسمع من هو فى القطب الشمالى آهة من هو فى القطب الجنوبى ساعة وقوعها، أو قسرا

1- موقع فيصل نور، http://www.fnoor.com/fn0364.htm

2- ينظر: حقيقة ينبغى أن تغير العالم، جيسيكا ويليامز، ترجمة مركز التعريب والبرمجة، الدار العربية للعلوم،بيروت، 2005 .

نتيجة الغزو الثقافى الممنهج والمدعوم بالإمكانيات العظيمة التى يمتلكها الغرب.

وعليه يجب أن نأخذ حذرنا وننمى حيطتنا ونعمل جاهدين للم شمل امتنا

بالتوافق على بعض نقاط الخلاف بيننا ولاسيما منها تلك التى أبان العلم المعاصر زيفها

وأبطل تأثيرها وفعلها، وما من متعة اكبر من أن نمجد ديننا الحق ورسولنا الأمين صلى الله عليه وآله

وأهل البيت الكرام ونمحو آثار الظلم الذى أصابهم وعدم التصديق بما روى

عنهم من مهازل ومخالفات لا يرتكبها أقل المسلمين علماً بحدود الشريعة وتعاليمها.

وما روى من فضائل وتبجيل عن أعدائهم ومبغضيهم، وما أحوجنا اليوم للاتفاق على

نزاهة وعلو شأن وكبير منزلة الإمام الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام، وانحطاط درجة

من أراد به السوء قولاً أو فعلاً، فنظرية من أخطأ فقتل ألوف المسلمين نتيجة النزق

والطمع بالإمرة والملك لا يمكن أن يتقبلها عاقل، وما هى إلا وليداً سفاحاً للسياسة

التى صادرت الدين ومحت آثاره.

فما الضير لو اتفقنا على حب على وأهل بيته (رحمة الله)مادام حبهم من الإيمان وقد

قال رسول الله صلى الله عليه و آله :« وَاللَّهِ لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا .»

وأنا لا أقصد بقولى هذا فئة بعينها لأنى أجد الجميع مقصرين بحق الإمام الحسن بن

على عليهما السلام بدرجات متفاوتة، ولله در الشهيد مطهرى الذى قال عن الإمام الحسين عليه السلام:

«استشهد الإمام الحسين ثلاث مرات:

الأولى: على يد اليزيديين بفقدانه لجسده.

والثانية: على يد أعدائه الذين شوّهوا سمعته وأساءوا لمقامه.

أما الثالثة: فعندما إستشهدت أهدافه على يد بعض المؤلفين. وكان هذا هو

الاستشهاد الأعظم ». ولم يسعنى الإطلاع على ما قاله بحق أخيه الإمام الحسن ،

ولكنى على يقين تام أنه لو كان قد قال بحق الحسن عليه السلام قولاً مشابهاً، ربما كان قد أضاف

إليه لوعة رابعة وحتى خامسة وسادسة، لعمق ما أرتكب بحق الحسن .عليه السلام

وآخر ما أريد قوله: ذلک هو الحسن عليه السلام، وهؤلاء هم أعداؤه، ولا ميزان فى الكون

كله ممكن أن تجمع كفتاه طوداً شامخا كالحسن عليه السلام مع قعر لا قرار له كمعاوية. وأن

الحسن عليه السلام بجهاده ووجوده أكمل ما بدأه أبوه فى مراحل بناء الفكر الشيعى فكان بحق

المؤسس الحقيقى للتشيع، وهو الذى سَلمَ بناءه العامر إلى أخيه الحسين عليه السلام ليكمل

مراحل البناء، فوصل إلينا وعمَر قلوبنا وضمائرنا، ولولا الحسن عليه السلام ودوره العظيم ما كان لنا أن نعرف التشيع ونعتنقه ونخلص له، فعليه سلام الله.

ص :767

مراجع ومصادر الجزء الثانى

(أ)

أعيان الشيعة، محسن الأمين العاملى، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، طبعة دارالتعارف

للمطبوعات، بيروت، لبنان، سنة 1406 هـ / 1986 م.

أهل البيت، الحسن بن على،توفيق أبو علم، ط 3، دار المعارف، القاهرة، مصر.

أهل البيت وبيت المال، السيد محسن النورى الموسوى، منشورات حسين التميمى، دار

المتقين، بيروت، 2009 .

الأنوار النعمانية، ج 4،ص 152 كتاب الكترونى .

الإمام الحسن عليه السلام القائد والأسوة للشيخ حسين سليمان سليمان، كتاب ألكترونى، مكتبة

الحسن عليه السلام العقائدية.

أبناء الزهراء أبناء الرسول، الشيخ رضا الأستادى، بركزيده، قم، إيران، 1388 هـ.

أئمة أهل البيت ودورهم فى تحصين الرسالة الإسلامية، الإمام الشهيد السيد محمد باقر

الصدر، العارف للمطبوعات، بيروت، 1429 هـ 2008 م.

أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن،محمد الأمين بن محمد بن المختار الجنكى

الشنقيطى، دار الفكر،: 1415 هـ / 1995 م.

الإرشاد الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبرى البغدادى المفيد (336 _ 413هـ)

الإسلام وأصول الحكم، على عبد الرزاق، بيروت، 1972 .

الأغانى، أبو الفرج على بن الحسين القرشى الأصبهانى أو الأصفهانى (284 هـ -)

ص :769

356 هـ/ 897 م) تحقيق على مهنا وسمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

الأخبار الطوال، أبو حنيفة احمد بن داود الدينورى، تصحيح فلاديمير جرجاس، طبعه ليدن سنه 1888 ، كتاب الكترونى، مكتبة المصطفى.

الإمامة والسياسة، المعروف بتاريخ الخلفاء، أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (213 _ 276 هـ)تحقيق على شيرى، منشورات الشريف الرضى،(د.ت).

أسباب النزول، أبى الحسن على بن أحمد الواحدى النيسابورى، تحقيق عبد الله المنشاوى، دار صلاح الدين، القاهرة، 2001 .

الاختصاص، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبرى البغدادى الملقب بالشيخ المفيد،مؤسسة التاريخ العربى، بيروت، 1430 هـ_ 2009 م.

إتحاف الجماعة بما جاء فى الفتن والملاحم وأشراط الساعة، الشيخ حمود بن عبد الله التويجرى، الرياض، 1394 .

أعلام النصر المبين فى المفاضلة بين أهلى صفين، أبى الخطاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبى.

الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، الإمام الحافظ أبى عمر بن عبد البر، صححه وخرج أحاديثه عادل مرشد، دار الأعلام، 1423 هـ_ 2002 م.

الأشباه و النظائر، الشيخ زين العابدين ابن إبراهيم، شرح:احمد بن محمد الحنفى الحموى ابن نجيم المصرى الحنفى، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان، 1400 هـ_ 1980 م.

الأشباه والنظائر فى قواعد وفروع فقه الشافعية، جلال الدين عبد الرحمان السيوطى ت 911 هـ،ط 2، تحقيق مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز، مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة - الرياض، 1418 هـ_ / 1997 م.

الإصابة فی تمییز الصحابة، ابن حجر العسقلانی (773_ 852 ه_)، تحقیق خلیل مأمون

شیحا، دار المعرفة، بیروت،)د.ت(.

إحیاء علوم الدین، أبو حامد محمد بن محمد الغزالی، تقدیم بدوی طبانة، تصویر مکتبه

کریاطه فوترا – سماراغ - إندونیسیا، کتاب الکترونی، المکتبة الوقفیة.

(ب)

البدایة والنهایة، عماد الدین أبو الفداء إسماعیل بن عمر بن کثیر القرشی الدمشقی

(701 774 ه_) تحقیق الدکتور عبد الله بن عبد المحسن الترکی، دار عالم الکتب،بحار الأنوار، المجلسی.

البحر الزخار المعروف بمسند البزار،أبو بکر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتکی

البزار.

)ت(

تاریخ دمشق الکبیر، أبو القاسم علی بن الحسن بن هبة الله الشافعی المعروف بابن

عساکر (ت 571 ه_) تحقیق الشیخ عبد القادر بدران، دار المسیرة، بیروت، 1979 .

تهذیب تاریخ دمشق الکبیر، أبو القاسم علی بن الحسن بن هبة الله الشافعی المعروف

بابن عساکر (ت 571 ه_) تهـذیب وترتیب الشـیخ عبد القادر بدران،دار المسـیرة،بیروت،تاریخ الأمم والملوک، جعفر بن محمد بن جریر الطبری (224 315 ه_) مراجعة نواف

الجراح، دار صادر، بیروت، 2003 .

تاریخ بغداد، أحمد بن علی بن ثابت الخطیب البغدادی أبو بکر – ابن النجار تحقیق بشار

عواد معروف، دار الغرب الإسلامی، سنة الطبع: 1422 ه_ - م 2001 .

ص :771

تمهيد الأوائل فى تلخيص الدلائل، القاضى أبو بكر محمد بن طيب الباقلانى، تحقيق

الشيخ عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتاب الثقافية، 1407 هـ / 1987 م.

تأريخ اليعقوبى، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبى البغدادى)تتاريخ الخلفاء، جلال الدين عبد الرحمن السيوطى (ت 911 هـ) ط 3، تحقيق محمد محى

الدين عبد الحميد، مكتبة الشرق الجديد، بغداد، دار العلوم الحديثة، بيروت، 1987 .

تحف العقول، الحسن بن شعبة الحرانى، الأعلمى.

تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، الحافظ يوسف بن الزكى عبدالرحمن أبو الحجاج جمال

الدين المزى (654 742 هـ)، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة،

بيروت، 1980 م- 1400 هـ.

تفسير القرآن العظيم، تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى

الدمشقى، تحقيق سامى محمد السلامة، سنة النشر: 1422 هـ / 2002 م .

تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان، (تفسير السعدى)، الشيخ عبد الرحمن بن

ناصر السعدى، تقديم الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل والشيخ محمد الصالح

العثيمين، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر

والتوزيع، 1423 هـ - 2002 م .

تراث الفكر السياسى قبل الأمير وبعده، الدكتور فاروق السعد، ط 24 ، دار الآفاق

الجديدة، بيروت، 2002 .

تحفة الأحوذى، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، دار الكتب العلمية.

تذكرة خواص الأمة فى خصائص الأئمة، الحافظ أبو الفرج سبط ابن الجوزى، قدم له

السيد محمد صادق بحر العلوم، مكتبة نينوى، العراق،(د.ت).

تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدى،

الناشر: طبعة الكويت.

)ج(

الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبى، أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى

القرطبى،دار الفكر للطباعة والنشر.

جامع البيان عن تأويل آى القرآن، تفسير الطبرى، محمد بن جرير الطبرى، دار المعارف،

تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف، مصر،.

الجليس الصالح الكافى والأنيس الناصح الشافى، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى

الجريرى النهروانى (ت 390 هـ)، تحقيق عبد الكريم سامى الجندى، دار الكتب العلمية،

بيروت - لبنان، 1426 هـ - 2005 م.

(ح)

الحرية فى الإسلام،الدكتور على عبد الواحد، دار المعارف، مصر، 1968 ، سلسلة اقرأ

304.

الحياة السياسية للإمام الحسن فى عهد الرسول صلى الله عليه وآله والخلفاء الثلاثة بعده، جعفر مرتضى

العاملى، ط 4، المركز الإسلامى للدراسات، بيروت،لبنان، 1432 هـ/ 2011 م.

الحسن بن على رجل الحرب والسلام، السيد محمد على الحلو،مؤسسة السبطين العالمية،

1426_ه.

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،الإمام الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن

إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهانى.

الحياة السياسية للإمام الحسن،السيد جعفر مرتضى العاملى،المركز الإسلامى للدراسات،

بيروت، 1432 هـ 2011 م.

حياة الإمام الحسن، الشيخ باقر شريف القرشي.

حليم آل البيت الحسن بن على، الشيخ موسى محمد على، ط 2،عالم الكتب، بيروت،حقيقة ينبغى أن تغير العالم، جيسيكا ويليامز، ترجمة مركز التعريب والبرمجة، الدار

العربية للعلوم،بيروت، 2005 .

(خ)

الخلافة المغتصبة أزمة تاريخ أم أزمة مؤرخ؟(للأستاذ إدريس الحسينى، كتاب

الكترونى،مركز الأبحاث العقائدية.

الخلافة الإسلامية، محمد سعيد العشماوى، ط 2، دار سينا، القاهرة، 1992 .

الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية، الدكتور محمد عمارة، ط 3، المؤسسة العربية

للدراسات والنشر، بيروت، 1984 .

الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندى (ت 573 هـ)، مؤسسة الإمام المهدى،

بإشراف السيد محمد باقر الموحد الأبطحى، قم، إيران، 1409 هـ، كتاب الكترونى .

(د)

دائرة المعارف الإسلامية، مجموعة مستشرقين، ج/ 401 402 . تم إصدارها على

طبعتين، الأولى بين 1913 و 1938 ، والثانية ما بين 1954 و 2005 ، ويتم إصدارها

من قبل شركة بريل الهولندية. وقد ظهرت هذه الموسوعة بأكثر من لغة، أما بالنسبة

للعربية فقد تم تعريب بعض أجزائها وتنقيحها وصدرت فى مصر فى الستينات وأعيد

طبعها بالشارقة عام 1998 . ج 1، ص 401 402 .

الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية، الدكتور محمد عمارة، 1409 1988 ،

دار الشروق، القاهرة.

ص :774

الدولة الفاطمية، قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع

الهجرى،الدكتور عبد الله محمد جمال الدين،دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة،

مصر، 1411 ه_ 1991 م.

الدولة الفاطمية، قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع

الهجرى،الدكتور عبد الله محمد جمال الدين،دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة،

مصر، 1411 ه_ 1991 م.

دور الأئمة فى الحياة السياسية، الشيخ محمد اليعقوبى، مؤسسة البديل، دار المتقين،

بيروت، 1430 ه_ 2009 م.

(ر)

الروضة البهية فى شرح اللمعة الدمشقية، الشهيد الثانى، دار الهادى.

الرائد معجم لغوى عصرى، جبران مسعود، دار العلم للملايين، سنة النشر: 1992 .

(ز)

الزواج الإسلامى، نظرة مختصرة على العلاقات الزوجية فى الإسلام، السيد عبد

الحسين دستغيب، ترجمة لجنة الهدى، ط 3، دار البلاغة، بيروت، 1431 ه_ 2010 م.

زوجات الأئمة المعصومين، الشيخ ماجد ناصر الزبيدى،دار المحجة البيضاء، بيروت،الزواج السياسى فى عصر المماليک 648 923 ه_، الدكتور فاضل جابر ضاحى والدكتور

ثامر نعمان مصطاف،ط 2، دار رند للطباعة والنشر، دمشق، 2010 .

زاد المعاد فى هدى خير العباد، الإمام شمس الدين أبى عبد الله ابن القيم الجوزية،

مؤسسة الرسالة، سنة النشر: 1418 ه_ / 1998 .

(س)

سير أعلام النبلاء، الذهبى، تحقيق محمد العرقسوسى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413 هجرية.

سيرة أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن على، الدكتور على محمد الصلابى،ط 8، دار المعرفة، بيروت، 1430 هـ_ 2009 م.

سنن الترمذى، محمد بن عيسى بن سورة الترمذى، دار الكتب العلمية، بيروت.

سنن النسائى بشرح جلال الدين السيوطى وحاشية السندى، أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن بجر النسائى، دار الجيل، بيروت، 1407 هـ_ 1987 م.

سنن أبى داود، سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى، المكتبة العصرية.

سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزوينى، المكتبة العلمية، بيروت.

(ش)

شرائع الإسلام فى مسائل الحلال والحرام، المحقق الحلى، ط 2، تعليق السيد صادق الشيرازى، منشورات استقلال، طهران، مطبعة أمير .

الشائعات المشهورة ضد الإمام الحسن، الشيخ الدكتور نجاح الطائى، دار الهدى لإحياء التراث، بيروت، 1431 هـ_ 2010 م.

شرح نهج البلاغة، عز الدين أبى حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائنى الشهير بابن أبى الحديد المعتزلى،دار المعرفة، دار الكاتب العربى، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، (د.ت)

الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى (ت 360 هـ)، تحقيق الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجى، دار الوطن، الرياض،: 1418 1997 .

شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين

من بعدهم،أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبرى اللالكائى (ت 418)،

ط 4، تحقيق: د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدى، دار طيبة، الرياض، 1416 هـ - 1995 م.

(ص)

الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة، أحمد بن حجر الهيثمى المكى، مكتبة القاهرة، مصر.

صحيح البخارى، أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى 0194 256 هـ دار إحياء التراث العربى، بيروت، 1422 هـ 2001 م، جزء واحد.

* - وطبعة دار الفكر، بيروت بغداد، 1986 ، أربعة أجزاء.

صفة الصفوة، أبو الفرج ابن الجوزى، ط 3، تحقيق محمود فاخورى، خرج أحاديثه محمد رواس قلعجى، دار المعرفة، بيروت، 1405 هـ .

صلح الإمام الحسن وثورة الإمام الحسين من منظور السنن التاريخية فى القرآن الكريم،محسن الأراكى،مجمع أهل البيت، النجف الأشرف، 1433 هـ.

صلح الحسن، الشيخ راضى آل ياسين،شركة الأعلمى للمطبوعات، بيروت، 1431 هـ 2010 م.

(ط)

الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الزهرى (ت 230 هـ)، تحقيق على محمد عمر، مكتبة الخانجى، القاهرة، مصر، سنة النشر: 1421 - 2001 .

طبقات ابن سعد، القسم المفقود، تحقيق الدكتور محمد بن صامل.

(ع)

على بن محمد المدائنى (ت 228) ودوره فى كتابة التاريخ، رسالة من متطلبات درجة

الماجستير تقدم بها الطالب عماد عزام جوابرة إلى قسم التاريخ بكلية الدراسات العليا فى جامعة النجاح الوطنية فى نابلس، فلسطين عام 1421 هجرية 2001 ميلادية.

على ومعاوية، فى الرواية العربية المبكرة، أيلرلنغ ليدوک بيترسن، ترجمة عبد الجبار الناجى، مكتبة دار المجتبى، النجف، العراق.

عقائد الإمامية،الشيخ محمد رضا المظفر،ط 2، مركز الأبحاث العقائدية، النجف الأشرف، 1424 هجرية.

عقيدة الشيعة، دوايت م. رونلدسن، مؤسسة المفيد، بيروت، 1990 .

العقيدة والشريعة فى الإسلام، للمستشرق أجناس جولد تسيهر، نقله إلى العربية محمد يوسف موسى وآخرون، دار الرائد العربى، بيروت، 1946 .

علمانية الحكم، الشيخ الدكتور سفر بن عبدالرحمن الحوالى.

العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، 1404 هـ - 1983 م.

علل الشرائع، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.

عاشوراء بين الصلح الحسنى والكيد السفيانى، السيد جعفر مرتضى العاملى، كتاب ألكترونى، مكتبة العقائد، مركز الأبحاث العقائدية.

عون المعبود،محمد شمس الحق العظيم آبادى، دار الفكر، سنة النشر: 1415 هـ / 1995 م، أربعة عشر جزء.

العهد والبيعة وواقعنا المعاصر،الدكتور عدنان على رضا النجوى، دار الهدى للطباعة والنشر،الرياض، السعودية، 1410 هـ_1990 م،.

ص :778

(غ)

الغارات، إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال المعروف بابن هلال الثقفى، تحقيق عبد الزهرة الحسينى،دار الأضواء، بيروت، 1407 ه_ 1987 م.

غمز عيون البصائر وشرح كتاب الأشباه والنظائر، احمد بن محمد الحنفى الحموى،دار الباز، مكة المكرمة، 1405 ه_ / 1985 م.

(ف)

فى رحاب الإمام الحسن المجتبى، قسم الثقافة والإعلام، الشؤون الفكرية والثقافية فى العتبة الكاظمية المقدسة، 1433 ه_.

فتح البارى شرح صحيح البخارى، أحمد بن على بن حجر العسقلانى، دارالريان للتراث، سنة النشر: 1407 ه_ / 1986 م.

الفتنة الكبرى، طه حسين، طبعة القاهرة، 1970 .

الفرقة بين الزوجين وما يتعلق بها من عدة ونسب، على حسب الله،دار الفكر العربى، بيروت، 1387 ه_ 1968 م.

فلسفة الدولة فى الفكر السياسى الشيعى، ولاية الفقيه أنموذجا، الدكتور الشيخ محمد شقير، دار الهادى، بيروت، 2002 .

الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى، الدكتور محمد البهىّ،ط 4، مكتبة وهبة، القاهرة.طبع لأول مرة عام 1957 م.

فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير، الإمام محمد بن على بن محمد الشوكانى، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، 1415 ه_ 1994 م.

فقه الحدود والتعزيرات، السيد عبد الكريم الاردبيلى، مؤسسة النشر لجامعة المفيد، قم، طهران، 1427 هجرية.

(ق)

قواعد أصول الفقه على مذهب الإمامية، إعداد لجنة تأليف القواعد الفقهية والأصولية التابعة لمجمع فقه أهل البيت،الجمهورية الإسلامية الإيرانية، المجمع العالمى لأهل البيت، طهران، 1423 هـ.

قاعدة لا ضرر ولا ضرار، محمد عبد العزيز السويلم. الرياض: دار عالم الكتاب، الطبعة الأولى، 1423 هـ - 2002 م .

قاعدة لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام » سماحة السيد صادق الحسينى الشيرازى.

قوت القلوب فى معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، محمد بن على بن عطية الحارثى، أبو طالب المكى (المتوفى: 386 هـ) تحقيق الدكتور عاصم إبراهيم الكيالى، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1426 هـ - 2005 م.

(ک)

كفاية الأصول فى أسلوبها الثانى، الشيخ باقر الإيروانى،مؤسسة إحياء التراث الشيعى، رقم الإصدار 19 ، النجف الأشرف، 1429 هجرية.

الكافى، محمد بن يعقوب الكلينى (ت 328 329)، دار المرتضى، بيروت، 2005 .

الكبر، معهد الإمام الخمينى للدراسات الإسلامية، كربلاء المقدسة، العراق.

كشف الالتباس فى معرفة أحوال ابن عباس، الشيخ على الأحرارى، بدون بيانات نشر.

كشف الغمة فى معرفة الأئمة، أبو الحسن على بن عيسى بن أبى الفتح الأربلى، ط 2، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1985 .

الكامل فى التاريخ، عز الدين أبى الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى ابن الأثير (555 630 هـ) تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، 1428 هـ 2007 م.

كتب وشخصيات، سيّد قطب،طبعة دار الشروق، القاهرة،)د.ت(.

)ل(

لامنس – موسوعة المستشرقين، الدكتور عبد الرحمن بدوى.

اللمعة المضيئة فى تاريخ الإباضية، بالحاج بن عدون قشار، ط 2، مكتبة الضامرى،

السيب، سلطنة عمان، 1411 ه_ 1990 م.

لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور،) 630 ه_/ 1232 م - 711)م(

المستدرک على الصحيحين، أبى عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى، تحقيق

مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002 .

المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى أحمد الزيات حامد عبد القادر محمد النجار، تحقيق

مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، 2004 .

المسند، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، دار إحياء التراث العربى،سنة النشر:مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل بن شاكر

السامرى الخرائطى المتوفى عام 327 ه_، تحقيق ودراسة الدكتور عبد الله بن بجاش بن

ثابت الحميرى، طبعة مكتبة الرشد، 2006 م.

مقاتل الطالبيين، أبى الفرج الأصفهانى) 284 356 ه_(تحقيق أحمد صقر، مؤسسة

العطار الثقافية، قم، إيران، 1428 ه_.

مكارم الأخلاق، رضى الدين أبى نصر الحسن بن الفضل الطبرسى.

المقاصد الحسنة فيما اشتهر على الألسنة، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن

محمد السخاوى)المتوفى: 902 هـ(، المحقق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربى - بيروت، 1405 هـ - 1985 م.

المسند)المعلل الكبير(، للحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصرى البزار)ت 292(.

المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى) 260 360 هـ(، تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى.

المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى، تحقيق الدكتور محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، 1405 هـ / 1985 م .

المعجم الصغير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمى الطبرانى، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر، 1418 هـ 1997 م .

مجمع البيان فى تفسير القرآن، تفسير الطبرسى، الطبرسى، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية.

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، على بن أبى بكر الهيثمى، دار الفكر، بيروت - 1412 هجرية.

المصنف فى الأحاديث والآثار المعروف بمصنف ابن أبى شيبة،عبد الله بن محمد بن إبراهيم أبى شيبة العبسى أبو بكر)ت 235 هـ(، تحقيق محمد عوامة، دار القبلة - مؤسسة علوم القرآن، الرياض، 1427 هـ - 2006 م.

مصنف عبد الرزاق،أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعانى، المكتب الإسلامى، سنة النشر: 1403 هـ / 1983 م.

مناقب أل أبى طالب، محمد بن على بن شهر اشوب السروى المازندرانى، طبعه الراشد بن على المحلاتى الحايرى سنه 1313 هـ.

المستشرقون، بحث فی الاستشراق لدی جمیع الأمم، نجیب عقیقی، دار المعارف، مصر،)د.ت(.

مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهانی)ت 425 ه_(تحقیق صفوان عدنان داوودی، ذوی القربی، قم، 1431 ه_.

المغنی، موفق الدین أبی محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسی الجماعیلی الدمشقی الصالحی الحنبلی) 541 620 ه_(، ط 3، تحقیق الدکتور عبد الله بن عبد المحسن الترکی، والدکتور عبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الکتب للطباعة والنشر والتوزیع، الریاض، السعودیة، 1417 ه_ 1997 م.

المیزان فی تفسیر القران، السید محمد حسین الطباطبائی، صححه واشرف علی طباعته الشیخ حسین الاعلمی، منشورات مؤسسة الاعلمی للمطبوعات، بیروت، 1997 .

المستطرف الجدید، حکایات من التراث،هادی العلوی، ط 2، مرکز الأبحاث والدراسات الاشتراکیة فی العالم العربی، دمشق.

المذهب السیاسی فی الإسلام، صدر الدین القبانجی،ط 2، دار الأضواء،بیروت، 1985 م 1405 ه_.

المنهج التربوی عند أهل البیت، السید سعید کاظم العذاری، دار الأمین للطباعة والنشر، بیروت.

محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم الحسین بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانی)المتوفی: 502 ه_(، شرکة دار الأرقم بن أبی الأرقم، بیروت، 1420 _ه.

مرقاة المفاتیح شرح مشکاة المصابیح،علی بن سلطان محمد القاری، دار الفکر،سنة النشر: 1422 ه_ / 2002 م.

مفحمات الأقران فى مبهمات القرآن، جلال الدين السيوطى) 849 911 ه_، علق عليه محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن للطلع والنشر والتوزيع، القاهرة، 1987 .

منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة القدرية،أبو العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية،مكتبة ابن تيمية، سنة النشر: 1406 ه_ / 1986 م.

معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى، دار صادر، بيروت، 1397 – 1993 .

المدخل الفقهى العام، مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع السلسلة: الفقه الإسلامى فى ثوبه الجديد، 2004 .

المقدمة، مرويات خلافة معاوية فى تاريخ الطبرى، دراسة نقدية مقارنة، دكتور خالد بن محمد الغيث، دار الأندلس الخضراء، جدة، ألسعودية، 1420 2000 .

معاوية بن أبى سفيان شخصيته وعصره، الدولة السفيانية، الدكتور على محمد الصلابى، ط 6، دار المعرفة، بيروت، 1423 ه_ 2011 م.

المنتظم فى تاريخ الملوک والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن ابن على بن محمد ابن الجوزى)ت 597 ه_(، دار صادر – بيروت.

)ن(

نهاية الأرب فى فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشى التيمى البكرى، شهاب الدين النويرى)المتوفى: 733 ه_(، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423 ه_.

النهاية فى الفتن والملاحم لابن كثير، كتاب الكترونى.

نظام الإسلام السياسى، باقر شريف القرشى،ط 2، دار التعارف، بيروت، لبنان،

ص :784

نور الأبصار فی مناقب آل بیت النبی المختار صلی الله علیه وآله، الشیخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجی الشسافعی، الدار العالمیة، بیروت.

)و(

الوجیز فی إیضاح قواعد الفقه الکلیة، الدکتور محمد صدقی بن أحمد البورنو، ط 5، مؤسسة الرسالة،بیروت، 1419 ه_ 1998 م.

)ی(

ینابیع المودة لذوی القربی، سلیمان بن إبراهیم الحسینی البلخی القندوزی) 1220

الدرا سات

جریدة العرب القطریة، الأحد 12 / 6 / 1432 ه_ 15 / 5 / 2011 م، الدوحة

عبدالله العذبة إیاد الدلیمی.

مقال بعنوان)هل کان تاریخنا ماضیا سعیدا؟(الکاتب المصری سید القمنی، نشرته مجلة روز الیوسف الصادرة یوم الخمیس 9 حزیران 2010 .

موضوع عنوان:)الأجوبة الأزهریة علی الشبه الشیعیة(موقع)عقیدة أهل السنة والجماعة عبر العصور من السلف والخلف الصالح(.

مقال بعنوان)لماذا أولاد الإمام الحسین معصومون وأولاد الإمام الحسن غیر معصومین؟(نشره یوم السبت، 27 تشرین الأول، 2012 ، موقع کتابات، فواز الفواز .

موضوع بعنوان: قاعدة درء المفاسد مقدم علی جلب المصالح، ملتقی أهل الحدیث.

http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=212504

دراسة لمستبصر إماراتی بعنوان «نقض الحدیث الموضوع ابنی هذا سید » نشرها فی موقع شبکة الکافی العقائدیة، الرابط،.

ص :785

http://alkafi.net/vb/showthread.php?p=1687

مقال)هل كان تاريخنا ماضيا سعيدا؟(سيد القمنى التى نشرتها مجلة روز اليوسف

الصادرة يوم الخميس 9 حزيران 2010 .

المواقع ا الكترونية ل

موقع المكتبة الشاملة، الرابط:.

http://shamela.ws/index.php/author/1893

موسوعة الحسن الرابط:.

http://www.mezan.net/mawsouat/hassan/solh.html

الجمعية الدولية للمترجمين واللغويين العرب، الرابط.

-http://www.wata.cc/forums/showthread.php?68237

شبكة الربانيون العلمية، الرابط:.

http://www.alrbanyon.com/vb/showthread.php?t=8474

موقع أهل السنة، الرابط:.

/http://ahlalsonnah.wordpress.com

موقع الشيرازى.

http://alshirazi.net/monasabat/monasabat/113.htm

موقع شبكة الدفاع عن السنة،.

http://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.80121=php?t

مجلة الفرات:.

/http://www.alkadhum.org/alfurat/portal/content/view/72/49

مركز آل البيت للمعلومات، محمد أمين نجف.

موقع إسلام ويب،.

http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullCo

ntentaudioid=179956

موقع حقيقة الأخوان المسلمين .

http://www.anti-ikhwan.com/?p=75

موقع فيصل نور،.

http://www.fnoor.com/fn0364.htm

المحتويات

مقدمة الناشر 3

المقدمة 7

الفصل الأول السياسة الدنيوية 19

السياسة الدنيوية 21

تقديم 21

الساسة العرب 23

الصراع الدينى السياسى 28

العصبية 31

الفصل الثانى الحياة السياسية قبل وبعد عصر البعثة 49

الحياة السياسية قبل وبعد عصر البعثة 51

سياسة العرب قبل عصر البعثة 51

السياسة فى عصر البعثة 56

التخطيط السياسى لقتل النبى 60 صلى الله عليه وآله

نشاط السياسيين فى عصر البعثة 65

المرحلة الأولى: 65

ص :787

المرحلة الثانية: 68

المرحلة الثالثة: 69

المرحلة الرابعة: 70

المرحلة الخامسة: 70

السياسة والدولة 71

التنقل عبر الخطوط 75

التكتم على دور العرب السياسى 78

الأنساق السياسية 79

الذين كتبوا التاريخ أخفوا حقائقه 85

قلب المعادلة 91

السياسة بعد عصر البعثة 95

ترشيح وتنصيب ودعم وقتل الخلفاء 95

قتل الخليفة عثمان 100

اتهام على بالتآمر والتواطؤ مع المتآمرين! 104

الفصل الثالث النزاع السيا سى مع الخط العلوى 113

النزاع السياسى مع الخط العلوى 115

المرحلة الأولى: المواجهة الناعمة 117

- أولا: إتمام مشروعهم الذى بدأ فى زمن البعثة وكانت غايته

زرع الفرقة بين النبى صلى الله عليه وآله وبين على 117 .عليه السلام

- ثانيا: استباق الأحداث وانتهاز الفرص ختلا. 120

• ثالثا: إنكار حقه فى الخلاف_ و أهليته للخلافة

والعمل على تنحيته عنها مرتين. 121

على وسنة الشيخين 122

وهل قتل حجر بن عدى من السنة أم من الجماعة؟ 126

• رابعا: التخلف عن بيعته 134

• سادسا: تخريب اقتصاد دولته. 140

محاولات الإصلاح الاقتصادى العلوية 143

المرحلة الثانية: المواجهة الخشنة 145

قتال الناكثين والقاسطين والمارقين 145

الحرب هى الحل 151

الجمل، الحرب الغادرة الأولى 155

صفين، معركة الخداع والمكر السياسى 161

جمر الصحابة بالفتوح للتخلص منهم 162

فصول صفين 166

النهروان، معركة المغفلين المخدوعين 169

المرحلة الثالثة: تكميم الأفواه وتغيير الموروث 177

سب الإمام على 177

فصل الرابع أنموذجات سيا سية فى تاريخ العرب 181

أنموذجات سياسية فى تاريخ العرب 183

المغيرة بن شعبة 183

قتل الخليفة عمر 184

مروان بن الحكم 189

الأشعث بن قيس 201

أبو سفيان ومشايخ قريش 202

المؤرخون والسياسة 213

الفصل الخامس النزاع السيا سى مع الخط الحسنى 221

النزاع السياسى مع الخط الحسنى 223

سياسة التشكيك 223

تشكيكهم بتاريخ مولده 225

تشكيكهم فى أصل تسميتة 228

تشكيكهم أن النبى صلى الله عليه وآله عق عنه 232

تشكيكهم فى صحبته 242

إسهامه فى الفتوح 243

الخلط بين مهام إمامته وخلافته 245

التلاعب بتأريخ وفاته 253

تشكيكهم بطريقة موته 263

اعتراضهم على دفنه مع جده 281

هدم القبر الشريف 291

الإمام الحسن فى ميزان النبوة 293

فرح السياسيين بموته 303

عدم احترام منزلته 307

لم يشفع له شبهه بالنبى صلى الله عليه وآله309

حجبهم الراشدية عنه 312

وتمكنت السياسة من خلط ألأوراق بشأن خُلق الإمام 319

الفصل الساد س السيا سة الدينية 321

السياسة الدينية 323

المستقبلية 329

ايذاء الحكام الجائرين لآل البيت 355

الخاتمة 365

المراجع 371

الجزء الثانى

الإمام المفترى عليه

الفصل الأول قصص زوجاته التسعمائة! 393

قصص زوجاته التسعمائة! 395

المدائنى 402

الحسن عليه السلام المبذر المتلاف 405

انزعاج الإمام على 419 عليه السلام

الزواج السياسى 427

الأصل التاريخى لروايات الزواج الخرافى 439

مع الكثرة يسوء الاختيار 447

حب نسائه له 451

معرفة دقائق الأمور 453

أولاد الإمام الحسن 465 عليه السلام

الفصل الثانى ِصدقْ الأئمة وكَذِبِ السيا سيين 471

صِدقْ الأئمة وكَذِبِ السياسيين 473

نظرية الحق الإلهى 479

التنصيب الإلهى 499

الكِبرْ 505

الفصل الثالث الصلح فى الجزئية والكلية 517

بعض ملامح أخلاق الإمام الحسن عليه السلام السياسية 519

الشروط بين الفقه والفكر السياسى الإسلامى 533

ما اشتبه عليهم 537

الإذلال فى ميزان الواقع 549

ما بال المعاصرين 555

الجانب الفقهى للصلح 561

الآية من حيث سبب النزول: 562

الآية من حيث التفسير: 563

الآية من حيث التشريع: 565

مشروعية الصلح والحرب فى الإسلام 569

الفصل الرابع الأغيلمة والشجرة الخبيثة 573

حديث الأغيلمة 575

الشجرة الملعونة فى القرآن 587

قتال الحسن عليه السلام للبغاة مكمل لقتال على عليه السلام لهم 595

جيش الإمام الحسن 605 عليه السلام

من البادئ بالمسير إلى الحرب؟ 619

إلتقاء الجيشين 625

هل التقى الجيشان فعلاً؟ 635

مَنْ بادر إلى الصُلح أولا؟ 639

قصة البخارى الملفقة 645

مؤامرة الخطبة 657

الف ل الخامس المدارس الفقهية و موضوع الصلح 661

المدارس الفقهية وموضوع الصُلح 663

ترابط منهج الإمامة المعصومة وفهم الحسن عليه السلام للصُلح 691

لماذا صالَح الحسن 705 ؟عليه السلام

الفصل السادس الُصلح والقواعد الفقهية 713

الصُلح والقواعد الفقهية 715

درء الحدود بالشبهات 715

الإمام والوحدة الإسلامية 727

وثيقة الصُلح 729

معاوية والصُلح 737

الحسن عليه السلام بعد الصُلح 745

مراجع ومصادر الجزء الثانى 767

ص :794

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹